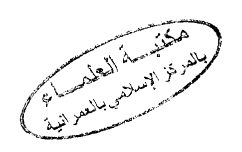


النظم المختار

من مدائح المختار ﷺ

الشاعر الشهيد

يحيى الصرصرى

(ت ٦٥٦ هـ)

حقَّقه وقدَّمَ له وعلَّقَ عليه

راجى عفو ربه

د. محمد محمد داود

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران / ١٦٤ .

صدق الله العظيم

إهداء

● إلى أرض الرافدين التى أشرقت أنوار حضارتها على العالم : من قانون حمورابى ، إلى مدرسة الرأى والفكر لإمام الفقهاء أبى حنيفة النعمان .

● إلى أئمة أهل الطريقة السالكين على درب الحقيقة : الحسن البصرى ، وبشر الحافى ، ومعروف الكرخى ، والجنيد ، والشبلى .

● إلى مدرسة البصرة والكوفة من علماء اللغة والأدب : الكسائى ، والأخفش ، وابن جنى .

● إلى روح الشاعر الشهيد : الصرصرى الذى ظلَّ يقاتل التتار بشعْرِه وعكَّازه ، حتى سقط شهيداً .

● إلى الشرفاء من أبناء العراق الذين يواجهون تتار العصر (الأمريكان وحلفاءهم) بفدائية وإيمان ، والله ناصرهم ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

محمد داود

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله، سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وبعد :

فما يقال من ثناء على مَنْ رَحَل عن دنيا الناس يطلق عليه « رثاء » إلا ما قيل فى سيد ولد آدم ﷺ فيسمى مديحًا. وهو باب من أبواب الشعر قائم برأسه، ومن الشعراء من توفَّر على هذا اللون من الشعر لا يجاوزه إلى غيره من أبواب الغزل والمدح والهجاء والوصف . . .إلخ. ومن هؤلاء الشعراء: شاعرنا الصرصرى.

وفى تسمية الثناء على النبى ﷺ بعد لحوقه بربه « مدحًا » حسٌ مرهف ومشاعر صادقة من المادحين وإدراك لجلال قدر هذا النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، صاحب الخلق العظيم، من شرح الله صدره، ورفع فى العالمين ذكره، وصلى عليه فى قرآنه. وفيه - أيضًا - إحساس بأن حياته ﷺ موصولة بعد انتقاله إلى جوار ربه.

وقد اجتهد الشعراء المحبون فى الثناء على النبى ﷺ ووصف شمائله وتتبع خطواته المباركة على هذه الأرض منذ ميلاده الشريف إلى أن صعدت روحه الطيبة إلى ربِّه. وكم خُلِّدَ ذِكْرُ شعراء بمديحهم لرسول الله ﷺ أمثال : كعب بن زهير الذى لا يذكر إلا وذكرت معه البردة النبوية المباركة التى أهداها له المصطفى ﷺ مكافأة على مدحه إياه بقصيدته « بانت سعاد »، فسميت القصيدة باسم البردة النبوية، ثم نسج على منوالها شعراء كثيرون من مختلف العصور، نذكر منهم شاعرنا الصرصرى، والبوصيرى المعاصر للصرصرى، وبردة أحمد شوقى فى العصر الحديث، وبردة الشيخ صالح الجعفرى رحمه الله، وغير هؤلاء كثيرون ممن خُلِّد ذكرهم بمدائحهم للنبى الكريم ﷺ .

والصرصرى ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب قدم راسخة فى فن المديح النبوى، وعلى الرغم من توفر بعض الدراسات للكشف عن جوانب شعره، إلا أنه ما زال بحاجة إلى المزيد من الجهد لإخراج شعره إلى النور.

ولعلّى بتحقيق وشرح ديوانه «النظم المختار من مدائح المختار» أكون قد وفيت بعض الوفاء وأديت بعض الواجب نحو هذا الشاعر الشهيد، والعالم الفقيه الإمام الصرصرى رحمه الله.

دوافع التحقيق:

لقد أمضيت أوقاتًا نَديَّة مباركة فى أُنس عظيم مع شمائل النبى الكريم سيدنا محمد ﷺ وفى رياض سيرته المباركة من خلال مدائح الصرصرى. ورأيتنى مدفوعًا إلى تحقيق هذه المجموعة وإخراجها إلى النور مشروحة، للأسباب الآتية:

١ ـ التعرض لبركات من قيلت فى حقه هذه المدائح: سيدنا محمد ﷺ.

٢ ـ تقديرى الخاص لهذا الشاعر العالم الفقيه الذى استشهد دفاعًا عن دينه ووطنه بعكازه بعد أن كرس شعره فى الدفاع عن هذه الأمة واستنهاض همم أبنائها لائذاً بأعتاب نبى الأمة ﷺ، وداعيًا إلى رحابه.

٣ ـ خصوصية شعر الصرصرى فى المديح النبوى، فإن شاعرنا ـ بالإضافة إلى حسِّه الصوفى العميق وحبه الصادق للمصطفى ﷺ ـ كان فقيهاً عالماً بالقرآن والسنة والسيرة المطهرة، فخلا شعره من الغلو والمبالغة، كما خلا من الأخبار التى لا سند لها، فكان ما يذكره من شمائل ومناقب وأخبار ـ فى مجملها ـ ثابتة بالنقل الصحيح والأسانيد الموثوقة.

٤ ـ هذا مع ندرة ما بين أيدينا من شعره، اللهم إلا ما تضمنته مختارات النبهانى، فكان الصرصرى جديراً بإخراج شعره إلى النور فى طبعة محققة مشروحة كى ينتفع بها العامة والخاصة.

● والله تعالى أسأل أن لا يحرمنى من بركاتها فى الدنيا والآخرة، وأن أحظى بوُدِّ الممدوح والمادح، كما أسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يتفضل عليَّ بالقبول، فهو ولى ذلك والقادر عليه.

● ولا يفوتنى أن أسجل شكرى وتقديرى لمن ذابت حبًا فى رسول الله ﷺ : زوجى (أم مصطفى)؛ التى استعذبت السهر من أجل صف هذا الديوان وتنسيقه على الحاسوب، وكم أعلنت أنها نالت من بركات مديحه ﷺ .

﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

فى ٢٧ رمضان ١٤٢٤ هـ

٢١ نوفمبر ٢٠٠٣ م

ترجمة الصرصري رحمه الله

اسـمـه: يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الأنصاري الصرصري [1].

كنيته: أبو زكريا.

لقبه: حاز شاعرنا عدة ألقاب، أشهرها:

١ - الصرصري، نسبة إلى صرصر، وهي قرية في العراق، تبعد عن بغداد فرسخين [2]، وإليها نُسب كثير من أهل العلم، منهم: نجم الدين الصرصري، الفقيه الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، وأبو القاسم إسماعيل بن الحسن الصرصري البغدادي (ت ٤٠٣ هـ).

٢ - جمال الدين.

٣ - حَسَّانُ وقته [3].

مـولده: اتفقت المصادر على سنة مولده، فأجمعت على أنه وُلد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة من الهجرة (٥٨٨ هـ) [4].

حياته: لم تقدم لنا المصادر التي بين أيدينا ما يكشف لنا عن جوانب حياة الصرصري إلا النزر اليسير. والسبيل المتاح أمامنا للتعرف على حياته هو ما جاء متناثرًا في شعره، فلا تقدم المصادر لنا شيئًا عن نشأته وأسرته.

وأما عن إصابته بالعمى فتذكره المصادر [5]، ويؤكد شعره كذلك أنه كُف بصره في آخر عمره، ومن شعره الدال على ذلك:

---

(١) راجع ترجمة وافية له في: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، ط ١ - ١٩٥٢، ٢/٢٦٣.

(٢) الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال ويجمع على فراسخ، والميل ١٦٠٩ أمتار في البر و ١٨٥٢ مترًا في البحر [المعجم الوجيز: فرسخ].

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/٢١١.

(٤) المرجع السابق، ٢/٢٦٣.

(٥) ذيل مرآة الزمان، اليونيني البعلبكي، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥م، ط ١ - ١/٧٥.

رضـيـتُ بمـا ترضَى فـزدنى به رضًـا وذلـكَ فـضـلٌ زاد مـنـه طَـويَّـتـى
حَـجَـبْـتَ بلُطْفٍ من صنيـعك مـقلتى من النَّظَـرِ الـدَّاعـى إلى كُـلِّ فـتـنـةِ

وأما عن عقيدته، فقد صرح الصرصرى بأنه سنى العقيدة، حنبلى المذهب، وأنه متصوف على طريقة أهل السنة والجماعة. ومن شعره الدال على ذلك [1] :

وإن تَسْـألَنّى باعـتـقـادى فـإنَّنى أقولُ بأعلىٰ الصَّوْتِ فى البَدْوِ والحَضْرِ
فـإنِّى عَلىٰ حُسْنِ اعـتـقـاد ابنِ حنبلٍ مـقـيـمٌ إلىٰ أنْ أُودَّعَ اللَّحْـدَ فى قـبـرى
فـإنِّى حَكَىٰ لى شَـيْـخِىَ الثِّـقَـةُ الرِّضـا علىُّ بنُ إدْريسَ الذى حُـبُّـه ذُخْـرى
عن الشـيخ عـبـد القـادرِ العَلَمِ الذى تَفَـرَّد بالقُطْبِـيَّـةِ العـالِم الحَـبْـرِ
بأنَّ جَـمـيـعَ الأوليـاءِ بعَـقْـده مَدينُونَ فى البَرِّ الشَّسُوعِ وفى البَحْرِ

وكان الصرصرى ـ رحمه الله تعالى ـ حريصًا على السنة مدافعًا عنها، حاملاً على المخالفين لها المجترئين على حماها.

وسجل حب الوطن حضوراً عظيمًا فى شعر الصرصرى، وتجلَّى بوضوح اهتمامه بآلام الأمة التى كانت محاصرة بجيوش الأعداء من التتر وغيرهم، والدعوة إلى التصدى لهم وتوحيد الصف، والتحذير من الفرقة والتخاذل، وتكررت استغاثاته المتواصلة يلتمس من الله النصر لأمة حبيبه محمد ﷺ، وأن يحفظ عاصمة الخلافة وبيضة الإسلام: بغداد، من هجمة التتر، لكن الله لا ينصر إلا من ينصره، فيجتاح التتر عاصمة الخلافة وتسقط بغداد، ويسقط الصرصرى شهيداً على أبواب بغداد.

ويصف ابن رجب الحنبلى شاعرنا الصرصرى بوصف جامع فيقول[2]: «كان صالحًا قدوة، عظيم الاجتهاد، عفيفًا صبوراً قنوعًا، محبًّا لطريقة الفقراء».

---

(١) د. مخيمر صالح: المدائح النبوية بين الصرصرى والبوصيرى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، عمان: الدار العربية، ١٩٨٦ ـ ص ٤١ .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلى ٢ / ٢٦٣ .

شيوخه: تلقى الصرصرى - رحمه الله - العلم على شيوخ عصره، فتلقى القرآن بالروايات على أصحاب ابن عساكر البطائحى (ت ٥٧٢ هـ) . وسمع الحديث من الشيخ على بن إدريس الفقيه الحنبلى المشهور (ت ٦١٩ هـ)، كما تلقى علوم النحو واللغة، وحفظ معجم الصحاح للجوهرى بكماله. وقد أسعفه حفظه لمعجم الصحاح فى إنجاز القوافى الصعبة، مثل قافية الثاء، ولعل هذا يكون مبرراً مقبولاً لوجود كلمات غريبة فى بعض القوافى؛ إذ كانت تستدعى من بطون المعاجم وليس من الواقع اللغوى. ويظهر من هذا أن ثقافة الصرصرى كانت ثقافة دينية وأنه أخذ بقسط وافر من الثقافة اللغوية.

تلاميذه: تفيد المصادر بأن للصرصرى تلاميذ، أفادوا من علمه، ومن أهمهم:

١ - الحافظ الدمياطى (ت ٧٠٥ هـ) .

سمع من الصرصرى وأخذ عنه الحديث والقراءات، والحافظ الدمياطى يصفه صاحب فوات الوفيات بأنه حجة وعلم من أعلام المحدثين، كما وصفه بأنه عمدة النقاد. وله تصانيف عديدة (٢).

٢ - القاضى سليمان بن حمزة (ت ٧١٥ هـ).

وقد وُلِّيَ القضاء فى بغداد عشرين سنة، وعُرِفَ بالعدل فى قضائه وله تصانيف عديدة (٣).

٣ - زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠ هـ) :

فقد رُوى أنه أجازها، ولما كان مولد زينب فى سنة ٦٤٦ هـ، ووفاة الصرصرى كانت سنة ٦٥٦ هـ، أى أن عمر زينب عند وفاة الصرصرى كان عشر سنين، وهى سن لا تناسب الإجازة، فقد دعا ذلك بعض الباحثين إلى الشك فى هذه الإجازة إلا إذا كانت إجازة بالوِجادة (٤).

---

(١) ابن رجب الحنبلى: الذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٣ .
(٢) فوات الوفيات ٢ / ٢٢ .
(٣) الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ١٤٧ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ١١٧ .

٤ ـ أحمد بن علي الجزري ولد سنة (ت ٦٤٩ هـ).

سكن حماة ثم دمشق، أخذ العلم على يد المبارك الخواص وفضل الله الجيلي وسبط ابن الجوزي. حدَّث كثيرًا، وكان كثير الذكر والتلاوة والعبادة، وإليه صارت الرحلة بعد زينب بنت الكمال توفي سنة (٧٤٣) (١).

آثار الصرصري:

آثار الصرصري التي بين أيدينا كلها في مجال الشعر، وَجُلُّها في مدائح النبي ﷺ وقصائد قليلة ذات طابع تعليمي.

وفاته: كما أجمعت المصادر على سنة مولده، فقد اتفقت على سنة وفاته، فذكرت أن وفاته كانت في سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة (٦٥٦ هـ) السنة التي سقطت فيها بغداد في يد التتر، وسقط الصرصري شهيداً على يد التتر حين دخلوا فرماهم بالحجارة وقاتلهم بعكازه فأصاب منهم وقَتَل، ثم استشهد رحمه الله (٢).

---

(١) وفيات الأعيان ١/٢٠٧.
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٢٦٣.

توفر الصرصرى، رحمه الله تعالى، على المدائح النبوية، حتى قال ابن كثير (١) : إن الصرصرى لم يمدح أحداً من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء، كما أُطْلِق عليه « حَسَّانُ وقته » وهكذا جاء جُلُّ شعره - رحمه الله - فى مديح المصطفى ﷺ ، وما خرج من شعره عن مديح المصطفى ﷺ يُعَدُّ استثناءً .

ولقد نبغ الصرصرى فى فن المدائح النبوية، وساعده على ذلك حِسُّه الأدبى المرهف ومشاعره الإيمانية الفياضة التى كانت تحركه لإنشاء القصائد الطوال مادحًا رسول الله ﷺ ، وقد جاء فى شعره ما يبوح بهذا الحب الذى ملأ جوانحه للمصطفى ﷺ وتعلق قلبه به، فقد رأى الصرصرى الرسول ﷺ مرة فى النوم فقبل فاه وقال : أشهد أن هذا الفم الذى أنزل عليه الوحى، فقال ﷺ للصرصرى فى المنام : « وأنا أشهد أنك مت على الكتاب والسنة »، والموت على الكتاب والسنة تأويله الشهادة فى سبيل الله .

وقد صدقت الرؤيا ومات الصرصرى رحمه الله شهيداً ، يقول الصرصرى رحمه الله (٢) :

رأيتُ رسولَ الله فى النوم مَرَّةً ... فقبَّلتُ فاه العذبَ تقبيلَ مشتاقِ
ولو أننى أوتيتُ رُشْدِىَ قائمًا ... لقبَّلتُ مَمْشاه الشريفَ بآماقى
فبشَّرنى منه بأزكى شهادةٍ ... بها جَبْرُ كَسْرِى يومَ قهرى وإملاقى
بموتٍ سعيدٍ فى كتاب وسُنَّةٍ ... فلانَتْ لبُشْرَاهُ شراسةُ أخلاقى

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٢١١ .
(٢) ديوان الصرصرى، ورقة ٢٢٠ . وانظر : المدائح النبوية بين الصرصرى والبوصيرى ص ٥٧ .

وسبب آخر لنبوغ الصرصرى فى فن المدائح النبوية : هو تمكنه من اللغة العربية، مع إلمامه الواسع وفهمه العميق لسيرة الرسول ﷺ، لذلك جاءت مدائحه سجلاً وافيًا لمعجزات النبى ﷺ وشمائله.

ولما كان الصرصرى عالمًا فقيهًا، رأينا مدائحه للمصطفى ﷺ قد خلت من الغلو أو الشطط، وإنما كانت فى إطار آمن لا يخرج عن آيات القرآن الكريم أو عن سنة المصطفى ﷺ.

كما كان للدعوة إلى الله تعالى نصيب وافر من شعر الصرصرى رحمه الله تعالى، حيث عبر عن آلام الأمة المسلمة فى عصره إزاء الهجمة الشرسة للتتر على بغداد وقتها، ودعا ربه وتوسل إليه فى كشف الغمة عن الأمة.

وأضاف الصرصرى إلى فن المدائح النبوية حين طرق أبوابًا جديدة فى مدائحه، من ذلك تصريحه الواضح بالحقيقة المحمدية (النور المحمدى)، فى إطار الكتاب والسنة دونما غلوٍّ أو شطحات، وكان سابقوه يكتفون بالإشارة إليها، ومن شعره الذى جاء فيه تصريح بالحقيقة المحمدية، قوله:

نُقِلْتَ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَابَ مَحْتِدُهُ ... إلى بُطونٍ زَكَتْ ما شَانَها نَكَدُ
حَلَلْتَ صُلبَ أَبِينَا عِنْدَ مَهْبِطِه ... وصُلْبَ نُوحٍ وقدْ غَشَّىٰ الوَرَىٰ الزَّبَدُ
وكُنْتَ فى صُلْبِ إبراهيمَ مُسْتَتِرًا ... ونَارُ نِمْروذَ أَشْقَىٰ الخَلْقِ تَتَّقِدُ
وحَازَ نُورَكَ إسماعِيلُ يُودِعُهُ ... أبناءَهُ الغُرَّ حَتَّىٰ حَازَهُ أُدَدُ
ونَالَ عَدْنانُ فى الأَنْسابِ مَنزِلَةً ... عُلْيا بِذِكْرِكَ لَمْ يُخْفَضْ لها عَمَدُ
ولَمْ يَزَلْ فى مَعَدٍّ ثُمَّ فى مُضَرٍ ... وهاشِمٍ بِكَ تاجُ الفَخْرِ يَنْعَقِدُ
حَتَّىٰ تَسَلَّمَ عَبدُ اللهِ مَنْصِبَهُ ... من شَيبَةِ الحَمْدِ حَتَّىٰ أقْبَلَ الأَمَدُ

كما عبر الصرصرى رحمه الله عن عاطفة الحب العظيم الذى ملأ جوانحه وجوارحه لرسول الله ﷺ.

ومما أضافه الصرصرى فى فن المدائح النبوية تجديده فى مقدمة القصائد، حيث بدأ بعض قصائده فى المديح بالتسبيح والحمد لله بدلاً من المقدمة الطللية التقليدية، كما فى نونيَّته التى مطلعها:

سُبْحانَ ذِى الجَبَروتِ والبُرْهانِ والعِزِّ والمَلَكُوتِ والسُّلْطانِ

كما برع الصرصرى فى بناء الصورة الفنية فى قصائده من خلال معانى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويمكن إجمال الخصائص الفنية لمدائح الصرصرى فى العناصر التالية:

(١) امتلاكه ناصية اللغة: ويظهر ذلك فى وفرة معجمه واتساعه للوفاء بقوافٍ لقصائد طويلة، بل وبالغة الطول.

(٢) تأثره بالمعجم القرآنى والنبوى، لفظًا ومعنى، وكثيرًا ما ينظم المعانى من القرآن والسنة فى ثنايا قصائده، مما أعطى شعره مسحة من نور القرآن والنبوة.

(٣) وفرة النغم الموسيقى، وتأتى له ذلك بالنظم على كل بحور الشعر العربى، وتنويع القوافى على جميع الحروف الهجائية.

(٤) التباين فى الأسلوب بين السهولة والصعوبة، فنقرأ فى شعر الصرصرى القصائد ذات الألفاظ السهلة والتراكيب البسيطة، كما فى قوافى: الهمزة والدال والراء واللام والميم والنون، ونقرأ فيه القصائد ذات الألفاظ الحوشية الوعرة التى نحتاج إلى مراجعة المعاجم فى كل بيت منها، خاصة فى قوافى: الثاء والذال والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والكاف.

والسر فى هذا التفاوت الأسلوبى يرجع إلى التزام الصرصرى بالنظم على كل حروف المعجم، وبطبيعة الحال فإن القصائد التى نظمت على قوافٍ سهلة كالراء واللام ونحوها ستجنح إلى السهولة؛ لوفرة الكلمات المتاحة لقوافيها، وعلى النقيض من ذلك القصائد التى نظمت على قوافٍ صعبة كالثاء والذال ونحوهما؛ إذ الكلمات التى تنتهى بالثاء والذال ونحوهما لا توفر له القوافى الكافية، فهو

ينقب فى محفوظه من اللغة عن كل كلمة تنتهى بالثاء مثلاً ليصنع قافية ثائية، فتكون النتيجة أن تنتهى الأبيات بكلمات من قبيل: (الأنائث - الروامث - عثاعث - عناكث - مدالث - أنابث - رواغث ... إلخ).

(٥) تأثره بأبى العلاء المعرى الذى شاركه فى كف البصر، وهذا واضح فى التزام الصرصرى بالنظم على جميع حروف المعجم، ويعد المجموع الذى بين أيدينا ثانى ديوان عربى بعد لزوميات أبى العلاء ينظم على جميع حروف المعجم. كما يظهر تأثر الصرصرى بأبى العلاء فى ولعه بالمحسنات البديعية وبخاصة: الجناس بأنواعه. وقد نبهت على ذلك فى تقديم القصائد التى غلب عليها البديع، وأشرت إلى تأثره بأسلوب المعرى.

(٦) صدق العاطفة النابع من نفس محبة لشخص النبى الكريم ﷺ، وللديار المقدسة التى شهدت خطواته المباركة.

(٧) القدرة العالية على الوصف، وبخاصة وصف المكان، حتى إننا نستطيع إذا تتبعنا إشاراته المكانية أن نرسم خارطة دقيقة تبدأ من « صرصر » شرقى بغداد، وتنتهى بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وما بين العراق والحجاز من منازل وجبال ومياه، على نحو ما نرى فى اللامية الثالثة. وربما كان سر هذه القدرة العالية راجعًا إلى كف بصره، فمعروف عن نوابغ المكفوفين حدة الذاكرة وخصوبتها عندهم.

منهج التحقيق والشرح:

١ - اعتمدت منهج النص المختار فى التحقيق، فكنت أثبت الصواب من النسخ التى بين يدى، وكذا ما سجله النبهانى فى « المجموعة النبهانية »، ثم أذكر فى الحاشية النص كما ورد فى النسخة (أ).

وسبب التزامى طريقة النص المختار أن فيها فائدة فى تخليص النص من

أخطاء النُّساخ وسهوهم وما قد يقعون فيه من تصحيف وتحريف ينال من النص ويجعله عسيراً على غير أهل الاختصاص. والمحقق فى هذا كله لا يخرج عما كتبه المؤلف ولا عن نسخ كتابه، وإنما هى محاولة جادة للتغلب على أخطاء النُسَّاخ، مع التزام الأمانة العلمية.

٢ - ضبط نص المخطوط ضبطًا كاملاً.

٣ - قدمت لكل بمقدمة قصيدة تبين المحاور الأساسية التى دارت حولها معانى القصيدة.

٤ - شرح الكلمات التى تحتاج إلى شرح.

٥ - ترجمة الأعلام والأماكن الواردة فى النص.

٦ - بيان البحور التى نظمت عليها القصائد.

٧ - تخريج الأحاديث النبوية والآثار التى أشارت إليها أبيات قصائد الصرصرى.

٨ - التنبيه على بداية كل صفحة ورقمها من صفحات المخطوط.

٩ - عمل فهرس للموضوعات بعناوين الفصول والقصائد التى تضمنها كل فصل.

(١) نسخة دار الكتب المصرية (أ) تحت رقم ١٠٩ / أدب، وعنها صورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٣٢١ / أدب.

ومسطرتها ٢١ سطراً فى الصفحة، وسجل عنوانها بخط الناسخ: ديوان الصرصرى تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان بمنه وكرمه.

ثم نص الناسخ فى صفحة العنوان على أن هذا الديوان منتخب من ديوان الناظم رحمه الله، اقتصر فيه على المدائح فقط، وإلا فهو بقدر هذا خمس مرات، فيه من الآداب الشرعية والمواعظ والنصائح والزهديات شىء عظيم.

ثم صرح الناسخ فى نهاية المخطوط (أ) بعنوان هذه النسخة بقوله:

تم النظم المختار من مدائح المختار

وقد رأيت أنه عنوان مناسب لهذا المنتخب من شعر الصرصرى؛ لأنه ينص على أنه (مختار) من مدائح النبى المختار ﷺ، فهو يبين أن محتواه ليس كل شعر الصرصرى فى المدائح بل مختارات منه، كما أنه عنوان سهلٌ قريب المتناول للخاصة والعامة.

ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٠١٧ هـ وتقع فى ٨٩ (تسع وثمانين ورقة). بدايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الشيخُ الإمامُ الأوحدُ البليغُ جمالُ الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ يوسُفَ بنِ عليٍّ بنِ منصورِ بنِ المعمر بنِ عبدِ السَّلامِ الصَّرْصَرِى، تَغمَّدَهُ اللّهُ بِرِضْوانِهِ. آمين:

الحمد لله على جزيلِ نَعْمائه وجَميلِ آلائه، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أنبيائه، وعلى آله وصحبه وأوليائه.

هَذا ما سَمَحَ به مَحْمُودُ خاطِرى، وانتَظَمَ مِنْ نَفيسِ جَواهِرى، في مَدحِ سَيِّدِ العَربِ والعَجَم، المُفَضَّلِ عَلى أنْبياء جميعِ الأمم، محمدٍ صلى الله عليه وسلَّمْ، مُرتَّبًا على حروف المعجم، متقرِّبًا إلى الله - عزَّ وجلَّ - بمدحه، راجيًا جميلَ عفوِه وصَفحِه، وإلى الله أرغبُ في مقابلتِه بالقَبول، وجَبْرِ نقصِه بكمالِ الرَّسول ﷺ.

وآخرها:

تـم

«النظم المختار من مدائح المختار»

والحمد لله على فَضله الدَّارّ

وصَلى الله على سيدنا محَمدٍ

مشرق الأنوار

ومركز الأدوار

ومظهر الأسرار

وعلى جميع الآل والأصحاب والأنصار

وتابعيهم السادة الأخيار

ما تعاقب الليل والنهار

وسلِّم تسليمًا كثيراً دائمًا أبداً

في أواخر صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة وألف من الهجرة النبوية ختمت بالخير إن شاء الله تعالى، آمين.

وهى أوضح النسخ وأكثرها تنظيمًا، وهذه النسخة هى محل التحقيق.
والنسخ الأخرى ليست نسخًا من هذا المخطوط، وإنما كل نسخة منها مجموع وحده، يشترك مع هذا المخطوط فى قصائد ويختلف فى قصائد أخرى.

وكانت القصائد المشتركة بين كل نسخة والنسخة (أ) محل التحقيق معاونة فى التحقُّق من قراءة بعض الكلمات غير الواضحة بالنسخة (أ).

(٢) وصف النسخة الأزهرية (ب) بدار الكتبخانة الأزهرية (رقم ٢٨٧٥٤ / أدب)، وعلى صفحة الغلاف وقف مؤرخ بتاريخ غرة المحرم سنة ١٣٣٧ هـ. وتقع فى ٢٠٦ أوراق، وكتبت بخط النسخ الواضح والمشكول.
وبدايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل العارف المكاشف لسان الأدب وحجة العرب جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى قدس الله روحه بمدحه ﷺ:

زارَ وَهْنًا ونحن بالزوراء	فى مكان خالٍ من الرقباءِ
من حبيب القلوب طيف خيالٍ	فجلا نوره دُجى الظلماءِ

ونهايتها:

فاجعلِ ابنَ الهيتىِّ شيخَكَ تَسْلَمْ	بهُداهُ من كل أمرٍ دَنىِّ

والحمد لله رب العالمين

هذا آخر ما أمكن جمعه من نظمه رحمة الله عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وهذه النسخة مخالفة للنسخة (أ) التى اعتمدت عليها فى التحقيق. فهى أحدث عهدًا، كما أن محتواها مغاير تمامًا لتلك.

تحتوى النسخة (ب) على مائة وستين منظومة تراوح طولها من بيتين إلى القصائد بالغة الطول، ولا تشترك النسختان إلا فى ست عشرة قصيدة.

هذا ، والقصائد المشتركة بها اختلافات طفيفة بين النسختين ، بزيادة بعض الأبيات فى (ب) ، أو بتغيير مواقع بعض الأبيات ، كما هو موضح فى نص التحقيق .

والنسخة (ب) ليست نسخة دقيقة ، فأخطاؤها كثيرة : نحويًّا وإملائيًّا وعروضيًّا ، لكننى اعتمدت عليها فى تدقيق بعض الكلمات المطموسة أو غير الواضحة فى النسخة (أ) ، بعد بحث ومقارنة مع الكلمات المشابهة فى مواضع كثيرة من النسختين .

● النسخة (ب) هى - كما ذكر الناسخ فى نهايتها : **آخر ما أمكن جمعه من نظمه رحمه الله ، وكتب فى آخرها :**

« ديوان العلاَّمة الصرصرى ، رحمه الله »

● لم تقتصر قصائد النسخة (ب) على المدائح النبوية - كما هى الحال فى (أ) غالبًا - بل تنوعت الأغراض بين مدح الرسول ﷺ ، والثناء على الله عز وجلّ والتضرع إليه ، ومدائح لبعض آل البيت كالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وبعض الصحابة ، كسلمان الفارسى ، وحذيقة بن اليمان - رضى الله عنهما - ومدائح لبعض الصالحين ، كشيوخه من الصوفية ، أمثال : الهيتى ، وابن إدريس ، وأبى على بن نصر ، والقادرى ، وأبى الوفا الجبيلى ، وغيرهم . وهناك قصائد تناولت موضوعات تاريخية كتأريخه لخلفاء بنى العباس من أبى العباس السفاح حتى عصر شاعرنا (فى خلافة المستعصم بالله) ، وهناك زهديات وحكم ووصايا ، وإخوانيات ، وغزليات ، وألغاز ، وقصائد فى موضوعات دينية أخرى كتلك التى عنونها الناسخ بعنوان : فى تجويد قراءة الفاتحة ، وفى نسبة خرقته إلى مشايخه ، وفى أحوال الرجال وطرائقهم ، وفى حكم إباحة الغناء وآراء الفقهاء فى ذلك . وثمة قصائد ذاتية محضة ، كالحنين إلى الذكريات والتحسر على ما ضاع من أيام وشباب وصبوات ، وقصائد فى سيرته الذاتية ، وقصائد فى

عتاب الذات ، وقصائد فى موضوعات علمية وفكرية .

(٣) نسخة أصفية بحيدر أباد (جـ) التى قام معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة بتصويرها وحفظها تحت رقم ١٥١٣ / أدب وتقع فى ١٨٩ ورقة، ومسطرتها (٢٥) خمسة وعشرون سطرًا فى الصفحة، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط .

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الواضح والمشكول، وسجل عنوانها واضحًا :

ديوان الصرصرى

للإمام أبى زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الحنبلى وأولها :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل ركن الدين ، ولسان العرب ، وحجة الأدب ، أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الحنبلى ، تغمده الله برحمته ، يذكر فيها منازل العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة :

سقى العذيب من الأمواه ما عذبا ... وهز نفح الصبا من بانه العذبا

وفى نهاية المخطوط :

وانتظم النفع منه فى المعاد لها ... إذا سقاها روىً عَذْبًا فرواها

تم الديوان المبارك من الشيخ الكامل يحيى الصرصرى تغمده الله برحمته . وكان الفراغ منه فى يوم السبت المبارك سادس ذى الحجة الحرام سنة أربع وتسعين وثمانمائة . غفر الله لكاتبه والقارئ فيه ولجميع المسلمين ، آمين .

وهذه النسخة مجموع وحده، تشمل مع مدائح المصطفى ﷺ الثناء على الله تعالى واستغاثات وأدعية وغير ذلك .

وجدير بالذكر أنها من أهم النسخ التى عاونت فى التحقيق، حيث مكنتنا من التأكد من صحة قراءة الكلمات غير الواضحة فى النسخة (أ) محل التحقيق، وذلك فى حدود القصائد المشتركة بين النسختين.

(٤) نسخة المسجد الأقصى بالقدس (د) التى قام معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة بتصويرها وحفظها تحت رقم ١٥١٥ / أدب، وتقع فى ١٥٣ ورقة، ومسطرتها (١٨) سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط. وكتبت بخط النسخ، إلا أن بها بعض التلف، وبعض صفحاتها ناقصة.

وكانت هذه النسخة إحدى النسخ المعاونة فى ضبط قراءة بعض الكلمات غير الواضحة فى النسخة (أ) محل التحقيق.

وعنوان هذه النسخة:

هذا ديوان إمام البلغاء، الشيخ الإمام يحيى الصرصرى بن يوسف رحمه الله.

والنسخة غير مرتبة، فبدايتها بقافية القاف:

لِمَنِ الأَسِنَّةُ بَرْقُهَا يَتَأَلَّقُ ... فى جَحْفَلٍ كَمُجَلْجِلٍ يَتَبَعَّقُ

ونهاية الديوان كالتالى:

فاخطب إلى حوراءَ راق منظرها ... فى جنة لا ترى فى رأسها عذبا

صداقها طاعة الرحمن فاسمُ لها ... ولا تكن كفتى عن رشده عزبا

كما أن هذه النسخة مجموع وحده، بها بعض القصائد المشتركة مع النسخة (أ) محل التحقيق، بالإضافة إلى قصائد أخرى. وأما عن موضوعات قصائد هذه النسخة فجلها فى المديح مع موضوعات أخرى من الاستغاثات والأدعية والثناء على الله تعالى.

(٥) نسخة مكتبة جوته ـ ألمانيا الشرقية (هـ) وعنها نسخة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم (١٥١٤ / أدب)، وتقع

فى ٢٣٢ ورقة، ومسطرتها (١٥) خمسة عشر سطراً فى الصفحة الواحدة، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط. وهى نسخة كاملة مكتوبة بخط النسخ الواضح، وقد سجل عنوانها واضحًا :

هذا ديوان الإمام العالم الفاضل جمال الدين أبى زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى قدس الله روحه ونور ضريحه بمدح النبى ﷺ .

وبداية المخطوط بعد صفحة العنوان :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل المكاشف، لسان العرب وحجة الأدب جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى قدس الله روحه ونور ضريحه بمدح النبى ﷺ :

قافية الهمزة

سبحان من للورى فى أرض ذَرَءَا وأحسن الصنع بالإتقان إذ بَرَءَا

ونهايتها كالتالى :

يارب واجعل إلى الخيرات منقَلَبى ونَجِّنى من ضرام ظَلَّ مُلْتَظِيا

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، آمين.

وموضوعات هذه النسخة متنوعة، تشمل الثناء على الله تعالى ومديح النبى ﷺ. وهذه النسخة مجموع وحده، ومن خلال القصائد المشتركة بين هذه النسخة ونسخة النظم المختار من مدائح المختار (أ) أمكن التأكد من بعض الكلمات التى ساورنا الشك فى صحة قراءتها.

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (أ)

صورة الصفحة الأولى

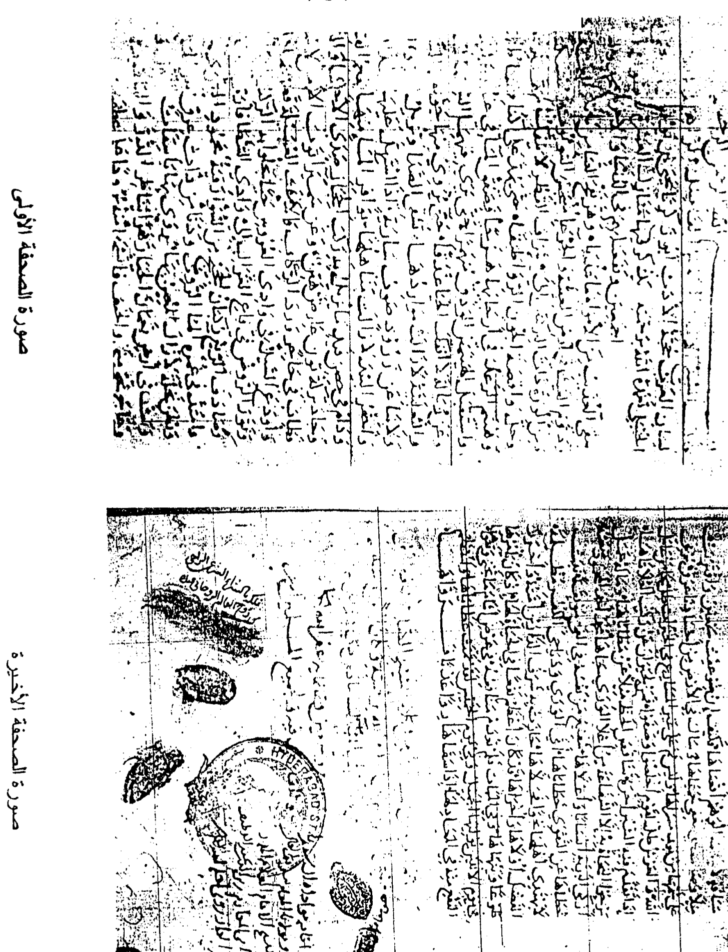
صورة الصفحة الأخيرة

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (ب)

صورة الصفحة الأولى

صورة الصفحة الأخيرة

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (ج)



صورة الصفحة الأولى

صورة الصفحة الأخيرة

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (د)

صورة الصفحة الأولى

صورة الصفحة الأخيرة

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (هـ)

صورة الصفحة الأولى

صورة الصفحة الأخيرة

مخطوط

النظم المختار

من مدائح المختار ﷺ

الشاعر الشهيد
يحيى الصرصري

(ت ٦٥٦ هـ)

حقَّقه وقدَّمَ له وعلَّقَ عليه
راجي عفو ربه
د. محمد محمد داود

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ الشيخُ الإمامُ الأوحدُ البليغُ جمالُ الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ يوسُفَ بنِ عليٍّ بنِ منصورِ بنِ المعمر بنِ عبدِ السَّلامِ الصَّرْصَرِى، تَغمَّدَهُ اللهُ برِضْوانِهِ. آمين:

الحمد لله على جزيلِ نَعْمائِهِ وجَميلِ آلائِهِ، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أنبيائِهِ، وعلى آلهِ وصحبِهِ وأوليائِهِ.

هَذا ما سَمَحَ به مَحْمُودُ خاطِرِى، وانتَظَمَ منْ نَفيسِ جَواهِرِى، فى مَدحِ سَيِّدِ العَربِ والعَجَم، المُفَضَّلِ عَلى أنْبياءِ جميعِ الأمم، محمدٍ صلى الله عليه وسلَّمْ، مُرتَّبًا على حروف المعجم، متقرِّبًا إلى الله - عزَّ وجلَّ - بمدحه، راجيًا جميلَ عفوِهِ وصَفحِهِ، وإلى اللهِ أرغبُ فى مقابلتِهِ بالقَبولِ، وجَبْرِ نقصِهِ بكمالِ الرَّسولِ ﷺ.

قافية الهمزة (*)

تقديـــم

بهذا التقسيم لقصائد الديوان، يتضح لنا أن الصرصرى متأثر بأبى العلاء المعرى صاحب «اللزوميات»، فالمعرى أول شاعر عربى ينظم ديوانًا كاملاً على حروف المعجم، وإن كان الصرصرى لم يُجَارِ أبا العلاء فى هذا المضمار، فلم ينظم قوافى متعددة تحت كل حرف من الحروف، فيأتى بالحرف مضمومًا ثم مفتوحًا ثم مكسورًا ثم ساكنًا، بل اكتفى بنظم مقطوعة أو عدة مقطوعات من كل حرف، بغض النظر عن حركة الروى.

ولم يقف تأثر الصرصرى بأبى العلاء عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الأساليب الفنية، فمن المعروف عن أبى العلاء ولعه بالمحسنات البديعية من جناس وتورية وغير ذلك مما يتعلق بالطبيعة الصوتية للنص الشعرى، وهذا ما سنراه واضحًا عند شاعرنا الصرصرى، وسأشير إليه فى مكانه.

والسر فى ولع كلا الشاعرين بالأصوات والإيقاعات والنغمات يرجع إلى ما جمع بينهما من كف البصر، وهو ما جعل كُلاًّ منهما يعيش فى عالم من الأصوات، فكان طبيعيًا أن يطغى جانب الصوت والإيقاع على سائر جماليات الشعر .

كذلك نجد اتساعًا فى معجم الصرصرى يذكرنا بمعجم أبى العلاء، وإن لم يصل إلى حد الإغراب فى اللفظ والتعمق فى مجاهل اللغات المهجورة كصنيع أبى العلاء .

(*) عناوين الفصول وردت فى الأصل ، والعناوين الفرعية مثل : الهمزية الأولى ، الثانية ... إلخ - هى من وضع المحقق .

الهمزية الأولى

(عِدَّتُها ٢٣ ـ الكامل الثانى)

هذه القصيدة الافتتاحية مناجاة للبقاع المقدسة، واستعادة للذكريات الهنيئة التى عاشها الشاعر فى ظل الحرم الشريف، وفى جوار النبى الكريم ﷺ، وذلك قبل الهجمة الشرسة على العالم الإسلامى من قِبَل المغول والتتر، وإن كان لا يشير صراحة إلى هذه الأخطار التى تهددت العالم الإسلامى.

وتتناول القصيدة الأولى العناصر الآتية:

- افتتاحية دعائية بأن يسقط المطر علىٰ هذه البقاع الطاهرة.
- عود إلى الذكريات القديمة فى مراتع الصبا.
- ثناء على ساكنى الأرض المقدسة.
- شوق إلىٰ الحرم الشريف.
- مديح للنبى الكريم ﷺ وسرد لبعض أسمائه المشرفة.

قال يمدح رسول الله ﷺ :

١ - سَقَت العِهَادُ بسَاحَةِ البَطْحَاءِ ... أَكْنَافَ ذَاكَ المَعْهَدِ المُتَنَائى

٢ - فَكَسَتْهُ مِنْ حُلَلِ الرَّبيعِ مُلاءَةً ... لعَبِيرِها أَرَجٌ عَلىٰ الأَرْجَاءِ

٣ - فَهُنَاك لى عَهْدٌ قَدِيمٌ عَزَّ أَنْ ... يُفْدَىٰ ولا أَرْضَىٰ لَهُ بِفِدَاءِ

٤ - قَضَّيْتُ فِيهِ مَعَ الأَحِبَّةِ عِيشَةً ... بِعِرَاصِ تِلْكَ الحَضْرَةِ الفَيْحَاءِ

٥ - أَيَّامَ أُصْبِحُ لا أَخَافُ مُؤَنِّبًا ... وأَبِيتُ فى أَمْنٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ

٦ - مَعَ فِتْيَةٍ مِثْلِ النُّجومِ أَعِزَّةٍ ... غُرَرِ القَبَائِلِ خُلَّصِ الأَحْيَاءِ

٧ - هَجَرُوا الوِسَادَ ووَاصَلُوا طُولَ السُّرَىٰ ... فى البِيدِ أَنْضَاءً عَلىٰ الأَنْضَاءِ

٨ - لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْ عَزْمِهِمْ رُخَصُ المُنَىٰ ... كَلاًّ ولا مَالُوا إِلىٰ الأَهْوَاءِ

٩ - مِنْ كُلِّ مِقْدامٍ إذا خَاضَ الوَغىٰ ... جَلَّتْ يَدَاهُ عَجَاجَةَ الهَيْجَاءِ

١٠ - تَلْقَاهُ يَوْمَ الحَرْبِ لَيْثَ عَرِيكَةٍ ... وتَرَاهُ يَوْمَ السِّلْمِ بَدْرَ سَمَاءِ

١١ - كَيْفَ السَّبيلُ إِلىٰ حِمًى مِنْ دونِهِ ... شِقُّ النُّفُوسِ وشُقَّةُ البَيْدَاءِ

١٢ - يَفْنَىٰ الزَّمَانُ ولَيْسَ يُؤْذِنُ نَحْوَهُ ... شَوْقِى وإِنْ طَالَ المَدَىٰ بِفَنَاءِ ١/أ

١٣ - وكَذَاكَ أَشْجَانى وطُولُ صَبَابَتِى ... بِقِبَابِ سَلْعٍ فَهْىَ عَيْنُ دَوَائِى

١٤ - فَبِذَلِكَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ المُرْتَضىٰ ... آنَسْتُ رُشْدِى واقْتَبَسْتُ ضِيَائِى

١٥ - حَرَمٌ تَفَرَّدَ بالعُلا وتَبَوَّأَتْ ... غُرَرُ المَكَارِمِ مِنْهُ خَيْرَ فِنَاءِ

---

(١) العهاد : أوائل الأمطار، وهى أحسن ما تكون الأمطار؛ لقلة الغبار فى الآفاق . البطحاء : بطن الوادى، وهو علم على بطحاء مكة المشرفة. الأكناف: النواحى، جمع كَنَف. المعهد: المكان الذى تعهده لأنك تحبه وتهواه.

(٢) الأرج : الريح الطيبة.

(٤) العَرَصات: جمع عَرْصة، وهى كل موضع واسع لا بناء فيه. الفيحاء: الواسعة.

(٧) البيد : الصحارى المقفرة التى لا شىء فيها؛ سميت بذلك لأنها تبيد من يحلها، جمع بيداء. أنضاءً: جمع نِضْو، وهو الذى أصابه الإعياء والهزال الشديد لطول السفر وشدة العناء. الأولى وصف للفتية، والأخرى وصف للدواب التى تحملهم.

(٩) مقدام: شجاع. الوغى: الحرب. جلَّت: كشفت. العجاجة : الغبار الثائر. الهيجاء: الحرب.

(١٠) الليث: الأسد. العريكة: الطبيعة، والمراد بقوله «ليث عريكة»: فارس شجاع قوى النفس.

(١١) شق النفوس: التعب والعناء، كأنَّها «شُقَّت» إلى شِقين (أى نصفين) لشدة ما أصابها. شُقَّة البيداء: طول السفر وعناؤه.

١٦ - جَـمْعَ الجَـلالةَ والـمَـهَـابَةَ والسَّنَا	والحِلْمَ والتَّـقْـوَىٰ وكُلَّ سَنَاءِ
١٧ - بالفـاتح الخَـيْـر الأمـين الخَـاتَم الرُّ	سُلِ المُـؤَيَّد صَـفْـوَة النُّبَـآءِ
١٨ - والشَّاهد المُـتَـوَكِّل الضَّحَّاك والْـ	ـهَادى المُـبَـشِّر أَنْجَح الشُّفَـعاءِ
١٩ - والحَـاشـر القَـتَّـال والمـاحى الذى	بالنُّور جَلَّىٰ ظُلْمَـةَ الغَـمَّـاءِ
٢٠ - والعـاقب القُـثَم المُـقَـفِّى الرَّحْـمَـة الْـ	ـمُـهْـداة للدَّانى وذُخْـر النَّائى
٢١ - والطَّاهر المُـخْـتـار والدَّاعى إلىٰ	شَـرْع الهُـدَىٰ والسُّنَّة البَـيْـضاءِ

---

(١٦) السنا: الضوء. السناء: المجد والشرف.

(١٧) النبآء: جمع نبيء بالهمز . وكلمة (نبى) إما أن تكون مشتقة من النبوة والنباوة وهى ارتفاع الأرض، لارتفاع قدره على سائر الخلق. وإما أن تكون مشتقة من النبأ؛ لأنه ينبئ عن الله عز وجل. وجمع (نبى) بغير همز: أنبياء، وجمع (نبيء) بالهمز: نبآء. والصفات المذكورة فى هذا البيت والأبيات التالية ألقاب للنبى ﷺ، فهو: الفاتح الخير؛ أى الذى فُتح به باب الخير، وهو الأمين، وهو خاتم الرسل، وهو المؤيَّد من الله عز وجل، وهو صفوة الأنبياء: المختار من بينهم، المفضل على سائرهم.

(١٨) الضَّحَّاك: تكرر فى كثير من الأحاديث والآثار وصف النبى ﷺ بحب الدعابة والمزاح الرقيق، وكثرة التبسُّم، وكثيراً ما تكرر على لسان رواة الأحاديث أنه ﷺ «ضحك حتى بدت نواجذه» وهى الأسنان التى تبدو عند الضحك.
[انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٥ / ٢٠].

(١٩) الحاشر والماحى: ذكرت هذه الأسماء فى قول النبى ﷺ: «إن لى أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى: الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر: الذى يُحْشَر الناس على قدمى، وأنا العاقب: الذى ليس بعده نبى» [البخارى ٤ / ٢٢٥].
وأما القَتَّال، فقد أكثر شاعرنا من وصف النبى ﷺ بهذه الصفة؛ وذلك لأنه ﷺ كان مقاتلاً شجاعاً، فكان يتقدم الصفوف غير هياب، قال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وهو الفارس المغوار: «كنَّا إذا احمرَّ البأسُ ولقىَ القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منَّا أحد أدنى من القوم منه» [مسند أحمد، حديث رقم ١٣٤٦].

كما جاء فى الحديث أنه ﷺ «نبى الملحمة» أى القتال [شرح شمائل الترمذى ٣٨٧].

(٢٠) القثم: القوى البنيان، الجموع للخير، قال ﷺ: « أتانى ملك فقال: أنت قُثَمٌ، وخَلْقُكَ قَيِمٌ » [الحديث وشرحه فى: النهاية لابن الأثير ٤ / ١٦].

المقفى: المتبع لآثار وهدى الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وقد وردت هذه الصفة فى قوله ﷺ: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأنا المقَفِّى، وأنا الحاشر، ونبى الملاحم» [شرح الشمائل الترمذية، ص٣٨٧].

الدانى : القريب. النائى : البعيد.

٢٢ - وكـذاكَ أسْـأَلُهُ لِـمَنْ أَحْـبَـبْـتُـهُ ... وأحَـبَّنـي والأهْـلِ والأبْـنَـاءِ
٢٣ - لا زَالَ نُورُكَ صَـاعِـداً مُـتَـرادِفًـا ... مُـتَـوَاصِـلاً مُـتَكَفِّـلاً بِنَمَـاءِ

*****

الهمزية الثانية

(عدتها ٨١ - الخفيف الأول)

فى هذه القصيدة يعارض شاعرنا معلقة الحارث بن حلزة التى مطلعها:

آذَنَتْنا بِبَـيْنِهـا أسـمـاءُ ... رُبَّ ثاوٍ يُـمَلُّ مِنْهُ الثَّـواءُ

فالقصيدتان من الخفيف الأول، وكلتاهما همزية، كما تضمنت مقدمة همزية الصرصرى ألفاظًا من قاموس معلقة الحارث.

غير أن التشابه يقف عند هذا الحد؛ فإن همزية الصرصرى فى مديح النبى الكريم ﷺ، وما تضمنته من غزل هو غزل رمزى - إن صح التعبير - فى «ربة الخدر» أى الكعبة المشرفة، ويدعوها فى مطلع القصيدة: لمياء، واللمياء فى اللغة تعنى: السمراء؛ لأن ستور الكعبة سمراء، وكثيرًا ما يخاطبها الشاعر باسم «سمراء الستور» كما فى البيت الثامن من هذه القصيدة.

تبدأ القصيدة بمقدمة غزلية يتشوق فيها إلى الكعبة المشرفة، ثم ينتقل إلى ما حجبه عن زيارتها إلاَّ فى الأحلام! ذلك لأن التتر أحاطوا ببغداد فلم يتيسر لأهلها الحج.

ثم ينتقل إلى ممدوحه الذى لا يخيب فيه الرجاء: النبى ﷺ، وكأنه يستصرخه أن ينظر بعين العطف إلى الأمة المحاصرة بالأعداء وألوان البلاء، وهو الشجاع الباسل المؤيد بالملائكة والريح، والبواسل من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من جنود الله. ثم يسرد بعض صفات النبى ﷺ ومعجزاته، وينهى القصيدة بمناجاته ﷺ والاستغاثة به لإنقاذ الشاعر والأمة فى الدنيا والآخرة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - وَاصَلَتْنَا بِطَيْفِهَا لَمْيَاءُ ... حِينَ أَرْخَتْ سُتُورَها الظَّلْماءُ

٢ - قُلْتُ: أنَّىٰ - وَلاتَ حِينَ مَزارٍ - ... زُرْتِنا فى الدُّجَىٰ وأنت ذُكَاءُ؟!

٣ - بَيْنَنَا فى السُّرَىٰ وبَيْنَك بِيدٌ ... وفَيَافٍ دَاوِيَّةٌ يَهْمَاءُ

٤ - أَيْنَ أَرْضُ العِرَاقِ - يا رَبَّةَ الخِدْ ... رِ - وأينَ الحِجَازُ والبَطْحَاءُ؟

٥ - أَنْتِ رَوْحٌ إذا دَنَوْتِ لِقَلْبى ... ولِعَيْنَىَّ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ

٦ - لا تَزيدينَ فى المَقَامَةِ إلاَّ ... بَهْجَةً لا يُمَلُّ مِنْكِ الثَّواءُ

٧ - وإِذا شَطَّتِ الدِّيارُ فَذِكْرا ... كِ لِقَلْبِى عَلَىٰ البِعَادِ غِذاءُ

٨ - تِهْتِ يا رَبَّةَ السُّتُورِ عَلَىٰ الصَّبِّ ... دَلالاً وعَزَّ مِنْكِ اللِّقَاءُ

---

(١) لمياء : صفة للمرأة، وهى التى فى شفتيها ولثاتها سمرة، وهى صفة مستحبة. والشاعر يوهم أنه يتغزل بامرأة جميلة الشفتين، بينما هو فى الحقيقة يتغزل فى محبوبته « سمراء الستور » أى الكعبة المعظمة.

(٢) أنَّى : كيف. ولات حين مزارٍ: لات: من المشبهات بـ(ليس) وتعمل عملها، إلا أن اسمها يحذف وجوبًا، والتقدير: ليس الوقتُ وقت زيارةٍ. ذُكاء: اسم الشمس،وهو مشتق من (ذَكَت النار) أى اشتعلت وتوقَّدت. يقول: كيفَ زرتنا فى هذا الوقت من الليل، وأنت الشمس، والوقت ليس وقت زيارة ؟!.

(٣) فياف: صحارى واسعة مستويةً لا ماء فيها ، جمع فيفاء. داويَّة: بعيدة الأطراف مستوية واسعةً، مأخوذة من الدَّوِى، لدوىٍّ الصوت الذى يسمع فيها. يهماء: صحراء لا ماء فيها ولا معالم تهدى السائرين فى طرقها. يريد بهذه الصفات المترادفة وصف الطريق من العراق إلى الحجاز بالوعورة والوحشة.

(٤) ربة :صاحبة. الخدر: سترٌ يُمَدّ للفتاة فى ناحية البيت، والوصف (ربة الخدر) من أوصاف الفتيات الشريفات المحتجبات. والشاعر يوهم - هنا - مرة أخرى أنه يتغزل بامرأة، وإنما يتغزل فى الكعبة المعظمة.

(٥) الرَّوْح: الراحة، والرحمة، والسرور والفرح، والنسيم الطيب، وفى القرآن الكريم: ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ الواقعة / ٨٩ ، أى رحمة ورزق. روضةٌ غنَّاء: كثيرة الشجر، ملتفة الأغصان، مخضَّرة معشبة.

(٦) الثَّواء: طول الإقامة.

(٧) شطَّت : بَعُدت.

(٨) تهت: من التِّيه، وهو الكِبْر، وأراد به التدلُّل والتمنع، موهمًا بأنه يتغزل بامرأة. الصَّبّ: العَاشق المشتاق. عزَّ: قَلَّ وصَعُب.

٩ - حَـجَـزتْكِ الصَّـوَارمُ البِـيضُ عَنَّا وحَـمَتْ رَبْعَكِ الرِّمـاحُ الظِّمَـاءُ ١/ب

١٠ - مـا لأجْـسـادنا إلَيْكِ سَـبِـيلٌ لا ولا لِـلْقُـلوب عَـنْـكِ عَـزاءُ

١١ - لَوْ تَـعَـطَّفْت بـالوصـال عَـلَيْـنـا لَتَـجَـلَّتْ عنَّا بِكِ الغَـمَّـاءُ

١٢ - لا عَـدَاكِ الخِـصْبُ الـمَـريعُ وجَـادَتْ كُـلَّ عَـامٍ رُبُـوعَـكِ الأنْـوَاءُ

١٣ - فـاكْـتَـسَىٰ جَـوُّكِ الأنيقُ بَهَـاءً مِـنْ رِيَـاضٍ كـأنَّـهُـنَّ مُـلاءُ

١٤ - وتَـغَنَّـتْ مَـعَ الصَّـبَـاحِ بِـوَادِيـ ـكِ عَـلـىٰ كُـلِّ بَـانَـةٍ وَرْقَـاءُ

١٥ - آه لَـوْ بَـلَّـغَـتْ إلَـيْـكِ عَـلـىٰ بُـعْـ ـدِ مَـغَـانِيكِ جَـسْـرةٌ وَجْناءُ !

١٦ - إنْ تَـمَـادَتْ بِـهَـا الـمَـسَـافَـةُ أبْدَتْ أرَبًـا فَـهْـيَ فـي السُّـرَىٰ خَـرْقَـاءُ

١٧ - وتَرَاها كَـأنَّـهـا – حِـينَ تَهْـوِي فـي الفَـيَـافـي – نَعَـامَـةٌ رَبْداءُ

---

(٩) الصوارم البيض: السيوف القاطعة اللامعة. الربع: المنزل والوطن. ووصف الرماح بالظِّماء، لبيان شدتها وقوة بأسها فكأنها ظامئة إلى الدماء. يريد أن من يتغزل بها فإنها محميَّةٌ بالسيوف القواطع والرماح الظامئة، فلا سبيل للوصول إليها.

(١١) تجلَّت: انكشفت. الغَمَّاء: الغَمّ والكرب.

(١٢) لا عداك: لا جاوزك، وهى صيغة دعاء. المريع: المتكرر الذى فيه زيادة ونماء.
جادت ربوعكِ الأنواء: أمطرت بغزارة، والأنواء: مطالع النجوم، وهى - عند العرب - ثمانية وعشرون نجمًا إذا طلع منها نجم غاب آخر، ولا بد أن يكون عند ذلك مطر ورياح. يقولون: مطرنا بنوء الثريا، وبنوء السِّماك والجوزاء.. إلخ. يدعو لهذه المواطن الشريفة بالخصب الدائم المتجدد، بأن تسقيها أنواء السماء بأمطارها الغزيرة المتكررة.

(١٣) مُلاء: جمع مُلاءة، شبه التفاف أغصان الرياض بالملاء المتصل نسيجها بعضه ببعض.

(١٤) بانة: مفرد (بان) وهو نوع من الشجر شديد الخضرة، طيب الرائحة، طويل ليِّن العود. ورقاء: حمامة.

(١٥) مغانيك: جمع مَغْنَى، وهو المنزل الذى غَنِيَ به أهله أى أقاموا به. جَسْرةٌ: عظيمة الجسد قوية ماضية، وجناء: ضخمة الوجنتين. وكلتاهما صفة لموصوف محذوف، أى: ناقة قوية ضخمة الفكين، كى تكون قادرة على إبلاغ الشاعر إلى هذه المغانى الطيبة البعيدة.

(١٦) تمادت: امتدت وطالت. أبدت: أظهرت. أرَبًا: مهارة وحسن تبصر. خرقاء: حمقاء. يريد وصف الناقة بالمهارة والخبرة بالسير فى الصحراء مهما طالت المسافة، ووصفها بالحماقة أى أنها تندفع فى سيرها اندفاعًا شديدًا، فشدة سيرها تجعلها حمقاء، وبصرها بالصحراء ودروبها يجعلها ماهرة بصيرة.

(١٧) ربداء: رمادية اللون، شبهها بالنعامة فى سرعتها.

١٨ - تَرتَمى فى الهَـجـيـرِ سَاعـةَ تَسْعَىٰ ... نَحـو مـيـزَابِهـا الـمَـهَـا والظِّبَـاءُ

١٩ - ولَعَـمْـرى لولا هَوَاكَ لَمَا طَا ... بَ لِمِـثْلى الحُـزونُ والبَـيْـداءُ

٢٠ - يا مُناخَ الأحْبَـاب يا مَـوْسِمَ الإقْـ ... ـبَالِ عَاقَتْ عَنْ قَصْدِكَ الأعْـداءُ

٢١ - حَـبَـسَـتْنا عَنْكَ الطُّغـاةُ مِنَ التُّـرْ ... كِ فَظَلْنَا كَـأنَّنـا أُسَـرَاءُ

٢٢ - مـا لَنَا مُـرْتجًى سِـوَىٰ وَعـدِ مَـوْلًى ... مَـاجـدٍ لا يَخـيـبُ فـيـه الرَّجـاءُ

٢٣ - مَنْ إذا قَـالَ أو تَكَفَّلَ فـالصِّـدْ ... قُ قَـرينٌ لوَعْـده والوَفَـاءُ

٢٤ - مُـصْطَفَىٰ الله ذى الجَـلال من الخَلْـ ... ـقِ نَـبـيٌّ لَـهُ عَـلَـيْـنـا الـوَلاءُ

٢٥ - شَـهِـدَتْ بالرِّسَـالَةِ الصُّـحُفُ الأو ... لَىٰ لَهُ والنُّعـوتُ والأسْـمـاءُ

٢٦ - ورَأىٰ فَـضْلَهُ بَحـيـرَىٰ عِـيَـانًا ... وبِهِ قَـبْلُ بَشَّـرَ الأنْبِـيَـاءُ

---

(١٨) ترتمى : تسرع فى سيرها. الهجير : شدة حر الظهيرة. الميزاب : مسيل الماء، فارسى معرَّب. يصف هذه الناقة بالقوة وشدة التحمل حتى إنها تسرع فى سيرها وقت اشتداد حر الظهيرة، حين تلوذ الظباء بمسيل الماء التماساً للبرد.

(١٩) لعمرى : قسم. الحزون : جمع حَزْن، وهى الأرض الخشنة المجدبة.

(٢٠) مُنَاخ : مكان إراحة الإبل. الإقبال : نقيض الإدبار، ويكثر استعماله فى الخير، يقال : أقبلت الأرض بالنبات، وأقبلت عليه الدنيا، إذا كثر خيرها.

(٢١) المراد بالترك هنا : التتر. قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٦١٧ «فى هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهو نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين» [الكامل ٩ / ٣٣٠]. وذكر ابن الأثير من فظائعهم ما تقشعر له الأبدان. لذلك كان أهل الإسلام فى ذلك الزمان كأنهم أسراء، فقد تألبت عليهم أعداؤهم من التتر والفرنجة.

(٢٥) الصحف الأولى : هى الصحف التى أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما السلام. والمراد بالنعوت والأسماء : أسماء النبى ﷺ التى وردت فى كتب الأنبياء السابقين، قال ابن الأثير معلقاً على قوله ﷺ : «إنَّ لى أسماءً : أنا محمد، ...» : أراد أن هذه الأسماء التى عدَّها مذكورة فى كتب الله تعالى المنزلة على الأمم التى كذبت بنبوته حجة عليهم [النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ /٣٨٨].

(٢٦) بحيرى : راهبٌ كان يقيم فى صومعته معتزلاً فى ناحية بصرى من نواحى الشام، وكان ﷺ قد مَرّ بهذا الراهب وكان فى صحبة عمه أبى طالب فى رحلة إلى الشام، فتوقفت القافلة قريباً من صومعة بحيرى، الذى نظر نحو الغلام فرأى فى وجهه أمارات النبوة، وعرفه بما ذكر فى التوراة والإنجيل من صفاته؛ لذلك خرج من صومعته إلى القافلة وأخذ بيد النبى ﷺ قائلاً : هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال أبو طالب : وما علمك بذلك؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرَّ ساجداً، ولا تسجد إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده فى كتبنا. وأوصى أبا طالب أن يعيده إلى مكة وألا يقدم به إلى الشام خوفاً عليه من اليهود [سيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ :١٨٣، زاد المعاد ١ /١٧، الرحيق المختوم، ص ٥٩].

٢٧ - خَاتَمُ الأنبياء فاتحُ باب الـ ... ـرُّشْد والنَّاسُ ضُلَّلٌ سُفَهاءُ

٢٨ - صَدَّ كُلاًّ منهُمْ عن الخُطَّة المُثْـ ... ـلَىٰ فُؤادٌ عَن الصَّوَاب هَوَاءُ

٢٩ - فَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّه بكتَابٍ ... هُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وشِفَاءُ

٣٠ - فيه أَمْرٌ لَهُمْ ونَهْيٌ وأَمْثَا ... لٌ، ومَنْ سَالِف القُرَىٰ أَنْبَاءُ

٣١ - ليسَ لِلنَّقصِ والزِّيادة فيه ... مَدْخَلٌ، لا تُزِيغُهُ الأَهْوَاءُ

٣٢ - حَادَ عنهُ الخُصومُ عَجْزًا إلىٰ اللَّغْـ ... ـو وحَارَتْ فى نَظْمه الفُصَحَاءُ

٣٣ - فَهَدَاهُمْ به صِرَاطًا سَوِيًّا ... مُسْتَقِيمًا لا يَعْتَريه الْتِواءُ

٣٤ - فاسْتَقَامَتْ به قلُوبُ البَرَايا ... بَعْدَ زَيْغٍ والمِلَّةُ العَوْجَاءُ

٣٥ - ولَقَدْ أحْسَنَ البَلاغَ وأبْقَىٰ ... سُنَّةً لا تَشُوبُهَا الآراءُ

٣٦ - هيَ مَحْضُ الحَقِّ المُبين وما كا ... نَ سِواها فَبِدْعَةٌ شَنْعَاءُ

٣٧ - مَنْ حَذا حَذْوَها فَقَدْ أَمِنَ السُّو ... ءَ وتلكَ المَحَجَّةُ البَيْضاءُ

٣٨ - مُنْصفٌ، عِنْدَهُ القَوِىُّ - إذا ما ... قَامَ بالحقِّ - والضَّعيفُ سَوَاءُ

٣٩ - قَابِلٌ عُذْرَ مَنْ أَساءَ ولكنْ ... عَنْ سُقُوطِ الحُدود فيه إِبَاءُ

٤٠ - هو بالبِشْرِ والسَّمَاحِ مَلِىءٌ ... ومن البُخْلِ والعُبُوسِ بَراءُ

٤١ - لا تَحُلُّ البَأْسَاءُ منْهُ عُرىٰ الصَّبْـ ... ـرِ ولا تَسْتَفِزُّهُ السَّرَّاءُ

٤٢ - وهُوَ الفَاتكُ الشُّجاعُ إذا ما ... شَبَّتِ النَّارَ لِلوغَىٰ الهَيْجاءُ

---

(٢٨) هواء: فارغ، أى قلب فارغ لا يعى شيئًا ولا يتبصَّر.

(٣٠) سالف القرى: الأمم السابقة.

(٣٧) المحَجَّة: الطريق. البيضاء: الواضحة، وصف لهدى النبى ﷺ وسنته.

(٣٩) إشارة لغضب النبى ﷺ واحمرار وجهه ورفضه لشفاعة أسامة بن زيد فى المرأة المخزومية التى سرقت، فأبى النبى ﷺ وقال: « ... لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » الحديث [البخارى: ٤ / ٢١٣ ، ومسلم فى الحدود ٢ / ٨].

(٤٠) براء: لغة فى (برىء) وقرئ بها فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ الزخرف / ٢٦ .

(٤٢) الفَاتَك: الجرىء الشجاع الذى يقتل خصمه مجاهرةً، يصف النبى ﷺ بالجرأة فى القتال إذا ما اشتعلت نار الحرب.

٤٣ - يا تَبَـــابَ العَـــدُوِّ إنْ رَامَ غَـــزْوًا ... وعَلَتْـــهُ السَّـــعْـــدِيَّةُ الشَّـــلاَّءُ

٤٤ - وعَـــلا الوَرْدَ أو لَحِـــيـــفًـــا أو السَّكْـ ... ـبَ وفي الكَفِّ صَـــعْـــدَةٌ سَـــمْـــراءُ

٤٥ - وعَلَىٰ العَـــاتِقِ الرَّسُـــوبُ أو المِـــخْـ ... ـذَمُ أوْ ذُو الفَـــقَـــارِ والرَّوْحَـــاءُ

٤٦ - وهْوَ تـحـتَ اللِّواءِ نـاصِـــــرُهُ الأمْـ ... ـلاكُ والرُّعْبُ والصَّبَـــا الهَـــوْجَـــاءُ

٤٧ - والكِرامُ المُـــهَـــاجِـــرونَ إليـــه ... وكُـــمَـــاةُ الأنصـــارِ والنُّقَـــبَـــاءُ

٤٨ - ومُـــتُـــونُ القِـــسِيِّ والضَّـــرْبُ بالسَّـيْـ ... ـفِ كِـــفَـــاحًـــا والطَّعْنَةُ النَّجْـــلاءُ

٤٩ - فَـلِـمَـنْ أظْـهَــــــرَ الـعِـنـادَ بَـوَارٌ ... ولِـمَـنْ أذعَنَ الرِّضَـــا والحِـــبَـــاءُ

٥٠ - هاشِـــــمِيٌّ له العَـــفَـــافُ إزارٌ ... ولَـهُ الحُـــسْنُ والجَـــمَـــالُ رِداءُ

٥١ - يَخْـــجَلُ البَـــدْرُ لَيْلَةَ التِّمِّ إمَّـــا ... ضَمَّ عِطفَـــيْـــهِ حُلَّةٌ حَـــمْـــراءُ ٢/ب

---

(٤٣) التبـاب: الهـلاك . رام: أراد وقصـد .السعـدية الشلاء: درع من دروع النبيﷺ [انظر في أسماء أسلحته وخيله وبغاله: السيرة الحلبية ٣/ ٤٦١، نهاية الأرب ١٨/ ٢٩٦].

(٤٤) كان من سنة النبي ﷺ تسمية الحيوان، وشملت هذه السنة الكريمة الجمادات أيضًا مما كـان يألفـه ﷺ، وهذا من كـريم خصـاله؛ إذ يدلنا على روح طيبـة تعـيش في ألفـة مع سائر مخلوقات الله عز وجل. فالورد ولحيف والسكب: أسماء خيل كانت للنبي ﷺ. ومعنى الورد: ذو اللون الوردي، واللحيف سمي بذلك لطول ذيله كأنه يلحف الأرض -أي يغطيها- به. والسَّكْب سمي بذلك تشبيهًا بسكب الماء وانصبابه، لشدة جريه. صعدة: رمح، وصفها بالسمراء لأن ذلك مما يستجاد في صفة الرماح.

(٤٥) العاتق: ما بين الكتف والعنق. الرسوب، والمخذم، وذو الفقار: من أسماء سيوفه ﷺ، والروحاء: اسم قوس له ﷺ.

(٤٦) اللواء: العلم. الأملاك: أراد به الملائكة، ولم تستعمل كلمة (أملاك) جمعًا لـ (مَلَك) بفتح اللام، بل جمعًا لـ (ملك) بكسر اللام. الصبا الهوجاء: رياح شديدة، يشير إلى قوله ﷺ :«نُصِرْتُ بالرُّعْب مسيرة شهر» [مسند أحمد ٢/ ٢٦٨، ٣٩٦، ٥/ ١٦٢، ٢٤٨، فتح البـاري ١/ ٤٣٦]، وقـوله ﷺ : «نصـرت بالصَّـبـا» [البـخـاري ٢/ ٤١، ٤/ ١٣٢، مسلم ٦١٧].

(٤٧) الكماة: جمع كَميّ، وهو الشجاع المتكمِّي (أي المغطَّى) بالسلاح. النقباء: الأشراف المقدَّمون.

(٤٨) متون القسيِّ: أوتارها. كفاحًا: وجهًا لوجه. الطعنة النجلاء: الواسعة.

(٤٩) بوار: هلاك. أذعن: خضع. الحباء: العطاء.

(٥١) ليلة التِّمِّ: ليلة التمام. حلة حمراء: جاء في سنن البيهقي وغيره أنه ﷺ« كان يلبس برده الأحمر في العيدين» [سنن البيهقي ٣/ ٢٤٧، ٢٨٠] ، وفي مصنف ابن شيبة :« كان يلبس برده الأحمر يوم الجمعة» [المصنف ٢/ ١٥٦].

٥٢ - ثُمَّ يَزْدَادُ نُورُهُ إنْ تَبَدَّىٰ ... وعَليه العِمَامَةُ السَّوْداءُ
٥٣ - إنْ بَدَا صَامِتًا عَلاهُ وقارٌ ... أوْ سَمَا ناطقًا عَلاهُ البَهَاءُ
٥٤ - قَدُّهُ ما لَهُ عَلىٰ الأرضِ ظِلٌّ ... حِينَ تَبْدُو الظِّلالُ والأَفْيَاءُ
٥٥ - ما لشَمْسِ الضُّحَىٰ عَليه ظُهورٌ ... هُوَ بالليْلِ والنَّهارِ ضِيَاءُ
٥٦ - وَيَرَىٰ مِنْ وَرائه كَأَمَامٍ ... وسَواءٌ دَيْجُورُهُ والضُّحَاءُ
٥٧ - وتَنامُ العَيْنُ الشَّريفَةُ والقلـ ... ـبُ عَلىٰ يَقْظَةٍ به يُسْتَضَاءُ
٥٨ - فإذا الوَحْيُ جَاءَ واليَوْمُ شَاتٍ ... ظَلَّ يَكْسُو جَبِينَهُ الرُّحَضَاءُ
٥٩ - عَرَقًا كالجُمَانِ والمِسْكِ طِيبًا ... عَبَقَتْ مِنْ أريجِهِ الأرْجَاءُ
٦٠ - وإذا كانَ راكبًا وأتَاهُ الْـ ... ـوَحْيُ كادَتْ تَفَسَّخُ القَصْواءُ

---

(٥٢) عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: «رأيت على رأس رسول الله ﷺ عمامة سوداء» [الشمائل الترمذية، ص ١٥٩]، ويزداد نوره ﷺ إن تبدى وعليه العمامة السوداء؛ لأنه ﷺ كان أبيض الوجه، والبياض يزداد إشراقًا إذا قارنه سواد..

(٥٤)،(٥٥)،(٥٦) قال تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾ المائدة / ١٥ ، المراد بالنور: النبي ﷺ [انظر: تفسير الجلالين ، ص ١٤٤] فكان إذا مشى ﷺ في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل كما كان ﷺ يرى في الظلمة كما يرى في الضوء [انظر: اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، للخيضري ٢/٥٦٥] . وكان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه، روى الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتي ها هنا ؟ فوالله ما يخفى عليَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إنِّي لأراكم من وراء ظهري» [البخاري، كتاب الصلاة ١ / ١١٤، ومسلم ١ / ٣١٩].يقول: إن النبي ﷺ كان لا يظهر له ظل على الأرض كما يرى لغيره؛ وذلك أن نوره قد فاق نور الشمس، فهو نور بالليل ونور بالنهار، وهو يرى من أمامه كما يرى من وراء ظهره فتساوى عنده النور والظلمة.

(٥٧) قال ﷺ : «إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي» [مسلم ١ / ٥٠٩، والبخاري ٤ / ٢٣١ بلفظ مقارب]؛ لذا كانت رؤياه ﷺ وحيًا من الله.

(٥٨) شات: من الشتاء. الرحضاء: العرق الشديد، وفي الحديث الشريف عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقًا» [فتح الباري، كتاب بدء الوحي ١ / ٢٦].

(٥٩) في صفته ﷺ : «يتحدَّر منه العرق مثل الجمان» ، الجمان: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ [الحديث وشرحه في: النهاية لابن الأثير، ١ / ٣٠١]. عبقت: انتشرت فيها الرائحة الطيبة ودامت كأنها قد لصقت بها.

(٦٠) تفسخ: تتفسخ، حذف إحدى التاءين تخفيفًا، أي: تتمزق. والقصواء: اسم ناقة للنبي ﷺ، وهي التي هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحيُ غيرها [نهاية الأرب ١٨ / ٣٠١].

٦١ - ولَهُ بالأباطحِ القَمَرُ انْشَقَّ بنصْفَينِ لَيْسَ فيهُ خَفَاءُ
٦٢ - ومَعَ البَعْثِ سَلَّمَ الحَجَرُ الصَّلْدُ عليه والدَّوْحَةُ القَنْواءُ
٦٣ - وبيُمْناهُ سَبَّحَ الحَصَياتُ السَّبْعُ حَقًّا وسَحَّ منها المَاءُ
٦٤ - وبيُمْناهُ رُدَّت العَيْنُ بَعدَ الْفَقْءِ نَقْلاً يَرْضَىٰ به العُلَماءُ
٦٥ - ثمَّ لَمَّا أَوْمَا بها كَسَّرَ الأصْنَامَ لِلأَرْضِ ذلكَ الإيماءُ

---

(٦١) من المعجزات الباهرة التي خص بها النبى محمد ﷺ انشقاق القمر له، قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ القمر / ١ . كان ذلك آيةً له ﷺ، روى الشيخان فى صحيحيهما «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقَّتين، حتى رأوا حراءً بينهما» [فتح البارى، ك المناقب، ب انشقاق القمر، حديث رقم ٣٨٦٨، مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٥ / ٦٢] الأباطح: جمع بطحاء، وهى الوديان القريبة من مكة المكرمة.

(٦٢) الصلد: شديد الصلابة. الدوحة: الشجرة الكبيرة. القنواء: الطويلة. من معجزاته ﷺ تسليم الحجارة والأشجار والجبال عليه، روى الترمذى عن علىٍّ - كرم الله وجهه - قال: «كنت مع النبى ﷺبمكة، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله» [سنن الترمذى، كتاب المناقب، باب إثبات النبوة ٥ / ٥٩٣].

(٦٣) أيضًا من معجزاته ﷺ تسبيح الحصى فى يده، روى البيهقى أنه ﷺ « قبض على حصيات سبع - أو تسع، أو قريب من ذلك - فسبَّحن فى يده حتى سمع لهنَّ حنينٌ» ، [اللفظ المكرم ٢ / ٦٣٣]، وسحَّ منها: أى تدفق، والضمير يعود على (يمناه)، وقد صح عنه ﷺ ، ففى الصحيحين عن أنس - ﷺ - قال: «رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتُمسَ الوَضوءُ فلم يجدوه، فأتى رسولُ الله ﷺ بوَضوءٍ، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه فى ذلك الإناءَ، فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم» [فتح البارى، كتاب المناقب، حديث رقم / ٣٥٧٣، مسلم، كتاب الفضائل، باب فى معجزات النبى ﷺ ١٥ / ٣٩].

(٦٤) يشير فى هذا البيت إلى معجزة أخرى من معجزات النبى ﷺ، وهى رد عين قتادة بن النعمان البصرى بعد أن سقطت من محجرها وسالت على خده، وفى ذلك قال ابنه:

أنا ابنُ الذى سالت على الخدِّ عينُهُ فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ
فعادتْ كما كانت لأوَّل أمرها فيا حسن ما عينٍ ويا حُسْنَ ما ردِّ

[دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ١٧٤].

(٦٥) أوما: أشار، مخفف من المهموز (أومأ)، لكى يستقيم الوزن، يذكر فى هذا البيت ما رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنمًا، وقد شدَّ لهم إبليس أقدامهم بالرصاص، فجاء ومعه قوس فى يده، فجعل يشير بها إلى كل صنم منها فيخرُّ لوجهه ويقول: =

٦٦ - وبريق النَّبيِّ أصْـــبَحَ مـــاءُ الْـ ـبِـئْـرِ سَـحًّـا وطَاحَ عَنهـا الرِّشَـاءُ
٦٧ - وبه المِلْحُ صَـارَ عَـذْبًا فُـراتًا وهْوَ لِلعَـيْنِ مِنْ عَلِيٍّ جِـلاءُ
٦٨ - ومِنَ المُـعْـجِـزِ المُبـين حَنينُ الْـ ـجِـذْعِ لَمَّـا عَـدَاهُ مِنْهُ الثَّناءُ
٦٩ - وسُـجـودُ البَـعِـيـرِ يَشْكو إلَيْـه ورُكـوبُ البُـرَاقِ والإِسْـراءُ
٧٠ - ودُرُورِ الشَّـاةِ التى لم يُصِبْـهـا الْـ ـفَحْلُ حتَّىٰ اسْـتَـجَـاشَ ذَاكَ الإِنَاءُ

= ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء / ٨١ .حتى مر عليها كلها [المعجم الكبير للطبرانى ١٠ / ٣٣٩، دلائل النبوة للبيهقى ٥ / ٧١].

(٦٦) سَحًّا: جاريًا على وجه الأرض غزيرًا . طاح: ارتمى بعيدًا. الرشاء: حبل الدلو. يقول إن ماء البئر تدفق غزيرًا وجرى على الأرض بقوة، حتى جرف حبال الدلاء من غزارته وقوته، بفعل ريق النبى ﷺ، روى البخارى عن البراء ﷺ قال: «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومجَّ فى البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا وروت ركائبنا» [فتح البارى، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، الحديث رقم ٣٥٧٧].

(٦٧) فراتًا: عذبًا، تأكيد لما قبله . وفى عجز البيت إشارة إلى معجزة أخرى للنبى ﷺ وهى : أن عليًا ـ كرم الله وجهه ـ أصابه الرمد، فبصق النبى ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب فضائل علىّ بن أبى طالب ﷺ ، ١٥ / ١٧٨].

(٦٨) ومن المعجزات المبينة للنبى ﷺ حنين الجذع (ساق نخلة جافة) الذى كان يخطب مستندًا إليه، فلما اتخذ المنبر حنَّ جذع النخلة وصاح صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمَّه إليه يئنُّ أنين الصبىِّ الذى يُسَكَّن فقال النبى ﷺ : «كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها» [فتح البارى، ك المناقب، الأحاديث رقم ٣٥٨٣ : ٣٥٨٥].

(٦٩) ذكرت قصة سجود الجمل للنبى ﷺ فى كثير من كتب السنة والآثار، وملخصها أن بعض الناس شكوا إلى رسول الله ﷺ جملاً استصعب عليهم فلم يستطع أحد أن يقترب منه، فمشى النبى ﷺ نحوه، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدًا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط حتى أدخله فى العمل [مسند أحمد ٣ / ١٥٨ ، دلائل النبوة لأبى نعيم ٢ / ٤٩١]. وأما ركوب البراق والإسراء فأمرهما مشهور.

(٧٠) درور الشاة: تدفق ضرعها باللبن. لم يصبها الفحل: أى أنها صغيرة لم تبلغ بعد سنَّ إدرار اللبن ، استجاش الإناء: فاض باللبن. يذكر هنا ما رواه أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: « كنت غلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعقبة بن أبى معيط، فجاء النبى ﷺ وأبو بكر ﷺ وقد فرَّا من المشركين، فقال: «يا غلام، هل عندك من لبن فتسقينا؟ قلت: إنى مؤتمن، ولست ساقيكما. فقال النبى ﷺ: «هل عندك جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل؟» قلت: نعم. فأتيتهما بها، فاعتقلها النبى ﷺ ومسح الضرع ودعا، فحفل الضرع (أى امتلأ باللبن) فاحتلب، فشرب وشرب أبو بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: «اقلص» (أى عد كما كنت) فقلص . [مسند أحمد ١ / ٣٧٩ ، الطبقات الكبرى ١ / ١٨٤].

٧١ - وكَـلامُ الـذِّراعِ والـضَّـبُّ والـذِّئْـ ـبِ جِـهَـاراً والظَّبْـيَـةُ الأَدْمـاءُ

٧٢ - ولَهُ فى المَـعَـادِ فى الظَّمَـأِ الأكْـ ـبَـرِ حَـوْضٌ يَرْوِى الأَنَامَ رَوَاءُ ٣/١

٧٣ - وهُوَ الشـافِعُ المُـشَـفَّعُ فى الحَـشْـ ـرِ وفى كَـفِّـهِ يَكونُ اللِّواءُ

---

(٧١) الذراع: هى الذراع المسمومة التي أهدتها يهودية إلى النبى ﷺ فلما جلس وحوله الصحابة لتناولها قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل إلى اليهودية فدعاها فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال ﷺ: «أخبرتنى هذه فى يدى» يعنى الذراع [سنن أبى داود، ك الديات، حديث رقم ٤٥١٢].
أما حديث الضبِّ فقال عنه الخيضرى: هو حديث مشهور على الألسنة، لكنه حديث غريب ضعيف، روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابى قد صاد ضبًّا جعله فى كمِّه . . . ، ثم ساق الحديث وفيه أن الأعرابى أغلظ القول للنبى ﷺ ثم قال: واللات والعزى لا أومن بك أو يؤمن بك هذا الضب! وأخرج الضبَّ من كمه فقال رسول الله ﷺ: «يا ضبُّ». فأجابه بلسان عربى يسمعه القوم جميعًا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . . .، ثم دار حوار طويل بين النبى ﷺ والضب، انتهى بإيمان الأعرابى [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٥ : ٦٥٦].
وأما حديث الذئب فقد رواه الإمام أحمد بإسناد جيد على شرط الصحيح: عن أبى سعيد الخدرى قال: «عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبها الراعى فانتزعها منه . . . فقال الذئب للراعى: ألا تتقى الله، تنزع منىّ رزقًا ساقه الله عز وجلّ إلىّ؟! فقال الراعى: يا عجبًا، ذئب يكلمنى بكلام الإنس!! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟! محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. فأقبل الراعى إلى المدينة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، وقال للأعرابى: أخبرهم. فأخبرهم بما كان من أمر الذئب، فقال ﷺ: «صدق، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنسَ . . .» [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٣].
وأما حديث الظبية الأدماء (الغزال السمراء) فذكره البيهقى فى دلائل النبوة، وملخصه أن رسول الله ﷺ رأى ظبية مقيدة فى الصحراء بجانب أعرابى نائم، فقالت الظبية: يا رسول الله، أطلقنى كى أطعم أطفالى ثم أعود إلى قيدى، فأطلقها فمضت ثم عادت، فبينما النبى ﷺ يوثقها انتبه الأعرابى، فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ألك فيها من حاجة؟ قال: نعم. قال الأعرابى: هى لك. فأطلقها رسول الله ﷺ فراحت تعدو فى الصحراء فرحًا وهى تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٥].

(٧٢) المعاد: القيامة. حوض رَوَاء: ممتلئٌ بالماء. وهو حوضه الذى وصفه ﷺ بقوله: «حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفاته، ١٥ / ٥٥].

(٧٣) الشافع: طالب الشفاعة، المشفَّع: المقبول شفاعته عند الله. والنبى ﷺ لا يشفع فى أحد يوم القيامة إلا شُفِّع فيه، وقد اختصَّه الله - سبحانه وتعالى - بأنواع من الشفاعة =

٧٤ - ولَهُ المَقْعَدُ المُقَرَّبُ أسْنَىٰ ... شَرَفًا والوَسِيلةُ العَلْياءُ

٧٥ - ثم لا تَهتَدى العُقولُ إلىٰ ما ... بَعْدَ هٰذا ، ما للْمَزيد انتِهاءُ

٧٦ - يا حَبيبَ الرَّحْمَنِ فى الخَلْقِ يا مَنْ ... تَعْرِفُ الأرضُ فَضْلَهُ والسَّماءُ

٧٧ - يا كَريمَ الأنسابِ يا مَنْ أنافَتْ ... بعُلاهُ الآباءُ والأبناءُ

٧٨ - أنتَ ذُخْرٌ لَنا وغَوْثٌ عَلىٰ خَطْـ ... ـبِ زَمانٍ به اللَّبيبُ يُسَاءُ

٧٩ - فأغِثْنى وكُنْ لِضَعْفى مُجيرًا ... فى مَقامٍ تَخافُهُ الأتْقياءُ

٨٠ - واصَلَ اللهُ بالمَواهِبِ مَغْنَا ... كَ وَدامَتْ بِرَبْعكَ النَّعْماءُ

٨١ - وأحَاطَتْ بِكَ اللَّطائفُ والأنْـ ... ـسُ ورَوْحُ المَزيدِ والآلاءُ

*****

= ليست لغيره ﷺ. وقد أجمع أهل العلم على أن المقام المحمود الذى جاء فى قول الله تعالى: ﴿**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ الإسراء / ٧٩ ، هو شفاعته ﷺ لأمته.

[انظر : نهاية السول فى خصائص الرسول ﷺ ٢١٨].

(٧٤) أسنى: أعلى وأرفع. الوسيلة: مقام النبى ﷺ ومنزلته فى الجنة.

(٧٥) يقول: ثم لا أحد يدرك مقدار شرف النبى ﷺ وعلو منزلته عند الله عز وجلّ.

(٧٧) أنافت: ارتفعت وازدادت شرفًا.

(٧٨) غوث: نجدة. خطب: مصيبة. اللبيب: العاقل.

(٨٠) النعماء: النعمة.

(٨١) روح المزيد: خيره وطيبه. والمزيد هنا إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿**لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ ق / ٣٥ . وهو المزيد الذى لا انتهاء له من إكرام الله لعباده فى الجنة ومننه التى لا تنقطع أبدًا.

قافية البـاء

البائية الأولى

(عدتها ٩٥ - الطويل الأول)

كرس الشاعر القصيدة الأولى من قافية الباء لسرد جزء من السيرة العطرة للنبي ﷺ، وبخاصة مآثره وخصائصه ومعجزاته الحسّية والمعنوية التى تفرَّد بها فى الدنيا والآخرة، كتعظيم الله - عزَّ وجلَّ - له، وذكره فى الكتب السماوية، وإيمان الذين لم يدركوه بنبوته، وولادته ﷺ مختونًا، وتصدع إيوان كسرى وانطفاء نار المجوس، وشرح صدره ﷺ . . . إلى آخر ما ساق الشاعر من خصائصه ومعجزاته ﷺ، وكلها منقولة بأسانيد صحيحة، وبعضها وقائع ثابتة رواها العدول من الصحابة الكرام، ونقلها عنهم الفضلاء من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وتنتهى القصيدة بالإقرار بالعجز عن حصر صفاته ﷺ، والاستغاثة به فى موقف يماثل ما نحن فيه من عجز وخوف وبلاء، فما أحرى أن نرفع أصواتنا مع الشاعر مبتهلين:

ألا يا رسولَ الله، نحنُ عَلىٰ شَفًا ... من الخَوْفِ والتهديدِ والكَرْبِ والنَّقَبْ

وليسَ لَنَا إلاَّ عَلىٰ حُسْنِ وَعدِكَ الْـ ... ـكَريم اعْتمادٌ فهْوَ أصْدَقُ مُرْتَقَبْ

أَغِثْنا، أغِثنا ! مَسَّنا الضُّرُّ مَسَّنا! ... فأنْتَ لنا عونٌ عَلىٰ نازلِ النُّوَبْ

لَقَدْ كَدَّرَ الخَوْفُ المُلازمُ عَيْشَنا ... وما حَسَنٌ ممَّنْ يلوذُ بكَ الهَرَبْ!

وقال يمدحه ﷺ :

١ - قَليلٌ لِمَدْحِ المصْطَفَىٰ الخَطُّ بالذَّهَبْ ... علىٰ فضَّةٍ منْ كَفِّ أحسَنِ مَنْ كَتَبْ

٢ - وأَنْ تنْهَضَ الأشْرافُ عنْدَ سَمَاعِه ... قِيامًا صفوفًا أو جثيًّا علىٰ الرُّكَبْ

٣ - أَمَا اللهُ تعظيمًا لهُ كَتَبَ اسْمَهُ ... علىٰ عَرْشِه؟ يا رُتْبَةً سَمَت الرُّتَبْ !

٤ - أَمَا أُخذَ الميثاقُ قَبْلُ لنَصْرِه ... علىٰ الأنبياء المرسَلينَ أُولى القُرَبْ

٥ - أَمَا خُطَّ فى التَّوْراة وَصْفُ مُحمَّدٍ ... فَهَاجَ لِمُوسَىٰ وَصْفُ أُمَّته الرَّغَبْ ؟

٦ - أَمَا أُودعَ الإنجيلُ غُرُّ صِفاته ... فأَبْدَتْ لنَا الرُّهْبانُ تَعْظيمًا الرَّهَبْ ؟

٧ - أَمَا قامَ أَرْمِيًّا وشَعْيَا بوَصْفه ... وحزْقيلُ والأَحْبَارُ فى سالفِ الحِقَبْ ؟

---

(٢) جثيًّا: جمع جاث، وهو الجالس على ركبتيه.

(٣) جاء فى الحديث الشريف: «مكتوبٌ على العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله» [الإتحافات السنية، ٢٧٤].

(٤) قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ آل عمران / ٨١ .

(٥) يقول: أليس الله ـ عز وجل ـ قد أنزل فى التوراة وصف محمد ﷺ .ووصف أمته، فكان هذا دافعًا لموسى عليه السلام أنْ تمنى أن يكون من هذه الأمة. قال الله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ** ﴾ الأعراف / ١٥٧ .

(٦) يقول: إن الرهبان يعظِّمون أهل الإسلام؛ لأنهم يعرفون أن رسالة نبينا ﷺ حقٌّ لا شك فيه، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ المائدة / ٨٢، ٨٣ .

(٧) أرميًا وشعيا وحزقيل: من أنبياء بنى إسرائيل، وقد نقل النويرى نصوصًا من كتابى شعيا وحزقيل فيها بشارات برسالة النبى محمد ﷺ ومن ذلك فى كتاب شعيا عليه السلام: «أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها». قال النويرى: فهذه بشارة صريحة بمحمد ﷺ ؛ لأنه راكب الجمل لا محالة، ولأن مُلْكَ بابل إنما ذهب بنبوته ﷺ وعلى يد أصحابه. ومن كتاب حزقيل عليه السلام: «لم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ورُمِىَ بها على الأرض، فأحرقت السمائمُ أثرها، فعند ذلك غُرِسَ غَرْسٌ فى البدو وفى الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب». فالكرمة إشارة إلى ظهور اليهود وازدهار اليهودية، والغرس الذى غرس فى أرض البدو المهملة العطشى هو سيدنا محمد ﷺ وقد أخزى الله به اليهود [نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٦ / ١١٢ : ١١٥].

٨ - أَمَا بَثَّ كَعْبٌ وَصْفَهُ قبلَ بعثه بخَمْسٍ منَ الأحْقاب فى قَوْمِه النُّجُبْ ؟

٩ - أَمَا آمَنَ القَيْلُ المُتَوَّجُ تُبَّعٌ بمَبْعَثه إيمانَ مَنْ بَرَّ واحْتَسَبْ؟

١٠ - أَمَا قَامَ قُسٌّ فى عُكاظَ مُبَشِّرًا بأحْمَدَ خيرِ الخَلْقِ فى أفْصَحِ الخُطَبْ؟

١١ - أَمَا سَرَّ سَيْفٌ شَيْبَةَ الحَمْدِ جَدَّهُ بأنبائه إذْ قالَ صدْقًا وما كَذَبْ؟ ٣/ب

---

(٨) كعب: هو كعب بن لؤى، جد النبى ﷺ، قال السيوطى: كان بينه وبين مبعث النبى ﷺ خمسمائة وستون سنة، وقيل: خمسمائة وعشرون سنة (وقد أشار الصرصرى إلى ذلك فى قوله: بخمس من الأحقاب - أى بخمسمائة عام). وكان كعب يخطب الناس يوم عروبه (أى يوم الجمعه) ويذكر فى خطبته النبىَّ ﷺ ويبشِّر به، ومن ذلك قوله: «حَرَمُكم زيِّنوه وعظِّموه، فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم» وأنشد كعب بن لؤى فى إحدى خطبه:

على غفلةٍ يأتى النبىُّ محمدٌ فيخبر أخبارًا صدوقٌ خبيرُها

[انظر: حجة الله على العالمين ص ١٤٩، السيرة الحلبية ١/ ٢٥].

(٩) القيل: لقب لكل ملك من ملوك اليمن القدماء. ذكر ابن إسحاق خبر بشارة تبع بالنبى ﷺ، وقد جاء تبعٌ إلى مكة ومعه ألف من العلماء والحكماء، فلم يظهر له أهل مكة التعظيم، فحقد عليهم ونوى أن يهدم الكعبة، فأصابه الله بداء شديد، لم يُشْفَ منه إلا بالرجوع عمَّا همَّ به من تخريب البيت المحرم، نزولاً على رأى أحدِ علمائه الذى أخبره بأن هذا بيت الله. ولما همَّ تُبَّعٌ بالرحيل عن مكة تخلَّف عن موكبه أربعمائة من رجاله وأرادوا البقاء بمكة وقالوا له: إن شرف ذلك البيت بشرف رجل يبعث فى آخر الزمان يقال له محمد، ووصفوه. فأمرهم تبع بأن يقيموا فى هذا المكان الطاهر رجاء أن يدركوا زمان النبى محمد ﷺ، وكتب لهم كتابًا وأوصاهم أن يدفعوه إلى النبى ﷺ إن أدركوه، وكان فى الكتاب: «أما بعد، فإنِّى آمنت بك وبكتابك الذى أُنزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك وربِّ كل شىء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فبها ونعْمَتْ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة...» وكان هذا قبل مبعث النبى ﷺ بألف عام [نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٦/ ١٢٤ : ١٢٧].

(١٠) قس: هو قس بن ساعدة الخطيب الجاهلى المعروف، خطب الناس بعكاظ وبَشَّرهم بمبعث النبى ﷺ وحثَّهم على اتباعه. [انظر حديث قس بن ساعدة فى: دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ١٠١، الأغانى ١٤/ ٤٠].

(١١) سيف: هو سيف بن ذى يزن ملك الحبشة. وشيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم جد النبى ﷺ وقد سَرَّه سيفٌ حين بشره بنبوة محمد ﷺ بعد ميلاده بعامين، فقال سيف: «إنى أجد فى الكتاب المكنون خبرًا عظيمًا وخطرًا جسيمًا... إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة...»، وذكر سيف بن ذى يزن لعبد المطلب أن هذا النبى قد آن أوان مولده - أو هو قد وُلِدَ - واسمه محمد... إلخ [راجع: نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٦/ ١٣٨، البداية والنهاية لابن كثير: ١/ ٣٢٩ : ٣٣٥].

١٢ - أَمَا لِهِرَقْلِ الرُّومِ بانَتْ صِفَاتُهُ ... فَهَمَّ بإِسلامٍ فما تمَّ ما طَلَبْ؟

١٣ - بَلِ العادلُ القَيْلُ النَّجاشِيُّ أبصَرَ الْـ ... ـيَقِينَ فَلَمْ يَعْدِلْ وأسْلَمَ عن كَثَبْ

١٤ - أمَا عَايَنَتْ عَيْنَا بَحِيرَاءَ فوقَه الْـ ... ـغَمَامَ لهُ من شِدَّةِ الحَرِّ قد حَجَبْ

١٥ - أَمَا ابْنُ سَلامٍ أبصَرَ الحَقَّ عِنْدَهُ ... فأسْلَمَ لم يَخْشَ اليهودَ ولم يَهَبْ ؟

١٦ - أَمَا جَابَ سَلْمانُ البِلادَ لأجْلِه ... فلمَّا أتاهُ لم تَشُبْ عِلْمَهُ الرِّيَبْ ؟

---

(١٢) جاء في صحيح البخارى أن هرقل ملك الروم كان كاهنًا، وأنه نظر ذات ليلة فى النجوم، فرأى ملكَ الختان قد ظهر، فسأل بطارقته عمن يختتن، فأخبروه أن اليهود يختتنون. ثم جاء رجلٌ أَرسل به ملك الغساسنة يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فسأله عن العرب هل يختتنون ؟ فقال: نعم. فجمع هرقل فى قصره عظماء قومه ودعاهم إلى مبايعة هذا النبى، لكنهم نفروا منه ولم يستجيبوا له. عندئذ تراجع هرقل وقال لهم: لقد كنت أخبرتكم. فلم يتم له الإيمان بعد أن كان قد همَّ به.[فتح البارى، كتاب بدء الوحى ٦، ١ / ٤٢ : ٤٤].

(١٣) النجاشى: ملك الحبشة الذى أرسل إليه رسولُ الله ﷺ كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فتناول كتاب النبى ﷺ فوضعه على عينيه ونزل عن كرسيه فجلس على الأرض، ثم أسلم، وبعث بإجابته إلى النبى ﷺ مع جعفر بن أبى طالب ﷺ، وقد أحسن النجاشى إلى المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وزوّدهم بما يصلحهم عند عودتهم [نهاية الأرب ١٨ / ١٥٨].

(١٤) عاينت: رأت. بحيراء: هو بحيرا الراهب [انظر الهامش ٢٦ ص ١٠ فى الهمزية الثانية].

(١٥) ابن سلام: هو عبد الله بن سلام ﷺ كان أعلم أحبار اليهود، ولما سَمِعَ بأخبار النبى ﷺ عرفه بصفته وآمن به، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ذهب إليه ابن سلام وأسلم بين يديه، ثم عاد إلى اليهود ودعاهم إلى الإيمان فلم يتبعوه، فثبت على إيمانه وآمن معه أهل بيته وعمته خلدة بنت الحارث [انظر إسلام عبد الله بن سلام فى: فتح البارى ٧ / ٣١٩، ك مناقب الأنصار، باب مسائل عبد الله بن سلام، نهاية الأرب ١٦ / ٣٦٣ : ٣٦٤، نقلاً عن ابن إسحاق، وانظر: حجة الله على العالمين ص ١٠١]

(١٦) جاب: قطع. لم تشب: لم تخالط. الرِّيَب: الشكوك. وسلمان هو سلمان الفارسى ﷺ، صحابى جليل، أصله من أصفهان، وكان أبوه دهقان قريته (رئيسها)، وكان سلمان مجوسيًا، فمر يومًا بكنيسة من كنائس النصارى فسمع صلاتهم فأعجبته ثم إنه ذهب إلى الشام بحثا عن أصل الدين المسيحى، وهناك دلّه أسقف على رجل بالموصل من الباقين على أصل الديانة النصرانية، وأرسله هذا إلى أسقف آخر فى نصيبين فوجده على خير وأقام عنده حتى حضرته الوفاة، ثم ذهب إلى عمورية فأقام عند قس صالح حتى نزل أمر الله بهذا القس فأخبره عند احتضاره بأنه قد أظل زمان النبى العربى، ودلّه على علامات هذا النبى المنتظر، فمكث سلمان بعمورية حتى جاء تجار من العرب حملوه معهم إلى أرض العرب. وقد واجه سلمان أهوالاً قاسية فى تطوافه الطويل بحثا عن الدين الحق، فقد باعه هؤلاء التجار لرجل يهودى ظلَّ سلمان عبدًا عنده زمنًا طويلاً حتى هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، فذهب إليه سلمان ﷺ، وعرف صفاته وأنه النبى العربى فآمن به، ثم أعانه النبى ﷺ وخلَّصه من الرق،=

١٧ - أَمَـا انْصَـدَعَ الإيوانُ عِنْدَ ولادِهِ | جِهاراً ومِنْ نارِ المجوسِ خَبَا اللَّهَبْ؟
١٨ - أَمَا جاءَ طِفلاً عَنْ خِتَانٍ مُنَزَّهًا | وعَنْ سُرَرٍ يَهْوِى سُجوداً ويقتربْ ؟
١٩ - أَمَـا شَـرَحَ اللهُ العظيمُ لأرْبَعٍ | من العُمْرِ منهُ الصَّدْرَ فى المربَعِ الخَصِبْ
٢٠ - أَمَـا أرْسَلَ اللهُ العظيمُ لِبَعْثِهِ | عَلىٰ كُلِّ شَيْطانٍ غَوَىٰ ثاقِبَ الشُّهُبْ؟
٢١ - أَمَا سَلَّمَ الأَحْجَارُ فى البَعْثِ والحَصىٰ | عَلَيْهِ وأَشْجَارُ الحدائقِ والكُثُبْ ؟
٢٢ - أَمَـا خَـرَّتِ الأصنامُ لَيْلَةَ بَعْثِهِ | وأَيْقَنَ أَحْزَابُ الشَّيَاطينِ بالعَطَبْ؟

= وأصبح سلمان علمًا من أعلام الصحابة الأجلاء [انظر فى إسلام سلمان : سيرة ابن هشام ١ / ٢١ ، البداية والنهاية ٢ / ٣١٠ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٥٠٦ ، طبقات ابن سعد ٤ / ٥٤].

(١٧) انصدع : تشقق. الإيوان : قصر كسرى ملك الفرس، ولاده : ولادته. خبا اللهب : انطفأ. من معجزاته ﷺ التى رافقت ليلة ميلاده تصدع إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، وانطفاء نار المجوس التى ظلت مشتعلة على الدوام مدة ألف عام لم تنطفئ إلا فى ليلة ميلاد النبى ﷺ [تاريخ الطبرى ٢ / ١٦٦ ، والشفا للقاضى عياض ١ / ٣٦٦].

(١٨) فى النسخة (أ) : من ختان . . . ومن سرر، وما أثبته من النسخة (ب) هو الأصح تركيبًا ودلالة. يشير هنا إلى ولادة النبى ﷺ مختونًا، جاء فى الحديث عن العباس ﷺ قال : « ولد رسول الله ﷺ مختونا مسرورا » لكنه حديث ضعيف، وكذا سائر ما روى فى ولادته ﷺ مختونا أو مسرورا [راجع : اللفظ المكرم ٢ / ٥٥٧ : ٥٦١].

(١٩) شرح الله صدر نبيه ﷺ ، وجاء ذكر ذلك فى القرآن الكريم، قال عز من قائل : ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ الشرح / ١ . وذكر فى صحيح الحديث أنه ﷺ أتاه ملكان فشقا بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه، فأخرجا منه علقتين سوداوين ثم غسلا قلبه ونشرا فيه السكينة. [مسند أحمد ٤ / ١٨٤ ، المستدرك للحاكم ٢ / ٦١٦ ، دلائل النبوة للبيهقى ٢ / ٥].

(٢٠) جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا** ﴾ الجن / ٨، ٩ . أن الشياطين أرادوا استراق السمع فوجدوا السماء محروسة بالملائكة تمنعهم من ذلك وترميهم بالشهب (النجوم المحرقة)؛ وذلك لمّا بعث النبى ﷺ [تفسير الجلالين ، ص ٧٦٤].

(٢١) الكثب : جمع كثيب، وهو التل. روى الترمذى عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - قال : « كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله » [سنن الترمذى، كتاب المناقب، باب إثبات نبوة النبى ﷺ ، ٥ / ٥٩٣].

(٢٢) ذكر البيهقى أن نفرا من قريش كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا، فدخلوا على الصنم بالليل فرأوه مكبوبا على وجهه، فردّوه إلى حاله، فلم يلبث أن انقلب انقلابا عنيفا، فردّوه إلى حاله فانقلب الثالثة . . . فقال أحدهم : إن هذا لأمر قد حدث، وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ، فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فسمعوا هاتفا يهتف من جوف الصنم : =

٢٣ - أَمَـــا عَمَّ بالبَــعْثِ البَـــرِيَّةَ كُلَّهـــا ... مِنَ الجنِّ والإنْسِ الأَعَـاجِمِ والعَـرَبْ؟

٢٤ - أَمَـــــا نَسَخَ الأديانَ بالحقِّ دينُهُ ... وخُصَّ بقُـــرآنٍ أَنَافَ عَلَىٰ الكُتُبْ ؟

٢٥ - أَمَا جعلَ اللهُ البسيطةَ مَسْجِداً ... لهُ وطَهُـوراً للضـرورة مُحْتَسَبْ ؟

٢٦ - أَمَا سَارَ فى ظَهْـرِ البُـراقِ مُـعظَّمًـا ... إلىٰ أنْ عَلا السَّبْعَ الطَّرَائِقَ فاقتَرَبْ؟

٢٧ - أَمَا اسْتَبْشَـرَ السَّبْعُ الطِّبَاقُ وأهْلُها ... به ورأىٰ الآيات واخْـتَـرَقَ الحُـجُبْ؟

٢٨ - أَمَـــا صَفَّ كُلُّ الأَنْبِـــيَـــاءِ وَرَاءَهُ ... فصَلَّىٰ بهمْ تَشْرِيفَ رَبٍّ لَهُ انْتخَبْ ؟

٢٩ - أَمَـــا رَدَّ — عَنْ زُهْدٍ وعلمٍ وقُـــدْرَةٍ — ... جَـمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ رَدًّا عَلَىٰ سَغَبْ؟

= تـردَّى لـمـــــولـود أنـارتْ بـنـوره ... جـميعُ فجاج الأرض في الشرق والغرب
وخـــرَّتْ لـه الأوثان طرًّا وأُرْعِـــدتْ ... قـلـوبُ مـلـوك الأرض طُرًّا مـن الـرُّعْبَ
ونارُ جـمـيع الفُـــرسِ باخَتْ وأظلمتْ ... وقـد باتَ شـاهُ الفـرس فى أعظم الكَرْبَ

[البداية والنهاية لابن كثير ١ / ٣٤٠ : ٣٤١].

(٢٣) من خصائص سيدنا محمد ﷺ عموم رسالته جميع الإنس والجن، قال عز وجـل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الانبياء / ١٠٧ . أى: الإنس والجن [تفسير الجلالين، ص ٤٣٨].

(٢٤) أناف: زاد شرفًا وعلوًا. ودليل نسخ الشرائع السابقة بشريعة الإسلام قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ الفتح / ٢٨ .

(٢٥) البسيطة: الأرض. قال ﷺ: «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» [فتح البارى، ك الصلاة، حديث رقم ٤٣٨، ١ / ٦٣٥].

(٢٦) البراق: الدابة التى حملت سيدنا النبى ﷺ ليلة إسرائه، والسبع الطرائق: السماوات السبع. قال ﷺ: «أتيتُ بالبراق، وهو دابةٌ أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه...»، وفى حديث المعراج من الكرامات والمعجزات التى اختص بها نبينا ﷺ ما يأخذ بالألباب [انظر فى قصة الإسراء والمعراج: الشفا للقاضى عياض ١ / ١٧٦].

(٢٧) السبع الطباق: السماوات السبع.

(٢٨) جاء فى حديث الإسراء أنه ﷺ صلَّى إمامًا وتبعه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين [المرجع السابق].

(٢٩) سغب: جوع شديد. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: « لقد مات وما فى بيتى شىءٌ يأكله ذو كبد إلا شَطْرُ شعير فى رفٍّ لى، وقال لى: «إنى عُرض علىَّ أن يُجْعَلَ لى بطحاءُ مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، أجوعُ يوماً وأشبع يوماً، فأمَّا اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك» [الشفا للقاضى عياض ١ / ١٤١].

٣٠ - أَمَا جَاءَهُ مِنْ ذِى الجَلالِ هَدِيَّةً ... من الجَنَّةِ العَلْياءِ قِطْفٌ من العنَبْ؟

٣١ - أَمَا خَصَّهُ الرَّحْمٰنُ بالنَّصرِ بالصَّبَا ... وكانَ عَلىٰ شَهْرٍ نصيرًا لهُ الرُّعُبْ ؟

٣٢ - أَمَا قاتَلَ الأَمْلاكُ تَحْتَ لِوَائِهِ ... ببيضِ الظُّبا والسُّمْرِ والبَيْضِ واليَلَبْ؟ ٤/أ

٣٣ - أَمَا اجْتَمَعَ الأحزابُ يَبْغُونَ كَيْدَهُ ... فكانَ لهُ التَّأيِيدُ بالنَّصْرِ والغَلَبْ؟

٣٤ - أَمَا حَصَبَ الآلافَ يَوْمَ هَوَازِنٍ ... بِكَفٍّ بِهِ أَعْمىٰ النَّواظِرَ إِذْ حَصَبْ؟

٣٥ - أَمَا ردَّ عنهُ اللّٰهُ ردَّ مُمَاحِلٍ ... عَلىٰ الخَصْمِ فاجْتاحَ التَّبابُ أَبَا لَهَبْ؟

٣٦ - أَمَا دَعَّ بالإِبعادِ رَبَّةَ بَيْتِهِ ... فَبَاءَتْ بِطُولِ الخزىِ حَمَّالةُ الحَطَبْ؟

٣٧ - ورَامَ أَبُو جَهْلٍ أذَاهُ بِجَهْلِهِ ... فلَمَّا رَأىٰ الأهوالَ وَلَّىٰ عَلىٰ العَقِبْ؟

---

(٣٠) قال ﷺ :« عرضتْ عليَّ الجنَّةُ حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته » [صحيح مسلم بشرح النووى، ك الكسوف ٦/٢٠٧].

(٣١) قال ﷺ :« نُصِرْتُ بالصَّبَا » [الفتح ٢/٤٣٢ ، ٦/٢١٥ ، مسند أحمد، حديث رقم ١٩٥٥ ، ٢٠١٣ ، مسلم ١/٢٤٥]. وقال ﷺ :« بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب » [فتح البارى ، حديث رقم ٢٩٧٧ ، كتاب الجهاد والسير ٦/١٤٩].

(٣٢) الأملاك : يريد الملائكة، وهو خطأ صرفى . بيض الظبا : السيوف . السمر : الرماح . البيض : الخوذ . اليلب : الدروع . جاء ذكر قتال الملائكة مع النبى ﷺ في القرآن الكريم، قال تعالى :﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ الأنفال / ٩ . وكان ذلك فى غزوة بدر .

(٣٣) يشير إلى انتصار المسلمين فى غزوة الأحزاب .

(٣٤) حصب : رمى بالحَصَى . وذلك فى غزوة حنين (وتسمى غزوة هوازن أيضًا) حين انهزم المسلمون فى بادئ الأمر وفرُّوا ولم يثبت مع النبى ﷺ سوى نفر قليل من الصحابة، فلمَّا أحاط المشركون بالنبى ﷺ نزل من فوق بغلته ثم قبض قبضة من ترابٍ وقذف بها فى وجوههم وهو يقول : شاهت الوجوه، فما بقى إنسان منهم إلا ملئت عينه ترابا، فولوا منهزمين [صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٢١ ، طبقات ابن سعد ٢/١٠٨].

(٣٥) مماحل : مدافع مجادل . التباب : الهلاك . من خصائص سيدنا محمد ﷺ أن الله - عز وجل - تولَّى الدفاع عنه وجادلَ عنه خصومه، فلما اتهموه بالجنون أجاب الله تعالى عنه بقوله :﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾ التكوير / ٢٢ ، وقالوا إنه شاعر، فأجاب الله عز وجل عنه بقوله :﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ** ﴾ يس / ٦٩ [وانظر لمزيد من التفصيل : اللفظ المكرم، ٢/٦٦٥].

(٣٦) دَعَّ : دفع بعنف وزجر . باءت : لزمها الخزى والعار، وذلك لأن الله عز وجلَّ أهانها فى كتابه الكريم وتوعَّدها - مع زوجها - بالعذاب والهلاك، فى سورة المسد .

(٣٧) كان أبو جهل (عمرو بن هشام) من أشد الناس كفرا وعداءً للنبى ﷺ ، فجاء يومًا يحمل صخرة يريد أن يسقطها على النبى ﷺ وهو ساجد، فلما دنا أبو جهل من النبى ﷺ رجع =

٣٨ - كـمـا رَامَ شَـيْطانٌ أَذَاهُ فَـشَكَّهُ ... بِبَـعضِ السَّـوَارِى ثُمَّ خَـلاَّهُ فَـانْسَـرَبْ

٣٩ - أَمَـا طَارَ فَـوْقَ الجَـوِّ بالخُفِّ طائرٌ ... فَـأَرْسَلَ صِـلاً فـيـه للشـرِّ يَرْتَقِبْ؟

٤٠ - أَمَـا اشْـتَـدَّ تَطْلابُ العُـدَاة فـأجْـزَلُوا ... لِمَنْ جاءَهُمْ بالمُصْطَفَىٰ أَنْفَسَ النَّشَبْ؟

٤١ - فـعـمَّىٰ علَيْـه العَنْكَبُـوتُ مُـقَـابلاً ... لِكَيْـدهِمُ الوَاهِى وقَلْبِـهِمُ الحَـرِبْ؟

٤٢ - ورَدَّ حَـمَـامٌ كَـيْـدَهُمْ ولَقَـدْ رَأىٰ ... سُـرَاقَـةُ لَـمَّـا أَنْ قَـفَى إِثْرَهُ العَـجَبْ؟

٤٣ - أَمَـا فى ذِرَاعِ الشَّـاة والسُّمِّ عِـبْـرَةٌ؟ ... فَـفـيـهـا ثَلاثٌ تَسْـتَبِـينُ لذِى الأَدَبْ:

٤٤ - تَوَكُّلُهُ فى أَكْلهـا، وكَـلامُـهَـا ... لَهُ مُعجِزٌ، والحِلْمُ عمَّنْ جَنَىٰ السَّبَبْ

= إلى القوم منتقعًا مرتعدًا وقد تيبست يداه، فسألوه: ما الخبر؟ فقال: لمَّا دنوت منه عرض لى جمل ضخم كأنه داهية عظيمة، وقد همَّ أن يأكلنى. وفى رواية قال: رأيت بينى وبينه كخندق من نار [السيرة الحلبية ١ / ٤١٠].

(٣٨) شكَّه: ربطه. السوارى: أعمدة المسجد، جمع سارية. خلاَّه: تركه. انسرب: أفلت وهرب. روى الشيخان أن عفريتًا من الجن تعرض للنبىِّ ﷺ ليقطع عليه صلاته، فهمَّ النبى ﷺ أن يربطه فى عمود من أعمدة المسجد، لكنه لم يفعل لأنه تذكر دعوة أخيه سليمان ﴿ **رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾ ص / ٣٥، فردَّ الله هذا الشيطان مطرودًا [فتح البارى، كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٦١ ١ / ٦٦١، مسلم ١ / ١٥٢].

(٣٩) يشير هنا إلى رواية ابن عباس رضى الله عنهما: كان النبى ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد، فذهب يومًا فقعد تحت شجرة فنزع خُفيه، فلما لبس أحدهما جاء طائر فأخذ الخُف الآخر فحلَّق به فى السماء فاستلبه منه أسودٌ سالخ، فقال النبى ﷺ: «هذه كرامة أكرمنى الله بها» [حجة الله على العالمين / ٣٣٥].

(٤٠) تطلاب: بحث وطلب. العداة: المعتدون. أجزلوا: قدَّموا مكافأة سخية. النشب: المال.

(٤١) عمَّى: غطَّى. الواهى: الضعيف. الحَرِب: الغاضب الشديد الخصومة. يشير إلى ما حدث ليلة الغار حين نسجت العنكبوت نسيجها على باب الغار لكى تستر وجود النبى ﷺ وصاحبه فيه، فكان نسيج العنكبوت الهش الضعيف معادلاً لكيدهم الضعيف الذى لم ينل من رسول الله ﷺ [انظر قصة الحمامتين والعنكبوت فى الشفا للقاضى عياض ١ / ٣١٣]

(٤٢) سراقة: هو سراقة بن مالك، صحابى مشهور، مات فى خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٤هـ [تقريب التهذيب / ٣٦٦]. وكان من أمر سراقة أنه أراد قتل النبى ﷺ ليحصل على المكافأة التى جعلها المشركون لمن يقتله، فركب سراقة فرسه واتَّبع النبىَّ ﷺ وأبا بكر، حتى إذا دنا منهما دعا عليه النبى ﷺ فساخت قوائم فرسه فى الرمال، فنزل عن فرسه، ثم دنا حتى سمع قراءة النبى ﷺ فالتفت أبو بكر فرآه فقال للنبى ﷺ: أُتينا. فقال: «لا تحزن؛ إن الله معنا». فساخت قوائم الفرس مرة أخرى، فناداهما سراقة طالبًا الأمان، فكتب له النبى ﷺ أمانًا، وأمره ألا يترك أحدًا يلحق بهما. فوفى بعهده للنبى ﷺ [الشفا للقاضى عياض ١ / ٣٥١].

(٤٣) سبق ذكر قصة الشاة المسمومة. وهنا يضيف الشاعر أن فى هذه القصة ثلاث معجزات.

٤٥ - أَمَا القَمَرُ المُنْشَقُّ نِصفَيْنِ مُعْجِزٌ — بِمَشْهَدِ حُضَّارٍ عَنِ الحَقِّ كالغُيُبْ ؟

٤٦ - أَمَا ذَهَبَتْ فى الحَرْبِ عَيْنُ قَتَادَةٍ — فَرَدَّ بِإِذْنِ اللهِ مَا كَانَ قَدْ ذَهَبْ؟

٤٧ - أَمَا انْهَلَّ مَاءٌ مِن أصابِعِ كَفِّهِ — فلمَّا جَلا الجيشُ الصَّدَىٰ أفْعَمُوا القِرَبْ؟

٤٨ - أَمَا جَمَعُوا زادًا كَرُبْضَةِ دَاجِنٍ — فأشْبَعَ جُوعَ الجَيْشِ وامْتَلأَ الجُرُبْ؟

٤٩ - أَمَا سَدَّ مِنْ مُدٍّ ومُدَّيْنِ جُوعَ مَنْ — حَوَتْ صُفَّةُ الإسلامِ مَأْوَىٰ أُولِى الحَسَبْ؟

٥٠ - وَرَوَّاهُمُ بالقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ وكَمْ — لَهُ بَرَكاتٍ مِثْلِها شَفَتِ الوَصَبْ!

---

(٤٦) قتادة: هو قتادة بن النعمان، وقد أصيبت عينه إصابة بالغة حتى سقطت على خدِّه يوم بدر، فردَّها رسول الله ﷺ كما كانت وأحسن، حتى كان قتادة لا يعرف أى عينيه أصيبت! [دلائل النبوة للبيهقى ٣ / ١٠٠].

(٤٧) انْهَلَّ: سال. الصَّدَىٰ: العطش. أفعموا القرب: ملأوها بالماء. روى البخارى عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة، فتوضَّأ فجهش الناس نحوه فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده فى الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضَّأنا. قلت (أى قال الراوى): كم كنتم؟ قال: لو كُنَّا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة [الفتح، ك المناقب ٦ / ٦٧٢، حديث رقم ٣٥٧٦].

(٤٨) رُبضة داجن: أى بمقدار حجم حيوان صغير. الجُرُب: جمع جراب، وهو الوعاء. روى البخارى عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - أنه رأى النبى ﷺ فى حفر الخندق وقد ربط على بطنه حجرا من شدة الجوع، وكان قد مضى على المسلمين ثلاثة أيام يحفرون ولم يذوقوا طعامًا، فذهب جابر إلى امرأته كى تصنع للنبى ﷺ طعامًا، فلم يجد فى البيت إلا شاة وبعض الشعير، فطحنت الشعير وذبحت الشاة، ثم انطلق الرسول ﷺ ومعه أهل الخندق إلى بيت جابر، فبصق فى العجين والقدر وبارك. ثم أكل من هذا الطعام اليسير ألف رجل. قال جابر: «فأقسم بالله، لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتَنا لَتَغطُّ كما هى، وإن عجيننا لَيُخْبَز كما هو» [الفتح، ك المغازى ٧ / ٤٥٧، حديث رقم ٤١٠٢].

(٤٩) المُدُّ: إناء يسع - من التمر ونحوه - ما يملأ اليدين ممدودتين، أى حوالى رطلين. الصُّفَّة: مكان فى مؤخر المسجد النبوى، أعدَّ لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل، وكان عدد أهل الصفة نحو المائة كما ذكر أبو نعيم فى الحلية.
جاء ذكر طعام أهل الصفة فى الصحيحين وغيرهما، وذلك أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دعا عشرة منهم على عشاء، فأتى بجفنة أكلوا منها جميعًا ثم بقيت على حالها، فحمل الجفنة إلى النبى ﷺ، فأطعم النبى ﷺ منها الجيش كله [انظر: الفتح، ك المناقب ٦ / ٦٧٩، ح رقم ٣٥٨١].

(٥٠) القعب: القدح. الوَصَب: المريض. يشير هنا إلى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ سقى أهل الصُّفَّة من قدح فيه لبن، حتى ارتووا جميعًا وارتوى أبو هريرة حتى لم يجد للبن مسلكًا، ثم شرب النبى ﷺ فضلة الإناء [الفتح، ك الرقاق ١١ / ٢٨٦، ح رقم ٦٤٥٢].

٥١ - أَمَا قَاتَ مِنْ تَمْرٍ بِكَفَّيْهِ كلَّ مَنْ حَوَىٰ الخندقُ الميمونُ من عَسْكَرٍ لَجِبْ؟

٥٢ - أَمَا كانَ فى إحْدىٰ وعشرينَ تمرةً حَبَاها أبا هِرٍّ بَيَانٌ لِذى طَلَبْ؟

٥٣ - أَمَا شُفيَتْ عَيْنَا عَلِيٍّ بِرِيقِهِ وسَاحَ زكيًّا والأُجَاجُ به عَذُبْ؟ ٤/ب

٥٤ - أَمَا هُوَ رَوَّىٰ مِنْ ذَنُوبٍ حديقةً فَأَسْقَطَ عَمَّنْ كانَ يملكُها النَّصَبْ؟

٥٥ - أَمَا مَدَّ كَفَّيْهِ وقد مُنِعَ الحَيَا فَدَرَّ لَهُ فى الحَالِ مُثْعَنْجِرُ السُّحُبْ؟

٥٦ - أَمَا حَنَّ لمَّا أنْ عَدَاهُ كَلامُهُ إليهِ حَنِينَ العَوْدِ جِذْعٌ مِنَ الخَشَبْ؟

---

(٥١) قات : أطعم . لجب : كثير العدد .

روى البيهقى عن ابنة بشير بن سعيد قالت : بعثتنى أمى بتمر فى طرف ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق ، فمررت على رسول الله ﷺ ، فنادانى فأتيته ، فأخذ التمر منى فى كفيه وبسط ثوبًا فنثره عليه ، فتساقط فى جوانبه ، ثم أمر بأهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه حتى صدروا عنه [دلائل النبوة للبيهقى ٣ / ٤٢٧] .

(٥٢) حباها : أعطاها . أبا هر : هو سيدنا أبو هريرة ﷺ . روى الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ أنه أتى النبى ﷺ ببعض التمر ، فأدخل النبى ﷺ يده فى الوعاء وأخرج التمر الذى فيه فإذا هو إحدى وعشرون تمرة ، فدعا فيه وبارك ، ثم أمر أبا هريرة أن يدعو عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة حتى أكل الجيش كله وبقى شىء من التمر تركه لأبى هريرة ، فظل أبو هريرة يأكل من هذا التمر ويُطعِمُ منه حياة النبى ﷺ ، ثم فى عهد أبى بكر ، ثم فى عهد عمر ، ثم فى عهد عثمان ، إلى أن قُتل عثمان فنهب بيت أبى هريرة ، ونهب الوعاء الذى فيه هذا التمر المبارك [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ١٠٩ ، سنن الترمذى ، مناقب أبى هريرة ٥ / ٥٨٥] .

(٥٣) الأجاج : الشديد الملوحة . عَذُب : صار عذبًا . والضمير يعود على ريق النبى ﷺ . وسبقت الإشارة إلى شفاء عين علىّ بن أبى طالب من الرمد ببركة ريق النبى ﷺ . وروى أنه ﷺ مر على ماء فسأل عنه فقيل : اسمه بَيْسانُ وماؤه ملحٌ . فقال ﷺ : « بل هو نُعمانُ وماؤه طيِّبٌ » فطاب ماؤه [الشفا للقاضى عياض ١ / ٣٣٢] .

(٥٤) ذَنُوب : دلو . النَّصَب : التعب .

أخرج ابن سعد عن أنس ﷺ قال : جئنا مع رسول الله ﷺ إلى قباء ، فانتهى إلى بئر غرس وكان يستسقى منها على حمار ثم نقوم عامة النهار فما نجد فيها ماء ، فمضمض النبى ﷺ فى الدلو فجاشت (أى فاضت) بالرواء [انظر : حجة الله على العالمين ، ص ٤٥٠] .

(٥٥) الحَيَا : المطر . مثعنجر : كثير غزير .

روى الشيخان حديث الاستسقاء ، عن أنس ﷺ أن الناس أصابتهم مجاعة أهلكت الحرث والنسل ، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال : « اللهم اسقنا » ثلاثًا . قال أنس : والله ما نرى فى السماء من سحاب ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (أى مستديرة) ، فأمطرت ورسول الله ﷺ على منبره ، حتى عمَّ المطر كل مكان [الفتح ، ك الاستسقاء ٢ / ٥٨١ ، حديث رقم ١٠١٣ ، مسلم ، ك صلاة الاستسقاء باب الدعاء فى الاستسقاء ٥ / ١٩٢] .

٥٧ - أَمَـا سَـجَـدَ النَّابُ المُـسِنُّ كَـرَامـةً ... لَهُ فَـحَـمَـاهُ أن يُقَـدَّ لَهُ عَـصَبْ؟

٥٨ - أَمَـا ظلَّ يهْـوِى نَحْـوَهُ عِـذْقُ نَخْلة ... وعَـادَ إِلَيْـهـا لا يُفَـارِقُـهُ الرُّطَبْ؟

٥٩ - أَمَـا سَـبَّـحَـتْ فى كَـفِّـه وبأمْـرِه ... صَوامتُ صُمٌّ منْ حَصًى نُطْقُهُ عَجَبْ؟

٦٠ - أَمَـا مَسَّ شـاةً حـائلاً بيَـمـينه ... فجاءَت بدَرِّ الضَّرْعِ فى حادث جَدبْ؟

٦١ - أَمَـا شَـهِـدَ الضَبُّ المَـصيـدُ ببَـعْـثِه ... وحَـارِشُـهُ للدِّين منْ بَعْـده انْتَـدبْ ؟

٦٢ - أَمَـا أَطْلَقَ الرِّيمَ القَنيـصـةَ رحْـمَـةً ... لأطفـالهـا بالإذن مـمَّنْ لَهَـا كَـسَبْ؟

٦٣ - أَمَـا قَـبْـرُهُ فى الأرضِ حِـرْزٌ ورَحْـمَـةٌ ... بحَقٍّ يَشُـدُّ المُـتَّـقى نَحْـوَهُ القُـتُبْ؟

---

(٥٦) عداه : تجاوزه . العود : الجمل . سبقت الإشارة إلى قصة حنين الجذع .

(٥٧) النَّاب : الجمل . يُقَدّ : يقطع .
روى البيهقى عن جابر رضي الله عنه قال : جاء جملٌ إلى النبى ﷺ فخرَّ ساجداً بين يديه، فقال رسول الله ﷺ : « من صاحب هذا الجمل؟ » فقال فتيةٌ من الأنصار : هُوَ لَنا يا رسول الله . قال : « فما شأنه؟ » فأخبروه أنهم أرهقوه بالعمل الشاق وأنهم أرادوا ذبحه غداً . فأمرهم أن يحسنوا إليه حتى يأتيه أجله [دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ١٩ ، واللفظ المكرم ٢/ ٦٤٨] .

(٥٨) عذق النخلة : الغصن الذى يحمل الرطب .
روى البيهقى وأحمد والحاكم أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ فقال : بمَ أعرف أنك رسول الله؟ قال : « أرأيتَ لو دعوتُ هذا العذقَ من هذه النخلة، أتشهد أنى رسول الله؟ » قال : نعم . فدعا رسولُ الله ﷺ العذق فجعل ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض، فجعل يقفز حتى أتى النبىَّ ﷺ . ثم قال له : ارجع . فرجع حتى عاد إلى مكانه . فقال الأعرابى : أشهد أنك رسول الله [دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ١٥ ، المستدرك للحاكم ٢/ ٦٢٠ ، مسند أحمد ٣/ ٢٩٣ ، حديث رقم ١٩٥٤] .

(٥٩) صوامت صمٌّ : حجارة لا تنطق ولا تسمع . وقعت معجزة تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ فى وجود ثلاثة من خيرة الصحابة هم أبو بكر وعمر وعثمان - رضى الله عنهم - وقد سمع للحصيات حنين كحنين النحل، ثم وضع النبى ﷺ الحصيات فى يد أبى بكر فسبحن، ثم فى يد عمر فسبَّحن، ثم فى يد عثمان فسبَّحن [دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٦٤] .

(٦٠) حائل : لم يصبها الفحل . وقد تقدمت قصة الشاة التى درَّت بلبنها عندما مسها سيدنا رسول الله ﷺ .

(٦١) حارشه : صائده، وهو لفظ خاص بمن يصيد الضَّبَّ دون غيره . يقول : لقد شهد الضبُّ لنبينا ﷺ بالرسالة، ثم إن حارشه (أى صائده) انتدب للدين فصار مؤمناً بعد هذه المعجزة، وتقدم ذكرها .

(٦٢) الريم : الغزال . القنيصة : المَصيدة، فعيل بمعنى مفعول . يقول : إن النبى ﷺ أطلق الريم رحمةً بأطفالها، بالإذن ممن اصطَادها . وقد سبق ذكر قصة الغزال التى أطلقها سيدنا رسول الله ﷺ .

(٦٣) حرز : حصن وحفظ . القُتُب : الرحال . قال ﷺ : « لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد :=

٦٤ - يُحَفُّ مِنَ الأَمْـلاكِ كلُّ صَـبِـيـحـةٍ بِسَبْعِينَ أَلْفًا فَـهْـوَ سَامٍ عَلىٰ التُّـرُبْ

٦٥ - أَمَـا جـاءَهُ ذِئْبٌ يَرومُ قطيـعـةً فلمَّا أَبىٰ المُـثْرونَ خـالَسَ وانْتَـهَبْ؟

٦٦ - أَمَـا جَـمَعَ اللهُ الـمـحـاسنَ كلَّهـا لهُ وبِه سَـادَ الوَرَىٰ مَنْ لهُ صَـحِبْ؟

٦٧ - أَلَيْسَ حَـبِـيبَ اللهِ وهْوَ خليلُهُ وكلَّمهُ تكليمَ مَنْ عَنْهُ مـا احْتَجَبْ؟

٦٨ - أَمَا كـانَ أعْلَىٰ النَّاسِ قَدْرًا ومَنْصِبًا وأَشْـرَفَـهُمْ أصْلاً إذا ذُكِـرَ النَّسَبْ؟

٦٩ - أَمَا كـانَ أَبْهَىٰ العَـالَـمِينَ وأجْمَلَ الْـ بَـرِيَّة قَـدًّا مَـاشـيًـا وإذا رَكِبْ؟

٧٠ - أَمَـا كـانَ بَيْنَ النَّاسِ أَفْصَحَ منطقًـا إذا مـا تَلاَ أو حـدَّثَ الناسَ أو خَطَبْ؟

٧١ - أَمَـا اللهُ أَعْطَاهُ الجَـوَامعَ كُلَّـهـا وأَدَّبَهُ - سُبْحـانَهُ - أحسنَ الأَدَبْ ؟

٧٢ - أَمَا كـانَ أسـخَىٰ النَّاسِ كَفًّا لمُجْتَدٍ هَـنِـيءَ العَـطَـايَا لا يَـمُـنُّ إذا وَهَـبْ؟

= المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » [متفق عليه واللفظ للبخارى، الفتح، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٣/٧٦ ، حديث رقم ١١٨٩].

وفى المخطوط جاء ترتيب الأشطر فى البيتين (٦٢،٦٣) معكوسًا، على النحو التالى :

أمـا أطلق الريمَ القنيـصـةَ رحـمـةً بحقٍّ يَشُـدُّ المُـتَّقى نَحْوَهُ القُـتُبْ ؟

أمـا قَـبْـرُهُ فى الأرض حـرزٌ ورحـمـةٌ لأطفـالهـا بالإذْن مـمَّنْ لَهَا كَسَبْ ؟

وقد كتب الشطران الأخيران على هامش المخطوط .

(٦٤) يُحَفُّ: يحاط به . الأملاك : يريد بها : الملائكة . سامٍ: رفيع القدر . التُّرُب: التراب .

وجاء فى مسند أحمد عن النبى ﷺ : « إن لله ملائكة فى الأرض سياحين يبلغونى من أمتى السلام » [مسند أحمد ٥/٢٤٤، حديث رقم ٣٦٦٦].

(٦٥) يروم : يطلب . قطيعةً : شيئًا يُقطع له من أموال الزكاة . المُثرون : الأغنياء . خالس : سرق . انتهب : نهب . يشير إلى ما رواه البيهقى وغيره عن حمزة بن أبى أسيد قال : خرج رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار بالبقيع، فإذا الذئب . مفترشًا ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أويسٌ يستفرض فافرضوا له » . قالوا : نرى رأيك يا رسول الله . قال : « من كل سائمة شاةٌ فى كل عام » . قالوا : كثير . فأشار إلى الذئب أنْ خَالِسْهُمْ، فانطلق الذئب [دلائل النبوة للبيهقى ٦/٤٠].

(٦٦) الورى : البشر .

(٦٩) البرية : الخلق .

(٧١) يشير فى صدر البيت إلى قوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم » [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب المساجد ٥/٦] ويشير فى عجز البيت إلى قوله ﷺ : « أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى » [كشف الخفاء للعجلونى ١/٧٢].

(٧٢) أسخى الناس : أكثرهم عطاءً . مُجْتَدٍ : طالب عطاء .

٧٣ - أَمَا كانَ أوفَىٰ النَّاسِ حِلْمًا وعِفَّةً ... وحُسْنَ ثباتٍ لا يُزَلْزِلُهُ الغَضَبْ؟

٧٤ - أَمَا كانَ أَوْلَىٰ النَّاسِ بالزُّهْدِ والرِّضا ... بِأَغْلَظِ مَلْبُوسٍ وبِالمَطْعَمِ الجَشِبْ؟

٧٥ - أَمَا كانَ أقْوَىٰ العالَمِينَ توكُّلاً ... وصبرًا عَلىٰ البَلْوَىٰ ودَفْعًا لمَنْ حَرَبْ ٥/١

٧٦ - أَمَا كانَ فى الحَرْبِ العَوَانِ أشَدَّهُمْ ... إِذا انْحَطَمَ العَسَّالُ وانْفَلَّتِ القُضُبْ؟

٧٧ - أَمَا كانَ فى نُصْحٍ ولُطْفٍ ورَحْمةٍ ... لأُمَّتِه كالوَالدِ المشفقِ الحَدِبْ؟

٧٨ - أَمَا حبُّهُ فَوْقَ النُّفوسِ وفوقَ ما ... يُحَبُّ من الأمْوالِ حَقٌّ لهُ وَجَبْ؟

٧٩ - أَمَا بلَّغَ الخَلْقَ الرِّسالةَ جاهدًا ... إلىٰ أنْ عَلا دينُ المُهَيْمِنِ وانْتَصَبْ؟

٨٠ - أَمَا هُوَ بَعدَ المَوْتِ بالنَّفْعِ كافلٌ ... لأمَّتِه فى عَرْضِ كَسْبٍ ومُكْتَسَبْ؟

٨١ - أَمَا صَلَوَاتُ اللهِ فى كُلِّ مَرَّةٍ ... عليهِ بعشْرٍ عند ذى العَرْشِ تُحْتَسَبْ؟

٨٢ - أَمَا هُوَ فى اليَوْمِ الثَّقيلِ إذا طَغَىٰ ... عَلىٰ النَّاسِ هَولُ الموقف الكاشفُ الكُرَبْ؟

٨٣ - أَمَا هُوَ فى يومِ المَعَادِ مُشَرَّفٌ ... برَفْعِ اللواءِ الشَامِلِ السَّابغِ الشُّعَبْ؟

٨٤ - أَمَا هُو فى يَوْمِ القِيَامةِ رَاكِبُ الْـ ... ـبُرَاقِ وكُلُّ النَّاسِ فى السَّعْيِ والدَّأَبْ؟

---

(٧٤) الجَشِب من الطعام : الغليظ الخشن.
وفى الحَديث أنه ﷺ كان يأكل الجَشِبَ من الطعام [النهاية لابن الأثير ١ / ٢٧٢].

(٧٥) حَرَب : خاصم أشد الخصومة.

(٧٦) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة. العسَّال : الرمح. انْفَلَّت : تكسَّرت. القُضُب : السهام والقسِىّ، جمع قضيب.

(٧٧) الحَدِب : العطوف.

(٧٨) من خَصائصه ﷺ أن حبه مقدم على النفس والمال والولد، قال الله عز وجل:
﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب / ٦.
وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ».
[متفق عليه واللفظ للبخارى : الفتح، كتاب الإيمان ١ / ٧٥ ، حديث رقم ١٥ . مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ٢ / ١٥].

(٨١) قال ﷺ : « من صلَّى علىَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا ».
[مسند أحمد ٩ / ٧٦ ، حديث رقم ٦٥٦٨].

(٨٢) هول الموقف : أهوال يوم القيامة. يقول : أليس النبى ﷺ هو كاشف الكرب حين تطغى على الناس أهوال يوم الحساب؟ حيث ينعم الله على نبينا ﷺ بالشفاعة العظمى التى يرحم بها الناس بتعجيل الحساب وقطع طول انتظارهم للحساب يوم القيامة.

(٨٣) السابغ : الكامل التام. الشعب هنا بمعنى : الجوانب والأطراف.

(٨٤) السعى : المشى السريع. الدَّأب : المبالغة فى السَّير. وعن ركوبه ﷺ البراق يوم =

٨٥ - أَمَـا هُوَ يَوْمَ البَـعْث أَكْـثَـرُ تابعًـا إذا قلَّ أتبـاعُ النَّبـيِّـينَ فى الحـقَـبْ؟

٨٦ - أمَـا هُوَ فى مَـتْنِ الصِّـرَاط مُـجـيـزَنَا إذَا قَـــالَ رُسْلُ الله: سَلِّمْ مِن الكُرَبْ

٨٧ - أمَـا هُوَ يَوْمَ الحَـشْـرِ أَنْجَحُ شَـافعٍ لكُلِّ مُـسيءٍ دَأْبُهُ اللَّهْـوُ واللَّعبْ؟

٨٨ - أَمَـا هُوَ ذُو الحَـوْضِ الهَنِيءِ شَـرابُهُ الْـ ـمَرِيءِ من الفِـرْدوْسِ مِـيزَابُهُ انْتُـخبْ

٨٩ - أَمَـا اللهُ أعْطَاهُ مَـقَـامًـا وكَـوْثرًا ومَـقْـعَـدَ صِـدْقٍ والوَسِيلةَ فـاقْـتَـرَبْ؟

٩٠ - ويَعْجِـزُ كُلُّ الناسِ عَنْ حَـصْرِ وَصْفِـه ولكنَّ كُـلاًّ فى المَـقَـال عَلىٰ حَـسَبْ

٩١ - فـصَلَّىٰ عليـه اللهُ مَـرْضَـاةَ نفْـسِـه وصلَّىٰ عَلىٰ أصحـابه السَّـادة النُّجُبْ

٩٢ - ألاَ يا رسـولَ الله، نحنُ عَلىٰ شَـفًـا من الخَوْف والتهديد والكَرْب والنَّقَبْ

٩٣ - وليسَ لَنَا إلاَّ عَلىٰ حُـسْنِ وَعـدكَ الْـ ـكَريم اعْـتـمادٌ فـهْوَ أَحْسَنُ مقـتَرَبْ

٩٤ - أَغـثْنا، أغـثنا! مَـسَّنا الضُّـرُّ مَـسَّنا! فـأنْتَ لنا عـونٌ عَلىٰ نازِلِ النُّوَبْ

٩٥ - لَقَـدْ كَـدَّرَ الخَـوْفُ المُـلازِمُ عَـيْـشَنا ومـا حَـسَنٌ مـمَّنْ يلوذُ بِكَ الهَـرَبْ!

*****

= القيامة، فقد جاء فى الحديث قوله ﷺ: «أنا أُبعثُ على البراق» [تاريخ أصفهان لأبى نعيم ٢/١٩٨].

(٨٥) الحقب: الأزمنة الطويلة. قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة». [مسلم، كتاب الإيمان، ١/١٨٨].

(٨٦) هذا البيت زيادة من النسخة (ب). مجيزنا: الذى يمكننا من اجتياز الصراط، أى عبوره.

(٨٨) الميزاب: المنبع.

(٨٩) المقام: هو المقام المحمود الذى للنبى ﷺ. الكوثر: الخير الكثير الذى أعطاه الله لنبيه ﷺ، وهو نهر فى الجنة، من شرب منه فلا يظمأ أبداً [انظر فى صفة الحوض، والكوثر: فتح البارى، كتاب الرقاق ١١/٤٧٢، الأحاديث ٦٥٧٧ : ٦٥٨٣].

(٩٢) على شفا: على حافة هاوية. النقب: الضعف الشديد، وأصله داء يصيب الإبل فى أخفافها من طول السير وعنائه.

(٩٤) النُّوَب: المصائب.

(٩٥) كلمة القافية (الهرب) فى ب،هـ: الرَّهَبْ.

البائية الثانية

(عدتها ٦٧ - المنسرح الأول)

فى هذه القصيدة يمزج الشاعر بين العروبة والإسلام فى وحدة واحدة، ويتجلى هذا المزج من أول القصيدة :

عَنْ أَيْمَنِ السَّفْحِ بِالحِمىٰ عَرَبُ   بَيْنَ فُــؤادِى وبَيْنَهُمْ نَسَبُ

ثم يبين هذا النسب الذى يربط بين فؤاده وأولئك العرب، وذلك لأنهم هم القادة ذوو الهمم العالية، وهم الهداة إلى الخير، وأهل الجود والكرم، والإيمان والصبر والتقوى . ثم هم قد نالوا هذا الشرف بكون النبى المختار ﷺ انتخب من بينهم، وساروا على هديه، مقتبسين منه الصبر والزهد والعلم والحلم والشجاعة، فبهم تجبر البلاد وتحفظ إلى قيام الساعة.

ثم يذكر وليًّا منهم عرفه ورأى كراماته، يدعوه ابن إدريس، ويذكر شيخه ابن الهيتيّ، مُعَلِّلاً ذكر ابن إدريس بكونه أنموذجًا لأمة محمد ﷺ .

وتتناول القصيدة الموضوعات الآتية:

- مآثر أهل الحرم الشريف وفضائلهم.
- كل فضائل الأمة مستقاة من هدى نبى الأمة ﷺ .
- زهده ﷺ، وصبره، وبعض فضائله . .
- فضل صحابته ومن اتبع سنته من أمته.
- أنموذج لأمة محمد ﷺ .
- فى مناجاة النبى ﷺ .
- استعطاف واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عَنْ أيْمَنِ السَّفْحِ بالحِمىٰ عَرَبُ ... بَيْنَ فُؤادى وبَيْنَهُمْ نَسَبُ ٥/ب

٢ - أعِزَّةٌ قادةٌ لَهُمْ هِمَمُ ... تَقْصُرُ عَنْها الرِّماحُ والقُصُبُ

٣ - زِينَتْ سَماءُ العُلا بهمْ فَهُمُ ... شُموسُها والبُدورُ والشُّهُبُ

٤ - إنْ حارَ رَكْبٌ فَهُمْ أدلَّتُهُ ... أوْ جارَ جَدْبٌ فَرِفْدُهُمْ سُحُبُ

٥ - مِنْ كُلِّ شَهْمٍ خِيَامُ رُتْبَتِهِ ... فى كُلِّ قُطْرٍ ناءٍ لَها طُنُبُ

٦ - أبْلَجَ سَهْلِ الأخْلاقِ مُمْتَنِعٍ ... يُبْرِزُهُ الدَّهْرُ وهْوَ مُحْتَجِبُ

٧ - إذا تَسامَتْ بِهِ عَزائِمُهُ ... فَوْقَ الثُّرَيَّا رَسَا بِهِ الأدَبُ

٨ - بَحْرُ المَعانى حَدِّثْ ولا حَرَجٌ ... فكُلُّ شىءٍ مِن أمْرِهِ عَجَبُ

٩ - يدٌ بِها يدفَعُ البَلاءَ عن الْـ ... ـخَلْقِ وعَيْنٌ فى الخَلْقِ تَرْتَقِبُ

١٠ - قد قامَ مِنْ نَضْرةِ النَّعيمِ علىٰ ... صَفْحَتِهِ للجَمالِ مُحْتَسَبُ

---

(١) السفح: أسفل الجبل. الحمى: كل ما يُحْمَى ويمنع، وأراد به هنا: الحرم الشريف.

(٢) القَصَب: كذا فى الأصل، ولا يتفق مع السياق، فلعله: القُضُب، جمع قضيب وهو السهم والقوس. وفى (أ): القصب بالصاد المهملة، وما أثبته من (هـ).

(٤) الرفد: العطاء. يقول: إن هؤلاء الفتية هم أدلة الحيارى، وهم أهل العطاء والجود إذا طغى الجدب وأقفرت الأرض. فى (أ): سُخُب، بالخاء المعجمة.

(٥) ناءٍ: بعيد. الطُّنُب: الحبل الذى تشد به الخيمة. يقول: إن فيهم من كل شهم رفيع الرتبة عالِى المنزلة، وشبَّه رفعة القدر وانتشار الذكر بخيمة ضربت حبالها فى كل الأقطار.

(٦) أبلج: أبيض حسن واسع الوجه، مشرقه. سهل الأخلاق ممتنعٌ: سمحٌ مع من يحبه، ممتنع على أعدائه. يريد أن هؤلاء الرجال مشرقة وجوههم سهلة أخلاقهم سمحة لكنهم ممتنعون على العدو، ولهم شهرة وبُعْد ذكْر لكنهم يؤثرون الاحتجاب عن الشهرة.

(٧) الثُّرَيَّا: نجم، يقول: إذا ارتقتَ بهم همَّتُهم إلى العُلا، كان الأدب وحسن الخلق مانعًا لهم من الكبر.

(٩) يصف هذا الممدوح بقدرته على التصرف لصالح الأمة، فهو يدفع عنها البلاء، فاليد إشارة إلى القدرة، والعين إشارة إلى الوعى بحال الأمة والتنبه لما يصلحها.

(١٠) نضرة النعيم: الحسن والبهاء الذى يعلو وجوه المؤمنين، والشاعر متأثر بلغة القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى: ﴿ **تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ** ﴾ المطففين / ٢٤ . صفحته: وجهه. محتسب: قدر يحتسب عند الاختبار. يقول: من صفات هذا الممدوح أن فى وجهه بهاء وإشراقًا يبدو للناظر المختبر.

١١ - يَجْلُوهُ مَعْناهُ فى تَقَلُّبِهِ   وَهْوَ بِصَوْنِ الأسْرارِ مُنتَقِبُ

١٢ - مُشْتَهَرٌ خَامِلٌ لهُ نَبَأٌ   مُجاوِرٌ لِلأنِيسِ مُغْتَرِبُ

١٣ - تُخْفِيهِ أَحْوالُهُ وتُظْهِرُهُ   فَهْوَ بَعِيدُ المَرامِ مُقْتَرِبُ

١٤ - يَهُزُّ مِنْ نَشْوَةٍ شَمائِلَهُ   حُبُّ المَعَالِى لا الكَأسُ والحَبَبُ

١٥ - حُلَّتُهُ الأُنْسُ والوَقَارُ وعِـ   ـزُّ القُرْبِ تاجٌ لا الدُّرُّ والذَّهَبُ

١٦ - وكَنْزُهُ صِحَّةُ اليَقِينِ وحُسْـ   ـنُ الصَّبْرِ دِرْعٌ لا البَيْضُ واليَلَبُ

١٧ - وفَقْرُهُ فَخْرُهُ، ومَنْصِبُهُ   تَقْواهُ، والدِّينُ عِنْدَهُ الحَسَبُ

١٨ - مُفَوَّضٌ عَارِفٌ إِمَامُ هُدًى   مِنْ كُلِّ وَصْفٍ سَامٍ لهُ سَبَبُ

١٩ - فَاقَ رِجالَ الزَّمَانِ إِذْ هُوَ مِنْ   أُمَّةِ خَيْرِ الأَنَامِ مُنْتَخَبُ

٢٠ - مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الرِّسالةِ مِفْـ   ـتاحُ الهُدَىٰ بَشَّرَتْ بِهِ الكُتُبُ

٢١ - كلُّ المَوَالِى مِنْ فَضْلِ مَوْرِدِهِ الْـ   ـعَذْبِ بِكَاسَاتِ وِرْدِهِ شَرِبُوا

٢٢ - بِحُسْنِ أَخْلاقِهِ اهْتَدَوْا، وإِلىٰ   طريقِهِ فى سُلوكِهِمْ ذَهَبُوا ٦/أ

٢٣ - فالفَقْرُ والصَّبْرُ مِنْهُ مُقْتَبَسٌ   إِذْ لَمْ يَكُنْ لِلكُنوزِ يَجْتَذِبُ

٢٤ - وشَدَّ إِذْ رُدَّ لِلطَّوَىٰ حَجَرًا   وما انْطَوَىٰ حِينَ مَسَّهُ السَّغَبُ

---

(١١) يجلوه: يبرزه ويكشفه. منتقب: مستتر.

(١٢) خاملٌ: لا ذكر له. الأنيس: البشر. فى البيتين السابقين والبيت التالى يصف الشاعر ممدوحه من أمة محمد ﷺ بصفات متضادة، فهو مشتهر أى معروف، خامل: لا ذكر له، أى هو معروف بذاته وصفاته، لكنه لا يريد لنفسه الشهرة وبعد الذكر، فهو خامل، وهو مجاور للناس بجسده، لكنه مغترب عنهم؛ لأن همته قد تعلقت بالله عز وجل.

(١٤) شمائله: صفاته. الحَبَبُ: الفقاقيع التى تعلو كأس الخمر. يقول: إن هذا لا تهزه نشوة الخمر والكأس، بل يهزه حبُّ المعالى.

(١٦) البيض: الخوذات، واليَلَب: الدروع.

(١٩) منتخب: مختار. بعد ما تقدم من وصف لهذا الممدوح كشف عن سرِّ تفوقه وامتيازه بكل هذه الشمائل: لأنه واحد من أخيار أمة خير الأنام محمد ﷺ.

(٢١) الموالى: الأتباع. وِرْده: مشربه. أى شربوا من النبع الذى شرب منه النبى ﷺ.

(٢٣) الفقر هنا مرادف للتصوف والزهد [انظر: الرسالة القشيرية/ ٢٧١].

(٢٤) الطَّوَى: الجوع. السغب: الجوع الشديد. يشير إلى ما كان يفعله النبى ﷺ إذ يشد حجرًا على بطنه من شدة الجوع. ومن ذلك ما رواه البخارى أنه ﷺ لبث ثلاثة أيام مع أصحابه يحفرون الخندق ولم يذوقوا طعامًا، وقد عصب بطنه بحجر من شدة الجوع. [الفتح، كتاب المغازى، ٧/٤٥٦، حديث رقم ٤١٠١].

٢٥ - جَـفَـا نَعِـيمَ الدُّنْيَـا وأَقْنَعَـهُ ... عن طيبِـهَا مَطْعَمٌ لَهُ جَشِبُ

٢٦ - مِعْـيَـارُ أَهْلِ الوَلاءِ سُنَّتُـهُ ... مَنْ يَتَّبِـعْـهَا فَـذلكَ القُطُبُ

٢٧ - وكُلُّ مَنْ زاغَ عَنْ مَحَجَّتِـهِ ... طَرْفَـةَ عَيْنٍ أَوْدَى بِهِ العَطَبُ

٢٨ - أَرْسَلَـهُ اللهُ ذو الجَـلالِ لأهْـ ... ـلِ الحَقِّ نُورًا تُجْلَى بِهِ الرِّيَبُ

٢٩ - وأَيْنَـعَ العِلْـمُ فـي القُلُـوبِ بِـهِ ... فَمَرْبَعُ الرُّشْدِ مَرْبَعٌ خَصِبُ

٣٠ - مُـؤَيَّـدٌ طَاهِرٌ، بِعِـزَّتِـهِ ... عَـزَّتْ مُلُوكَ الأعاجِمِ العَرَبُ

٣١ - لَقَـدْ عَـلا بالمِعْـرَاجِ مَرْتَبَةً ... تَقَاصَرَتْ أَنْ تَنالَهَا الرُّتَبُ

٣٢ - وانْبَجَسَ المَاءُ مِنْ أَصَابِعِهِ ... فَامْتَلأتْ مِنْ نَمِيرِهِ القِرَبُ

٣٣ - وسَوْفَ يَروِى العِطَاشَ فى الظَّمَأ الْـ ... أَكْبَرِ حَيْثُ الأكْبَادُ تلتَهِبُ

٣٤ - جَـلا ظَلامَ الضَّـلالِ ثُمَّ لَـهُ ... شَفَاعَةٌ تَنْجَلى بِهَا الكُرَبُ

٣٥ - سَـمَتْ بِهِ فى الأَنَامِ أُمَّتُـهُ ... وَسَادَ فِيهَا أَصْحَابُهُ النُّجُبُ

٣٦ - مَعَادِنُ الحِلْمِ واليَقِينِ رِجَا ... لُ الحَرْبِ فُرْسَانُهَا إذا رَكِبُوا

---

(٢٥) جفا : ترك وبَعُدَ عنه . مطعم جشب : طعام خشن غليظ .

(٢٦) المعيار : المرجع الذى يحتكم إليه . القُطْب في اللغة : المحور والمدار ، وفى اصطلاح الصوفية : الإنسان الكامل ، وهو أعلى الأولياء مرتبة ، وهو موضع نظر الله من العالم ، ويسمى « الغوث » أيضًا [انظر : اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٤٥ ، معجم ألفاظ الصوفية للدكتور / حسن الشرقاوى ص ٢٣٥] . وحركت الطاء بالضم للضرورة الشعرية .

(٢٧) المَحَجَّة : الطريق الواضح ، ويعنى به هدى النبى ﷺ . أودى به : أهلكه . العطب : الهلاك .

(٢٨) تُجْلَى : تكشف . الرِّيَب : الشكوك .

(٢٩) أينع : أثمر ونضج . المربع : الموضع الذى ينزل فيه أيام الربيع . شبه العلم بالثمار الناضجة ، والرشدَ بالأرض المخضرة فى أوان الربيع .

(٣٠) عَزَّت : غَلَبت وقَهَرت . أى : إن العرب قد قهروا الأعاجم بعزة نبيهم ﷺ .

(٣١) تقاصَرَتْ : عجزت وقصرت . يشير إلى معراج النبى ﷺ ، وهو من خصائصه المشهورة .

(٣٢) انبجس : تدفق . النمير : الماء العذب . يشير إلى نبع الماء من أصابعه ﷺ كأمثال العيون . [انظر الحديث بتمامه فى : الفتح ، كتاب المغازى ٧ / ٥٠٥ ، حديث رقم ٤١٥٢] .

(٣٣) الظمأ الأكبر : يكون يوم القيامة . والنبى ﷺ يروى أمته من حوضه الشريف .

(٣٥) سمت : ارتفع قدرها . الأنام : البشر . النُّجُب : الكرام الفضلاء ، جمع نجيب .

(٣٦) معادن الحلم واليقين : أصوله التى يؤخذ منها .

٣٧ - يُسْفِرُ صُبْحُ السُّيوفِ عن غَسَقِ الـ ... ـنَّقْعِ بأَيْدِيهِمُ إذا انْتُدِبُوا

٣٨ - ويَسْخَطُ المالُ إنْ رَضُوا، وتَرَىٰ ... للنَّصْرِ بِشْرًا إذا هُمُ غَضِبوا

٣٩ - يَلِينُ للْجارِ عِطْفُهُمْ وَهُمُ الْـ ... أشْرافُ فى قومِهِمْ إذا انْتَسَبُوا

٤٠ - أُمَّتُهُ نَفْعُها لهُ مَثَلٌ ... مِنَ الحَدِيثِ الرَّضِىِّ مُجْتَلَبُ

٤١ - كالغَيْثِ: منهُ الوَسْمِىُّ أَنْفَعُهُ ... ونَفْعُهُ فى الرَّبيعِ مُرْتَقَبُ

٤٢ - ما الفَضْلُ عَنْها يَوْمًا بِمُنْتَقِلٍ ... إلىٰ سِوَاها ما دامَتِ الحِقَبُ

٤٣ - أَبْدَالُها تُجْبَرُ البِلادُ بِهِمْ ... حتَّىٰ بعيسَىٰ تُكَسَّرَ الصُّلُبُ ٦/ب

٤٤ - هُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمٰنِ حُبُّهُمُ ... لِلْمَرءِ حِرْزٌ تَهَابُهُ النُّوَبُ

٤٥ - قُبُورُهُمْ للعِبَادِ مُلْتَجَأٌ ... لله ما ضَمَّ مِنْهُمُ التُّرَبُ

٤٦ - رَأَيْتُ مِنْهُمْ بِمُقْلَتِى رَجُلاً ... أَحْوالُهُ بالنُّضَارِ تُكْتَتَبُ

---

(٣٧) يُسْفِر: يشرق. غسَق: ظلمة. النقع: غبار الحرب. شبه السيوف بالصبح المشرق، وغبار الحربَ بظلمة الليل. انتدبوا: دعوا للحرب والجهاد.

(٣٨) يريد أنهم ينفقون المال بسخاء حتى يسخط المال لأنهم أهلكوه بكرمهم. وأنهم إذا غضبوا ابتسم النصر لهم، أى كان النصر حليفهم؛ لشجاعتهم ونصر الله تعالى. وفى (أ): ويُرى للبشر بشرٌ، وما أثبته من (جـ) .

(٤١) الغيث: المطر. الوَسْمىُّ: مطر أول الربيع، سُمِّى بالوسمى لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. يشير فى هذا البيت وسابقه إلى المثل الذى ضربه النبى ﷺ لأمته فى قوله: «أمتى كالمطر لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره» [الاستذكار لابن عبد البر ١ / ٢٣٩].

(٤٣) الأبدال أو البدلاء: مرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية، وهم رجال الله، وسُمُّوا بالبدلاء لأن البدل إذا مات أُبدل مكانه شخص آخر على صورته، وعددهم مختلف فيه، فقيل: هم سبعة، وقيل: أربعون، وقيل: ثلاثمائة. ومقام الأبدال مقام شريف حيث تتنزل العلوم على قلوبهم، والرأى الغالب أن عددهم أربعون وأنهم فى الطبقة الخامسة من طبقات الأولياء [راجع: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ٢٢: ٢٥ ، المعجم الصوفى، د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٠، ٤١]. ويعوِّض الله بهم كل نقص أو ضعف فى هذه الأمة إلى يوم القيامة، حين ينزل عيسى عليه السلام فيكسر الصليب وفى الحديث: «الأبدال فى أمتى أربعون رجلاً» [كنز العمال حديث رقم ٦٤٦٠٩ ، جمع الجوامع، حديث رقم ١٠٢٨٢].

(٤٤) تهابه: تخافه. النُّوَب: المصائب.

(٤٦) بمقلتى: بعينى. الأحوال فى اصطلاح الصوفية: ما يرد على القلب من مشاعر كالفرح والحزن والألم والسرور... إلخ، من غير اكتساب، فالأحوال مواهب [معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ١١٥]. النضار: الذهب.

٤٧ - هُوَ ابْنُ إِدْرِيسَ مَنْ رآهُ فَقَدْ رأى مَعِينًا يُشْفَىٰ به الوَصَبُ

٤٨ - دَوْحَتُهُ ابْنُ الهِيتيِّ كانَ لَها أصلاً لَقَدْ أيْنَعَتْ به الهُدُبُ

٤٩ - إيوانُ كِسْرَىٰ يُدَلُّ منهُ عَلىٰ جِهَادِ صِدْقٍ ما شَانَهُ كَذِبُ

٥٠ - يُكابِدُ اللَّيْلَ فَوْقَ شُرْفَتِهِ وهو لِذِكْرِ الرحمنِ مُنْتَصِبُ

٥١ - ذَكَرْتُ أُنْمُوذَجًا لأُمَّتِهِ تُعرَفُ مِنْهُ بالحَاضِرِ الغُيَبُ

٥٢ - باللهِ يا رَاكِبَ المُضَمَّرَةِ الْـوَجْناءِ لايَسْتَفِزُّهُ الدَّأَبُ

٥٣ - يَرْفَعُها الآلُ فى الضُّحَاءِ كَمِثْـلِ الفُلْكِ يَطْفُو طَوْرًا وَيَرْتَسِبُ

٥٤ - ويَهْجُرُ الظِّلَّ فى الهَجِيرِ ولَوْ أَنْضىٰ مَطَاها الذَّمِيلُ والخَبَبُ

٥٥ - عَرِّجْ وَقِفْ وَقْفَةً بِسَفْحِ حِمىٰ سَلعٍ فَلِى فى قِبَابِهِ أَرَبُ

---

(٤٧) ابن إدريس : على بن أبى بكر محمد بن عبد الله بن إدريس الروحائى، نسبة إلى الروحاء (قرية قرب بغداد)، صاحب الشيخ عبد القادر الجيلانى، وكان ابن إدريس شيخ وقته وصاحب قرآن وأدب وفضل، توفى سنة ٦١٩ هـ [سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٧٧].
المعين: الماء العذب. الوصب: المرض.

(٤٨) دوحته: الدوحة: الشجرة العظيمة، وأراد بها: أصله. أينعت: نضجت وأثمرت. الهدب: الأغصان. وابن الهيتى: شيخ ابن إدريس المذكور فى البيت السابق.

(٤٩) شانه: خالطه. ويبدو أن هذا البيت مقحم فى هذا الموضع؛ لأنه قطع سياق الحديث عن ابن إدريس، وسيعود إليه فى البيت رقم (٥٠). وترتيب الأبيات كما هو هنا فى (أ)، (جـ). وسبق ذكر ارتجاس إيوان كسرى من معجزات النبى ﷺ فى البائية الأولى.

(٥٠) يكابد الليل: يعانى أرقه وسهره.

(٥٢) المضَمَّرة: الناقة التى عُلِفَتْ حتى سمنت ثم ترد إلى طعام قليل مدة أربعين يومًا، كى تقوى على السير والحملَ. الوجناء: الضخمة. لا يستفزُّه: لا يزعجه ولا يفزعه. الدأب: السير الطويل.

(٥٣) الآل: السراب. الضُّحاء: قبل منتصف النهار، تفتح الضاد وتضم. شبه سير الناقة فى منتصف النهار بسفينة تطفو فوق الماء تارة ثم يغمرها الموج فترسب تارة أخرى، وذلك بتخييل السراب الذى يبدو كالماء وتبدو الإبل فيه كالسفن.

(٥٤) الهجير: اشتداد الحر. أنضىَ: أتعب وأرهق. مَطَاها: ظهرها. الذَّميل: ضرب من سير الإبل السريع فى لين. الخبب: عَدْو الإبل السريع.

(٥٥) عَرِّجَ على المكان: اتجه نحوه وأقام به. سلع: جبل بالمدينة المنورة [وفاء الوفا ٤ / ١٢٣٥ ، معجم البلدان ٣ / ٢٦٨]. قبابه: جمع قُبَّة، وهى كل بناء مستدير، وأراد: قبور الصحابة رضوان الله عليهم. أرب: حاجة.

٥٦ - إذَا ذَكَرْتُ العَهْدَ القَديمَ بِها ... يَهُزُّ عِطْفَىَّ نَحْوَها الطَّرَبُ

٥٧ - لأنَّ فيها للمُقْتَدى عَلَمًا ... إليه فى الأرضِ يَنْتَهى الطَّلَبُ

٥٨ - قُلْ يا رَسُولَ المَليكِ حبُّكَ فى الْـ ... ـدُّنْيا عَلَيْنا فَريضَةٌ تَجِبُ

٥٩ - وصَحْبُكَ الأكْرَمُونَ سادَتُنا ... والأوْليَاءُ الخُلاصَةُ الذَّهَبُ

٦٠ - زُرْناهُمُ فى الخَميسِ مِنْ رَجَبٍ ... أوَّلَ يومٍ وقدْ مَضَىٰ رَجَبُ

٦١ - وجاءَ شَعْبانُ بَعْدَهُ وعَلىٰ الْـ ... أعْطافِ مِنْهُ مَلابِسٌ قُشُبُ

٦٢ - وقد قَصَدْناهُمُ لِتَزْكُوَ مِنْ ... أعْمَالِنا فى مَعَادِنا القُرَبُ

٦٣ - وأنْتَ فيهِمْ سِرُّ الزيارة يا ... أكْرَمَ مَنْ يُرْتَجَىٰ ويُرْتَهَبُ

٦٤ - يا مَنْ لهُ الرُّعْبُ ناصِرٌ وبِه الْـ ... أمْنُ غَدًا حِينَ يكْثُرُ الرُّعُبُ ٧/أ

٦٥ - عَطْفًا عَلىٰ عَبْدِكَ الفَقيرِ ومَنْ ... دَعَاهُ مِنَّا إلَيْهِمُ الرَّغَبُ

٦٦ - واسْألْ لَنَا ذا الجَلالِ خَاتِمَةً ... يَدْنو رِضَاها مِنَّا ويَقْتَرِبُ

٦٧ - عَلَيْكَ مِنْ ربِّكَ السَّلامُ مَعَ الْـ ... ـدَّهْرِ مَديدٌ فَلَيْسَ يَنْقَضِبُ

*****

(٥٦) عطْفَىَّ: جانبَىَّ، أراد: يهزُّنى. الطرب: الشوق.
(٥٧) عَلَم: معروف لكل إنسان، ويعنى به النبى ﷺ.
(٦١) قشب: جُدُد، جمع قشيب.
(٦٢) تزكو: تنمو وتزيد. القُرَب: جمع قُربة، وهى كل عمل يُتَقَرَّب به إلى الله عز وجلّ.
(٦٤) والرُّعُب فى قافية البيت ضمت عينه لأجل الوزن، وأراد به رعب يوم القيامة.
(٦٧) ينقضب: ينقطع.

البائية الثالثة

(عدتها ٨٤ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بذكر منازل الحجيج فى طريقهم من العراق إلى مكة المكرمة، ويذكر كثيراً من معالم الطريق نحو البقاع الطاهرة، كأنما يرسم خريطة بالكلمات لهذه البقاع الطاهرة الطيبة، بديلاً عن ذكر ديار الأحبة فى قصائد الغزل ونحوها. ثم يستنزل على هذه البقاع الغيث والرحمة من الله عز وجل، ويدعو للراحلة التى حملته إلى الأرض المباركة وأوصلته إلى حمى رسول الله ﷺ .

تتناول القصيدة الموضوعات الآتية:

- ذكر منازل الحجيج فى طريقهم إلى الحرم.
- فى رحاب النبى ﷺ .
- سرد لبعض مآثر النبى ﷺ وفضله على الناس.
- مديح للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وبخاصة العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر.
- بقاء الخير فى أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة.
- فى ذكر العارف بالله ابن إدريس وشيخه الهيتى.
- مناجاة واستعطاف للنبى ﷺ .

وقال يمدحه عليه الصلاة والسلام ويذكر منازلَ طريقِ مكةَ شرَّفهـا الله تعالى:

١ - سَقَىٰ العُذَيْبَ مِنَ الأَمْوَاهِ ما عَذُبا … وهزَّ نَفْحُ الصَّبَا مِنْ بانِهِ العَذَبَا

٢ - ودَوَّمَ الغَيْثُ فى أرضِ المُغيثَةِ والْـ … ـجَرْعاءِ مُنْبَجسَ الشُّؤْبوبِ مُنْسكِبا

٣ - وَمِنْ أُلورَةَ ذاتِ البِرْكَتينِ إلىٰ … شَرَافٍ القَطْرُ لا يَنْفَكُّ مُقترِبًا

٤ - وحَلَّ واقِصَةَ الجَوْنُ الرِّوَىٰ طَبَقًا … حَتَّىٰ يَمُدَّ عَلىٰ أكْنافِها طُنُبَا

٥ - وهَيْنَمَ الرَّعْدُ فى أرجائِها هَزِجًا … فصَفَّقَ الماءُ فى غُدْرانِها طَرِبَا

٦ - واسْتَقْبَلَ الهَيْثَمَيْنِ الودْقُ مُنْهَمِرًا … حتَّىٰ تَرَىٰ فيهما السَّلْسالَ مُصْطَخِبا

٧ - وعن زُبالَةَ لا انْفَكَّ الحَيَا غَدِقًا … حتَّىٰ يُرَوِّىَ مِنْها جَوُّها التُّرُبا

٨ - والثَّعْلَبِيَّةُ لا زالتْ مَوارِدُها … تَشْفِى الصَّدَىٰ وتُزِيلُ الهَمَّ والوَصَبا

---

(١) العُذَيب: موضع على بعد أربعة أيام من المدينة المنورة [معجم البلدان ٤ / ١٠٣ : ١٠٤، وفاء الوفا ٤ / ١٢٦٣]. الأمواه: جمع ماء. الصَّبَا: ريح تستقبل البيت الحرام، يقال: لأنها تحنُّ إليه. البان: شجر طويل مستوى الأغصان. العَذَب: جمع عَذَبة: الأغصان.

(٢) دوَّمَ: دَامَ. المغيثة: موضع فى طريق مكة بعد العُذيب [معجم البلدان ٥ / ١٩٠]. الجرعاء: موضع فى طريق مكة من الكوفة بين المغيثة وواقصة [معجم البلدان ٤ / ٣٧٠]. منبجس: متفجر. الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٣) ألورة: ذكر ياقوت موضعا اسمه « اللَّوزة » وقال إنه: بركة على تسعة أميال من القرعاء. وشك ياقوت أهى بالراء أم بالزاى [معجم البلدان ٥ / ٣٠]. فلعلها (ألورة) كما فى (أ)، (ب)، ولا يستقيم الوزن إلا بذلك. شراف: ماء بنجد له ذكر كثير فى آثار الصحابة [معجم البلدان ٣ / ٣٧٥].

(٤) واقصة: موضع على طريق مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ٤٠٧]. الجَوْنُ: السحاب الأسود. الرِّوى: الماء الكثير العذب. طبقًا: غطاء، يريد الماء الكثيف الذى يغطى الأرض ويشملها. أكنافها: جوانبها. الطُّنب: الأطراف.

(٥) هَيْنَمَ: الهينمة: الصوت الخفى. هَزِجًا: طَرِبًا كأنه يُغَنِّى.

(٦) الهيثمين: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان ٥ / ٤٨٤]. الودق: المطر. السلسال: الماء العذب.

(٧) زُبالة: قرية فى الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة، بين واقصة المذكورة والثعلبية (فى البيت الثامن) [معجم البلدان ٣ / ١٤٥]. الحيا: المطر. غَدقًا: غزيرًا.

(٨) الثعلبية: موضع فى الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة [معجم البلدان ٢ / ٩١]. الصَّدَى: العطش. الوَصَب: المرض.

٩ - ولا نَبَـا عن زَرُودٍ صَـوْبُ سـارِيةٍ إذا اسْتَـهَلَّ عَلَيْـهـا لَبَّـدَ الكُثُـبَـا

١٠ - وأَجْـفُـرُ البِـيـدِ لا زَالَتْ مَنَاهِلُهـا بوَافِـرِ المـاءِ مِنْهـا تُفْـعِمُ القِـرَبَا

١١ - ودامَ فى حِـصْنِ فَـيْـدٍ مـا يُزِيلُ به رَكْبُ الحجازِ صَدىٰ الأحشاءِ والسَّغَبَا

١٢ - وجـادَ بِرْكَـةَ نُورٍ عـارِضٌ هَتِنٌ وعَنْ سَـمِـيـرَاءَ ثَوْبُ الأمْنِ لا سُلِبَـا

١٣ - وطابَ فى حَـاجِـرٍ وِرْدُ الرِّكـابِ ولا غَبَّ العُـسَـيْلَةَ قَطْرٌ يَـمْـلأُ القُلُبَـا

١٤ - وأَوْدَعَ السَّـيْلُ فى وَادى العَروسِ حَيًا يَجْلُو به الرَّكْبُ إنْ حَلُّوا به الكُرَبَا

١٥ - ونَـوَّرَ الرَّوْضُ فى قَـاعِ الغَـزَالِ إلىٰ وَادى الشَّظَا فَـأَرىٰ مِنْ نَبْـتِـه عَـجَـبـا

١٦ - وَصَادَفَ الرَّبعَ رُكْبانَ الحَجيجِ من الْـ ـسُّوَارِقِيَّةِ مَحْمُودَ القِرَىٰ خَصِبا ٧/ب

١٧ - وامْـتَـدَّ فى غَـمْـرَةَ المـاءُ الرِّوَىٰ ودَنَا مِنْ ذَاتِ عِـرْقٍ نَـمِـيـرُ المـاءِ واقْـتَـرَبا

١٨ - وبَطْنُ نَخْلَةَ لا زالَ الـمَـعِـينُ بهـا يَسْـقِى بهـا بَاسِقـاتِ النَّخْلِ والعِنَبَـا

---

(٩) نَبَا: بَعُدَ وأخطأ الهدف. زرود: موضع على الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة، بعد الثعلبية [معجم البلدان ٣/١٥٦]. صَوْب: نزول المطر. سارية: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: سحابة سارية. استَهَلَّ: ظهرَ. لبَّد: جعلها قوية متماسكة. الكثب: تلال الرمل، جمع كثيب.

(١٠) أجفر البيد: موضع في الطريق إلى مكة المكرمة [معجم البلدان ١/١٢٨]. مناهلها: موارد مائها. تفعم: تملأ.

(١١) حصن فيد: بلدة فى منتصف الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة، ينزلها الحجاج فيتزودون منها. السغب: شدة الجوع.

(١٢) بركة نور: لكذا وردت فى جميع النسخ، ولم أقف عليها. عارض: سحاب يملأ الأفق. هَتِن: دائم المطر. سميراء: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان: ٣/٢٩٠].

(١٣) حاجر: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان ٢/٢٣٦]. وِرْدُ الرِّكاب: ما يَردون عليه من الماء. غبَّ: ترك وبَعُدَ. العسيلة: موضع فى جبل القنان شرقى سميراء [معجم البلدان ٤/١٤١]. قطر: مطر. القُلُب: الآبار، جمع قليب.

(١٤) السيل: فى الأصل (النِّيل) والتصحيح من النبهانية.

(١٥) نوَّر الروض: أزهر. قاع الغزال: منزل فى طريق مكة، بعد العقبة [معجم البلدان ٤/٣٣٨]. وادى الشظا: جبل قرب مكة المكرمة [معجم البلدان ٣/٣٩١].

(١٦) السُّوارقية: قرية أبى بكر ﷺ، بين مكة والمدينة وهى قرية خصبة غنَّاء فيها مزارع من نخيل وموز وتين وعنب ورمان [وفاء الوفا ٤/١٢٣٨].

(١٧) غمرة: منزل على طريق مكة وهو فصل ما بين تهامة ونجد [معجم البلدان ٤/٢٤٠]. الرِّوى: الكثير. ذات عرق: جبل بطريق مكة بين نجد وتهامة، وهو مُهَلُّ أهل العراق. [معجم البلدان ٤/١٢١].

(١٨) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة [معجم البلدان ١/٥٣٣]. =

١٩ - وبَثَّ فى أرض نَعْـمـانَ الحَـيَـا زَهَرًا يُنَاظِر الدُّرَّ واليَـاقُـوتَ والذَّهَبـا

٢٠ - وعـاجَ نَحْـوَ مِنًى والخَيْف فـاتَّشَحَا منهُ بُرُودًا عَلىٰ عِطْفَـيْـهِـمـا قُـشُـبـا

٢١ - ولا عَـدَا سَـاحـةَ البَطْحـاءِ مُـرْتَجِسٌ مُـجَلْجِلٌ يَـمْـلأُ الغُـدْرانَ إنْ سَكَبـا

٢٢ - وجَـاوَزَتْ رَبَّةَ السِّـتْرِ الشَّـريف صَـبًـا إذا سَـرَتْ نَحْـوَ مَـحْـزون الفُـؤاد صَـبَـا

٢٣ - وفَـاحَ بَيْنَ المُـصَلَّىٰ والصَّـفَـا أَرَجٌ كـأنَّمـا الـمِـسْكُ منهُ طِيبَـهُ اكْتَـسَـبـا

٢٤ - ومَــاءُ زَمْــزَمَ لا زَالـتْ مَــوَارِدُهُ فـيـهـا شـفـاءُ الأَذىٰ صِـرْفًـا لـمَـنْ شَـرِبا

٢٥ - وبَاكَــرَتْ بَطْنَ مَــرٍ مُـزْنَةٌ فَكَسَتْ شِـعَـابَهُ الزُّهْرَ عُـشْـبًـا يُشْـبِعُ النُّجُـبـا

٢٦ - ولا جَـفَـا أَرْضَ عُـسْـفـانَ الرَّبِيعُ، وعنْ وَادى خُلَيْصٍ غَـزِيرُ المـاءِ لا نَضَـبـا

٢٧ - وصَبَّحَتْ خَيْمَتَىْ وَادى القُرَىٰ سُحُبٌ يَعْمُرْنَ بالخِصْبِ ما بالجَدْبِ قد خَرِبا

= المعين: الماء الجارى. باسقات: طوال.

(١٩) أرض نعمان: واد بين مكة والطائف [معجم البلدان ٥ / ٣٣٩]. الحيا: المطر.

(٢٠) منى: موضع النَّحْر، سُمِّى بذلك لما يُمْنَى به من الدماء، أى يُراق، وعلى رأس منى عقبة تُرْمَى عليها الجمار يوم النحر، وتعد منى جزءاً من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ٢٢٩]. الخيف: بداية وادى البطحاء بمكة المكرمة، ويسمى خيف منى لأنه جزء منها [معجم البلدان ٢ / ٤٧١]. اتَّشحا: لبسا وشاحًا.

(٢١) البطحاء: وادى مكة المكرمة [معجم البلدان ١ / ٥٢٨].
مرتجسٌ: مطر شديد الصوت. مجلجل: فيه صوت الرعد. الغدران: جمع غدير، وهو ما تجمَّع من ماء المطر.

(٢٢) ربة الستر: الكعبة المشرفة. صبا (فى صدر البيت): ريح الصَّبَا الباردة. صبا (فى عجز البيت): حن واشتاق.

(٢٣) الصَّفَا: أحد جبلين بين بطحاء مكة والمسجد الحرام، وهما الصفا والمروة [معجم البلدان ٣ / ٤٦٧]. أَرَجٌ: رائحة طيبة.

(٢٤) زمزم: البئر المباركة المعروفة، سميت زمزم لكثرة مائها [معجم البلدان ٣ / ١٦٦]، وقال ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» [مسند أحمد ٣ / ٣٥٧، المستدرك ١ / ٤٧١]. صِرْفًا: خالصًا.

(٢٥) بطن مر: من نواحى مكة المكرمة. وفى الأصل: بطن مرو، وهو خطأ والتصويب من ياقوت [معجم البلدان ١ / ٥٣٣]. مزنة: سحابة. شعابه: وديانه. الزُّهر: المشرقة المباركة. النجب: الإبل النجيبة.

(٢٦) عُسفان: من منازل الطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ١٣٧]. وادى خليص: حصن بين مكة والمدينة. نضب: نَفِدَ وذهب فى الأرض.

(٢٧) وادى القرى: فى الأصل «ذات القرى» والتصحيح من وفاء الوفا، معجم البلدان وهو وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى [معجم البلدان ٥ / ٣٩٧].

٢٨ - وسَحَّ فى رَابغٍ صَوْبُ الغَمامِ إلىٰ ... بَدْرٍ فأصبَحَ واهِى النَّبْتِ مُنْتَصِبا

٢٩ - جادَ الحَيَا وَادِىَ الصَّفْراءِ وانْبَجَسَتْ ... عُيُونُهُ وكَسَا مِنْهُ الرَّبابَ رُبَا

٣٠ - ولا نَأَىٰ القَطْرُ عن وادِى العَقيقِ ولا ... زالَ الرَّبيعُ عَلَيْهِ مُشْفِقًا حَدِبا

٣١ - ولا عَدا سَفْحَ سَلْعٍ والحِمىٰ الحَرَمَ الـ ... ـشَّريفَ مِنْ طَيْبَةَ الحَسْنا وَأَرْضِ قُبَا

٣٢ - جَوْدٌ إذا صَابَ أرضًا مَيْتَةً حَيِيَتْ ... واهتَزَّ هَامِدُها مِنْ وَقْتِهِ ورَبَا

٣٣ - وأَضْحَتِ النَّاجِيَاتُ القَوُدُ من مَرَحٍ ... لا تَسْأمُ الوَخْدَ فى البَيْداءِ والخَبَبا

٣٤ - تَطْوِى الفَلاةَ فلا فُلَّتْ مَناسِمُها ... ولا اشْتَكَتْ مِنْ وَجًى أَخْفافُها النَّقَبا

٣٥ - كَلاً ولا عَدِمَتْ وِرْدًا ولا كَلأً ... وَلا رَأَتْ سَبَبًا تَلْقَىٰ بِهِ عَطَبا

---

(٢٨) سحَّ: انصبَّ بشدة وكثرة. رابغ: واد يقطعه الحاج بين الجحفة وودَّان [معجم البلدان ٣ / ١٢]. بدر: البئر التى دارت عليها غزوة بدر المباركة وهى بين مكة والمدينة [معجم البلدان ١ / ٤٢٥ ، وفاء الوفا ٤ / ١١٤٥]. واهى النبت: النبات الضعيف الذابل.

(٢٩) جاد: سَقَى. الحيا: المطر. وادى الصفراء: واد كثير النخل والزرع فى طريق الحجاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، بالقرب من بدرٍ [معجم البلدان ٣ / ٤٦٨]. انبجست: انفجرت. الرَّباب: موضع قريب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٣ / ٢٥]. رُبا: جمع ربوةٍ، وهى كل ما ارتفع من الأرض، يريد: وكسا المطرُ الرباب بالنبات الذى يشبه الرُّبا فى علوِّه ونمائه.

(٣٠) نأى: ابتعد. القطر: المطر. وادى العقيق: واد كثير العيون والنخل بناحية المدينة، بين الحرة والبقيع . [معجم البلدان ٤ / ١٥٦]. حدبًا: عطوفًا مشفقًا.

(٣١) سلع: جبل بقرب المدينة [معجم البلدان ٣ / ٢٦٨]. طيبة: اسم لمدينة الرسول ﷺ، مشتق من الطِّيب؛ لحسن رائحة تربتها، وقيل: مشتق من الطَّيِّب، لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه [معجم البلدان ٤ / ٦٠]. الحَسْنا: مقصور من الحسناء؛ لضرورة الوزن. قُبا: قُباء، يقصر ويمد، وهى قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار المتجه إلى مكة، وبها مسجد قباء الذى أسس على التقوى من أول يوم [معجم البلدان ٤ / ٣٤٢].

(٣٢) جودٌ: مطر، وهو فاعل (عَدَا) فى البيت السابق. صاب: سقى. هامدها: نباتها اليابس الذابل. ربا: نما واخضر.

(٣٣) الناجيات: النوق السريعة، كأنها تنجو بمن ركبها. القود: الخيل أو الإبل التى تقاد ولا تركب، وتكون مُودَعَةً مُعَدَّة لوقت الحاجة إليها. مرح: نشاط. لا تسأم: لا تَمَلّ. الوخد والخبب: نوعان من سير الإبل فيهما سرعة ونشاط.

(٣٤) الفلاة: الصحراء. لا فُلَّت: لا كسرت. المناسم: أخفاف الإبل. الوَجَى: داء يصيب أخفاف الإبل، والنَّقَب: داء أشد من الوجى يصيب أخفاف الإبل فَتَرِقُّ حتى تتخرق.

(٣٥) وردًا: مَشْرَبًا. كلأ: عشبًا. سببًا: فى الأصل (صَيِّبًا) وهو غير ملائم للسياق، والتصويب من النبهانية. عطبًا: هلاكًا.

٣٦ - حَتَّىٰ تَحُلَّ بنا نَعمانَ والحَرمَ الْـ ... أعْلَىٰ فَنقْضِى عَلَىٰ عِلاَّتنا أَرَبا

٣٧ - وتسْتَقِلَّ بنا والشَّوقُ يَقْدُمُها ... فلا نُحسُّ عَلىٰ طولِ المَدىٰ نَصَبا ٨/أ

٣٨ - إلىٰ حِمًى طاهرٍ رَحْبِ الذُّرا عَطِرٍ ... إذا أَتَتْهُ المَطَايَا تَحْمَدُ الدَّأَبا

٣٩ - خَيْرُ البَسيطة أرضًا شَدَّ مُنْتَجِعٌ ... يَبْغِى النَّجاحَ إلىٰ أقْطارِها القُتُبا

٤٠ - حِمًى بِهِ العزُّ والعَلْياءُ عاكِفةٌ ... ومَجْمَعُ البِرِّ والتَّقْوَىٰ لِمَنْ رَغِبا

٤١ - حِمًى سَمَا بِرَسُولِ اللهِ كلَّ حِمًى ... كَمَا سَمَا هُوَ عُجْمَ الأرضِ والعَرَبا

٤٢ - أزْكَىٰ القَبَائلِ إنْ عُدَّت مَناسِبُها ... أُمًّا وأكْرَمُهُمْ عِنْدَ الفَخَارِ أَبَا

٤٣ - أسْخَىٰ البَرِيَّة كَفًّا وهْوَ أغْزَرُهُمْ ... نَدًى وأفْصَحُهُمْ لفْظًا إذا خَطَبا

٤٤ - وأَجْمَلُ النَّاسِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وَأَشْجَعُ النَّاسِ فى حَرْبٍ إذا رَكِبا

٤٥ - أَتىٰ الوَرَىٰ وزَنادُ الشِّرْكِ قَدْ قَدَحَتْ ... يدُ الضَّلالِ به البُهْتانَ فالْتَهَبا

٤٦ - فجاءَهُمْ بِكتابٍ فِيهِ تَبْصِرةٌ ... للمُهْتَدى صَدَّقَتْ آياتُهُ الكُتُبا

٤٧ - فقابَلَ الحَقُّ لمَّا جاءَ مُتَّضِحًا ... وَقْدَ الهَوَىٰ بِسَنَا أَنْوَارِهِ فَخَبَا

٤٨ - ولَمْ يَزَلْ فى هُدًى فى اللهِ يُعْمِلُ فى ... حِزْبِ الأعادِى القَنَا العَسَّالَ والقُضُبا

٤٩ - مُؤَيَّدُ الجَيشِ بالأمْلاكِ يَقْدُمُهُ ... لِلنَّصْرِ فى حَوْمَةِ الهَيْجاءِ رِيحُ صَبَا

---

(٣٦) على علاتنا: برغم ما واجهنا من الشدائد. أربًا: غرضًا.

(٣٧) تستقلّ: ترحل، وفى الأصل (وتستهل)، والتصويب من النبهانية. يَقْدُمها: يسبقها. نَصَبًا: تعبا.

(٣٨) المطايا: الرواحل، جمع مطية. الدَّأب: السير الطويل.

(٣٩) منتجع: طالب الكلأ والباحث عنه، يريد طالب خير، شدَّ القُتُب: شدَّ الرحال، أى سافر.

(٤٠) عاكفة: مقيمة.

(٤١) سما: شرُف وعلا.

(٤٣) النَّدَى: الكرم والجود.

(٤٥) البُهتان: الزُّور والباطل. يقول: جاء النبى ﷺ إلى الناس وقد طغى الباطل والضلال عليهم حتى كأنه نار ملتهبة.

(٤٧) وَقْد: نار. سنا: نور. خبا: انطفأ، أى انطفأت نيران الباطل بنور الحق الذى جاء به ﷺ.

(٤٨) يُعْمِل: يَضَع. القَنَا: الرماح، والعسَّال صفة لها، القُضُب: السهام والقسى.

(٤٩) مؤيَد بالأملاك: بالملائكة. حومة الهيجاء: ساحة المعركة.

٥٠ - وكـانَ ذُو العـزَّةِ الرَّحْـمٰـنُ يَقْـذفُ فى ... قَلْبِ العَـدُوِّ عَلىٰ شَـهْـرٍ لَهُ الرُّعُـبـا

٥١ - فـذَلَّلَ الشُّـوسَ تذْليـلاً وحَكَّمَ فى ... أعـدائه القـاهرينَ القَـتْلَ والسَّلَبـا

٥٢ - فَـدَمَّـرَ الرِّجْسَ والأوثانَ والنِّحَلَ الْـ ... ـحِـرَابَ والبَـغْيَ والأزْلامَ والنُّصُـبـا

٥٣ - وحَـرَّمَ اللَّهـو من زَمْـرٍ ومـعْـزَفـةٍ ... وخَـمْـرةٍ ونَهَـانَا عن زنًا وَربَا

٥٤ - وعلَّمَ النَّاسَ أحْكامَ الصَّـلاة وأحْـ ... ـكامَ الزَّكـاة وَصـوْمًـا فـرضُـهُ وَجَـبـا

٥٥ - وبَيَّنَ الحَجَّ فـامْـتَـازَتْ مناسكُهُ ... بفـعْله لفَـقـيـه أحْـسَنَ الطَّلَبـا

٥٦ - وَأَوْضَحَ السُّنَّةَ المُـثْلَىٰ لصَـاحـبـهـا ... منَّا فكانَتْ إلىٰ مَنْجَـاته سَـبَـبـا

٥٧ - فَـأَصْـبَحَ الدِّينُ مَـعْـمُـورَ الجَنَاب به ... وَمَـرْبَعُ الكُفْـرِ أَضْـحَىٰ مُـقْـفـرًا خَـربا

٥٨ - فَـفَـازَ قَـابِلُ مـا وَافَىٰ به ونَجَـا ... وخـابَ عَـبْـدٌ أتَاهُ أمْـرُهُ فَـأبَىٰ ٨/ب

٥٩ - حَـازَتْ به قَـصَـبَـاتِ السَّـبْقِ أمَّـتُـهُ ... وأحْـرَزَتْ رُتْبَـةً تَسْـمُـو بهـا الرُّتَبـا

٦٠ - هُمُ الأواخِـرُ فى الخَلْقِ الأوائلُ فى الْـ ... ـفَـضْلِ الذى لَهُمُ الرَّحـمٰـنُ قـد وَهَبـا

٦١ - لمـا تَبَـيَّنَ مُـوسىٰ وَصْـفَـهُمْ طَلَبَ الـ ... ـدُّخـولَ فـيـهِمْ عَلىٰ تَخْـصيـصه رَغَبَا

---

(٥٠) سبق ذكر قوله ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

(٥١) الشُّوس : المتكبرون، جمع أشْوَس. السَّلَب : ما يأخذه المنتصر من غنائم العدو .

(٥٢) الرِّجس : النجاسة وكل عمل قذر أو قبيح . الأوثان : الأصنام التى تعبد من دون الله . النِّحَل : الأديان، جمع نِحْلَة . الحراب : ذات الحَرْب، أى الخصومة والعداء . البغي : الظلم . الأزلام : سهام كان عرب الجاهلية يتخذونها يكتبون على بعضها « نعم » وعلى الآخر « لا » ، ثم يضربون بها فإذا خرج الآمرُ توجهوا إلى مقاصدهم، وإذا خرج الناهى كَفُّوا؛ فحرَّم الإسلام هذا . النُّصُب والأنصاب : حجارة كانت تُنْصَب حول الكعبة يذبحون عليها لغير الله تعالى، وقد دمَّرها النبى ﷺ يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ الإسراء / ٨١ .

(٥٣) جاء تحريم اللهو من المزامير والمعازف فى قوله ﷺ : « أمرنى ربِّى - عز وجل - بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصُّلُب وأمرِ الجاهلية » [مسند أحمد، حديث رقم ٢١٢٧٥] .

(٥٧) معمور الجناب : عامرًا قويًّا .

(٥٨) وافَى به : جاء به .

(٥٩) حازت به قصبات السبق : تفوقت وسبقت غيرها من الأمم .

(٦٠) يريد أن أمة محمد ﷺ ، وإن تأخر زمانها ، فهم الأولون بما لَهُمْ من فضل عند الله عز وجل .

٦٢ - وخَـيْـرُهُمْ صَـحْـبُـهُ الزُّهْرُ الكرامُ ولَوْ عَـبْـداً لَهُ سَـاعَـةً فى دَهْرِهِ صَـحِـبـا

٦٣ - وخَـيْـرُ أَصْـحَـابِهِ الصِّـدِّيقُ مُنْفِقُ مـا أفـادَهُ فى رضَـا الرَّحْـمٰـنِ مُـحْـتَـسِـبـا

٦٤ - وبَعْـدَهُ عُـمَـرُ الفـاروقُ ذو النَّظَرِ الْـ ـمَـحْـمُـود فَـارتْ أَكْـبَـادُ العِدَا رَهَبَا

٦٥ - والبَرُّ عُثْمانُ مَنْ بثَّ المصاحفَ فى الْـ أَمْـصَـارِ مِنْ خَطِّهِ يا نِعْمَ مـا كَـتَـبـا!

٦٦ - والـهـاشـمـىُّ عَلِىٌّ كـاشفُ الكُرَب الـ ـسُّـدَّادُ عنهُ بخـرْصـان لهُ وَظُبَـا

٦٧ - أَكْـرِمْ بأَرْبَعَـةٍ مـا حَلَّ حُـبُّـهُمُ قَلْبَ امْـرِئٍ صادقٍ إلاَّ حَـوَىٰ القُـرَبَا

٦٨ - والفـضْلُ فى طَلحَـةَ التَّـيْـمِىِّ بَعْـدَهُمُ وفى الزُّبَيْـرِ وفى سَـعْـدٍ لِمَنْ طَلَبـا

٦٩ - وفى سَـعِـيـدِ بنِ زَيْدٍ ذى الوَفـاء وفى سَليلِ عَـوْفٍ وفى مَنْ صَـدَّقَ اللَّقَـبـا

٧٠ - أَبِى عُـبَـيْـدَةَ، ثمَّ الأفْـضَلُونَ أُولُو بَدْرٍ وَمَنْ بَرَّ فى الرِّضْوانِ واحْـتَـسَـبـا

٧١ - والفَـضْلُ فى كُلِّ أصْـحـابِ النَّبِىِّ إلىٰ يَوْمِ القِـيـامِ مَـديدٌ ليسَ مُـقْـتَـضَـبـا

٧٢ - وفَـضْلُ أُمَّـتِـهِ لا يَنْقَـضِى أَبَدًا حتَّىٰ يُنَزَّلَ عِـيـسَىٰ يَكْسِـرُ الصُّلُبـا

٧٣ - فيهـا رِجالٌ بِهِمْ يَهْمِى الحَيَا فَلَقَدْ شَـاهَدْتُ منهُمْ وَلِيًّـا عـارِفًـا قُطُبـا

---

(٦٢) أى: وخير أمة محمد ﷺ أصحابه، ولو كان عبداً صحبه ساعة من الزمان.

(٦٣) أفاده: اكتسبه. محتسبًا: طالبًا أجره من الله عز وجلّ.

(٦٤) ذو النظر المحمود: ذو الرأى السديد الصحيح. فارت أكباد العدا: ممزّقها غمًّا وغيظًا.

(٦٥) الأمصار: البلاد، جمع مصْر.

(٦٦) السُّدَّاد: المدافع. الخرْصَان: الرماح. الظُّبَا: السيوف.

(٦٨) طلحة بن عبيد الله التَيمى: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وسيذكرهم، وهم بعد الأربعة الراشدين: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف (سليل عوف)، وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

(٦٩) وفيمن صدق اللقبا: أى من صَدّق عليه تسميته، يريد أبا عبيدة عامر بن الجراح، ولقبه أمين الأمة، وقد صدق عليه هذا اللقب.

(٧٠) أولو بدر: الذين شهدوا غزوة بدر. من بَرَّ فى الرضوان: أصحاب بيعة الرضوان، الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ورسوله ﷺ.

(٧١) يوم القيام: يوم القيامة، وصح تسميته يوم القيام؛ مصدراً من (قام)؛ لقوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ المطففين / ٦ . ليس مقتضبًا: ليس منقطعًا.

(٧٣) يهمى: ينزل بغزارة. قُطُبًا: القُطْب فى اللغة: المدار والمحور، وفى اصطلاح الصوفية: الإنسان الكامل، وهو أعلى الأولياء مرتبةً، وهو موضع نظر الله من العالم، ويسمى «الغَوْث» أيضًا [انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى، ص ١٤٥، معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى، ص ٢٣٥]. وحَرَّك الطاء بالضم لضرورة الوزن.

٧٤ ـ هُوَ ابْنُ إِدْرِيسَ تاجُ الأَوْلِيـاءِ أبو ... مُحَمَّدٍ نُورُ مَنْ عَنْ رُشْدِهِ حُجِبا

٧٥ ـ وكانَ بالعارِفِ الهِيتِيِّ مُقْتَدِيًا ... مَنْ بالمكارِمِ منهُ طَرَّزَ الحُقُبَا

٧٦ ـ يا مُزْجِيَ النَّاقَةِ الوَجْناءِ يَدْأَبُها ... فى البِيدِ كَىْ يُحْرِزَ العَلْياءَ والحَسَبا

٧٧ ـ عَرِّجْ عَلىٰ طَيْبةَ الفَيْحاءِ خَيْرِ حِمًى ... حَوَىٰ الهُدَىٰ والتُّقَىٰ والعِلمَ والأَدَبا

٧٨ ـ فيها الملائكُ أَفْواجٌ وتُرْبَتُها ... تسْمُو بِمَنْ حلَّ فى أكنافِها التُّربا

٧٩ ـ فَأدِّ عنِّى سَلامًا زاكيًا أرِجًا ... لا لَغْوَ فيهِ ولا إِثْمًا ولا كَذِبا ٩/أ

٨٠ ـ وقُلْ: عُبَيْدُكَ يَرْجُو مِنْكَ مَقْرُبَةً ... رجاءَ عَافٍ لوَعْدٍ ظلَّ مُرْتَقَبَا

٨١ ـ يا فاتِحَ الخَيْرِ فى الدُّنيا بِمَبعَثِه ... وبالشَّفاعَةِ فى الأُخرَىٰ إذا انْتُدِبا

٨٢ ـ لقد أتَتْ فى جُمَادَىٰ مِنْكَ عَاطِفَةٌ ... نَحْوِى فأَلْحِقْ بها يا سيِّدِى رَجَبا

٨٣ ـ فَأَنْتَ تَعْلَمُ ما قَصْدِى ومَا أَرَبِى ... فَاسْأَلَ لِىَ اللهَ أنِّى أَبْلُغُ الأَرَبا

٨٤ ـ لا زَالَ رَوْحُ الرِّضَا القُدْسِىُّ مُنهَمِراً ... عَلىٰ حِمَاكَ انْهِماراً يُخْجِلُ السُّحُبا

*****

---

(٧٦) مُزْجِيَ : سائق . يَدْأَبها : يواصل السير بها . يُحرز : يحقِّق . الحَسَب : المجد .

(٧٧) عرِّج : توجه ومل . الفيحاء : الواسعة الكثيرة الخير .

(٧٨) أفواج : جماعات . أكنافها : نواحيها . يقول إن أرض طيبة (المدينة المنورة) تسمو على غيرها من البلادِ بمن حلّ فيها ، يعنى النبى الكريم ﷺ .

(٧٩) زاكيا : متناميا .

(٨٠) عُبَيْد : تصغير(عَبْد) . عافٍ : فقير . مرتقبًا : منتظرًا ، وفى (أ) : مقتربًا ، والتصويب من النبهانية .

(٨٤) منهمراً : نازلاً بغزارة ووفرة .

قافية التاء

التائية الأولى

(عدتها ٤٥ ـ الطويل الثانى)

تعبر هذه القصيدة عن عاطفة مشبوبة تجاه الديار المباركة وأهلها، وما قضاه الشاعر فيها من عيشٍ حسنٍ، فى ظل قباب سلع وقباء، وفى حمى النبى الكريم ﷺ، ممدوحه الوحيدُ، الذى حبب إليه هذه الأرض وساكنيها، وملجئه وملجئنا فى الشدائد والعسرات.

تتوزع الشاعرَ فى هذه القصيدة عواطف متعددة :
الشوق إلى البلاد الحبيبة والحمى الحبيب، والحزن على ما يتهدد أرض الخلافة من ترك وتتر، والحب الخالص لهذه الأمة المحمدية المحاصرة بكيد الأعداء، ولا يجد شاعرنا من يفزع إليه فى هذه المحنة إلا من صنع هذه الأمة وبنى قواعد مجدها وحضارتها، يستغيث به أن يكيد كلَّ باغ أراد أمة الإسلام بالشر، فما الخلافة الإسلامية ـ المحاصرة فى بغداد ـ إلا محلة تستظل بظل رسول الإسلام ﷺ، فى زمن كثر فيه الشرك وتكالب الطغاة على الإيمان والمؤمنين، ولكن أهل الإيمان لا بد هم الغالبون، بوعد النبى الأمين ﷺ لهم بالنصر والظفر.

وكأنّى بشاعرنا الصرصرى منذ ثمانية قرون كان يصف حال الأمة اليوم: تمزق وضعف أصاب أهلها، وتكالب الأعداء عليها وكيدهم لها، وها نحن نشهد حصار بغداد (دار السلام) كما حاصرها المغول منذ ثمانية قرون، ولا نملك إلا أن نتضرع إلى الله عز وجل، متوسلين بجاه النبى الكريم ﷺ، آملين أن يفرق الله شمل الباغين ويردهم عن دار السلام، وأن يمدنا بالهمة والقوة، ويخرجنا من الذل والهوان إلى العزة والكرامة.

تدور القصيدة حَول الموضوعات الآتية :

- ذكريات الشاعر فى حمى الأرض المباركة.
- النبى ﷺ وسيلة إلى الله عز وجل وإلى كل خير.
- دعاء واستغاثة بالنبى الكريم ﷺ.
- فى الثناء عليه ﷺ.
- وعد النبى ﷺ لأمته بالنصر على الأعداء.
- حصار المغول لبغداد.
- لاتزال فى الأمة بقية قائمة على الحق.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رَعىٰ اللهُ بالبَطْحَــاءِ أيَّامَنا الَّتى بَدَتْ كَــوَمِــيضِ البَــرْقِ ثمَّ تَولَّت

٢ - وَحَــيَّـا قِــبَـابًا بَيْنَ سَلْعٍ إلىٰ قُــبَـا لعــزَّتهــا يَحْلُو خُــضُــوعِى وذلَّتى

٣ - نَعِــمْتُ بهــا لَكِنْ كَــأحْــلامِ نائم كَأنْ لَمْ تَزُرْها العيسُ حتَّىٰ اسْتَقَلَّت

٤ - فَلا ما مَضَىٰ فيـهـا مِنَ العَيْشِ عائدٌ ولا النَّفْسُ عَنْهـا بالبـعَــاد تَسَلَّت

٥ - فَــهلْ لى إلىٰ تِلْكَ المَـعَــالِمِ عَـوْدَةٌ ولو دُونَهــا بيضُ الصَّــوارِمِ سُلَّت

٦ - فَــأَلْثُمَ إجْــلالاً ثَراها وأَجْــتَلى شُــمُــوسِىَ فى أرْجـائِهــا وأَهِلَّتى

٧ - فَكَمْ لِبَنى الآمَــالِ دُونَ طُلُولِهــا دماءٌ بسَيْفِ الشَّوقِ فى البِيدِ طُلَّت

٨ - سَقىٰ اللهُ ذاتَ الظِّلِّ مِنْ دارَةِ الحِمىٰ حَــيًّــا نَهَلَتْ منهُ رُباهُ وعَلَّت

٩ - وسَــحَّتْ عَلىٰ أعْــلامِ سَلْعٍ سَحَــابَةٌ مِنَ الجَــوِّ بالنَّوْرِ الرَّواءِ اسْــتَــهَلَّت

١٠ - فــتِلْكَ لَعَــمْــرُ اللهِ دارُ أحِــبَّــتى وسُكَّانُهــا نَحْــوَ الرَّشــادِ أدِلَّتى

١١ - ألاَ لَيْتَ شِـعْــرِى هل أزُورُ قِــبَـابَهــا فَتَحْـمَدَ فيها العيسُ شَدِّى ورِحْلَتى

١٢ - وأُنْشِــدُ فى أكنافِــهــا مُــتَــعَــرِّضًــا لِمَنْ نَظْمُ مَـدْحِى فيـه تاجِى وحُلَّتى

١٣ - ألا يا رســولَ اللهِ، أنْتَ وَسِــيلَتِى إلىٰ اللهِ إنْ ضاقَتْ بِما رُمْتُ حِيلَتِى

---

(١) فى البيت تقديم وتأخير، والتقدير: رعى الله أيامنا التى مضت بالبطحاء، وكانت كوميض (أي لمعان) البرق ثم تولَّت.

(٢) قبابًا: جمع قُبَّة، وهى البناء المستدير، ويعنى بها قبور الصحابة، والمساجد بين سلع وقباء.

(٣) العيس: الإبل. استقلَّت: رَحَلَت. يصف سرعة مرور الأوقات الطيبة فشبهها بالزيارة الخاطفة، كأن الزائر لا يلبث أن يرحل.

(٤) تَسَلَّت: وجدت السلوى، أى العزاء والصبر.

(٥) بيض الصوارم: السيوف اللامعة القاطعة.
سُلَّت: أخرجت من أغمادها.

(٦) ألثم: أُقَبِّل. ثراها: ترابها. أجتلى: أنظر.

(٧) طُلَّت: أهدرت ولم يُثْأر لها.

(٩) سَحَّتْ: نزلت بغزارة. النَّوْر: الزهر.
الرَّواء: المرتوى المزدهر. استهَلَّتْ: أمطرت بشدة.

(١٠) لعَمْرُ الله: قسم بالله عز وجل.

(١١) ليت شعرى: أسلوب تعجب، معناه ليتنى أعْلَمُ كذا. شَدِّى: سفرى.

(١٣) رُمْتُ: أردت.

١٤ - وأنْتَ إذا ما حِرْتُ نُورِى وحُجَّتِى وأنْتَ إلىٰ التَّقْوَىٰ إمامِى وقِبْلَتى

١٥ - وأنْتَ نَبِيِّى، باتِّباعِكَ أهْتَدِى ومِلَّتُكَ الزَّهْراءُ دِينِى ومِلَّتِى ٩/ب

١٦ - وأنْتَ نَصيرِى فى خُطوبٍ تتابَعَتْ عَلَىَّ، وذُخْرِى عِنْدَ فَقْرِى وشِدَّتِى

١٧ - وأنْتَ الذى أرْجُوهُ يَومَ نُشُورِنا يُرَوِّى الصَّدَىٰ مِنِّى ويَنْقَعُ غُلَّتِى

١٨ - فَلا تُخلِنِى مِنْ حُسْنِ عَطْفِكَ واسْأل الْـ ـمُهَيْمِنَ رَبَّ العَرْشِ فى سَدِّ خَلَّتِى

١٩ - وكُنْ لِىَ فى ذَا اليَوْمِ ثُمَّتَ فى غَدٍ شَفيعًا إلىٰ الرَّحمٰنِ فى مَحْوِ زَلَّتى

٢٠ - وأنْ يُسْكِنَ الإخلاصَ قَلْبِى بِذِكْرِهِ ويَهْدِيَنى عِنْدَ انحرافِى وضَلَّتى

٢١ - ويُلْهِمَنى فى العُسْرِ واليُسْرِ شُكْرَهُ عَلىٰ حالِ إثرائِى وفى وَقْتِ قِلَّتى

٢٢- لَئِنْ نَوَّرَ الرَّحْمٰنُ قَلْبِى بِفَضْلِه غَنيتُ بِذَاكَ النُّورِ عن نُورِ مُقْلَتى

٢٣ - فَقُرْبِى وعِزِّى فى حُضُورِى ويَقْظَتِى وبُعْدِى وذُلِّى مِنْ سُهُوِّى وغَفْلَتى

٢٤ - وإقْبالُهُ فيه شِفائِى وراحَتِى وإعْراضُهُ فِيه سَقامِى وعِلَّتِى

٢٥ - أيا ابْنَ الكِرامِ الغُرِّ مِنْ آلِ هاشِمٍ بِمَبْعَثِكَ الغَمَّاءُ عنَّا تجَلَّتِ

٢٦ - وأوْضَحْتَ إذْ أُرسِلْتَ بالحَقِّ لِلوَرَىٰ مَعالِمَ دَقَّتْ فى الفُهُومِ وجَلَّتِ

٢٧ - جَلَتْ ذِكْرَكَ التَّوْراةُ فى عُلَمائِها وَسَمَّتْكَ فى العَصْرِ القَديمِ وحَلَّتِ

٢٨ - وشَرَّفَتِ البَطْحاءَ أنْوَارُكَ التى بِعِقْدِ مَعانِيها لِطَيْبَةَ حَلَّتِ

---

(١٤) حِرْت : تحيَّرت .
(١٦) خَطوب : مصائب، جمع خَطْب .
(١٧) يوم النشور : يوم البعث . يروِّى : مبالغة من « يَرْوى » . الصدى : العطش . ينقع : يَروِى . الغُلَّة : شدة العطش وحرارته .
(١٨) لا تُخْلنى : لا تَحْرِمْنى . خَلَّتى : فقرى وحاجتى .
(١٩) ثُمَّتَ : ثُمَّ . زَلَّتى : خطأى .
(٢٠) ضَلَّتى : ضلالى .
(٢٣) السُّهُوّ : مصدر (سها يسهو) سَهْوًا وسُهُوًّا .
(٢٤) السَّقام والعلَّة : المرض .
(٢٥) الغَمَّاء : الغمّ والكرب .
(٢٦) أى أوضحت للناس كل ما دقَّ (أى خَفى وصغُر) وجلَّ (أى ظهر وكبُر) .
(٢٧) جَلَتْ : أوضحت . حَلَّت : من الحلْية، أى وصفت وبينت علاماته ﷺ .
(٢٨) حَلَّت : زينت، من الحِلْية وهى الزينة .

٢٩ - وما الفَخْرُ إلاَّ حَيْثُ كُنْتَ، فأيْنَما حَلَلْتَ ففيه دَارَةُ المجد حَلَّت

٣٠ - بُعِثْتَ وعَقْدُ الكُفْر حَزْمٌ فأوْهَنَتْ قُوىٰ يَدكَ الطُّولَىٰ قُواهُ وحَلَّت

٣١ - وجِئْتَ - وطَعْمُ العَيْشِ مُرٌّ - بشِرْعَةٍ أطابَتْ بتَقْواها المَذاقَ وحَلَّت

٣٢ - وأيَّدْتَ بالأمْلاك والرُّعْب والصَّبَا وفي دِينكَ الحَقِّ الغَنائمُ حَلَّت

٣٣ - وكانَتْ جُنودُ الشِّرْك ذاتَ عَزازَةٍ فلمَّا رأَتْ أعلامَ نَصْركَ ذَلَّت

٣٤ - وأيْدى ذَوِى العُدوان كانتْ مَديدةً فَلَمَّا رَمَاها سَهْمُ عَزْمكَ شَلَّت

٣٥ - وكَمْ قَمَعَتْ بالنَّصْرِ والقَهْرِ فى الوَغىٰ رجالُكَ خَيْلَ المُشركين وفَلَّت

٣٦ - بعِزِّك أوْهَتْ كَيْدَ كلِّ مُعانِدٍ وشادَتْ مَنَارَ المكرُمات وأعْلَت ١٠/أ

٣٧ - بوَعْدكَ نَرْجو النَّصْرَ يا سَيِّدَ الوَرَىٰ علَىٰ عُصْبَةٍ عن خُطَّة الرُّشْد ضَلَّت

٣٨ - أتَتْ تَبْتَغى دارَ السَّلام بكَيْدها فلمَّا رأَتْ أجْنَادَكَ الغُرَّ وَلَّت

٣٩ - وها هيَ فى التَّهْديد ما فَتَرَتْ وَلا ضَمائرُها عَمَّا وعَدْتَ تَخَلَّت

٤٠ - وما بَيْضَةُ الإسلام إلا مَحَلَّةُ الْـ إمامِ التى بالعِزِّ منْكَ اسْتَظَلَّت

---

(٢٩) حَلَّت: أقامت واستقرتْ.

(٣٠) حَزْمٌ: شديد. أوهنت: أضعفت. الطُّولَى: تفضيل من الطُّول، واليد الطُّولَى كناية عن القوة والقدرة. حَلَّت: فكَّتْ وأضعفت.

(٣١) حلَّت: من الحلاوة.

(٣٢) حلَّت: صارت حلالاً مباحة. يلاحظ تكرار كلمة (حلت) فى القافية ست مرات. ولا يُعَدُّ هذا عيباً من عيوب القافية؛ لأنها تكررت بمعان مختلفة، أما عيب الإيطاء فهو تكرار كلمة القافية بمعنى واحد، فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بإيطاء، بل إن هذا دليل اقتدار من الشاعر.

(٣٣) عزازة: عزَّة وقوة.

(٣٤) شَلَّت: يقال: شَلَّتْ يَدُهُ إذا أصابها الشَّلَل، ولا يقال: شُلَّتْ.

(٣٥) قمعت: قهرت وأذلَّتْ. الوغَى: الحرب. فَلَّت: هزمت.

(٣٦) أوهت: أضعفت. شادت: بَنَتْ.

(٣٨) دار السلام: بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك. أجنادك: جنودك.

(٤٠) بيضة الإسلام: أصله ومستقره وموضع سلطانه وقوته. مَحَلَّةُ الإمام: دار الخلافة، فالإمام هنا يعنى: خليفة المسلمين. يقول: إن مجد الإسلام ومكمن قوته وعزته فى دار الخلافة - وهى بغداد - التى استظلت بعزك؛ لأن خليفة المسلمين هو خليفة النبى ﷺ.

٤١ - فَكِدْ كُلَّ باغٍ كـادَهَا فَـهْىَ مَلجَـأٌ ... لعُـصْـبَـةِ إسـلامٍ معَ الشِّـرْكِ قَلَّتِ

٤٢ - عَلىٰ أنَّ منهـا لا تَزالُ بَقـيَّـةٌ ... علَىٰ الحقِّ عَنْ دينِ الهُدَىٰ ما استُزِلَّتِ

٤٣ - تُقَـابِلُ دَجَّـالَ الضَّـلالة بالقَنَا ... وكلِّ حُـسَـامٍ ذى غِـرارَيْنِ مُـصْلَتِ

٤٤ - أجِـرْنى وأجْـزِلْ لِى جَـزاءَ قَـصـيـدةٍ ... بوصْـفكَ يا خَـيْـرَ البَـرايا تَحَلَّتِ

٤٥ - جَـزاءَ امْـتِنانٍ لا وجُـوبٍ لأنَّهـا ... إذا لَمْ تَفُـهْ بالـمَـدْحِ فـيكَ أَخلَّتِ

*****

---

(٤٢) استُزِلَّت : دُفعَتْ إلى الزَّلَل، وهو الخطأ والذنب .

(٤٣) دجال الضلاَلة : الذى ينشر الضلال فى الناس ويدعوهم إليه .القنا : الرماح . حسام : سيف . ذى غرارين : ذى حدَّين . مُصْلت : مجرّد من غمده . يشير فى هذا البيت وسابقه إلى قوله ﷺ : «لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرُّهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك» [صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم ٣٥٤٩، ٣٥٥٠ ، مسند أحمد ١٩٩٧٦ ، ٢٠٠٢٨ ، ٢٠٠٧٩ ، ٢٠١٠٦].

(٤٥) امتنان : عطاء وتفضل . تَفُه : تنطق . أخلَّت : قَصَّرت .

التائية الثانية

(عدتها ٤٤ - الكامل الأول)

فى هذه القصيدة ينحو الشاعر منحى بديعيًّا يذكِّرنا - مرة أخرى - بأبى العلاء المعرى، فلا يكاد بيت من أبياتها يخلو من التلاعب بالألفاظ تجنيسًا وطباقًا.

لكن هذا التلاعب اللفظى بالكلمات لم يصل إلى حد إفساد القصيدة أو الطغيان على المعنى، فالجناس يأتى حليةً لفظية تزيد من قوة الأثر الصوتى للقصيدة، ولا يطغى بحيث يفقد المتلقى الإحساس بوحدة الدلالة والشعور فى القصيدة، انظر إلى قوله :

أأُلام فى شغفى بمن شرفى بها   جَبَرَتْ بعطفٍ أم لَحيْفٍ أجبرتْ ؟
أو بى جُنَاحٌ إن سمحتُ بعبرةٍ   عما تضمنت الجوانحُ عبَّرَتْ ؟

فالجناس يتزاحم فى البيتين على النحو التالى :

شغفى ــــ شرفى.

جبرت ــــ أجبرت.

جُناح ــــ الجوانح.

عبرة ــــ عبَّرتْ.

ولكن - كما نرى - كان للألفاظ المتجانسة أثر صوتى هائل، مع عدم إغفال المعنى وتجسيد العاطفة المسيطرة على الشاعر.

وانظر إلى المطابقات البديعة فى قوله مخاطبًا النبى ﷺ :

يا مَنْ ظلالُ المَكْرُماتِ به نَمَتْ   وصَفَتْ مَشارِبُ بالضَّلال تَكدَّرَتْ ١١/أ
وبنُورِ بَهْجَتِه انجَلَىٰ غَسَقُ الدُّجَىٰ   وبهِ السَّحائبُ فى الجَدائبِ أمْطَرَتْ

والألفاظ المتضادة فى البيتين :

صفت ــــ تكدرت.

نور ــــ دجى.

سحائب ـــــــ جدائب .

والشاعر هنا يقارن بين حال البشرية قبل بعث النبى ﷺ وبعد بعثه، فقبله كانت مشارب الضلال كدرة، فصارت - بمبعثه ﷺ - منابع صافية، وقبله كانت الأرض مظلمة فأصبحت بعده نوراً، وكانت مجدبة فصارت ممطرة عامرة بالخير.

وهكذا كانت المحسنات البديعية، من جناسٍ وطباق وغيرهما، عناصر جمالية مؤثرة صوتيًا ودلاليًا أيضًا.

أهم محاور القصيدة :

- شوق إلى أرض الحجاز .
- ذكريات فى حمى الحرم الشريف .
- الرحلة إلى النبى ﷺ .
- وقفة على أعتاب النبى ﷺ .
- بعض خصائصه ومعجزاته ﷺ .
- توسل إلى النبى ﷺ أن يمنحه الشفاعة .
- دعاء وصلاة على النبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَـا بَالُ أَنْفَـاسِ النَّسِـيمِ إذا سَـرَتْ ... سَـحَـرًا عَلىٰ مَـيْتِ الصَّـبابَة أَنْشَـرَتْ

٢ - مــا ذَاكَ إلاَّ أنَّهــا مَــرَّتْ عَلىٰ ... رَنْد الحِـجَـاز وبَانه فَـتَـعطَّرَتْ

٣ - حَـمَلَتْ إلىٰ المُـشْـتـاق منهُ رِسـالةً ... عَنْ عَرْف مَنْ يَهْوَىٰ بصِدْقٍ أَخْبَرَتْ

٤ - نَفَت الأَسَىٰ عنهُ فَـيَـا لَك نَفْـحَـةً ... دارَتْ ثَقِـيلَ الخَطْب عَنْهُ ومـا دَرَتْ

٥ - واهًا لأيَّامٍ يَفُـوقُ نَهَـارَها ... لَيْـلاتُهـا اللاَّتى بحُـبِّىَ أَقْـمَـرَتْ

٦ - قَـضَّـيْـتُـهـا بحِـمىٰ تِهَـامَـةَ آمنًا ... تُهَمَ العَـواذلَ عَـارِفًـا مـا أنْكَرَتْ

٧ - وَلَّتْ عَلىٰ عَـجَلٍ فَكَمْ قَلْبٍ سَـهَـا ... لوَداعِ جِـيـرَتِهـا وَكَمْ عَـيْنٍ جَـرَتْ

٨ - لَـوْ أنَّهــا رُدَّتْ عَلَـىَّ لأَبْـرَأَتْ ... جَـسَـدًا بأَسْـقَـام الغَـرام لَهُ بَرَتْ

٩ - أَأُلامُ فى شَـغَـفى بمَنْ شَـرَفى بهـا ... جَـبَـرَتْ بعَطف أَمْ لحَـيْفٍ أَجْـبَـرَتْ

١٠ - أوْبى جُنَاحٌ إن سَـمَـحْتُ بعَـبْـرَةٍ ... عَـمَّـا تَضَـمَّنَت الجـوانحُ عَـبَّـرَتْ

١١ - وإذا القُلوبُ أتَتْ بصِـدْقٍ لمْ تُبَلْ ... بمَـقَـالِ واشٍ أظْهَـرَتْ أو أضْـمَـرَتْ. ١٠/ب

١٢ - يا سَـائقَ البَكَرَات مـا حَنَّتْ إلىٰ ... تَحْـصـيلِ بكْرِ المَـجْـد إلا بَكَّرَتْ

١٣ - تَعْـتـاضُ فى طَلَب العُـلا منْ رَبِّهـا ... بمَـهَـامـهَ اغْـبَـرَّتْ وبِيـدٍ أقْـفَـرَتْ

١٤ - تَتَـجَـشَّمُ الأَهْوالَ، لولا حُبُّ مَنْ ... جَـعَلَتْـهُ غـايةَ قَـصْـدها لَتَـحَـيَّـرَتْ

---

(١) سَحَرًا : فى وقت السَّحَر، وهو آخر الليل. مَيْت الصبابة : ما ضَعُفَ من الشوق والحنين، فكأنه مات. أنشرت : بعثته من موته.

(٢) الرَّنْد : الآس، وهو شجر طيب الرائحة. البان : شجر أملس مستوى الساق.

(٣) عَرْف : رائحة.

(٤) نَفَت : أذهبت. نفحة : هَبَّة ريح. دَارَتْ : أخفت. وما دَرَتْ : وما علمت.

(٥) واهًا : كلمة تحسُّر وتفجُّع.

(٨) أبرأت : شَفَتْ. أسقام : آلام وأمراض. بَرَتْ : أهزلت وأضعفت، كما يُبْرَى القلم.

(٩) جبرت : تعطَّفت وأشفقت. حيف : ظلم. أجبرت : قهرت.

(١٠) جُناح : ذنب. عَبرة : دمعة. الجوانح : القلب.

(١١) لم تُبَلْ : لم تهتمّ.

(١٢) البَكَرات : الإبل الفتيَّة، جمع بَكْرة. بِكر : أول مولود، يريد : المجد الذى لا يعادله مجد. بكَّرت : أسرعت.

(١٣) تعتاض : تطلب العوض. مهامه : صحارٍ مقفرة. اغبرَّت : كثر فيها الغبار.

(١٤) تتجشم : تتحمَّل المشاقّ.

١٥ - تَهْوِى إِلىٰ الحَرَمِ الشَّرِيفِ رِقَابُها ... عِندَ الصَّبَاحِ هُوىً رُبْدٍ نُفِّرَتْ

١٦ - إِمَّا حَلَلْتَ بذلكَ المَغْنَىٰ الَّذى ... فِيهِ عُيونُ المَكْرُماتِ تَفَجَّرَتْ

١٧ - فَقُلِ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَرَمَ الهُدَىٰ ... من مُهْجَةٍ بِكَ أفْلَحَتْ وتَبَصَّرَتْ

١٨ - يا مَنْزِلاً عَكَفَتْ به غُررُ العُلا ... وبقُدْسِ ساكنه القُلوبُ تَطَهَّرَتْ

١٩ - هَلْ لِى بَحضْرتكَ العزيزة وَقْفَةٌ ... تُحْيِى الذى بالبُعْدِ منِّى أَقْبَرَتْ

٢٠ - أَحْرَزْتَ غايَةَ كُلِّ مَجْدٍ كاملٍ ... وزَكَتْ أُصولُ الفَضْلِ فيكَ وأثْمَرَتْ

٢١ - بمُكَرَّمٍ شَهِدَ المَلائكُ فَضْلَهُ ... هذا وطِينَةُ آدَمٍ ما صُوِّرَتْ

٢٢ - وتُكَوَّرُ الشَّمسُ المُنيرَةُ جَهْرَةً ... وشُموسُ شِرْعَةِ دينه ما كُوِّرَتْ

٢٣ - وَهُوَ الذى يَنْشَقُّ عَنهُ قَبْرُهُ ... وقُبورُ سُكَّانِ الثَّرَىٰ ما بُعْثِرَتْ

٢٤ - وهُوَ المُشَفَّعُ يومَ يُحْتَبَسُ الوَرَىٰ ... وإذا الجحيمُ عَلىٰ بَنيها سُعِّرَتْ

٢٥ - هُوَ أَحْمَدُ الآتى بخَيْرِ شَريعَةٍ ... بَيْضاءَ عَنْ وَجْهِ الهِدَايَةِ أَسْفَرَتْ

٢٦ - عَبْدٌ تَخَيَّرَهُ المُهَيْمنُ مُرْسَلاً ... بَشَراً بطَلْعَتِه السَّماءُ اسْتَبْشَرَتْ

٢٧ - تَاللهِ لَوْ أنَّ الوُجُوهَ بِأَسْرِها ... نَظَرتْ بإيمانٍ إليْهِ لَنُضِّرَتْ

---

(١٥) رُبْد: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: هوىً نعامٍ رُبْد، أى غبراء اللون. يقول: هذه الإبل تَنطلق إلى الحرم الشريف مسرعة كما تنطلق النعام إذا أزعجت وأفزعت، فهى تعدو بأقصى سرعة.

(١٦) إمَّا: أداة شرط تتكون من: إنْ + ما. و(ما) زائدة. يقول: إن حللتَ بذلك المكان الطيب الذى كثرت فيه المكارم...

(١٧) مهجة: قلب.

(١٨) عكفت: أقامت.

(١٩) أقبرت: أماتت.

(٢١) يشير فى هذا البيت إلى قوله ﷺ: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» [الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، للسيوطى، ١٢٦ ، سنن أبى داود حديث رقم ١٢٦].

(٢٢) جهرةً: علانية، يشير إلى إحدى علامات الساعة الكبرى، وقد وردت فى قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ التكوير / ١ . يقول إن الإسلام باق إلى يوم القيامة.

(٢٣) قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع» [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥ / ٣٧].

(٢٥) بيضاء: مشرقة طاهرة منيرة. أسفرت: كشفت.

(٢٧) تالله: التاء حرف قسم كالباء. نُضِّرت: صارت نَضِرة ناعمة مشرقة.

٢٨ - لـٰكِنَّهُ من ذِى المَعارِجِ رَحمَةٌ ... عُظْمَىٰ لأُمَّتِهِ الكرامِ تَيَسَّرَتْ

٢٩ - رَأتِ اليَهودُ صِفاتِهِ ثمَّ امْتَرَوْا ... فيهِ وأُمَّتُهُ رأَتْهُ فما امْتَرَتْ

٣٠ - عَيْنٌ رَأَتْهُ وما اهْتَدَتْ لِرَشادِها ... بِضياءِ غُرَّةِ وَجْهِهِ، لا أَبْصَرَتْ!

٣١ - ومَحاجِرٌ كُحِلَتْ بِنُورِ وِدادِهِ ... قَرَّتْ بِنُورِ مُرادِها وتَظَفَّرَتْ

٣٢ - يا مَنْ ظِلالُ المَكْرُماتِ بِهِ نَمَتْ ... وَصَفَتْ مَشارِبُ بالضَّلالِ تَكدَّرَتْ ١١/أ

٣٣ - وبنُورِ بَهْجَتِهِ انجَلَىٰ غَسَقُ الدُّجَىٰ ... وبهِ السَّحائِبُ فى الجَدائِبِ أَمْطَرَتْ

٣٤ - والماءُ أصْبَحَ من أصابِعِ كَفِّهِ ... يَهْمِى فأوْرَدَتِ الظِّماءُ وأَصْدَرَتْ

٣٥ - ولهُ لِواءُ الحَمْدِ والحَوْضُ الرِّوَىٰ ... ولهُ المَقامُ ومُعْجِزاتٌ أُغْزِرَتْ

٣٦ - عَطْفًا عَلَىٰ نَفْسٍ إلىٰ خَلاَّقِها ... بِكَ فى الخُطوبِ تَوَجَّهَتْ واسْتَنْصَرَتْ

٣٧ - لَيْسَتْ تَشُكُّ بأنَّ مَدْحَكَ قُرْبَةٌ ... بِسَنَاهُ أوزانُ القَرِيضِ تَنَوَّرَتْ

---

(٢٨) ذى المعارج: الله عز وجل، قال تعالى: ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ المعارج / ٣ .والمعارج: مواضع صعود الملائكة، وهى السماوات [انظر تفسير الجلالين للآية، ص ٧٥٨].

(٢٩) امتروا: شَكُّوا.

(٣١) محاجر: عيون. قَرَّت: اطمأنت وفرحت. تظفَّرت: فازت وأفلحت.

(٣٢) صَفَتْ: من الصفاء. يقول: يا من كثرت به المكارم، وأصبحت منابع الإيمان صافية بعد أن كدَّرها الضلال.

(٣٣) غسق الدجى: شدة الظلام. الجدائب: أوقات الجدب والجفاف.

(٣٤) يهمى: ينزل بغزارة. أوردت: جاءت إلى مورد الماء. أصدرت: شربت ثم رجعت. الظماء: العطاش، وسبق ذكر حديث نبع الماء من أصابعه ﷺ فى البيت رقم (٤٧) من البائية الأولى.

(٣٥) لواء الحمد: راية يحملها النبى ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: «أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدى» [سنن التِرمذى، كتاب المناقب، حديث رقم ٣٥٤٣،٣٥٤٨]. المقام (يعني المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى الذى جاء فى قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء / ٧٩ . وقد عقد الإمام البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه بابًا لتفسير هذه الآية الكريمة، وأورد فيه قوله ﷺ: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا (أى جالسين على ركبهم)، كل أمة تَتْبَع نبيَّها، يقولون: يا فلانُ اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود» [الفتح ٨/ ٢٥١ ، ٢٥٢ حديث رقم ٤٧١٨] قال ابن حجر العسقلانى: المراد بالمقام المحمود: أخذه بحلقة باب الجنة، وقيل: إعطاؤه لواء الحمد، وقيل جلوسه على العرش، وقيل: شفاعته.

(٣٧) سناه: نوره. القريض: الشعر.

٣٨ - ولقـــدْ دَرَتْ وتيَــقَّنَتْ أنْ لوْ بَغَتْ حَصْرًا لِبَعْضِ الفَضْلِ فيكَ لَقَصَّرَتْ

٣٩ - لكنَّهـــا لِعَظيمِ جـــاهِكَ تَرْتَجى فى حـــالَتَيْـــهـــا أقْــبَلَتْ أو أدْبَرَتْ

٤٠ - فَكُنِ الشَّــفِــيعَ لهـا لِتُنْجِـيَـهـا إذا عَلِمَتْ غَـداةَ مَـعـادِهَا ما أحْـضَـرَتْ

٤١ - فَـلأنْتَ منْ أقْـسـامِـهـا العُظْمَىٰ إذا مـــا نَابَهـــا قَـــتَـــرٌ وإمَّـــا أقْــتَــرَتْ

٤٢ - فـجُـزِيتَ أفـضَـلَ مـا يُجـازَى مُـرْسَلٌ عَـنْ أُمَّـــةٍ رَشَـــدَتْ بهِ وتَبَــــرَّرَتْ

٤٣ - حَــيَّتْ جَنابَكَ نَفْـحَـةٌ قُـدُسِـيَّـةٌ فـى كُـلِّ يَـومٍ أَيْـنَ حَـلَّـتْ عَـطَّـرَتْ

٤٤ - ونَـمَتْ بهِ مِنْ ذِى العُـــلاَ بَرَكَـــاتُهُ وزَكَــتْ بـهِ صَـلَـواتُـهُ وتَـكَـرَّرَتْ

*****

---

(٣٨) بَغَتْ : أرادت .

(٤٠) غداة معادها : يوم بعثها . ما أحضرت : ما عملت، يشير إلى قوله تعالى :﴿ **عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ** ﴾ التكوير / ١٤ .

(٤١) أقسامها : حظوظها . نابَها : أصابها . قَتَر : غُبْرة يعلوها سوادٌ كالدخان، تعلو وجوهَ الكفرة الفجرة يوم القيامة . وإمَّا : وإنْ، « ما » زائدة . أقترت : أصابها الإقتار، وهو الفقر وضيق العيش .

(٤٢) تبرَّرَت : أصبحت من الأبرار، أى الأخيار .

قافية الثاء

نظم الشاعر قصيدتين طويلتين نسبيًّا على هذا الروى الصعب، بلغت أولاهما (٨٠) ثمانين بيتًا، والثانية (٣٥) خمسة وثلاثين بيتًا . وكأن شاعرنا الصرصرى يريد أن يتفوق على أبى العلاء الذى نظم لزومياته على جميع حروف المعجم، لكنه لم يزد على مقطوعات قصار فى القوافى التى يسميها (الحُوش) أى التى تحتوى على ألفاظ حوشية صعبة لكونها تنتهى بأحرف كالثاء والضاد والظاء والذال [انظر : مقدمة أبى العلاء للزومياته، وراجع قوافى الثاء والذال والظاء والغين من اللزوميات].

بيد أن صنيع الصرصرى هذا أساء إلى القصائد التى نظمها على مثل هذا الروى الصعب، وذلك لاضطراره إلى اللجوء إلى الألفاظ الغريبة التى تبدو كالطلاسم والأحاجى، وتحتاج إلى مراجعة المعجم فى نهاية كل بيت!

الثائية الأولى

(عدتها ٨٠ - الطويل الثانى)

والشاعر فى هذه القصيدة يتبع خطا الشعر القديم إلى حد المطابقة معه، فالقصيدة تبدأ بالوقوف على الطلل، وذكر الديار التى عفاها البلى والقدم منذ رحل عنها أهلها، ثم بالغزل ، ولأول مرة نجد شاعرنا يذكر امرأة تدعى « أم مالك »، ثم يتخلص إلى ذكر عهود الصبا وما كان فيها من عيش مع رفاق شجعان لا تفارقهم سيوفهم، ثم يتخذ واحداً من هؤلاء الرفاق وسيلة للتخلص إلى مدح النبى ﷺ، فينصحه باللجوء إلى حماه من النائبات والكوارث.

تتناول القصيدة المحاور الآتية :

- وقفة على الأطلال البالية .
- ذكر أم مالك ودعاء لأطلالها بالسقيا.

- حنين إلى عهود الصبا والشباب .
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مغازيه وشجاعته فى الحروب وتأييد الله - عز وجلّ - له .
- حصار الترك لبغداد وارتدادهم عنها .
- رجاء بالنصر فى الكرَّة القادمة .
- عود إلى مدح النبى ﷺ وذكر جهاده وبعض معجزاته وخصائصه .
- دعاء بالسقيا لقبر النبى ﷺ وقبور صحابته الكرام ونسائه الطاهرات .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لِمَنْ طَلَلٌ دُونَ الرُّبَا فَالنَّبائِثِ ... يُعَفَّىٰ بأيدِى العاصِفاتِ الغَوائِثِ

٢ - تَمَشَّتْ بِهِ الرُّبْدُ النَّوافِرُ مُذْ خَلا ... من الخَفِراتِ الآنِساتِ الأنَائِثِ

٣ - وقفْتُ بِهِ مُسْتَعْبِراً بعْدَ فتيَةٍ ... أُحادِثُهُ لو قَدْ أَوَىٰ لِمُحادِثِ

٤ - أَشُمُّ الثَّرىٰ منْهُ وأمْسَحُ تُرْبَهُ ... كَمسْحِ رءُوسِ الطِّفْلِ أَيْدِى الرَّوامِثِ

٥ - فما زادَنِى إلاَّ أسًى سُوءُ مَنْظَرِى ... إِلىٰ ما عَرَاهُ مِنْ حُلُولِ الحوادِثِ

٦ - تعاقَبَ فيهِ الأربَعُ الهُوجُ فانْمَحَىٰ ... سِوَىٰ النُّؤْىِ منْهُ والثَّلاثِ المَواكِثِ

٧ - ولولا جَوًى فى القَلبِ لمْ أُلْفَ واقفًا ... عَلىٰ كُثُبٍ لا تَسْتَجيبُ عَثاعِثِ

٨ - ولا هَاجَنِى رَبْعٌ مُحيلٌ ولا شَجَىٰ ... فُؤادِىَ وادٍ ذُو غَضًا وعَنَاكِثِ ١١/ب

٩ - سَقَىٰ معْهَداً أضْحَتْ بِهِ أمُّ مالكٍ ... بِوادِى النَّقَا صَوْبُ العِهادِ البواعِثِ

١٠ - بكلِّ حَيًا واهِىَ العَزَالِى مُجَلْجِلٍ ... مُرِبٌّ بأرجاءِ الرماثِ الأباعِثِ

---

(١) الطَّلَل: بقايا الديار. الرُّبا: موضع بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣/ ٢٥].
يُعَفَّي: يمحى أثره. العاصفات الغوائث: أراد بها الرياح.

(٢) الرُّبْدُ: النعام. النوافر: التى نُفِّرت - أى أزعجت - من مكانها. الخفرات: الخجولات. الأنائث: جمع أنيث، وأنيث مبالغة فى الأنثى.

(٣) مستعبراً: باكيا. بعد فتية: كذا فى الأصل، ولعله: بعد فينة، أى بعد حين. أوى لمحادث: استمع إليه.

(٤) الطفل هنا جمع جنس، الروامث: الماسحات بأيديهن على رءوس الطفل عطفًا وحنانًا.

(٥) منظرى: مصدر ميمى، بمعنى: نظرى.

(٦) الأربع الهوج: الرياح الأربع العاصفة، وهى الدَّبُور والقَبولُ والصَّبا والنكباء. النؤى: حفر تحفر حول أطراف الخيمة ليتجمع فيها ماء المطر. الثلاث المواكث: الحجارة الثلاثة التى كانوا ينصبون القدْر فوقها.

(٧) جوى: شدة الوَجْد من العشق. لم أُلْفَ: لم يجدنى أحد. كثب: تلال، جمع كثيب. عثاعث: جمع عَثْعَث، وهو الكثيب الذى لا نبات فيه.

(٨) هاجنى: أثار شوقى. مُحيلٌ: متغيِّر، قد تحوَّل عما كان عليه من خصب فأصبح مقفَراً وارتحل عنه أهله. شَجَى: أحزن. ذو غضا: فى الأصل: ذى غضا، وهو خطأ نحوى؛ لأنه صفة (واد) وهو فاعل (شَجَى)، والغضا: من شجر البادية. عناكث: نوع من النبات.

(٩) وادى النَّقاً: واد قريب من المدينة [وفاء الوفا ٤ /١٣٢٢]. صَوْبُ: المطر الشديد يصحبه صوت. العهاد: الأمطار المتتابعة. البواعث: التى تُحيى الأرض وتبعث فيها الخضرة والزرع.

(١٠) حيا: مطر. (واهى العزالى)، ولعله: (داهى العزالى) كذا فى الأصل، أى شديد المطر مرِبٌّ: غزير المطر. الرماث: مراعى الإبل. الأباعث: التى بعثها المطر فأحيا مواتها.

١١ - إلىٰ أنْ تَرَىٰ الغُـدْرانَ مُـفْـعَـمَـةً به — وتَسْـمَعَ فى الوادى جَـهِـيـرَ المَـدَالِث

١٢ - فَـرَفَّ به النُّوَّارُ مُـخـتَـلفَ الحُلَىٰ — ومَـاسَ به بَقْلُ البِـقَـاعِ الأنابِث

١٣ - وأنْبَتَ فـيـه مـا تَظَلُّ عِـشـارُهُ — رواتِـعَ فـى جَـنَّـاتـه والحَـرائِـث

١٤ - وتُضْحى به شاءُ **المُقْتِر** حُفَّلاً — ويَمـلأُ رِفْـدَ البـيـت فـضـلُ الرَّواغِث

١٥ - فَلى بمَـغَـانيـه عُـهـودٌ قـديمـةٌ — فَهَلْ لى إليْـهـا من عُـهـودٍ حـدائِث

١٦ - تَمَلَّكَ قَلْبى فـيـه شِنْشِنَةُ الصِّبَـا — وكَمْ بعْـدَ شَيْـبى لى به منْ شنائِث

١٧ - يَكَادُ إليـهـا الشَّـوْقُ أنْ يَسْـتَـفِـزَّنى — ويَصْـرِفُنى عَنهُ صُـروفُ الدَّثائِث

١٨ - عَلىٰ أنَّنى مـا خُنْتُ عـهْـدًا ولم تَكُنْ — حَبَـائِلُ شَـوْقى نَحْـوَهُ برثائِث

١٩ - ومُنْخَـرِق السِّـرْبال يخـتَـرِقُ الفَـلا — ويُقْـدِمُ إقْـدامَ الشُّـجـاعِ الدُّلاهِث

٢٠ - حُـسـامٌ طويلُ السَّـاعِـدَيْن شَـرَنْبَثٌ — لهُ بَطْشُ دِلْهـاثٍ هَصُـورٍ شُـرابِث

٢١ - جَـرِىءٌ إذا لاقَىٰ يُرى خَـصْـمَـهُ الرَّدَىٰ — إذا صـالَ فى أنْيـابه والمـضـابِث

٢٢ - تَسَـاوَتْ وحُـوشُ البَـرِّ فى الأُنْس عِنْدَهُ — فَـضِـيـرانُهـا كـالعَـاويات العـوائِث

---

(١١) جهير: مرتفع الصوت. المدالث: السيول، وصفها بالجهير لإفادة قوة الانصباب والغزارة.

(١٢) رفَّ: برق وتلألأ. النُّوار: الأزهار. ماس: تمايل طربًا. الأنابث: ما يستخرج من البقل المدفون فى التراب.

(١٣) عشاره: جمع عُشَراء، وهى الناقة التى مضى على حملها عشرة أشهر. رواتع: تَرْتَع، أى ترعى فى مرعى خصب. الحرائث: المزارع والمراعى.

(١٤) شاء: جمع شاة، وهى الواحد من الغنم ذكرًا أو أنثى. المُقَتِّر هنا بمعنى: الفقير. حُفَّلاً: ممتلئات الضروع باللبن. رِفْد: قدح ضخمٌ يُحلَب فيه اللبن. الرواغث: جمع رَغُوث، وهى الشاة المرضع، وفَضْلها: ما بقى من لبنها بعد إرضاع ولدها.

(١٦) شنشنة: طبيعة وسجيَّة. شنائث: لعله من (شَنِثَ) البعير، إذا خشنت مشافره من أكل النباتات الخشنة كالشوك.

(١٧) يستفزنى: يستخفنى. صروف: تقلُّبات الحوادث. الدثائث: الآلام والأوجاع.

(١٨) رثائث: رثَّة، أى بالية ممزقة، يقول: ليس شوقى إليه بضعيف.

(١٩) منخرق: ممزَّق، مجرور بـ «رُبَّ» المحذوفة. السربال: القميص والدرع وكل ما يلبس. الفلا: الصحارى، جمع فلاة. الدُّلاهث: الجرىء المُقدم الشجاع.

(٢٠) حسام: سيف قاطع. شرنبث: قوىٌّ شديد، ومثله شَرابث. دِلْهاث: أسد. هصور: صفة للأسد، أى الأسد الشديد المفترس.

(٢١) الرَّدَى: الموت. صال: وثب وقاتَلَ. المضابث: مخالب الأسد.

(٢٢) ضيران: وحوش مفترسة، جمع ضارٍ. العاويات: الذئاب. العوائث: التى تعيث فى الأرض، أى تُفْسد.

٢٣ - يَخُـوضُ أَهَاوِيلَ الدُّجىٰ بجُـلاعـدٍ أمون السُّرَىٰ بَادى النَّشاط حُثاحث

٢٤ - صَـبُـورٍ عَلىٰ الأيْنِ المُـبَـرِّحِ والوَجَىٰ يَهِفُّ هَفِـيـفًـا كـالرِّئال النَّوافث

٢٥ - يحَـثْـحِـثُـهُ حَـتَّىٰ يَنالَ مُـرادَهُ وطالبُ أسـبـاب العُـلا ذو حَثاحث

٢٦ - نَصَحْتُ لَهُ نُصْحًا بَريعًا من القَذىٰ إذا شَابَ قَـوْمٌ نُصْحَـهُـمْ بالعَـبـائث

٢٧ - فـقُلتُ لَهُ: إنْ رُمْتَ أَمْنًا وعـزَّةً فـعُـذْ منْ عَـوادى النَّائبـات الكوارث

٢٨ - بأفْـضَلِ مَـبْـعـوثٍ إلىٰ خَـيـرِ أُمَّـةٍ بخَـيْـرِ كـتَـابٍ جـاءَ من خَـيـرِ باعث

٢٩ - وأَيْمَنِ مَـولُودٍ وأكْـرَمِ مُـرْضَعٍ يَدرُّ لهُ ثَدْىٌ وأنْجَبِ مـارث ١٢/أ

٣٠ - وأجْـمَلِ مَن عـايَنْتَ فى يَمَنيَّـةٍ وأَحْـسَنِ خَلْقٍ للعِـمـامَـةِ لائث

٣١ - وأعْظَمَ بِشْـرًا للعُـفـاة يُقـابلُ الـ ـنَّزيلَ بأخْـلاقٍ حِـسـانٍ دَمـائث

٣٢ - وأكْـرَمِ مَـأمـولٍ لِوَفْـدٍ تَوجَّـهَـتْ إليـه نَجـيـبـاتُ المَطَايَا الحثـائث

٣٣ - تَرُوحُ بطانًا نَحـوَهُ ثُمَّ تَغْـتَـدى لهـا بعَطاياهُ وَئِيـدُ الحـوائث

٣٤ - أبى القاسِمِ الهادى البَشيرِ مُحَمَّدٍ سَليلِ الكرَامِ الأَطْيَـبِـينَ المَـلاوث

---

(٢٣) أهاويل: أهوال. الدجى: الظلام. جُلاعد: جمل قوى شديد. أمُون: قوي الخَلْق يُؤْمَن عليه من الإعياء والتعب. السُّرَى: السير. حثاحث: سريع.

(٢٤) الأيْن: التعب. المبرِّح: الشديد. الوجى: داء يصيب أخفاف الإبل. يهفُّ: يسرع فى سيره. الرئال: النَّعام. النوافث: التى تنفخ فى تنفسها من شدة الجرى.

(٢٥) يحثحثه: يُسرع به. حَثاحث: سرعة وحركة دائمة.

(٢٦) القذى: اسم جامع لكل ما يؤذى ويؤدى إلى الفساد. العبائث: الخلط بين الجد والهزل.

(٢٧) رُمْتَ: أردتَ. عُذْ: الجأ إلى الله. العوادى: الشدائد والمحن. النائبات: المصائب. الكوارث: الشديدة الشاقة.

(٢٨) بأفضل: الباء متعلقة بالفعل (عُذْ) فى عجز البيت السابق.

(٢٩) أيمن: من اليُمن، أى البركة. يَدرُّ: ينزل منه اللبن بغزارة. مارث: شارب، وهو مختص بشرب الرضيع من ثدى أمه.

(٣٠) عاينت: رأيت. يمنية: بردة يمنية. لائث: مشتق من (لاثَ) العمامة، أى لفَّها حول رأسه.

(٣١) بشراً: فرحًا وسروراً. العُفاة: الفقراء. النَّزيل: الضيف. دمائث: طيبة.

(٣٢) المطايا: الإبل. الحثائث: السريعة.

(٣٣) تروح: تذهب. بطانًا: ممتلئة البطون، وهو كذا فى الاصل، ولعله: خماصًا أى جياعًا ضامرة البطون. تغتدى: تعود. وئيد: ثقيل الحركة عالى الصوت. الحوائث: ثقل الحركة من السِّمَن والشِّبع.

(٣٤) الملاوث: الأشراف.

٣٥ - أعَـزِّ الوَرَى بَيْـتًـا وأشْـرَف عُنْصَـرًا ... وأطْهَـر عِـرْضًـا من عَـمِـيـرَة مَـالِـث

٣٦ - بَنَىٰ لِبَنِى سَـام مَنارًا سَـمَـوْا به ... حِـمىٰ آل حـام فى الفَـخَـار ويافث

٣٧ - تَـسَنَّـمَ مِـنْ عِـــزِّ المَـنـاقِب ذُرْوَةً ... أَبَىٰ شَـأْوُها أنْ يَسْـتَكِينَ لِضَـابِث

٣٨ - تَخَـيَّـرَهُ الرَّحـمٰـنُ من آل هاشمٍ ... صـفـيًّـا نبـيًّـا وارثًا خَـيْـرَ وارِث

٣٩ - أمـينًا عَلىٰ وَحْيِ السَّمـاء مُـؤيَّدًا ... بريح صَـبًـا فى الحَـرْب ذات بثـابِث

٤٠ - ورُعْب عَلىٰ مِـقْـدارِ شَـهْـرٍ مَسِـيرُهُ ... مُـخـالِط أحْـشاء الكَمِىِّ المُـغـالِث

٤١ - وأنزَلَ أمْـلاكَ السـمــاء لِنَصْـرِه ... عَلىٰ كُلِّ خـوَّانِ السَّـريرَة ناكِث

٤٢ - وآزَرَهُ فى كُلِّ هَيْـجـاءَ عِـزَّةً ... بِأصْحابه الشُّوسِ الكُماة المَمارِث

٤٣ - بكُلِّ كَـريم الأصلِ شَـهْمٍ مُـهـاجِـرٍ ... وأنْصـارِه المُـوفِـينَ عَـهْـدَ النَّكائِث

٤٤ - هُمُ حَـفظوا مِـيـثـاقَـهُ فى حَـيـاته ... وفى مَـوْته لم يَنقُـضـوا عَـهْـدَ والِث

٤٥ - ولمَّـا أتَىٰ الأحـزابُ بَدَّدَ شَـمْلَهُمْ ... بـريـحٍ وجُـنْـد قـــاهِرٍ لِلولائِث

٤٦ - ويومَ حُنَيْنٍ حِـينَ جـاءتْ هَوَازِنٌ ... بكُلِّ غَـوِىٍّ ذى شَـدَاة مُـلابِث

---

(٣٥) العميرة : الثوب القوى والنسج . مالث : مطيِّب .

(٣٦) سام وحام ويافث : أبناء نوح عليه السلام، وإليهم تنسب السلالات البشرية، والعرب من بنى سام .

(٣٧) تسنَّم : ارتقى الذروة . شَأْوُها : غايتهـا وقدْرها . يستكين : يخضع ويذلّ، وفى الأصل (يستكنّ) وهو تصحيف . ضابث : قاهر معتدٍ .

(٣٩) بثابث : عواصف وغبار شديد .

(٤٠) الكَمِىّ : المغطَّى بالدروع . المغالث : شديد القتال .

(٤١) خوَّانَ : مبالغة (خائن) . السريرة : الضمير . ناكث : غادر بعهده .

(٤٢) آزره : أعانه ونصره . هيجاء : حرب . الشُّوس : الكرام . الكماة : جمع كمىّ، وهو المغطَّى بالسلاح . المَمَارث : جمع ممْرَث، وهو الشديد الصبور على الخصام والقتال .

(٤٣) النكائث : الأمور الجليلة ذات الخطر . (٤٤) والث : معاهد .

(٤٥) بدَّد شَمْلَهم : فرق جَمْعَهم . الولائث : العهود المبرمة بين الأحزاب . يشير إلى ما أصاب جيوش الأحزاب كما نصت الآية الكريمة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾ الأحزاب / ٩ .

(٤٦) هوزان : قبيلة عربية كبيرة، ويوم حنين يسمى أيضًا : يوم هوزان . غوىّ : ضال . ذى شداة : ذى قوة . ملابث : يلبث فى القتال أمام خصمه ولا يفر، يقول : جاءت هوازن بكل فارس قوى صبور على القتال .

٤٧ - فَـوَلَّوْا عَلىٰ الأعْـقَـاب حـيـنَ رَمَـاهُـمُ فَـأَعْـشَـاهُـمُ مِنْ قَـبْـضَـةٍ من كَناكِثِ

٤٨ - وفى عَـصْـرِنا جَـاءَتْ إلَيْنا عـصـابةٌ من التُّـرْك تَعْـوى كـالكلاب اللَّواهث

٤٩ - يَرُومُـــونَ منْ بَغْـــدَادَ رأيًا فـــادْبَروا بوَعْـــدٍ وَفِيٍّ مُنْجَـــزٍ غَـــيْـــرِ نـاكِـث

٥٠ - وأرْجُـو لِـمَـا يُسْـتَـقْـبَلُ النَّصْـرَ واثِـقًا بذلكَ فى دَفْعِ العُـدَاة الأخـابث ١٢/ب

٥١ - هوَ الأوَّلُ الـمُـخْـتـارُ أفـضَلُ مُـرْسَلٍ هوَ الآخِـرُ المَـبـعـوثُ خَـيْـرُ الأباعث

٥٢ - أتىٰ بصـراطٍ مُـسْـتَـقـيـم من الهُـدَىٰ لَهُ نَبَـــأٌ بادى البَـــيَـــان لبـــاحث

٥٣ - فـصـادَفَ عُـمْـيًـا يَعْـمَـهـون قُلُوبُهُمْ من الغَىِّ غُلْفٌ تابعى كُلِّ عـــائثِ

٥٤ - يَتـيـهـونَ فى دَيْمـومَـةٍ مُـدْلَهِـمَّـةٍ يَطُوفـونَ بالأحـجـارِ تَطْوَافَ عـابث

٥٥ - فـأخْـرَجَـهُـمْ من ظُلْمَـة الجَـهْلِ نُورُهُ وأنْقَـذَهُـمْ منْ مُـوبقَـات الهَـثَـاهِث

٥٦ - أحَلَّ لَهُـمْ مـــا طَابَ منْ كُلِّ مَطْعَمٍ وخَصَّ بتَـحْـريمٍ جَـمـيعَ الخَـبَـائث

٥٧ - وَعَلَّمَـــهُـمْ سَـبْـعًـــا مَـثَـانِىَ آذَنَتْ بمَـحْقِ مَـثَـانِى لَهْـوِهِمْ والمَـثَـالِث

٥٨ - وَنَـزَّه رَبَّ العَـــــرْشِ عنْ والـدٍ وعـنْ قَـــــرِينٍ ومَـــــوْلُودٍ وثـانٍ وثـالـث

٥٩ - وبَلَّغَ تَبْليغَ النَّصـــيحِ وجـــاهَدَ الْـ ـعُداةَ أُولى التَّكْذيبِ مأوَىٰ الغَثَائث

---

(٤٧) أعْشَاهم: أعمَى أبصارهم. كناكث: رمل.

(٤٩) يرومون من بغداد رأيًا: يَنْوون لها خُطَّةً، ويدبرون لها شرًّا.

(٥٣) يَعْمَهون: لا يهتدون، فهم ضالُّون حائرون. الغَىّ: الظُّلم. غُلْف: صمَّاء لا ينفذ إليها الهُدَى. عائث: مُفْسد.

(٥٤) يتيهون: يتحيرون. ديمومة: مصدر (دَامَ). مدلهمة: مظلمة. أى هم فى حالة دائمة من التخبط والحيرة والضلال.

(٥٥) موبقات: مُهْلكات. الهثاهث: الفساد والظلم.

(٥٧) السبع المثانى: سورة الفاتحة؛ سميت بذلك لأنها تثنى فى كل ركعة. روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال: «أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم»، وفى رواية أخـرى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بدل «أم القرآن» [الفتح ٨/٢٣٢ ، كتاب التفسير، الحديثان رقم ٤٧٠٣، ٤٧٠٤].

آذنت: أعلمت وبيَّنت. محق: إبطال ومَحْو. المثانى والمثالث: من أوتار العود. يقول: إن النبى ﷺ جاء بالقرآن العظيم الذى أبطل المزامير والمعازف، كما أن نفوس المؤمنين به تأنس إليه أكثر مما تأنس للعود وأوتاره وأنغامه.

(٥٩) العداة: الظالمون. الغثائث: كل ما هو ردىء فاسد.

٦٠ - وأطْفَأَ نيرانَ الضَّلالَةِ فانْمَحَتْ   مَعالِمُها وانْجابَ لَيْلُ الهنابثِ

٦١ - وأضْحَتْ شُموسُ الحَقِّ مُشْرِقَةَ السَّنَا   قَد اتَّضحَتْ آثارُها للمباحِثِ

٦٢ - وفى الزُّبُرِ الأولَىٰ تبَيَّنَ فَضْلُهُ   لِكُلِّ عَليمٍ بالدَّلائلِ نابِثِ

٦٣ - لَهُ خَمَدَتْ نيرانُ فارِسَ بعْدَ ما   غَدَتْ حُقُبًا مَحْشُوشَةً للأخَاوِثِ

٦٤ - وإيوانُ كِسْرَىٰ انْشَقَّ عندَ وِلادِهِ   فأَصْبَحَ ذا هَمٍّ مِنَ الرُّعْبِ كارِثِ

٦٥ - وأرْسَلَ ذو العَرْشِ النُّجومَ لِبَعْثِه   عَلىٰ كُلِّ شَيْطانٍ عَنِ الحقِّ رائِثِ

٦٦ - وما زالَ مَحْفوظًا رَضِيعًا وناشِئًا   إلىٰ أنْ وقَاهُ اللّٰهُ كَيْدَ النَّوافِثِ

٦٧ - وَقَبْلُ وقَاهُ اللّٰهُ فى أرْضِ مَكَّةٍ   أَذَىٰ كلِّ حَلَّافٍ مِنَ القَوْم حَانِثِ

٦٨ - إِلَى أنْ تَرَدَّوْا يَوْمَ بَدْرٍ أَذِلَّةً   بِقَعْرِ قَليبٍ للأَساوِدِ مائِثِ

٦٩ - وأَقْبَلَ يَومَ الفَتْحِ نَحْوَ دِيارِهِمْ   بِجَيْشٍ لأكْبَادِ المُعادينَ فارِثِ

٧٠ - ومِنْ قَبْلِها سَلْمانُ طَالَ لأَجْلِه   تَطَلُّبُهُ لا يَسْتَرِيبُ بِحادِثِ

٧١ - فلمَّا رآهُ عَايَنَ الحَقَّ فاهتَدَى   وَنَجَّاهُ من رِقٍّ بغَرْسِ الحَرائِثِ ١٣/أ

---

(٦٠) انجاب : انقشع وذَهَب . الهنابث : الشدائد ، واختلاط الأمور وفسادها .

(٦١) للمباحث : لمن يبحث وينقِّب .

(٦٢) الزُّبر الأولى : كتاب داود عليه السلام . نابث : باحث عن الأمور الخفيَّة .

(٦٣) من دلائل نبوته ﷺ خمود (أى انطفاء) نار الفرس ، وسبق تحقيق ذلك فى البائية الأولى . حقبا : أزمنة طويلة . محشوشة : موقدة . الأخاوث : الذين امتلأت بطونهم وسمنوا ، كناية عن النعمة والثراء والطمع .

(٦٤) ولاده : ولادته ﷺ . كارث : شديد شاق .

(٦٥) رائث : مُبْطِئٌ لا يسرع إلى الحق .

(٦٦) النوافث : السَاحرات .

(٦٧) حانث : كاذب فى يمينه .

(٦٨) تردَّوا : هلكوا . بقعر قليبٍ : بقاع بئر . الأساود : الحيَّات . مائث : يُذيب الحيَّات من شدته وقسوته .

(٦٩) فارث : ممزِّق .

(٧٠) لا يستريب : لا يشك . وسبق ذكر قصة إيمان سلمان الفارسى ، فى البائية الأولى .

(٧١) الحرائث : الأرض المحروثة . يشير إلى ما كان من أمر نجاة سلمان الفارسيِّ من الرق ، بما غرسه له بيده الكريمة من النخل ، وقد قال سلمان رضي الله عنه : « فو الذى بعثه بالحقِّ ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة (أى نخلة صغيرة) [مسند أحمد ٥ /٤٣٨ : ٤٤١] وكان هذا النخل ثمنا لتَحريره من الرق .

٧٢ - وأرضَىٰ العَــديدَ الجَمَّ منْ زَاد جــابرٍ ... وكـــانَ يَســـيــرًا مــثلَ أُكْلَة رَائث

٧٣ - ولَوْ رُمْتُ حَـصْـرًا للقــوافى بفَـضْـله ... لَضـاقَتْ أعـاريضُ القَـوافى البـواحث

٧٤ - ولَكنْ ذَكَـرْتُ البَـعْضَ أطْلُبُ جَـاهَهُ ... ليــومٍ شَــديدٍ مُظْهِــرٍ للخَــبــائث

٧٥ - ومـــا مَـــدْحُـــهُ إلا مَـــزيدٌ وقُـــرْبَةٌ ... ومَـدْحُ بَنى الدُّنْيـا حَكَىٰ هُجْـرَ رَافث

٧٦ - سـقَىٰ قَـبـرَهُ الرَّحْبَ الـشَّـريفَ وجَـادَهُ ... سَـحَــائبُ للرِّضْـوان غـيــرُ دَثائث

٧٧ - ورَقَّتْ رياضُ الأُنْسِ فـى جَنَبــــاته ... فَـأَرْبَتْ علىٰ نَبْت الرِّياض الحُـثَـاحث

٧٨ - وصَـبَّـحَـهُ الرَّحْـمٰـنُ فى كُلِّ بُكْرَةٍ ... بنُورِ رِضًـــا بَيْنَ الصَّـــفــائح لابث

٧٩ - وعَمَّ قُــبــورَ الأكْــرَمــينَ صِـحَــابه ... بكلِّ غَـــمـــامٍ بالمَـــواهب غـــائث

٨٠ - وعِـــتْـــرته والطَّاهرات نِســـائه الـ ... ـلَّواتى جـمـيـعًـا كُنَّ غَـيْـرَ خَـبـائث

*****

---

(٧٢) الجمّ: الكثير. أكلة: لقمة. رائث: من الرَّوْث وهو الفضلات، يريد: كان قدر هذا الطعام كافيا لإطعام شخص واحد. يشير فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - من تكثير طعامه الذى صنعه للنبى ﷺ، وكان هذا الطعام يكفى نفراً دون العشرة، فأكل منه جنود الخندق حتى شبعوا أجمعون وكان عددهم ألفاً، ثم تركوه وبقى الطعام كما كان [الحديث فى: الفتح، كتاب المغازى ٧ / ٤٥٦ ، ٤٥٧].

(٧٣) أعاريض القوافى: يعنى بها أوزان الشعر وأنواع قوافيه. البواحث: أى التى تبحث وتدقِّق وتسجِّل كل شاردة وواردة، فمهما قيل من أشعار لن تكفى لحصر فضله ﷺ.

(٧٥) حكى: أشبه. هُجرْ: فحش وبذاءة. رافث: من الرَّفث، وهو الفحش أيضاً.

(٧٦) جاده: سقاه. الدثاث: المطر الضعيف [انظر: الصحاح] والمقصود بـ « دثائث »: قليلة المطر.

(٧٧) أربَتْ: زادت. الحثاحث: المتحرك، كناية عن ازدهاره ونضارته.

(٧٨) الصفائح: الصخور، أراد بها قبر النبى ﷺ. لابث: دائم مستقر.

(٧٩) المواهب: الخيرات. غائث: ممطر.

(٨٠) عترة النبى ﷺ: آل بيته رضوان الله عليهم.

الثائية الثانية

(**عدتها ٣٥** - البسيط الأول)

هذه القصيدة كسابقتها فى جفاف الألفاظ وصعوبتها، خاصة كلمات القافية، وهى فى مجملها تعبير عن أشواق الشاعر إلى أرض الحجاز وسلع والعقيق، وطيبة (المدينة المنورة) التى احتوت قبر النبى ﷺ، ثم مدح للنبى ﷺ وجهاده فى الله حتى انتشرت دعوة الحق وبيَّن للناس معالم الدين، ويختتم بتوسل إلى النبى ﷺ أن يسأل الله له الإحسان والمغفرة، وصلاة دائمة شاملة عليه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَالِى أراكَ إذا نَفْحُ الصَّبْا عَبَثا ... بالرَّنْد أطْلَقْتَ مِنْ جَفْنَيْكَ ما ارْتَبَثا

٢ - أهزَّ عِطْفَيْكَ مِنْهُ - سُحْرةً - طَرَبٌ ... أمْ فى فُؤادكَ سَحَّارُ الأَسَىٰ نَفَثا

٣ - أَضْنَاكَ نَشْرُ الصَّبْا إذْ مَرَّ مُخْتَلسًا ... أَبْقَىٰ بِقَلْبِكَ ما أَبْقىٰ وما لَبِثا

٤ - أَإنْ ذكرتَ عُهُودًا بالحِمَى قَدُمَتْ ... شَجَاكَ مِنْ لاعِجِ الأشواقِ ما حَدُثا

٥ - وَاهًا لِظَمْآنَ مِنْ وِرْدِ الحِمَىٰ سَغِبٍ ... لَوْ حَلَّ بالشِّعْبِ لم يَظْمَأْ ولا غَرِثا

٦ - مُذْ عاقَدَتْهُ علىٰ حِفْظِ الوِدادِ لَهُ ... يَدُ الصَّبابَةِ والتَّبْريحِ ما نَكَثا

٧ - آلَىٰ بما عَظَّمَ الأحْبَابُ مِنْ قَسَمٍ ... أنْ لا يَخُونَ لَهُمْ عَهْدًا فَما حَنَثا

٨ - إذا تَذَكَّرَ أيَّامَ العَقِيقِ بَكَىٰ ... فلو رآهُ عَذُولٌ كاشحٌ لَرَثَىٰ

٩ - هَلْ لِى بساحةِ سَلْعٍ وَقْفَةٌ تَضَعُ الْـ ... أثقالَ عَنِّى وتَمْحُو الهَمَّ والتَّفَثا

١٠ - فى فِتْيَةٍ نُجُبٍ زُهْرٍ لَهُمْ هِمَمٌ ... سَيَّارةٌ بالمَعَالِى تَسْبِقُ الجُثَثا

---

(١) الرند : نوع من الزهر . ارتبث : حُبس .

(٢) سُحْرَةً : فى وقت السَّحر، وهو الثلث الأخير من الليل . سحَّار : مبالغة ساحر . نفث : بث سحْرَه . جعل الحزن ساحرا ينفث فى القلب فلا ينفك حزينا .

(٣) نَشر الصَّبا : رائحة نسيمها . يقول : إن نسيم الصَّبا حين مرَّ بك (أى بالشاعر مخاطبًا نفسه على طريقة التجريد) مرورا عابرا - أبقى فى قلبك الأسى والحزن، ولم يَبْقَ نسيم الصَّبا .

(٤) قَدُمت : أصبحت قديمة . شجاك : أحزنك . لاعج الأشواق : شِدَّتُها وحُرْقَتُها . ما حَدُثا : ما جَدَّ منها، فالعهود القديمة تثير الأشواق المتجددة دوما .

(٥) واهًا : كلمة تفجُّع . سَغب : شديد الجوع . الشِّعب : الطريق بين جبلين، يريد به شعب مكة المكرمة . ما غَرِثا : ما أصابه الجوع .

(٦) عاقدته : عاهدته . الصبابة : الشوق . التبريح : الألم والأذى . يقول : إنه منذ عرف الهوى والعشق فكأنه تعاهد معه على أن يظل شاعرا بالألم وفيًّا لهذا العشق .

(٧) آلى : أقسم .

(٨) العقيق : واد قريب من المدينة المنورة [معجم البلدان ٤ / ١٥٦] . الكاشح : الحاقد المُعادى، كأنه يوليك كشحه أى جانبه . أى إن حاله تثير الإشفاق، حتى إن عدوَّه إذا رآه على هذه الحال لرثا له وأشفق عليه .

(٩) التَّفث : حلق الشعر وقص الأظافر، من مناسك الحج، وأراد به : العناء والهموم .

(١٠) زُهْر : جمع أزهر، وهو الأبيض المشرق اللون . المعالى : مكارم الأمور . تسبق الجثث : أى أن همتهم عالية فكأنها تسبق أبدانهم إلى ما يريدون، وقد سبقه المتنبى إلى هذا المعنى فى قوله :=

١١ - سـاروا علىٰ كلِّ مِـرْقـالٍ بهِ هَوَجٌ   كالأرْبَدِ الأصْلَمِ المَذْعورِ إنْ نَفَثا ١٣/ب

١٢ - حَلُّوا بِخَيْـرِ مُناخٍ للرِّكَـابِ وقَـدْ   عَانَوْا بِطُولِ المسيرِ الأَيْنَ والشَّعَثا

١٣ - نِعْمَ المَقيلُ مَقيلاً طَيْبَةٌ؛ فَبِها   مُحَمَّدٌ خَيـرُ خَلْقٍ بالهُدَىٰ بُعِثا

١٤ - وأشْرَفُ النَّاسِ أنسابًا وأكْمَلُ مَنْ   للمَكْرُمَـاتِ وأسْبَـابِ العُـلا وَرِثا

١٥ - زكَـا وطابَ مِنَ الآباءِ مَحْتِدُهُ   والأُمَّـهاتِ ولا إثمًا ولا رَفَثا

١٦ - مُنَزَّهٌ عن خِتـانٍ في ولادَتِهِ   مُطَهَّرٌ عِرْضُهُ عنْ واصمٍ مَغَثا

١٧ - فـازَتْ حَليمـةُ مِنْهُ بالكرامَةِ إذْ   لِثَدْيِها بالفَمِ العَذْبِ الرِّضَا مَرَثا

١٨ - هُوَ البَشيرُ النَّذيرُ الشَّاهِدُ القُثَمُ الْـ   ـمَاحِي عَنِ الأمَّةِ الآصارَ والخَبَثا

١٩ - الواعِظُ الصَّادِقُ المحفوظُ مَنْطِقُهُ   من الهَوَىٰ لم يَعِدْ إلاَّ وما مَلَثا

=

وإنِّى لَمِنْ قَـومٍ كـأَنَّ نُفُـوسَـهُمْ   بِهـا أَنَفٌ أنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَـا

(١١) مرقال: سريع السير، صفة لموصوف محذوف، والتقدير: على كل بعير مرقال. الأربد: ذَكَرُ النَّعام، ومعنى أربد: رمادىُّ اللون، وهو لون النعام. الأصلم: مقطوع الأذن؛ وهى صفة يوصف بها النعام لأنه صغير الأذنين. نفث: نفخ من شدة الجرى. يصف البعير بالسرعة فكأنه ذكر نعام يجرى أشد الجرى وهو مذعور.

(١٢) مُناخ: مكان إناخة الإبل، أى حيث تبرُك. الأين: التعب. الشَّعَث: تفرق الشعر وما يعلوه من غبار السفر.

(١٣) المقيل: المكان الذى يَقِيل فيه الإنسان، أى يرتاح وقت الظهر من شدة الحر. طيبة اسم مدينة الرسول ﷺ.

(١٥) زَكَا: طَهُر. مَحْتِدُه: أصله. رفث: الفحش والخبث من القول والفعل. يقول: إن أصل النبى ﷺ أصل كريم، وإنه لم يولد سفاحًا، بل تزوج أبوه الكريم بأمه المباركة. وعجز البيت كان فى الأصل هكذا: والأمَّهات بلا إثمٍ يلى الرَّفَثَا، ولا معنى له، وما أثبتُّه من [المجموعة النبهانية ١/ ٥٥٤].

(١٦) يشير فى صدر البيت إلى ولادة النبى ﷺ مختونًا. قال الحاكم فى المستدرك: تواترت الأحاديث أنه ﷺ وُلِدَ مختونًا [حجة الله على العالمين، ص ١٧٠]. وقد رجَّح الخيضرى - بعد أن ساق عدة أحاديث فى ولادته ﷺ مختونًا، وضعَّف بعض أسانيدها - أنه ﷺ قد ولد مختونًا [اللفظ المكرم، ص ٥٦٠]. واصم: عائب. مغث: عَابَه ولطخ عرضه.

(١٧) حليمة: هى السيدة حليمة السعدية مرضعة النبى ﷺ. مَرَث الرضيع ثدى أمه: مَصَّه.

(١٨) القُثَم: اسم من أسماء النبى ﷺ، معناه: الجامع لمعانى الخير. الآصار: الأثقال والقيود، والذنوب.

(١٩) منطقه: نطقه، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم / ٣. المَلَث: الوعد على غير نية بالوفاء. يقول إن النبى ﷺ لم يَعِدْ وعدًا إلاَّ كان وفيًّا بوعده. فى الأصل: إلا ولا ملثا. =

٢٠ - الشَّـافعُ النَّافعُ الكافِى الوَجِـيـهُ غـداً إذا الخَليلُ لأهوالِ القِـيَـامِ جَـثَـا

٢١ - بَرٌّ وَفِىٌّ فلمْ يَبْـخَلْ بِمَـيْـسَـرةٍ ولـم يَخُنْ عَـهْـدَ مِـيـثـاقٍ إذا وَلَثـا

٢٢ - أعطاهُ خـالقُـهُ مِنْ فَـضْلِه خُلُقًـا مُـهَـذَّبًا لَيِّنًا مُـسْـتَـعْـذَبًا دَمِـثـا

٢٣ - إذا رأىٰ الشَّـيْخَ ذا الإيمـانِ وقَّـرَهُ أو اليَـتـيـمَ لَهُ مِن رَحْـمَـةٍ رَمَـثـا

٢٤ - أتَىٰ بِنورِ الهُـدَىٰ والأرضُ مُظلِمـةٌ فِـيـهـا الغَـرورُ بأنواعِ الفَـسـادِ عَـثَـا

٢٥ - والناسُ قـد عَـبَـدُوا الأوثانَ واتَّخَـذوا لِجَـهْلِهِمْ وهَواهُمْ دينَهُمْ عَـبَـثـا

٢٦ - قَـد اسْـتَـفَـزَّهُمُ الشَّـيْطانُ فـاتَّبَـعـوا سَـبـيـلَهُ ولَهُمْ عَنْ رُشْـدِهِـمْ رَبَثـا

٢٧ - فَـأَظْهَـرَ الحقَّ حـتَّىٰ بَانَ مُـتَّـضِـحًـا بِشِـرْعَـةٍ رَفَـعَتْ بالعِلْمِ مَنْ بَحَـثـا

٢٨ - أتىٰ بِلَفْظَةِ إخْـلاصٍ مُطَهِّـرةٍ مِنْ رِجْسِ ما زَخْرَفَ الغَاوِى وما نَبَثا

٢٩ - نَفَىٰ بها حَدَثَ الشِّرْكِ المُبِينِ كَمَا هَدَىٰ الوَرَىٰ لِطُهُـورٍ يَرْفَعُ الحَـدَثا

٣٠ - أبانَ للنَّاسِ فى مِـيـراثِ مَـيِّـتِـهِـمْ مَنْ يَأْخُذُ النِّصْفَ مِمَّنْ يَأخُذُ الثُّلُثا

٣١ - وامْـتَـازَ مـا حَلَّ مِنْ طُعْمٍ لآكِلِه مِـمَّـا بتَـحْـريمِـه فى حُكْمِـه خَـبُـثا

٣٢ - يا مَنْ أَتَتْـهُ مَـقَـاليـدُ الكُنوزِ علىٰ فَقْرٍ فَجادَ بِها زُهْدًا وما اكْتَرَثا ١٤/أ

= ولا يتبين معناه، والمثبت من [المجموعة النبهانية ١ / ٥٥٥]. .

(٢٠) الخليل : سيدنا إبراهيم ﷺ . القيام: القيامة والحساب . جثا : جلس على ركبتيه .

(٢١) ميسرة : سعة من العيش . ولَثَ : عاهَدَ .

(٢٢) دَمِثًا : طيبًا سَمْحًا . قال الله تعالى :﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ آل عمران / ١٥٩ .

(٢٣) رَمَثَ : مسح بيده على رأسه .

(٢٤) عَثَا : أفسد .

(٢٦) استفزَّهم : استخفهم ودعاهم إلى الضلال . ربث : حبسهم ومنعهم من الرشد .

(٢٨) زخرف : زيَّن . الغاوى : الشيطان، وفى الأصل : (الواشى) بدل (الغاوى) وما أثبته من [المجموعة النبهانية ١ / ٥٥٥] . نبث : فتَّش وبحث عن الرذائل والمفاسد .

(٣١) امتاز : تبيَّن واتَّضح . طُعم : طعام .

(٣٢) روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بعثت بجوامع الكلم، ونصرتُ بالرُّعْب، وبينما أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعَتْ فى يدى » [الفتح، كتاب التعبير ١٢ / ٤١٨ ، حديثَ رقم ٧٠١٣]. وقد صحَّ عنه ﷺ - على الرغم مما أوتيه ﷺ من كنوز الدنيا - أنه ما شَبِعَ وأهلُه ثلاثة أيام من خبزٍ حتى فارق الدنيا . [مسند أحمد ١٨ / ١٧٧ ، حديث رقم ٩٦٠٩].

٣٣ - سَلْ لِى إِلَهَكَ إِحْسَانًا وَتَكْرِمَةً إذا حَلَلْتُ علىٰ عِلاَّتِى الجَدَثَا

٣٤ - فَرْدًا مِنَ الأَهْلِ، مَنْ قَدْ كانَ يُكْرِمُنِى عَنِ العِثارِ علىٰ قَبرِى التُّرابَ حَثَا!

٣٥ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ إِلَهُ العَرْشِ ما انْبَسَطَ الـ ـنَّعيمُ والفَضْلُ فى الأُخْرَىٰ وما مَكَثَا

*****

(٣٣) تكرمة: إكرامًا، في الأصل (مكرمة)، والمثبت من [المجموعة النبهانية ١/ ٥٦٠]. على علاَّتى: على ما فيَّ من عيوب. الجدث: القبر.

(٣٤) العِثار: السقوط، وفى المجموعة النبهانية: عن الغُبَار. حَثَا: رمى التراب. يقول: أفردت بعيدًا عن أهلى، والذين كانوا يكرموننى ويخشون عليَّ من السقوط والتعثر ها هم أولاء يهيلون التراب على قبرى!

قافية الجيم

(عدتها ٤٢ ـ الطويل الثانى)

لم ينظم الشاعر على هذا الروى سوى قصيدة واحدة، كرسها لمديح النبى ﷺ، والاستغاثة به على ما أصابه من آفات الشيخوخة، ولقضاء حاجاته فى الدنيا والآخرة، فهو خير شافع يرتجى عند الله لدفع الشدائد والبلاء عن الخلق .

وهى قصيدة رائعة، يخاطب الشاعر ممدوحه فيها كما يخاطب المحبُّ محبوبَه، وينعته بما هو أهل له من نعوت الجمال الحسِّى منه والمعنوى .

والقصيدة تتناول الأفكار الاتية :

- فى وصف محاسن النبى ﷺ وجمال أنواره .
- أمنية الشاعر أن يحظى برؤيا النبى ﷺ فى المنام .
- الرحلة إلى حمى النبى ﷺ .
- فضل النبى ﷺ على أمته .
- دعاء واستغاثة بالنبى ﷺ أن يشمله بعطفه ورعايته فى الدنيا والآخرة .
- سلام على النبى ﷺ وأصحابه الكرام .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أَوَجْهُكَ أَمْ ضَوْءُ الصَّباحِ تَبَلَّجَا ... أَمِ البَدْرُ فى بُرْجِ الكَمَالِ جَلا الدُّجَى؟

٢ - أَمِ الشَّمْسُ يَوْمَ الصَّحْوِ فى بُرْجِ سَعْدِها ... وفَرْعُكَ أَمْ لَيْلُ المُحِبِّ إذا سَجَىٰ؟!

٣ - وبَرْقٌ سَرَىٰ أَمْ نُورُ ثَغْرِكَ بَاسِمًا ... ونَشْرُكَ أَمْ مِسْكٌ ذَكِىٌّ تَأَرَّجَا؟!

٤ - أَتَتْكَ جُنودُ الحُسْنِ طَوْعًا بأسْرِها ... فَصِرْتَ مَلِيكًا فى الجَمَالِ مُتَوَّجا

٥ - فَأَضْحَتْ أَبِيَّاتُ القُلوبِ أَسِيرةً ... لَدَيْكَ فلم يَمْلِكْنَ عَنْكَ مُعَرَّجا

٦ - فَطُوبَىٰ لِعَبْدٍ أَنْتَ سَيِّدُهُ؛ لَقَدْ ... سَمَا بَيْنَ أَرْبابِ البَصائِرِ والحِجَىٰ

٧ - فَهَلْ تَجْلُبُ الأَحْلامُ لِى مِنْكَ نَظْرَةً ... فيُكْشَفَ بَعضُ الغَمِّ عَنِّى ويُفْرَجَا

٨ - فَقَدْ نالَ مِنِّى مَنْعُ طَيْفِكَ مِثْلَما ... شَجانِى مِنَ البُعْدِ المُبَرِّحِ ما شَجَا

٩ - حَثَثْنَا إِلَيْكَ العِيسَ حَتَّىٰ تَبوَّأَتْ ... لَدَيْكَ مَقِيلاً نَاضِرَ الرَّوْضِ مُبْهِجا

١٠ - فما كانَ أَدْنَىٰ قُرْبَنَا مِنْ بِعادِنا ... وأَقْرَبَ أفراحَ الفُؤادِ مِنَ الشَّجَىٰ!

١١ - فَلِلَّه قَلْبِى يَوْمَ زُمَّتْ رِكَابُنا ... وفَارَقْتُ ظِلاًّ مِنْ جَنَابِكَ سَجْسَجا

١٢ - رَجَوْتُ بِقُرْبِ الدَّارِ أن أُطْفِئَ الأَسَىٰ ... فما زادَ وَقْدُ البَيْنِ إلاَّ تَأَجُّجا

١٣ - فَهَلْ لِلرِّكابِ القُودِ نَحْوَكَ مَرْجِعٌ ... يَجُبْنَ بِنا وعْرًا ويَطْوِينَ مَدْرَجا

---

(١) تبلَّج: أشرق. جلا: كشف وبدَّد. الدُّجَى: الظلام.
(٢) الصحو: صفاء الجو. فرعك: شعرك. سجى: سكن وأظلم.
(٣) نشرك: رائحتك العطرة. تأرَّج: انتشرت رائحته.
(٥) مُعَرَّجا: بُعداً وانصرافا.
(٦) طُوبَى له: دعاء بالخير، مشتق من الطيب، وقيل: شجرة فى الجنة. أرباب: أصحاب. الحجىٰ: العقول.
(٨) شجانى: أحزننى. يقول: لقد اشتدت أحزانى بسبب امتناع طيفك من زيارتى فى المنام، كما أن بعدى عنك زادنى حزنًا على حزن.
(٩) حثثنا: أسرعنا. العيس: الإبل. المَقيل: المنزل، وأصله مكان القيلولة.
(١٠) يقول: حين وصلنا إليك أحسسنا براحة القُرب من بَعْدِ طُول البعاد، وبالفرح من بَعْدِ الحزن.
(١١) زُمَّتْ: أُعدَّت للرحيل. ظلاً سجسجًا: ظلاًّ ظليلاً طيبًا. يتحسر على رحيله عن حِمى النبى ﷺ.
(١٢) وَقْد: اشتعال. البين: الفراق. تأججا: اشتعالاً.
(١٣) القُود: السهلة المطيعة. مرجع: رجوع. يَجُبْنَ: يقطعن. وعْرًا: جبالاً صعبة. يطوين: يقطعن. مدرجا: طريقًا.

١٤ - يُحَثْحِثُها الحَادى العَجُولُ مُهَجِّرًا ... إِلَيْكَ ويَطْوِى شُقَّةَ البِيدِ مُدْلجا

١٥ - يخُوضُ بها آلَ الضُّحَىٰ فكأنَّما ... يَخوضُ بها البَحْرَ الخِضَمَّ مُلَجَّجا

١٦ - إذَا ما تَغَالَتْ فى الهَوَاجِرِ فى السُّرَىٰ ... تُخَالُ نَعامًا فى السَّبَاسِبِ هُدَّجا

١٧ - عَلَيْها رجالٌ تَشْتَكى أَلَمَ الجَوَىٰ ... كَمَا تَشْتَكى فى سَيْرِها أَلَمَ الوَجَىٰ ١٤/ب

١٨ - لَهُمْ حَنَّةٌ عِنْدَ الصَّباحِ وَحَنَّةٌ ... إِلَيْكَ إذا ما اللَّيْلُ غَيْهَبُهُ دَجَا

١٩ - يَؤُمُّونَ رَبْعًا لَمْ يَزَلْ بكَ آنِسًا ... مُضِيئًا بوجهٍ مِنْكَ أزْهَرَ أَبْلَجَا

٢٠ - حِمًى بكَ عَنَّا كُلَّ مُظْلِمَةٍ مَحَا ... وكُلُّ رَجًا مِنْهُ ثِمَالٌ لِمَنْ رَجَا

٢١ - رَحِيبُ الذُّرا غَضُّ القطاف لِمَنْ جَنَىٰ ... إذا ما نَحَاهُ مَنْ جَنَىٰ عَائذًا نَجا

٢٢ - إذا لجأ العَافى إِلَيْهِ مُؤَمِّلاً ... جَلا ضُرَّ مُعْتَرٍّ إلى بَابِه لَجَا

٢٣ - إليكَ رسولَ الله أُهْدى مدائحى ... فتَكْسِبَ مِنْ رَيَّاكَ نَشْرًا مُؤَرَّجا

٢٤ - وتُلْبِسَها أوصافُكَ الزُّهْرُ حُلَّةَ الْـ ... ـبَهاءِ ورَوْضًا من حُلاكَ مُدَبَّجا

٢٥ - أَسَوْتَ بِمَا بَيَّنْتَ داءَ قُلُوبِنا ... كما كُنْتَ تأسُو قَبْلُ أوْسًا وخَزْرَجا

---

(١٤) يحثحثها: يُسرع بها. الحادى: سائِق الإبِل، وأصله من الحُداء، أى الغناء؛ لأنه يغنى أثناء سوقه لها. العجول: المسرع. مهجِّرًا: سائرًا وقتَ الهجير. شقَّة البيد: طول المسير فيها، والبيد: الصحارى، جمع بيداء. مُدْلجا: سائرًا فى أول الليل.

(١٥) آل: سراب. الخضم: البحر الواسع. ملجَّجًا: مضطرب الأمواج.

(١٦) تغالت: اشتد سيرها. الهواجر: جمع هاجرة، وهى وقت الظهيرة. تُخَال: تُظن. السباسب: القفار. هُدَّجا: مسرعات قد تهدجت - أى انقطعت - أنفاسها.

(١٧) الجوى: شدة العشق. الوجى: داء يصيب أخفاف الإبل.

(١٨) حنَّةٌ: شوق وحنين. غيهبه: اشتداد ظلامه. دَجَا: أظلم.

(١٩) يؤمُّون: يقصدون. آنسا: شاعرًا بالأُنس. أزهر: أبيض. أبلج: مشرق.

(٢٠) رَجا: ناحية. ثمالٌ: غياثٌ وعطاء.

(٢١) القطاف: الثمار. نحاه: قصده. (جَنَى) فى صدر البيت بمعنى: قطف الثمار، وفى عجزه بمعنَى: ظَلَمَ. عائذًا: لاجئًا إليه. وقد نقلت عجز البيت من [النبهانية١ / ٥٦٦]؛ لأنه غير واضح فى الأصل.

(٢٢) العافى: الفقير طالب العطاء. جلا: كشف. مُعْتَرٌّ: محتاج. لجا: أصله (لجأ) خفف الهمز لأجل القافية.

(٢٣) ريَّاك: رائحتك الطيبة، وكذا النشر. المؤرَّج: الفواح بالعطر.

(٢٤) الزهر: المضيئة. حلة البهاء: ثوب الجمال. حُلاك: أوصافك الحسنة. مُدَبَّجًا: مُزَيَّنًا.

(٢٥) أَسَوْت: شفيت. الأوس والخزرج: القبيلتان اللتان أصلح بينهما ﷺ حينما هاجر إلى المدينة، فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا، وهم الأنصار.

٢٦ - وكُنْتَ نَبِيًّا قَبْلَ آدمَ مُرْتَجًى ... لِتَفْتَحَ بابًا للهِدايَةِ مُرْتَجَا

٢٧ - فَجِئْتَ ورَسْمُ الرُّشْدِ بالغَيِّ مُنْهَجٌ ... فَأوْضَحْتَ فيهِ للبَرِيَّةِ مَنْهَجا

٢٨ - وشَيَّدْتَ أعلامَ الرَّشادَ مُجَدِّدًا ... وكُنتَ كَمِيًّا في الجِهادِ مُدَجَّجا

٢٩ - وثَقَّفْتَ سَهْمَ الدِّينِ حَتَّى أقَمْتَهُ ... وقدْ كانَ مَلوِيَّ المَغامِزِ أعْوَجا

٣٠ - فأصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ أزْهَرَ ظاهِرًا ... بنُورِكَ والبُطْلانُ أزْوَرَ مُخْدَجَا

٣١ - وأدْخَلَكَ الرَّحمٰنُ بالصدقِ مُدْخَلاً ... خَرَجْنا به من دارَةِ الشِّرْكِ مُخْرَجا

٣٢ - فيا خَيْرَ مَنْ زَمَّ النِّياقُ لحَجَّةٍ ... وألْجَمَ خَيلاً للجِهادِ وأسْرَجا

٣٣ - ومَنْ إنْ أحَاطَ الكَرْبُ بالنَّاسِ كُلِّهِمْ ... فَعاذُوا به ألْفَوْهُ عَنْهُمْ مُفَرِّجا

٣٤ - وإنْ صَلِيَ النَّارَ العُصاةُ غَدًا، غَدَا ... لأُمَّتِهِ مَنْ هُوَّةِ النَّارِ مُخْرِجا

٣٥ - أجِرْني؛ فقَدْ أصْبَحْتُ في زَمَنٍ لَهُ ... عُرامٌ لأهْلِ الحِلْمِ أصْبَحَ مُزْعِجا

٣٦ - وقدْ أبْلَتِ السَّبْعونَ بُرْدَ شَبيبَتِي ... فأَضْحَىٰ بِتَكْرارِ الأَهِلَّةِ مُنْهَجا

٣٧ - وعِنْدِيَ حاجاتٌ بِها اللهُ عالِمٌ ... أَبيتُ بِها من كارِثِ الهَمِّ مُحْرَجَا

---

(٢٦) مُرتجىً: منتظَرًا يُرْجَى بعثُك. مُرْتَجًا: مغلقًا.

(٢٧) رسم: أثر. الغيّ: الضلال. مُنهَج: مشقَّق بال. مَنْهج: طريق واضح. يقول: جئت وقد غلب الضلال على الهدى، ففتحت باب الهداية وبَيَّنتَ طريقها.

(٢٨) كميًّا: فارسًا شجاعًا. مدججًا: مغطًّى بالسلاح.

(٢٩) ثقفت: أصلحت. المغامز: المطاعن والعيوب. يقول: أصلحت الدين وقوَّمته وكان الدينُ قبلك شيئًا معيبًا.

(٣٠) أزهر: مشرق. ظاهرًا: غالبًا. أزور: أعوج، مُخْدجًا: ناقصًا.

(٣١) دارة: دائرة. يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ الإسراء / ٨٠.

(٣٢) زَمَّ: أَعَدَّ للرحيل. النياق: الإبل، جمع ناقة. ألجم الخيل: جعل اللجام في أشداقها. أسرج: وضع عليها السرج.

(٣٣) أَلْفَوْهُ: وجدوه.

(٣٤) صَلِيَ النار: احترق بها. غدَا: أصبح. هُوَّة النار: السقوط فيها.

(٣٥) أجرني: أغثني وأنقذني. عرام: شدة.

(٣٦) أبلَت: مزَّقت. شبيبتي: شبابي. مُنْهجًا: ممزقًا باليًا، يشبه فعل الزمن بالإنسان ـ بما يصيب الثوب من البلَى والتمزق، وتكرار الأهلَّة: كناية عن مرور الزمن.

(٣٧) كارث الهمّ: الهم الشديد. مُحْرَجًا: شاعرًا بالحَرَج، أي الضيق.

٣٨ - ولَسْتُ أَرَى خِـلاً مُـعِـينًا أَبُثُّـهُ　　شُجُونى فمـا أزْدادُ إلاَّ تَوَهُّجـا ١٥/أ

٣٩ - ومـا لىَ فى يَوْمَىَّ غَـيْـرُكَ مُنْقِـذٌ　　إذا القَلْبُ للخَطْبِ الشَّديد تَلَجْلَجـا

٤٠ - لأنَّكَ عِنـدَ اللهِ أنْجَحُ شَـافِعٍ　　لدَفْعِ المُلمَّـاتِ الشَّـدائدِ يُرتَجَىٰ

٤١ - عَلَيْكَ سَـلامُ اللهِ مـا أظْلَمَ الدُّجَىٰ　　ومـا فَلَقُ الصُّبحِ المُنيـرِ تَبلَّجـا

٤٢ - وعَمَّ بِهِ أصْحـابَكَ الزُّهْرَ مـا سَرَىٰ　　إلى رَبْعِكَ السَّامى مَشُوقٌ وأدْلَجَـا

*****

(٣٨) خلاًّ: صديقًا. شجونى: أحزانى.

(٣٩) في يومَىَّ: فى الدنيا والآخرة. الخطب: الأمر العظيم. تلجلج: اضطرب.

(٤٠) المُلمَّات: المصائب.

(٤١) سقط لفظ الجلالة من صدر البيت سهوًا من الناسخ، ولا يستقيم الوزن إلا بإثباته. فَلَق الصبح: ضياؤه. تبلج: أشرق.

(٤٢) الزُّهر: البيض، شبَّه أصحاب النبى ﷺ بالنجوم الزهر، أى اللامعة، كما جاء فى الحديث: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [كشف الخفاء للعجلونى ١/١٤٧]. سرى وأدلج: سار بالليل. و (ما) لبيان المدة الزمانية، أى: سلام متواصل دائم مادام الحجاج يقصدون حماك.

قافية الحاء المهملة

نظم الشاعر قصيدتين على الحاء، أولاهما على الحاء المفتوحة، والثانية على الحاء المضمومة.

الحائية الأولى

(عدتها ٥٣ ـ الكامل الثانى)

تدور هذه القصيدة حول أشواق الشاعر وحنينه إلى ربوع مِنى وطيبة (المدينة المنورة) وذكرياته فيها، داعيًا لها بالغيث والخصب، ثم يتخلص إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته وخصائصه الشريفة، ويتوسل إليه أن يسأل الله له ولأهله الصيانة والكرامة والسلامة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولأمته أن يفيض الله عليها الأرزاق والأمن والرغد والصلاح والنصر على أعدائها.

والعناصر الأساسية فى القصيدة هى :

- حنين وأشواق إلى ربوع مِنى.
- ذكريات الشاعر فى هذه الربوع الطاهرة.
- أمنية بالعودة إليها.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومعجزاته.
- أمنية بلقاء النبى ﷺ ورؤيته فى الآخرة.
- النبى ﷺ ملجأ الأمة وملاذها.
- استغاثة ودعاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رَبْعَ المُنَىٰ بِمِنَىٰ نَعِمْتَ صَبَاحَا وتَبَلَّجَتْ فِيكَ الوُجُوهُ صِبَاحَا

٢ - وسَقَتْكَ أخْلافُ الغَمَام عَشِيَّةً دَرًّا يُرَوِّى مِنْ حِمَاكَ بِطَاحَا

٣ - وعَلا سَحِيقُ المِسْكِ نَشْرَكَ كُلَّمَا نَشَرَ الرَّبِيعُ عَلَى ثَرَاكَ جَنَاحَا

٤ - ولَبِسْتَ مِنْ زَهْرِ الرِّيَاضِ مُلاءَةً وعَقَدْتَ فَوقَ الجِيدِ مِنْكَ وِشَاحَا

٥ - فلَطَالَمَا سَامَرْتُ فِى جُنْحِ الدُّجَىٰ أقْمَارَ حُسْنِكَ لا أخَافُ جُنَاحَا

٦ - وخَلَسْتُ من رَيَّاكَ رُوحَ حُشَاشَتِى وشَرِبْتُ فِيكَ مِنَ المَحَبَّةِ رَاحَا

٧ - للَّه أيَّامٌ مَضَتْ مَحْمُودَةً طَابَتْ بِقُرْبِكَ غُدْوَةً ورَوَاحَا

٨ - آنَسْتُ فِيهَا نُورَ عَطْفِ أحِبَّتِى ونَشَقْتُ عِطْرَ رِضَاهُمُ الفَيَّاحَا

٩ - يا مَوْسِمَ الأحْبَابِ يا عِيدَ المُنَىٰ وهِلالَ سَعْدٍ بالبِشَارَةِ لاحَا

١٠ - هَلْ لِى عَلَيْكَ مَعَ الأحِبَّةِ وَقْفَةٌ وَجْهَ النَّهَارِ تُجَدِّدُ الأفْرَاحَا

١١ - باللهِ يا مَنْ عَزْمُهُ أهْدَىٰ لَهُ طَرْفًا إلى نَيْلِ العُلا طَمَّاحَا

---

(١) رَبْعَ المنى : منادى محذوفة أداته، أى : يا منزل المنى . منى : سبق التعريف بها فى البائية الأولى . تبلَّجت : أشرقت . صباحًا : جمع صبيح، أى جميل الوجه .

(٢) الأخلاف : الضروع . الدَّر : اللبن . بطاحًا : مسايل المياه بين الجبال . شبه السُّحُب ومطرها بضروع تدر لبنها على الوديان .

(٣) سحيق مسحوق، فعيل بمعنى مفعول، نحو (قتيل) بمعنى : مقتول . نشرَك : رائحتك الطيبة .

(٤) شبه الزهر بالملاءة والوشاح؛ لأن الزهر زينة للرياض كما أن هذه الملابس تزين الإنسان .

(٥) جنح الدجى : ظلام الليل . جُناحًا : ذنبًا .

(٦) خَلَسْتُ : أخذت خفية . ريَّاك : عطرك . حشاشتى : بقية الروح فى جسد المريض . راحًا : خمرًا، وهى هنا خمر المحبة .

(٧) غدوة : فى الصباح . رواحًا : فى المساء، والجمع بين الضدَّين يفيد العموم .

(٨) آنست : شعرت . الفيَّاح : المنتشر الرائحة .

(١٠) فى الأصل : منَ الأحبة، ولا يلائم السياق، وما أثبتُّه من [المجموعة النبهانية ١ / ٥٨٦] . وجه النهار : أوَّله .

(١١) طَرْفًا : بَصَرًا . طمَّاحًا : ناظرًا .

١٢ - يَصِلُ السُّرَىٰ بَعْدَ السُّرَىٰ بنَجائبٍ   يَطْوِينَ أَكْنَافَ الحِجَازِ مِرَاحا

١٣ - بَلِّغْ إلى تِلْكَ الرِّحَابِ رِسَالَةً   عَمَّنْ إذا ذُكِرَتْ صَبَا وارْتَاحا

١٤ - يا رَبَّةَ الحَرَمِ المُمَنَّعِ كَمْ دَمٍ   لِبَنِى الأمانى دُونَ وَصْلِكِ طَاحا

١٥ - كَيْفَ السَّبِيلُ إلى لقائِكِ والقَلا   قَدْ حُفَّ دونَكِ ذُبَّلاً وصِفَاحا

١٦ - وإذا وَصَلْتَ قِبَابَ سَلْعٍ جَادَها   صوبُ المواهبِ هاطلاً سَحَّاحا ١٥/ب

١٧ - فاجْلِسْ بأشرَفِ مَوطنٍ عَكَفَتْ به   غُرَرُ المَعالى لا تَرُومُ بِرَاحا

١٨ - فلقَدْ نَزَلتَ من البَسِيطَةِ مَنْزِلاً   رَحْبَ الجَوانبِ للوفُودِ فِسَاحا

١٩ - جَمَعَ المناقبَ كلَّها بمُحَمَّدٍ   أوْفَىٰ الوَرَىٰ حِلْمًا وأكْرَمِ رَاحا

٢٠ - أضْحَىٰ به عَلَمًا لكُلِّ هدايَةٍ   ولِبَابِ كُلِّ فضيلةٍ مِفْتَاحا

٢١ - طابَتْ بأحمَدَ طَيْبَةٌ فَلَرِيحُها   أذْكَىٰ وأطْيَبُ مِنْ عَبِيرٍ فَاحا

٢٢ - وسَمَتْ به أنوارُها فلقَدْ غَدَتْ   لِمَنِ اسْتَضاءَ بِنُورِها مِصْبَاحا

٢٣ - هُوَ سابقُ الأعْيانِ إذ كُتِبَ اسْمُهُ   بالعَرْشِ ثُمَّتَ أُودِعَ الأَلْوَاحا

٢٤ - وهُوَ الذى خَتَمَ النُّبُوَّةَ فَهْىَ عَنْ   أكْنافِهِ العَطِرات لنْ تَنْزاحا

٢٥ - نَسَخَ الشرائعَ كُلَّها بشريعةٍ   بيْضاءَ تُفْصِحُ بالهُدَىٰ إفْصاحا

٢٦ - ودَعَا إليها الخَلْقَ لا يأْلُوهُمُ   نُصحًا وأوْضَحَها لَهُمْ إيضاحا

---

(١٢) نجائب: إبل نجيبة، أى كريمة. أكناف: جوانب. مراحًا: وصف من المَرَح، وهو النشاط والخفَّة.

(١٣) صَبَا: اشتاق.

(١٤) طاحَ: أهدر.

(١٥) حُفَّ: أحيط. ذبَّلاً: رماحًا. صفاحًا: سيوفًا عريضة.

(١٦) جادها: سقاها. الصوب: المطر الشديد. المواهب: العطايا الإلهية. هاطلاً: مُنْصَبًّا غزيرًا، ومثله: سَحَّاحًا.

(١٧) عكفت: أقامت. غُرر: جمع غُرَّة، وهى أول كل شىء. لا تروم: لا تريد. براحًا: فراقًا.

(١٨) البسيطة: الأرض. رحب: واسع، ومثله فساح.

(١٩) المناقب: الفضائل. راحًا: جمع راحة، وهى الكف.

(٢٣) الأعيان: الأشراف. أودعَ الألواح: ذكر فيها اسمه، وهى توراة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ الأعراف / ١٥٧.

(٢٦) لا يألوهم: لا يقصِّر فى دعوتهم.

٢٧ - فَمَنِ اسْتَجابَ لَهُ فَقَدْ حَازَ الرِّضا — والأَمنَ والتَّأْييدَ والإِصْلاحا

٢٨ - ومَنِ اعْتَدَىٰ ظُلْمًا وخَالَفَ أمْرَهُ — كانَتْ عقُوبَتُهُ ظُبًا ورِمَاحَا

٢٩ - مَاضِي الأوامِرِ لا مَرَدَّ لحُكْمِهِ — فيما نَهَىٰ عَنْ فِعْلِه وأبَاحَا

٣٠ - هُوَ طاهِرُ الأنْسابِ لمَّا يَجْتَمِعْ — أَبَوانِ فِي وَقْتٍ علَيْهِ سِفَاحَا

٣١ - مِنْ عَهْدِ آدَمَ لَمْ يَكُنْ آباؤُهُ — يَرْضَوْنَ إِلاَّ بالعُقُودِ نِكاحَا

٣٢ - أكْرِمْ به بَشَرًا نبيًّا مُرْسَلاً — طَلْقَ المُحَيَّا بالنَّدَىٰ نَفَّاحَا

٣٣ - ثَبْتًا قَويًّا في الجِهادِ مُؤيَّدًا — ثِقَةً أمِينًا مُرْشِدًا نَصَّاحَا

٣٤ - يَسْمُو علىٰ الشَّمسِ المُنيرَةِ وجْهُهُ — والدُّرُّ يَحْسُدُ ثَغْرَهُ الوَضَّاحَا

٣٥ - وكَفَاهُ ما في الحِجْرِ من قَسَمٍ وما — في نُونَ فضلاً يُعْجِزُ المُدَّاحَا

٣٦ - ولَبَعْضُ مُعْجِزِه لَتَسْبِيحُ الحَصَىٰ — والماءُ مِنْ بَيْنِ الأصابعِ سَاحَا

٣٧ - والشَّرْحُ والمِعْراجُ والذِّكْرُ الذي — أعْيَا ألبَّاءَ القُلوبِ فِصاحَا ١٦/أ

٣٨ - وَلَهُ اللِّواءُ وَحَوْضُهُ وشَفاعةٌ — تَكفِي المُرَهَّقَ جَاحِمًا لَوَّاحا

٣٩ - ولَسَوفَ يُؤْتِيهِ الإلَهُ مَقَامَهُ الْـ — ـمَحْمُودَ جَلَّ مُهَيْمِنًا مَنَّاحَا

---

(٢٨) ظُبًا : سيوفًا. (٢٩) ماضى : نافذ.

(٣٠) سفاحًا : زنا. فكل آباء النبى ﷺ تزوجوا بنسائهم، ولم يولد أحد منهم سفاحًا، وسيفسر هذا البيت في البيت التالي.

(٣١) قال ﷺ : «ليس فىَّ ولا فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» أى كلها زيجات صحيحة بعقد صحيح [الحديث في: الدر المنثور للسيوطى ٣ / ٩٤].

(٣٢) طَلْق: بشوش. المحيَّا : الوجه. النَّدى : العطاء. نفَّاحا : معطاء، من نفح النسيم بالرائحة الطيبة.

(٣٤) الدُّرّ: اللؤلؤ. الوضَّاح : المبتسِّم.

(٣٥) أقسم الله عز وجل بالنبى ﷺ فى سورة الحجر، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ الحجر / ٧٢ . وما فى نون هو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم / ٤ .

(٣٦) ساحَ: نبع. وسبق ذكر هاتين المعجزتين فى البائية الثالثة.

(٣٧) الشَّرح: شق صدره ﷺ . المعراج: صعوده فى السماوات. الذكر: القرآن الكريم. أعيا: أعجز. الألبَّاء: العقلاء، جمع لبيب. فصاحًا: جمع فصيح.

(٣٨) المرهَّق: الذى كثرت ذنوبه وشروره. جاحما: جحيمًا وفى الأصل (جامحًا) وهو تصحيف.. لوَّاحًا: محرقًا.

(٣٩) منَّاحا: كثير المنح والعطايا.

٤٠ - يا خَـيْـرَ مَنْ وَقَفَ المَطِيُّ بِهِ ولَوْ جَـعَلَ الوَجَىٰ أجْسَامَـها أشْبَاحـا

٤١ - وأحَقَّ مَنْ بَذَلَ الوَرَىٰ فِى حُـبِّـه ومَـزَارِه الأمْـوالَ والأرْواحـا

٤٢ - إنِّى وإنْ بَعُـدَ المَـدَىٰ مـا بَيْنَنَا أُهْدِى السَّـلامَ عَـشِـيَّـةً وصَبَـاحَـا

٤٣ - وأودُّ لَوْ أنِّى بِحَـضْـرَتِكَ الَّتى شَـرُفَتْ فـأمْنَحُكَ السَّلامَ كِـفَـاحَـا

٤٤ - أعْـدَدْتُ مَـدْحَكَ للحَـوادِث جُنَّةً وعَلَى الذّنوبِ المُـوبقَـاتِ سِـلاحَـا

٤٥ - فـامْنُنْ علىَّ بِنَظْرَةٍ يَحْـيَـا لَهـا قَلْبِى ويُصْـبِحُ راضِـيًـا مُـرْتاحَـا

٤٦ - فَـلأنْتَ مَلْجَـؤُنا الذى مـا أمَّـهُ مِنَّا فـتًى إلا وحَـازَ نَجـاحَـا

٤٧ - واسْـأَلَ لِىَ الرَّحْـمَـنَ ثمَّ لِعـتْـرَتِى صَـوْنًا وجَـاهًا شـامِـلاً وفَـلاَحَـا

٤٨ - وسَـلامَـةً طُولَ الحَـيَـاةِ وراحَـةً بَعْـدَ المَـمَـاتِ وفِى المَـعَـادِ رَبَاحَـا

٤٩ - واسْألْ لأُمَّـتِكَ الحَـيَا غَـدقًـا فَـقَـدْ فَـقَـدَ المَـزَارِعُ مَـاءَهَا السَّـيَّـاحَـا

٥٠ - والأمْنَ والعَـيْشَ الرَّغِـيـدَ ونُصْـرَةً لإمَـامِـهِـمْ ومَـعُـونَةً وصَـلاحَـا

٥١ - واسْـألْ إلَهَكَ أن يَكُونَ بِقَـهْـرِه لِعَـدُوِّهِمْ مُـسْـتَـأصِـلاً مُـجْـتَـاحَـا

٥٢ فلَكَمْ تَمَلَّكَ جَـيْشُكَ المَنْصُورُ مِنْ مَلِكٍ وجَـدَّلَ فـارِسًـا جَـحْـجَـاحَـا

٥٣ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ اللهُ مـا سَـرَتِ الصَّـبَا وشَـدَا حَـمَـامٌ فِى الغُـصُـونِ ونَاحـا

*****

(٤٠) الوجي: داء يصيب أخفاف الإبل من كثرة المسير. أشباحًا: أجسامًا بلا أرواح.
(٤٣) كفاحًا: وجهًا لوجه.
(٤٤) جُنَّةً: وقاية. الموبقات: المهلكات.
(٤٧) عترتي: أهل بيتي.
(٤٩) الحيا: المطر. غَدقًا: كثيرًا غزيرًا. السيَّاح: الكثير الجاري.
(٥١) مستأصلاً: مهلكًا لهم يقتلعهم من أصولهم، ومثله: مجتاحًا.
(٥٢) جَدَّلَ: قتل. جحجاحًا: سيدًا كريمًا شريفًا.
(٥٣) «ما» لبيان المدة الزمانية، أى صلى عليك الله صلاة دائمة أبدًا، مادامت ريح الصَّبا تسرى، ومادام الحمام يشدو وينوح.

الحائية الثانية

(عدتها ٢٠ - البسيط الثانى)

هى قصيدة قصيرة تتكون من ٢٠ بيتًا، كلها شوق إلى أرض الأحباب، الأرض المقدسة، وما تحتوى عليه من بشر وحيوان وشجر وأزهار وتلال.

وتشتمل هذه القصيدة على موضوعين :

- الحنين إلى أرض الأحباب والدعاء لها.
- فى مديح النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَسَّتْك يا دَارَةَ الأَحْبَابِ أفْراحُ ‏ ‏ وصَبَّحَتكِ مِنَ الأقْبَالِ أَرْواحُ

٢ - وجَادَ تُرْبَكِ مِنْ صَوْبِ النُّعَيْمِ حَيًا ‏ ‏ هَامِي الشَآبِيبِ فى الأَطلالِ سَحَّاحُ

٣ - ولا عَدَا رَوْضَكِ المَطْلُولَ نَشْرُ صَبًا ‏ ‏ مُعَنْبَرُ مَنْدَلِيُّ العِطْرِ فَيَّاحُ

٤ - ولا جَفَا عَذَبَاتِ البَانِ مِنْكِ ضُحًى ‏ ‏ مُطَوَّقٌ غَرِدُ الأَلْحانِ صَدَّاحُ ١٦/ب

٥ - ومَاسَ رَنْدُكِ واهْتَزَّت خَمائِلُهُ ‏ ‏ كأَنَّهُ ثَمِلٌ دارَتْ لَهُ الرَّاحُ

٦ - ولا تَزالُ معَ الأسْحَارِ دائِرَةً ‏ ‏ مِنَ المَعانِى علىٰ أَهْلِيكِ أقْداحُ

٧ - أُخْفِى هَواكِ ودَمْعُ العَيْنِ يُظْهِرُهُ ‏ ‏ والدَّمْعُ للعَاشِقِ المَسْتُورِ فَضَّاحُ

٨ - أَلْتَاعُ إِنْ لَمْ أَجِدْ مَنْ عَنْكِ يُخْبِرُنِى ‏ ‏ وإِنْ بَدا مِنْ حِمَاكِ الرَّكْبُ أَرْتاحُ

٩ - ولى إِليكِ وإِن جَدَّ الفِراق بنا ‏ ‏ طَرْفٌ إِذا رَقَدَ السُّمَّارُ طَمَّاحُ

١٠ - يا ربَّةَ السِّتْرِ لولا الحُبُّ ما افْتَرَقَتْ ‏ ‏ لِلبَيْنِ بالنَّاسِ أجْسَادٌ وأَرْواحُ

١١ - فى رَبْعِكِ العَطِرِ الأرواحُ عاكِفَةٌ ‏ ‏ وبالعِراقِ لِمَنْ يهْواكِ أَشْباحُ

١٢ - ولِى بأعْلامِ سَلْعٍ والعَقيقِ حِمًى ‏ ‏ قَلْبِى إِليْهِ معَ السَّاعاتِ مُرْتاحُ

---

(١) الدارة: كل ما هو مستدير، وأراد بها هنا: موطن الأحباب. الأقبال: جمع قبول، وهى ريح طيبة، والأرواح: جمع ريح. يقول: ومرت عليك القبول الطيبة فى الصباح.

(٢) جاد: سقى. النُّعَيْم: موضع قرب المدينة [وفاء الوفا ٤ / ١٣٢١]. حَيَا: مطر. هامى: غزير. الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. الأطلال: بقايا الديار. سحَّاح: منصبٌ بغزارة.

(٣) لا عدا: لا جاوز. المطلول: الذى أصابه الطَّلّ، وهو النَّدَى. مُعَنْبَرٌ: ممزوج برائحة العنبر. مندلىٌّ: بخور هندى طيب الرائحة، منسوب إلى بلد بالهند تدعى « مندل ». فيَّاح: منتشر الرائحة نفَّاذها.

(٤) عذبات البان: أغصان شجر البان. مطوَّق: حَمَامٌ، صدَّاح: يشدو بالغناء.

(٥) ماس: تمايل طربًا. الرند: نوع من الزهر. خمائله: أشجاره. ثمل: سكران. الراح: الخمر.

(٦) الأسحار: جمع سحر، وهو آخر الليل.

(٨) ألتاع: يزداد اشتياقى ولوعتى، ولعلها: أرتاع، لمجانسة (أرتاح) فى قافية البيت، كما هو دأب الصرصرى.

(٩) طَرْف: بصر. طمَّاح: يُدِيم النظر.

(١٠) البين: الفراق.

(١١) عاكفة: مقيمة. أشباح: أجسام بلا أرواح.

(١٢) أعلام: جبال.

١٣ - هُنَّ الشِّفاءُ لِمَنْ لَجَّ السَّقامُ بهِ ... ولِلسَّبيلِ إلى الخَيْراتِ مِفْتاحُ
١٤ - حِمًى شَريفٌ عَظيمُ القَدْرِ ساكِنُهُ ... لِلنَّاسِ فى ظُلُماتِ الخَطْبِ مِصْباحُ
١٥ - مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الأعْيانِ خاتِمُهُمْ ... وإنَّهُ لِلهُدَىٰ فِينا لَفَتَّاحُ
١٦ - بِفَضْلِهِ شَهِدَ العَرْشُ العَظيمُ كَمَا ... تَضَمَّنَتْ وَصْفَهُ المَحْمودَ ألْواحُ
١٧ - هَادٍ بَشيرٌ نَذيرٌ شَاهِدٌ رَؤُفٌ ... بالمؤْمِنينَ رَحيمُ القَلْبِ نَصَّاحُ
١٨ - بَرٌّ حَليمٌ جَوَادٌ بالنَّدَىٰ قُثَمٌ ... سَهْلُ الخَلائِقِ بالخَيْراتِ نَفَّاحُ
١٩ - يُبْدِى رِضَاهُ لِمنْ يَرْجُو فَضائِلَهُ ... ثَغْرٌ لهُ مُخْجِلُ للدُّرِّ وَضَّاحُ
٢٠ - عَلَيْهِ أزْكَىٰ صَلاةِ اللهِ ما طَلَعَتْ ... شمسٌ وما عَاقَبَ الإمْساءَ إصْباحُ

*****

---

(١٣) لجَّ: تزايد. السَّقام: المرض.
(١٤) الخطب: المصيبة.
(١٧) رَؤُفٌ: رءوف، قصر المدَّ فيه لإقامة الوزن. نَصَّاحُ: كثير النصح.
(١٨) جواد: معطاء كريم. النَّدى: الجود والعطاء. قثم: جامع لمعانى الخير. نفَّاح: مبالغة من النَّفْح، وهو العطاء الطيب.

قافية الخاء المعجمة

(عدتها ٢٠ - الكامل الثانى)

نظم الشاعر قصيدة واحدة قصيرة على روى الخاء، تتكون من عشرين بيتًا. والقصيدة كسابقتها حنين وأشواق إلى الأرض المباركة، وشعور مسيطر على الشاعر بأنه ممنوع من زيارتها، ربما بسبب حصار المغول لبغداد، لكنه يأمل فى الرجوع إلى أرض الأحباب، رحاب الرسول الكريم ﷺ.

تدور القصيدة حول العناصر الآتية :

- أسى لفراق الأرض المقدسة، وحنين إليها.
- فى مديح فاتح الخيرات ﷺ.
- استعطاف واستغاثة به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - بَيْنَ السُّــهــادِ وبينَ جَــفْنكَ آخَىٰ ... زَمَنٌ تَقَــادَمَ عَــهْــدُهُ وتَراخىٰ

٢ - هلْ ناشِـدٌ خَـبَـرَ الحِـمَىٰ لمُـتَـيَّمٍ ... صبٌّ إذا ذُكِـرَ الحِـجـازُ أصَـاخَـا

٣ - لولا جَـوًى يَحْلُو لَهُ مـا اعْـتَـاضَ عنْ ... ريفِ الحَـضَـارة حَـرَّةً وسِـبـاخَـا

٤ - يا سـائِقَ البُـدْنِ البَـوازِلِ طالبًـا ... خَـيْـرَ المَنازِلِ للرِّكَـابِ مُناخَـا ١٧/أ

٥ - بلِّغْ إلىٰ الحَـرَمِ الشَّـريفِ رِسـالةً ... عَنْ ذي بَلابِلَ وفْـدُهُ مَـا نَاخَـا

٦ - هَلْ لِي إلىٰ تِلْكَ الأباطحِ عَـوْدَةٌ ... لا زَالَ صَـوْبُ غَـمَـامِـهـا نَضَّـاخَـا

٧ - وإذا حَلَلْتَ بأرْضِ طَيْـبَـةَ دَارةً ... جَـمَـعَـتْ مَناقِبَ تُعْجِبُ النُّسَّـاخَـا

٨ - بَلِّغْ سَـلامَ مُـحَـلأً عَنْ وِرْدِه ... والمـاءُ قَـدْ رَوَّىٰ العِطَاشَ نُقَـاخَـا

٩ - فَـبِـعَطْفِ مَنْ فـيـهـا يُبَـدَّلُ خَـوفُـهُ ... أمْنًا ويُفْـرِخُ رَوعُـهُ إفْـراخَـا

١٠ - يا خَـاتَمَ الرُّسُلِ الكِرامِ وفـاتِحَ الْـ ... ـخَـيْـراتِ يا مُـتَـواضِـعًـا شَـمَّـاخَـا

---

(١) السُّهاد : الأرق . تَرَاخَي : بَعُدَ .

(٢) ناشِدٌ : طالب . صبٌّ : مشتاق . أصاخ : استمع . يقول : هل مَنْ يأتيني بخبر من أرض الحجاز ، تلك التي كلما سمعت ذكرها تنبهت وأحسنت الاستماع ؟! .

(٣) جَوَى : ألم . الحَرَّة : أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت بالنار . السباخ : الأرض المالحة التي لا تنبت . يقول : لولا حبي للحجاز وأهله ما تعوضت بهذه الأرض المقفرة عن ريف الحضارة في العراق .

(٤) البُدن : جمع بدنة ، وهي الناقة السمينة وغيرها مما يذبح من الأضاحي . البوازل : التي بلغت السنة الثامنة . مناخًا : مكان إناخة الإبل .

(٥) بلابل : حيرة واضطراب . ناخ : أناخ بعيره ، ولا يستعمل هذا الفعل مجردًا كما نص في اللسان ، بل مزيدًا بالهمز ولعله لجأ إلى استعماله مجردًا للضرورة الشعرية .

(٦) نضَّاخا : غزيرًا .

(٧) مناقب : فضائل . النُّسَّاخ : الكُتَّاب .

(٨) مُحَلأً : ممنوع من الشرب . نقاخًا : زلالاً صافيًا . شبه نفسه وقد مُنعَ من زيارة الأرض المباركة ، بمن يرى الماء الصافي بعينه ولا يستطيع أن يرتوي منه ؛ وذلك بسبب حصار المغول للعالم الإسلامي في تلك الحقبة .

(٩) أفْرَخَ روعه : ذهب عنه الرعب والفزع . وهو من أمثال العرب ، على التشبيه بالبيضة إذا أفرخت .

(١٠) شمَّاخًا : شديد الشموخ ، وهو الرفعة وعلو القَدْر .

١١ - يا مَنْ به الإسْـلامُ أصْـبحَ ظاهِرًا ... وبِقَـهْـرِهِ الكُفْـرُ المُـشَـقْـشِقُ داخَـا

١٢ - يا مَنْ رَسَتْ وسَـمَتْ قَـواعِـدُ دينِه ... وَبِه هَوَىٰ أُسُّ الضَّـلالِ وسَـاخَـا

١٣ - يا خَـيْـرَ مَنْ شَـدَّ الرِّحـالَ لِقَـصْـدِه ... حـادِى المَطِىِّ وفِى حِـمَـاهُ أَناخَـا

١٤ - عَطفًـا علىٰ عَـبْـدٍ تعَلَّقَ حُـبَّكُمْ ... طفلاً وفى صِدْقِ المَحَـبَّـةِ شـاخَـا

١٥ - امْنُنْ عَلَيْـه بِنظْرَةٍ تَجْلُو الصَـدَىٰ ... عَنْهُ وتَنْفِى الهَـمَّ والأوْسَـاخَـا

١٦ - واسـألْ لِىَ اللّهَ المُـهَـيْـمِنَ عَـزْمَ مَن ... فى الدِّينِ أضْـحَىٰ ثابتًـا رَسَّـاخَـا

١٧ - فلَعَلَّنى أُكْـفَىٰ غَـوائِلَ نَاصِبٍ ... شُـرُكًـا لَنا مِنْ كَـيْـدِه وفِـخَـاخَـا

١٨ - يَجْـرِى معَ الدَّمِ بالوَسْـاوِسَ نافِـثًـا ... فى الصَّـدْرِ هَمَّـازًا بِه نَفَّـاخَـا

١٩ - وأفـوزُ بالبُـشْـرَىٰ إذا وَرَدَ الوَرَىٰ ... يَومَ القِـيـامَـةِ جَـاحِـمًـا طَيَّـاخَـا

٢٠ - فَنَجَا التَّـقِىُّ ولَمْ تَذَرْ فى قَـعْـرِها ... إلاَّ شَـقِـيًّـا مُـعْـوِلاً صَـرَّاخَـا

*****

---

(١١) ظاهرًا: غالبًا. المشقشق: الصَّخَّاب المجاهر بالباطل. داخ: ذَلَّ وخضع.

(١٢) رَسَتْ: ثبتت. أسٌّ: أساس. ساخَ: انهار.

(١٥) الصدى: العطش.

(١٦) رسَّاخا: شديد الرسوخ والاستقرار.

(١٧) غوائل: جمع غائلة، وهى الداهية المهلكة. شُرُكًا: جمع شَرَك، وهو المصيدة، يريد: الخدع والحيل.

(١٨) الوساوس: وسوسة الشيطان. والنفث: أقل من النفخ. والهمز: خطرات الشيطان. قال ﷺ: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مبلغ الدم» [الفتح، ك فرض الخمس ٦/٢٤٣، حديث رقم ٣١٠١ . مسلم بشرح النووى ٩/٢٣، كتاب السلام]. وقال ﷺ فى حديث افتتاح الصلاة: «اللهم إنِّى أعوذ بك من الشيطان، من همزه ونفثه ونفخه» [مسند أحمد ٥/٣١٨، حديث رقم ٣٨٣٠].

(١٩) الورى: الناس. جاحمًا: جحيمًا محرقًا، وفى الأصل: جامحًا، وهو تصحيف. طيَّاخًا: شديدًا مهلكًا.

(٢٠) لم تذر: لم تترك. قعرها: قاعها، والضمير لجهنم أعاذنا الله منها. مُعْوِلاً: صارخًا باكيًا.

قافية الدال

تضم قافية الدال ثلاث قصائد طوال، تتكون أولاها من (٤٨) ثمانية وأربعين بيتاً، وهى دالية مضمومة، والثانية من ٤٠ بيتاً وهى دالية مضمومة مردفة بالياء ، والثالثة من (٤٨) ثمانية وأربعين بيتاً، وهى دالية مفتوحة مطلقة.

الدالية الأولى

(عدتها ٤٨ ـ البسيط الأول)

يعبر الصرصرى فى هذه القصيدة عن عاطفة مشبوبة من الشوق والحنين الغامر إلى الأرض المباركة، تلك التى حببت إليه الرحيل وقطع البوادى المهلكة، والتى يود لو يبذل روحه فداءً لها، ويرى فى ترابها آثار خطا النبى المصطفى ﷺ .

وإذ لا سبيل إلى زيارة البقاع المقدسة، يحمل الشاعر أشواقه وثناءه العاطر إلى أرض الحجاز وساكنيه الذين سعدوا بقربهم من حمى النبى ﷺ، ثم يبدأ فى بث شكواه إلى حبيبه المختار ﷺ ، من خطوب الزمان وما أصابه به من ضعف وهرم، ومن فقد الإخوان الصالحين، ومن انتشار للبدع الشنعاء ومخالفة للسنة الغراء، ومن فتنة التتر التى رمت صميم البلاد بفاقرة تقرحت لها الأكباد، وفتكت بالنسل والحرث.

فهو المرتجى فى مثل هذه الظروف الحالكة، لنصر الأمة على أعدائها، وهو ﷺ المؤيد بنصر الله، وحزبه هم الغالبون على كل الأنام إلى آخر الدهر، ثم يسرد بعض فضائل النبى ﷺ من تنقله فى الأصلاب الطاهرة، وسيادته على كل الخلائق، ونوره الذى أشرق له وجه السيدة آمنة بنت وهب منذ حملت به، وأشرقت به الأرض يوم مولده ، إلى آخر ما فاضت به قريحته من ثناء على سيد الأولين والآخرين ﷺ .

ثم يختم الشاعر قصيدته ـ كعادته ـ باستعطاف ممدوحه الكريم أن يمن عليه برؤيا تنعشه وتنقذ قلبه المحزون، وأن يشفع إلى الله فى إحسان خاتمته.

والعناصر التى تناولتها القصيده هى :

- أشواق وحنين إلى الأرض المباركة.
- شكوى إلى النبى الكريم ﷺ .
- فى مديح النبى ﷺ وسرد بعض معجزاته.
- دعاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَــاذَا أثَارَ بِقَلْبِى الشَّــائِقُ الغَــرِدُ ... لَمَّا غَدَتْ عِيسُهُ نَحْوَ الحِمَىٰ تَخِدُ

٢ - وَدِدْتُ لوْ أنَّنِى أصْبَحْتُ مُتَّبِعًا ... آثَارَهَا أرِدُ المَــــاءَ الَّذِى تَرِدُ

٣ - أهْوَىٰ الحِجَازَ ولوْلا سَاكِنُوهُ لَمَا ... حَلاَ بِنَجْدٍ لِىَ التَّهْجِيرُ والنَّجَدُ

٤ - ولا اطَّبَــانِىَ بَرْقٌ فى أبَارِقِــه ... كَأنَّه صَارِمٌ فى مَتْنِه رَفَدُ ١٧/ب

٥ - هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إلىٰ ذات السُّتورِ ولَوْ ... أنَّ الظُّبَا والقَنَا مِنْ دُونِهَا رَصَدُ

٦ - فَــفِى هَواهَا قَلِيلٌ أن يُطَلَّ دَمِى ... وكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ مَا لَهُ قَوَدُ

٧ - وبِالعَقِيقِ حَبِيبٌ لو بَذَلْتُ لَهُ ... رُوحِى لَكَانَ يَسِيرًا فِى الذى أجِدُ

٨ - تُرابُ مَرْبَعِهِ الرَّحْبِ المُنِيرِ بِهِ ... شِفَاءُ عَيْنِى إذا ما شَفَّهَا الرَّمَدُ

٩ - يا راكِبًا تَطِسُ البِيدَ القِفَارَ بِهِ ... هَوْجَاءُ عَنْسٌ أمُونٌ جَسْرَةٌ أُجُدُ

١٠ - إذا وصَلْتَ حِمَىٰ سَلْعٍ وطَابَ بِهِ ... لَكَ المَقِيلُ وزالَ الأَيْنُ والفَنَدُ

---

(١) الشائق: الذى يشوِّق الإنسان. الغَرِد: الطَرِب. تَخِد: من الوَخْد، وهو نوع من سير الإبل السريع.

(٣) نجد: ما بين الحجاز إلى اليمامة، أعلاها تهامة واليمن وأسفلها الشام والعراق [معجم البلدان: ٥ / ٣٠٤] . التهجير: السير فى الهجير. النَّجَد: الشدَّة والمشقة.

(٤) اطَّبانى: استمالنى وجذبنى، وفى الأصل: اطانى، ولا معنى له، والمثبت من [النبهانية ٢ / ١٨]. الأبارق: جمع أبرق، وهو الأرض ذات الرمل والحجارة. صارم: سيف قاطع. متنه: حدّه. الزَبَد: ما يعلو فوق الماء، وفى الأصل: رَفَد، وهو خطأ، والتصويب من [النبهانية ٢ / ١٨].

(٥) الظُّبا: السيوف. القنا: الرماح. رَصَد: ترصد من يأتى إليها وتتوعَّده بالقتل.

(٦) يُطَلَّ: يهدر. القَوَدُ: القِصاص.

(٨) شفَّها: أصابها.

(٩) تَطِسُ: من الوَطْس، وهو الضرب الشديد. هوجاء: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: ناقة هوَجاء، أى مسرعة تضرب بأخفافها الرمال والحجارة. عنس: صلبة. أمون: قوية لا يخشى عليها من العثار أو الإعياء. جسرة: ضخمة. أُجُد: قوية متينة، وكلها صفات للناقة التى تطس البيداء، أى تضربها بأخفافها مسرعة.

(١٠) المقيل: نوم القيلولة، وأراد به هنا: الإقامة. الأين: التعب. الفَنَد: الضعف، وأكثر ما يستعمل فى ضعف العقل والرأى، وندر استخدامه بمعنى ضعف البدن. وفى [النبهانية ٢ / ١٩ : الأين والعَنَدُ، والعند: سيلان العرق، ولعله أصح].

١١ - فقِفْ بتلْكَ القِبابِ البِيضِ دامَ لَها — مِنْ ذِى الجَلالِ السَّنا والقُرْبُ والمَدَدُ

١٢ - وَأَدِّ بَعْـدَ سَـلامٍ نَشْـرُهُ عَطِرٌ — عَنِّى قَصِيدةَ مُثْنٍ وهْوَ مُقْتَصِدُ

١٣ - وقُلْ فَقَدْ أبْلَغَ التَّبْليغُ فى وَطَنٍ — ما خابَ عَبدٌ إليه قاصداً يَفِدُ :

١٤ - أَشْكُو إليكَ - رَسُولَ اللهِ - ما أَجِدُ — مِنَ الخُطُوبِ التى أَعْيَا بها الجَلَدُ

١٥ - عُمْرٌ أنافَ عَنِ السِّتِّينَ خالَطَهُ — سُقْمٌ لأعْبائِه وسْطَ الحَشا كَمَدُ

١٦ - ضَعْفٌ أُضيفَ إلىٰ ضَعْفٍ، وبعْضُهُمَا — يُوهِى قُوَىٰ الجِسْمِ منِّى وهْوَ مُنْفَرِدُ

١٧ - وهَمٌّ رَيْحانِ قَلْبِى أنْ يَرَى بِهِمُ — خَصاصةً شامتٌ دَيْدَانُهُ الحَسَدُ

١٨ - وفقدُ إخْوانِ صِدْقٍ صالحينَ مضَوْا — كانوا هُمُ الرِّدْءَ إن غابُوا وإنْ شَهِدوا

١٩ - وفتنةُ البِدَعِ الشَّنْعاءِ قَدْ خَلَطَتْ — علىٰ البَرِيَّةِ ما تَنْحُو وتَعْتَقِدُ

٢٠ - آثارَها خَلْفُ سوءٍ خالَفُوا سَفَهًا — مِنْهاجَ سُنَّتِكَ المُثْلَىٰ فَمَا رَشَدُوا

٢١ - وفتنةُ التَّتَرِ العُظْمَىٰ التى قَرِحَت — منَّا لوقْعَتِها الأَحْشاءُ والكَبِدُ

٢٢ - رَمَتْ صَميمَ القَرَا منها بفاقِرةٍ — لَمْ يَنْجُ من شَرِّها مالٌ ولا وَلَدُ

٢٣ - أوْدَتْ بمَنْ حَوْلَنا فَتْكًا، ولَيسَ لَنا — إلاَّ إلىٰ وَعْدِكَ المَيْمونِ مُستَنَدُ

---

(١١) المدد : العطاء الإلهى . وهو كل ما يحتاج إليه الموجود لكى يبقى، فإن الله يُمدُّه بعطائه من النفس الرحمانى بالوجود وبكل ما يقوم به بقاؤه [انظر : اصطلاحات الصوفية للقاشانى، ص ٨١].

(١٢) مقتصد : معتدل فى ثنائه غير مبالغ، يريد أن مدحه للأرض المباركة وساكنيها لم يبلغ ما هى أهلٌ له وساكنوها .

(١٤) الخطوب : المصائب . الجلد : القوة والقدرة على التحمُّل .

(١٥) أناف : زاد . سقم : مرض . كمد : حزن شديد .

(١٦) يوهى : يُضْعف .

(١٧) رَيْحان قلبىَ : يعنى أولاده . خصاصةً : فقراً . دَيْدَانه : عادته . يقول : ومما زاد من أعبائى هموم أبنائى، خشية أن يصيبهم فقرٌ فيشمت فيهم الشامت الذى من عادته أن يحسد الناس .

(١٨) الرِّدْء : المُعين والناصر .

(١٩) تنحو : تقصد .

(٢٠) الخَلْف : الجماعة التى تَخْلُف سابقتها، أى تأتى بعدها .

(٢١) قَرِحَتْ : أصابها القروح، أى الآلام والجروح .

(٢٢) القَرا : الظهر، وصميمه : قوامه وعموده . فاقرة : داهية تكسر فقار الظهر .

(٢٣) أودت : أهلكت . الميمون : المبارك .

٢٤ - لا تَسْتَبِيحُ من الإِسْلامِ بَيْضَتَهُ ... يَدُ العِدَىٰ وإن اعتَدُّوا وإن حَشَدُوا

٢٥ - وحِزْبُكَ الغالِبُونَ الظَّاهِرونَ علَىٰ ... كلِّ الأَنَامِ إلىٰ أنْ يَنفَدَ الأبَدُ ١٨/أ

٢٦ - شَهِدْتُ أَنَّك خَيرُ النَّاسِ، ما وَلَدَتْ ... أُنْثَىٰ نَظِيرَكَ في الدُّنْيا ولا تَلِدُ

٢٧ - ولَمْ يُنافِسْكَ في أَصلٍ سَما بَشَرٌ ... ولم تَنَلْ رُتْبَةً نالَتْ يَدَاكَ يَدُ

٢٨ - نُقِلْتَ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طابَ مَحْتِدُهُ ... إلى بُطونٍ زَكَتْ ما شَانَها نَكَدُ

٢٩ - حَلَلْتَ صُلبَ أبِينَا عِنْدَ مَهْبِطِه ... وصُلْبَ نُوحٍ وقدْ غَشَّىٰ الوَرَىٰ الزَّبَدُ

٣٠ - وكُنْتَ في صُلْبِ إبراهيمَ مُسْتَتِراً ... ونَارُ نَمْرُوذَ أَشْقَىٰ الخَلْقِ تَتَّقِدُ

٣١ - وحَازَ نُورَكَ إسماعِيلُ يُودِعُهُ ... أبناءَهُ الغُرَّ حَتَّىٰ حَازَهُ أُدَدُ

٣٢ - ونَالَ عَدْنانُ في الأَنْسابِ مَنزِلَةً ... عُلْيًا بِذِكْرِكَ لَمْ يُخْفَضْ لها عَمَدُ

٣٣ - ولَمْ يَزَلْ في مَعَدٍّ ثُمَّ في مُضَرٍ ... وهاشِمٍ بِكَ تاجُ الفَخْرِ يَنْعَقِدُ

٣٤ - حَتَّىٰ تَسَلَّمَ عَبدُ اللهِ مَنْصِبَهُ ... من شَيبَةِ الحَمْدِ لَمَّا اسْتَوْثَقَ الأَمَدُ

٣٥ - ومُذْ حُمِلْتَ بَدا في وَجْهِ آمِنَةَ الْـ ... أَنْوارُ وهْيَ لِثِقْلِ الحَمْلِ لا تَجِدُ

---

(٢٤) بيضته : موضع قوته وسلطانه وعزته . اعتدُّوا : أعدُّوا العُدَّة وهي سلاح الحرب .

(٢٧) يقول : لم ينافسك بشر في رفعة أصلك، ولم تنل يدٌ مانلت من الرتب الرفيعة .

(٢٨) محتده : أصله . شانها : عابها . نَكَدٌ : شؤم وخسَّة . يقول : لقد تلقتك الأرحام الطاهرة من أصلاب الرجال ذوي الأصول الطيبة الكريمة .

(٢٩) الورى : مفعول به، فاعله الزبد، وهو ما يعلو وجه الماء، يشير إلى طوفان نوح عليه السلام .

(٣٠) نمروذ : هو الطاغية الذي أراد سيدنا إبراهيم - عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام - بالنار، فجعلها الله بردًا وسلامًا [انظر الكامل لابن الأثير ١ / ٥٦] .

(٣١) حازه : غير واضحة في الأصل، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٠] . أُدَد : أبو عدنان جد النبي ﷺ [انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١٩٤] .

(٣٢) عَمَد : جمع عمود، يعني مرتبة رفيعة لم يُصبْها انحدار أو ضعف .

(٣٣) مَعَدّ، مضر، هاشم : من أجداد النبي ﷺ .

(٣٤) شيبة الحمد : عبد المطلب بن هاشم، جد النبي ﷺ . لما استوثق الأمد : لما حان وقت ظهوره ﷺ إلى الدنيا . وفي الأصل : حتى أقبل الأمد، ولا يظهر معناه، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٠] .

(٣٥) روى أصحاب السير أن السيدة آمنة بنت وهب أم سيدنا محمد ﷺ، لم تجد ما تجده النساء من آلام الحمل ومتاعبه [انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٠٥ ، السيرة الحلبية ١ / ٦٩، طبقات ابن سعد ١ / ٦٠] .

٣٦ ـ وأشْرَقَت مُذْ ولدْتَ الأَرْضُ وابْتَهَجَ الْـ ـــ بَيْتُ الحَرامُ وحَارَ الجنَّةُ المُرُدُ

٣٧ ـ وكنتَ خَيْرَ نَبىٍّ عندَ خَالقنا ـــ ورُوحُ آدمَ لَمْ يَنهَضْ بها الجَسَدُ

٣٨ ـ فأبْصَرَ اسْمَكَ فَوقَ العَرْشِ مُكْتَتَبًا ـــ وتلْكَ مَنزلةٌ لَمْ يُعطَها أحَدُ

٣٩ ـ فَحينَ تابَ دَعارَبَّ العبادِ به ـــ فتَابَ حَقًّا عَلْيه الواحدُ الأحَدُ

٤٠ ـ وأنتَ يَومَ نُشورِ النَّاسِ سَيِّدُهُمْ ـــ أتْباعُكَ الغُرُّ لا يُحْصَى لهُمْ عَدَدُ

٤١ ـ وأنتَ فيه بَشيرُ القَومِ إنْ يَئسُوا ـــ وأنتَ فيه خَطيبُ القَومِ إنْ وَفَدُوا

٤٢ ـ وفى يَديْكَ لواءُ الحَمْد ثُمَّ لَكَ الْـ ـــ حَوْضُ الرَّواءُ إذا ما أعْوَزَ الثَّمدُ

٤٣ ـ لَكَ الشَفاعَةُ عندَ الكَرْبِ والعَرَقِ الـ ـــ طَّامى وعندَ جَحيمٍ حَرُّها يَقدُ

٤٤ ـ وبالوَسيلةِ تَحظَىٰ، وهْىَ مَنْزِلةٌ ـــ عُلْيا حَبَاكَ بها ذُو العزَّةِ الصَّمَدُ

٤٥ ـ وإنَّ حُبَّكَ فى إيمانِنا سَبَبٌ ـــ مِنْ دونهِ النَّفْسُ والأَمْوالُ والوَلَدُ

---

(٣٦) حارَ الجنَّةُ المُرُدُ: فى الأصل: وحاز الجنة المرد، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من [النبهانيةَ ٢ / ٢١]. من دلائل نبوته ﷺ إرسال الشُهُب على المردة أى: العتاة من الجن - الذين كانوا يتسمعون إلى الملأ الأعلى، فلما بعث النبى ﷺ حبست الشياطين، ومن أراد أن يتسمع إلى الملأ الأعلى أصابه شهاب ثاقب فأحرقه ، قال الله تعالى:

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ الجن / ٨، ٩ .

(٣٩) أخرج الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لى. فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ فعلمت أنه ليس أحدٌ أعظمَ عندكَ قدرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم، إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو ما خلقتُكَ » [المعجم الصغير للطبرانى ٢ / ٨٢ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٢ / ٨٢].

(٤٠) النشور: البعث. قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخرٍ » [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان ٣ / ٦٦ ، وقال ﷺ: « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة » [المرجع السابق ٣ / ٧٣].

(٤٢) أعوز: فُقدَ واحتاج الناس إليه. الثَّمَدُ: الماء القليل. فالمؤمنون يرتوون من حوض النبى ﷺ، وغيرهم لا يجدون الماء يوم الظمأ الأكبر.

(٤٣) يقد: يتوقَّد.

(٤٤) الوسيلة: أعلى منازل الجنة، ولاينالها إلا عبدٌ من عباد الله، قال ﷺ: « وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له الشفاعة » [مسلم بشرح النووى، ك الصلاة ٤ / ٨٥].

(٤٥) وإن حبَّك فى: فى الأصل: أنت حبك من ، والأصوب ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢١] .

٤٦ - فَبِالذِى أَجزَلَ النُّعْمىٰ عَلَيْكَ إلىٰ يومِ المَعَادِ فلا نَقْصٌ ولا بَدَدٌ ١٨/ب

٤٧ - أَنْعِمْ عَلَىَّ برُؤيَا مِنْكَ تُنْعِشُنى وتُنْقِذُ القَلْبَ مِنّى فَهْوَ مُضْطَهَدُ

٤٨ - واشْفَعْ إلىٰ الله فِى إحْسانِ خاتِمَتِى فإنَّنِى بِكَ بَعْدَ الله أعْتَضِدُ

*****

(٤٦) أجزل: أكثر وأوسع. النُّعْمىٰ: النعمة. بَدَد: تفريق.

(٤٨) أعتضد: أستعين.

الدالية الثانية

(عدتها ٤٠ ـ الكامل الثانى)

ذكريات الصبا فى الرحاب الطاهرة هى محور هذه القصيدة، كما هى محور مهم فى المجموعة كلها، فالشاعر ـ هنا ـ يذكر عهود صباه وشبابه: تلك الأيام الجميلة العامرة بالوصال الروحى والرضا يغمر القلب فى جناب أحمد سيد البشر ﷺ، ويتحسر على عجزه عن لقاء الأحبة والبلاد الحبيبة، ولا يملك إلا أن يدعو لهم ولها بالسقيا والخصب.

ثم ينتقل إلى موضوعه الأساسى وهو مديح النبى ﷺ الذى منح هذه البقاع قداستها، وشاد قواعد مجدها وعزها، وهدى الناس إلى نور الإيمان ... ويستمر الشاعر فى سرد بعض صفات ممدوحه العظيم وخصائصه الشريفة، حتى يختم قصيدته بالتحية له والسلام عليه.

ويمكن إيجاز الأفكار الأساسية التى تضمنتها القصيدة فيما يلى :

- ذكريات من عهود الصبا والشباب.
- أشواق وحسرات فى البعاد.
- محمد ﷺ أصل الكرامة لتلك البقاع الطاهرة.
- بعض خصائصه وفضائله ﷺ.
- استغاثة وشكاية واستنصار.

وقال يمدحه ﷺ:

١ - لى بَيْنَ سَلَعٍ والعَـقـيقِ عُـهُـودُ ... يَبْلَىٰ الزَّمـانُ وذِكْـرُهُنَّ جَـديدُ

٢ - أَيَّامَ أَرْفُلُ فى جَـلابيبِ الصِّـبَـا ... وعَلَـىَّ مِنْ خُـلَعِ الـوصـالِ بُـرودُ

٣ - فى مَـربَعٍ رَحْبِ الجَـوانبِ للرِّضا ... والرَّوْحِ فـيـه طائرٌ غـرِّيدُ

٤ - حَـرَمٌ به رَوْضُ المـعَـانـى نَاضِـرٌ ... لذَوى القُـلوبِ وظِلُّهُ مَـمْـدُودُ

٥ - كُلُّ الليَـالى للمُـحـبِّ بجَـوِّهِ ... لَيْلُ السُّـعُـودِ وكُلُّ يومٍ عـيـدُ

٦ - إنَّ امْـرَءًا يُمْـسى ويُصْـبحُ عـاكـفًا ... بجَنابه العَطِرِ الثَّـرَى لَسَـعـيـدُ

٧ - لولاهُ لَمْ يَعْـذُبْ بخَـرْقِ مَـسامـعى ... ذِكْـرُ العُـذَيْبِ ولَمْ يَرُقْـهُ زَرُودُ

٨ - تُـدْنيـه بالآلامِ أَحْـلامُ الكَرَىٰ ... مِنِّى وإنَّ مَـزارَهُ لَبَـعـيـدُ

٩ - وأَظَلُّ بالأشْـواقِ أَطْوى نَحْـوَهُ ... مـا لَيْسَ تَقْطَعُـهُ الرِّكَـابُ القُـودُ

١٠ - وَاهًا لأَوْقـاتٍ صَـفَتْ فَكأَنَّهـا ... فى جِـيـدِ أيَّامِ الزَّمـانِ عُـقُـودُ!

١١ - سَلَفَتْ لَنا بَيْنَ القِـبـابِ، فـهَلْ لَها ... لزَمـانِنَا المـاضِى علَىَّ مُـعـيـدُ؟

١٢ - شَـوْقى إلىٰ مَنْ حَلَّهـا شَـوْقٌ إذا ... نَقَصَ الوِدادُ على البِـعـادِ يَزيدُ

١٣ - إنْ مُتُّ مِنْ وَجْـدى بهـا وصَـبـابَتى ... فَـقَـتـيلُ أَسْـيافِ الغَـرامِ شَـهـيدُ

١٤ - كَـيْفَ اللِّقـاءُ ودُونَ من أَحْـبَـبْـتُـهُ ... وعْـرُ الحـجـازِ ومِنْ تِهـامَـةَ بِيـدُ ؟

١٥ - سَـقْـيًـا لِرَبْعٍ نازحٍ دانٍ حَـوَىٰ ... شَـرَفًـا على الآبادِ لَيْسَ يَبِـيـدُ

---

(٢) أرفل: أتمايل متبخترًا طربًا. خُلَع: جمع خلعة، وهى الموهبة والمنحة، والخُلعة فى اصطلاح الصوفية: العطاء الإلهى الذى لا كسب للعبد فيه.

(٣) الرَّوْح: الراحة. مثَّل الرضا والراحة بطائر مغرِّد.

(٦) عاكفا: مقيما. بجانبه: بجواره. فى الأصل: بجناب أحمد العطر الشَّذى لسعيد، ووزنه مكسور، صوابه ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٢].

(٧) العذيب وزرود: موضعان من منازل حجاج العراق، سبق التعريف بهما.

(٨) الكرى: النوم.

(٩) الركاب القود: الإبل المذلَّلة المطيعة فى سيرها.

(١١) سلفت: مضت.

(١٥) نازح: بعيد. حوى: فى الأصل (هوى)، وما أثبته - وهو الأصح - من [النبهانية ٢ / ٢٣]. الآباد: الأزمنة الطويلة، جمع أبد. يبيد: ينقطع ويهلك.

١٦ - أَقْمارُ أفْلاكِ الكَمالِ مُنيرَةٌ ... بِسَمائِه ونُجومُهُنَّ سُعودُ

١٧ - بِرُباهُ نَوْرُ المَجْدِ غَيْرُ مُصَوِّحٍ ... لِمَنِ اغْتَدَىٰ لِلمَكْرُماتِ يَرُودُ

١٨ - غَيثُ المَواهِبِ والرِّضا يَهْمِي عَلَىٰ ... أفْنانِ دَوْحِ رِياضِهِ ويَجُودُ ١٩/أ

١٩ - جُمِعَت لَهُ بِمُحَمَّدٍ غُرَرُ النُّهَىٰ ... وبِهِ اسْتَقَرَّ النَّصْرُ والتَّأْيِيدُ

٢٠ - طَوْدُ الفَضائِلِ فِيهِ راسٍ راسِخُ الْـ ... أرْكانِ والشُّمُّ الرِّعانُ تَمِيدُ

٢١ - فِيهِ الجَلالَةُ والمَهابَةُ والهُدَىٰ ... والبِرُّ والتَّقْوَىٰ وفِيهِ الجُودُ

٢٢ - وعَلَيْهِ أَلوِيَةُ السَّنا مَعْقُودَةً ... حَتَّىٰ يَلُوحَ لِواؤُهُ المَعْقُودُ

٢٣ - وحِياضُ سُنَّتِهِ هَنِيءٌ وِرْدُها ... حَتَّىٰ يُهَيَّأَ حَوْضُهُ المَوْرُودُ

٢٤ - هِيَ مَنْهَجُ الحَقِّ السَّدِيدِ لِمُقْتَدٍ ... وسَبِيلُ سالِكِ غَيْرِها مَسْدُودُ

٢٥ - مَرْضِيَّةٌ عَزَماتُهُ مَقْبُولَةٌ ... والمُسْتَخِفُّ بِأمْرِها مَرْدُودُ

٢٦ - مَنْ يَعْتَصِمْ بِحِبالِها فَلَقَدْ نَجا ... مِمَّا يَخافُ وإِنَّهُ لَرَشِيدُ

٢٧ - ولَقَدْ سَما بينَ البَرِيَّةِ قائمًا ... بالحَقِّ فِيها والأَنامُ قُعُودُ

٢٨ - نِعْمَ الرَّسُولُ بِنُورِهِ الشِّرْكُ انجَلَىٰ ... عَنَّا وَصَحَّ لَنا بِهِ التَّوْحِيدُ

٢٩ - هوَ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ولَوَصْفُهُ ... بَيْنَ الكِرامِ أُولِى النُّهَىٰ مَشْهُودُ

٣٠ - لا يَسْتَطِيعُ لِوَصْفِهِ حَصْرًا ولَوْ ... أَفْنَىٰ القَوافِيَ فى المَدِيحِ مُجِيدُ

٣١ - أَنَّىٰ، وبالخُلُقِ العَظِيمِ اخْتَصَّهُ ... رَبٌّ عَظِيمٌ فى الصِّفاتِ مَجِيدُ؟

٣٢ - يا خَيْرَ مَنْ تَفِدُ الرَّكائِبُ نَحْوَهُ ... وأَجَلَّ مَنْ تَسْعَىٰ إِلَيْهِ وُفُودُ

٣٣ - يا مَنْ بِهِ أَضْحَتْ قَبائِلُ هاشِمٍ ... لأُسُودِ أبْطالِ الرِّجالِ تَسُودُ

---

(١٧) نَوْر: زهر. مصوِّح: يابس جاف. يرود: يطلب.

(١٨) غيث: مطر. يهمى: يسيل بغزارة. أفنان: أغصان. دوح: جمع دوحة، وهى الشجرة العظيمة. يجود: يسقى بماء غزير.

(٢٠) طود: جبل. راسٍ: ثابت. الشُّمّ: الجبال العالية، ومثلها الرِّعان. تميد: تضطرب وتتحرك.

(٢٢) يريد أن ربع النبى سيظل منيرا بنور هديه إلى يوم القيامة حين يأخذ لواء الحمد بيده.

(٢٧) قائما: حال من فاعل (سما)، وفى الأصل: قائمٌ، وما أثبتُّه من [النبهانية ٢ / ٢٣].

(٢٨) بنوره: فى الأصل: بنورك، وفى النبهانية: بنوره، وهو الأصح؛ لكون الضمائر كلها للغائب.

(٣١) أنَّى: كيف.

٣٤ - قد مَسَّنا الضُّرُّ الشَّديدُ وشفَّنَا ... فى كُلِّ عامٍ يُقْبِلُ التَّهْديدُ

٣٥ - إنْ لَمْ يَكُنْ فى الحالِ شَرٌّ حاضِرٌ ... فَلَقَدْ أتَانا للعَدُوِّ وَعِيدُ

٣٦ - فأغِثْ ضِعافًا ما لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... إنْ لَمْ تُغِثْهُمْ فالعَدُوُّ عَنِيدُ

٣٧ - فإلَىٰ مَنِ الشَّكْوَىٰ إذا أَهْمَلْتَنا ... أنَّىٰ وَرُكْنُكَ بالإلَهِ شَدِيدُ؟!

٣٨ - فَلَقَدْ نُصِرْتَ بِرُعْبِ شَهْرٍ والصَّبَا ... ولَكَ المَلائكُ فِى الحُروبِ جُنودُ

٣٩ - لا زِلْتَ مَخْصُوصًا بِكُلِّ تَحيَّةٍ ... مِنَّا عَلَيْها للقَبُولِ شُهودُ ١٩/ب

٤٠ - يَاتِى بِها مَلَكٌ كَرِيمٌ مُبلِغٌ ... ما لا يُطِيقُ لَهُ البَلاغَ بَرِيدُ

*****

---

(٣٤) شفَّنا : أصابنا وأضعف قُوَّتَنا .

(٣٦) يشير فى الأبيات (٣٤ - ٣٦) إلى هجمة التتر على العالم الإسلامى .

(٣٩) أثبت النبهاني بيتاً آخر قبل هذا البيت ليس موجوداً في الأصل، وهو :

ولأَنْتَ فى الدَّارَيْنِ أنْجَحُ شافعٍ ... ومَقامُ فَضْلِكَ فيهِما محمودُ

[النبهانية ٢ / ٢٤] .

الدالية الثالثة

(عدتها ٤٨ ـ الخفيف الأول)

يخاطب الشاعر فى هذه القصيدة ركبان الحجيج وهم فى طريقهم إلى الأرض المباركة، ويدعوهم « ولاة الفلا »، راجيًا أن يعيدوا على مسامعه ذكرياته الطيبة فى هذه الرحاب، ساردًا المواقع التى يجتازها الحجيج فى سبيلهم إلى الحرم الشريف، فهذه البقاع هى الشفاء من كل سقم، ولا غرو ففيها يرقد جثمان النبى الطاهر ﷺ، أكمل العالمين علمًا ويقينًا واجتهادًا وزهدًا... إلخ، معددًا بعض مآثر الرسول ﷺ وفضائله ومعجزاته، منهيًا القصيدة بإهداء السلام إلى روحه ﷺ.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- ذكريات وأشواق.
- فى مديح النبى ﷺ والثناء عليه.
- النبى ﷺ درع الأمة وملاذها فى حياته وبعد مماته.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا وُلاةَ الفَلا ذَمِيلاً ووَخْدا كَيْفَ خِلْتُمْ لِيَ العُذَيْبَ ونَجْدَا؟!

٢ - هَلْ جَرَىٰ بَعْدَنا النَّسِيمُ مَرِيضًا فى ثَرَاهُ فَهَزَّ بَانًا ورَنْدَا؟

٣ - أَمْ كَسَتْ مِنْ رُبَاهُ أَيْدِى الغَوَادِى كُلَّ عِطْفٍ مِنَ الأَزَاهِرِ بُرْدَا؟

٤ - خَبِّرُونِى كَيْفَ الحِجازُ وهَلْ مَرَّ تْ بِأَعْلامِهِ الرَّكائِبُ تُحْدَىٰ؟!

٥ - ثُمَّ قُصُّوا عَلَيَّ مِنْ نَبَأِ الخَيْـ ـفِ حَدِيثًا يُهْدِى إِلى القَلْبِ بَرْدَا

٦ - واذْكُرُوا لى ذاتَ السُّتُورِ عَسَاكُمْ أَنْ تُجِدُّوا بِذِكْرِها لِيَ عَهْدَا

٧ - كَيْفَ أَضْحَىٰ جَنَابُهَا الرَّحْبُ لا زَا لَ مَرَاحًا للعاكِفِينَ ومَغْدَىٰ

٨ - وأَهَلَّ الوُفُودُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ كُلَّ عامٍ إِلَيهِ بالبُدْنِ تُهْدَىٰ

٩ - وَصِفُوا لِى بَيْنَ الصَّفَا والمُصَلَّىٰ مَنْهَلاً طَابَ لِلْمُحِبِّينَ وِرْدَا

١٠ - ومُقَامًا بأَرْضِ نَعْمانَ لا زَا لَ علىٰ الوَفْدِ ظِلُّهُ مُمْتَدَّا

١١ - وأَجِيلُوا ذِكْرَ العَقِيقِ بِسَمْعِى فَهْوَ أَغْلَىٰ عِنْدِى وأَحْلَىٰ مَرَدَّا

١٢ - وانْشُدُوا لِى مَا ضَلَّ مِنْ زَمَنِ الوَصْـ ـلِ بِسَلْعٍ فَلَيْتَهُ لِيَ رُدَّا

١٣ - ومُنَاخًا بالسَّفْحِ قَلَّتْ له الرُّو حُ فِداءً لوْ كانَ بالرُّوحِ يُفْدَىٰ

١٤ - واطْلُبُوا بِالقِبابِ بُرْءَ سَقَامِى فَبِتِلْكَ القِبابِ آنَسْتُ رُشْدَا

---

(١) ولاة الفلا : المسافرون، سمَّاهم بهذا لكثرة أسفارهم فى الفلا . الذميل والوخد : لونان من سير الإبل، فالذميل : السير الهادئ، والوخد : السير السريع . خلتم : رأيتم، من التخيل . وجاء عجز البيت فى النبهانية ٢ / ١٤ ، هكذا :

كَيفَ خَلَّفْتُمُ الغُوَيْرَ ونَجْدَا

(٢) النسيم المريض، والعليل : كناية عن هدوئه وطيبه . البان : شجر عظيم . الرَّنْد : زهر طيب الرائحة، وهو الآس .

(٣) الغوادى : السحب، جمع غادية .

(٤) تُحْدَى، من الحُداء، وهو الغناء . وذلك لأنهم كانوا يغنون للإبل أثناء السير .

(٧) مَرَاحًا : اسم مكان من (راح - يروح) أى يروح إليها الحجاج . مَغدى : اسم مكان من (غدا - يغدو) .

(٨) أهلَّ : رفع صوته بالتلبية . الفج : الطريق الواسع . البدن : الإبل التى تُهْدَى إلى الحرم، وهى من مناسك الحج .

(١٤) برء : شفاء . سقامى : مرضى . آنست : شعرت ووجدت . رشداً : هداية .

١٥ - ثُمَّ تَمَّ الفَخَارُ واجْتَمَعَ الفَضْـ ـلُ وأضْحَتْ لذى المَآرب قَصْدَا

١٦ - بأبَرِّ الأنْسَابِ جَدًّا وأحْظَى الـ ـنَّاسِ جَدًّا وأعْظَمِ النَّاسِ جِدًّا

١٧ - أكْمَلِ العَالَمِينَ علمًا وإيقَا نًا وأعْلاهُمُ اجْتِهَادًا وزُهْدَا

١٨ - وأتَمِّ الأنَامِ حِلمًا وأسْخَى بالعَطَايا كَفًّا وأصْدَقِ وَعْدَا

١٩ - وأشَدِّ الرِّجالِ بأسًا إذا مَا أذْكَتِ الحَرْبُ فى الأسِنَّةِ وَقْدَا ٢٠/أ

٢٠ - فاتِحِ الخَيْرِ خاتَمِ الرُّسُلِ الزُّهْـ ـرِ سِراجِ الهُدَى العَزيزِ المُفَدَّى

٢١ - أحْمَدُ الهاشِمىُّ أحْمَدُ دَاعٍ بِبَيَانٍ إلى الرَّشَادِ وأهْدَى

٢٢ - حَمَلَتْهُ الحَصَانُ آمِنَةُ الطُّهْـ ـرُ فَلَمْ تَشْكُ مُدَّةَ الحَمْلِ جَهْدَا

٢٣ - ولَقَدْ عَايَنَتْ جَميعَ قُصورِ الـ ـشَّامِ جَهْرًا بنُورِهِ إذ تَبَدَّى

٢٤ - وبِمِيلادِهِ تَضاعَفَ نُورُ الْـ ـبَيْتِ نُورًا وزَادَ عِزًّا ومَجْدَا

٢٥ - وبه اسْتَبْشَرَ المِهادُ وأظْهَرْ نَ ابْتِهَاجًا لَمَّا تَبَوَّأَ مَهْدَا

٢٦ - ولَقَدْ حارَتِ الشَّياطينُ لَمَّا شَاهَدَتْ حَوْلَهُ المَلائكَ جُنْدَا

٢٧ - جَاءَ يومَ الإثْنَيْنِ ثَانِى عَشْرٍ مِنْ رَبيعٍ بِهِ التَّواريخُ تُبْدَا

٢٨ - خَرَّ للهِ سَاجِدًا لَمْ يُعَالَجْ بِخِتَانٍ ، زَكَا وقُدِّسَ عَبْدَا

---

(١٥) المآرب : الأغراض والمقاصد .

(١٦) جَدًّا : الأولى أبو الأب، والثانية بمعنى : الحظ والنصيب . (جِدًّا) بكسر الجيم فى قافية البيت : اجتهادًا .

(١٩) أذكت : أشعلت . وَقْدًا : نارًا .

(٢١) أحمد الهاشمى : النبى الكريم محمد ﷺ . أحمد داع : خير داعٍ، يحمده الله تعالى ويحمده الناس .

(٢٢) الحصان : العفيفة . الطهر : الطاهرة، من باب الوصف بالمصدر، كما يقال : رجلٌ صِدْقٌ وَعدْلٌ، أى : صادق وعادل .

(٢٣) عاينت : رأت . تبدَّى : ظهر . جاء هذا الخبر فى كثير من كتب السنة وكتب السيرة : عن العرباض بن سارية أن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت منه قصور الشام .
[مسند أحمد، حديث رقم ١٦٥٢٥ ، سنن الدارمى، كتاب المقدمة، حديث رقم ١٣ ، دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٨٠] .

(٢٥) المهاد : الأرض، المهد : فراش الطفل .

(٢٨) قُدِّس : طُهِّر ونزِّه عن كل خبث .

٢٩ - وَضَعَتْ أَجْمَلَ البَرِيَّةِ وجَهًا قَدْ كَسَتْ منهُ رَوْضَةُ الحُسْنِ خَدًّا

٣٠ - أدْعَجَ العَيْنِ أوْطَفَ الهُدْبِ أَقْنَى الْـ أنْفِ فَوْقَ الجَبِينِ نُونَاهُ مُدًّا

٣١ - شَفَتَاهُ والثَّغْرُ دُرٌّ وياقُو تٌ ونَثْرُ الكَلامِ يُنْظَمُ عِقْدَا

٣٢ - سَاعِداهُ كَفِضَّةٍ وتَظُنُّ الْـ ـكَفَّ مِنْهُ فى لِينَةِ اللَّمْسِ زُبْدَا

٣٣ - وَهْىَ إِمَّا شَمَمْتَها جَوْنَةُ العِطْـ ـرِ وغَيْثُ السَّمَاءِ إنْ رُمْتَ رِفْدَا

٣٤ - أَنْورُ الصَّدْرِ حَلَّ فى كَتِفَيْهِ خَاتِمٌ حَلَّ مَا ثَنَىٰ الكُفْرُ عَقْدَا

٣٥ - أوْضَحُ النَّاسِ مَفْرِقًا وأَجَلُّ الْـ ـنَّاسِ فَرْعًا وأقْوَمُ النَّاسِ قَدًّا

٣٦ - جَمَعَتْ ظِئْرُهُ حَلِيمَةُ سَعْدٍ بِرَضَاعِ الحَلِيمِ فَخْرًا وسَعْدَا

٣٧ - شَرَحَتْ صَدْرَهُ بِمَرْبَعِهَا الأمْـ ـلاكُ شَرْحًا أَوْلاهُ قُربًا ووُدَّا

٣٨ - كانَ يَغْدُو منْ غَيْرِ كُحْلٍ كَحِيلاً وعُيُونُ الأَقْرَانِ تُصْبِحُ رُمْدَا

٣٩ - وَوَقَاهُ وهْوَ ابْنُ خَمسٍ غَمَامٌ لأَذَىٰ الحَرِّ عَنْهُ فى الصَّيفِ رَدَّا

٤٠ - لَمْ يَزَلْ يَنْشَأُ النَّبِىُّ أَتَمَّ الـ ـنَّشْءِ حَتَّىٰ وَافَىٰ الكَمَالَ الأَشَدَّا ٢١/ب

٤١ - فَأَضَاءَتْ شَمْسُ النُّبوَّةِ فاجْتَا بَتْ ظَلامَ الضَّلالَةِ المُسْوَدَّا

٤٢ - نَصَحَ العَالَمِينَ حَتَّىٰ أَتَاهُ أمْرُ حَقٍّ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدَّا

---

(٣٠) أدعج: شديد سواد العين، واسعها. أوطف: طويل الأهداب. فى الأصل: (أقطف)، وهو خطأ من الناسخ، والصواب من [النبهانية ٢/١٧]. أقنى: طويل الأنف، مع تحدب فى وسطه. نوناه مُدًّا: شبه اتساع جبينه ﷺ بنونين ممدودتين.

(٣١) درٌّ: لؤلؤ. ياقوت: حجر كريم أحمر اللون.

(٣٣) جونة: زجاجة العطر. رفدًا: عطاء.

(٣٤) أنور: منير مشرق. خاتم: خاتم النبوة فى كتفيه ﷺ.

(٣٥) المفرق: موضع فرق الشعر فى وسط الرأس. فرعًا: شعرًا، قدًّا: قامةً.

(٣٦) ظئره: مرضعته، حليمة السعدية.

(٣٧) أولاه: أعطاه.

(٣٨) الأقران: الأمثال فى العمر. رُمدًا، جمع أرمد [انظر فى صفة النبى ﷺ: صحيح البخارى، كتاب المناقب - الفتح ٧/٦٥١ : ٦٦٩ ، دلائل النبوة للبيهقى ١/١٩٤-٢٠٣ ، الشمائل الترمذية ٢٧ : ١٣٧].

(٤١) اجتابت: بددت وأذهبت.

٤٣ - فأقامَ الدِّينَ الحَنيفَ بأَيْدٍ ثُمَّ وَفَّىٰ حَقَّ الإلهِ وأَدَّىٰ

٤٤ - فَهُوَ الآنَ فى مَزيدٍ وقُرْبٍ وهُوَ الآنَ بالمَنافِعِ أَجْدَىٰ

٤٥ - يَوْمُ الاثْنَيْنِ والخَميسِ إذا عُدَّ عَليْهِ كَسْبُ المُوَحِّدِ عُدَّا

٤٦ - يَسْأَلُ اللهَ للمُسيءِ وإنْ عَايَنَ حُسْنًا أَهْدَىٰ إلىٰ اللهِ حَمْدَا

٤٧ - وَغَدًا يَبْذُلُ الشَّفاعَةَ للْعَاصِينَ حَتَّىٰ ينالَهَا مَنْ تعدَّىٰ

٤٨ - فَعَلَيْهِ السَّلامُ ما أَقْبَلَ اللهُ بالقُرْبِ مِنهُ مُمِدَّا

*****

---

(٤٣) بأيْد : بقوة .

(٤٤) أجدًى : أكثر نفعًا .

(٤٦) قال ﷺ : « حياتى خيرٌ لكم ومماتى خيرٌ لكم، تعرض عليَّ أعمالكم يوم الإثنين ...، فما وجدت من خيرٍ حمدت الله عز وجل، وما وجدت من شرٍ استغفرت الله » [الإتحافات السنية ٩ / ١٧٦ - ١٧٧ ، المطالب العالية ٣٨٥٣].

(٤٧) تعدَّى : ظَلَم .

قافية الذال المعجمة

نظم الشاعر على هذا الروى الحوشى قصيدتين، أولاهما من (٤٠) أربعين بيتًا، والأخرى من (٢٣) ثلاثة وعشرين بيتًا، وكلتاهما تعدُّ قصيدة طويلة على هذا الروى الصعب.

الذالية الأولى

(عدتها ٤٠ ـ الطويل الثانى)

ذالية مكسورة مطلقة، احتشدت قوافيها بالألفاظ الصعبة. وكلها حنين إلى أرض الحجاز وسكانها ﷺ.

وتضمنت القصيدة ثلاثَ أفكار :

- رسالة شوق وحنين إلى النبى ﷺ.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الدعوة إلى الاعتصام بالسنة المطهرة وأنوارها.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - قِفَا بِحِمَىٰ سَلْعٍ فَسَاكِنُهُ الَّذى ... مِنَ الحَادِثِ المَرْهوبِ أَصْبَحَ مُنْقِذِى

٢ - حَبِيبٌ إِذا ما جَادَ منهُ بنَظْرَةٍ ... نَعِمْتُ بِرؤْياهُ وطَالَ تَلَذُّذِى

٣ - فإِنْ غابَ عَنْ عَيْنَىَّ أَنْكَرْتُ عِيشَتِى ... وضَاقَ عَلَىَّ الرَّحْبُ من كُلِّ مَنْفَذِ

٤ - وكَيْفَ اصْطِبارُ القَلبِ عَنْ وَجهِ سَيِّدٍ ... جَمِيلٍ بآياتِ الكتابِ مُعَوَّذِ

٥ - بِنَفْسِىَ شَمْسَ الصَّحْوِ فى رَوْنَقِ الضُّحَىٰ ... عَلَى غُصُنٍ بِالسَّلْسَلِ العَذْبِ قَدْ غُذِى

٦ - رَضِيتُ بأَنْ يَرْضَىٰ بأَنِّى عَبْدُهُ ... ولَيْسَ عَلَىٰ ذِى الصِّدْقِ هَذا بِمأْخَذِ

٧ - ومَا فَخْرُ عَبْدٍ لا يَكونُ ولاؤُهُ ... لأَكْرَمِ خَلْقِ اللهِ حَافٍ وَمُحْتَذِ

٨ - وأَحْسَنِهِمْ وجْهًا وأَحْلَىٰ شَمَايِلاً ... إِذا مَا تَثَنَّىٰ فى رِداءٍ ومِشْوَذِ

٩ - أَبِى القَاسِمِ المُخْتَارِ أَشْرَفِ مُرسَلٍ ... وأزْكَىٰ أَمِينٍ للأوامِرِ مُنْفِذِ

١٠ - هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْداةُ والنِّعْمَةُ التى ... بِها جَبَرَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَقَّذِ

١١ - وَذُو النَّقَماتِ المُوبِقَاتِ عَدُوَّهُ ... بِكُلِّ حُسَامٍ ذِى غِرارٍ مُشَحَّذِ

١٢ - تَعَطَّفُهُ بَرْدٌ ورَوْحٌ ورَاحَةٌ ... عَلَى كَبِدٍ حَرَّىٰ وقَلْبٍ مُفَلَّذِ ٢٢/ب

١٣ - وإِعراضُهُ يَرْمِى فَيُصْمِى حَشَا الفَتَى ... مِنَ الضُّرِّ والبَلْوَىٰ بِسَهْمٍ مُقَذَّذِ

---

(٥) بنفسى : أفدى بنفسى . رَوْنق الضُّحى : أول وقت الضحى، ورونق كل شىء : ما صَفَا وحَسُن منه . السَّلسَل : الماء العذب البارد .

(٧) حاف : غير لابس حذاء . محتذ : مرتد حذاءً . وعطف الضدين كناية عن العموم ، أى : أكرم خلق الله جميعًا، وكان الأولى نحويًا نصب (حافٍ ومحتذ) على الحالية، فلعل هذا البيت مقحم فى القصيدة؛ لأن شاعرا كالصرصرى لا يقع فى هذا الخطأ النحوى الواضح .

(٨) الشمايل : الصفات . المشوذ : العمامة .

(١٠) موقَّذ : محزون القلب، مأخوذ من الوَقْذ، وهو شدة الضرب مما قد يفضى إلى الموت، نقل إلى المعنويات كالحزن، على المثل .

(١١) الموبقات : المهلكات . غِرار السيف : حده . مُشَحَّذ : مبالغ فى شحذه، أى سَنّه؛ ليصبح قاطعًا .

(١٢) حَرَّى : ملتهبة جافة من شدة الحزن . مُفَلَّذ : مقطَّع .

(١٣) يُصْمِى : يصيب . سهم مقذَّذ : مُسَوًّى لا ميل فيه، فهو يبلغ هدفه ويصيبه فى مقتل .

١٤ - وَمَشْرَبُهُ عَذْبٌ لوُرَّاده روًى ... تَقدَّسَ واسْتَعْلَىٰ عَنِ المَشْرَبِ القَذى

١٥ - لَهُ الحَوْضُ يَوْمَ الحَشْرِ يَفْضُلُ ماؤُهُ ... عَلَى عَسَلٍ للشَّارِبِ المُتَلَذِّذِ

١٦ - وأكْوابُهُ مِثْلُ النُّجومِ، وسَبْقُهُ ... لِكُلِّ حَفِيٍّ مُتَّقٍ مُتَبَذِّذِ

١٧ - ويُخرِجُ مِنْ نارِ الجَحيمِ بجَاهه ... مِنَ العُصَبِ العَاصِينَ كُلَّ مَحَنَّذِ

١٨ - به سَعِدُوا بَعْدَ الشَّقاءِ، وكَمْ لَهُ ... مِنَ النَّارِ مِنْ مُتَخَلِّصٍ مُتَنَقِّذِ!

١٩ - ويَسْكُنُ مَنْ أَضْحَىٰ مُطيعًا لأمْرِه ... قِبابًا مِنَ اليَاقُوتِ أوْ من زُمُرُّذِ

٢٠ - بطاعَتِهِ حَازُوا وحُسْنِ اتِّباعِه ... عَطاءً من الرَّحْمٰنِ غَيْرَ مُجَذَّذِ

٢١ - هُوَ المُصْطَفَىٰ مِنْ وُلْدِ آدَمَ كُلِّهِمْ ... بِرَغْمِ عَمٍ عَنْ رُشْدِهِ حَائِرٍ بَذِى

٢٢ - تَنَقَّلَ مِنْ شيثٍ إلى مُتَوَشْلِخٍ ... ونُوحٍ وسَامٍ نَجْلِهِ ورَفَخْشَذِ

٢٣ - إلى صُلْبِ إبراهيمَ والصَّادقِ ابنِه ... وأَصْبَحَ مِنْ عَدْنَانَ فى خَيْرِ أفْخُذِ

٢٤ - وخَيَّمَ فى عُلْيا كِنانَةَ وانْتَهَىٰ ... إلى هَاشِمٍ حَالُ الفَتَى المُتَعَوِّذِ

٢٥ - إلى شَيْبَةِ الحَمْدِ المُعَظَّمِ وابْنِهِ الـ ... ـذَّبيحِ الكَريمِ ابْنِ الكَريمِ المُنَجَّذِ

---

(١٤) القذى : ما يسقط فى العين، أو فى الماء فيلوِّثه .

(١٦) متبذِّذ : متواضع فقير.

جاء فى صفة حوض النبى ﷺ « كيزانه (وفى رواية : أباريقه) كنجوم السماء »

[انظر: صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفته ١٥/٥٥ : ٦٥].

(١٧) العُصَب : الجماعات، جمع عُصْبة . محنَّذ : محترق بالنار.

(١٩) زمُرذ : بالدال المهملة، وبالذال أيضاً كما فى هذا البيت .

(٢٠) مُجذَّذ : مقطوع.

(٢١) عَمٍ : أعمى . بذى : بذىء، أى فاحش، قصر الممدود لأجل القافية .

(٢٢) يسرد فى هذا البيت وما بعده (إلى البيت رقم ٢٥) نسب النبى ﷺ من أبيه (الذبيح) عبد الله، إلى جدِّه شيبة الحمد، وهو عبد المطلب، حتى يصل إلى شيث بن آدم . ولا خلاف فى نسب النبى ﷺ حتى عدنان، وما بعد ذلك فيه خلاف كبير .

[انظر: الكامل لابن الأثير ٢/٢ : ٢١] .

(٢٤) خيَّم : أقام، يريد : انتهى نسبه إلى كنانة .

(٢٥) الذبيح : عبد الله بن عبد المطلب، أبو النبى ﷺ .

المنجَّذ : المجرِّب الذى عرف الأمور وأحكمها .

٢٦ - مَناسِبُ فى العَلْيـاءِ طابَ نِجَارُها   تَتَابَعَ فيها كُلُّ أزْهَرَ أَحْوَذِى
٢٧ - لَهُ مُعْجِزاتٌ لَيْسَ يُدْرَكُ شَأْوُها   ومَنْ يَبْتَدِرْ ذا الجَدِّ بالسَّبْقِ يُبْذَذِ
٢٨ - أَتَىٰ بِصَريحِ الحَقِّ، لَيْسَ بِكاهِنٍ   ولَيسَ بِسحَّارٍ ولا بِمؤَخَّذِ
٢٩ - بِدَعْوَتِهِ فِى المَحْلِ عَمَّ نَدَىٰ الحَيَا   وجَادَ بِغَيْثٍ مُغْدقٍ غَيْرِ مُشْحِذِ
٣٠ - ولَمَّا دَعَا بِالصَحْوِ أقْلَعَ غَيْمُها   وأجْفَلَ إِجْفَالَ النَّعامِ المُفَذَّذِ
٣١ - ولاحَ لِكِسْرَىٰ القَهْرُ عِنْدَ وِلادِهِ   وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَرْزُبانٍ ومُوبَذِ
٣٢ - وهَا نَحْنُ نَرْجُو الآنَ نَصْراً بِوعْدِهِ   عَلىٰ كُلِّ طاغٍ وَعْدَ غَيْرِ مُطَرْمِذِ
٣٣ - فيا قَلْبُ إِنْ رُمْتَ الغَداةَ سَلامَةً   مِنَ الفِتَنِ الصُّمِّ الصِّلابِ بِهِ عُذِ ٢٢/ب
٣٤ - وإِنْ رُمْتَ عِزًّا شامِلاً وصِيانَةً   وعَوْنًا على الدُّنْيا بِجانِبِهِ لُذِ
٣٥ - وإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيا سَعِيداً مُهَذَّباً   بِسُنَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ذاتِ الهُدَىٰ خُذِ
٣٦ - عَلَيْكَ بِها فاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِها   وَمَنْ يَطَّرِحْها نَابِذًا فَلَهُ انْبِذِ
٣٧ - وذَرْ كُلَّ شَيْطانٍ يُخالِفُ أَمْرَها   غَوِىٍّ على أَحْزَابِهِ وتَعَوَّذِ
٣٨ - وتَابِعْ علىٰ تَحْصِيلِها كُلَّ ناقِلٍ   بَصيرٍ بآفاتِ الكَلامِ مُحَذِّذِ

---

(٢٦) نجارها: أصلها وحَسَبُها. أحوذى: ذو همة عالية فى الأمور، لا يعجزه شىء.
(٢٧) شأوها: غايتها. يبتدر: يسابق. ذا الجَدّ: صاحب الحظ، ولعلها: الجِدّ، أى الاجتهاد. يُبْذَذ: يُسْبَق ويُغْلَب.
(٢٨) مؤخَّذ: مسحور، وفى الأصل: ولا بمؤاخذ، وهو خطأ من الناسخ؛ فالمراد أنه ﷺ ليس بكاهن ولا ساحر ولا مسحور.
(٢٩) المَحْل: الجدب. الحَيَا: المطر. مغدق: متدفق غزير. غير مشحذ: غير قليل.
(٣٠) أقلع: انجلى وكفَّ عن المَطر. أجفل: ذهب. المفذَّذ: المتفرق. يشير إلى استسقاء النبى ﷺ، حتى عمَّ المطر كل مكان، فخشى الناس أن يهلكهم المطر، فدعا النبى ﷺ: «حوالينا لا علينا» قال أنس رضي الله عنه، وهو راوى الحديث: فنظرت إلى السحاب يتصدَّع حول المدينة كأنه إكليل [الفتح، كتاب المناقب ٦/ ٦٨٠، حديث رقم ٣٥٨٢].
(٣١) المرزبان والمُوبذ: من المناصب الفارسية.
(٣٢) المطرمذ: الذى يعد ولا يحقِّق ما وعد.
(٣٤) لذ: الجأ واعتصم.
(٣٦) يَطَّرحها: يتركها ولا يعمل بها.
(٣٨) آفاتَ الكلام: عيوبه، يقصد هنا: قواعد الحديث التى بها يعرف صحيحه من ضعيفه، وما فى الحديث من دلائل الضعف. مُحَذِّذ: قاطع فى حكمه غير متردد.

٣٩ - يَؤُمُّ أحَـاديثَ الرَّسُـولِ فَـيَـهْـتَـدى   بأنْوارِها طُرْقَ الرَّشَـادِ ويَحْـتَـذى
٤٠ - فَكُنْ مُـسْـتَـقِـيـمًـا للجَـمَـاعَـةِ تابِعًـا   ومَنْ لَـمْ يُتَـابِعْ سُنَّةَ اللهِ يَشْـذُذِ

*****

(٣٩) يؤمّ: يقصد. يحتذى: يقتدى.
(٤٠) يَشْذُذ: يصبح شاذًّا مخالفًا.

الذالية الثانية

(عدتها ٢٣ - الطويل الثانى)

استبدل الصرصرى فى هذه القصيدة - وفى قصائد أخرى - بالمقدمة الطللية والغزلية القديمة، مقدمة غزلية أخرى فى حب البقاع المقدسة وساكنيها، فالنبى ﷺ هو محبوبه الأوحد، تضمنت هذه المقدمة مشاعر صادقة من الحب لأرض الحجاز وأهلها، وسيدهم وسيد الخلق محمد ﷺ، ثم تلتها دعوة إلى امتثال هديه والاهتداء بسنته.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية:

- مقدمة غزلية فى الحجاز وأهله.
- أشواق وأمنيات.
- فى الثناء على سيد البشر ﷺ.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رُبوعَ حَبِيبِ القَلْبِ بالخَيْفِ حَبَّذا ... صَبَاكِ وما أَهْدَتْ إِلىٰ القَلْبِ مِنْ شَذا

٢ - لَقَدْ سَحَرَتْ لُبَّ المُتَيَّمِ سُحْرَةً ... فَلَمْ تُلْفِهِ مِنْ نَفْحَةٍ مُتَعَوِّذَا

٣ - ولَكِنَّها كَانَتْ شِفاءً لِسُقْمِهِ ... فَلَمْ يُرَ سِحْرٌ قَبْلَها دَفَعَ الأَذَىٰ

٤ - فَيَا نَفْحَةً أَحْيَتْ رَمِيمَ رَجَائِهِ ... ولَمَّتْ بِطِيبِ النَّشْرِ قَلْبًا مُفَلَّذَا

٥ - فَيَا حَادِيَىْ رَكْبِ الحِجازِ إِلى الحِمَىٰ ... رَسَائِلَ أَشْوَاقِى وسُكَّانِه خُذَا

٦ - وقُولاَ لأَهْلِ الشِّعْبِ هَلاَّ جَبَرْتُمُ ... بِطَيْفِكُمُ النَّائِى كَئِيبًا مُوَقَّذَا

٧ - قَنِعْتُ بِزَوْرِ الطَّيْفِ إِذْ أَنا لَمْ أَجِدْ ... إِلىٰ رَبَّةِ السِّتْرِ المُمَنَّعِ مَنْفَذَا

٨ - وَيَعْذُبُ تَعْرِيضُ الحُدَاةِ بِذِكْرِها ... بِسَمْعِى وذُو الوَجْدِ المُبَرِّحِ هَكَذَا

٩ - رَمَتْنِى يَدُ البَيْنِ المُشَتِّتِ غَامِداً ... بِجِسْمِيَ للآلامِ سَهْمًا مُقَذَّذَا

١٠ - فَهَلْ لِى بِها مِنْ وَقْفَةٍ بَعْدَ وَقْفَةٍ ... فَأُصْبِحَ مَسْروراً بِها مُتَلَذِّذا

١١ - وهَلْ لِى إِلىٰ سَلْعٍ مِنَ الدَّهْرِ أَوْبَةٌ ... ولوْ ظَلْتُ مِنْ طُولِ السُّرَىٰ مُتَبَذِّذا

١٢ - أُقَضِّى لُبَانَاتِى بِطَيْبَةَ عَلَّنِى ... أُصِيبُ بِها مِنْ عِلَّتِى لِىَ مُنْقِذا

---

(١) ربوع: منادى حذفت أداته. حبَّذا: كلمة مدح. شذا: عطْر.
(٢) المتيم: العاشق. سُحرةً: في وقت السحر. لم تُلفِهِ: لم تَجِدْه.
(٤) الرميم: البالى المفتَّت. مفلَّذا: ممزقًا.
(٥) الحادى: سائق الإبل المغنِّى لها. رسائلَ: مفعول به قُدِّم على فعله، وهو (خُذا). وسكانِه: معطوف على (الحمى)، أى: يا حاديى ركب الحجاز، خذا رسائلى إلى الحمى وسكانه.
(٦) الشعب: الطريق بين جبلين، ويقصد به شعب مكة المكرمة. هلا: كلمة تحضيض وحث على الفعل. موقَّذا: كسير القلب محزونا.
(٧) زور: زيارة.
(٨) يعذُب: يحلُو. التعريض هنا بمعنى: الذِّكر. الحداة: جمع حادٍ، وهو المغنى. المبرِّح: الشديد الإيلام.
(٩) البين: الفراق. غامداً: من الغَمْد، وهو إدخال السيف فى غمده، وهو هنا بمعنى إطلاق السهم. والسهم المقذَّذ: المحدَّد المستقيم الذى يصيب هدفه.
(١١) أوبةٌ: عودة. ظلت: ظَلِلْتُ، والفعل (ظَلَّ) مسنداً إلى تاء المتكلم يجوز فيه الوجهان. متبذِّذًا: رَثّ الهيئة بسببَ طول السفر ومشقته وغباره.
(١٢) لباناتى: حاجاتى. علَّنى: لعلنى، وهى من حروف الرجاء.

١٣ - نَعَمْ إنَّ فيها خاتَمَ الرُّسْلِ فاتحَ الْـ ـكَمالِ النَّبىَّ الهاشمىَّ المُنَجَّذا ٢٣/أ

١٤ - مُحَمَّدٌ المَبْعوثُ بالرَّحْمَةِ الذى مَضَىٰ مُسْتَقيمًا مَنْ عَلَىٰ حَذْوِهِ حَذَا

١٥ - أبو القاسمِ المُخْتارُ خَيْرُ مَنِ ارْتَدَىٰ ولاثَ إزارًا للوُفودِ ومِشْوَذا

١٦ - مَنَاهِلُهُ مَحْمودةُ الوِرْدِ عَذْبَةٌ مُطَهَّرةٌ ما فى مَشَارِعِها قَذَىٰ

١٧ - جَوادٌ كَريمٌ لا يَمُنُّ بِرِفْدِه غَزيرُ النَّدَىٰ إنْ عارَضَ المُزْنَ أشْحَذا

١٨ - رَءُوفٌ رَحيمٌ واسِعُ الحِلْمِ مُحْسِنٌ قَريبٌ مِنَ المَعْروفِ نَاءٍ عَنِ البِذَا

١٩ - رِسالَتُهُ تَبْقَى مَعَ الدَّهْرِ حَبْلُها مَتينٌ مُغَارُ الفَتْلِ لَنْ يُتَنَجَّذا

٢٠ - وسُنَّتُهُ المُثْلَىٰ سَبيلُ مَنِ اتَّقَىٰ ألا نِعْمَ ما تلكَ السَّبيلُ وَحَبَّذَا!

٢١ - إذا المُعْتَدِى أبْدَىٰ خِلافًا لها انْتَضَىٰ لَهُ المُقْتَدِى منها حُسَامًا مُشَحَّذَا

٢٢ - ألُوذُ بِهِ مِنْ كُلِّ خَطْبٍ ونَازِلٍ وَما خَابَ مَنْ أمْسَىٰ به مُتَلَوِّذا

٢٣ - فَيارَبِّ يا ذَا الجُودُ والفَضْلِ دائمًا أعِذْنِى أَنْ أُغْتَالَ عَنْهُ وأُوخَذَا

*****

---

(١٣) المُنَجَّذ : المجرَّب .

(١٤) على حذوه حذا : سار على هديه، قُدِّم الجار والمجرور على متعلقهما، وأصل العبارة : حذا على حذوه، أى سار سيرته ونهج على طريقته .

(١٥) لاثَ الإزار : لبسه . المشوذ : العمامة .

(١٦) المشارع : جمع مَشْرَعَة، وهى المورد المَعدّ للشرب . القذى : كل ما يلوث الماء .

(١٧) الرفد : العطاء . النَّدَى : الجود والكرم . المزن : السحاب . أشحذ : قل ماؤه . يقول : إن عطاء رسول الله ﷺ أعظم من السحاب .

(١٨) البِذَا : مقصور (البذاء)، وهو الفحش من قول أو فعل .

(١٩) مُغَار الفتل : موثق شديد، كالحبل الذى أجيد فتله . لن يتنجَّذ : لن يهلك .

(٢٠) نعمَ : كلمة مدح، و(ما) بعدها زائدة .

(٢١) أنتضى السيف : أخرجه من غمده . السيف المشحَّذ : المسنون الحادّ القاطع .

(٢٢) الخطب والنازل : المصيبة . مُتَلَوِّذا : معتصمًا، من (لاذ - يلوذ) .

(٢٣) أغتال عنه : أصرف عنه . أوخذ : أُسْحَر . يتعوَّذ بالله أن يصرفه صارف أو يسحره ساحر يبعده عن هدى النبى ﷺ .

قافية الـراء

نظم الشاعر على هذه القافية ثمانى قصائد بالغة الطول، وساعده على إطالة القصائد سهولة الراء وشيوعها فى المعجم العربى، وكذلك سهولة الأبحر التى اختارها للنظم عليها من هذه القافية.

الرائية الأولى

(عدتها ٢٠٧ - مجزوء الرجز)

بلغ طول هذه القصيدة (٢٠٧) سبعة أبيات ومائتين، نظمت على وزن بحر الرجز الذى يدعونه « حمار الشعراء » لسهولته وخفته، وزاد من سهولته وخفة أنغامه استعماله مجزوءاً فى هذه القصيدة.

تبدأ القصيدة بوصف لعاطفة الشاعر الجياشة وقد أثارتها ذكرى الربوع الحبيبة، متخيلاً نسائم السحر وقد مرت على الجداول مداعبة، فأيقظت الرياض وأزهارها وعطرت الجو ببدائع عطورها. وما ذلك إلا لأنها راحت تعيد على مسامع الشاعر ذكريات الحجاز وأهله، مذكرةً بحبيب القلب : النبى ﷺ، فراح يسرد بعض مآثره وخصائصه الشريفة باستفاضة تناولت الكثير من جوانب شخصيته وعظمته ﷺ، ثم راح يثنى على صحابته وبخاصة الخلفاء الراشدين الأربعة - رضوان الله عليهم - ثم على كل من كان هواه تبعاً لهدى النبى ﷺ.

وبعد ذلك يحمِّل الشاعر أشواقه وتحياته لركب الحجيج ويسألهم أن يقدِّموا عند قبر النبى ﷺ تحياته وضراعته واستعطافه أن يجبر قلبه المنكسر، بما له من جاه شامل وظل ظليل وحمى عند ربه منيع، وأن ينصر الأمة الضعيفة على أعدائها، فهى وإن كانت قد أجرمت بتقصيرها وبعدها عن اتباع هديه، فهى الزمرة المنسوبة إليه ﷺ دون غيرها من الأمم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى الغزل والحب للحجاز وأهله.
- ذكريات فى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته ومآثره.
- فى مجد أمة محمد ﷺ.
- فى الثناء على الخلفاء الراشدين ومن تبع هديهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ -	جَـرَتْ نَسِـيمُ السَّـحَـرِ	عَلَىٰ مُـتُـونِ الغُـدُرِ
٢ -	فَـجَـعَّـدَتْهـا وثَنَتْ	أعْطَافَ سَبْطِ الشَّجَـرِ
٣ -	وضَـمَّـخَتْ مَـلابِسَ الـ	ـرَّوْضِ بِنَشْـرٍ عَطِرِ
٤ -	كَـأَنَّمَـا فَـضَّتْ بِه	خِـتَـامَ مِـسْكٍ أذْفَـرِ
٥ -	أظُنُّهـا مَـرَّتْ علىٰ	سُـمَّـارِ ذاتِ السَّـمُـرِ
٦ -	فَطارَحَـتْـهُـمْ وأتَتْ	مِنْ عِنْدِهِمْ بالخَـبَـرِ
٧ -	تُـسْـنِـدُهُ عَـنْ أَرَجِ الـ	ـشِّـيحِ وَرَيَّا العَـرْعَـرِ
٨ -	أَمْلَتْ عَلَىٰ بَانِ النَّقَـا	مـا عِنْدَها مِنْ أثَرِ
٩ -	فَـرَنَّحَـتْـهُ طَرَبًا	بِرَمْـزِها المُـعَنْبَـرِ
١٠ -	أذَعْتِ يا رِيحَ الصَّـبَـا	سِتْرَ هَوًى مُسْتَتِرِ ٢٣/ب
١١ -	فَـرَدِّدي مـا شِـئْتِ مِنْ	حَـدِيثِـهِم وكَـرِّري
١٢ -	فَـذِكْـرُ سُكَّانِ الحِـمَـىٰ	تَعِلَّةُ المُـشْـتَـهَـرِ

---

(١) السحر: الثلث الأخير من الليل. وأنَّث الفعل (جرت) مع الفاعل المذكر (نسيم) على معنى الريح، أى جرت ريح نسيم السحر. متون: جمع متن، وهو عرض الشيء. الغدر: جمع غدير، وهو الماء المتجمع من المطر.

(٢) فجعَّدتها: تركت فيها تموجات تشبه التجاعيد. سبط: ناعم مستوٍ طويل.

(٣) ضمَّخت: أكثرت من الطيب. النشر: الرائحة الطيبة.

(٤) مسك أذفر: شديد العطر.

(٥) السمَّار: الساهرون المتحدثون بالليل. ذات السمر: لعله يريد: ذو سمر، وهو وادٍ من أودية العقيق [انظر: وفاء الوفا ٤ /١٢٣٦].

(٦) طارحتهم: تبادلت معهم الحديث والأسمار.

(٧) الأرج والريَّا: الرائحة الطيبة، والشيح والعرعر من نباتات الصحراء ذات الرائحة الطيبة.

(٨) النقا: التل الرملى. والبان: شجر طويل أملس.

(٩) رنَّحته: جعلته يترنَّح، أى يتمايل. المعنبر: الممزوج برائحة العنبر.

(١٠) أذعت: أعلنت.

(١٢) تعلة: أمل يخفف عن الإنسان قسوة الحاضر. المشتَهَر: العاشق الذى اشتهر أمر عشقه بين الناس.

١٣ -	آهِ لِعَـــــيْشٍ مَــــرَّ بِى	بَيْنَ اللِّوَىٰ والأَجْــفُـــرِ
١٤ -	وَزَمَــنٍ كَـــــانَ بِـنَعْـ	ـمَـــانَ رَبيعَ العُــمُــرِ
١٥ -	يا لَيْتَ شِـعْـرِى هلْ تَعُـو	دُ لَيْلَتِى بالمَــشْــعَــرِ
١٦ -	وهَلْ تَعُـــودُ حَــسْــرَةُ الْـ	ـفُـــؤادِ فى مُــحَــسِّــرِ
١٧ -	وهَـــلْ لأيَّـــامِ مِـــنـــى	مِنْ بَائعٍ فـــأَشْــتَـــرِى
١٨ -	ولَوْ بأَيَّامِ الحَـــيَـــا	ةِ لَمْـحَـــةً بالبَــصَـــرِ
١٩ -	فَــمـــا عَلىٰ مَنْ سَامَــهـا	بِـرُوحِــــهِ مِنْ غَـــرَرِ
٢٠ -	وَهلْ إلىٰ ذَاتِ السُّـــتُـــو	رِ أَوْبَةٌ فى عُــــمُـــرِى
٢١ -	فَـــأَجْـــتَلى نَوْرَ الرِّضَـا	فى رَوْضِ حِــجْـــرٍ نَضِـرِ
٢٢ -	وأجْـــتَلى شَــمْسَ المُنَىٰ	بِلَثْمِ ذَاكَ الحَـــجَـــرِ
٢٣ -	يا لَكِ مِنْ لَيْــلاتِ قُـــرْ	بٍ طَابَ فـيـهـا سَـمَـرِى
٢٤ -	لَوْ سَـــمَحَ الدَّهْرُ بِهـــا	قَـضَـيْتُ فِـيـهـا وَطَرِى
٢٥ -	جَـــادَ رِحَـــابَ الأَبْطَحِ الْـ	ـمَكِّىِّ صَـــوْبُ المَطَرِ

(١٣) اللوى: يوجد فى جزيرة العرب عدة مواضع تسمى اللِّوى، وأقرب شيء إلى مراد الشاعر هنا: لوَى طفيل، وهو واد بين مكة واليمن [معجم البلدان ٥/ ٢٨]. والأجفر موضع بين مكة وَفيد [معجم البلدان ١/ ١٢٨].

(١٥) المشعر: مكان العبادة، ويريد به هنا: المزدلفة.

(١٦) محسِّر: موضع بين مكة وعرفة، وقيل: بين منى والمزدلفة [معجم البلدان ٥/ ٧٤].

(١٩) سامها: اشتراها. الغرر: نوع من الخداع فى البيع، كبيع السمك فى الماء، والطير فى الهواء!! يقول: إن من يشترى هذه اللمحة من أرض الحمى ويدفع روحه ثمناً، فإنه لم يخدع فى هذه الصفقة.

(٢٠) أوبة: عودة.

(٢١) أجتلى: أنظر. النَّوْر: الزهر. الحجْر: حجْر الكعبة المشرفة الذى بقى من أساس سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل - عليهما السلام - وتركته قريش على أصله عند بناء الكعبة وحجرت عليه ليُعْلَم أنه من الكعبة، وفيه قبر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام [معجم البلدان ٢/ ٢٥٥].

(٢٢) الحجر: هو الحجر الأسود.

(٢٤) وطرى: حاجتى وأمنيتى.

(٢٥) جاد: سقى. الأبطح المكى: بطحاء مكة. صوب المطر: المطر الغزير الشديد الصوت.

٢٦ - وبَارَكَ الرَّحْـمـٰنُ فى صَبـاحِ لَيْلٍ مُـقْـمِـرِ

٢٧ - يُسْفِـرُ عَنْ وَادى العَـقِـيـ ـقِ فَـجْـرَ ذَاكَ السَّـفَـرِ

٢٨ - مُـبَـشِّـرًا بطالعِ الـ ـسَّـعْـدِ بخَـيْـرِ البَـشَـرِ

٢٩ - بالعَـرَبىِّ الهَـاشِـمىِّ ذى الجَـبِـينِ الأَزْهَرِ

٣٠ - بالمُـصْطَفَىٰ الأُمِّىِّ والْـ ـمُطَيَّبِ المُطَهَّـرِ

٣١ - بالمُـتَـوَكِّلِ الأَمـيـ ـنِ الصَّادقِ المُبَرَّرِ ٢٤/أ

٣٢ - بالحَـاشِـرِ العَـاقِبِ والـ ـشَّـفِـيعِ يومَ المَحْشَرِ

٣٣ - بالفَـاتحِ الخَـاتَمِ لِلـ ـرُّسْلِ مُـقَـفِّى الأَثَرِ

٣٤ - بالقُـثَمِ الضَّـحُـوكِ والْـ ـقَـتَّـالِ مَـاحِى النُّكُرِ

٣٥ - بالرَّؤُفِ الرَّحِـيـمِ والْـ ـمُـزَّمِّلِ المُـدَّثِّرِ

٣٦ - وبالسِّـراجِ الشَّـاهِدِ الْـ ـهَادى البَـشِـيـرِ المُنْذِرِ

٣٧ - مُـحَـمَّـدِ ابنِ هاشمِ ابْـ ـنِ غَـالِبِ بْنِ مُـضَـرِ

٣٨ - خَـيْـرِ الأَنامِ كُلِّهِمْ باديهِمُ والحُـضَّـرِ

٣٩ - السَّـيِّـدِ المُـفَـضَّلِ الْـ ـمُـعَـزَّزِ المُـوَقَّـرِ

٤٠ - الظَّاهِرِ المَنْصُـورِ والْـ ـمُـؤَيَّدِ المُظَفَّـرِ

---

(٢٧) يسفر عن. . . : يكشف.

(٣١) المبرَّر: المنسوب إلى البرّ، وهو اسم جامع لمعانى الخير.

(٣٥) المزمِّل والمدثِّر: من أسماء النبى ﷺ؛ لأنه لما نزل عليه الوحى أول مرة عاد إلى بيت السيدة خديجة مرتجف الفؤاد وهو يقول: «زملونى» أى غطُّونى [الفتح، كتاب بدء الوحى ١ / ٣٠، حديث رقم ٣]، والمدثِّر الذى يطلب الغطاء، كالمزمّل.

(٣٧) هذا النسب غير متصل؛ لأنه يسقط بعض آباء النبى ﷺ، واسم رسول الله ﷺ: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان. هذا هو النسب المتفق عليهم، ثم اختلف النسّابون فيما وراء عدنان [انظر: الكامل لابن الأثير ٢ / ٢ : ٢١].

(٣٨) البادى: من يسكن البادية، والحُضَّر: جمع حاضر، وهو من يسكن الحَضَر.

(٤٠) الظاهر والمنصور والمؤيد والمظفر كلها بمعنى واحد.

٤١ - أشْجَع مَنْ خَاضَ الوَغَىٰ　　فى يَومْ بَأْسٍ أزْوَرِ

٤٢ - إذا غَدَا مُدَرَّعًا　　بدرْعه والمِغْفَرِ

٤٣ - مُقَلَّدًا صَارِمَهُ الْـ　　أبْيَضَ حَتْفَ المُمْتَرِى

٤٤ - مُعْتَقِلاً لَدْنًا صَلِيـ　　ـبًا ذَا سِنَان أخْزَرِ

٤٥ - فَوْقَ حِصان هَيْكَلٍ　　عَبْلِ الشَّوَىٰ مُضَمَّرِ

٤٦ - يَغْشَىٰ العَجاجَ مُقْبِلاً　　فى الحَرب غَيرَ مُدْبِر

٤٧ - تُرْعَدُ مِنْ هَيْبَتِه　　فَرائِصُ الغَضَنْفَرِ

٤٨ - إذا انْبَرَىٰ لِلْغَارَةَ الـ　　ـشَّعْواءِ ذاتِ الشَّرَرِ

٤٩ - جَلا قَتَامَ نَقْعِها　　بِقَاضِبٍ ذِى أُثُرِ

٥٠ - أجْوَدُ بالمَعْروف مِنْ　　مُنْبَجِسٍ مُثْعَنْجِرِ

٥١ - إذا أتَاهُ مُجْدِبٌ　　فى عامِ جَدْبٍ أحْمَرِ

٥٢ - أصْبَحَ بِالنَّائِلِ ذا　　عَيْشٍ رَغيدٍ أخْضَرِ ٢٤/ب

٥٣ - يُعطِى عَطَاءً واسِعًا　　بَكْشِفُ ضُرَّ المُقْتِرِ

---

(٤١) الوغَى : الحرب . بأس : شدة . أزور : عنيف .

(٤٢) غدا : ذهب . مُدَّرعًا : لابسًا درعه . والمغفر : الخوذة .

(٤٣) مقلَّدًا : ممسكًا . الصارم : السيف . الحتف : الموت . الممترى : المتشكك .

(٤٤) معتقلاً : ممسكًا . لَدْنًا : رمحًا مَرِنًا . صليبًا : قويًّا صلبًا . سنان : حد . الأخزر : الذى ينظر بمؤخر عينه كِبْرًا، شبه به حد الرمح، كأنه ينظر إلى أعدائه نظرة فيها كبر .

(٤٥) هيكل : ضخم، ومثله عبل . الشوى : القوائم . مضمَّر : تضمير الفرس هو إعداده للقتال أو للسباق، وذلك بإطعامه بكثرة حتى يسمن ثم يقلل طعامه مدة أربعين يوما .

(٤٦) العجاج : الغبار . مدبر : ضد (مُقبل) .

(٤٧) تُرْعَد : ترتعد . الفرائص : اللحم القريب من نبض القلب، يرتعد عند الفزع . الغضنفر : الأسد .　　(٤٨) انبرى : تقدَّم . الغارة الشعواء : الحملة المتفرقة .

(٤٩) القتام : السواد . النقع : التراب المثار فى الحرب . القاضب : القاطع . الأُثُر : لمعان السيف وبريقه، وضربته أيضًا .

(٥٠) منبجس : منفجر . مثعنجر : غزير متتابع .

(٥١) مُجْدب : من أصابه الجدب فصار لا يجد شيئًا . والجدب الأحمر : الجدب الشديد المهلك .　　(٥٢) النائل : العطاء . عيش رغيد، أخضر : مترف ناعم .

(٥٣) المُقْتِر : الفقير .

٥٤ - وإن تُـــردْ دَلـــيــلَـــهُ بِسَنَدٍ مُــعْــتَـبَـرِ

٥٥ - عَنْ شَـاءٍ بَيْنَ الجَـبَلَيْـ ـنِ إنْ تَشَا سَلْ تُخْبَرِ

٥٦ - كَمْ بَادَرَتْ رَاحَـتُـهُ الْـ ـعُلْيَا لبَذْلِ البِدَرِ

٥٧ - تِسْعِينَ أَلْفًا فَضَّهَا فى مَجْلِسٍ مُخْتَصَرِ

٥٨ - هِبَاتُهُ مَبْذُولَةٌ لِقَانِعٍ ومُعْتَرِ

٥٩ - أَشْرَفُ مَنْ حَلَّ ذُرَا الْـ ـمَجْد كَرِيمُ العُنْصرِ

٦٠ - مُنْتَخَبًا مِنْ مَعْشَرٍ أَكْرِمْ بِهِمْ مِنْ مَعْشَرِ

٦١ - شُوسٍ كُمَاةٍ قَادَةٍ بِيضٍ كِرامٍ غُرَرِ

٦٢ - وهُمْ لَعَمْرِى سَادَةُ الـ ـنَّاسِ بِكُلِّ الأَعْصُرِ

٦٣ - دَأْبُهُمُ لِلضَّيْفِ فى الْـ ـمَشْتَاةِ نَحْرُ الجُزُرِ

٦٤ - يَحْمُونَ مَنْ حَلَّ بِهِمْ مِنْ نَازِلاتِ الغِيَرِ

٦٥ - لا تَنْثَنِى فُرْسَانُهُمْ عِنْدَ القَنا المُشْتَجِرِ

---

(٥٥) الشاء: جمع شاة. جاء فى هامش المخطوط: عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبى ﷺ فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا؛ فإن محمداً ﷺ يعطى عطاء من لا يخاف فاقة. من كتاب الشفا. وبالرجوع إلى كتاب «الشفا» للقاضى عياض وجدت هذا الخبر، وغيره من الأخبار الدالة على جوده وسخائه ﷺ [انظر: الشفا ص ١١٢].

(٥٦) بادرت: أسرعت. البدَر: جمع بَدْرة، وهو كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

(٥٧) فضَّها: فرقها. جاء فى هامش المخطوط بجانب هذا البيت: حملت إليه ﷺ تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير المسجد، ثم قام إليها فقسمها، فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها. منه [أى من كتاب الشفا للقاضى عياض أيضًا، انظر ص ١١٣].

(٥٨) هباته: عطاياه، جمع هبة. مبذولة: ممنوحة. معتر: أصله معترٌّ - بتشديد الراء - وهو الذى يطوف بأصحاب المال طلبًا لعطائهم، سواءٌ سأل العطاء بلسانه أو لم يسأل. خفف الراء لأجل الوزن والقافية.

(٦٠) منتخب: مختار. معشر: جماعة.

(٦١) شوس: جمع أشوس، وهو الذى يرفع رأسه تكبُّرًا، يريد: هم أشراف شجعان. كماة: مستعدون للحرب متخذين أسلحتهم. الغُرَر: جمع غُرَّة، وهو الأول من كل شىء.

(٦٣) دأبهم: عادتهم. المشتاة: الشتاء. الجُزُر: الإبل التى تجزر (أى تذبح) للضيوف.

(٦٤) نازلات: جمع نازلة، وهى المصيبة. الغيَر: تقلبات الأحوال.

(٦٥) القنا: الرماح. المشتجر: المتداخل بعضه فى بعض، وذلك فى الحرب وذكَّر القنا على معنى: السلاح.

٦٦ - قَومٌ إذَا جَفَا الحَيَا رُبَا الجَديبِ الأغْبَرِ

٦٧ - دَرَّتْ بهِمْ أَخْلافُهُ بالوَاكِفِ المُنْهَمِرِ

٦٨ - أَكُفُّهُم مَا خُلِقَتْ إلاَّ لِيُسْرِ المُعْسِرِ

٦٩ - أوْ للرِّقَاقِ البِيضِ أو للسَمْهَرِيِّ الأَسْمَرِ

٧٠ - ولا سَعَتْ أَقْدَامُهُمْ إلاَّ لِكَسْبِ مَفْخَرِ

٧١ - إمَّا لِدَفْعِ حَادِثٍ أو لِرُقِيِّ مِنْبَرِ

٧٢ - وهْوَ كَمالُ فَخْرِهِمْ فى مَوْرِدٍ ومَصْدَرِ

٧٣ - بهِ غَدَتْ سِيَرُتُهُمْ طِرازَ كُلِّ السِّيَرِ ٢٤/أ

٧٤ - مَنْقَبَةٌ عَزَّتْ عَلَى مطَامِعِ المُفْتَخِرِ

٧٥ - طَلْقُ المُحَيَّا نُورُهُ يَكْسِفُ نُورَ القَمَرِ

٧٦ - كَأَنَّمَا شَمْسُ الضُّحَى فى وَجْهِهِ المُدَوَّرِ

٧٧ - أَبْيَضُ قَدْ زَانَ مُحَيَّـ ـاهُ سَوَادُ الشَّعَرِ

٧٨ - فاق امتِدَادُ حاجِبَيْـ ـهِ نُونَى المُحَرَّرِ

٧٩ - يَرْشَحُ مِنهُ عَرَقٌ كاللُّؤْلُؤِ المُنْحَدِرِ

٨٠ - فَوقَ جَبِينٍ واضِحٍ أَزْهَرَ رَحْبٍ أَنْوَرِ

٨١ - فِى مُقْلَتَيْهِ دَعَجٌ مُتَرْجِمٌ عَنْ حَوَرِ

٨٢ - وَجْنَتُهُ أَحْسَنُ مِنْ وَرْدِ الرِّياضِ الأَحْمَرِ

---

(٦٦) الحيا: المطر. الجديب: المقفر.

(٦٧) درَّتْ: نزلت الأمطار بغزارة. الأخلاف: ضروع الناقة، شبَّه بها السحب الممطرة. الواكف: السائل. المنهمر: الغزير المنصب.

(٦٩) الرقاق البيض: السيوف. السمهرى الأسمر: الرمح.

(٧٣) غدت: أصبحت. طراز: زينة.

(٧٤) منقبة: فضيلة ومكرمة.

(٧٥) المحيَّا: الوجه. يكسف: يخفى.

(٧٨) فاق: فى الأصل (فوق) وهو سهو من الناسخ، وتصويبه من [النبهانية ٢/١١٨]. شبه امتداد جبينه بنونين كتبهما كاتب حسن الخط.

(٨٠) أزهر: مشرق، ومثله أنْورَ.

(٨١) الدَّعَج: شدة سواد العين واتساعها. مترجم: معبر. الحور: شدة بياض العين مع شدة سوادها.

٨٣ - أَقْنَى يَلُوحُ النُّورُ مِنْ عِرْنِينِهِ المُنَوَّرِ
٨٤ - يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الأَقَا حِ أو نَفِيسِ الدُّرَرِ
٨٥ - نَكْهَتُهُ تَعلُو عَلَى الْـ ـمِسْكِ وَرِيحِ العَنْبَرِ
٨٦ - تَزْدَادُ طِيبًا أثَرَ الـ ـنَّوْمِ وَوَقْتَ السَّحَرِ
٨٧ - فى عَارِضَيْهِ شَعَرَا تٌ كَالصَّبَاحِ المُسْفِرِ
٨٨ - بِنُورِهِنَّ يَهْتَدِى قَلْبُ الفَتَى المُحَيَّرِ
٨٩ - والجِيدُ جِيدُ دُمْيَةٍ فى صِفَةِ المُخَبِّرِ
٩٠ - أو كَنَقَاءِ فِضَّةٍ صَافِيَةٍ مِنْ كَدَرِ
٩١ - فى صَدْرِهِ مَسْرُبَةٌ كَالألِفِ المُسَطَّرِ
٩٢ - بَنَانُهُ كَالزُّبْدِ فى لِينٍ وَحُسْنِ مَنْظَرِ
٩٣ - أو جُونَةِ العَطَّارِ فى أَرِيجِهَا المُعَطَّرِ
٩٤ - يَلوحُ بَيْنَ كَتِفَيْـ ـهِ لِلَّبِيبِ المُبْصِرِ ٢٤/ب
٩٥ - خَاتِمُ صِدْقٍ زِينَ بِالْـ ـخِيلانِ غَيْرُ مُنْكَرِ
٩٦ - وَلَمْ تَعِبْهُ نُجْلَةٌ فى بَطْنِهِ المُضَمَّرِ
٩٧ - كَأنَّهُ طَيُّ القَرَا طِيسِ عَفِيفُ الأُزُرِ

---

(٨٣) أقني: طويل الأنف مع تحدب فى وسطه. العرنين: الأنف.
(٨٤) يفتر: يبتسم. الأقاح: زهر أبيض، قال النبهاني: وهو البابونج (الذى يسمى الكاموميل)، وهو زهرة الشيح. النفيس: الغالى.
(٨٥) نكهته: رائحة فمه.
(٨٧) العارضان: الخدَّان. المسفر: المشرق.
(٨٩) الجيد: العنق. الدمية: التمثال الرخاميّ.
(٩١) المسربة: خط الشعر المتصل من الصدر إلى السرة.
(٩٢) بنانه: أطراف أصابعه.
(٩٣) جُونة العطَّار: زجاجة العطر.
(٩٤) اللبيب: العاقل.
(٩٥) خاتم صدق: هو خاتم النبوة، والخيلان: جمع خال، وهو الشامة السوداء. وكان خاتم النبوة فى كتف النبى ﷺ يشبه الشامات السود.
(٩٦) النجلة: الاتساع. المضمَّر: الضامر القليل اللحم.
(٩٧) عفيف الأزر: كناية عن عفته وعصمته ﷺ عن الحرام، والأزر: جمع إزار، وهو ثوب يلبس فى أسفل البدن.

٩٨ - والسَّــاقُ ذاتُ القَــدَمِ الْـ ـعَلْيـاءِ فَـوقَ المُـشْـتَـرِى

٩٩ - أَنْقَىٰ مـنَ الفِــضَّــةِ والْـ ـــعَــاجِ ولَوْنِ الـكَـثَـــرِ

١٠٠ - لَوْ نَـالَنِى غُــبَـــارُها كَــانَ جِــلاءَ بَصَــرِى

١٠١ - صُــورَتُهُ الجَــمِــيلَةُ الْـ أوْصَـــافِ أَبْهَىٰ الصُّــوَرِ

١٠٢ - قَــوامُـــهُ أَحْــسَنُ مِنْ قَــدٌّ القَـضِـيبِ النَّضِـرِ

١٠٣ - لا بِـطَـوِيـلٍ بَـائِـنٍ ولَـمْ يُشَـنْ بِقِـصَـرِ

١٠٤ - وظِــلُّـــهُ لَــيْـسَ لَـهُ عَـلىٰ الثَّـــرَىٰ من أَثَـرِ

١٠٥ - مَـا لِسَنَا الشَّـمْسِ عَلَىٰ أنْـوَارِهِ مِـنْ مَـظْـهَـــرِ

١٠٦ - إِذَا بَــدَا فــى حُــلَّــةٍ مِنْ فَـاخِـراتِ الحِـبَـرِ

١٠٧ - مُـعْـتَـجِـرًا عِـمـامَـةً سَـوْدَاءَ فَـوقَ المِنْبَـرِ

١٠٨ - أَخْـجَلَ نُورَ القَـمَـرِ الـ ـزَّاهِى الـمُنِيـرِ المُـبْـدِرِ

١٠٩ - وإِنْ تَـجَلَّـىٰ لِـلْـوُفُـــو دِ فى الرِّدَاءِ الأَخْـضَـرِ

---

(٩٨) المشترى: الكوكب الخامس من كواكب المجموعة الشمسية، وكان معروفًا عند العرب منذ القدم.

(٩٩) الكثر: جُمَّار النخل، ولونه أبيض ناصع البياض.

(١٠٢) القدّ: القوام. القضيب: عود النبات.

(١٠٣) الطويل البائن: الشديد الطول. لم يُشن بقصر: لم يَعِبْه قصر. فى الأصل (لم يُشَب) والتصويب من النبهانية ٢ / ١٢٠ .

(١٠٤) ذكر القاضى عياض هذا الخبر دون إسناد، بلفظ «كان ﷺ لا ظلَّ لشخصه فى شمسٍ ولا قمر» [الشفا ١ /٣٦٨] وذكره الخيضرى فى [اللفظ المكرم ٢ /٥٦٥].

(١٠٦) الحبَر: ثياب يمنية فاخرة.

(١٠٧) اعتَجر العمامة: لفَّها حول رأسه.

(١٠٨) المبدر: الذى صار بدرًا مكتملاً. وقد أجمع من وصفوا النبى ﷺ على أنه كان أجمل من القمر. ومن ذلك ما رواه البخارى عن البراء بن العازب، سئل: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر [الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ ٦ /٦٥٣ ، حديث رقم ٣٥٥٢] ، وروى عن جابر بن سمرة قال: رأيت النبى ﷺ فى ليلة إضحيان (أى مقمرة) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان فى عينى أحسن من القمر» [سنن الترمذى، كتاب الأدب، حديث رقم ٢٧٣٥].

١١٠ - سَـمَـا أزَاهِـيـرَ الرِّيَا ض غبَّ يَوْمٍ مُـمْطِرِ

١١١ - لِـمَـنْ رآهُ فـى الـمَـنَـا م بَهْجَـةُ المُـسْـتَـبْـشِرِ

١١٢ - صُـورَتُـهُ مَـحْـرُوسَـةٌ مِنْ شَـبَـهِ المُـزَوِّرِ

١١٣ - أفْـصَحُ مَـنْ يَـنْطِقُ بالـ ـضَّـاد عَـلا عَنْ حَـصَـرِ

١١٤ - نَثْـرُ كَـلامِـهِ الرِّضَـا يَسْـمُـو عُـقُـودَ الجَـوْهَرِ

١١٥ - يُحَـصِّلُ المَـعْنَى بِلَفْـ ـظٍ جَامِعٍ مُـخْـتَـصَـرِ ٢٥/أ

١١٦ - شِـيـمَـتُـهُ التَّـوَاضُعُ الْـ ـعَـارِى عَنِ التَّكَبُّـرِ

١١٧ - مُـقَـدَّسٌ عَنْ حَـسَـدٍ مُـنَـزَّهٌ عَـنْ أشَـرِ

١١٨ - لـيسَ بِـفَـظٍّ عَـابِسٍ جَـافٍ وَلا مُنْتَـهِـرِ

١١٩ - يَلْقَـىٰ بِوَجْـهٍ بَاسِمٍ بِرِفْـدِهِ مُـبَـشِّـرِ

١٢٠ - مُـيَـسِّـرٍ مُـؤَلِّفٍ ولَـيـسَ بِالـمُـنَـفِّـرِ

١٢١ - أخْـلاقُـهُ أحْـسَـنُ مِنْ رَوْضٍ نَـدٍ مُـنَـوِّرِ

١٢٢ - ألَـمْ تُـنَـبَّـأْ يَا أُخَىَّ عَنْ حَـدِيثِ الثَّـغَـرِ

١٢٣ - وعَنْ حَـدِيثِ الحَـسَنِ الْـ ـمُـصَـحَّحِ المُـشْـتَـهَـرِ

---

(١١٠) سما: فاق. غبَّ: عَقِبَ.

(١١٢) المزوِّر: الشيطان، ورد في الحديث الصحيح: «من رآنى فى المنام فـقـد رآنى؛ فإن الشيطان لا يتمثل بى» [انظر: الفتح، كتاب التعبير، باب من رأى النبى ﷺ فى المنام ١٢/٣٩٩ ، حديث رقم ٦٩٩٤].

(١١٣) الحصر: ضعف القدرة اللغوية والعجز عن التعبير، وكان النبى ﷺ أفصح الناس؛ وقد أوتى جوامع الكلم.

(١١٤) الرِّضا: أهنا بمعنى المَرْضِىّ لذى ترضاه القلوب.

(١١٦) شيمته: طبيعته. العارى عن التكبر: الخالى منه.

(١١٧) الأشر: التبطُّر على النعمة.

(١١٨) فظ: غليظ القلب. جافٍ: متباعد عن الناس. منتهِر: ينهر الناس، أى يغلظ لهم القول.

(١١٩) الرفد: العطاء.

(١٢١) نَد: سقط عليه الندى. منوِّر: مزهر.

(١٢٣) حديث الحسن [مختصر الشمائل للترمذى ص ١٨ - ٢٦ ، دلائل البيهقى ١/٢٨٥]. وقال الهيثمى فى [المجمع ٨/٢٧٤] رواه الطبرانى، وفيه من لم يُسَمَّ.

١٢٤ - وعَنْ حَديث أَنَس   في وصْفِه المُحَبَّر
١٢٥ - إذْ لَمْ يَقُلْ أُفٍّ لَه   ولَمْ يَكُنْ ذا ضَجَر
١٢٦ - سَهْلُ القِيادِ قَابِلٌ   عُذْرَ الفَتَىٰ المُعْتَذِرِ
١٢٧ - لَهُ اسْتَقَامَ الزُّهْدُ عَنْ   تَخَيُّرٍ لا ضَرَرِ
١٢٨ - عَفٌّ تُقًى عَنِ الكُنُو   زِ عِفَّةَ المُقْتَدِرِ
١٢٩ - أَرْسَلَهُ اللهُ العَظِيـ   ـمُ بالهُدَىٰ والنُّذُرِ
١٣٠ - مُصَدِّقٌ للمُرْسَليـ   ـنَ قَبْلَهُ بالزُّبُرِ
١٣١ - وخَصَّهُ مُشَرِّفًا   بمُحْكَمَاتِ السُّوَرِ
١٣٢ - فِيها بيانٌ للْمُنيـ   ـبِ الحَسَنِ التَّدَبُّرِ
١٣٣ - فأَرْشَدَ النَّاسَ بها   إلىٰ السَّبيلِ النَّيِّرِ
١٣٤ - فأَحْسَنَ البلاغَ في   آصَالِهِ والبُكَرِ
١٣٥ - ولَمْ يَزَلْ في نُصْحِهِ   بغَيْبَةٍ ومَحْضَرِ
١٣٦ - مُثَابِرًا مُجاهِدًا   كُلَّ غَوِيٍّ مُمْتَرِ ٢٥/ب
١٣٧ - حَتَّىٰ انْجَلَىٰ بِنُورِهِ   عَنَّا حِجابُ القَتَرِ
١٣٨ - وظَهَرَ الدِّينُ بِهِ   واشْتَدَّ بَعدَ الخَوَرِ

---

(١٢٤) جاء في هامش المخطوط: عن أنس ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي في شيءٍ فعلته: لِمَ فعلتهَ؟ ولا في شيء لم أفعله: لِمَ لَمْ تفعَلْه. شفا [أي من كتاب الشفا للقاضي عِياض، انظر: ١ / ١٢١ ، باختلاف يسير في اللفظ عما هنا. والحديث رواه مسلم: كتاب الفضائل، حديث رقم ٤٢٦٩].
(١٢٦) سهل القياد: سَمْحٌ كريم الخلق.
(١٢٧) ضرر هنا بمعنى: اضطرار.
(١٣٠) مصدقٌ: كذا في الأصل مرفوعًا، والأرجح نصبه: مصدقًا، كما في[النبهانية ٢ / ١٢١].
(١٣٢) للمنيب: التائب العائد إلى الحق. وفي النبهانية: للَّبيب.
(١٣٣) النيِّر: المنير.
(١٣٤) الآصال: جمع أصيل، وهو الوقت ما بين العصر والمغرب، والبُكَر: جمع بُكرة، وهي أول النهار.
(١٣٦) مثابرًا: مواظبًا على الدعوة إلى الله. غويّ: ضال. مُمْتَرٍ: شاكّ.
(١٣٧) القَتَر: الغبار، وأراد به كل ما يحجب الحق.
(١٣٨) الخور: الضعف.

١٣٩ -	وأشْـــــــرَقَـتْ أنْـوارُهُ	علىٰ جـــــميعِ القُطُرِ
١٤٠ -	وقَـــهَـــرَتْ أُمَّـــتُـــهُ	جُنْدَ الفَـــلا والأبْحُـــرِ
١٤١ -	وأنْفَـــقَتْ كُنوزَ كِـــسْـ	ـرَىٰ وكُنوزَ قَـــيْـــصَـــرِ
١٤٢ -	أيَّـدَهُـمْ مُـــــــرْسِلُـهُ	بِنَصْـــــرِهِ والظَّفَـــــرِ
١٤٣ -	نَصْـــرَ عَـــزيزٍ قـــاهِرٍ	مُنْتَـــقِمٍ مُـــقْـــتَـــدِرِ
١٤٤ -	كَمْ جَـــدَّلُوا مِنْ مَلِكٍ	مُـــتَـــوَّجٍ مُـــسَـــوَّرِ
١٤٥ -	أصْبَحَ مِنْ بعْـدِ القُـصُـو	رِ رَهْنَ قَـــاعٍ قَـــرْقَـــرِ
١٤٦ -	مُـــقَـــسَّمَ الأشْـــلاءِ بَيْـ	ـنَ قَـــشْـــعَمٍ وقَـــسْـــوَرِ
١٤٧ -	وَكَمْ غَـــزَوْا فى لُجَّـــةِ الْـ	ـبَـــحْـــرِ بذاتِ دُسُـــرِ
١٤٨ -	كَـــأنَّـهُـمْ أعِـــزَّةُ الْـ	ـمُلُوكِ فَـــوقَ السُّـــرُرِ
١٤٩ -	ولا يَـــزالُ مِـــنْـــهُـــمُ	إلىٰ انْتِـــهـــاءِ الدَّهَرِ
١٥٠ -	طَائِفَـــةٌ مَـــحْـــمُـــودةٌ	فـى وِرْدِها والصَّـــــدَرِ
١٥١ -	قـــائِمُـــةٌ بالحَقِّ، لا	تَخْـــشَىٰ خِـــلافَ مُنْكِرِ

---

(١٣٩) القُطُر: البلاد، جمع قُطْر.

(١٤١) يشير هنا إلى انتصار الإسلام وظهور دولته على الفرس والروم.

(١٤٢) الظفر: الفوز والغلبة.

(١٤٤) جدَّلوا: قتلوا. مسوَّر: يتحلَّى بالإسوار أو السِّوار، وهو تعريب دستوار بالفارسية، ومعناه: ما يلبس فى المعصم، ولعل ملوك الفرس كانوا يلبسونه.

(١٤٥) رهن: حبيس. القرقر: الأرض اللينة المنبسطة.

(١٤٦) الأشلاء: جمع شِلْو، وهو العضو المفصول عن بدنه. قشعم: نسر. قسور: أسد.

(١٤٧) لُجَّة البحر: وسطه. ذات دسر: ذات ألواح ضخمة، وهى السفينة.

(١٤٩) الدَّهَر: يجوز فيه إسكان الهاء وفتحها، وهو الزمن الطويل، وقيل: ألف سنة.

(١٥٠) الوِرد: الذهاب نحو مورد الشرب، والصدر: الرجوع بعد الشرب، والجمع بينهما يفيد العموم والشمول، أى: هذه الطائفة محمودة فى كل أمورها.

(١٥١) قائمة: فى الأصل: قديمة، وهو خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبته كما فى [النبهانية ٢ / ١٢٢] . يشير فى هذا البيت وسابقيه إلى قوله ﷺ: «لا يزال من أمتى أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرهم من كذَّبهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك» [الفتح، كتاب التوحيد ١٣ / ٤٥١ ، حديث رقم ٧٤٦٠].

١٥٢ - وهُمْ حُــمــاةُ شَــرْعِــهِ	عَن مُــبْطِلٍ مُــزَوِّرِ
١٥٣ - لَــيــسَ لَــهُ فــى أَوَّلِ الْــ	ــخَلْقِ ولا فى الأُخَــرِ
١٥٤ - مُـنـاظِـرٌ، أَنَّـىٰ وقــدْ	فَــضَّـلَـهُ بـالـنَّـظَـرِ؟!
١٥٥ - وبـالَّـذى عَــايَـنَـهُ	عِـنْـد أَعــزِّ السِّــدَرِ
١٥٦ - وبالشَّــفَـاعَــةِ التى	خُصَّ بِـهــا والكَـوْثَـرِ
١٥٧ - وباللِّواءِ فى الـمَــعَــا	دِ والمَـقَـامِ الأَكْـبَـرِ ٢٦/أ
١٥٨ - وَمُنْذُ حَلَّ قَــبْــرَهُ الـ	ــشَّـرِيفَ أزْكَىٰ الحُـفَـرِ
١٥٩ - يَغْـشَـاهُ فى كُلِّ صَـبـا	حٍ مُـقْـبِلٍ مُـبَـشِّـرِ
١٦٠ - سَـبْـعُـونَ ألفَ مَلَكٍ	مُــهلِّلٍ مُكَبِّــرِ
١٦١ - حَـتَّىٰ إذا حَـانَ قِـيـا	مُ كُلِّ مَـيْتٍ مُـقْـبَـرِ
١٦٢ - فَــإِنَّـهُ أوَّلُ مَـنْ	يَخْـرُجُ عِندَ المَنْشَـرِ

---

(١٥٣) أثبتت [النبهانية ٢ / ١٢٢] بيتاً آخر قبل هذا البيت، هو:

سُـبْـحـانَ مَنْ شَـرَّفَـهُ ... عَلىٰ جَـمِـيـعِ الفِطَرِ

(١٥٤) يقول: كيف يكون له ﷺ نظير، وقد فضلّه الله بالنظر إليه عز وجل؟ وفى رؤية النبى ﷺ لله عز وجل خلافٌ مشهور، فقد أنكرت السيدة عائشة - رضى الله عنها - أنه رأى ربه، وهو المروى عن ابن مسعود وأبى هريرة. وقال ابن عباس - رضى الله عنهما - إنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عن ابن عباس أيضا أنه رآه بقلبه. وقد فصَّل القاضى عياض هذا الموضوع باستفاضة، وخلص إلى أن أدلة النفى والإثبات غير قاطعة، وأنه لا مانع فى حكم العقل من ثبوت رؤيته ﷺ لربه عز وجل [انظر : الشفا ١ / ١٩٥ : ٢٠٢].

(١٥٥) عاينه: رآه. أعزّ السِّدر: سدرة المنتهى. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ** ﴾ النجم ١٣ : ١٤ .

(١٥٦) أثبتَ النبهانى بيتا آخر قبل هذا البيت، هو:

وبِـالـوَسِـيـلَـةِ الَّـتى ... لِـغَـيْـرِهِ لَمْ تَـخْـطُرِ

[النبهانية ٢ / ١٢٢].

(١٥٩) يغشاه: ينزل به. وفاعله (سبعون) فى البيت التالى.

(١٦٠) «ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألف من الملائكة حفّوا بقبر النبى ﷺ يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يزفونه» [سنن الدرامى ١ / ٤٣].

(١٦٢) المنشر: البعث من القبور. روى الشيخان فى صحيحيهما قوله ﷺ: «يُنْفَخُ فى الصُّور فيَصْعَق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكونُ أول =

١٦٣ - يَزُفُّــهُ سَــبْــعــونَ ألـ ـفَ مَلَكٍ مُطَهَّـــــر

١٦٤ - وهْوَ عَلىٰ البُـــراقِ رَا كِـبٌ جَـلـيـلَ الـخَـطَـر

١٦٥ - ولَـيـسَ تُـفْـــتَـحُ الجنا نُ قَـــبْـلَـهُ لِبَـــشَـــر

١٦٦ - عـلَـيْـــهِ أزْكَـىٰ صَلَـوَا تِ البَــارِئِ الـمُـصَـوِّر

١٦٧ - دَائِـمَـــــةً دَوامَ آ بَادِ الـنَّعِـيـمِ الأغْـــزَرِ

١٦٨ - ثُـمَّ عَلَىٰ صَـاحِـبِـهِ الْـ ـمُـبَـجَّلِ الـمُـصَـدَّرِ

١٦٩ - ذِى السَّبْقِ مُفْتِى الحَضْرَةِ الـ ـشَـرِيفَـةِ الـمُـشْـتَـوَرِ

١٧٠ - صَـديقِـهِ الأَتْقَىٰ أَبِى بَكْرٍ وَزَيْنِ الـمَـحْـضَـرِ

١٧١ - ثـمَّ عَلىٰ الـمُـحَـدَّثِ الْـ ـمُـفَـهَّمِ الـمُـبَـصَّـرِ

١٧٢ - ذى الـنَّظَرِ الثَّــاقِبِ والْـ ـقَلْبِ الصَّـدوقِ عُـمَـرِ

١٧٣ - ثـمَّ عَلىٰ البَـرِّ الشَّـهِـيـ ـدِ الثَّـابِتِ الـمُـصْطَبِـرِ

= من بُعِثَ، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بُعِثَ قبلى ».
[الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء ٦ / ٥١٩ ، حديث رقم ٣٤١٤ ، مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥ / ١٣٠].

(١٦٣) انظر الهامش (١٦٠) من هذه القصيدة.

(١٦٤) البراق: الدابة التى ركبها النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، والشاعر يقول هنا إنه ﷺ سيكون مركبه البراق يوم القيامة أيضاً.

(١٦٥) قال ﷺ: « أنا أول من يقرع باب الجنة »
[صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان، باب الشفاعة ٣ / ٧٣].

(١٦٧) الآباد: الأزمنة الطويلة، جمع أبد.

(١٦٨) المبَجَّل: الموقَّر.
المصدَّر: الذى له الصدارة والأولية.

(١٦٩) المُشْتَوَر: الذى تؤخذ مشورته. وكان النبى ﷺ يستشير أصحابه، وبخاصة أبا بكر وعمر رضى الله عنهما.

(١٧١) المحدَّث: سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وهو الملهم الذى يُلقَى إليه الحديث من قِبَل الملأ الأعلى، قال ﷺ: « لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإنْ يَكُنْ فى أمَتى منهم أحدٌ فَعُمرَ »
[الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٥٢ ، حديث رقم ٣٦٨٩].

(١٧٢) الثاقب: الحاد.

(١٧٣) البَرّ: ذو البِرّ، أى الخير.

١٧٤ -	عُـثْـمَـانَ ذِى النُّورَيْنِ مَنْ	جَـهَّـزَ جَـيْشَ العُـسَـرِ
١٧٥ -	ثـمَّ عليٌ ابنِ عَـمِّـه الْـ	ـبَـحْـرِ الخـضَمِّ حَـيْـدَرِ
١٧٦ -	دَلَّتْ عَلىٰ تَفْـضِـيله الـ	ـرَّايَةُ يَوْمَ خَـيْـبَـرِ
١٧٧ -	ثُـمَّ عَـلىٰ مَنْ كَـانَ طَوْ	عَ أَمْـرِه المُـبْـتَـدَرِ
١٧٨ -	فـى مَـنْـشَـطٍ ومَـكْـرَهٍ	وعُـسُـرٍ ويُسُـرٍ ٢٦/ب
١٧٩ -	مِـنْ آلـه الـغُـرِّ الكـرَا	مِ والصَّـحَـابِ الصُّـبُـرِ
١٨٠ -	وتَابعِـيـهِـمْ بالهُـدَىٰ	مِـنْ آثـرٍ ومُـؤْثَـرِ
١٨١ -	يا مُـزْجِيَ الخُـوصِ النَّوا	جى فى اليَـبَابِ المُـقْـفِـرِ
١٨٢ -	مِنْ كلِّ مـأْمـونِ العـثـا	رِ مُـوجَـدٍ مُـضَـبَّـرِ
١٨٣ -	إن جُـزْتَ عَنْ وادى العَـقِـيـ	ـقِ نَـحْـوَ سَلْعٍ فـانْظُرِ
١٨٤ -	تِلْكَ القِـبَـابُ البِـيضُ إنْ	عَـايَنْتَـهَـا فَكَبِّـرِ

---

(١٧٤) ذو النورين: لقب سيدنا عثمان بن عفان ﷺ؛ لأنه تزوّج السيدتين رقية وأم كلثوم ابنتى النبى ﷺ . وقد جهز عثمان ﷺ جيش العسرة فى غزوة تبوك، وسمى جيش العسرة لأن المسلمين أصابتهم عسرة أى ضيق وجدب شديد، وقد أنفق عثمان ﷺ عشرة آلاف دينار، وتسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق به، حتى ما تربط به الأسقية .
[انظر: السيرة الحلبية ٢/١٨٣ : ١٨٤].

(١٧٥) الخضم: البحر الواسع، أراد به سعة علمه، وحيدر: اسم سيدنا علىّ كرم الله وجهه .

(١٧٦) يشير فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى عن النبى ﷺ أنه قال:
« لأعطيّن الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه . . . فلما أصبح الناسُ غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علىٌّ بن أبى طالب؟ . . . فأعطاه الراية » .
[الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب على ٧/٨٧ ، حديث رقم ٣٧٠٢].

(١٧٧) المبتدر: الذى يبتدر الناس - أى يسرعون - إلى إجابته .

(١٧٨) منشط: ما تنشط إليه النفوس وتقبل عليه . مَكْرَه: ما تكرهه النفوس وتنفر منه .

(١٧٩) الصُّبُر: الصابرون، جمع صبور .

(١٨٠) الآثر: ناقل الأثر، أى السُّنة، والمؤثر بفتح الثاء: الأثر المنقول نفسه .

(١٨١) مزجى: سائق. الخوص: الإبل التى ضاقت أعينها من شدة الظمأ وطول السفر. النواجى: المسرعات. اليباب: الأرض المقفرة .

(١٨٢) موجد: شديد قوى، ومثله: مضبر .

(١٨٣) جزت: عَبَرت .

(١٨٥) الأنيس: المؤنس الذى تألفه القلوب .

١٨٥ - وَاحْلُلْ بِرَبْعِهَا الأَنيـ ... ـسِ الجَنَبَاتِ العَطِرِ

١٨٦ - وقِفْ تجاه الحُجْرَةِ الْـ ... ـعَلْيَاءِ خَيْرِ الحُجَرِ

١٨٧ - مُعَظِّمًا حُرْمَتَها ... مُقَبِّلاً للجُدُرِ

١٨٨ - مُعَفِّرَ الخَدِّ عَلىٰ ... ذاكَ الثَّرَىٰ المُعَنْبَرِ

١٨٩ - وحَيِّ مَنْ خَيَّمَ فى ... ذاكَ الجَنابِ الأطْهَرِ

١٩٠ - تَحِيَّةً طَيِّبَةً ... عنِ العُبَيْدِ الأصْغَرِ

١٩١ - يَحيٰى بنِ يُوسُفَ بنِ يَحْـ ... ـيٰى العَاجِزِ المُقَصِّرِ

١٩٢ - وقُلْ: عُبَيْدُ تُرْبِكُمْ ... ثَاوٍ بِأرْضِ صَرْصَرِ

١٩٣ - لَهُ إليْكُمْ ضَرَعُ الْـ ... ـجَانِى وذُلُّ المُعْتَرِ

١٩٤ - قَد مَدَّ نَحْوَ فَضْلِكُمْ ... منهُ يَدَ المُفْتَقِرِ

١٩٥ - يسْأَلُكُمْ خَيْرَ الرِّضَا ... لِقَلْبِهِ المُنْكَسِرِ

١٩٦ - وأَنْ تَقَرَّ عَيْنُهُ ... مِنكُمْ بِحُسْنِ النَّظَرِ

١٩٧ - فِى هٰذهِ الدُّنْيا وفِى ... يومِ الجَزاءِ الأَوْفَرِ

١٩٨ - يا صَاحِبَ الجاهِ الظَّليـ ... ـلِ الشَّامِلِ المُنْتَشِرِ

١٩٩ - وذَا الحِمَى المَنِيعِ والْـ ... ـبَأْسِ الشَّدِيدِ الأظْهَرِ ٢٧/أ

٢٠٠ - ومَنْ أَذَلَّتْ بِيضُهُ ... عِزَّةَ آلَ الأَصْفَرِ

٢٠١ - كَيْفَ وأَنتَ عِزُّنا ... نَخَافُ بَأْسَ التَّتَرِ؟

٢٠٢ - لَيْسَ أسَأْنَا وبَدَا ... مِنْهَا سُلوكُ الغُدُرِ

---

(١٨٦) الحجرة العلياء: حجرة النبى ﷺ.

(١٨٩) خيم: أقام.

(١٩٠) االعبيد: تصغير عبد.

(١٩١) يحيى بن يوسف بن يحيى: اسم شاعرنا الصرصرى.

(١٩٢) ثاو: مقيم. صرصر: بلدة الصرصرى، بالعراق.

(١٩٣) ضرَع: ضراعة، أى خضوع. المعتر: المتعرض للمعروف سأل أو لم يسأل.

(١٩٩) المنيع: الممنوع من عدوان المعتدين.

(٢٠٠) بيضه: سيوفه. آل الأصفر: الروم.

(٢٠٢) الغُدر: جمع غادر.

٢٠٣ - فـــإنَّ صَـــفْحَ القَـــادِرِ الْـ ـكَرِيـم عَـــمَّنْ يَجْـتَـــرِى

٢٠٤ - نَـــحْـــنُ وإنْ كُـــنَّـــا ذَوِى جُـــــرْمٍ عَـظِـيـمٍ خَـطِـرِ

٢٠٥ - مِنْ زُمْــــرَةٍ مَنْسُــــوبَةٍ إلـيـكَ دونَ الـزُّمَـــــــــرِ

٢٠٦ - فَـغـرْ علَيْـهَـا واحْـمِـهَـا وإنْ جَنَتْ فـاسْـتَـغْـفِـرِ

٢٠٧ - وَإنْ وَهَـتْ فَـــــقَـــــوِّهَا أو قُـــهِـــرَتْ فـانْتَـصِـــرِ

*****

(٢٠٣) صفح: العفو. يجترى: يجترئ، وخفِّفَ الهمز لضرورة القافية.
(٢٠٥) زمرة: جماعة.
(٢٠٧) وهت: ضعفت.

الرائية الثانية

(عدتها ٧٤ ـ الكامل الأول)

تُعَدُّ هذه القصيدة رسالة حب وأشواق صادقة إلى النبى ﷺ وأرض الحرمين الشريفين، يمتزج فيها الغزل والحب بالثناء والمديح، بالذكريات الطيبة، بالرحلة إلى الديار المباركة، وتنتهى ـ كعادة شاعرنا ـ باستعطاف النبى ﷺ أن يرضى عنه ويجلو عنه الضر الذى أصابه وخلَّفه عن زيارته.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- ذكريات فى حمى الحرم الشريف.
- أشواق إلى النبى الكريم ﷺ.
- فى الثناء على النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته.
- النبى ﷺ حرز لأمته.
- رحلة الحجيج إلى الأرض المقدسة.
- رسالة حب وشوق إلى النبى ﷺ.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَكَـرَ العَـقـيقَ فَـهـاجَـهُ تَذْكَـارُهُ ... صَبٌّ عَنِ الأَحْـبَـابِ شَطَّ مَـزَارُهُ

٢ - وهَفَتْ إلىٰ سَلْعٍ نَـوازِعُ قَلْبِـه ... فَـتَـضَـرَّمَتْ بَيْنَ الجَـوانِحِ نَارُهُ

٣ - كَـلِـفٌ بِـرامَـةَ مَـا تَـألَّقَ بَـارِقٌ ... مِنْ نَحْـوِها إلا بَدَا إِضْـمَـارُهُ

٤ - يَشْـتَـاقُ وَادِيهَـا وَلَوْلا حُـبُّـهَـا ... لَمْ يُصْـبِـه وادٍ زَهَتْ أَزْهَارُهُ

٥ - شَـغَـفًـا بِمَنْ مَلَكَ الفُـؤادَ بأَسْره ... وبِـوُدِّه ألاَّ يُـفَـكَّ إِسَـارُهُ

٦ - لَوْلاَ هَواهُ لَمَـا ثَنَىٰ أَعْطَافَـهُ ... بَانُ الحِـجَـازِ ورَنْدُهُ وعَـرارُهُ

٧ - يا مَنْ ثَوَىٰ بَيْنَ الجَـوانِحِ والحَـشَـا ... مِنِّـي وإِنْ بَعُـدَتْ عَلَـيَّ دِيـارُهُ

٨ - عَطْفًـا علىٰ قَلْبٍ بِحُـبِّكَ هائِمٍ ... إن لَمْ تَصِلْهُ تَصَـدَّعَتْ أعْـشَـارُهُ

٩ - وارْحَمْ كَـئِـيبًا فِـيكَ يَقْضِي نَحْبَـهُ ... أَسَـفًـا عَلَيْكَ ومـا انْقَـضَتْ أوْطارُهُ

١٠ - لا يَسْـتَـفِـيقُ مِنَ الغَـرامِ، وكُلَّمـا ... حَـجَـبُـوكَ عَنْهُ تَهَـتَّكَتْ أَسْتَـارُهُ

١١ - مَـا اعْتَـاضَ مِنْ سَـمُـرِ الحِمَىٰ ظِلاًّ ولا ... طَابَتْ بِغَـيْـرِ حَـدِيثِكُمْ أَسْـمَـارُهُ

١٢ - هَلْ عَـائِدٌ زَمَنٌ تَضَـوَّعَ نَشْـرُهُ ... أَرَجًـا ورَقَّتْ بالرِّضَـا أَسْحارُهُ ٢٧/ب

١٣ - في مَـرْبَعٍ بِقِـبَـابِ سَلْعٍ مُـونِقٍ ... بالأُنْسِ تَهْـتِـفُ بالمُنَىٰ أَطْيَـارُهُ

---

(١) هاجه: أثار أشواقه. صب: عاشق. شطَّ: بَعُدَ.
(٢) هفَتْ: خفقت وتحركت. نوازع قلبه: أشواقه. تضرَّمت: اشتعلت. الجوانح: الضلوع.
(٣) كَلِفٌ: شديد التعلُّق والحب. رامة: موضع في طريق البصرة إلى مكة [معجم البلدان ٣/ ٢٠]. تألَّق: لمع. بارقٌ: برق. إضماره: ما يضمره، أي يخفيه، من الشوق.
(٤) لم يُصْبِه: لم يجذبه.
(٥) شغفًا: حبًّا. إساره: قيده.
(٦) ثنى أعطافه: استماله وجذبه، البان: شجر طويل أملس. الرند: نبات طيب الرائحة. العرار: بهار البر.
(٨) أعشاره: أجزاؤه، أي تفرق قطعًا.
(٩) يقضي نحبه: يموت. أوطاره: حاجاته، جمع وطر.
(١١) اعتاض: تعوَّض. السمُر: شجر كبير. الأسمار: أحاديث الليل.
(١٢) تضوَّع: انتشرت رائحته، والنشر: العطر، ومثله الأرج. أسحاره: في الأصل: أشجاره، والتصويب من [النبهانية ٢/ ١٠١].
(١٣) مونق: حَسَن جميل.

١٤ - فَـاقَ البَـسِـيطَةَ عِـزَّةً ومَـهَـابَةً فَـسَـمَـا وعَـزَّ منَ البَـرِيَّة جَـارُهُ

١٥ - يَحْمِي النَّزِيلَ، وكَيْفَ لا يَحْمِي وقَدْ حُـفَّتْ بجـاه المُـصْطَفَىٰ أقْطَارُهُ

١٦ - أضْـحَىٰ ثَرَىٰ أكْنَافِـه إذْ حَلَّهـا يَشْـفِي منَ الدَّاءِ العُـضَـال غُـبَـارُهُ

١٧ - سُبْحانَ مَنْ جَمَعَ المَحَاسِنَ كُلَّها فِـيـه فَـتَـمَّ بَهَـاؤُهُ وفَـخَـارُهُ

١٨ - جُبِلَتْ علىٰ التَّشْرِيف طِينَتُهُ، فما نَشَـأَتْ علىٰ غَـيْـرِ العُـلا أطْوارُهُ

١٩ - وصَـفَتْ خَـلائقُـهُ وطُهِّـرَ صَـدْرُهُ وزكَـا وطَابَ أديمُـهُ ونجـارُهُ

٢٠ - حَـمَلَتْـهُ آمِنَةُ الحَـصَـانُ فَلَمْ تَجِـدْ ثِـقَـلاً إلىٰ أنْ حَـانَ مِنْهُ بِدارُهُ

٢١ - ورأتْ قُصُورَ الشَّام حِينَ تشَعْشَعَتْ أنْوارُهُ وتَبـاشَـرَتْ حُـضَّـارُهُ

٢٢ - ولَدَتْهُ مَـخْـتُـونًا وأهْوَىٰ سـاجِـدًا وكَـسَـاهُ حُـسْنًا زائدًا مُـخْـتَـارُهُ

٢٣ - لا بالطَّويلِ ولا القَـصِـيـرِ، وإن مَشَىٰ بَيْنَ الطِّوال سَـمَـتْـهُـمُ أنْوَارُهُ

٢٤ - وإذا تَكَلَّلَ كـالجُـمَـان جَـبِـينُهُ عَـرَقًـا لأمْـرٍ عُظِّمَتْ أسْـرارُهُ

٢٥ - فـأريجُـهُ أذْكَىٰ وأطْيَبُ مَـخْـبَـرًا مِنْ رِيحِ مِـسْكٍ فَـضَّـهُ عَطَّارُهُ

٢٦ - وإذا بَـدَا فِـي حُـلَّـةٍ يَـمَـنِـيَّـةٍ قَـدْ زانَ دائرَ طَوْقِـهَـا أزْرارُهُ

٢٧ - فالشَّمْسُ بَعْدَ الصَّحْوِ مُشْرِقَةَ السَّنَا والبَـدْرُ فِي فَلَكِ الكَمـال مَـدَارُهُ

---

(١٤) البسيطة : الأرض .

(١٥) حُفَّت : أحيطت . أقطاره : نواحيه .

(١٦) الداء العضال : الذى لا شفاء منه . يقول : إن هذا التراب الطاهر شفاء لمن لا دواء له، منذ أن حله النبى المختار ﷺ .

(١٨) جُبِلَت : خلقت . أطواره : مراحل تكوينه وحالاته .

(١٩) زكَا : طهر . أديمه : جلده . نجاره : أصله وحَسَبه .

(٢٠) الحصان : العفيفة . بداره : ظهوره وولادته ﷺ .

(٢١) تشعشعت : أضاءت وانتشرت . حُضَّاره : الحاضرون فى زمان ولادته ﷺ .

(٢٢) أهوى : سقط . جاء فى الخبر أن النبى ﷺ لمَّا وُلد، أهوى على الأرض ساجداً [انظر طبقات ابن سعد ١ / ٦٣ ، والسيرة الحلبية ١ / ٨٠] .

(٢٣) وصف سيدنا أنس ﷺ رسولَ الله ﷺ فقال : « ليس بالطويل البائن (أى الزائد الطول) ولا بالقصير » [الفتح، كتاب المناقب ٦ / ٦٥٢ ، حديث رقم ٣٥٤٨] . وفى الأصل : بين الطويل، وهو خطأ من الناسخ .

(٢٤) تكلَّل : لبس الإكليل، وهو التاج، يريد أن عرقه ﷺ يزيِّن جبينه كما يزينه التاج . الجمان : الفضة .

٢٨ - مُتَقَلِّدٌ بالسَّيْف ليسَ مُباليًا   بِمَنِ التَقَىٰ، عَزَّت بهِ أَنْصَارُهُ
٢٩ - حُلَلُ السَّكِينَة والثَّبَات لباسُهُ   والبِرُّ والإِخْلاصُ فِيهِ شِعارُهُ
٣٠ - وضَميرُهُ التَّقْوَىٰ وأُوتِيَ حِكْمَةً   فازْدادَ منْهَا عَقْلُهُ ووقارُهُ
٣١ - والصِّدقُ مِنهُ والوَفاءُ طَبيعَةٌ   والعُرْفُ والصَّفْحُ الجَميلُ دِثارُهُ
٣٢ - والعَدْلُ سِيرَتُهُ وحَقٌّ شَرْعُهُ   وسَبيلُهُ نَهْجُ الهُدَىٰ ومَنَارُهُ
٣٣ - وشَرِيعَةُ الإِسلامِ مِلَّتُهُ وبالْ   حَقِّ المُبِينِ إِلى الوَرَىٰ إِظْهَارُهُ ٢٨/أ
٣٤ - خَتَمَ النُّبوَّةَ فَهْوَ دُرَّةُ تَاجِهَا   وطِرازُ حُلَّتِها الثَّمينُ عِيارُهُ
٣٥ - أَبْقَىٰ بِسُنَّتِه طَرِيقًا واضِحًا   رَحْبًا سواءً لَيْلُهُ ونَهارُهُ
٣٦ - يَمْحُو سَنَا الشَّمْسِ الكُسُوفُ ويَنْقُصُ الْ   قَمَرَ المَحَاقُ ويَعْتَرِيهِ سِرارُهُ
٣٧ - وشُمُوسُ شِرعَةِ دِينِه مَحْرُوسَةٌ   منْ حَادِثٍ يَمْحُو الضِّياءَ غُبَارُهُ
٣٨ - نَهَجَ الصَّوابَ بِجِدِّهِ وبِجَدِّهِ   بَعدَ الدُّثورِ تَجَدَّدَتْ آثارُهُ
٣٩ - فاسْتَعْلَنَ الحَقُّ المُبِينُ بِنُورِهِ   واخْتَالَ فَارانٌ وَقَرَّ قَرارُهُ
٤٠ - وجَلاَ ظَلامَ الحَرَّتَيْنِ ضِياؤُهُ   وَحَوَىٰ بهِ المَجْدَ الأثيلَ نِزارُهُ
٤١ - زهَرَتْ نُجُومُ السَّعْدِ فى بَدْرٍ بِهِ   وتَبَلَّجَتْ يَوْمَ الرِّضا أَقْمَارُهُ

---

(٢٩) حلل: جمع حُلَّة، وهى الثوب، شبه حلول السكينة والثبات والبر والإخلاص فى قلبه ﷺ بالثوب المشتمل عليه.
(٣١) العرف: المعروف.
الصفح الجميل: العفو الذى لا يعقبه لوم.
(٣٤) طراز: زينة. عياره: وزنه ومقداره.
(٣٦) المحاق: إظلام القمر، والسِّرار: آخر ليلة من الشهر.
(٣٧) غباره: فى الأصل: عثاره، والتصويب من [النبهانية ٢/١٥٣].
(٣٨) نهج الصواب: اتخذه منهجًا وبيَّنه للناس. بجِدِّه: باجتهاده. وبجَدِّه: بما وهبه الله من الهدى. الدُّثور: القدَم والانطماس.
(٣٩) استعلن: ظهر. فاران: اسم مكة المكرمة فى التوراة، وجبال فاران هى جبال الحجاز. وفى التوراة: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران»
[معجم البلدان ٤/٢٥٥].
(٤٠) الحرتين: مثنى حَرَّة، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء كأنها أحرقت بالنار، وبظاهر المدينة حَرَّتان. الأثيل: الأصيل المتوارث.
(٤١) زَهرت: لمعت. تبلَّجت: أشرقت.

٤٢ - وشُمُوسُهُ فى فَتْحِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... فانْجَابَ عَنْ وَجْهِ العَلاءِ قَتَارُهُ

٤٣ - وعَلَتْ بهِ أوْلادُهُ ونِساؤُهُ ... وصِحَابُهُ وزَكَتْ به أصْهَارُهُ

٤٤ - وسَمَتْ به غلْمَانُهُ وإمَاؤُهُ ... وجَوادُهُ وبَعِيرُهُ وحِمارُهُ!

٤٥ - وحَوَىٰ الفَخَارَ سَرِيرُهُ وفِراشُهُ ... وخِيامُهُ وفِناؤُهُ وجِدَارُهُ!

٤٦ - وتَضَوَّعَتْ أرْدَانُ بُرْدَتِه به ... طِيبًا وطَابَ رِداؤُهُ وإزَارُهُ!

٤٧ - شَهِدَ الكتابُ المُوسَوِىُّ بفَضْلِه ... وتحَقَّقَتْهُ وأيْقَنَتْ أحْبَارُهُ

٤٨ - هُوَ شَاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ومُبَشِّرٌ ... هُوَ مُنْذِرٌ مُتَيَقَّنٌ إنْذارُهُ

٤٩ - أضْحَىٰ لأُمِّيِّينَ حِرزًا نافِعًا ... وُضِعَتْ به عَنْ وَقْتِهِ آصارُهُ

٥٠ - بالشَّامِ دَوْلَتُهُ ومَكَّةُ رَبَّةُ الْـ ... ـحُرُمَاتِ مَوْلِدُهُ وطَيْبَةُ دارُهُ

٥١ - عَلِمَ اليَهُودُ الحَقَّ ثُمَّتَ أنْكَرُوا ... حَسَدًا فأفْسَدَ عِلْمَهُمْ إنْكارُهُ

٥٢ - تَبًّا لِمَنْ عَرَفَ اليَقِينَ وصَدَّهُ ... – لَمَّا استَبانَ لَهُ الصَّوابُ – نفارُهُ

٥٣ - وكَذاكَ فى إنجِيلِ عِيسَىٰ وَصْفُهُ ... فى كُلِّ عَصْرٍ تُجْتَلَىٰ أَخْبَارُهُ

٥٤ - عَجَبًا لِذى لُبٍّ رآهُ وكَيْفَ لَمْ ... يَنْبَتَّ عَنْهُ لِوَقْتِهِ زُنَّارُهُ ٢٨/ب

٥٥ - وعُذافِرٍ أُجُدٍ أَمُونٍ تَرْتَمى ... مَرَحًا كَهَيْقٍ هَاجَهُ ذُعَّارُهُ

---

(٤٢) انجاب: زال وانكشف. قتاره: غباره.

(٤٤) غلمانه: فى الأصل: غُلْماؤه، وهو خطأ صرفى، صوابه ما أثبته، كما فى [النبهانية ١٠٤/٢]. إماؤه: جمع أمة، وهى الجارية.

(٤٦) تضوَّعت: انتشرت رائحتها الطيبة. أردان: أكمام.

(٤٧) الكتاب الموسوى: كتاب سيدنا موسى عليه السلام، وهو التوراة. الأحبار: علماء اليهود.

(٤٩) الأميين: العرب. حرزًا: حصنًا وحفظًا. آصاره: أثقاله وقيوده.

(٥٠) دولته: موطن قوته وعزته، والصوفية يذهبون إلى أن الأبدال - وهم من رجال الغيب، كلما مات منهم واحد أبدل مكانه غيره إلى قيام الساعة، وهم محل نظر الله من العالم - موطنهم الشام، ولهم مقام عال؛ إذ بتوسلهم وشفاعتهم يستنزل المطر ويجلب النصر على العدو وتتقى النكبات العامة [انظر: معجم ألفاظ الصوفية، للدكتور حسن الشرقاوى، ٢٢].

(٥٢) تبًّا: هلاكًا. نفاره: بُعده عن الحق، وهو فاعل (صدَّه).

(٥٣) تجتلى: تظهر فيراها الناس.

(٥٤) ينبتّ عنه: ينفصل ويقطع. والزُّنَّار: حزام يشده رهبان النصارى على أوساطهم.

(٥٥) عذافر: ناقة شديدة. أُجد: ضخمة. أمون: يؤمن عليها من العثار والإعياء =

٥٦ - كَوْمَاءَ يَرْفَعُهَا السَّرابُ كَأَنَّها فَلَكٌ عَلىٰ بَحْرٍ طَمىٰ تَيَّارُهُ

٥٧ - يَطْوِى بها شُعَبَ الفَلاة مُشَمِّرًا كَالسَّيفِ للغَمَرات سُنَّ غِرارُهُ

٥٨ - شَهْمٌ إذا رَامَ الخَطِيرَ مِنَ العُلا لَمْ يَثْنِه عَمَّا يَرومُ خِطارُهُ

٥٩ - يتَجَشَّمُ الوَعْرَ المَخُوفَ ليَأْمَنَ الْـ وَعْرَ الذى بالمَرْءِ يَلْحَقُ عَارُهُ

٦٠ - يَسرِى مَعَ الوَفْد الكرام لِيَشْهَدَ الْـ جَمْعَ الذى شَرُفَتْ به أمْصَارُهُ

٦١ - فى مَوْقِفٍ جَمٍّ المَواهبِ زاهرٍ وُضِعَتْ عَنِ الجَانى به أوْزارُهُ

٦٢ - والمَأْزَمَيْنِ ومَشْعَرًا ذَا حُرْمَةٍ ومُحَصَّبًا بمِنَىٰ تُعَدُّ جِمارُهُ

٦٣ - ويَطوفُ مُضْطَبِعًا طَوافَ قُدومه سَبعًا ببَيْت عُظِّمَتْ أسْتَارُهُ

٦٤ - أبهَىٰ من الديباجِ رَونَقُ حِجْره وعَلىٰ اللآلئِ فُضِّلَتْ أحْجَارُهُ

٦٥ - ويَسيرُ بَعدَ قَضاء مُفْتَرَضاته لِيَزُورَ رَبْعًا أُكْرِمَت زُوَّارُهُ

٦٦ - رَبْعًا به نُورُ النَّبىِّ مُحَمَّد مُتَلألئٌ نَضِرَتْ به نُظَّارُهُ

٦٧ - نَادَيْتُهُ: باللهِ يا مَنْ أسْفَرَتْ عَنْ بِشْرِ وَجْهِ نَجاحِه أسْفَارُهُ

٦٨ - بَلِّغْ - هُديتَ - سَلامَ صَبٍّ مُغْرَمٍ قَامَتْ بشَيْب عِذَارِه أعْذَارُهُ

= ترتمى: تسير مسرعة . الهيق: الظليم، وهو ذكر النعام. هاجه: أثاره وأفزعه. ذُعَّاره: مَنْ ذعره، أى أفزعه.

(٥٦) كوماء: ضخمة السنام. طمى: زاد وارتفع. تيار: أمواجه.

(٥٧) شُعَب: طرق. مشمِّر: نشيط قويُّ العزم. الغَمَرات: الشدائد، جمع غَمْرة، وأصلها الماء الكثير. غرار السيف: حدُّه. (٥٨) الخطير: العظيم. الخطار: جمع خَطَر.

(٥٩) يتجشم: يكلِّف نفسه جهدًا كبيرًا وعناءً. الوعْر (الأولى): الجبل، والوعر (الثانية): الصعب من الأمور.

(٦٠) الوفد: الحجاج، وهم وفد الله عز وجل.

(٦١) جم: كثير. المواهب: العطايا الإلهية. زاهر: مضيء. وضعت: أسقطت. أوزاره: ذنوبه.

(٦٢) المأزمين: موضع بين عرفة والمزدلفة. المأزمان: مثنى مأزِم، وهو الطريق الضيق، والمأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعْب بين جبلين [معجم البلدان ٥/٤٧]. والمشعر الحرام: المزدلفة، وهو بين الصفا والمروة [السابق ٥/١٥٦].

(٦٣) مضطبعًا: من الاضطباع، وهو أن يُدخل المُحرم الرداء تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره، ويظهر منكبه الأيمن ويغطِّى الأيسر.

(٦٤) الديباج: الحرير. رونق: حسن وبهجة. الحجر: سبق تعريفه.

(٦٦) نضرت: أصبحت ناضرة، أى مشرقة حسنة.

(٦٨) العذار: الشعر النازل على الفكين.

٦٩ - وقُلِ السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مُتَشَوِّفٍ ... لِعَظِيمِ فَضْلِكَ رَثَّةٍ أطْمَارُهُ

٧٠ - يَا مَنْ جَلا قَتَرَ الضَّلالِ وَمَنْ إذا ... مَا أمَّهُ العَافِى انْجَلَىٰ إقْتَارُهُ

٧١ - يا مَنْ تَسَاوَىٰ فى المَكارِمِ والنَّدَىٰ ... كِلْتَا يَدَيْهِ: يَمِينُهُ ويَسَارُهُ

٧٢ - أنتَ المَلِىُّ بكَشْفِ ضُرِّ مُخَلَّفٍ ... ذِى عُسْرَةٍ بِنَدَىٰ يَدَيْكَ يَسَارُهُ

٧٣ - جَعَلَ الثَّناءَ علىٰ عُلاكَ شِعَارَهُ ... فَحَلَتْ به وتَعَطَّرَتْ أشْعَارُهُ

٧٤ - يَرْجُو النَّجاةَ بِفَضْلِ جَاهِكَ فى غَدٍ ... فى مَوْقِفٍ يَخْشَىٰ التَّوَىٰ أبْرَارُهُ

*****

---

(٦٩) متشوِّف: متطلِّع. رثَّة: بالية. أطماره: ثيابه.

(٧٠) القتر: الغبار والدخان. أمَّه: قصده، و(ما) زائدة. إقتاره: فقره.

(٧١) الندى: الكرم.

(٧٢) المَلِىُّ: كذا فى الأصل، وفى النبهانية: المليء، وفسره بالغنىّ، ولم أجده بهذا المعنى. ولعله: الوَلِىّ. مُخَلَّف: تخلف عن الحج لضُرٍّ أصابه. عُسرة: ضيق الحال. اليسار: الغنَى.

(٧٤) التَّوَىٰ: الهلاك، وفى الأصل: النوى، وهو خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبته كما فى [النبهانية ٢ / ١٠٦].

الرائية الثالثة

(عدتها ٥١ - الطويل الثانى)

تمتاز هذه القصيدة بكثرة الجناس والطباق وغيرهما من ألوان البديع، وهى تعبير عن عاطفة جياشة نحو الأرض المقدسة، وذكريات الشاعر فى جنباتها، فى ظلال الرسول ﷺ، ثم الثناء على الهادى البشير، والتغنى بأسمائه الكريمة فنظمها فى أربعة أبيات (٢١ : ٢٤) هى بمثابة عقد نفيس، ثم تلاها ذكر بعض خصائصه الشريفة وحلو شمائله، والدعوة إلى الاقتداء بسنته والاعتصام بهدايته، ثم يحمل الركب رسائله وأشواقه ومناجاته لخير البشر ﷺ .

تتضمن القصيدة العناصر التالية :

- أشواق لا تهدأ .
- فى أسماء النبى ﷺ وصفاته .
- رسالة شوق ومناجاة للنبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَتَىٰ حَلَّ حَادِى العيسِ بالرَّكْب حَاجِرَا ... كَحَلْتَ بذَيَّاكَ التُّراب المَحَاجِرَا

٢ - وإنْ هُوَ أَضْحَىٰ مَاءَ غَمْرَةَ وَارِدًا ... جَلا غَمْرَةَ الصَّادى فأصْبَحَ صَادرا

٣ - ويا نِعْمَتا إنْ غَيْهَبُ السَّفَرِ انْجَلَىٰ ... بنَعْمانَ عَنْ وجْهِ البِشَارة سَافِرا

٤ - إذًا لاسْتَقَرَّتْ بَعدَ نَأْيٍ قُلوبُنَا ... وقَرَّتْ عُيُونٌ بِتْنَ مِنَّا سَوَاهِرا

٥ - وأُقْسِمُ لوْ أَمْسَيْتُ فى دارَةِ الحِمَىٰ ... لجِيرانِ سَمْراءِ السُّتُورِ مُسامِرا

٦ - لَقَبَّلْتُ - إجْلالاً - بِسَمْعِى وناظرى ... ثَرَاها الذى بالنُّور أصْبَحَ ناضِرا

٧ - مَواقفُ عَطْفٍ طابَ بالوَصْلِ نَشْرُها ... فأضْحَىٰ لأَمْوَاتِ الصَّبابة ناشِرا

٨ - ظَفِرْتُ بصَفْوِ العَيْشِ فى جَنَباتِها ... لَيالِىَ أَمْسَىٰ بالصَّفَا الحِبُّ زائِرا

٩ - لَيالٍ بِنورِ الحِبِّ أَقْمَرْنَ وانْثَنَى ... بِها نَفَسُ الأَسْحارِ لِلُّبِّ سَاحِرا

١٠ - ليالٍ جَمَعْنَ الفَوْزَ بالقُرْبِ والرِّضا ... وشَتَّتْنَ شَمْلَ الهَمِّ فانْصاعَ صَاغِرا

١١ - ولَسْتُ بناسٍ يَومَ أَضْحَتْ رِكابُنا ... تَخُبُّ إلىٰ وادى العَقِيقِ بواكِرا

١٢ - حَلَلْنَ بِنا فى طالِعِ السَّعْدِ وادِيًا ... أنيسًا أنيقَ الجَوِّ أَفْيَحَ زاهِرا

١٣ - فَبِتْنَا وكَأسُ الرَّوْحِ بينَ رِحَالِنا ... يُعَلِّلُ أرْواحًا ظِمَاءً ضَوامِرا

---

(١) حاجر : موضع قريب من مكة المكرمة، من منازل الحاج [انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٣٦]. بذيَّاك : بهذا، و(ذيَّاك) اسم إشارة مصغَّر، مسند إلى كاف الخطاب .

(٢) غمرة : منزل من منازل الحاج على طريق مكة المكرمة، وهو فصل ما بين تهامة ونجد . وهناك عدة مواضع أخرى تسمى (غمرة)، لكن المقصود هو هذا المذكور [معجم البلدان ٢ / ٢٤٠].

(٣) غيهب : ظلام . سافرًا : كاشفًا .

(٧) نشرها : رائحتها الطيبة . لأموات الصبابة : للعاشقين الذين بلغ بهم العشق مبلغه، وفي الأصل : لأضحى بها ميت الصبابة ناشرًا، ولا يستقيم معناه؛ لأن ميت الصبابة لا يكون ناشرًا بل مُنْشَرًا ، والصواب ما أثبتُّه من [النبهانية ٢ / ١٠٧]. ناشرًا : باعثًا لهم بعد موتهم .

(٨) الصفا : تورية بمعنيين، هما : جبل الصَّفا، والصفاء ضد الكدر، الحِبُّ : الحبيب .

(١٠) انصاع : انقاد ورجع مسرعًا . صاغرًا : ذليلا .

(١١) تخب : تعدو مسرعة .

(١٢) أفيح : واسع . زاهر : مضىء .

(١٣) الرَّوح : الراحة والسكينة . يُعَلِّل : يسقيها مرة بعد مرة . ضوامر : مهزولة من شدة الظمأ .

١٤ - وسِرْنَ إلىٰ سَلْعٍ بأَيْمَنِ طائِرٍ　　بِمَنْ بِجَناحِ الشَّوْقِ أصْبَحَ طائِرا
١٥ - نُقَوِّى بِمَسْرَاها نُفُوسًا ضَعِيفةً　　ونُنْعِشُ مِنَّا بالسُّرورِ السَّرائِرا
١٦ - فَلَمَّا حَلَلْنا أَرضَ طَيْبَةَ مَعْدن الْـ　　ـمَكارِمِ طِبْنَا باطِنًا ثُمَّ ظاهِرا
١٧ - هُنالكَ لا تَثْرِيبَ - يومًا - علىٰ فَتًى　　إلىٰ يَثْرِبَ الفَيْحَاءِ حَثَّ العُذافِرا
١٨ - وليسَ علىٰ سارٍ لَها جُنْحَ لَيْلَةٍ　　جُناحٌ إِذا أفْنَىٰ الكَرىٰ والكَراكِرا
١٩ - لأَنَّ بِها أزْكَىٰ البَرِيَّةِ عُنْصُراً　　إذا عَدَّ أرْبابُ الفَخارِ العَناصِرَا
٢٠ - بِأحْمَدَ أضْحَتْ يَثْرِبٌ أَحْمَدَ القُرَىٰ　　مَوارِدَ طَابَتْ بالتُّقَىٰ ومَصادِرَا
٢١ - فأَكْرِمْ بِهِ عَبْداً صَفِيًّا مُعظَّمًا　　بَشِيراً نذيرًا طَيِّبَ الأصلِ طاهِرًا ٢٩/ب
٢٢ - سِراجًا مُنيرًا هَادىَ الخَلْقِ ناهِيًا　　عنِ النُّكْرِ، بالمَعْروفِ والبِرِّ آمِرا
٢٣ - رَسُولاً أمِينًا للكِرامِ مُقَفِّيًا　　ضَحُوكًا قَتُومًا عَاقِبًا ثُمَّ حاشِرا
٢٤ - رَءُوفًا رَحِيمًا شَاهِداً مُتَوَكِّلاً　　عَزُوفًا عنِ الدُّنْيا عَلى الضَّنْكِ صَابِرا
٢٥ - بِحُلْوِ قَضاءِ اللهِ راضٍ وَمُرِّهِ　　علىٰ البُؤْسِ والنَّعْماءِ ما زَالَ شاكِرا
٢٦ - حَلِيمٌ كثيرُ الصَّفْحِ أَجْوَدُ بالعَطَا　　مِنَ الغَيثِ دَفَّاقِ الشَّآبِيبِ هامِرا
٢٧ - وأَمْضَىٰ لأمرِ اللهِ جَلَّ ثناؤهُ　　مِنَ السَّيفِ مصْقولِ الغِرارَيْنِ باتِرا

---

(١٤) بأيمنِ طائر : بأسعد حظ، وكانت العرب تتفاءل بالطائر إذا مرَّ من ناحية اليمين، وتسميه طائر اليُمْن، أى الخير والبركة.
(١٥) مسراها : مصدر ميمى بمعنى : سيرها. السرائر: الضمائر، جمع سريرة.
(١٦) معدن المكارم: أصلها ومنشؤها.
(١٧) لا تثريب: لا لوم. الفيحاء: الواسعة. العذافر: الناقة الشديدة.
(١٨) سارٍ: سائر، وفى الأصل: مُهْدٍ، ولا وجه له، والتصويب من [النبهانية ٢/١٠٨] . جنح ليلة: بعض منها. الكرى: النوم. الكراكر: أعناق الإبل.
(١٩) أرباب: أصحاب. العناصر: الأصول والأحساب.
(٢٠) أحمد: النبى ﷺ. أحمد القرى: أفضلها، والقرى هنا بمعنى المدن.
(٢٢) النُّكْر: المنكر.
(٢٣) مُقَفِّيًا: متبعًا سنن الأنبياء من قبله.
(٢٤) عزوفًا: زاهدًا. الضَّنْك: شدة الفقر.
(٢٦) الغيث: المطر. دفَّاق: متدفق. الشآبيب: دفعات المطر المتتابعة. هامرًا: مُنْصَبًّا بغزارة.
(٢٧) الغرار: حد السيف. باتر: قاطع.

٢٨ - وأشْجَعُ مَنْ لاقَىٰ الفَوارِسَ فى الوَغَىٰ إذا بَلَغَتْ فيها القُلوبُ الحَناجرا

٢٩ - يَفوقُ العَذارَىٰ فى الخُدورِ حَياؤهُ علىٰ أنَّهُ يُرْدى اللُّيوثَ الخَوادرا

٣٠ - تُخُيِّرَ منْ خَيْرِ القَبائلِ مَعْشَراً حَمَوْا وأعَزُّوا جارَهُمْ والمَعاشِرَا

٣١ - أوائلُهُمْ خَيْرُ الأوائلِ، ثُمَّ فى أواخِرهِمْ فَضْلٌ يَفوقُ الأَواخِرا

٣٢ - بَنَىٰ لَهُمُ مَجْداً تَسَنَّمَ صيتُهُ مَنَائرَ أمْصارِ الهُدَىٰ والمَنابرا

٣٣ - هُوَ الفاتِحُ الخاتَامُ والرَّحْمَةُ الّتى شَفَتْ ونَفَتْ آصَارَنا والفَواقِرا

٣٤ - أتانا ولَيْلُ الشِّرْكِ ألْيَلُ حالكٌ فَجَلَّىٰ بأنْوارِ الرَّشادِ الدَّياجِرا

٣٥ - وأرْتَعَ فى رَوْضاتِ كامِلِ حُسْنِه وإحْسانِه أبْصَارَنا والبَصائرا

٣٦ - فَنَحْنُ عَلَىٰ بَيْضاءَ منْهُ نَقيَّةٍ عَليها بحَمْدِ اللهِ نثْنى الخَناصرا

٣٧ - إذا ما أَسَرَّ الإلْفُ فى النَّاسِ بدعَةً فَمِنَّا تَرَىٰ بالسُّنَّةِ الفَرْدَ جَاهرا

٣٨ - وإنَّا لَنَرْجُو جاهَهُ الأعْظَمَ الذى يكونُ لَنا ظِلاً من النَّارِ ساتِرا

---

(٢٨) الوغَى : الحرب . بلغت القلوب الحناجر : كناية عن الهول الشديد والفزع .

(٢٩) الخدور : جمع خدر ، وهو ستر العذراء . يردى : يهلك . الليوث : الأُسُود . الخوادر : المقيمة فى عرينها . يشير فى صدر البيت إلى ما جاء فى صفة النبى ﷺ أنه كان « أشدَّ حياءً من العذراء فى خدرها » [الفتح ، كتاب المناقب ، باب صفة النبى ﷺ ٦ / ٦٥٤ ، حديث رقم ٣٥٦٢] . ويشير فى عجز البيت إلى شجاعته ﷺ « وكان أشجع الناس » كما روى الإمام مسلم فى صحيحه [بشرح النووى كتاب الفضائل ، باب شجاعته ﷺ ١٥ / ٦٧] .

(٣٠) المعاشر : القبائل .

(٣٢) تسنَّم : علا . صيته : سمعته الحسنة . منائر : جمع منارة ، وهى المئذنة ، وفى الأصل : كراسىَّ أمصار . . . ، وما أثبته أقرب إلى أسلوب الصرصرى فى هذه القصيدة ، لميله إلى المجانسة (بين : منائر / منابر) . أمصار : بلاد ، جمع مصر .

(٣٣) الخاتم والخاتَم والخاتام بمعنى واحد ، وهو نعت للنبى ﷺ . الآصار : القيود . الفواقر : الدواهى .

(٣٤) ليلٌ أليل : شديد الظلمة ، وكذا حالك . الدياجر : الظلمات .

(٣٥) أرتَع : جعلها ترتع ، أى تنال ما تريد .

(٣٦) بيضاء : صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : على ملة بيضاء ، أى واضحة لا زيغ فيها . نثنى الخناصر : نعدّها أول فضائلنا فنقدرها حق قدرها .

(٣٧) الإلف : العادة . فمنَّا : فى الأصل : فما ، ولا يستقيم وزنًا ولا معنى ، والتصحيح من [النبهانية ٢ / ١٠٩] .

٣٩ - إذا خَـرَّ لله الـمُـهَـيْـمنِ سـاجـداً وأنْقـذَ مَنْ يَغْـشَىٰ الذُّنوبَ الكَبـائرا

٤٠ - فـيـا أيُّهـا المُـزْجِي نجـائبَ تَرْتَمِي تُخـالُ ببَحْـرِ الآلِ فُلْكًا مَـواخِـرا

٤١ - تَمـورُ بِظَهْـرِ البِيـدِ مَـوْرًا كـأنَّهـا نَعَـامٌ رأتْ ذُعْـرًا فَـمَـرَّتْ نَوافِـرا

٤٢ - عَلَيْـهـا رجـالٌ كُلُّ شَـهْمٍ مُـواصِلُ الْـ ـهَجيـرِ ويَغْـدُو للتَنَعُّمِ هاجـرا ٣٠/أ

٤٣ - ويَرْتَدُّ مِنْ لَفْحِ السَّـمـائِمِ طَرْفُـهُ حَسيرًا ويَمْشي أشْعَثَ الرَّأسِ حَاسِرا

٤٤ - يَـؤُمُّ جَنـابًا عِنـدَهُ غُـرَرُ النُّهَـىٰ عُكوفٌ لِمَنْ يَبْـغي العُـلا والمـآثِرا

٤٥ - تَحَـمَّلْ رِسـالاتي إلىٰ خَـيْـرِ مُـرْسَلٍ سَـمـا الخَلْقَ طُرًّا أوَّلاً ثُمَّ آخِـرا

٤٦ - وقُلْ: يا رَسـولَ الله، لولاكَ لَمْ يَجِـدْ عُـبَيْـدُكَ يَحْـيىٰ في الحَـوادِثِ ناصِرا

٤٧ - ولوْلاكَ لَمْ يَشْـعُـرْ بأمْـرٍ منَ الهُـدَىٰ ولمْ يُدْعَ - لولا حُبُّ مَدْحِكَ - شاعِرا

٤٨ - شَـريعَـتُكَ البَـيْـضـاءُ بُغْـيَـةُ ناشـدٍ ووَصْفُكَ يَعْلو في النَّشيـدِ الجَـواهِرا

٤٩ - وليس سِوَىٰ الحُسْنَى لأبْكارِ وَصْفِكُمْ مُـهـورٌ لِمَنْ في النَّظْمِ أصْبَحَ مَـاهِرا

٥٠ - أجِـرْنِيَ - يا خَـيْـرَ الوَرَىٰ - بِشـفـاعـةٍ إلىٰ مَلِكٍ أهْدَىٰ إليكَ المَـفـاخِـرا

٥١ - بِإنجـازِ حَـاجٍ مـا لِيُـسْـرٍ قَـضَـائِهـا سِوَىٰ جَاهِكَ المَبْسوطِ، لا زالَ وافِرا

*****

---

(٣٩) خرَّ: سقط ساجداً، وذلك يوم القيامة فى مقام الشفاعة.

(٤٠) المزجي: السائق. نجائب: الإبل الكريمة. تخال: تُظَنّ. الآل: السراب. فُلكًا: سفنا. مواخر: تشق البحر فى جريها.

(٤١) تمور: تتحرك حركة قوية مضطربة. البيد: الصحارى، جمع بيداء، وفى الأصل: البدّ، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من [النبهانية ٢ / ١١٠].

(٤٢) الهجير: الظهيرة. هاجراً: تاركاً.

(٤٣) السمائم: جمع سَمُوم، وهى ريح حارة. حسيراً: عاجزاً. حاسراً: مكشوف الرأس.

(٤٤) يؤم: يقصد. المآثر: الفضائل، جمع مأثرة.

(٤٥) تَحَمَّلْ: خُذْ. طُرًّا: جميعًا.

(٤٨) بغية: مطلب. ناشد: طالب.

(٥٠) أجرنى: أنقذنى. المَلِك: اسم من أسماء الله الحسنى.

(٥١) حاج: حاجات.

الرائية الرابعة

(عدتها ٧٩ ـ مجزوء الرجز)

هى أرجوزة مقفاة الشطرين، مما يدل على علو كعب الشاعر فى اللغة بحيث استطاع توفير هذه القوافى الهائلة لقصيدته دونما إخلال بمقتضيات المعنى.

تبدأ القصيدة بالدعاء للربوع الطاهرة بالسقيا والخصب، كيف لا وهى التى تضم فى جنباتها كل آمال شاعرنا، وهى الأرض التى مشى عليها النبى المختار ﷺ؟! ثم يسرد الشاعر كثيراً من سيرة النبى ﷺ وخصائصه ومآثره الشريفة، ويثنى على صحابته الكرام وبخاصة الخلفاء الراشدين، وعلى كل من آمن به من المهاجرين والأنصار.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- دعاء بالسقيا للأرض المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته.
- فى الثناء على الصحابة رضوان الله عليهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ -	جَـادَتْ شـآبيبُ المَطَرْ	بمُسْتَجيشٍ مُنْهَمِرْ
٢ -	يمْلأُ أكْنافَ الغُدُرْ	ويُودِعُ الأرضَ الزَّهَرْ
٣ -	رَبْعًا به كُلُّ الوطَرْ	أفْيَحَ مَحْرُوسَ القُطُرْ
٤ -	مِنْ مُسْتَطِيراتِ الغِيَرْ	فيه الذُّنوبُ تُغْتَفَرْ
٥ -	وهْوَ لِذِى الذُّعْرِ وَزَرْ	ليسَ به لِمُفْتَقِرْ
٦ -	مِنْ صَعَرٍ ولا زَوَرْ	غُبارُهُ يَجْلُو البَصَرْ
٧ -	ويَدْفَعُ الدَّاءَ العَسِرْ	تُرْبُ أرِيجِهِ عَطِرْ
٨ -	وروْضُهُ غَضٌّ نَضِرْ	عَذْبُ الوُرودِ والصَّدَرْ
٩ -	ليسَ لِصَفْوِهِ كَدَرْ	وظِلُّهُ الضَّافى الخَضِرْ
١٠ -	فيه الأصيلُ كالسَّحَرْ	وكَعشاياهُ البُكَرْ
١١ -	رَبْعُ المُصَفَّىٰ من مُضَرْ	أحْمَدَ أفْضَلِ البَشَرْ ٣٠/ب
١٢ -	مِنْ بَيْنِ بَدْوٍ وحَضَرْ	وخَيْرآتِ بالنُّذُرْ
١٣ -	أبْلَجَ يُخْجِلُ القَمَرْ	إذا تَثَنَّىٰ فى الحِبَرْ
١٤ -	ويُلْبِسُ الشَّمْسَ القَتَرْ	إذا تَجلَّىٰ وسَفَرْ

---

(١) جادت: سَقَتْ. شآبيب المطر: دفعاته المتوالية. مستجيش: شديد الانصباب، ومثله منهمر.

(٢) الغُدر: جمع غدير، وهو الماء المتجمع من المطر.

(٣) ربعًا: موطنًا، وهو مفعول (جادت) فى البيت الأول. الوطر: الحاجة. أفيح: واسع.

(٤) مستطيرات: منتشرة. الغير: الحوادث.

(٥) وزر: ملجأ وملاذ، وأصل الوزر: الجبل المنيع. مفتقر: محتاج.

(٦) صَعَر: ميل الوجه بعيدًا، وهو كناية عن التكبر. أى: ليس به كبرٌ على محتاج. الزَّوَر: النظر بمؤخر العين كبْرًا.

(٨) الورود: الإقبالُ نحو مكان الشرب، والصَّدَر: الرجوع بعد الشرب. والجمع بينهما يفيد العموم. (٩) الضَّافى: الكثير الممتد.

(١٠) الأصيل: الوقت بين العصر والمغرب. السحر: آخر الليل. العشايا: جمع عشيَّة، وهى أول الليل. البُكَر: جمع بُكْرة، وهى أول النهار.

(١٣) أبلج: مشرق. الحِبَر: جمع حبرة، وهى ثوب يمنى.

(١٤) القَتَر: السواد. سفَر: ظهر.

١٥ - أَبْيضَ مَـفْـروقَ الشَّـعَـرْ ... قَـدْ زانَ طَرْفَـهُ الحَـوَرْ

١٦ - أشْنَبُ وَضَّـاحُ الأُشُـرْ ... يَفْـتَـرُّ عَنْ مِـثْلِ الدُّرَرْ

١٧ - مَـصُـونةٌ عن الحُـفَـرْ ... صُـورَتُهُ أَبْهَىٰ الصُّـوَرْ

١٨ - مَـا شَـانَ قَـدَّهُ قِـصَـرْ ... ولا نَـبَـا عَـنْـهُ بَـصَـرْ

١٩ - إذا ارْتَدَى ثُـمَّ اعْـتَـجَـرْ ... وأَبْصَـرَ الخَـصْمُ الأَشِـرْ

٢٠ - نُورَ مُـحَـيَّـاهُ عَـقَـرْ ... كَـلامُـهُ إذا اعْـتُـبِـرْ

٢١ - كَـأنَّمـا الدُّرُّ نُثِـرْ ... فَـصْلٌ مُـبِـينٌ لا هَذَرْ

٢٢ - سَـمْحٌ إذا العَـامُ اقْـشَـعَـرْ ... وعَـرَضَتْ إحـدَىٰ الكُبَـرْ

٢٣ - وحَـالَ باليُـسْـرِ العُـسُـرْ ... وعَضَّ مِنْ فَـرْطِ الخَـوَرْ

٢٤ - عَلَىٰ الشَّـراسِـيفِ الصُّـفُـرْ ... سَـبْطُ اليَـدَينِ بالبُـشَـرْ

٢٥ - لا قَلِقٌ ولا ضَـجِـرْ ... ولا عَنِيفٌ مُنْتَـهِـرْ

٢٦ - يَنْحَـرُ للضَّـيْفِ الجُـزُرْ ... فى مَـاحِلٍ حَتَّ الشَّـجَـرْ

٢٧ - فِـيـهِ رِحَـالاتُ الوَبَرْ ... يَقْـتَـاتُ أَوْراقَ السَّـمُـرْ

---

(١٥) الحوَرَ: شدة بياض العين وشدة سوادها.

(١٦) أشنب: عذب الأسنان رقيقها. وضَّاح: مبتسم. الأُشُر: حدّة ورقة فى أطراف الأسنان، وفى الأصل: الأثر، وهو خطأ من الناسخ. يفترّ: يبتسم.

(١٧) جاء فى الحديث الشريف: «إن الله - عزَّ وجلَّ - قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام» [سنن أبى داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار ٢ / ٨٨].

(١٨) شان: عاب. قدُّه: قامته. نَبَا: بَعُدَ وتجنَّب.

(١٩) اعتجر العمامة: لفَّها حول رأسه. الأشر: البَطِر الذى يجحد النعمة.

(٢٠) محيَّاه: وجهه. عَقَر: صمت وانقطعت حجته.

(٢١) هَذر: لَغْو لا فائدة منه.

(٢٢) اقشعَرَّ: أجدب. عَرَضَتْ: جاءت. الكُبَرَ: جمع كُبرىٰ، أراد: الشدائد.

(٢٣) حال: تغيَّر وتبدل. العُسُر: ضد اليسر. الخور: الضعف.

(٢٤) الشراسيف: أضلاع الصدر. الصُّفُر: الإبل السوداء. وهذا الشطر متعلق بالبيت قبله، أى: هو سمح عندما يشتد الجدب وتتبدل الأحوال ضيقًا بعد يسر، حتى تعض الإبل على أضلاعها من شدة الجوع. السبط: الطويل. البشر: جمع بشارة.

(٢٥) مُنْتَهِرْ: يزجرُ الناس بغلظة.

(٢٦) الجُزُر: الأنعام المذبوحة. ماحِل: عام مجدب. حتَّ الشجر: أسقط عنها أوراقها.

(٢٧) رحالات الوبَر: كذا فى الأصل، ولعله أراد: الإبل. يقتات: يأكل. السَّمُر: الشجر الكبير.

٢٨ - نَدْبٌ إذا البَأْسُ حَسَرْ … عَنْهُ القِناعَ وبَسَرْ

٢٩ - وازْوَرَّ لِيتًا واكْفَهَرْ … واشْتَدَّ وقْدًا واسْتَعَرْ

٣٠ - وقَدَحَتْ فيهِ الشَّرَرْ … سَنابِكُ الجُرْدِ الصُّبُرْ

٣١ - وقالَ رَبَّاتُ الخُمُرْ: … أينَ الكَمِيُّ المُخْتَبَرْ؟

٣٢ - خَفِيرُ رَبَّاتِ الخَفَرْ … أشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ زَأَرْ ٣١/أ

٣٣ - وصَالَ بَطْشًا وهَصَرْ … ثَبْتٌ إذا الجَيْشُ انْكَسَرْ

٣٤ - وولَّتِ الخَيْلُ الدُّبُرْ … يَجْلُو بِصَمْصامٍ ذَكَرْ

٣٥ - أبْيَضَ عَضْبٍ ذِى أُثُرْ … نَقْعَ الهِياجِ المُعْتَكِرْ

٣٦ - عَفَّ بِزُهْدٍ، إذ قَدَرْ … عَلَى الكُنوزِ وصَبَرْ

٣٧ - وشَدَّ لِلْجوعِ الحَجَرْ … صِفاتُهُ لا تَنْحَصِرْ

٣٨ - فى ضَرْبِ شِعْرٍ مُبْتَكَرْ … لِمُكْثِرٍ أو مُخْتَصِرْ

٣٩ - وإنَّهُ لَفى الزُّبُرْ … بَادِى الصِّفاتِ مُشْتَهَرْ

٤٠ - يَعْرِفُهُ ذَوُو النَّظَرْ … وباسْمِهِ لَمَّا بَصُرْ

٤١ - آدَمُ وهْوَ مُسْتَطَرْ … مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ جَأَرْ

---

(٢٨) ندب : شهم كريم يُلَبِّى من دعاه لحاجة . البأس : الشدة . حسر : كشف رأسه، استعاره للشدة . بَسَر : قطَّب جبينه وظهر فى وجهه الكراهة، شبه الشدة بالوجه المقطب .

(٢٩) ازورّ : مال . اللِّيت : العنق، وهو كناية عن الإعراض . اكفهرَّ : اسودَّ وعبس . استعر : اشتعل . وكل هذه الصفات للبأس، أى شدة القتال .

(٣٠) السنابك : حوافر الخيل . الجُرْد : جمع أجرد، وهو القصير الشعر، وذلك من علامات الخيل الجيدة . الصُّبُر : التى تصبر على القتال .

(٣١) ربَّات الخُمُر : النساء، والخُمُر جمع خمار . الكميُّ : الشجاع .

(٣٢) خفير : المجير الحامى . وربَّات الخفَر : النساء العفيفات ذوات الحياء . ليث : أسد .

(٣٣) هصر : افترس . ثبت : ثابت شجاع .

(٣٤) ولَّت الخيل الدُّبر : فرَّت من القتال . الصمصام : السيف القاطع . الذَّكر : الحاد اللامع .

(٣٥) عَضْب : قاطع . الأُثُر : لمعان السيف .

(٣٦) قدر على الكنوز : أعطاه الله القدرة على أن تكون له كنوز الأرض، فأباها ﷺ واختار حياة الزهد والتقشف .

(٤١) مستطر : مسطور . جأر : دعا الله رافعًا صوته باسم محمد ﷺ .

٤٢ - يَدعُو به حينَ اعْتَذَرْ مِمَّا جَناهُ، فَغُفِرْ
٤٣ - وإنَّهُ لَمُسْتَتِرْ في صُلْبِ نُوحٍ ذي العُمُرْ
٤٤ - لَمَّا عَلا ذاتَ الدُّسُرْ وَحَلَّ في ذات السُّعُرْ
٤٥ - صُلْبَ الخَليلِ ذي الخَطَرْ وُضِعَ مَقْطُوعَ السُّرَرْ
٤٦ - مِنْ غَيرِ ما صُنْعِ بَشَرْ شُرِحَ صَدرُهُ العَطِرْ
٤٧ - وهُوَ طِفْلٌ فَطَهُرْ مِنْ كُلِّ غِلٍّ ووَحَرْ
٤٨ - وَرَدَّ عَنْهُ في السَّفَرْ لَفْحَ الهَجيرِ المُسْتَعِرْ
٤٩ - ظِلُّ الغَمامِ المُنْتَشِرْ ولَمْ يَزَلْ مِنَ الصِّغَرْ
٥٠ - عَفَّ الرِّداءِ والأُزُرْ وهْوَ الأَمينُ المُشْتَوَرْ
٥١ - مِنْ قَبْلُ في وضْعِ الحَجَرْ جاءَ بأصْدَقِ الخَبَرْ
٥٢ - من العَزيزِ المُقْتَدِرْ أَنْزَلَ أَحْسَنَ العِبَرْ
٥٣ - في عَرَبِيَّاتِ السُّوَرْ عَليهِ ذِكْرَى لِلبَشَرْ ٣١/ب
٥٤ - أرْسَلَهُ وقَدْ صَفِرْ نَهْجُ الصَّوابِ ودَثَرْ
٥٥ - واعْتَكَرَ الأَمرُ النُّكُرْ ومَوْرِدُ الشِّرْكِ الكَدِرْ
٥٦ - بُنْيانُهُ أَصْلُ الأَشَرْ ونَاعِقُ الكُفْرِ الحَصِرْ

---

(٤٤) ذات الدسر: السفينة. ذات السُّعُر: النار.
(٤٥) الخليل: سيدنا إبراهيم عليه السلام. الخطر: القدر العظيم.
(٤٧) الوَحَر: الغيظ والحقد، مثل الغلّ.
(٤٨) لفح الهجير: شدة حر الظهيرة.
(٥٠) المشتور: الذى تؤخذ مشورته.
(٥١) يشير فى هذا البيت إلى ما كان من أمر قبائل قريش لمّا اختلفوا فيمن يحمل الحجر الأسود بيده، فاحتكموا إلى النبى ﷺ، فجاء بثوب وضع فيه الحجر، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً» [انظر: سيرة ابن هشام ١ / ١٢٥].
(٥٤) صَفِر: خَلا. دَثَر: انطمس.
(٥٥) اعتكر: اشتد سواده واختلطت فيه الأمور. النُّكُر: المنكر القبيح.
(٥٦) الأشر: جحود النعمة. ناعق الكفر: الناطق بالكفر، شبهه بنعيق الغراب. حصر: عجز عن الكلام.

٥٧ - مُـزَخْـرِفٌ بَحْـرَ الغَـرَرْ ... فـارْتَفَـعَت حـينَ ظَهَـرْ
٥٨ - قَـواعِـدُ الدِّيـنِ الدُّثُرْ ... وانْقـادَ طَوْعًـا مَن نَفَـرْ
٥٩ - وآضَ مِنْ بَعـدِ الصَّـوَرْ ... وهْوَ مُنيبٌ مُـدَّكِـرْ
٦٠ - فَـخـابَ مَنْ لَمْ يَأْتَمِـرْ ... بِأَمْـرِهِ ويـزْدَجِـرْ
٦١ - عَـمًّـا لَهُ عَنْهُ زَجَـرْ ... لَقَـدْ تَعـدَّىٰ وفَـجَـرْ
٦٢ - وخَفَّ وزْنًا وخَـسِـرْ ... وحَلَّ - للخُلْف - سَـقَـرْ
٦٣ - وفَـازَ مَنْ قَـفَـا الأَثَرْ ... وكَـانَ طَوْعَ مَـا أَمَـرْ
٦٤ - ولَمْ يُـواقِعْ مَـا حُظِرْ ... تَحُـثُّـهُ ذاتُ سُـرُرْ
٦٥ - فـيـهـا نَعـيمٌ مـا خَطَرْ ... يَومًـا علىٰ قَلبِ بَشَـرْ
٦٦ - نَفَـىٰ الضَّـلالَ ودَحَـرْ ... وحَجَّ ثُمَّتَ اعْـتَـمَـرْ
٦٧ - وسَـاقَ هَدْيًا ونَحَـرْ ... وسـارَ أَحْـسَنَ السِّـيَـرْ
٦٨ - حَـتَّىٰ أَتَاهُ المُنْتَظَرْ ... فَـحَلَّ أَشْـرَفَ الحُـفَـرْ
٦٩ - عَلَيْـهِ أثْنَى مُـدَّخَـرْ ... صَـلاةُ رَبٍّ مُـقْـتَـدِرْ
٧٠ - ثُـمَّ عَـلـىٰ مَـنِ ابْـتَـكَـرْ ... مُـصَـدِّقًـا ثُمَّ افْـتَـقَـرْ
٧١ - آثارَهُ حَـتَّىٰ احْـتُـضِـرْ ... عَـتِـيقٌ الأَتْـقَىٰ الحَـذِرْ
٧٢ - ثُـمَّ عَـلىٰ مَنْ لَمْ يَجُـرْ ... فى حُكْمِـهِ ولَمْ يَحِـرْ

---

(٥٧) الغَرَر: الغرور والخداع والباطل.
(٥٨) الدُّثُر: البالية.
(٥٩) آض: عاد. الصَّوَر: الكِبْر والغرور. مُدَكِّر: متذكر تائب.
(٦٠) يزدجر: ينتهي عن الباطل.
(٦٢) للخلف: أى بسبب مخالفته أوامر النبى ﷺ ونواهيه. وسقر: جهنم أعاذنا الله منها.
(٦٣) قفا: اتَّبَع.
(٦٤) يواقع: يرتكب. تحثُّه: تحضُّه على الخير، ذات سرر: الجنة، قال الله تعالى: ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴾ الغاشية / ١٣ .
(٦٦) دحر: طرد وأبعد.
(٧٠) ابتكر: أسرع إلى الإيمان. افتقر آثاره: اتَّبعها.
(٧١) احتضر: مات، وفى الأصل: اخْتُضِرْ، وهو تصحيف. عتيق: سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ.
(٧٢) لم يَحِرْ: لم يتحول.

٧٣ - عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ عُمَرْ ... ثُمَّ عَلىٰ مَنْ ما حَصَرْ

٧٤ - عَنْ الهُدَىٰ لَمَّا حُصِرْ ... عُثْمانَ باذِلِ البِدَرْ ٣٢/أ

٧٥ - ثُمَّ عَلىٰ مَنِ انْتَصَرْ ... بِسَيْفِهِ مِمَّنْ كَفَرْ

٧٦ - زَوْجِ البَتُولِ المُعْتَبِرْ ... بِقَتْلِهِ أَهْلُ النَّهَرْ

٧٧ - ثُمَّ عَلىٰ مَنِ ابْتَدَرْ ... مُهاجِراً وَمَنْ نَصَرْ

٧٨ - ومَنْ تَلاهُمْ فى العُصُرْ ... من كُلِّ هادٍ ذى نَظَرْ

٧٩ - مَا لاحَ نَجْمٌ وزَهَرْ ... وما تَلا شَمْسًا قَمَرْ

*****

---

(٧٣) حَصَر: عجز.

(٧٤) البِدَر: العطايا الكثيرة، جمع بدرة وهى كيس يسع ألف دينار.

(٧٦) أهَل النَّهَر: أهل العراق.

(٧٧) ابتدر: سبق إلى الإيمان.

الرائية الخامسة

(عدتها ٤٣ـ الكامل الثانى)

تحفل هذه القصيدة بألوان الجناس، بحيث لا يكاد يخلو بيت من صورة من صور الجناس.

يتخيل شاعرنا صورة لمحبوبته ذات البهاء والستور السوداء (الكعبة المشرفة) وقد ألم به طيفها فى منامه، فجعل يتوقد فى أحشائه الحنين وتتلهب جمرات الهوى، شوقًا إلى الديار المباركة وساكنها ﷺ الذى لولا حبه ما كان شاعرًا، ثم ينتقل إلى الحث على الاعتصام بسنة النبى ﷺ، وينهى قصيدته ـ كما هى عادته ـ بالاستغاثة بسيد الخلق ﷺ.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- الدعاء بالسقيا للربوع المقدسة.
- فى الغزل بالكعبة المشرفة والشوق إليها.
- فى مديح النبى ﷺ.
- الاعتصام بسنته ﷺ وسيلة إلى الخير فى الدنيا والآخرة.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَـيَّـتْك أَلْسِنَةُ الحَـيَـا مِنْ دارِ وكَسَتْك حُلَّتَـهـا يَدُ الأَزْهَارِ

٢ - وتَعَطَّرَتْ نَفَـحَـاتُ تُرْبِك كُلَّمـا فَضَّ النَّسِـيمُ لَطِيمَـةَ الأَشْـجَـارِ

٣ - فَـلأَنْت مَـعْـهَـدِىَ القَـدِيمُ ومَـأْلَفِى وبكِ انْقَـضَـتْ مَـحْـمُـودةً أَوْطَارِى

٤ - للهِ مـا أَبْقَىٰ الأَحِـبَّـةُ مُـودَعًـا بِشَـراكِ للمُـشْـتَـاقِ مِنْ آثارِ

٥ - لأُصَـرِّحَنَّ اليَـوْمَ فِـيكِ بِلَوْعَـةٍ كَـلِفَـتْ بِمَـاءٍ فى الطُّلُولِ ونَـارِ

٦ - مـا كُنْتُ بِدْعًـا فى الصَّـبـابَةِ والأَسَىٰ حَـتَّىٰ أُوارِىَ زَفْـرَتِى وأُوَارِى

٧ - مـا الحُبُّ إلاَّ زَفْـرَةٌ تَلِجُ الحَـشَـا أَوْ مَـدْمَعٌ جـارٍ لِفُـرْقَـةِ جـارِ

٨ - ومَـصُـونَةٍ حَـوَت البَـهَـاءَ سُـتُـورُها سَـمْـرَاءُ يُطْرِبُ وَصْـفُـهـا سُـمَّـارِى

٩ - عَـرَبِيَّـةِ الأَنْسَـابِ قَـامَ بِحُـسْـنِهـا عُـذْرِى وطَابَ عَلَيْـهِ خَلعُ عِـذَارِى

١٠ - زَارَتْ عَلىٰ بُعْـدِ المَـسَـافَـةِ بَعْـدَمـا هَوَتِ النُّجُـومُ ولاتَ حِـينَ مَـزَارِ

١١ - أَنَّىٰ طَوَتْ شُـعَـبَ الفَـلا ودِيارُها بِحِـمَىٰ الحِـجَـازِ وبالعِـراقِ دِيارِى؟

١٢ - أَهْـلاً بِـطَـيْـفٍ زائِـرٍ أَهْـدَىٰ لَـنـا رَيًّا مُـمَنَّعَـةِ الحِـمَىٰ مِـعْطَارِ

١٣ - جـادَتْ بِوَصْلٍ فَـانْثَنَتْ ومُـحِـبُّـهـا عـارِى المَـعـاطِفِ مِنْ مَـلابِسِ عَـارِ

---

(١) الحيا: المطر.

(٢) فضَّ: فرَّق ونشر. واللطيمة وعاء المسك.

(٣) مألفي: المكان الذى آلفه وآنس به. أوطارى: حاجاتى.

(٥) لوعة: حرقة العشق. كلفت: تعلقت. الطلول: بقايا الديار، جمع طلل.

(٦) ما كنت بدعًا: لست مبتدع هذا الأمر وحدى. الصبابة: العشق. أوارى: أخفى. الأوار: لهب النار.

(٧) تلج: تدخل وتتعمق.

(٨) مصونة: محفوظة، وهى الكعبة المعظمة.

(٩) خلع العذار: كناية عن التهتك، ولا يريد التهتك الفاحش، بل مقصوده انكشاف أسرار الحب.

(١٠) لات حين مزار: ليس الوقتُ وقت الزيارة. وهو يتحدث هنا عن رؤيا رأى فيها الكعبة المشرفة.

(١١) أنَّى: كيف. طوت: قطعت. شُعَب: طرق.

(١٢) الريَّا: الرائحة الطيبة. معطار: صيغة مبالغة من العطر.

(١٣) عارى المعاطف من ملابس عار: خلا مما يوجب الذمَّ والعار.

١٤ - هَلْ وَقْفَةٌ للرَّكْبِ فى جَنَباتِها ... ولَهُ جُؤارٌ فى أعَزِّ جِوارِ
١٥ - فَأُقَبِّلَ الحَصْبَاءَ منْها مُطْفِئًا ... جَمْرَ الهَوىٰ منِّى بِرَمْىِ جِمارِ ٣٢/ب
١٦ - فَهُناكَ لا حَجْرٌ ولا عَارٌ عَلىٰ ... ذِى الحِجْرِ فى التَّقْبِيلِ للأَحْجارِ
١٧ - أمْ عائدٌ زَمَنِى بأَجْدَرِ تُربَةٍ ... بالقَصْدِ فى أكْنَافِ خَيرِ جِدَارِ
١٨ - رَبعًا بِهِ غُرَرُ العُلا مَبْذُولَةٌ ... لِلْمُشْتَرِى والأرْىُ لِلمُشْتَارِ
١٩ - وبِهِ يُبَيِّنُ لِلْقُلوبِ حَقائقَ الْـ ... أسْرارِ بَدْرٌ لَمْ يُشَنْ بِسِرارِ
٢٠ - هوَ أَحْمَدُ المُختارُ، أَحْمَدُ مُرْسَلٍ ... قَتَّالُ كُلِّ مُعانِدٍ خَتَّارِ
٢١ - نَدْبٌ إذا بَثَّ الجِيادَ مُغِيرةً ... عَلِقَتْ بِحَبْلٍ للثَّباتِ مُغارِ
٢٢ - بِيَمينِهِ فى الحَرْبِ حَتْفُ المُمْتَرِى ... وحَياتُها فى السِّلْمِ لِلْمُمْتارِ
٢٣ - غَمْرُ النَّدَى بِجِلاءِ أغْمارِ الوَرَىٰ ... مُتَكَفِّلٌ بِهِدايَةِ الأغْمارِ
٢٤ - جَعلَ المُهَيْمِنُ فى مَسامِعِ خَصْمِه ... وَقْرًا، وزانَ صِحابَهُ بِوَقَارِ
٢٥ - وهْوَ المُظَلَّلُ بالغَمامَةِ من أذَىٰ الْـ ... أسْفَارِ والمَنْعوتُ فى الأسْفارِ
٢٦ - وبِهِ تَنَشَّرَ حينَ سَارَ مُهاجِرًا ... لِلغارِ ذِكْرٌ فاقَ نَشْرَ الغَارِ

---

(١٤) جُؤَار: رفع الصوت بالدعاء.
(١٥) الحصباء: الحصى. جمر الهوى: أراد به شدة العشق، الجمار: الحصى التى ترمى بمنى.
(١٦) حَجْر: منع. الحجر: العقل.
(١٨) الأرْى: عسل النَحل، والمشتار: الذى يستخرجه.
(١٩) لم يُشَنْ: لم يعبه. السِّرار: الإظلام الذى يسود آخر ليلة من الشهر القمرى.
(٢٠) ختَّار: مخادع غادر.
(٢١) نَدْبٌ: شهم يُنْتَدَب، أى يقصد، فى الشدائد والحاجات. بثَّ: نَشَر. الجياد: الخيل. مغيرة: مقدمة على الغارة، أى القتال. وفى الأصل: بغرة، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من النبهانية ٢ / ١١٢ . حبل مُغار: محكم جيد الفَتْل، شبَّه شدة الثبات بالحبل القوى الذى أحكم فتله.
(٢٢) حتف: موت. الممترى: الشاكّ. الممتار: طالب الميرة، وهى الطعام.
(٢٣) غمر الندى: شديد الكرم، كأنه بحر كثير الماء. أَغمار الورى: أحقادهم. الأغمار (فى القافية): الذين لا تجربة لهم، وجهال الناس.
(٢٤) الوقر: الثقل، وهو هنا كناية عن عدم الاستجابة للحق.
(٢٥) المنعوت: الموصوف بالصفات الحسنة. الأسفار: الأولى: جمع سَفَر، والثانية: جمع سفْر، وهو الكتاب، ويريد بها الكتب السماوية.
(٢٦) تنشر: من النَّشْر، أى الرائحة الطيبة، وفى الأصل: تيسر، وهو تصحيف من الناسخ، =

٢٧ - وانْهَلَّ إكْرامًا لَهُ صَوْبُ الحَيا ... والقَطْرُ مُحْتَبَسٌ عَنِ الأَقْطَارِ
٢٨ - فضَلَ البَرِيَّةَ كُلَّها ورَسا بِهِ ... طَودُ العُلا فى هاشِمٍ ونِزارِ
٢٩ - يا هادِيًا شَدَّ الإلَهُ بِدينِهِ ... أزرِى، وشَدَّ على العَفافِ إزارِى
٣٠ - يا مَنْ بِهِ إن عُذْتُ مِن سَنَةٍ حَمَى ... أوْ زارَ فى سِنَةٍ مَحَا أوْزارِى
٣١ - يا مَنْ حِباءُ يَدَيْهِ مُحْلُولُ الحُبَا ... لِحِبَاءِ سارٍ أو لِفَكٌ إسارِ
٣٢ - لَوْ لَمْ يَكُنْ مَدْحِيكَ من عُدَدِى لَمَا ... أضْحَىٰ شِعَارِىَ صَنْعَةَ الأشْعارِ
٣٣ - نَشْرُ الثَّناءِ عَلَيْكَ أطْيَبُ نَفْحَةً ... مِنْ مِسْكِ دارِىٍّ يَضُوعُ بِدَارِى
٣٤ - مَلأ المُهَيْمِنُ مُذْ قَصَدْتُكَ مادحًا ... بِيَسارِهِ يُمْنَاىَ قَبْلَ يَسارِى
٣٥ - ونَفىٰ - بجاهِك يا أعزَّ وسائلى - ... قَتَرَ الهَوىٰ عَنِّى مَعَ الإقْتَارِ
٣٦ - فتَخِذْتُ سُنَّتَكَ المُنِيرَةَ حُجَّةً ... ومَحَجَّةً تَهْدِى لِخَيرِ مَنارِ ٣٣/أ
٣٧ - وغَدوْتُ مَحْروسَ الحِمىٰ مِنْ ضِيقَةِ الْـ ... إعْسارِ عِنْدَ تَواتُرِ الأسْعارِ

= والتصويب من النبهانية ٢ / ١١٣ . الغار الأولى : غار حراء الذى نزله النبى ﷺ وأبو بكر الصديق فى الهجرة من مكة إلى المدينة. والغار الثانية : شجر طيب الرائحة.

(٢٧) انهلَّ : انصبّ. صوب الحيا : المطر الشديد المصحوب بصوت. القَطر : المطر. الأقطار : البلاد.

(٢٨) فَضَلَ البريَّة : زاد عليهم فى الفضل. رَسَا : ثبت. الطود : الجبل الشامخ. هاشم ونزار : من أجداد النبى ﷺ.

(٢٩) الأزر : القوة، وشدّ الأزر : الإعانة والتقوية . والإزار : ما يلبس أسفل البدن، وشد الإزار كناية عن العفاف.

(٣٠) السنة : الجفاف والجدب . سِنَة : نوم. أوزارى : ذنوبى.

(٣١) حباء : عطاء. الحُبَا : الثياب. يريد بقوله (محلول الحبا) : كريم لا يمنع عطاءه عن أحد. لحبـاء سَار : أى لإكرام الضيوف والمسافرين، فى الأصل : لثناء سارٍ، ولا وجه له، وفى النبهانيَة : لحبا يَسَارٍ، ولا أرى له وجهًا، فلعل الصواب ما أثبته. إسار : قيد.

(٣٢) عُدَدِى : جمع عُدَّة، وهى كل ما يهيئه الإنسان للسفر وغيره.

(٣٣) نفحة : رائحة. دارىٍّ : عطّار، وهو منسوب إلى (دارين) بلدة يجلب منها المسك الجيد. يضوع : تنتشر رائحته الطيبة.

(٣٤) بيساره : برزقه وعطائه المُغْنى.

(٣٥) قتر : غبار ودخان. الإقتار : الفقر.

(٣٦) محجة : طريق.

(٣٧) الإعسار : الفقر وضيق العيش. تواتر الأسعار : ارتفاعها.

٣٨ - حَسْبِى رَجائِى أنَّنِى مِنْ أُمَّةٍ — بِكَ أصْبَحَتْ مَوْضوعَةَ الآصارِ

٣٩ - أنتَ الزَّعيمُ لَها وأنتَ سَفيرُها — إنْ أقْبَلَتْ مِنْ أطْوَلِ الأسْفارِ

٤٠ - ويَزيدُ فيكَ رَجاءَ قَلْبى قُوَّةً — أنْ صارَ بى نَسَبٌ إلىٰ الأنْصارِ

٤١ - قَوْمٌ حَلَلْتَ بِدارِهِمْ فَتَدَرَّعوا — بِبِدارِهِمْ لِرِضاكَ ثَوبَ فَخارِ

٤٢ - فاسْألْ إلٰهَكَ لى بِعَشْرٍ مُحَرَّمٍ — جَبْرًا لِقَلْبٍ واجِفِ الأعْشارِ

٤٣ - وشَهادَتَىْ حَقٍ قُبَيْلَ شَهادةٍ — فيها الوِفاقُ لأهْلِكَ الأطْهارِ

*****

---

(٣٨) الآصار : الأثقال والقيود .

(٣٩) سفيرها : واسطتها والشفيع لها عند الله .

(٤١) تدرعوا : لبسوا . ببدارهم : بإسراعهم .

(٤٢) واجف : خفَّاق مضطرب . الأعشار : الأجزاء، كأن قلبه قد تمزق قطعًا من شدة الحزن .

(٤٣) شهادتى حق : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله . قُبيل : تصغير (قَبْلَ) وفى الأصل : عقيب، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من النبهانية ٢ / ١١٤ . والشهادة : الموت فى سبيل الله . وقد استجاب الله دعاء الصرصرى فمات شهيداً، قتله التتر وهو يضربهم بعكازه .

الرائية السادسة

(عدتها ٢٥ـ البسيط الأول)

نظم الشاعر هذه القصيدةفى ذكرى ميلاد النبى ﷺ فى ربيع الأول، حيث تتوالى البشائر كل عام فى هذه الذكرى العطرة، بشائر مقرونة بالنصر والظفر والمجد.

ويتخذ الشاعر من المناسبة توطئة لمديح النبى ﷺ وسرد البشارات والمعجزات التى رافقت ميلاده وبعثه، ثم يناجيه ضارعًا ملتجئًا به من كل حادثة، وراجيًا منه أن يرفع إلى الله عز وجل حاجاتٍ لا يذكرها.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية:

- بشائر المولد النبوى الشريف.
- من محاسن النبى ﷺ ومعجزاته.
- فى مديح النبى ﷺ.
- مناجاة واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - فى كُلِّ عَامٍ لَنَا مِنْ سَيِّدِ البَشَرِ ... بشارَةٌ قُرِنَتْ بالنَّصرِ والظَّفَرِ
٢ - يُميتُنا الخَوفُ يَأْسًا ثُمَّ يُنْشِرُنا ... رَجاءُ نَفْحَةِ رَيَّا نَشْرِهِ العَطِرِ
٣ - هَذا رَبيعٌ كَسا الدُّنْيا لِمَوْلِدِه الـ ... ـشَّريفِ وَشْىُ رَبيعٍ زاهِرٍ نَضِرِ
٤ - أَتَتْ بِه أُمُّهُ ذُخْرًا لأُمَّتِهِ ... مُطَهَّرَ الصَّدرِ عَذْبَ الوِرْدِ والصَّدَرِ
٥ - مُكَمَّلَ الخَلْقِ لَمْ تُقْطَعْ لَهُ سُرَرٌ ... حَوَىٰ المَناقِبَ فى مَهْدٍ وفى سُرُرِ
٦ - تُبْدى أَسارِيرُه مَعنَىٰ سَرائِره ... ونَضْرَةُ الفَضْلِ عُنْوانٌ لِذى النَّظَرِ
٧ - رأَت بإِقْبالِها البُشْرَىٰ قَوابِلُهُ ... وأشْرَقَ المُظْلِمُ الدَّاجى مِنَ القُطُرِ
٨ - لَقَدْ بَدا ساعَةَ الإِهْلالِ حينَ بَدا ... بَدْرًا وكانَ كَبيرَ القَدْرِ فى الصِّغَرِ
٩ - ولَمْ يَزَلْ فى بُروجِ السَّعْدِ مُنْتَقِلاً ... حَتَّىٰ تَجاوَزَ بُرْجَ الشَّمسِ والقَمَرِ
١٠ - زَانَ المُهَيْمِنُ كُلَّ الكائناتِ بِه ... وزادَ صُورَتَهُ حُسْنًا عَلىٰ الصُّوَرِ
١١ - مُدَوَّرُ الوَجْهِ خَدَّاهُ بياضُهُما ... بحُمْرَةٍ أُشْرِبا، وردٌ على كَثَرِ
١٢ - رَحْبُ الجَبينِ أَزَجُّ الحَاجِبَيْنِ كَما ... يُعَرِّقُ الكاتِبُ النُّوناتِ فى الزُّبُرِ
١٣ - فى عَيْنِه دَعَجٌ كَأَنَّهُ كَحَلٌ ... زانَ السَّوادَ بِها ضَرْبٌ مِنَ الحَوَرِ ٣٣/ب
١٤ - أَقْنَىٰ قَسيمٌ وَسيمٌ فاقَ مَبْسَمُهُ ... وثَغْرُهُ غالِىَ الياقوتِ والدُّرَرِ

---

(٢) يُنْشِرنا : يحيينا بعد الموت . نشره : رائحته الطيبة .
(٣) ربيع (فى صدر البيت) : شهر ربيع الأول، وفيه ولد النبى ﷺ . وربيع (فى عجز البيت) : فصل الربيع المعروف، والوَشْى : الزينة .
(٦) الأسارير : خطوط الوجه . والسرائر : الضمائر .
(٧) القوابل : جمع قابلة، وهى المُوَلِّدة . الداجى : المظلم . القُطُر : الجهات .
(٨) الإهلال : صرخة المولود حين يولد .
(١١) الكثر : جمار النخل، وهو أبيض ناصع البياض، شبه بياض النبى ﷺ المشرب بالحمرة - بالورد على جمار النخل .
(١٢) أزجّ الحاجبين : فى حاجبيه طول ودقَّة . يُعَرِّق : يَمُدّ . شبَّه حاجبيه ﷺ بنونين أطالهما كاتبهما . فى الزُّبُر : فى الكتب .
(١٣) الدَّعَج : شدة سواد العين مع سعتها . والحَوَر : شدة سواد العين مع شدة بياضها .
(١٤) أقنى : مرتفع الأنف . قسيم : حَسَن القسمات .
(١٥) النكهة : رائحة الفم الطيبة . المراشف : موضع الرشف، أى الشرب .

١٥ - تُريكَ نَكْهَتُهُ زادَتْ مَراشِفُها ... عِزًّا علىٰ المِسْك طيبًا آخرَ السَّحَرِ

١٦ - كأنَّما جِيدُهُ منْ فِضَّةٍ خَلُصَتْ ... منَ القَذىٰ، وذِراعٌ جَلَّ عَنْ قِصَرِ

١٧ - وكَفُّهُ زُبْدَةُ اللُّبَّان إنْ لُمِسَتْ ... وجُونَةُ العِطْرِ إنْ شُمَّتْ لِمُعْتَبِرِ

١٨ - وصَدْرُهُ فيهِ للنُظَّارِ مَسْرُبَةٌ ... تُرْبِى على أَلِفٍ فِى الطِّرْسِ مُسْتَطَرِ

١٩ - وشَرَّفَتْ كَتِفَيْهِ شامَةٌ جُعِلَتْ ... عَلىٰ النُّبُوَّةِ عُنْوانًا لِمُخْتَبِرِ

٢٠ - يا خَيْرَ مَنْ سَمَحَتْ بالخَيْرِ راحَتُهُ ... وأجْمَلَ النَّاسِ قَدًّا ماسَ فى الحِبَرِ

٢١ - يا مَنْ بِهِ قَدَمُ الأنْسابِ فى قِدَمِ الْـ ... أزْمانِ حَلَّتْ ذُرا العَلْياءِ مِنْ مُضَرِ

٢٢ - يا مَنْ تَباشَرَتِ الدُّنيا بِطَلْعَتِهِ ... كَما تَباشَرَتِ الأرضونَ بالمَطَرِ

٢٣ - إلَيْكَ مَلجَؤنَا من كُلِّ فاقِرَةٍ ... وأنتَ ذُخْرٌ لَنا مِنْ حادِثِ الغِيَرِ

٢٤ - وقَدْ قَصَدْنَاكَ عِلْمًا أَنَّكَ العَلَمُ الْـ ... ـهَادى الذى مَن نَحَاهُ اليَومَ لَمْ يَحِرِ

٢٥ - فارْفَعْ - بِجَاهِكَ - حَاجَاتٍ تُخامِرُنا ... إلىٰ إلـٰهِكَ يا ذا الجَاهِ والخَطَرِ

*****

---

(١٦) جيده: عنقه. القذى: الشوائب.

(١٧) الجونة: زجاجة العطر. روى البخارى فى صحيحه عن أنس رضي الله عنه عنه قال: « ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبى ﷺ، ولا شممت ريحا قطُّ أطيبَ من ريح النبى ﷺ » [الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ ٦ / ٦٥٤، حديث رقم ٣٥٦١].

(١٨) المسربة: خط الشعر الواصل من منتصف الصدر إلى السرة. الطِّرس: الصفحة. مستطر: مكتوب.

(١٩) الشامة: خاتم النبوة.

(٢٠) راحته: كفُّه. الحبر: ثياب يمنية.

(٢٣) فاقرة: داهية. الغير: تقلبات الأحداث.

(٢٤) قصدناك: فى الأصل بغير كاف الخطاب، وهو سهو من الناسخ يؤدى إلى كسر الوزن. نَحَاه: قصده. لم يَحِر: لم تصبه حيرة.

(٢٥) تخامرنا: مستقرة فى نفوسنا. الخطر: القدر العظيم.

(الرائية السابعة)

(عدتها ٤٥ ـ البسيط الثانى)

تبدأ هذه القصيدة باستنزال المطر على الربوع الطاهرة وأهلها أتباع سيدنا محمد ﷺ، ثم يدلف إلى مديحه ﷺ مركزاً على صفات القوة والعزَّة والشجاعة فيه وفى صحابته الكرام، ويخص بالذكر منهم العشرة المبشرين، ويعم بالثناء كل من نظر إلى وجهه الكريم نظرة إيمان.

وفى نهاية القصيدة نعرف لماذا كان تركيزه فى هذه القصيدة على صفات القوة والعزة، يقول :

فى كل يومٍ لنا رعبٌ يُقَلْقِلُنا فكن مجيراً لنا من كيد كُفَّارِ

إن الأمة فى رعب بسبب حصار المغول والتتر وغيرهم من الأعداء الذين يعيثون فى أرضها فساداً، ولا ملجأ لهذه الأمة إلا أن تستنجد بنبيها العزيز ليخرجها من الضعف إلى القوة، ومن الذلة إلى العزة بما له من تأييد الله وعزته.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- الدعاء بالسقيا والخصب للربوع الطاهرة.
- ذكريات الشاعر فى الربوع الطاهرة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر معجزاته وتأييد الله ـ عز وجلَّ ـ له.
- دعاء واستغاثة بالنبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَتْكَ سَارِيَةٌ مِنْ دَمْعِيَ الجَارى ... يا دَارَ مَجْمَعِ أشْجَانى وأوْطَارى

٢ - ورَفَّ رَوْضُ الأمَانى فيك واجْتُلِيَتْ ... رُبَاك فى حُلَّتَىْ نُورٍ ونُوَّارِ

٣ - وامتَدَّ ظِلُّكِ مَحْلُولَ الحُبَا خَضِرًا ... فيه بَشَاشَةُ أسماعٍ وأبْصارِ

٤ - وفَضَّ فيك رَضِيضَ المِسْكِ نَشْرُ صَبًا ... فألْحَقَ الرَّوْحَ آصالاً بأسْحَارِ

٥ - ومَاسَ بَانُكِ يا أرْضَ الحِمَى طَرَبًا ... لمَا ثَنَى عِطْفَهُ مِنْ شَدْوِ أطْيَارِ

٦ - ففى جَنَابِك آنَسْتُ الرِّضَا قُبُلاً ... لا أحْذَرُ الجَوْرَ مِنْ أهْلٍ ولا جَارِ

٧ - وأنت أكْرَمُ ما دَارٍ وَجَدْتُ بها ... حيَاةَ قَلْبى، ألا حُيِّيتِ مِنْ دارِ

٨ - سَلَكْتُ فيك طَرِيقَ الحُبِّ مُتَّضِحًا ... فلَمْ أخَفْ فيه من إثْمٍ ولا عَارِ

٩ - أُمْسِى وأُصْبِحُ لا أخْشَىٰ العَذولَ وقَدْ ... أقامَ صِدْقُ ودادى فيك أعْذارى ٣٤/أ

١٠ - أظَلُّ بَينْ شُمُوسٍ لا ضَلالَ لَها ... وأنْجُمٍ للهُدَىٰ زُهْرٍ وأقْمارِ

١١ - مُهَذَّبِينَ كِرامٍ لم تَزِغْ بِهِمُ الْـ ... أهْواءُ عَمَّا نَحَاهُ خَيْرُ مُخْتَارِ

١٢ - مُحَمَّدٌ مُوضِحُ الإشْكالِ مُنْتَجَعُ الْـ ... آمَالِ واضِعُ أثْقالٍ وآصارِ

١٣ - وَافَىٰ البَرِيَّةَ فى طَخْيَاءِ غَمْرَتِهِمْ ... وغَمْرِهِمْ مِنْ ذَوِى حِلْمٍ وأغْمَارِ

---

(١) أوطارى : حاجاتى، جمع وطر.

(٢) رفَّ الزهر: برق وتلألأ . اجتُلِيت : نُظِر إليها . حُلَّتى : مثنى حُلَّة، وهى الثوب . النُّوَّار: الزهر.

(٣) الحُبَا : الثياب .

(٤) رضيض : فتيت، أى ما نثر منه . الرَّوح : الراحة والسكينة .

(٥) ماس : اهتز وتمايل . البانِ : شجر طويل . شدو : غناء . وهذا البيت زيادة من النسخة (ب) .

(٦) آنست : أحسست . قبلاً : مقبلة . الجور: الظلم .

(١٠) لا ضلال لها : أى لا تغيب . زُهْر : مضيئة، وفى الأصل : وأنجم للهدى أبداً وأقمار . وفيه خطأ عروضى، لأنه يجعل التفعيلة الثالثة (مُتَفاعلن)، وليس فى البسيط (مُتَفاعلن) . والصواب من النسخة (ب) .

(١١) لم تزغ : لم تنحرف . نحاه : قصده .

(١٢) المنتجع : المكان الطيب المرعَىٰ، استعاره للأمال . الآصار والأثقال بمعنى واحد .

(١٣) وافَى : جاء فى موعده . طخياء : الظلمة الشديدة . والغمرة : الشدة . والغَمْر : اللهو والباطل والحيرة . وفى الأصل : وعمهم، ولا معنى له، والصواب من (ب) . الأغمار : جهال الناس الذين لا تجربة لهم .

١٤ - حَيْرَىٰ القُلوبِ أُسَارَاها أزِمَّتُهُمْ — فى قَبْضِ غاوٍ خَبِيثِ المَكْرِ غَرَّارِ

١٥ - فجَاءَهُمْ بالصِّراطِ المُسْتَقِيمِ وهُمْ — علَىٰ شَفَا جُرُفٍ مِنْ كُفرِهِمْ هارِ

١٦ - فأنْقَذَ الضُّلَّلَ الغَرْقَىٰ بِشِرْعَتِه — وانْتَاشَهُمْ بالهُدَىٰ من هُوَّةِ النَّارِ

١٧ - مؤيَّدٌ، زُمَرُ الأملاكِ تَنْصُرُهُ — ورُعْبُ شَهْرٍ مُذِلٌّ كُلَّ كَفَّارِ

١٨ - مُؤيَّدٌ بِرجالٍ سادةٍ غُرَرٍ — مُهَاجرينَ كِرامِ الأصْلِ أبْرارِ

١٩ - وآخَرينَ مَصَابيحِ الهُدَىٰ شُهُبِ الْـ — ـهَيْجاءِ أقْمارِ يومِ السِّلْمِ أنْصارِ

٢٠ - فتْيَانِ هَيْجاءَ مَا لاثُوا مآزِرَهُمْ — مُذْ عَايَنُوهُ عَلىٰ مَذْمومِ أوْزَارِ

٢١ - عَلَيهِمُ نَضَراتُ الفَضْلِ ظَاهِرةً — وفِى القُلُوبِ لَدَيْهِمْ صِدْقُ أسْرارِ

٢٢ - لَمْ يَغْشَ أوْجُهَهُمْ فى بُؤْسِهِمْ قَتَرٌ — ولَمْ يَصُونُوا النَّدَىٰ فى حَالِ إقْتارِ

٢٣ - مُقَمَّصِينَ لِباسَ العِزِّ عِرْضُهُمُ — مِنْ عَارِ ثَوْبِ أَباطِيلِ الهَوَىٰ عَارِ

٢٤ - لَمْ يَمْلِكِ الرِّقَّ مِنْ أطْمَاعِهِمْ وَرِقٌ — ولَمْ يَشِنْ دِينَهُمْ حُبٌّ لِدينارِ

٢٥ - ثَناؤُهُمْ بَجَمِيلِ الصُّنْعِ مُنْتَشِرٌ — كَأنَّهُ فى البَرايَا نَشْرُ عَطَّارِ

---

(١٤) أسارى: جمع أسير. الأزِمَّة: جمع زمام، وهو الحبل الذى يقاد به البعير، أراد به مقاديرهم ومصائرهم. قبض هنا بمعنى: قبضة. غاوٍ: ضال مُضِلّ. غرَّار: خدَّاع مزيِّن للباطل، وهو الشيطان.

(١٥) على شفا جرف هار: تعبير قرآنى جاء فى قوله تعالى: ﴿ **أم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ التوبة / ١٠٩ . أى على حافة جبل يوشك أن ينهار.

(١٦) الضُّلَّل: الضالين. انتاشهم: أخرجهم.

(١٧) زمرة: جماعة. كفَّار: شديد الكفر.

(١٩) الشهب: جمع شهاب. الهيجاء: الحرب.

(٢٠) لاثوا: لبسوا. المآزر: جمع مئزر، وهو الإزار الذى يلبس أسفل البدن. أوزار: جمع وزر، وهو الذنب. يقول: إنهم منذ رأوا النبى ﷺ وآمنوا به، أصبحت نفوسهم عفيفة فلم يقترفوا الخطايا.

(٢١) نضرات: جمع نَضْرة، وهى الحُسن والإشراق الذى يلوح على الوجوه المؤمنة.

(٢٢) بؤسهم: فى (أ): بأسهم، وما أثبته من (ب) أليق بالمعنى. قتر: سواد وغبرة. إقتار: فقر.

(٢٣) مقمصين: لابسين، مشتق من (تقمَّص القميص). من عار ثوب...: فى (أ) من مس ثوب، وما أثبته من (ب) هو الأرجح، لميل الصرصرى إلى المجانسة، فيكون هناك جناس بين (عار) الأولى بمعنى العيب، و (عار) فى قافية البيت بمعنى خالٍ.

(٢٤) الورِق: الفضة، وكانت النقود تصنع من الفضة أو الذهب.
لم يشِن: لم يَعِبْ.

٢٦ - مِنْ كُلِّ أشْوَسَ مِقْدَامٍ إذا نَكَصَ الْـ ـفُرْسانُ عَنْ حَوْمَةِ الأقْرانِ، كرَّارِ

٢٧ - مُجَرَّبٍ فَاتكٍ فى كُلِّ مَعْرَكةٍ كَضَيْغَمٍ مِنْ لُيُوثِ الغَابِ مِغْوارِ

٢٨ - يَلْقَىٰ إذا انْحَطَمَتْ سُمْرُ القَنَا قُبُلاً أَعْدَاءَهُ بصَقِيلِ المَتْنِ بَتَّارِ

٢٩ - حَازُوا المَناقبَ والفَضْلَ الجَزِيلَ به فَزِنْدُ مَجْدِهِمُ بَينَ الوَرَى وَارِ

٣٠ - منْهُمْ أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مُؤنِسُهُ لَمَّا تَتَبَّعَهُ الأعْدَاءُ فى الغَارِ ٣٤/ب

٣١ - ومنْهُمْ عُمَرُ الفَارُوقُ فَاتحُ مَا سَمِعْتَ مِنْ مُدُنٍ عُظْمَىٰ وأمْصارِ

٣٢ - والبَرُّ عُثْمانُ أسْخَىٰ مُرتَجًى لِنَدًى أكْرِمْ به مِنْ عَظِيمِ الشُّكْرِ صَبَّارِ

٣٣ - والهَاشِمِىُّ عَلِىٌّ مَنْ أقَامَ عَلَىٰ بَحْرٍ من العِلْمِ عَذْبِ الوِردِ زَخَّارِ

٣٤ - وطَلْحَةُ الجُودِ والشَّهْمُ الزُّبَيْرُ وسَعْـ ـدٌ خَالُهُ وسَعِيدٌ عِصْمَةُ الجَارِ

٣٥ - وذُو العَطاءِ ابْنُ عَوْفٍ والأمِينُ أبُو عُبَيْدَةَ النُّجَبَاءُ صَفْوَةُ البَارى

٣٦ - وكُلُّ مَنْ نَظَرَ المُخْتَارَ نظْرَةَ إيْـ ـمَانٍ لَهُ الفَضْلُ فى بَدْوٍ وحُضَّارِ

٣٧ - يا مُزْجِىَ العِيسِ لا يَنْفَكُّ مُطَّلِبًا ذُرَا المَعَالى بتَهْجِيرٍ وإسْحَارِ

٣٨ - حُثَّ المَطَايا إلىٰ سَلْعٍ ولوْ بَعُدَتْ بِطُولِ مَسْرَاكَ مِنْ وَخْدٍ وإضْمَارِ

---

(٢٦) الأشوس: الشجاع الجرىء فى القتال، ومثله المقدام. نكص: تراجع عن القتال. الحومة: ساحة المعركة. والأقران: الأنداد، جمع قِرْن. كرَّار: مُقبل على القتال.

(٢٧) فاتك: يفتك بعدوه. الضيغم والليث: الأسد. مغوار: شجاع.

(٢٨) القنا: الرماح. قبلا: مواجهة. صقيل: سيف لامع. بتَّار: قاطع.

(٢٩) الزَّند: ما تشعل به النار. الورىٰ: الناس. وار: مشتعل.

(٣١) أمصار: بلاد، جمع مصر.

(٣٢) أكرم به: تعجب من كرم عثمان ﷺ.

(٣٣) بحر زخَّار: كثير الماء مرتفع الأمواج.

(٣٥) النجباء: الكرام. صفوة البارى: الذين اختارهم الله عز وجلّ. ذكر فى الأبيات السابقة العشرة المبشرين، وهم أعلام الأمة، وليسوا بحاجة إلى تعريف.

(٣٦) البدو: سكان البادية، والحُضَّار: سكان الحضر.

(٣٧) لا ينفك: من الأفعال الدالة على الدوام والاستمرار. مُطَّلبًا: مجتهداً فى الطلب. ذُرا: جمع ذروة، وهى القمة. المعالى: الفضائل. التهجير: السير فى الهجير، والإسحار: السير فى وقت السحر.

(٣٨) المطايا: الركائب، جمع مطيَّة. المسرَىٰ: مصدر ميمى من (سَرَى) أى سار. الوخد: السير الهادئ، والإضمار: تجويع الإبل وإظماؤها أربعين يوما كى تقوى على السير =

٣٩ - فَثَمَّ مِفْتاحُ أقْفالِ القُلوبِ ومِصْـ ـباحُ الهِدايَةِ والبُشْرَىٰ لِزُوّارِ

٤٠ - والمَنْهَلُ العَذْبُ لِلوُرّادِ والنُّزُلُ الـ ـرَّحِيبُ نِعْمَ مَقِيلُ المُدْلِجِ السّارِى

٤١ - فَعَفِّرِ الخَدَّ فى ذاكَ الرِّغامِ تَحُزْ شِفاءَ سُقْمٍ ورِيًّا عِنْدَ إصْدارِ

٤٢ - وأدِّ عَنِّى سَلامًا نَشْرُهُ عَطِرٌ يَفُوقُ رَيّاهُ وَهْنًا نَشْرَ مِعْطارِ

٤٣ - قُلْ: يا شَفِيعَ الوَرَىٰ -- إذْ لا شَفِيعَ لَهُمْ سِواكَ - فى مَوْقِفٍ لِلخَلْقِ ضَرّارِ

٤٤ - عَطْفًا على عُصْبَةٍ قَلَّتْ فَلَيْسَ لَهُمْ إلّاكَ مُسْتَنْقِذٌ، يا خَيْرَ نَصّارِ

٤٥ - فى كُلِّ يَومٍ لَنا رُعْبٌ يُقَلْقِلُنا فكُنْ مُجِيرًا لَنا مِنْ كَيْدِ كُفّارِ

*****

=والحمل. وفى (أ) : من مُعْىٍ ومن زارٍ: ولا يتبين معناه، وما أثبته من (ب).

(٣٩) ثَمَّ: هناك.

(٤٠) المدلج: السائر ليلاً.

(٤١) الرغام: التراب. الإصدار: الرجوع بعد الشرب.

(٤٢) وهنا: فى منتصف الليل. نشر: عطر. معطار: مبالغ فى التعطر والتطيُّب.

(٤٣) ضرَّار: شديد الضُرّ.

(٤٤) عصبة: جماعة. إلاّك: سواك، ولا يجوز أن يَلِيَ الضمير المتصل (إلا) فى الاستعمال العادى للغة، لكنه يجوز فى الضرورة الشعرية.

(٤٥) يقلقلنا: يجعلنا نضطرب.

الرائية الثامنة

(عدتها ٨٤ ـ البسيط الأول)

تغص هذه القصيدة بأنواع الجناس الذى كثر وتزاحم حتى أفسد جمال القصيدة بالألفاظ المفتعلة المجتلبة لإحداث التجانس وحسب.

تبدأ القصيدة بتوجيه الدعوة للإسراع نحو الديار المقدسة مهما كلف ذلك من مشقة ومعاناة؛ لأن هذا هو السبيل إلى سيد البشر ﷺ، ثم مديح للنبى ﷺ، متتبعًا مواطن السيرة الشريفة منذ ميلاده حتى بعثه، وما صاحب ذلك من معجزاته وخصائصه الشريفة.

ثم يمدح أمة محمد ﷺ، ويخص منها بالثناء : الراشدين الأربعة، ثم يعود إلى مناجاة النبى ﷺورجاء زيارته.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- دعوة إلى المكارم وتجشم العناء لتحصيلها.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الثناء على الأربعة الراشدين.
- مناجاة ورجاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلاَّ نَفَـرْتَ إلىٰ العَلْيـاءِ فى نَفَـرٍ ... زُهْرٍ خَـلائِقُـهُمْ أبْهَىٰ منَ الزَّهَرِ

٢ - قَـومٍ نَحَـوْا منْ سَبِيلِ المَجْدِ أقْوَمَهُ ... وبَادَرُوا فى شـرَا غـالِيـهِ بالبِـدَرِ

٣ - صَـفَّوْا ضَمَـائِرَهُمْ منْ كُلِّ شَائِبَةٍ ... وهَذَّبوا نَاعِمَ الأبْدَانِ بالضُّـمَـرِ

٤ - مِنْ كُلِّ أرْوَعَ لا كَلٍّ ولا ضَـرِعٍ ... أغَـرَّ أبْلَجَ مَحْـرُوسٍ منَ الغِـيَـرِ

٥ - أبَـىٰ لَـهُ اللهُ إلاَّ أنْ يَـكُـونَ أبًـا ... للْفَضْلِ صَدْرًا حَمِيدَ الوِرْدِ والصَّدَرِ

٦ - لَمْ يَرْضَ فى صِغَـرٍ ذُلَّ الصَّغَـارِ ولا ... يُصَـعِّـرُ الكِبْـرُ خَـدًّا مِنْهُ بالكِبَـرِ

٧ - يَغَـارُ إن جَـارَ مَحْـلٌ جَـارَهُ، وإذا ... أغَـارَ جَيْشٌ حَمَىٰ منْ نَازِلِ الغِـيَـرِ

٨ - مَـا رَوْضَـةٌ تُعْـجِبُ النُّظَّارَ نُضْـرَتُهـا ... وتَسْحَرُ اللُّبَّ فِيهـا نَفْحَةُ السَّحَرِ

٩ - وصَـبَّح النَّبتَ مِنْهـا شَـمْـأَلٌ سَلَبَتْ ... شَـمَـائِلُ الرَّنْدِ منهـا نَشْـوَةَ البَـشَـرِ

١٠ - إذا عَلَتْ وُرْقُـهـا أوْراقَـهَـا وشَـدَتْ ... شَـادَتْ بِتَـغْـرِيدِها أشْـواقَ مُـدَّكِـرِ

١١ - كَـحُـسْنِهِمْ خِلْقَةً إن شِئْتَ أو خُلُقًـا ... إذْ طِيبُ ناديهِمُ مَـأْوًى لِذِى حَـصَـرِ

---

(١) هلا : أداة تحضيض. نفرت : ذهبت مسرعًا. زهر: مشرقة وجوههم.

(٢) نَحَوْا: قصدوا. بادروا: سارعوا . البِدَر: الأموال الكثيرة، جمع بَدْرة، وهى كيس يحوى ألفًا أو عشرة آلاف.

(٣) الضُّمَر: الضمور، وهو الهزال الناشىء عن الجوع والتقشف.

(٤) أروع: حَسَنٌ جميل. كَلّ: عاجز. ضَرِع: ذليل. أبلج: مشرق. الغير: حوادث الدهر وتقلباته.

(٥) صدْر: وصف للمتقدم السابق فى المكارم. الصَّدَر: الرجوع بعد الشرب، والجمع بين الضدين (الورد والصدر) يفيد العموم، أى فى كل حالاته.

(٦) الصَّغار: الذل. صعَّر خده: مال بوجهه منصرفًا عن الناس، كناية عن الكِبْر، قال تعالى على لسان لقمان يوصى ابنه: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** ﴾ لقمان / ١٨ .

(٧) يَغَار: من الغيرة. جار: ظَلَم. مَحْل: جدب. أغار: من الغارة.

(٩) شمأل: رياح الشمال. الرَّنْد: نبات طيب الرائحة. النشوة: السُّكْر.

(١٠) الوُرق: الحمائم. شدت: غنَّت (من الشَّدْو). شادت: بَنَتْ (من التشييد). مُدَّكِر: متذكر.

(١١) كحسنهم: خبر (ما) فى البيت الثامن، أى ليست الروضة الموصوفة فى مثل حسنهم. النادى: مكان اجتماع القوم. لذى حصر: لِذِى عجز، وأراد أن مجلسهم يأوى إليه المتعبون فيستريحون من عنائهم.

١٢ - إنْ شئتَ تُدْرِكُ فى الإحْسانِ شأوَهُمُ   والخُبْرُ لَيسَ - عَلىٰ التَّحْقيقِ - كالخَبَرِ

١٣ - فلا تَكُونَنَّ إلا بالظُّبا كَلِفًا   والسُّمْرِ، لا بِظِباءِ الضَّالِ والسَّمُرِ

١٤ - لا يُقْتَنَىٰ العزُّ إلا بالقَناةِ، ولا   تُنالُ مأْثَرَةٌ إلاَّ بذِى أُثُرِ

١٥ - اهْجُرْ مَقِيلَكَ وادْأَبْ فى الهَجِيرِ وصِلْ   بَيْداءَ تُسْفِرُ عَنْ أَخْلاقِ ذى السَّفَرِ

١٦ - وخَلِّ ذاتَ خِمارٍ وانْسَ خُلَّتَها   وأْنَسْ لِوَحْشِ عِضاهِ البَدْوِ والحَضَرِ

١٧ - واصْبِرْ عَلىٰ طَىِّ عُرْضِ البَرِّ نَفْسَكَ كَىْ   تَحْظَىٰ بِنَشْرِ نَفِيسِ البِرِّ والأَثَرِ

١٨ - واشْدُدْ يَدَيْكَ لأَقْوَىٰ الذُّخْرِ فى شِدَدٍ   يَسْقِى ذَوِى الصَّبْرِ مِنْها جُرْعَةُ الصُّبُرِ

١٩ - بالفَاتِحِ الخَاتَمِ المَحْمُودِ مَبْعَثُهُ   مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ الآتينَ بالنُّذُرِ

٢٠ - وِتْرُ الفَضائِلِ لَمْ يُشْفَعْ بِها، أوَ ما   لَهُ الشَّفاعَةُ والتَّخْصِيصُ بالنَّظَرِ؟

٢١ - مَا نَالَ ذُو رُتْبَةٍ ما نَالَهُ، ولَهُ الـ   ـجَاهُ الخَطِيرُ غَداةَ الرَّوْعِ والخَطَرِ

٢٢ - لَهُ الزَّعامَةُ يَومَ الحَشْرِ بينَ أُولى   عَزْمٍ عَلىٰ رَغْمِ أَنْفِ الجَاحِدِ الحَصِرِ

٢٣ - وإِنَّهُ أَوَّلُ الأَشْرافِ عندَ أُولِى الْـ   إِشْرافِ والآخِرُ المَبْعُوثُ بالزُّبُرِ

٢٤ - وأوَّلُ النَّاسِ نَشْرًا فى المَعادِ إذا   تَكَفَّلَ الصُّورُ بالإِرْواحِ بالصُّوَرِ

---

(١٢) شأوهم : غايتهم . الخُبْر : المعاينة والتحقق المباشر، والخَبَر : السماع من الغير .

(١٣) الظُّبا : السيوف . كلفا : شديد التعلق . السُّمْر : الرماح . الضَّال والسمر : أشجار ضخمة . يقول : إن شئت أن تلحق بهؤلاء القوم فى الإحسان، فكن متعلقا بالسيوف والرماح لا بالحسان من النساء . (استعار الظباء للنساء) .

(١٤) لا يقتنى : لا يُكْتَسب . القناة : الرمح . مأثرة : مكرمة وفضيلة . بذى أثر : السيف اللامع .

(١٥) المقيل : نوم القيلولة، أى دع الراحة . ادْأَبْ : واصل السعى والعمل . تسفر : تكشف .

(١٦) خلِّ : اترك . ذات خمارٍ : يعنى النساء . الخُلَّة : الصداقة والحب . العضاه : شجر ذو شوك .

(١٨) شدَد : جمع شدّة . الصُّبُر : السحاب الأبيض .

(٢٠) وِتر الفضائل : واحدها الذى لا مثيل له . لم يشفع بها : لم يكن له مثيل فى الفضائل . التخصيص بالنظر : المخصص برؤية الله عز وجلّ فى الدنيا، وفيه خلاف مشهور سبق ذكره .

(٢١) الخطير : عظيم القدر . غداةَ : يوم . الرَّوْع : الخوف والفزع .

(٢٢) أولو العزم من الرسل خمسة هم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ .

(٢٣) أولِى الإشراف : أصحاب العلم والمعرفة الزُّبر : الكتب عامة، والمراد بها هنا : القرآن .

(٢٤) نشرا : بعثا . المعاد : العودة إلى الله يوم القيامة . الصُّور : البوق الذى ينفخ فيه يوم القيامة فيصعق من فى السموات والأرض، ثم ينفخ فيه فيبعثون . الإرواح : كذا فى الأصل ولم أجده فى المعاجم، ولعله : تكفَّلَ الصُّورُ بالأَرْواحِ للصُّوَرِ، أى : تكفل الصُّور بإعادة الأرواح إلى الصور، وهى الأجسام .

٢٥ - وأطْيَبُ النَّاسِ عَرْفًا وهْوَ أَعرَفُهُمْ بالحَقِّ فَهْوَ أحقُّ النَّاسِ بالحَذَرِ

٢٦ - بَدْرٌ تَنَزَّهَ فى حالِ الكمالِ عنِ الـ ـسِّرارِ حِينَ بَدا مِنْ أشْرَفِ الأُسَرِ ٣٥ / ب

٢٧ - أَتَتْ بِه أُمُّهُ ذُخْرًا لأُمَّتِهِ بأَرْضِ مَكَّةَ ذَاتِ الحِجْرِ والحَجَرِ

٢٨ - مُكَمَّلَ الخَلْقِ لَمْ تُقْطَعْ لَهُ سُرَرٌ حَوَىٰ المَناقِبَ فى مَهْدٍ وفِى سُرُرِ

٢٩ - مُدَوَّرَ الوَجْهِ أقْنَىٰ الأَنفِ حارَ لَهُ ذُو اللُّبِّ فى دَعَجِ العَيْنَيْنِ والحَوَرِ

٣٠ - كأَنَّ غُرَّتَهُ الشِّعْرَىٰ العَبُورُ بَدَتْ والفَرْقُ صُبْحٌ بَدَا فى فَاحِمِ الشَّعَرِ

٣١ - ورَشْحُ جَبْهَتِهِ دُرٌّ تَحَدَّرَ أوْ دَرٌّ مِنَ المُزْنِ فى رَوْضِ النَّقَا النَّضِرِ

٣٢ - يَكادُ سِرٌّ هُداهُ مِنْ أَسِرَّتِهِ يَبِينُ وهْوَ إِلىٰ الإِبَّانِ لَمْ يَصِرِ

٣٣ - لقَدْ جَلا وهْوَ طِفْلٌ نُورُهُ طَفَلَ الْـ ـعَشِيِّ وهْوَ كَبِيرُ القَدْرِ فى الصِّغَرِ

٣٤ - رأَتْ جَمِيعَ قُصُورِ الشَّامِ قاصِرَةُ الـ ـطَّرْفِ الحَصَانُ بِنُورٍ مِنْهُ مُبْتَدَرِ

٣٥ - نَعَمْ فَتاةُ بَنِى سَعْدٍ بِهِ سَعِدَتْ فَلَمْ تَخَفْ ظِئْرُهُ كَلاًّ ولَمْ تُضَرِ

٣٦ - وفازَ فى رَبْعِها المَعْمُورِ حِينَ بَدا مُسْتَكْمِلاً أَرْبَعًا من أَشْرَفِ العُمُرِ

---

(٢٥) عَرْفًا : رائحة . بالحذر : من الله عز وجل .

(٢٦) السِّرار : اختفاء القمر فى آخر ليلة من الشهر .

(٢٧) سبق التعريف بالحجر فى الرائية الأولى، البيت رقم ٢١ .

(٢٨) المناقب : الفضائل .

(٢٩) حارَ : تحيَّر . دعج العينين : شدة اتساعهما . والحور : شدة بياض بياض العين، مع شدة سواد سوادها .

(٣٠) الشعرى العبور : أحد نجمى الشِّعرى، وهما : الشِّعرى العَبُورِ (أى التى تعبر السماء عرضًا) والشِّعرى الغميصاء . ونجم الشِّعرى أشدّ نجوم السماء لمعانا بعد الشمس . فاحم الشَّعَر : الشعر الأسود .

(٣١) الرشح : العرق . تحدَّر : نزل . الدُّر : اللؤلؤ، والدَّر : المطر . المزن : السحاب . النَّقا : كثيب الرمل .

(٣٢) يبين : يظهر . الإبَّان : الوقت، ويعنى به : وقت مبعثه ﷺ .

(٣٣) جلا : كشف ومحا . طَفَل العَشيّ : آخر النهار وأول الليل، عند غروب الشمس .

(٣٤) قاصرة الطَّرْف : التى قَصَرَتْ نفسها على زوجها فلم تطمح إلى غيره . الحَصَان : العفيفة . يشير إلى ما رأته أم النبى ﷺ : «رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام» [دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٨٠].

(٣٥) فتاة بنى سعد : حليمة السعدية مرضعة النبى ﷺ . ظِئْرُه : مرضعته . لم تُضَرْ : لم يصبها سوء .

٣٧ - بِشَرْحِ صَدْرٍ خلا مِنْ غَمْرِ ذى حَسَدٍ ... ومِنْ غَبَاوَةِ غَمْرٍ غَيْرِ مُخْتَبَرِ

٣٨ - حَلَّتْ به قَدَمُ الأنْسَابِ فى قِدَمِ الـ ... ـزَّمَانِ فى ذُرْوَةِ العَلْيَاءِ مِنْ مُضَرِ

٣٩ - بِفَضْلِ آبَائِه البَطْحَاءُ شَاهِدَةٌ ... ومُعْصِراتٌ هَمَتْ فى سَالِفِ العُصُرِ

٤٠ - جِفَانُهُمْ أخْمَدَتْ نَارَ المَجاعَةِ والْـ ... أكْبادُ مِنْ كَبَدِ الأسْعارِ فى سُعُرِ

٤١ - سُبْحانَ مَنْ زانَهُ بالحُسْنِ مُكْتَمِلاً ... وبالمَحاسِنِ فى الأخْلاقِ والسِّيَرِ

٤٢ - كَنْزُ العُفَاةِ إذا رَسْمُ النَّوالِ عَفَا ... وحَلَّ بَيْنَ البَرَايا نازِلُ الكُبَرِ

٤٣ - يَحْبُو بما طَابَ مِنْ رِفْدٍ إذا صَفِرَ الْـ ... ـوِطَابُ مَنْ باتَ يَشْكو عَضَّةَ الصَّفَرِ

٤٤ - يُقَدِّمُ اليُسْرَ للعَافِى ويُتْبِعُهُ ... بالبِشْرِ فَهْوَ – لَعَمْرِى – سَيِّدُ البَشَرِ

٤٥ - ولَهْوَ أفْضَلُ مَنْ أعطَى فأجْزَلَ فى الْـ ... إقْتارِ ثُمَّتَ جَلَّى ظُلْمَةَ القَتَرِ

٤٦ - رَدَّ الفَوارِسَ إذْ كَأسُ الرَدَى مُلِئَتْ ... بالبَأسِ كاشِفُ أزْلِ البُؤْسِ والضَّرَرِ

٤٧ - وعَوْنُ مَنْ أدْمَتِ الحَرْبُ العَوانُ به ... أظْفارَها وهْوَ بَابُ النَّصْرِ والظَفَرِ ٣٦/أ

---

(٣٧) غِمر فى صدر البيت: الحقد. (غَمْر) فى عجز البيت: الجاهل غير المجرِّب.

(٣٩) البطحاء: وادى مكة المكرمة. مُعصرات: سحب غزيرة المطر. هَمَتْ: سالت بالمطر. يشير إلى استسقاء عبد المطلب بالنبى ﷺ وهو طفل، فسقطت الأمطار غزيرة [انظر: دلائل النبوة للبيهقى ٢/١٥ : ١٩].

(٤٠) جفانهم: جمع جفنة، وهى القدر. أخمدت: أطفأت. كَبَد: شدة مرهقة. سُعُر: جمع سعير، وهو النار.

(٤٢) العفاة: السائلون المتعرضون للمعروف. النَّوال: العطاء والكرم. عفا: زال أثره. نازل الكُبَر: الأحداث الشديدة والمحن الكبيرة.

(٤٣) يحبو: يعطى. رفد: عطاء. صَفِرَ الوطاب: كناية عن الفقر الشديد. الصَّفَر: المجاعة والجدب.

(٤٤) العافى: الفقير. لعَمْرى: قسم.

(٤٥) ولَهْوَ: الواو استئنافية، واللام للتوكيد، (هو) ضمير الغائب سُكِّنت هاؤه للضرورة الشعرية. الإقتار: الفقر. القتر: السواد والظلمة، وأراد به: ظلمة الكفر والضلال.

(٤٦) الرَّدى: الموت. البأس: شدة الحرب. أزْل: شدة وضيق وجدب. والبؤس مثله، وفى الأصل: بالبأس كاشف أزل البأس والضرر، وهو خطأ من الناسخ.

(٤٧) أدمت الحرب أظفارها: تلوثت بالدم، وهو كناية عن اشتداد الحرب. العوان: الحرب المتصلة التى قُوتِلَ فيها مرة بعد مرة، كأنهم جعلوا المعركة الأولى بكراً، والثانية عواناً (والعوان صفة للمرأة المتزوجة).

٤٨ ـ يَحْمِى الوَرَىٰ إِنْ وَرَىٰ زَنْدُ الوَغَىٰ وعَرَا   بِضَــرْبِ زَنْدٍ يَردُّ الضَّــرْبَ ذا خَــوَرِ

٤٩ ـ إذا طَفَـا الدَّمُ فَـوقَ النَّقْعِ أطْفَـأَ مـا   أذْكَىٰ الشِّــرارُ بِـهِ مِنْ لافِحِ الشَّــرَرِ

٥٠ ـ أراقَ مـا أسْـأَرَ الشَّـيْطانُ مِنْ لَعِبِ الْـ   ـهَوَى لَهُمْ فى حِيَاضِ الكُفْرِ بالسُّوَرِ

٥١ ـ وجَاءَ بالحِلْمِ والتَّـقْوَىٰ وقـدْ حَلِمَ الْـ   أديـمُ بَيـنَ أُولِى الشَّــحْناءِ والأَشَــرِ

٥٢ ـ فَـشَـدَّ أزْرَ الوَرَىٰ بالدِّينِ فـارْتَفَـعَتْ   أوْزَارُهُـمْ وغَــــدَوْا فى أَمْنَـعِ الوَزَرِ

٥٣ ـ كَـانَ الغَـمَـامُ لَهُ ظِلاًّ فـأنْفَـذَ فى   غَمِّ الضَّــلالِ قَناةَ السَّــادَةِ الغُــرَرِ

٥٤ ـ وعَـامَ منهُ بَحِـيـرًا فى بِحَـارِ هُدًى   لَمَّــا رأَىٰ نُورَهُ يَعْلُو علىٰ القَـمَــرِ

٥٥ ـ وأسْلَمَ ابْنُ سَـلامٍ عِندْ مَـقْـدَمِـهِ   إذ أَبْصَـرَ الحَـبْـرُ بَدْرًا لاحَ فى الحِـبَـرِ

٥٦ ـ وآنَسَ الرُّوحُ عِيـسَىٰ رَوْحَ شِرْعَتِـهِ الـ   ـنَّجْــلاءِ تَنْفَحُ فى إنجِـيلِهِ العَطِرِ

---

(٤٨) وَرَى: اشتعل. والزَّند: ما تُشْعَل به النار. الوغى: الحرب. عرا: أصاب. زَند (فى عجز البيت): أعلى الذراع. الضَّرْب: الخفيف من الرجال. خَوَر: ضعف.

(٤٩) طفا: سال. النَّقع: غبار الحرب. أذكى: أشعل. الشِّرار: الأشرار.

(٥٠) أسأر: أبقَى من سُؤْره، أى بقية ما يشرب، شبه خداع الشيطان وتضليله للناس بإناء شرب منه الشيطانُ ثم أعطاهم بقية ما فيه. بالسور: الباء للاستعانة، والسور: سور القرآن الكريم، يقول: إن النبى ﷺ قضى على غواية الشيطان بما أنزل الله عليه من سور القرآن.

(٥١) حَلِمَ الأديم: كناية عن الفساد. الشحناء: العداوة والكراهية. الأشر: الجحود وبطر النعمة.

(٥٢) شدَ أزرهم: قوَّاهم. أوزارهم: ذنوبهم. الوزر: الحصون المنيعة.

(٥٣) قناة: رمح، يقول: كان النبى ﷺ محروسا برعاية الله يظلُّه الغمام، وأدت هذه العناية الإلهية به إلى أن صار نبيًّا فقضى على الضلال.

(٥٥) ابن سلام: عبد الله بن سلام، كان حبرًا من كبار علماء اليهود، ولما قدم النبى ﷺ إلى المدينة المنورة جاءه عبد الله بن سلام وسأله ثلاثة أسئلة لا يعرف جوابها إلا نبى:

- ما أول أشراط الساعة؟
- ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟
- لماذا يشبه الولد أمه أو أباه؟

فأجاب النبى ﷺ:

ـ أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب.

ـ وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت.

ـ وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ (أى أشبه أباه)، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد (أى أشبه أمه).

حينئذ آمن عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله [الفتح، ك مناقب الأنصار، باب مسائل عبد الله بن سلام ٧ / ٣١٩، حديث رقم ٣٩٣٨].

(٥٦) يقول: إن نبى الله عيسى عليه السلام تنسم الرائحة الطيبة لشريعة سيدنا محمد ﷺ فى إنجيله المعطر.

٥٧ - ولمْ تُورِّ لَهُ التَّوْراةُ عَنْ صِفَةٍ ... بَلْ أَوْضَحَتْها لِوَاعِى القَلْبِ مُعْتَبِرِ

٥٨ - لَهُ البلاغَةُ فى أَلْفاظِه اخْتُصِرَتْ ... والبِرُّ مُسْتَوْدَعٌ فى رِبْقَةِ الحَصَرِ

٥٩ - مُذْ حَلَّ طَيْبَةَ أضْحَتْ وهْىَ طَيِّبَةٌ ... جَديرةٌ بِمَجَالِ النُّورِ فى الجُدُرِ

٦٠ - غَشَّىٰ نِقابُ السَّنا وَجْهَ النِّقابِ كَما ... آسَوْهُ بالنَّفْسِ والأَموالِ فى العُسَرِ

٦١ - وبَادَرُوا يَوْمَ بَدْرٍ نُصْرَةً، ولَقَدْ ... فَازُوا بِفَضْلٍ عَظِيمِ الجَاهِ مُنْتَشِرِ

٦٢ - وهْوَ المُؤَيَّدُ بالأَمْلاكِ مُرْدِفَةٍ ... ورُعْبِ شَهْرٍ بِقَهْرِ الخَصْمِ مُشْتَهِرِ

٦٣ - وكَفَّ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَفَّ جَيْشِ وَغًى ... بِكَفِّ تُرْبٍ فَوَلَّىٰ الجَمْعُ لِلدُّبُرِ

٦٤ - ولمْ تَزَلْ خَيْلُهُ مَنْصورَةً؛ فلقدْ ... عَزَّت أعِزَّةَ أهلِ التِّيهِ والصَّعَرِ

٦٥ - سارتْ إلىٰ فارِسَ العُظْمَىٰ فَكَمْ تَرَكَتْ ... فى عُقْرِ مَنْزِلِها مِنْ فارِسٍ عَقِرِ

٦٦ - كَسَوْنَ قَيْصَرَ ذُلاًّ فى القُصورِ كَما ... كَسَرْنَ كِسْرَىٰ فأضْحَىٰ غيرَ مُنْجَبِرِ

٦٧ - ونَحْنُ مِنْهُ عَلَىٰ وعْدٍ بِهِ انْكَشَفَتْ ... عَنّا جُنودٌ أتتْ تَتْرَىٰ مِنَ التَّتَرِ

٦٨ - شَفَىٰ صُدوراً وقَدْ أشْفَتْ عَلىٰ غَلَفٍ ... وحَارَ فى حُكْمِهِ ذو الضِّغْنِ والوَحَرِ ٣٦/ب

---

(٥٧) لم تُورِّ: لم تذكر صفاته تورية، والتورية هى احتمال الكلام لأكثر من معنى واحد.

(٥٨) ربقة: أَسْر وقيد. الحصر: الحبس والمنع.

(٥٩) مجال: مصدر ميمى من (جال - يجول) أى بتجوال. ولعله: (مجالى) جمع مَجلَى أى الموضع الذى يرى فيه النور.

(٦٠) نقاب الأولى بمعنى: الغطاء، والثانية: جمع نقيب، أى سيد كريم، يريد: أصحاب النبى ﷺ. آسوه: أيّدوه. العُسَر: جمع عسرة، وهى الشدة.

(٦١) بادروا: سارعوا.

(٦٢) مردفة: راكبة خلفهم على الخيل.

(٦٣) كفّ الأولى: فعل بمعنى منع. والثانية بمعنى: اليد، وأراد بها القدرة، والثالثة: ما يملأ الكف.

(٦٤) عزّت: غَلَبت وقهرت.
التِّيه: الكِبْر، ومثله الصَّعَر.

(٦٥) فارس الأولى: إمبراطورية الفرس، والثانية: الفارس المحارب.

(٦٧) تترى: متتابعة.

(٦٨) أشفت: أوشكت. الغَلَف: صمم القلوب وعدم نفوذ الهداية إليها.
الضِّغن والوحر: كلاهما بمعنى الحقد والغِلّ.

٦٩ - وعَادَ بالمُصْطَفَىٰ صُلْبُ الصَّفَا كَثَرًى ... بِوَطْءِ رِجْلٍ لَهُ أنْقَىٰ مِنَ الكَثَرِ

٧٠ - والمَاءُ جَاشَ زُلالاً من أصابعه ... حَتَّىٰ جَلا غَمَراتِ الجَيْشِ منْ غُمَرِ

٧١ - ومَدَّ والجَدْبُ مَمْدودُ الرِوَاقِ يَداً ... مَبْسوطَةً بأَيادِى البِرِّ واليُسُرِ

٧٢ - فأصْبَحَ الجَوُّ مَحْلُولَ الحُبَا طَبَقًا ... غَمْرَ الحِبَاءِ مَرِيعًا ساكِبَ المَطَرِ

٧٣ - وسَبَّحَ الحَصَياتُ السَبْعُ فى يَدِه ... وليسَ إحْصَاءُ مَا فيه بِمُنْحَصِرِ

٧٤ - وإنَّ أُمَّتَهُ مَا فِى القُرون لَهَا ... مُقارِنٌ فى فَخارٍ عِنْدَ مُفْتَخَرِ

٧٥ - مِنْها أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُها ... حَوَىٰ مَدَىٰ السَّبْقِ فى الآصَالِ والبُكَرِ

٧٦ - وبَعْدَهُ عُمَرُ الفاروقُ عَامِرُ مَا ... أَوْهَىٰ الضَّلالُ، إمامُ الحَجِّ والعُمَرِ

٧٧ - والبَرُّ عُثْمانُ مَنْ طالَتْ قِراءَتُهُ ... فى رَكْعَةِ الوَتْرِ حَتَّىٰ صَارَ كالوَتَرِ

٧٨ - والهاشِمِىُّ عَلِىٌّ مُنْتَهَى وَزَرِ الْـ ... ـكُماةِ بابُ العُلومِ الطَّاهِرُ الأُزُرِ

٧٩ - أَكْرِمْ بِهِمْ بَعْدَ خَيْرِ الخَلْقِ أَرْبَعَةً ... هُمُ الرَّبيعُ لِقَلْبِ المُوقِنِ الحَذِرِ

٨٠ - يا مَنْ لِتُرْبَتِهِ الأملاكُ آلِفَةٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا أَطاعَتْ أمرَ مُقْتَدِرِ

٨١ - يا مَنْ بِهِ عُرِفَتْ أحْكامُ مِلَّتِنا ... فى الحِلِّ والحَظْرِ، بينَ البَدْوِ والحَضَرِ

٨٢ - يا مَنْ شَرِيعَتُهُ نُورُ البَصائِرِ مِيـ ... ـدانُ القُلوبِ رِياضُ السَّمْعِ والبَصَرِ

---

(٦٩) الصَّفَا : الحجارة الصلبة . كثرى : مثل الثرى، أى التراب المبلل . الكَثَر : شرح الناسخ هذه الكلمة فى هامش المخطوط بأنها : جُمَّار النخل . نقل النبهانى عن شرح الشفا للشهاب الخفاجى : أن النبى ﷺ كان إذا مشى غاصت قدمه فى الحجارة وبقى أثرها فى الصخر . [انظر : حجة الله على العالمين، ص ٣٢٥] .

(٧٠) جاش : انفجر غزيراً . زلالاً : نقيًا عذبًا . الغمرات : الجماعات . غُمَر : قدح صغير .

(٧١) ممدود الرواق : منتشر . اليُسُر : اليُسْر، أى الفرج وسعة الرزق، ضمَ السين لضرورة الوزن والقافية .

(٧٢) الحُبا : الثياب، والتعبير (محلول الحبا) كناية عن الاستعداد والسهولة . طبقًا : مطبقًا على وجه الأرض بالمطر . غَمْر : كثير . الحباء : العطاء . مَريعا : مطرًا غزيرًا .

(٧٤) مقارن : مثيل . مفتخر : مصدر ميمى، بمعنى : عند الافتخار .

(٧٦) أوهى : أضعفَ . والعُمَر : جمع عُمْرة .

(٧٧) كالوتر : أى صار نحيفا كالوتر المشدود .

(٧٨) وزر : حصن وملجأ . الكماة : الشجعان . الأزر : الثياب السفلى، وهو كناية عن العفة .

(٨١) الحِلّ : المباح . الحظر : الممنوع .

٨٣ - إِلَيْكَ بِكْرَ قَرِيضِى زَفَّهَا شَغَفِى   فَهَلْ لِبِكْرِى إِلَيْكُمْ جَدٌّ مُبْتَكِرِ

٨٤ - عَسَاىَ إِنْ حَلَّ حَادِى العِيسِ أَرْضَكُمُ   بِطَالِعِ السَّعْدِ أَقْضِى عِنْدَكُمْ وَطَرِى

*****

---

(٨٣) القريض : الشعر ، أى : أهدى إليك هذه القصيدة التى هى بمثابة البكر من أشعارى . جَدّ : حظ . مبتكر : مبكر فى طلب الخير .

قافية الزاى المعجمة

(عدتها ٣٥ ـ الكامل الثانى)

جاء على هذا الروى الصعب قصيدة واحدة، كلها ثناء على النبى ﷺ، وإعلان لحبه واتِّباعه من أول بيت حتى آخر بيت، والإشارة إلى وعده ﷺ لأمته بالنصر، ومناجاته ، يشكو إليه نفساً ضعيفة ودنيا خداعة، طالباً عونه ومستجيراً بجاهه فى الدنيا والآخرة .

تضمنت القصيدة فكرتين :

- فى مديح النبى ﷺ .
- فى مناجاته والشكوى إليه .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سُلْوانُ مِثْلِكَ للمُحِبِّ عَزِيزُ ... وعَلَيْكَ لَوْمُ الصَّبِّ لَيسَ يَجوزُ

٢ - قَلْبِى ذَلولٌ فى هواكَ ومِسْمَعِى ... فلَهُ عَنِ اللُّوَّامِ فيكَ نُشوزُ

٣ - يا مَنْ شَأىٰ بِجمالِه شَمْسَ الضُحَى ... ولِقَدِّهِ دَانَ القَنا المَهْمُوزُ

٤ - هَلْ للمُتَيِّمِ فى رَضًا لَكَ مَطْمَعٌ ... فَلَعَلَّهُ بالقُرْبِ مِنْكَ يَفوزُ ٣٧/أ

٥ - أنا عَبْدُكَ الرَّاضى بِرِقِّى فَارْضَنِى ... عَبْدًا؛ فلِى فى ذلكَ التَّمْييزُ

٦ - لا أبْتَغِى مَولًى سِواكَ من الوَرَىٰ ... أنَّىٰ وجَانِبُ مَنْ مَلَكْتَ عَزِيزُ؟!

٧ - لا عَارَ يَلْحَقُ فى هَواكَ بِعاشِقٍ ... ومُحِبُّ غَيْرِكَ عِرضُهُ مَغْمُوزُ

٨ - لا أدَّعِى فيكَ الغَرامَ مُغَمْغِمًا ... فى مِثْلِ حُبِّكَ يُكْشَفُ المَرْمُوزُ

٩ - يا سَيِّدَ الأشْرافِ يا مَنْ حُبُّهُ ... فى كُلِّ قَلْبٍ صادِقٍ مَغْروزُ

١٠ - يا مَنْ لِرُتْبِتهِ التى سَمَت الوَرَىٰ ... عَلَمٌ عَلىٰ هَامِ العُلاَ مَرْكُوزُ

١١ - يا خَاتَمَ الرُّسُلِ الكِرامِ ومَنْ بِه ... حُلَلُ النُّبُوَّةِ زَانَها التَطْرِيزُ

١٢ - يا مَنْ لَهُ الكَلِمُ اخْتُصِرْنَ فَصاحةً ... مَعنًى غَزِيرٌ والكَلامُ وَجيزُ

١٣ - أتْباعُكَ الغُرُّ الكِرامُ، ومَنْ عَدا ... مِنْهاجَهُم فَمُشَوَّهٌ مَنْبوزُ

١٤ - ذُلُّ الخِلافِ عَلىٰ عِداكَ مُبِينٌ ... ومُطِيعُ أمْرِكَ بالقَبُولِ عَزِيزُ

١٥ - أبدًا وَلِيُّكَ لا يَزالُ مُقَمَّصًا ... عِزًّا، وضِدُّكَ دَاحِضٌ مَعْزُوزُ

---

(١) السُّلوان : النسيان . الصَّب : العاشق. (٢) ذلول : خاضع. نشوز : بعد وانصراف .

(٣) شَأىٰ : سَبَقَ وقهر . دان : أقرَّ بالفضل . القنا : الرمح . المهموز : الذى ضغط عليه براحة اليد، والرمح عندئذ يتثنى فى مرونة وقوة معاً، فشبه به قامة النبى ﷺ .

(٦) أنَّى : كيف . أى لا أرضى بأن أكون مولىً لغيرك؛ فإننى عزيز الجانب وفى ولائى لك دون غيرك مزيد عزة وكرامة .

(٧) مغموز : مَعيب .

(٨) مغمغما : الغمغمة : الكلام غير الواضح . المرموز : المشار إليه بالرمز .

(١٠) لِرتبته : فى الأصل : لتربته، وما أثبته من النبهانية أنسب للمعنى . هام : رأس . مركوز : مثبَّت .

(١٣) منبوز : مذموم .

(١٥) مقمصا : لابساً قميصًا . داحض : ساقط الحجة . معزوز : مغلوب مقهور، فى الأصل وفى النبهانية : مغروز بالغين المعجمة، وما أثبته هو ما يليق بالتركيب والمعنى .

١٦ - نَظْمُ القَريضِ بِمَدْحِ غَيْرِكَ نَقْدُهُ — زَيْفٌ ونَظْمُ مَدِيحِكَ الإِبْرِيزُ
١٧ - كُلُّ العَروضِ بِنَظْمِ مَدْحِكَ كَامِلٌ — يَحْلَىٰ بِهِ المَقْصُورُ والمَهْمُوزُ
١٨ - أنتَ المُصْطَفَّىٰ مِنْ قَبائِلِ هاشِمٍ — بِكَ أَصْبَحَتْ للمَكْرُماتِ تَحوزُ
١٩ - أنْتَ الَّذى رَفَعَ المُهَيْمِنُ قَدْرَهُ — وعَدوُّكَ الواهِى العُرَىٰ المَلْمُوزُ
٢٠ - أنتَ الَّذى بَصَّرْتَنا بَعْدَ العَمَىٰ — فَبِنورِ هَدْيِكَ نَهْتَدِى ونَمِيزُ
٢١ - أنتَ المُخَصَّصُ بالشَفاعَةِ للوَرَىٰ — طُرًّا وأنتَ عَلىٰ الصِّراطِ مُجِيزُ
٢٢ - ما زِلْتَ فى نَيْلِ المَقامَاتِ العُلَىٰ — ولِمِثْلِ مَجْدِكَ يثْبُتُ التَبْرِيزُ
٢٣ - ولَقَدْ خَشِيتَ اللّهَ أعْظَمَ خَشْيَةٍ — فلِصَدْرِكَ العَطِرِ الرَّحِيبِ أزيزُ
٢٤ - ونَصَحْتَ إذْ بَلَّغْتَ نُصْحًا شَافِيًا — مَا فِيهِ لا وَهَنٌ ولا تَعْجِيزُ
٢٥ - حَتَّىٰ اسْتَقَامَ الدِّينُ وارْتَفَعَتْ لَهُ — عَمَدٌ لَها فى الخَافِقَيْنِ بُروزُ ٣٧/ب
٢٦ - فَأجابَ واقْتَربَ المُنِيبُ المُتَّقِى — ونأىٰ وصَدَّ الخاسِرُ المَحْجوزُ

---

(١٦) القريض: الشعر. نقده: بيان حسنه من قبيحه، وفيه تورية بالنقد من المال، وهو الذهب والفضة. الإبريز: الذهب الخالص.

(١٧) العروض: التفعيلة الأخيرة من صدر البيت، وأراد به: أوزان الشعر. والكامل: أحد بحور الشعر، لكنه أراد أن كل نظم شعرى إذا كان فى مدح النبى ﷺ فهو كامل تام حسن. والمقصور ما كان على مثال: رضا، مصطفى، هدى...إلخ. والمهموز: ما ينتهى بهمزة، مثل: صفاء،عطاء، هناء...إلخ. والمعنى أن كل القوافى تحلو فى مديح المصطفى ﷺ مقصورة كانت أو مهموزة أو غير ذلك.

(١٩) الواهى: الضعيف. العُرىٰ: ما يستمسك به، والمراد به الحجة والمنهج. الملموز: المَعيب.

(٢٠) نميز: نميِّز الحق من الباطل.

(٢١) طُرًّا: جميعًا.

(٢٢) التبريز: التفوق والتقدم.

(٢٣) أزيز: صوت كصوت غليان القدر، فيه بكاء وحنين. جاء فى الحديث أنه ﷺ «كان يُصَلِّى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»
[النهاية فى غريب الأثر والحديث لابن الأثير ١ /٤٥].

(٢٤) وَهَن: ضعف.

(٢٥) عَمَدٌ: جمع عمود. الخافقين: المشرق والمغرب.

(٢٦) المنيب: التائب. نأى: بعد. المحجوز: المبعد المطرود عن الرحمة والهداية.

٢٧ - كَسَرَتْ جُنودُكَ قاهراً سُلْطَانُها كِسْرَىٰ وأُنْفِقَ مالُهُ المَكْنوزُ

٢٨ - ولَحِزْبُكَ الأعْلَوْنَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الـ ـطَّاغى ويُمْنَعُ دِرْهَمٌ وقَفيزُ

٢٩ - ولَسَوْفَ يَبْعَثُكَ المُهَيْمِنُ مَقْعَداً فيه لَكَ التَقْريبُ والتَّعزيزُ

٣٠ - أشْكُو إلَيْكَ جِماحَ نَفسٍ تَرْتَمى فى الغَيِّ وهْىَ عَنِ الرَّشادِ ضَموزُ

٣١ - مَغرورةٌ بخداعِ دُنْيا شُهْدُها سُمٌّ وتُبْدِى البِرَّ وهْىَ عَزوزُ

٣٢ - فتَنَتْ قُلوبَ الخَلْقِ وَهْىَ فَتِيَّةٌ ودَهَتْهُمُ بالخَدْعِ وهْىَ عَجوزُ

٣٣ - أنا فى حَبائلِها رَهينُ الأسْرِ إذْ أنَا للضَّرورَةِ نَحْوَها مَلْزوزُ

٣٤ - فاعِنْ ضَعيفًا يَتَّقى بِكَ كَيْدَها فَلِنَبْلِها وسْطَ الفؤادِ حُزوزُ

٣٥ - بِكَ أسْتَغيثُ وأسْتَجيرُ وأرْتَجى أنِّى بجاهِكَ فى المَعادِ أفوزُ

*****

(٢٧) كسرت : فى الأصل : قهرت، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٥١] هو الأرجح، لميل شاعرنا - فى هذه القصيدة وغيرها - إلى المجانسة .

(٢٨) الطاغى : يريد به الدجّال . القفيز : مكيال . أى حتى يخرج الدجال وترفع الجزية، وذلك من علامات الساعة .

(٣٠) الغيّ : الضلال . ضموز : ساكتة عاجزة عن الخير .

(٣١) عزوز : تمنع الخير .

(٣٢) دهتهم : أصابتهم . الخدع : الخداع .

(٣٣) ملزوز : مدفوع .

(٣٤) حزوز : آثار تشبّه أثر الحبال فى جسد المقيد بها .

قافية السين المهملة

(عدتها ٤٢ ـ المتقارب الأول)

نظم الصرصرى على هذا الروى قصيدة واحدة يذكر فيها معالم الديار المقدسة داعيًا لها بالسقيا والخصب، فهى معاهد صباه، وها هو ذا يتشوق إليها وقد حالت الأقدار بينه وبينها.

ثم يأخذ فى مديح حبيبه المصطفى ﷺ وسرد بعض معجزاته وفضائله، ويختم قصيدته بالدعوة إلى جنى ثمار غرسه الطيب واتباع سنته المطهرة.

تتضمن القصيدة ثلاثة أفكار:

- فى الحنين إلى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الدعوة إلى امتثال هديه واتباع سنته.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَىٰ اللّٰهُ أكْنافَ وادِى العَروسِ — بِكَفِّ الغَمائِمِ أَحْلَىٰ الكُئُوسِ
٢ - ولا لَقِيَتْ حادثاتُ الزَّمانِ — شِعابَ المُصَلَّىٰ بِوَجْهٍ عَبوسِ
٣ - ورَفَّ سَنا نَضِراتِ الجَمالِ — رَفيفًا علىٰ تاجِ تِلكَ الرُّءوسِ
٤ - وزادَتْ مَعالِمُها بَهْجَةً — بِنُورِ البُدورِ وضَوْءِ الشُّموسِ
٥ - وحَيَّىٰ مَرابِعَ وادِى العَقيقِ — وسَلْعٍ حَيًا كاشِفٌ كُلَّ بُوسِ
٦ - فأَلْبَسَها من مُلاءِ الرِّياضِ — وأثوابِها الخُضْرِ أسْنَىٰ لَبُوسِ
٧ - فلِلَّهِ تِلْكَ القِبابُ الَّتى — حَوَتْ كُلَّ مَعنًى عَزيزٍ نَفيسِ
٨ - ولِلَّهِ عَيْشٌ تَقَضَّىٰ بِها — بِمَغْنًى بَهيجٍ أنيقٍ أَنيسِ
٩ - لَعَمْرِى لقَدْ طَالَ عَهْدى بِها — وما زالَ ما أعْقَبَت من رَسيسِ
١٠ - لئنْ لَمْ تَسِرْ بِى إلَيْها الرِّكابُ — وما أنا مِنْ قَصْدِها باليَئُوسِ ٣٨/أ
١١ - فلا وَخَدَت بالرِّجالِ القِلاصُ — ولا رَجَّعَ الحَدْوَ حادٍ بِعيسِ
١٢ - فهَلْ يَطِسُ الرَّكْبُ رَكْبُ الحِجازِ — بِنا نَحْوَها جَمَرَاتِ الوَطيسِ
١٣ - إذًا لَتَجَلَّتْ نُجومُ السُّعودِ — عَلَيْنَا وزَالَتْ نُجومُ النُّحُوسِ
١٤ - وكانَ عَلَىَّ لِذاكَ الحِمَىٰ — حَمَىٰ اللهُ آثارَهُ مِنْ دُرُوسِ
١٥ - أقَبِّلُ حَصْباءَهُ بالجُفونِ — وأُطْلِقُ مَكْنونَ دَمْعِى الحَبيسِ
١٦ - فَثَمَّ حَبيبُ القُلوبِ الكَريمُ — تُفَدِّيهِ مِنَّا جَميعُ النُّفُوسِ

---

(١) وادى العروس : موضع قرب المدينة المنورة .
(٢) شعاب : طرق . المصلّى : موضع فى عقيق المدينة [وفاء الوفا ٤ /١٣٠٨ ، معجم البلدان ٥ /١٦٨] .
(٣) رفَّ : برق وتلألأ .
(٥) بُوس : بُؤْس، سهل الهمز لضرورة القافية .
(٦) أسنى : أعلى . اللبوس : كل ما يلبس .
(٨) مغنى : منزل . بهيج وأنيق : حَسَن . أنيس : مؤنس .
(٩) أعقبت : خلّفت . الرسيس : بقية الحب وآثاره فى القلب .
(١١) القلاص : الإبل الفتيَّة . الحدْوَ : الغناء للإبل .
(١٢) يطس : يضرب برجله . جمرات الوطيس : الحصى الملتهب من شدة الحر .
(١٣) السعود والنحوس : ضدان، فالسعود للتفاؤل بالخير، والنحوس للتشاؤم بالشر .
(١٥) حصباءه : حجارته وصخوره . مكنون : مستور، وهذا البيت اسم (كان) فى البيت السابق .

١٧ - أبو القاسمِ الهاشميُّ الشَّريفُ ... طرازُ اللِّباسِ وتاجُ الرُّءوسِ

١٨ - نَبيٌّ علىٰ العَرْشِ خُطَّ اسْمُهُ ... وأوْصافُهُ ثَبَتَتْ فى الطُّروسِ

١٩ - بتَوْراة مُوسَىٰ عَلامَاتُهُ ... تَبَيَّنَها كُلُّ حَبْرٍ رئيسِ

٢٠ - وإنجيلُ عيسَىٰ جَلاها علىٰ الـ ... ـنَصارَىٰ ورُهْبانها والقُسُوسِ

٢١ - تَزَلْزَلَ كِسْرَىٰ لميلاده ... وأخْمَدَ ذُو العَرْشِ نارَ المَجُوسِ

٢٢ - ولمَّا تَبَيَّنَ إبَّانُهُ ... أماطَ حِجابَ الضَّلالِ اللَّبيسِ

٢٣ - أضاءَ بأنْواره المُشْرِقاتِ ... منَ الدِّينِ كُلَّ سَبيلٍ طَميسِ

٢٤ - وشادَ مَنارَ الهُدَىٰ وانْبَرَىٰ ... لمَحْقِ المَعازِفِ والخَنْدَرِيسِ

٢٥ - وجاءَ الأنامَ بعَدْلِ القَضاءِ ... ورَفْعِ مَظالمهِمْ والمُكُوسِ

٢٦ - وَقَدْ كانَ مَنْ قَبْلَهُ يَقْتَدونَ ... بكُلِّ قَرينٍ مَهينٍ خَسيسِ

٢٧ - تَفَرَّقَت السُّبُلُ المُوبِقاتُ ... بهِمْ فَغَدَوْا نَهْبَ غاوٍ خَنُوسِ

٢٨ - فَأنْذَرَهُمْ بالكتَابِ المُبينِ ... وحَذَّرَ شَرَّ عَذابٍ بَئيسِ

٢٩ - وجاهَدَهُمْ بالظُّبا المُرْهَفاتِ ... وسُمْرِ القَنا ومَغاوِيرَ شُوسِ

٣٠ - فَجَدَّلَ فُرْسانُهُ القَاهِرونَ ... أُسُودَ الضَّلالَةِ فى كُلِّ خِيسِ

---

(١٨) الطروس : الكتب، جمع طِرْس. (١٩) الحبر : العالم.

(٢٢) إبانه : وقت مبعثه ﷺ . أماط : أزال وكشف . اللَّبيس : المشتبه .

(٢٣) طميس : مطموس .

(٢٤) المعازف : ما يعزف عليه من آلات الموسيقى . الخندريس : الخمر . ومحقها : إبادتها والقضاء عليها .

(٢٥) المكوس : الأموال التى تؤخذ بغير وجه حق .

(٢٦) وقد كان من قبله : فى الأصل : وكانوا على قلة، ولا معنى له فى هذا السياق، والصواب ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٦١] لكن النبهانى ضبط العبارة هكذا : وقد كان مِنْ قَبْلِه، ولا شك أنها زلة قلم . القرين : الشيطان، مهين وخسيس مترادفان .

(٢٧) الموبقات : المهلكة . غَدَوْا : أصبحوا . نهب غاوٍ : فى قبضة مُضلٍّ، وهو الشيطان . خنوس : يخنس - أى ينقبض - إذا سمع ذكر الله؛ ولذلك سمى الخنَّاس . وفى الأصل : حبوس، بالحاء والباء، والصواب من النبهانية . (٢٨) بئيس : شديد .

(٢٩) الظبا : السيوف . المرهفات : القاطعة الحادة . القنا : الرماح . مغاوير : جمع مغوار، وهو الذى يكثر من شنّ الغارات على العدو . شوس : جمع أشوس، وهو الشجاع .

(٣٠) جدَّل : صرع وقتل . الخِيس : مأوى الأسد .

٣١ - وكَمْ عَـقَـدَتْ كَـفُّـهُ رايَةً ... وجَـهَّـزَ نَحْوَ العدَا مِنْ خَميس ٣٨/ب

٣٢ - فَـذَلَّلَ بالحَقِّ حَقَّ اليَـقِـين ... مِنَ الكُفْـرِ كُلَّ جَـمُـوحٍ شَـمُـوسِ

٣٣ - ودَيَّـخَ كُـلَّ أَبِـيٍّ عَـصِـيٍّ ... وشَـقْـشَقَ مِنْ بازِلٍ أوْ سَـدِيسِ

٣٤ - فـأضْـحَتْ به عَـرَصَاتُ الضَّلال ... قَـواءً ولَيْسَ بهـا من حَسِـيسِ

٣٥ - وأصْـبَحَ رَبْعُ الـهُـدَى آهـلاً ... قَـد اخْـضَـرَّ بَعْـدَ الهَـشِيمِ اليَـبِيسِ

٣٦ - وكَـانَ لأمَّـتِـه فى الحَـيَـاة ... غَـزِيرَ الحَـبَـاءِ عَـزِيزَ الجَلِيسِ

٣٧ - وفى مَـوتِه هُوَ خَـيْـرٌ لَهُـمْ ... وفى يَوْمِ الاثْنَيْنِ قَـبْلَ الخَـمِـيسِ

٣٨ - إذا عَـرَضَتْ لَهُـمُ فـيـهـمـا ... مَكاسِبُ مِنْ مُـرْبِحٍ أو بَخِـيسِ

٣٩ - فـيَـسْـتَـوْهِبُ اللَّهَ ذَنْبَ المُـسِيءِ ... فـيُـخَلِّصُـهُ مِنْ هَواهُ الدَّسِـيسِ

٤٠ - ألا يَـا نَـبِيَّ الـهُـدَى، أنتَ فى ... مَـعَـادِىَ ذُخْـرِى لِفَـقْـرِى وبُوسِى

٤١ - غَـرَسْتَ لَنا سُنَّةً أثْـمَـرَتْ ... وهَا نَحْنُ نَجْنِى ثِمَـارَ الغُـرُوسِ

٤٢ - فَـلا زَالَ عِـنْـدَكَ نُورُ الرِّضَـا ... مُـقِـيـمًـا بِرَمْـسِكَ خَيـرِ الرُّمُوسِ

*****

---

(٣١) الخميس: الجيش.

(٣٢) الجموح والشَّموس، كلاهما: الحصان الصعب الذى يمنع الفارس من ركوبه، شبه به شدة الكفر والعناد.

(٣٣) ديَّخ: ذلَّل. شقشق: تكلم بالباطل. البازل: الجمل الذى بلغ التاسعة، والسديس: الجمل الذى ألقى سنه بعد الرابعة.

(٣٤) عرصات: جمع عرصة، وهى الساحة. قواءً: مقفرة ليس فيها أحد. حسيس: صوت.

(٣٥) آهلاً: مسكونا عامراً بأهله. الهشيم: الشجر الجاف المنكسر، واليبيس مثله مبالغة فى تصوير القفر والجدب.

(٣٦) الحباء: العطاء.

(٣٨) البخيس: ضد مربح.

(٣٩) يستوهب الله: يستغفره. الدسيس: الخفىّ.

(٤٠) المعاد: يوم القيامة. والذخر: ما يدخره الإنسان لوقت حاجته.

(٤٢) الرمس: القبر.

قافية الشين المعجمة

(عدتها ٣٥ - الطويل الثانى)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة كلها مديح للنبى ﷺ وإعلان لحبه وحب الديار التى شهدت ميلاده ومبعثه، داعيًا لها بالسقيا والخصب.

تتضمن القصيدة ثلاثة أفكار:

- أشواق وصبوات.
- فى مديح النبى ﷺ.
- رجاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - شَواهِدُ قَلْبِ الصَّبِّ لا تَقْبَلُ الرِشَا ... فكَيْفَ قَبولُ النُّصْحِ مِنْ كاشِحٍ وشَىٰ؟

٢ - أيَأْمُرُ خِلْوٌ بالتَّصَبُّرِ مُغْرَمًا ... وآنِسُ رَبْعِ الحُبِّ أصْبَحَ مُوحِشَا؟

٣ - أمَا فى الهَوَىٰ العُذرِىِّ عُذْرٌ لِشَيِّقٍ ... إذا لاحَ رَكْبٌ مِنْ تِهامَةَ أجْهَشَا؟

٤ - ويَهْتَزُّ مِنْ وَجْدٍ إذا نَفَسُ الصَّبَا ... سُحَيْرًا بأعْطافِ الخُزامَىٰ تحَرَّشَا

٥ - مَتَىٰ يَرِدُ الماءَ النَّمِيرَ مُحَلأٌ ... فَيَنْقَعَ مِنْ وِرْدِ الصَّفَا غُلَّةَ الحَشَا

٦ - ويَنْهَلَ مِنْ ماءٍ بِطَيْبَةَ حَائِمٌ ... يُرَوِّى فؤادًا نَحْوَها مُتَعَطِّشَا

٧ - سَقَىٰ حَرَّتَىْ أَرْضِ الحِجازِ حَيًا رِوًى ... نُيُحْيِى مَيْتَ الحَرَّتَيْنِ ويُنْعِشَا

٨ - أتَىٰ ونباتُ الأرضِ بالجَدْبِ خامِلٌ ... فَدَرَّ لَهُ كأسُ الغَمائِمِ فَانْتَشَىٰ

---

(١) الشواهد هنا بمعنى : الحال والصفة، وأصل الشاهد : اللسان لأنه يشهد على صاحبه. يقول : إن القلوب المحبة لا تقبل الكلام المنمق الجميل، فكيف تقبل كلام ذوى العداوة ووشاياتهم.

(٢) خلو : قلبه خالٍ من الحب . آنس : حافل بالأنس . وضده موحش . يقول : كيف للخلىِّ أن يأمر الصب العاشق بالصبر، وقد صارت ربوع الحب موحشة قد فارقها الأحباب بعد ما كانت حافلة بالأنس؟.

(٣) الهوى العذرى : منسوب إلى قبيلة عُذْرَة، وكان فيها عشاق يتعففون فى حبهم، فنسب إليها كل محب صادق عفيف . وشيق : مشتاق . تهامة : الجبال المحاذية للبحر الأحمر من جزيرة العرب، وتمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى صنعاء جنوبًا [انظر : الروض المعطار ص ٤١ ، معجم ما استعجم ص ٥]. أجهش : ارتفع صوته بالبكاء.

(٤) الوجد : الحب الشديد . الصبا : رياح القَبول، وهى رياح طيبة . سحيراً : تصغير سحر، أى : فى وقت السحر . أعطاف : جوانب . الخزامى : نبت طيب الرائحة له زهر أحمر . والتحرش : أراد به : الغزل والملاعبة.

(٥) الماء النمير : العذب الصافى . محلأ : ممنوع من الورود على الماء . ينقع : يطفئ . ورد الصَّفا : أى الارتواء من الماء الصافى . الغُلَّة : العطش الشديد . يقول : متى يرتوى المحب الممنوع من الماء العذب فيطفئ ظمأ قلبه بصفو الحب.

(٦) ينهل : يشرب حتى يرتوى . حائم : طائف حول الماء من شدة عطشه . وكل هذا أراد به العطش المعنوى، أى الظمأ إلى المحبوب وشدة الشوق إليه.

(٧) حرَّتَىْ أرض الحجاز : الحرَّتان، مثنى حَرَّة، وهما بالمدينة . وفى (ب) : سقى حَرَمَىْ، أى الحرمين الشريفين، ولعله أصوب مما فى (أ).

(٨) خامل : ضعيف غير مزدهر . درَّ : نزل الماء غزيراً.
انتشى : سَكِرَ، والمراد : انتعش ودبت فيه الحياة.

٩ - فأضْحَتْ أزاهِيرُ الرِّياضِ كأنَّها ... مَطارِفُ وَشْيٍ زانَها صُنْعُ مَنْ وَشَى ٣٩/أ

١٠ - إذا هَيْنَمَتْ فيها النَّسِيمُ تَظُنُّها ... تُحَبِّرُ فى الغُدْرانِ خَطًّا مُرَقَّشَا

١١ - فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ أشْرَفُ دارَةٍ ... إلىٰ نارِها طَرْفٌ لِمُسْتَرْفِدٍ عَشَا

١٢ - إذا أَمَّها رَكْبٌ أوَدُّ بأنَّنى ... جَعَلْتُ لَهُ خَدِّى عَلىٰ الأَرْضِ مَفْرَشَا

١٣ - أُعظِّمُ أَخْفافًا كَرائمَ تَرْتَمِى ... إلىٰ سَيِّدِ السادَاتِ أعْظَمِ مَنْ مَشىٰ

١٤ - مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بالخُلُقِ الذى ... لِموسَىٰ وعيسَىٰ فى الكتابَيْنِ أدْهَشَا

١٥ - وحَازَ مِنَ الرُّهْبَانِ سَلْمانُ وَصْفَهُ ... فَطافَ عَلَيْهِ فى البِلادِ وفَتَّشَا

١٦ - وفَازَ بِما أَبْدَىٰ بَحِيرَىٰ وخَابَ مَنْ ... بِظُلْمٍ على كِتْمانِ أوصافِهِ ارْتَشىٰ

١٧ - فَبُورِكَ حَمْلاً واحْتَوَىٰ الخَيْرَ مُرْضَعًا ... وَباءَ بأنواعِ الكرامَةِ مُذْ نَشا

١٨ - ولاحَتْ أمَارَاتُ النُّبوَّةِ عِنْدَهُ ... لِذِى نَظَرٍ ما شَابَ ناظِرَهُ العَشىٰ

---

(٩) مطارف: ثياب من الخزِّ مزركشة. الوَشْى: النسيج الملون بعدة ألوان. زانها: زيَّنها. يقول: إن الأرض قد تزينت وتجملت بألوان الزهر والنبات، فكأنها ثياب ملونة؛ وذلك لمَّا بعث النبى ﷺ.

(١٠) هينمت: أحدثت صوتًا أثناء مرورها بالشجر، كأنه كلام خفيض أو دندنة غناء. تحبِّر: تكتب. الغدران: جمع غدير، وهى الماء المتجمع من المطر والسيل. مرقش: منقوش، يقول: كأن صوت النسيم دندنة غناء، وكأن حركة الرياح فوق الغدران كتابة مرقشة.

(١١) لعمر الله: قسم بالله عز وجل. دارة: منزل وموضع. طرف: بصر. مسترفد: طالب رفد، أى عطاء. عشا: نظر فى الضوء فلم يثبت بصره. وذكر النار لأنها كانت علامة يوقدونها للضيف فيراها من بعيد فينزل عليهم طالبًا الرفد والكرم.

(١٢) أمَّها: قصدها. يقول: إننى أود لو جعلت خدى مفرشًا على الأرض التى يسير عليها من قصد هذه البقاع المباركة.

(١٣) الأخفاف: جمع خُفّ، وهى أقدام الإبل. سيد السادات: سيدنا محمد ﷺ.

(١٤) يقول: إن ذكر محمد ﷺ فى الكتابين - التوراة والإنجيل - قد أدهش سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام.

(١٥) سبق ذكر قصة سلمان ﷺ وطوافه على الرهبان ناشداً أخبار النبى ﷺ قبل بعثته.

(١٦) بحيرى: الراهب الذى رأى علامات النبوة على النبى ﷺ وهو غلام فآمن بنبوته. أما الرهبان الذين كتموا ما يجدونه فى التوراة من صفة نبينا عليه الصلاة والسلام فقد باءوا بالخيبة والخسران.

(١٧) بورك حملاً: أى كان مباركًا وهو بَعْدُ جنين فى رحم أمه؛ إذ لم تجد به ما تجد النساء من مشقة الحمل. وبورك مرضعًا: لما ظهر من بركاته على مرضعته السيدة حليمة السعدية. باء: فاز. نشا: نشأ، خفف الهمز لضرورة القافية.

(١٨) لاحت: ظهرت. أمارات: علامات. العَشَى: ضعف البصر، وأراد به: عمى البصيرة.

١٩ - تَبَشْبَشَ وَجْهُ الأرْضِ مُذْ حَلَّها كَما بطَلْعَتِه وَجْهُ السَّماءِ تَبشْبَشا
٢٠ - حَبَاهُ بِما يَعْلُو عَنِ الوَصْفِ رَبُّهُ وعَلَّمَهُ مِنْ أَشْرَفِ العلْمِ ما يَشا
٢١ - وجَاءَ بِحقٍّ مُسْتَنيرٍ نَفَىٰ به زَخارفَ إفْكٍ كانَ فى النَّاسِ قَدْ فَشَا
٢٢ - وجَاهَدَ حَتَّىٰ شادَ بالسَّيْفِ رَافعًا منَ الدِّينِ مَا أوْهَىٰ الضَّلالُ وشَوَّشَا
٢٣ - وجَرَّ به ثَوْبَ الفَخارِ عَلى الوَرَىٰ بِمَكَّةَ حَيٌّ بالبِطَاحِ تَفَرَّشَا
٢٤ - بِمَنْصِبِه سَادَ المُلوكَ مُعَمَّمًا تَمَكَّنَ فى سُلْطَانه ومُشَرْبَشَا
٢٥ - حَوَىٰ الحُسْنَ والإحْسانَ والعِلْمَ والتُّقَىٰ فَلَمْ يَكُ صَخَّابًا ولا مُتَفَحِّشَا
٢٦ - ولا عَابسًا فَظًّا غَليظًا فَلَمْ يَلُمْ حُبوشًا عَلى زَفْنٍ ولا عَابَ أنْجَشَا
٢٧ - حَيِيٌّ جَوادٌ زاهدٌ مُتَوكِّلٌ فمَا اعْتَدَّ فَضْلاً مَنْ غَداءٍ إلىٰ عَشَا

---

(١٩) تبشبش: أضاء وأشرق فرحًا بميلاد النبى ﷺ.

(٢٠) حباه: أكرمه. ما يشا: ما يشاء، قصر للمد للضرورة.

(٢١) الإفك: الضلال. فشا: انتشر وعمَّ.

(٢٢) شاد: بنى وأعلى البناء. أوهى: أضعف. شوَّش: خلط وأفسد.

(٢٣) جرَّ ثوب الفخار: كناية عن رفعة القدر. الورى: الناس. حيّ بالبطاح: يريد قريشًا، لأنهم سكان بطحاء مكة. تفرَّش: سكن. يقول إن قريشًا حازت أسباب الفخر على الناس بكونه ﷺ من قريش.

(٢٤) ساد الملوكَ: أصبح لهم سيداً. مشربشًا: لعله أراد: ولابسًا الشربوش، وهو ما نسميه فى العامية المصرية: الطربوش. بقرينة قوله (ومُعَمَّمًا)، أى لابسًا العمامة. ولم أجد فى لباس النبى ﷺ شيئًا كهذا، اللهم إلا القلنسوة.

(٢٥) صخاب: كثير الصخب مرتفع الصوت. متفحش: يقول الفحش، وهو كل سيئ من الكلام. جاء فى حديث كعب الأحبار فى صفة النبى ﷺ: «فى التوراة: محمد عبدى، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق» [النهاية لابن الأثير ٣ / ١٤].

(٢٦) عابس: مقطِّب الجبين. والفظ بمعنى الغليظ الشديد على الناس. وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران / ١٥٩. الحبوش: أهل الحبشة. الزفن: الرقص. يشير بهذا إلى لعب الأحباش بالحراب فى مسجد النبى ﷺ فكانوا يرقصون أمامه ويلعبون بالحراب، ولم ينههم النبى ﷺ [رواه البخارى فى كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ونحوها، انظر: الفتح ٦ / ١٠٩، حديث رقم ٢٩٠١]. أما أنجشة فهو الذى كان يقود الإبل ويغنِّى لها، فلم ينهه النبى ﷺ عن الغناء، وإنما قال له: «رويدك يا أنجشة، رفقًا بالقوارير» [أخرجه البخارى ومسلم، انظر: الفتح، كتاب الأدب ١٠ / ٥٥٤، حديث رقم ٦١٤٩، مسلم بشرح النووى، ٩ / ٢٤٢].

(٢٧) حَيِيٌّ: وصف من الحياء. جواد: كريم. اعتَدَّ: اتخذ وهيأ. فضلاً: زيادة، أى لم يخزن ما زاد من غدائه لحين عشائه، وذلك لتوكله على الله عز وجل.

٢٨ - شُجاعٌ إذَا مَا الحَرْبُ مَدَّتْ رِواقَها ... وأَسْبَلَ فِيهَا النَّقْعُ لَيْلاً فأغْطَشَا

٢٩ - جَلاَ كَرْبَها حَتَّىٰ تَبَيَّنَ أنَّه ... لَدىٰ البَأْسِ منْهُمْ كَانَ أَقْوىٰ وأبْطَشَا

٣٠ - لَهُ القَمرُ انْشَقَّ امْتِثالاً لأمْرِه ... وحَيَّتْهُ جَهْراً ظَبْيَةٌ فارَقَتْ رَشَا ٣٩/ب

٣١ - وفى الحَشْرِ يَسْقِى المَاءَ منْ حَوْضِه الرِّوىٰ ... إذَا كانَ كَرْبُ الحَشْرِ للنَّاسِ مُعْطِشَا

٣٢ - شَفاعَتُهُ للنَّاسِ مِنْ طُولِ حَبْسِهِمْ ... كمَا منْ لَظًى يَنْجُو بها مَنْ تَمَحَّشَا

٣٣ - وإنِّى لأرْجُوهُ إذَا اغْتَالَنى الرَّدَىٰ ... وبُوِّئْتُ فى البَيْداءِ قَبْراً مُنَبَّشَا

٣٤ - وفى الموْقفِ الصَّعْبِ الشَّديدِ الَّذى به ... تُخَالُ الجِبالُ الشُّمُّ عِهْنًا مُنَفَّشَا

٣٥ - يُعَطِّرُ مَدْحى ذِكْرُهُ فَكأنَّهُ ... لِشِعْرِىَ بالكَافُورِ والمِسْكِ قَدْ حَشَا

*****

---

(٢٨) مدت رواقها: كناية عن اشتعال الحرب وشدتها، فكأنها أظلت المحاربين برواقها، أى كأنها سقف. أسبل: غطّى. النقع: التراب الثائر فى أرض المعركة. أغطش: أظلم.

(٢٩) البأس: الشدة فى الحرب وغيرها. أبطش: أشد بطشا وإهلاكا للأعداء.

(٣٠) سبق ذكر معجزة انشقاق القمر للنبى ﷺ، ومعجزة الظبية - أى الغزالة - التى فارقت ولديها واستأذنت النبى ﷺ أن يطلقها لترضعهما، ثم عادت إليه.

(٣٢) أى أنه ﷺ يشفع للناس كى يطلقوا من الحبس فى الموقف، ثم يشفع للعاصين من أمته فيخرجون من النار. وتمحش: احترق بالنار.

(٣٣) الردى: الموت. بوئت: أنزلت. البيداء: الصحراء.

(٣٤) تُخَال: تُظَنّ. الجبال الشمّ: العالية. العهن: الصوف. المنفش: المغزول والمتفرق، يلمح إلى قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ القارعة / ٥.

قافية الصاد المهملة

(**عدتها ٣١** - الكامل الأول)

جاء على هذا الروى قصيدة واحدة على منوال سابقتها، فكلها شوق إلى الديار المقدسة ومديح لساكنها ﷺ، وثناء على صحابته رضوان الله عليهم، ثم استغاثة بجاهه أن يخلص الأمة من الخطوب، وأن يخلصه من النار يوم تعنو الوجوه للحى القيوم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى الشوق إلى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الثناء على صحابته رضى الله عنهم.
- دعاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلْ بَعْدَ عَائقَةِ التَّفَرُّقِ مَخْلَصُ ... لِفَتًى بأيَّامِ الحِمىٰ يَتَرَبَّصُ

٢ - يَهْفُو إلىٰ الحَرَمِ الشَّرِيفِ ودُونَهُ ... غَالِى دمَاءِ بَنِى المَحَبَّةِ تَرْخُصُ

٣ - أنَّىٰ يُسَلَّىٰ مَنْ لَهُ شَغَفًا بِه ... قَلْبٌ يَزِيدُ أسًى وصَبْرٌ يَنْقُصُ

٤ - تُهْدى مَعَ الرَّكْبِ التَّحِيَّةَ نَحْوَهُ ... لَوْ كَانَ ذَلِكَ للغَرامِ يُمَحِّصُ

٥ - أرْضٌ بِهَا أُسْدُ الرِجَالِ قَنِيصَةٌ ... لِظِبَائِهَا وظِبَاؤهَا لا تُقْنَصُ

٦ - فَسَقَىٰ حِمَاهَا الأَفْيَحَ العَطِرَ الشَّذَا ... صَوْبُ الغَمَامِ عَلىٰ رُبَاها يَنْشَصُ

٧ - ألَنَا إلَيْهَا أَوْبَةٌ بِنَجَائِبٍ ... تَحْتَ المَحَامِلِ فِى الأَزِمَّةِ تَرْقُصُ

٨ - تَطْوى بِنا شُعَبُ الفَلا حَتَّىٰ تُرَىٰ ... لِحَصىٰ المُحَصَّبِ بالمَنَاسِمِ تَفْحَصُ

٩ - ويَزولَ عَنْهَا بالأَبَاطِحِ عِيُّهَا ... وشَجًى بِه فِى نَابِهَا تَتَغَصَّصُ

---

(١) العائقة : كل ما عاقك عن شيء .

يقول : هل بعد ما كان من فراق عودة لفتى ينتظر اللقاء ويرجوه ؟ .

(٢) يهفو : يحنّ ويشتاق .

(٣) يُسَلَّى : ينسى ويتلهى . أسى : حزن .

يقول : كيف ينسى من كان حبه يزيد كل يوم وصبره ينقص ؟

(٤) مَحَّص الشيء : خلّصه ونقّاه من الشوائب .

و« لو » هنا للتمنى، أى ليت إهداء التحية مع كل ركب يخلّص حبه مما يشوبه من ألم الفراق .

(٥) قنيصة : مَصيدة، فهى فعيلة بمعنى مفعولة . وكلمة (أرض) فاعل (تُهدى) فى البيت السابق .

يقول : إن هذه الأرض ظباؤها تصيد أسودها . كنى بالظباء عن النساء .

(٦) الأفيح : الواسع . صوب الغمام : المطر المنسكب مصحوباً بصوت .

ينشص : يعلو بعضه فوق بعض .

(٧) أوبة : عودة . نجائب : كرام الإبل . المحامل : ما يوضع على ظهور الإبل . الأزمة : جمع زمام، وهو ما تقاد به الإبل . وجعلها ترقص فرحاً بالمسير إلى الديار المباركة .

(٨) شُعَب الفلا : الجبال المتشابكة . والفلا : الصحراء . المحصب : موضع بين مكة ومنى، وهو بطحاء مكة حيث ترمى الجمار، سمى بذلك من الحصباء أى الحصى .

والمناسم : خفاف الإبل . تفحص : تطأ الحصى بأخفافها وتقلب الرمال .

(٩) العيّ : التعب والإرهاق . الشَّجَى : الغُصَّة فى الحلق .

يقول : إذا بلغت بنا الإبلُ البقاع الطيبة زال ما بها من إرهاق وألم .

١٠ - فَإِذَا قَضَتْ أَوْطَارَها أَضْحَتْ إِلىٰ   أَعْلامِ طَيْبَةَ فِى المَهامِهِ تَشْخَصُ

١١ - حَتَّىٰ تَحِلَّ بِرَبْعِ أَكْرَمِ مَنْ إِلىٰ   مَغْناهُ حَنَّ الأَشْعَثُ المُتَمَحِّصُ

١٢ - شَمْسُ النُّبُوَّةِ بَدْرُها العَلَمُ الَّذِى   أَضْحَى بِخَيْرِ ثِيَابِها يَتَقَمَّصُ

١٣ - بابُ النَّجاةِ مُحَمَّدٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ   أَبَدًا عَلىٰ نُصْحِ البَرِيَّةِ يَحْرِصُ

١٤ - عَبْدٌ كَرِيمٌ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ   بِالمُعْجِزاتِ الباهِراتِ مُخَصَّصُ

١٥ - كانَ ابْنَ خَمْسٍ والغَمَامُ يُظِلُّهُ   والظِّلُّ عَنْ أَتْرابِهِ يَتَقَلَّصُ ٤٠/أ

١٦ - يَغْدُو بِلا كَحَلٍ كَحِيلاً داهِنًا   وقَرِينُهُ شُعْثُ الغَدائِرِ أَرْمُصُ

١٧ - وافَىٰ بِصِدْقٍ أَبْطَلَتْ آيَاتُهُ   مَا زَخْرَفَ الكَذَّابَةُ المُتَخَرِّصُ

١٨ - ورَأَىٰ بِبَدْرٍ مَا رَأَىٰ فَهَوَىٰ عَلىٰ   عَقِبَيْهِ شَيْطانُ الضَّلالَةِ يَنْكُصُ

١٩ - آتَاهُ مُرْسِلُهُ الجَوامِعَ حِكْمَةً   مَعْنًى غَزِيرٌ والكَلامُ مُلَخَّصُ

٢٠ - وحَباهُ رَبُّ العَرْشِ بالصَّحْبِ الأُلَىٰ   نَصَحُوا لَهُ إِذْ بايَعُوهُ وأَخْلَصُوا

٢١ - عَظُمَتْ أُجورُ مُحِبِّهِمْ ونَمَتْ كَمَا   عَظُمَتْ عُقُوبَةُ مَنْ لَهُمْ يَتَنَقَّصُ

٢٢ - أَنَّىٰ يَسُبُّهُمُ الغَوِىُّ وفَضْلُهُمْ   لا نَقْصَ فِيهِ وعِرْضُهُمْ لا يُغْمَصُ؟!

---

(١٠) قضت أوطارها : نالت مرادها، وأراد به قضاء المناسك فى البيت الحرام بمكة المكرمة . أعلام طيبة : جبال المدينة . المهامه : الصحارى الموحشة . تشخص : تسير . أى بعد قضاء المناسك فى مكة المكرمة توجهت الركاب إلى المدينة المنورة لزيارة النبى ﷺ والصلاة بمسجده .

(١١) مغناه : منزله . الأشعث : الذى أجهده السفر وعلاه الغبار . المتمحِّص : الذى سار سيرًا طويلاً . وفى (أ) : المتخمص، ولا يناسب السياق، وما أثبته من (ب) .

(١٢) يتقمَّص : يلبس، مشتق من القميص .

(١٥) أترابِه : أصحابه المماثلون له فى العمر . يتقلَّص : ينحسر فلا يظلُّهم .

(١٦) داهنا : مرجل الشعرِ مطيب بالدهن، أى الزيت . شعث : جمع أشعث، وهو المغبر شعره . الغدائر : خصلات الشَّعرِ . فى حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - يصف النبى ﷺ : كان الصبيان يصبحون غُمصًا رُمْصًا، ويصبح الرسولُ ﷺ صقيلاً دهينًا . الغُمْص : جمع أغمص من الغَمصَ، وهو الذى يجتمع فِى زوايا الأجفان من : البياض والرُمص من الرَمَص وهو كسابقه إلا أن الغَمصَ ما كان جافًا، والرمص ما كان رطبًا [الحديث وشرحه من : النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٦٣] .

(١٧) وافى : أتى . الكذابة : صيغة مبالغة من الكذب، كالعلامة والنسَّابة والرحالة . والمتخرِّص : الكذاب .

(١٨) ينكُص : يرجع ويفرّ .

(٢٠) الأُلَى : الذين .

(٢٢) لا يُغْمَص : لا يحقَّر ولا يستصغر .

٢٣ - مَـا فـيـهمُ إلاَّ إمَـامٌ بالهُـدىٰ　　خَلَفَ النُّبـوَّةَ أوْ وَلِيٌّ مُـخْلِصُ
٢٤ - فِي حُـبِّـه بَذَلُوا النُّفـوسَ فَـحَـبَّـذَا　　جَـسَـدٌ لَهُمْ يَعْـرَىٰ وبَطْنٌ يَخْـمَصُ
٢٥ - بسيـوفـهم طاحَت رقـابُ عـداتهمْ　　وظُهُـورُهم بِشَـبَـا قَناهُمْ تُوقَصُ
٢٦ - فَـهُمُ مَـصَـابيحُ الهُـدىٰ، ومَنِ ادَّعَى　　شَـيْـئًـا سِوَىٰ هـذا فَـذَلكَ يَخْـرُصُ
٢٧ - يَا مَنْ عَلَتْ قَـدَمُ السَّـبَّـاق به فَلَمْ　　يُدْرِكْـهُ مِنْ أَهْلِ المَـراتِب أَخْـمَصُ
٢٨ - يَا عُـدَّتي في شِـدَّتي وذَخِـيـرَتي　　لِهُـجُـوم مَـوْتٍ لِلأنام يُنَغِّصُ
٢٩ - يَا مَنْ إذَا مَـا حَلَّ خَطْـبٌ بالوَرَىٰ　　فَـبِـجَـاهه مِنْ كَـيْـده نَتَـخَلَّصُ
٣٠ - بِكَ أتَّقِي نَارَ الجَـحِـيم وحَـرَّها　　فَـجَنَاحُ مَنْ بِكَ يَتَّـقِي لا يُوهَصُ
٣١ - وبِكَ اعـتـضـادي والوُجـوهُ لِرَبِّـهَـا　　تَعْنُو وأبْصَـارُ البَـرَايَا تَشْـخَصُ

*****

---

(٢٤) حبذا: كلمة مدح. يخمص: يجوع.
(٢٥) طاحت: قُطِعَت. الشبا: حد السيف والرمح. قناهم. رماحهم. توقص: تكسر.
(٢٦) يخرص: يكذب.
(٢٧) علت قدم السباق به: كناية عن علو قدره ﷺ. الأخمص: باطن القدم، وقوله: لم يدركه من أهل المراتب أخمص، معناه: لم يدركه أحد من أهل المكانة والمنزلة، فهو كناية عن رفعة منزلته ﷺ على سائر أهل الفضل.
(٢٩) خطب: أمر عظيم، أوشدة.
(٣٠) لا يُوهَص: لا ينكسر.
(٣١) اعتضادي: إعانتي وتقوية ضعفي. تعنو: تنخفض انكساراً وذلاً لعظمة الله جلَّ وعلا.

قافية الضاد المعجمة

تضم هذه القافية الصعبة قصيدتين : أولاهما من (٤١) واحد وأربعين بيتًا، والثانية من (٢٥) خمسة وعشرين بيتًا، وكلتاهما تعد طويلة فى هذا الروى الحوشى الصعب، ولذا فقد حفلت القصيدتان، وبخاصة أولاهما بغريب الألفاظ فى كلمات القوافى .

الضادية الأولى

(عدتها ٤١- الطويل الثالث)

تعبر هذه القصيدة عن أشواق صادقة وعاطفة جياشة تميل بشاعرنا إلى أرض الحمى، وهو هناك فى العراق لا يملك إليها سبيلاً، فيحمل هذه الأشواق ركبان الحجيج ليحملوها إلى أهل الحرم الشريف، وإلى ممدوحه الكريم ﷺ الذى لحبِّه أحب الشاعر هذه الديار وأهلها، مركزًا فى مدحه على صفات القوة والعزة والمهابة التى خلعها عليه رب العزة، فانحنى له الطغاة وذلت له الأسد، ونال شاعرنا نصيبًا من هذه الكرامة؛ فبمديحه لصاحب المقام الرفيع لم يعد يستهويه حضيض الحياة وسفوحها، وصار مطلبه العالى من الآمال، مستجيرًا به أن يحفظه من خطوب الزمان كى لا يهوى من علياء مجد الإيمان إلى حضيض السفاهة والخزى والهوان .

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين .
- فى مديح النبى ﷺ .
- مناجاة واستجارة بجاه النبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أشـاقَكَ مِنْ وادى العَـقـيقِ وَمـيضُ ... فَـجَـفْنُكَ بالدَّمْعِ الغَـزيرِ يَفـيضُ؟
٢ - نَعَمْ إنَّ لـلبَـرْقِ اليَـمَـانى لَلَوْعَـةً ... لَهـا بَيْنَ أحْنَاءِ الضُّلوعِ غُـمُـوضُ
٣ - وإنَّ لخَـفَّـاقِ النَّسـيـمِ إذَا سَـرَىٰ ... عَلىٰ الزَّهَرِ الـمَطْلولِ وهْوَ مَـريضُ
٤ - لَرَوْحًـا يَهُـزُّ الصَّبَّ حَـتَّىٰ كَـأنَّهُ ... يطيرُ اشْتـيَاقًا والجَناحُ مَهـيضُ ٤٠/ب
٥ - سـألْتُكَ يَا مَنْ أصْبَـحَتْ عَـزَمَـاتُهُ ... لَهـا فى طِلابِ المَكْرُمَـا تِ نُهـوضُ
٦ - تَسَامَتْ مَـرامِيـه فـأضْحَتْ رِكـابُهُ ... تَجُـوبُ بِه بَحْـرَ الفَـلا وتَخُـوضُ
٧ - إذَا مَـا وَرَدْتَ المَـاءَ مَـاءَ مَـجَنَّةٍ ... وظَلْتَ عَلَيْـه لـلمَطىِّ تَحـوضُ
٨ - فَـعَـرِّضْ لأهْلِيـه بصَبٍّ غَـرامُـهُ ... طويلٌ لسكَّانِ الخِـيَـامِ عَـريضُ
٩ - وقُلْ: هَلْ لِمـشْتـاقٍ يَهيمُ بذِكْرِكُمْ ... تَمَـادَتْ به الأيَّامُ فَـهْوَ حَـريضُ
١٠ - سَـبِيلٌ إلىٰ عَـيْشٍ تَقَـضَّى بِقُـرْبِكُمْ ... ومَاضِى شَبابٍ فَاتَ لَيْسَ يَئِيضُ؟!
١١ - لقَـدْ شَفَّ قَلْبى الوَجْـدُ نَحْوَ أحِبَّتِى ... ومَـالِىَ عَنْهُمْ عَـائِضٌ فـيَـعُـوضُ

تشخص: تنظر فى ثبات لا تتحرك ولا تطرف، من شدة هول الموقف.
(١) أشاقك: الهمزة للاستفهام بمعنى هل. شاقك: جعلك تشتاق وتحنّ.
الوميض: لمعان البرق.
(٢) البرق اليمانى: الآتى من جهة اليمن. أحناء الضلوع: مواضع انحنائها من الصدر. غموض: ذهاب وبعد، أى إن اللوعة تسرى فى الضلوع وتتعمق فيها.
(٣) المطلول: الذى سقط عليه الطَّلُّ وهو الندى. قوله: وهو مريض: جملة حالية وعاملها الفعل (سرى) وصاحب الحال النسيم. ويوصف النسيم بالمرض إذا كان لطيفًا رقيقًا.
(٤) لروحا: اللام للتوكيد و (روحا) اسم «إن» فى البيت السابق. أى: إن للنسيم.... لَرْوحًا، أى راحة. مهيض: مكسور.
(٥) طلاب: طلب.
(٦) تسامت: ارتفعت وعظمت. مراميه: أهدافه ومقاصده. تجوب: تقطع.
(٧) ماء مَجَنَّة: موضع قريب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ٧٠]. ظَلْتَ: ظللت. المطىّ: الإبل. تَحُوض: تجمع الماء فى أحواض كى تشرب منه الإبل.
(٨) عرِّض له بكذا: ذكره له بطريقة غير مباشرة. وقوله: طويل...عريض: كناية عن شدة الحب لسكان الخيام، وأراد بهم: العرب، لكون النبى ﷺ منهم.
(٩) تمادت: طالت. حريض: هالك.
(١٠) يئيض: يرجع.
(١١) شفَّه الوجد: زاد حبُّه حتى كاد يذهب بعقله. عائض: بديل يعوض عنهم.

١٢ - فلَيْتَ المَطايَا كُنَّ يَمَّمْنَ أَرْضَهُمْ ... ولَوْ بُسطَتْ دُونَ الفَلاة أُرُوضُ
١٣ - لِمَنْ رُفِعَتْ مَا بَينَ سَلْعٍ إلىٰ قُبَا ... قِبابٌ تُغَشِّيها المَهَابَةُ بِيضُ
١٤ - بِهَا مَنْهَلٌ يُروىٰ بِهِ كُلُّ عارِفٍ ... ورَوْضٌ لأرْبابِ القُلُوبِ أرِيضُ
١٥ - أَلا أيُّها الأعْلامُ من أَرضِ يَثْرِبٍ ... بِها زُمَرُ الأمْلاكِ لَيْسَ تغيض
١٦ - حِمًى بِرَسُولِ اللهِ أَضْحَىٰ مُعطَّرَ الْـ ... ـجَنَابِ كَأَنَّ المِسْكَ فيهِ رَضِيضُ
١٧ - نَبِيٌّ أجَدَّ الدِّينَ بَعدَ دُروسِهِ ... وسَدَّدَ سَهْمَ الرُّشْدِ وهْوَ رَمِيضُ
١٨ - ولاقَى الأَذَىٰ منْ قَوْمِهِ وهْوَ صابِرٌ ... ومَرَّ إلىٰ ذاتِ النَّخِيلِ يُفِيضُ
١٩ - فَحَلَّ بِثَوْرٍ غارَهُ وغَدَا بِهِ ... بِكُلِّ سَبِيلٍ فِي الطِّلابِ يَنُوضُ
٢٠ - فَعَمَّىٰ عَلَيْهِ العَنْكَبُوتُ بِنسْجِهِ ... وظَلَّ علىٰ البَابِ الحَمَامُ يَبِيضُ
٢١ - أَتَىٰ بالهُدىٰ والنَّاسُ فِي سَكْرَةِ الهَوَىٰ ... وعنْدَهُمُ الأَمْرُ الحَمِيدُ بَغِيضُ
٢٢ - لَهُمْ لَغطٌ لا يَفْقَهُونَ كأَنَّهُمْ ... لِضَعْفِ العُقُولِ الواهناتِ بَعُوضُ
٢٣ - فَمَا زالَ بالإِنْذارِ والبِيضِ والقَنَا ... يَفُلُّ قُوىٰ أعْدائه ويَهِيضُ
٢٤ - لَهُ فِي جِهادِ القَوْمِ دِرْعٌ حَصِينَةٌ ... وأجْرَدُ مَأْمونُ العِثَارِ مَرُوضُ

---

(١٢) يمَّم نحو كذا: قصده وتوجه إليه. أروض: جمع أرض، يقول: ليتنا توجهنا نحو أرضكم، ولو بعدت هذه الأرض وحالت دونها صحارى وأروض كثيرة.

(١٣) قُبا: قباء. قباب: جمع قبة، وأراد بها قباب المساجد بالمدينة المنورة. تغشيها: تعلوها. المهابة: الجلال، ووصف القباب بأنها بيض، لأن البياض عند العرب دليل على الطهر والخير.

(١٤) أريض: خصب كثير النبات.

(١٥) الأعلام: الجبال. زمر: جماعات. الأملاك: أراد به: الملائكة. ولم أتمكن من قراءة كلمة القافية.

(١٦) الجناب: الجوانب. رضيض: منثور.

(١٧) أجدَّ: جدَّد. دروسه: قدَمه وانطماس آثاره. رميض: حادٌّ نافذ.

(١٨) ذات النخيل: لعلها أراد بها: المدينة؛ لكثرة ما بها من نخيل.

(١٩) ثور: جبل من جبال مكة، وبه غار ثور المذكور، وهو الغار الذى نزل به ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فى هجرتهما من مكة إلى المدينة. ينوض: يسير سيرا طويلاً مرهقًا.

(٢٠) عمَّى عليه: أخفاه عن عيون الأعداء.

(٢٢) اللغط: اختلاط الأصوات بكلام لا يفهم.

(٢٣) البيض: السيوف. القنا: الرماح. يفلّ: يكسر، وكذا ويهيض.

(٢٤) الأجرد: من صفات الخيل، وهو الجواد قصير الشعر، وذلك من علامات الخيل الكريمة.=

٢٥ - وأسْمرُ عَسَّالٌ وأبْيضَ قاضِبٌ   صَقيلٌ وقَوْسٌ بالسِّهامِ رَكُوضُ ٤١/أ

٢٦ - فَكَمْ في عِراصِ المَعْرَكاتِ لخَيْلِه   صَريعٌ بأطْرافِ الرِّماحِ رَحيضُ

٢٧ - إلىٰ أنْ ذَوَىٰ الطُّغْيانُ بَعدَ شَبابِه   ونَوَّرَ رَوْضُ الدِّينِ وهْوَ غَضيضُ

٢٨ - كَريمٌ عَظيمُ المُعْجِزات، بِجاهِه   نَمَا الغَيْثُ خِصْبًا والزَّمانُ عَضُوضُ

٢٩ - وأصْبَحَ مَاءُ البِئرِ مِنْ فَضْلِ رِيقِه   هُوَ النَّهْرَ يَجْرِى لا يَكادُ يَغِيضُ

٣٠ - ولِلْجَيشِ - حقًّا - مِنْ أصابِعِ كَفِّه   تَدفَّقَ مَاءٌ فى الإناءِ غَرِيضُ

٣١ - وَخَدَّت إليه الأرضُ وهْوَ بِمَكَّةٍ   مِنَ الدَّوْحِ قَنْواءُ الفُروعِ رَيُوضُ

٣٢ - وروَّى الصَدَى مِنْ دَرٍّ عَجْفاءَ حائِلٍ   تَمَكَّنَ مِنها الهُزْلُ فَهْىَ رَفِيضُ

٣٣ - وأبْقَىٰ لِذَاتِ الشَّاةِ مِلْءَ إنَائِها   وذَلِكَ لِلرَّهْطِ الظِمَاءِ يُرِيضُ

٣٤ - وذَلَّتْ لَهُ الآسادُ حَتَّىٰ لَقَدْ جَثا   أُوَيْسُ عَلىٰ بَابِ البَقِيعِ رَبوضُ

= مأمون العثار : لا تزل أقدامه فيسقط راكبه. مَرُوض: مدرب على القتال وغيره.

(٢٥) أسمر عسال: صفة للرمح. أبيض قاضب: سيف لامع قاطع. صقيل: مصقول. ركوض: مبالغة من الركض، أى تجرى سهامها نحو صدور الأعداء.

(٢٦) عراص: ساحات. المعركات: مواضع الحرب،جمع معركة. صريع: قتيل. رحيض: هالك.

(٢٧) ذوى: ضعف، كما تذوى أوراق النبات وتسقط. نوَّر الروض: أزهر. غضيض: غضّ ناعم.

(٢٨) عضوض: شاقٌ شديد الجدب، كأن له أنيابًا يعضّ بها.

(٢٩) يغيض: ينفذ ماؤه.

(٣٠) ماء غريض: عذب سائغ. وسبق ذكر المعجزتين المشار إليهما فى هذا البيت وسابقه.

(٣١) خدت : شقت. الدوح: الشجر العظيم. قنواء الفروع: مائلة الأغصان من ثقلها وضخامتها. ريوض: مطيعة لأمره ﷺ، يشير إلى معجزة للنبى ﷺ رواها عنها كثير من الصحابة - رضى الله عنهم - وهى معجزة الشجرة التى ناداها فأقبلت تَخُدُّ الأرض حتى انتهت إليه، ثم أمرها فرجعت إلى موضعها [انظر: مسند أحمد ٣/٢٩٣، حديث رقم ١٩٥٤، دلائل النبوة للبيهقى، باب مشى العذق الذى دعاه محمد ﷺ ٦/١٣، المستدرك للحاكم ٢/٦٢٠، وغيرها من كتب الحديث].

(٣٢) الصدى: العطش. الدَّرّ هنا بمعنى اللبن. عجفاء: شاة هزيلة.
حائل: حامل، تقال للناقة والشاة. الهُزْل: الضعف. رفيض: قليلة اللبن. وسبق ذكر هذه المعجزة.

(٣٣) الرهط: الجماعة، نحو العشرة. يُريض: يكفى ويذهب الظمأ.

(٣٤) الآساد: جمع أسد. أويس: اسم من أسماء الذئب. ربوض: رابض جالس أمام النبى ﷺ. وسبق ذكر حديث الذئب الذى جاء إلى النبى ﷺ فأقعى (أى جلس) بين يديه وجعل يحرك ذيله فى وداعة واطمئنان [والحديث فى دلائل البيهقى ٦/٣٩، ٤٠].

٣٥ - فيَـا خَـيْـرَ هَادٍ طَهَّـرَ الأرْضَ بالهُـدىٰ | مِنَ الرِّجْسِ والأوْثانِ فَـهِىَ رَحِـيضُ
٣٦ - ويَا كـاسِرَ العَـدْوَىٰ وجـابِرَ مَنْ سَطَتْ | به غـيَـرُ الأزْمَـانِ فَـهْـوَ مَـهِـيضُ
٣٧ - تَجـمَّعَ فـيكَ الفَـضْلُ والفَـخْـرُ كُلُّهُ | فلَمْ يَغْلُ فى وَصفٍ لَدَيْكَ قَـرِيضُ
٣٨ - صِـفـاتُكَ عِـقـدٌ فى القَـوافى مُـفَـصَّلٌ | تَحَلَّىٰ بِهِ ضَـرْبٌ وزِينَ عَـرُوضُ
٣٩ - مَـديحُكَ ذُخْـرٌ فى حَـيَـاتى وعُـدَّةٌ | إذَا حَـالَ بى دونَ القَـرِيضِ جَـرِيضُ
٤٠ - عَـلَوْتُ بـهِ فـى رأْسِ أرْعَـنَ شـامِخٍ | فـلا يَطَّبِـينى بَعـدَ ذَاكَ حَـضِـيضُ
٤١ - فكُنْ لِى مُجيرًا مِنْ خُطوبٍ لِذى الحجىٰ الْـ | ـكَريمِ إلىٰ الغِـرِّ اللَّئِيمِ يَؤوضُ

*****

(٣٥) رحيض: هالكة، والضمير عائد على الرجس والأوثان.
(٣٦) سطت به: اشتدت عليه. غِيَرُ الزمان: تقلباته وشدائده. مهيض: عاجز كسير.
(٣٧) قريض: شعر.
(٣٨) الضرب: مصطلح من مصطلحات العروض، وهو التفعيلة الأخيرة من البيت. زين: مبنى للمجهول، من (زانَ)، أى جُمِّل. والعروض: التفعيلة الأخيرة من الشطر الأول.
(٣٩) حال: منع. القريض: الشعر. الجريض: الغصَّة التى تصيب الإنسان عند الموت. وقولهم: «حال الجريض دون القريض» مثل لكلٍّ ما يعجز عنه الإنسان. وأراد به الشاعر: لحظة الموت حيث لا شعر ولا شىء يستطيعه الإنسان.
(٤٠) أرعن: قمة الجبل. شامخ: مرتفع. يطبينى: يستهوينى. الحضيض: أسفل الجبل. يريد الارتفاع المعنوى الذى ناله بمدح النبى ﷺ.
(٤١) مجيراً: منقذاً. خطوب: محن وشدائد. الحجىٰ: العقل. الغر: الجاهل. يؤوض: يرجع. يقول: كن لى مجيراً من شدائد تحيل العاقل الكريم إلى جاهل لئيم!

الضادية الثانية

(عدتها ٢٥ـ الكامل الأول)

تنتمي هذه القصيدة إلى الشعر الصوفي بامتياز، وتشيع فيها مصطلحات الصوفية مثل : البسط والقبض، الرجاء واليأس، شمس الحقيقة، الشوق والقرب والوجد . . . إلخ.

تبدأ القصيدة بالحنين والأشواق إلى الديار المباركة وساكنيها، وذكرياته فيها، ثم يدلف إلى مدح النبي ﷺ وذكر معجزاته وجهاده، ويختم القصيدة مستجيراً بالنبي ﷺ أن يسأل الله له السلامة في زمن يحس شاعرنا أن الإسلام فيه صار غريباً، وأن يبسط عليه من جاهه ما يستظل به يوم القيامة.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع المقدسة.
- في مديح النبي ﷺ .
- استغاثة بجاه النبي ﷺ لإنقاذ الأمة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَـتَّىٰ مَـتَى لا يَنْشُقُ المُـتَـعَـرِّضُ ... نَفَـسًـا به نَحْـوَ المَـعَـالى يَنْهَضُ

٢ - أوْ يَجْتَلِى شَـمْسَ الحَـقِـيـقَـة بَاحِثٌ ... حَـيْـرانُ تَبْـسُطُهُ الصِّـفَـاتُ وتَقْـبِضُ

٣ - مُـتَـقَـلِّبٌ لا يَسْـتَـقِـرُّ إذَا بَنَىٰ ... عَـزْمًـا تَجَـدَّدَ فـيـه آخَـرُ يَنْقُضُ

٤ - طَوْراً يُصَـحِّـحُـهُ الرَّجَـاءُ وتَارَةً ... تَغْـشَـاهُ دَائِرَةُ الإِيَاسِ فَـيَـمْـرَضُ ٤١/ب

٥ - أَنَّىٰ وحَـوْضُ المَـاءِ عَـذْبٌ مُـتْـرَعٌ ... لا يَلْتَـقِى عَـذْبًا به يَتَـبَـرَّضُ؟!

٦ - مَـا ذاكَ إلاَّ عـائِقٌ مِنْ خُطَّةٍ ... تُرْخِـيـه عَنْ دَرْكِ العَـلاءِ وتَخْـفِضُ

٧ - وإذَا العنايةُ فـارَقَتْ مَـغْنَىٰ فَـتًى ... أمْـسَىٰ جَـدِيبًـا والرَّبِيعُ مُـرَوِّضُ

٨ - ضَنَّتْ غَـمَـائِمُـهُ فَلا فـيـهـا حَـيًا ... يَرْوِى ولا بَـرْقٌ عَلَيْـهَـا يُومِضُ

٩ - وإذَا هِىَ احـتَلَّتْ بِسَـاحَـةِ عَـاجِـزٍ ... أضْـحَىٰ بِمَـيْـدانِ العَـزائِمِ يَرْكُضُ

١٠ - لله عَـبْـدٌ مِنْ سِـوَىٰ مَـحْـبُوبِهِ ... حَـرٌّ بِشَىْءٍ عَنْهُ لا يَتَـعَـوَّضُ

---

(١) ينشق: يشمّ.

(٢) يجتلى: يرى. والمراد بالصفات: الصفات الإلهية التى تفعل فعلها فى الإنسان. والقبض والبسط من مصطلحات الصوفية، فالقبض: الخوف من وعيد الله عز وجلّ، والخوف من زوال نعمة أو ضياع محبوب، والبسط: الرجاء من الله عز وجل. [انظر: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ٢٣٢].

(٣) ينقض: يهدم.

(٤) يصححه: يجعله صحيحًا، من الصحة ضد المرض. الإياس: اليأس. يصف فى هذا البيت وسابقَيْه حال التقلب والحيرة: بين البناء والهدم، البسط والقبض، الرجاء واليأس.

(٥) أنّى: كيف. مترع: ملآن. وجملة «وحوض الماء عذب مترع» معترضة بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فى عجز البيت. يتبرّض: يشرب القليل من الماء. يقول: كيف لا يجد الظامئ ماء يطفئ بعض ظمئه، والماء أمام عينيه ؟

(٦) ترخيه: تبعده. درك العلاء: إدراك المعالى. وهو تفسير للبيت السابق.

(٧) العناية: يريد بها العناية الإلهية. جديباً: مقفراً. مروّض: خصب ينبت الرياض. والواو فى قوله (والربيع) واو الحال، يريد أن العناية إذا فارقت الإنسان أصبحت حياته مقفرة، فيصيبه الجدب فى وقت الربيع.

(٨) ضنّت: بخلت. غمائم: جمع غمامة. حيًا: مطر. يومض: يلمع.

(٩) احتلّت: نزلت، والضمير فيه للعناية فى البيت السابق. يركض: يجرى، يقول: إن العناية إذا أدركت عاجزاً أضحى قوى العزيمة وتخلّص من عجزه.

(١٠) لله عَبْدٌ: أسلوب ترحم. حرّ: يقاسى حرارة الحب. وقوله (بشىء) متعلق بالفعل (يتعوض)، أى: لا يتعوض عنه بشىء.

١١ - مَا زالَ يَتّبعُ الرَّسولَ ويَقْتَفِى   آثارَهُ فِيمَا يُحَبُّ وَيَبْغَضُ
١٢ - حَتَّىٰ أَتَتْهُ من الوَلاية خِلْعَةٌ   فِيها لَهُ الشَّرَفُ الطَّويلُ الأعْرَضُ
١٣ - ومنْ اقْتَدَى بالهَاشِمِىِّ مُحَمَّدٌ   فَهُوَ الوَلِىُّ وفَضْلُهُ لا يُرْفَضُ
١٤ - نعْمَ الرَّسولُ بِهِ عَرَفْنَا خَيْرَ مَا   نَأتِى ومَا بِالنَّهْىِ عَنْهُ نُعْرِضُ
١٥ - رَؤُفٌ رَحِيمٌ واثِقٌ مُتَوَكِّلٌ   هادٍ إِلىٰ المَلِكِ العَزِيزِ مُفَوَّضُ
١٦ - مَغْناهُ أَخْضَرُ للعُفاةِ، وعِرْضُه   بِمَكارِمِ الأخْلاقِ عِرْضٌ أبْيَضُ
١٧ - مَا زالَ يَرْعَى المُؤمنينَ بِنورِهِ   وعَلىٰ قِتالِ الكافِرينَ يُحَرِّضُ
١٨ - حَتَّىٰ استَقَرَّ الدِّينُ فِى أَكْنَافِهِ   ورَسَا ووَلَّى الكُفْرُ فَهْوَ مُقَوَّضُ
١٩ - يَا مَنْ بِشِرْعَتِهِ اسْتَقَامَ لَنا الهُدىٰ   وبِسَيْفِ سُنَّتِهِ الضَّلالةُ تُدْحَضُ
٢٠ - يَا مَنْ مَحَبَّتُهُ وصِدْقُ ولائِهِ   حَقٌّ عَلَيْنا فِى السَّرائِرِ يُفْرَضُ
٢١ - لقدْ اكْتَسَىٰ خِلَعَ السَّكينَةِ والتُّقَىٰ   قَلْبٌ بِخالِصِ وُدِّه لَكَ يَمْحَضُ
٢٢ - سَلْ لِى السَّلامَةَ مِنْ أَذَىٰ زَمَنٍ بِهِ الْـ   إِسلامُ مُغْتَرِبٌ عُرَاهُ تُنْقَضُ
٢٣ - تَسْطُو ثَعالِبُهُ عَلىٰ آسَادِهِ   وأُسُودُهُ فِيهِ كَوَامِنُ رُبَّضُ
٢٤ - فابْسُطْ عَلَىَّ إِذَا البَسِيطَةُ زُلزِلَتْ   وغَدَتْ بِمَا فِيهَا إِذَا تَتَمَخَّضُ
٢٥ - مِنْ فَضَلِ جَاهِكَ مَا أَفوزُ بِهِ إِذا   أضْحَتْ إِلىٰ الحَشْرِ البَرِيَّةُ تُوفِضُ ٤٢/أ

*****

---

(١١) يقتفى آثاره : يتبع سنته .
(١٢) الولاية : الموالاة لله عز وجلّ حتى يصير وليًّا من أولياء الله . خلعة : أصلها كل ثوب تخلعه، ويراد بها هنا : المنحة الإلهية .
(١٥) رؤف : رءوف . ولم أجد هذه الصيغة التى استعملها الصرصرى فى كثير من قصائده فى مصادر اللغة ومعاجمها .
(١٦) العفاة : الفقراء .   (١٨) رسا : ثبت . مقوَّض : منهدم .
(١٩) تدحض : تُبْطل .
(٢١) خلع السكينةَ : تنزُّل الطمأنينة على القلب . يمحض : يخلص الود .
(٢٢) عراه : جمع عروة، وهى كل ما يثبِّت شيئًا ويدعمه . تنقض : تُهدَم .
(٢٣) تسطو : تهجم . كوامن : كامنة لا تتحرك، ومثلها رُبَّض، جمع رابض .
(٢٤) ابسط علىَّ : حذف المفعول للعلم به، أى ابسط على شفاعتك . تتمخض : تتزلزل وتخرج ما فيها .
(٢٥) البرية : البشر . توفض : تخرج من قبورها للحشر يوم القيامة .

قافية الطاء المهملة

(عدتها ٥٥ ـ الكامل الأول)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة، في المجموع الذي بين أيدينا (١)، وتُعدُّ قصيدة طويلة في قافية صعبة نادرة كهذه، مما جعل كلمات القافية تنتزع من معجم الألفاظ الحوشية.

تعبر القصيدة عن شوق جارف إلى محبوبه النبي الكريم ﷺ، وثناء عاطر على شخصه الكريم وخصائصه الشريفة، وثناء على أمته، ودعوة إلى الاستمساك بسنته، ثم يختم القصيدة ـ كعادته ـ مستجيراً به ﷺ ومستشفعاً به إلى الله ـ عز وجلَّ ـ من كرب يوم القيامة.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين .
- في مديح النبي ﷺ .
- في الثناء على الأمة المحمدية .
- استغاثة بجاه النبي ﷺ لإنقاذ الأمة .

---

(١) وله في (ب) طائية أخرى مطلعها:

مَـــا لِي أراكَ إلى اللذَّات مُنبَــــسطًا ... والشَّـيْبُ أصـبَحَ في فَـوْدَيْكَ قـد وَخَطا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - إِنْ بانَ مَنْ تَهْوَىٰ فَأنْتَ مُثَبَّطُ ... وصبَرْتَ لا تَبْكِى فأنْتَ مُفَرِّطُ

٢ - فاحْلُلْ عُقودَ الدَّمْعَ فِى دَارِ الهَوَىٰ ... فَلَهَا البُكاءُ عَلَيْكَ حَقٌّ يُشْرَطُ

٣ - طَلُّ الدُموعِ عَلىٰ ثَرَىٰ الأطْلالِ فِى ... شَرْعِ الغَرامِ فَريضَةٌ لا تَسْقُطُ

٤ - دارٌ عَلِقْتَ بِها وفَوْدُكَ فاحِمٌ ... أفَتَنْثَنِى عَنْها ورأسُكَ أشْمَطُ؟

٥ - وإِذَا تَمَكَّنَت الصَّبابَةُ مِنْ فَتًى ... لَمْ يَلْوِ عِطْفَيْه مَزارٌ يَشْحَطُ

٦ - كَيْفَ التَّسَلِّى عَنْ هَوَىٰ قَمَرٍ لَهُ ... فِى القَلْبِ مِنِّى مَنْزِلٌ مُتَوَسِّطُ

٧ - أرْضَىٰ بِمَا يَخْتارُهُ طَوْعًا ولَوْ ... أضْحَىٰ بِمَا أَرْضَىٰ بِهِ يَتَسَخَّطُ

٨ - لَمْ أَنْسَهُ يَوْمَ التَقَيْنا بَاسِمًا ... والصَّدرُ بالأشْجانِ مِنِّى يَنحِطُ

٩ - فَفَهِمْتُ مِنْ ذُلِّى لَدَيْه وعِزِّه ... أنَّ الجَمَالَ عَلىٰ القُلوبِ مُسَلَّطُ

١٠ - والحُسْنُ جُندٌ لا يُفَكُّ أَسِيرُهُ ... وقَتِيلُهُ بِدَمِ الجَوَىٰ مُتَشَحِّطُ

١١ - ومُبَكِّرٍ جَدَّتْ بِه عَزَمَاتُهُ ... نَحْوَ العُلا فَأَغَذَّ لا يَتَثَبَّطُ

١٢ - يُمْسِى ويُصْبِحُ فِى الفَلا وأَنِيسُهُ ... فَتْخاءُ كاسِرةٌ وذِئْبٌ أمْعَطُ

١٣ - ورَفِيقُهُ الأدْنَى المؤازِرُ صَعْدَةٌ ... مَكْرومَةٌ أو صارِمٌ مُتَأَبَّطُ

---

(١) بان : فارق . مثبَّط : محبط الهمة . مفرِّط : مقصّر .

(٣) طل الدموع : سكبها .

(٤) علقت بها : أحببتها . الفود : جانب الرأس . فاحم : شديد السواد . ويقصد زمن الشباب . تنثنى : تبتعد وترجع عن حبها . أشمط : أشيب .

(٥) يشحط : يبعد .

(٦) التسلِّى : النسيان . متوسِّط : عميق فى القلب .

(٨) ينحط : يزفر بشدة ومعاناة وتوجّع .

(١٠) الجوى : لوعة الحب وآلامه . متشحط : غارق فى دمه .

(١١) ومبكرٍ : فى (أ) : ومكبر، وهو سهو من الناسخ . جدَّت : من الجِدّ وهو الاجتهاد . أغَذَّ : سار سيرًا طويلا بهمة ونشاط . لا يتثبط : لا تفتر همته ولا تضعف .

(١٢) فتخاء : صفة لموصوف محذوف، أى ناقة فتخاء، وهى التى ارتفعت أخلافها نحو بطنها، وهى صفة مستحبة فى الإبل . ذئب أمعط : تساقط عنه شعره . يقول : إن هذا المسافر يقطع صحارى لا أنيس بها إلا ناقته وذئاب الصحراء .

(١٣) المؤازر : المُعِين . صعدة : رمح . صارم : سيف قاطع . متأبط : محمول تحت الإبط .

١٤ - يَطْوِى به شُعَبَ السَّبَاسِبِ جَلْعَدٌ جُدُّ القَرَا عَبْلُ السَّنَامِ عَمَلَّطُ

١٥ - مَرِحٌ يَمُورُ ويَرْتَمِى فى سَيْرِه مَوْرَ السَّحَابِ برَعْدِه يَتَخَمَّطُ

١٦ - يَطْفُو به آلُ الضُّحَىٰ فَكأَنَّهُ فَلَكٌ عَلىٰ مَتْنِ الخِضَمِّ مُجَلْفَطُ

١٧ - وإذَا المسَافَةُ أعْقَبَتْ بَعضَ الوَجىٰ أجْرَىٰ لَهُ ذِكْرَ العَقِيقِ فَيَنْشَطُ

١٨ - وإذَا بَدَا عِنْدَ الصَّبَاحِ لِعَيْنِه قَصْرٌ بِذَاتِ النَّخْلِ أبْيَضُ أغْبَطُ

١٩ - ورأَىٰ القِبَابَ البِيضَ – دامَ سَنَاؤهَا – فَانْحَلَّ عَنْهُ سَيْره المُخْرَوِّطُ

٢٠ - أَرْسَىٰ بِطَيْبَةَ للإقَامَةِ كَلكَلاً فَلَنِعْمَ مُرْسَاهُ وَنِعْمَ المَهْبِطُ ٤٢/ب

٢١ - حَلَّتْ مَطِيَّتُهُ بأشْرَفِ مَنْزِلٍ مِنْهُ المَكَارِمُ والتُّقَىٰ يُسْتَنْبَطُ

٢٢ - فَضَلَ البِقَاعَ وسَادَها بِمُحَمَّدٍ فضلاً كبيراً نامِيًا لا يُغْبَطُ

٢٣ - هوَ أَفْضَلُ الرُّسُلِ الكِرامِ وإنَّهُ لَخطِيبُهُمْ وهُوَ الإمَامُ المُقْسِطُ

٢٤ - هوَ خَيْرُ مَأْمُولٍ وأكْرَمُ شَافِعٍ يومَ القِيَامَةِ جَارُهُ لا يُهْمَطُ

٢٥ - نَضَبَتْ عُيونُ الشِّرْكِ والطَّغْوَىٰ به وغَدَا به بَحْرُ الهُدىٰ يَتَغَمْطَطُ

٢٦ - وَافَىٰ وحِزْبُ الغَيِّ أكْبَرُ فَاتِحٍ بَابَ الضَّلالِ لِمَنْ به يَتَخَبَّطُ

---

(١٤) الشعب: الطرق فى الجبال. السباسب: الصحارى. جلعد: جمل قوى شديد. جُدٌّ: صلب. القرا: الظهر. عبل: ضخم سمين. عملَّط: شديد قوى على السفر.

(١٥) مرح: نشيط. يمور: يهتز. يتخمط: يهدر ويتلاطم.

(١٦) آل: سراب. الخضم: البحر الكبير. مجلفط: ممسوح بالقار، شبه هذا الجمل بالسفينة التى مسح أسفلها بالقار.

(١٧) أعقبت: تركت. الوجى: داء يصيب أخفاف الإبل.

(١٨) أغبط: خصب يغطيه النبات.

(١٩) سناؤها: رفعتها وعلو قدرها. المُخْرَوِّطُ: السريع.

(٢٠) الكلكل: صدر الجمل.

(٢١) يستنبط: يؤخذ.

(٢٢) فَضَلَ البقاع: زاد عليها فى الفضل. ناميًا: زائدًا. لا يغبط: لعله أراد: لا يحسد، أى لا يصيبه ضرر الحسد.

(٢٣) المقسط: العادل.

(٢٤) لا يهمط: لا يظلم.

(٢٥) نضبت: نفد ماؤها. الطغوى: الطغيان والفساد. غدا: أصبح. يتغمطط: تعلو أمواجه.

(٢٦) وافى: جاء. الغَيّ: الفساد.

٢٧ - يُلْقِى زَخارِفَهُ عَلىٰ أشْيَاعِهِ ... ويُلَفِّقُ القَوْلَ الهُرَاءَ ويَلْغَطُ

٢٨ - فَمَحَا بِنُورِ الرُّشْدِ ظُلْمَةَ مَكْرِهِ الْـ ... ـوَاهِى فَأدْبَرَ خاسِئًا يَتَلَبَّطُ

٢٩ - كَمْ قَدَّ بالبَتَّارِ مِنْ قَدٍّ وكَمْ ... شَحَطَتْ بِسَهْمٍ نَحْوَ طَاغٍ شَوْحَطُ

٣٠ - فَسَمَا به الإقْبالُ بَعْدَ خُمُودِهِ ... حَتَّىٰ تَسَنَّمَ ذُرْوَةً لا يَهْبِطُ

٣١ - وحَبَاهُ مُرْسِلُهُ بأزْكَىٰ أُمَّةٍ ... أخْيَارُها النَّمَطُ الأعَزُّ الأوْسَطُ

٣٢ - مَا فِيهِمُ إلاَّ وَلِىٌّ واثِقٌ ... أَوْ زاهِدٌ أو عَالِمٌ مُسْتَنْبِطُ

٣٣ - وغَدًا يكُونُ بِحَوْضِهِ فَرَطًا لَهُمْ ... وشَفِيعَ عَاصٍ يَعْتَدِى ويُفَرِّطُ

٣٤ - حَبِطَتْ أُجُورُ سَوَاهُمُ إذْ كَذَّبوا ... وأُجُورُهُمْ مَوْفُورَةٌ لا تُحْبَطُ

٣٥ - وهُمُ غَدًا ثُلُثَا صُفُوفِ الجَنَّة الْـ ... ـفَيْحاءِ فِى سَنَدٍ صَحِيحٍ يَضْبِطُ

٣٦ - أزْكَىٰ الوَرَىٰ نَسَبًا وأشْرَفُ عُنْصُرًا ... وأَمَدُّ كَفًّا بالنَّوالِ وأبْسَطُ

٣٧ - وأتَمُّ حِلْمًا لا يُجازِى مَنْ أَتَىٰ ... بالسُّوءِ، عَدْلٌ مُقْسِطٌ لا يُفْرِطُ

---

(٢٧) الزخارف: ما زيَّن الشيطان للناس من الباطل. أشياعه: أتباعه وأعوانه. الهراء: السخف والباطل. يلغط: يتكلم بكلام لا جدوى منه ولا معنى له.

(٢٨) الواهى: الضعيف، قال تعالى: ﴿ إنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء / ٧٦ . خاسئًا: خائبًا ذليلا. يتلبَّط: يتمرغ ويتقلب فى الأرض.

(٢٩) قدَّ (الأولى) فعل ماض بمعنى: قطع. والثانية اسم بمعنى: القامة. البتار: اسم سيف من سيوف النبى ﷺ غنمه من سلاح بني قينقاع [انظر: نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ١٨/٢٩٧]. شحطت: انطلقت بعيدا. شوحط: أصله شجر جبلى تصنع منه القسى، وكان للنبى ﷺ أربع قسى: اثنتان من شجر النبع، والأخريان من الشوحط [السابق، نفس الموضع، والسيرة الحلبية ٣/٤٦٢]، ولعل الشاعر أراد بـ (شوحط) اسمًا علمًا لقوس من قسى النبى ﷺ .

(٣٠) الإقبال: الخصب والنماء. خموده: ضعفه وجدبه. تسنَّم: ارتفع فوق القمة.

(٣١) حباه: أعطاه. والشطر الثانى إشارة إلى الآية: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ البقرة / ١٤٣ .

(٣٣) قال ﷺ : «أنا فرطكم على الحوض» [متفق عليه: الفتح، كتاب الرقاق، باب فى الحوض، حديث رقم ٦٥٧٥ ، ٦٥٧٦ ، ١١/٤٧١ : ٤٧٢] فرطكم: متقدمكم إليه [انظر الحديث وشرحه فى النهاية لابن الأثير ٣/٤٣٤]. يفرِّط: يقصِّر.

(٣٤) حبطت: بطلت.

(٣٦) النوال: العطاء. أبسط: أطول، ومد اليدين وبسطهما كناية عن الكرم والجود.

(٣٧) عَدْلٌ: عادل، من باب الوصف بالمصدر على سبيل المبالغة، يقال: رجل عدل، أى بلغ النهاية فى عدله حتى صار هو والعدل سواء. لا يُفْرِط: لا يُسْرِف. وقد جاء صدر البيت فى الأصل هكذا: «وأتم حلما لا يجازى متى من أتى»، وكلمة (متى) زائدة على المعنى والوزن أيضًا.

٣٨ - ولَقَـــدْ تَعَـــمَّقَ فِى أَذَاهُ وكَـــادَهُ بالسِّـحْـرِ خَبٌّ مِنْ يَهُـودَ عَـشَنَّطُ

٣٩ - فـأُعِـيـذَ مِنْ كَـيْـدِ النَّوافِثِ فـانْثَنَىٰ فكـأنَّمَـا هُوَ مِنْ عِـقَـالٍ مُنْشَطُ

٤٠ - هـذَا، ولَـمْ يَعْـبَسْ لَهُ وَجْـهًـا ولَمْ يَسْـمَعْ لَهُ يَومًـا كـلامًـا يُسْـخِطُ

٤١ - وأَبُثُّ بَعضَ المُـعْـجِـزاتِ فَنَظْمُـهـا دُرٌّ ثَـمِـينٌ بالمَـسَـامِعِ يُلْقَطُ ٤٣/أ

٤٢ - شَـرَحَ المـلائكُ صَـدْرَهُ فى أرْبَعٍ يا حَـبَّـذَا مَـا ضَمَّ مِنْهُ المِـخْـيَطُ

٤٣ - وكَـذاكَ فى عَـشْـرٍ، وفى مِـعْـراجِـه نَـقَـلَ الثَّـلاثَـةَ حَـافِظٌ لا يَغـلَطُ

٤٤ - وانْشَقَّ إِكْـرامًـا لَهُ قَـمَـرُ الدُّجىٰ وجُـمُـوعُ مَكَّـةَ بالبِطَاحِ تُعَطْعِطُ

٤٥ - ولَقَـدْ شَكا يَومَ الحُـدَيْبِـيَـةِ الصَّـدىٰ جَـيْشٌ قَنَاةُ صَـرِيخِـهِمْ لا تُوهَطُ

---

(٣٨) كاده: من الكيد، وهو الحيلة المدبرة. خَبٌّ: مخادع خبيث. عشنط: طويل، ولعله جاء بهذا الوصف لحاجته إلى كلمة تنتهى بالطاء لتتم قافية البيت، إذ ما ضرورة وصف هذا اليهودى الذى آذى النبى ﷺ وسحره بالطويل ؟! وقصة سحر النبى ﷺ جاءت فى كتب السنة الصحاح، وذلك أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر النبى ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء ولم يفعله. وقد جىء بلبيد إلى النبى ﷺ واعترف بفعلته فعفا عنه النبى ﷺ. وفى إحدى روايات هذا الحديث - وهى عن زيد بن أرقم - أن النبى ﷺ لم يذكر لذلك اليهودى شيئًا مما صنع به ولا رأى فى وجهه عبوسًا.
[انظر: فتح البارى ١٠ / ٢٣٢ ، ٢٤٢].

(٣٩) النوافث: الساحرات. انثنى: رجع. وقوله: فكأنما هو من عقال مُنشط، أى: بَرأ من السحر، وهو مثل يقال للمريض إذا شفى، وللمغشى عليه إذا أفاق. والمعنى: كأنه كان مقيداً بحبل ثم أطلق من هذا العقال.

(٤٠) نصب (وجهًا) على التمييز، أى: لم يعبس وجه النبى ﷺ لهذا اليهودى الذى سحره. ونصب (كلامًا) على المفعولية.

(٤١) دُرٌّ: لؤلؤ.

(٤٢) المِخْيط: أداة الخياطة، ويعنى بقوله: ما ضم منه المخيط: صدره ﷺ، فقد شق الملكان صدره ثم استخرجا حظ الشيطان من قلبه، ثم أعاداه كما كان.

(٤٣) وكذاك فى عشر: أى شق صدره ﷺ مرة ثانية فى سن عشر، وكذا فى معراجه ﷺ، وأشار بقوله: نقل الثلاثة .... إلى أن أخبار شرح صدر النبى ﷺ المذكورة (فى عمر أربع، ثم فى عشر، ثم فى معراجه ﷺ) أخبار صحيحة لا يرقى إليها الشك، فهى من نقل حافظ متقن لا يغلط.

(٤٤) تعطعط: تتصايح وترتفع أصواتها بالكلام. يقول: إن آية انشقاق القمر كانت معجزة رأتها جموع الناس بالبطاح. وكلمة (له) فى صدر البيت زيادة على الأصل، ليستقيم الوزن، وقد سقطت من الناسخ سهوًا.

(٤٥) الصدى: العطش. صريخهم: منقذهم. قناة: رمح. لا توهط: لا يصيبها الضعف. يقول: =

٤٦ - فسقاهُمُ حتَّىٰ رَوَوا وتَطَهَّروا ... والماءُ مِنْ بَيْنِ الأصابعِ يُنْبَطُ

٤٧ - وأتَاهُ وَفْدُ فَزارَةٍ وبلادُهُمْ ... بالجَدْبِ أضْحَتْ تَقَشْعَرُّ وتَقْحَطُ

٤٨ - فنَفَىٰ قُنُوطَهُمْ بدَعْوَتِهِ، ومَنْ ... كَانَ الرَّسُولُ سَفِيرَهُ لا يَقْنَطُ

٤٩ - ودَعَا فسَحَّتْ دِيمَةٌ، حَتَّىٰ دَعَا ... بالصَّحْوِ فانْجابَتْ كَثَوْبٍ يُكْشَطُ

٥٠ - ولَهُ الشَّفاعةُ في المعادِ وحَوْضُهُ الْـ ... ـعَذْبُ الرِّوَىٰ ولَهُ اللِّواءُ الأحْوَطُ

٥١ - ولَهُ المَقامُ الأكْبَرُ المَحْمُودُ والـ ... ـزُّلْفَىٰ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ نُغْبَطُ

٥٢ - هٰذا - لَعَمْرُ إلٰهِكَ - الفَضْلُ الَّذي ... لا رَيْبَ فِيهِ، والثَّناءُ الأقْسَطُ

٥٣ - يَا صَفْوَةَ الرَّحْمٰنِ مِنْ كُلِّ الوَرَىٰ ... يا مَنْ بِهِ في الخَطْبِ جَأْشي يُرْبَطُ

٥٤ - إنِّي إلىٰ رَبِّ العُلاَ مُتَوَجِّهٌ ... بِكَ عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَتَمَغَّطُ

= ولقد شكا جيش المسلمين الظمأ يوم الحديبية، وهم تحت إمرة المنقذ المخلِّص الذى لا تلين قناته، أى لا يصيبه الضعف أو الانكسار لدى الشدائد.

(٤٦) هذا البيت تفسير لما قبله، أى: فسقاهم النبى ﷺ حتى ارتووا وتطهروا من الماء الذى نبع من بين أصابعه. وقد سبق ذكر هذه المعجزة للنبى ﷺ مراراً.

(٤٧) فزارة: قبيلة عربية. تقشعر: ترتعش من شدة الجدب. تقحط: يجف ماؤها.

(٤٨) نفى: طرد وأبعد. قنوطهم: يأسهم.

(٤٩) سحَّت: أمطرت مطراً غزيراً. ديمة: سحابة. انجابت: انكشفت. يكشط: ينزع. يشير إلى أن النبى ﷺ لما رجع من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزارة مقرِّين بالإسلام، فسألهم رسول الله ﷺ عن بلادهم، فأخبروه أنه قد أصابها جدب شديد، وطلبوا منه أن يدعو الله لهم. ففعل النبى ﷺ فسقط المطر غزيراً، حتى رجع القوم إليه يطلبون منه أن يدعو الله حتى يكف عنهم المطر، فقال ﷺ: «اللهم حوالينا ولا علينا» فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب. أى كما ينزع الثوب.

[الحديث فى دلائل البيهقى ٦/١٤٤، ونحوه فى صحيحى البخارى ومسلم، انظر: الفتح، كتاب الاستسقاء، ٢/٥٨١، حديث رقم ١٠١٣، ومسلم بشرح النووى، كتاب صلاة الاستسقاء ٦/١٩١ : ١٩٥].

(٥٠) اللواء: الراية التى يحملها النبى ﷺ يوم القيامة ويجتمع تحتها المؤمنون به ﷺ. الأحوط: صيغة تفضيل، أى المحيط الشامل.

(٥١) الزُّلفى: القرب من الله عز وجل. تغبط: يتمنى الناس أن لهم مثل ما للمؤمنين به ﷺ من القرب والمنزلة عند الله عز وجل.

(٥٢) الأقسط: الوافر الكثير.

(٥٣) جأشي: قوتي. وأراد بقوله «جأشي يربط»: يزداد ثباتي فى المحنة.

(٥٤) مُلِمَّة: مصيبة. تتمغط: تزداد وتطول.

٥٥ - فـاسْـأَلْ لأُمَّـتِكَ الضَّـعِـيـفَـةَ نُصْـرَةً   ورَخَـــاءَ عَـــيْشٍ ثُـمَّ أمْنًا يُبْـــسَطُ

*****

---

(٥٥) يتوجه الشاعر فى ختام قصيدته إلى النبى الكريم ﷺ أن يسأل الله لأمته الضعيفة: النصرة، والرخاء، والأمن. ونحن نتوجه إلى الله بهذا الدعاء، ونسأله - بجاه نبينا العظيم ﷺ - أن يمد أمتنا الضعيفة بالقوة والرخاء، وأن يبسط عليها الأمن.

قافية الظاء المعجمة

(عدتها ٢٧ ـ الخفيف الأول)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة [1]، احتشدت فى قوافيها الألفاظ الغريبة النادرة. والتى يبدو فيها أن الصرصرى قد أتى بها من ذاكرته المعجمية وليس من الواقع اللغوى.

والشاعر يدخل فى موضوعه الأساسى ـ وهو مديح النبى ﷺ ـ من أول بيت، ساردًا بعض خصائصه ومعجزاته، ثم يخاطبه مستشفعًا به من هول يوم الظمأ الأكبر، ومستجيرًا به :

مِنْ زَمانٍ فيه القَبُولُ لذى الجَهْـ ـلِ ووقْتٍ لِذى الحِجَىٰ لَغَّاظِ

فيـه للغَمْـرِ نِعْمَـةٌ وثراءٌ وأَخُو العِلْمِ عاجِزٌ عَنْ لُمَاظِ

وكأنه يتحدث عنَّا وعن زماننا هذا، وما فيه من سيادة أهل الجهل والأغمار من الناس، وبؤس أهل العلم حتى لا يجد أحدهم ما يقتات به.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى مديح النبى ﷺ .
- مناجاة واستجارة بجاه النبى ﷺ .

---

(١) وفى (ب) ظائية أخرى، مطلعها:

عَلِقْتُ بحَبْلِ أزكىٰ الناسِ أصلا وأوفَرِهِمْ من الرحمنِ حَظًّا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عُـدَّتِي للنَّجـاة والفَـوز فى الحَـشْـ ـر ونـارٍ سَـوْداءَ ذات شُـوَاظ
٢ - أَحْـمَـدُ الشَّـافعُ الوَجِـيـهُ أَبُو القَـا سِمِ ذُو الحَظِّ فـوقَ كُلِّ الأحَـاظ
٣ - مَـنْ به بَشَّـرَ الـمُـتَـوَّجُ سَـيْـفٌ وتَـلاه قُـسٌّ بِـسُـوق عُـكاظ
٤ - أَيْقَـظَ النَّاسَ مِـنْ سُـبـات هَـوَاهُـمْ بِيَـد الرُّشْـد أَحْـسَـنَ الإيقَـاظ
٥ - وأتَـاهُـمْ بِمُـحْكَـمِ الـذِّكْـر منْهُ يَقْـبِسُ الوَعْظَ حَـاذِقُ الوُعَّـاظ
٦ - هُوَ مُـحيِى القُلُوب مَـاحِى الخَطَايا قُـرَّةُ العَـيْنِ رَوْضَـةُ الحُـفَّـاظ ٤٣ / أ
٧ - دَخَـلَ الشِّـرْكُ فى قُلُوبِهـمُ الغُلْـ ـفِ دُخُولَ النُّصُـولِ فى الأرْعَـاظ
٨ - فـأَرَاهُمْ لِيَـهْـتَـدُوا مُـعْـجِـزات كَـافِـيَـات لِلصُّـبَّـرِ الأيْقَـاظ
٩ - وهَـدَاهُـم إلَـىٰ صِـراطٍ سَـوِىٍّ مُـورِثٍ لِـينَـهُ قُـلوبَ الـفـظاظ
١٠ - فَـدَنَا منْهُ كُـلُّ عَـبْـدٍ مُنيبٍ ونَـأَىٰ كُـلُّ فَـاجِـرٍ جَـوَّاظ
١١ - لَـمْ يَزَلْ يُحْـسِنُ البَـلاغَ إلىٰ أنْ عَـبَـدُ اللهُ فى الـذُّرَا والشَّـناظى

---

(١) عُدَّتى : ما أعددته، وهو مبتدأ، خبره فى البيت الثانى. شواظ : لهب.
(٢) الأحاظ : جمع حَظّ، وأصله أحظُظ، فقلبت الظاء الثانية ياء فصارت أحْظٍ، ثم جمعت على أحاظ.
(٣) سبق ذكر بشارة سيف بن ذى يزن بالنبى ﷺ. أما قس بن ساعدة فهو الخطيب الجاهلى المعروف، وقد ألقى خطبته المشهورة بسوق عكاظ، ومنها قوله: «أقسم قسٌّ قسماً بالله لا كذباً ولا إثماً : إن لله ديناً هو أرضَى له من دين نحن عليه» وقد سمع النبى ﷺ خطبته هذه بسوق عكاظ قبل النبوة، وقال فيه: «والذى بعثنى بالحق لقد آمن قس بالبعث»
[دلائل البيهقى ٢ / ١٠١ : ١٠٤].
(٤) سبات : نوم وغفلة.
(٥) حاذق : ماهر متقن.
(٧) الغلف : الصَّمَّاء التى لا تهتدى. النصول : جمع نصل، وهو السهم العريض. الأرعاظ : جمع رُعظ، وهو مدخل النصل فى السهم، يقول إن الشرك قد تمكن من قلوبهم وتعمق فيها.
(٨) الصُّبَّر : جمع صبور.
(٩) الفظاظ : الغلاظ، جمع فظ. وفى الأصل : مورث لينه القلوب الفظاظ. وفيه خطأ نحوى لأن القافية مكسورة، والصواب بحذف (أل) من (القلوب) ليصير ما بعده مضافاً إليه مجروراً.
(١٠) منيب : تائب إلى ربِّه. نأى : ابتعد. جوَّاظ : غليظ متكبر.
(١١) الذُّرا : جمع ذروة، وهى قمة الجبل. الشناظى : أعالى الجبال.

١٢ - وشُسُوعِ الفَلاةِ والتُّنْف والرِّيـ ـف، وبَثَّ الصَّفَاءَ بَعْدَ الكِظَاظِ

١٣ - فسَمَا الخَيْرُ مُقْبِلاً وتولَّى الـ ـشَّرُّ خَزْيانَ رامِقًا بلِحَاظِ

١٤ يا حَبِيبَ الرَّحْمنِ يا شامِخَ البُنْـ ـيَانِ فى المَجْدِ يا مَنِيعَ الحِفَاظِ

١٥ - يا جَمِيلَ الأخْلاقِ يا حَسَنَ الإعْـ ـراضِ والصَّفْحِ عنْ ذَوِى الأَحْقَاظِ

١٦ - يا كَرِيمَ الأخْلاقِ يا أَفْصَحَ النَّا سِ لِسَانًا بأعْذَبِ الألْفَاظِ

١٧ - يا رَءوفًا بالمُؤْمنينَ رَحِيمًا ولأَهْلِ الفُجُورِ ذا إغْلاظِ

١٨ - يا شَفِيعَ الأنامِ يا مُنْقِذَ العَا صِينَ مِنْ بَطْشَةِ الشِّدادِ الغِلاظِ

١٩ - يا مُغِيثَ العِطاشِ فى الظَّمَأ الأكْـ ـبَرِ والنَّاسُ فى صَدًى وكِظَاظِ

٢٠ - فى مَقَامٍ فيه الجحيمُ اكْفَهَرَّتْ ثُمَّ أَبْدَتْ تَنَفُّسَ المُغْتَاظِ

٢١ - يا نَبِيَّ الهُدَى أغِثْ مُسْتَجِيرًا بِكَ فى الخَطْبِ دائمَ الإلْظَاظِ

٢٢ - مِنْ زَمانٍ فيه القَبُولُ لذى الجَهْـ ـلِ ووقْتٍ لِذى الحِجَى لَغَّاظِ

٢٣ - فيه للغُمْرِ نِعْمَةٌ وثراءٌ وأَخُو العِلْمِ عاجِزٌ عَنْ لَمَاظِ

---

(١٢) شسوع الفلاة : أطراف الصحراء. التنف : غير واضحة فى الأصل، ولعلَّ ما أثبته هو الصواب، والتُّنْف : جمع نادر لكلمة (تَنُوفة) وهى الصحراء البعيدة المقفرة. والريف : الأرض الخصبة وما فيها من قرى ومدن عامرة. الكظاظ : الشدائد الملازمة المتتابعة. يقول : إن النبى ﷺ أحسن بلاغ رسالة ربِّه حتى ملأ الإيمان كل الأرض وصار الناس يعبدون الله عز وجل فى كل مكان منها، حتى فى الصحارى المهلكة والمفاوز البعيدة، فلقد بلَّغ دعوة الإسلام فى كل مكان.

(١٣) رامقًا : ناظرًا بمؤخر عينه. بلحاظ : جمع لحظ، وهو طرف العين.

(١٤) شامخ : مرتفع، وشامخ البنيان كناية عن رفعة قدره ﷺ. منيع : قوى. الحفاظ : المحافظة على العهد والإيمان.

(١٥) الصفح : العفو. الأحفاظ : الأحقاد، جمع حفيظة.

(١٨) الشداد الغلاظ : خزنة النار، قال تعالى : ﴿ **عَلَيْهَا مَلائكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ** ﴾ التحريم / ٦ .

(١٩) مغيث : منقذ. صدى : ظمأ. كظاظ : ضيق وزحام.

(٢٠) اكفهرَّت : اسودَّ لونها. وأشار فى عجز البيت إلى قوله تعالى : ﴿ **إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ** ﴾ الملك / ٧ .

(٢١) الإلظاظ : الإلحاح فى الدعاء والتوسل إلى الله.

(٢٢) الحجى : العقل. لغاظ : لم أجده فى المعاجم، ولعله : (لفَّاظ) بالفاء، أى زمن يُقْبَل فيه ذو الجهل ويُلفَظ أخو العقل، أى يُطرد ويُبْعَد.

(٢٣) الغمر : الجاهل الذى لا رأى عنده ولا تجربة. لماظ : قليل من الطعام.

٢٤ـ لا تَدَعْنِى أكَيْلَةً لِزَمانٍ   سَابِلِ الخَطْبِ مُوجِعٍ بَهَّاظِ
٢٥ـ واسْأَلِ اللهَ لُطْفَهُ بِىَ حَيًّا   فَإِلَيْهِ صِيَانَتِى وحِفَاظِى
٢٦ـ وإِذَا النَّفْسُ بالمَنِيَّةِ فَاظَتْ   فى انْتِهَاءِ الحَيَاةِ أىَّ فَوَاظِ
٢٧ـ لا عَدَاكَ السَّلامُ فى كُلِّ يومٍ   مِنْ مُحِبٍّ مُواصِلٍ مِلْظَاظِ ٤٤/أ

*****

---

(٢٤) أكيلة: تصغير أُكلة، كأنه قال: لا تجعلنى لقمة سائغة فى فم الزمان. سابل: كثير. الخطب: المصيبة. بهَّاظ: شاق ثقيل.
(٢٥) الصيانة والحفاظ بمعنى، وعطف بينهما لحاجته إلى كلمة تنتهى بالظاء.
(٢٦) المنية: الموت. فاظت نفسه: مات. فواظ: مصدر فاظت نفسه.
(٢٧) لا عداك: لا جاوزك، وهو دعاء. ملظاظ: مُلِحّ مواصل المديح والسلام.

قافية العين المهملة (*)

(عدتها ٣٦ ـ الكامل الأول)

على الرغم من شيوع حرف العين فى قوافى الشعر العربى، فإن الصرصرى لم ينظم على هذه القافية ـ ضمن المجموعة التى بين أيدينا ـ سوى قصيدة واحدة، وإن كان الناسخ قد أشار أن له قصيدتين أخريين على هذا الروى لم يضمنهما هذا الديوان (١).

تبدأ القصيدة بوصف أشواق شاعرنا إلى الربوع المقدسة، وسرد ذكرياته فيها، وأشواقه إلى محبوبه ﷺ، ثم يذكر بعضًا من مناقبه الشريفة، وينتقل إلى البوح إليه بشكواه من فتنة التتر الذين حاصرت جيوشهم دار الخلافة، مستنجداً بعزته وأن يسأل ربَّه جبر أمته الكسيرة، فقد محقت طغاة الترك أطراف القرى حتى خربوا الديار، وأتوا على الأخضر واليابس.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فتنة التتر وحصار العالم الإسلامى.
- استغاثة بجاه النبى ﷺ لإنقاذ الأمة.

(*) جاء فى هامش المخطوط: اعلم أن للناظم قصيدة عينية بديعة تضمنت رؤياه النبى ﷺ وبشره أنه يموت على الكتاب والسنة، فلما أصبح نظمها، بين فيها معتقده، وضمَّنها مدحَ النبى ﷺ وأهل بيته والعشرة المبشرين، فكان اللائق إثباتها فى هذا الديوان، ومطلعها :

تواضع لربِّ العرش عَلَّكَ تُرْفَعُ ... فقد فاز عبدٌ للمُهَيْمنِ يَخْضَعُ

وله أخرى على حرف العين، مجرد مدح وتوسل، فلا عُذر فى تركها، أوَلها :

إليك رسول الله عندى نوازِعٌ ... من الشَّوق لـكنْ دون قصدِى موانِعُ

هذا وقد أثبت النبهانى العينيةَ الأخيرة منهما. [النبهانيةَ ٢ /٣١٤].

وفى (ب) مقطوعتان عينيتان، مطلع أولاهما :

سَقَى اللَّهُ أرضَ الحِمىٰ وابلا ... إذا حَلَّ فى جَوِّها أمْرَعا

ومطلع الثانية (وهى فى عَدد أسْنان الإنسان !!) :

ثَنِيَّاتُ الفتىٰ ورَبَاعِياتٌ ... وأنيابُ الفتىٰ كُلٌّ رَبَاعُ

وقال يمدحه ﷺ :

١ - بَيْنِ العَقِيقِ وبَيْنَ سَلْعٍ مَرْبَعُ   لِلْقَلْبِ فِيهِ ولِلنَّواظِرِ مَرْتَعُ

٢ - عَطِرُ الثَّرَىٰ أرِجٌ كأنَّ لَطِيمَةً   مِنْ مِسْكِ دارِىٍّ به تَتَضَوَّعُ

٣ - بَدْرُ السعادَةِ كامِلٌ بِسَمَائِه   وبِبُرْجِهِ شَمْسُ الحَقائِقِ تَطْلُعُ

٤ - حُلْو الجَنَىٰ عَذْبُ المَوارِدِ عِنْدَهُ   مِنْ كُلِ شِرْبٍ مَعْنَوِىٍّ مَنْبَعُ

٥ - يا مَنْزِلاً فِيهِ لأَرْبابِ الهَوَىٰ   مَرْأىً يَرُوقُ مِنَ الجَمَالِ ومَسْمَعُ

٦ - ما بَالُ وِرْدِكَ مَاؤُهُ يَشْفِى الصَّدَىٰ   وأنَا المُحِبُّ وغُلَّتِى لا تُنْقَعُ

٧ - لِى فِيكَ عَهْدُ هَوًى قَدِيمٌ لَيسَ لِلْـ   ـعُذَّالِ فى الإقْلاعِ عَنْهُ مَطْمَعُ

٨ - لَكَ أنْ تَزِيدَ علىٰ المَدَىٰ بأَحِبَّتِى   عِزًّا، ولِى أَنِّى أَذلُّ وأَخْضَعُ

٩ - لَوْلا ادِّكارُكَ لمْ يَهُزَّ مَعاطِفِى   بَرْقٌ علىٰ شُعَبِ الأبَارِقِ يَلْمَعُ

١٠ - ولَمَا أرِقْتُ وهَاجَ وجْدِىَ فى الدُّجَىٰ   وَرْقَاءُ فى فَنَنِ الأرَاكَةِ تَسْجَعُ

١١ - وكَذاكَ لَوْلا سِرٌّ قَصْدِكَ لَمْ أَكُنْ   أَلْتاعُ إنْ ذُكِرَ العَقِيقُ ولَعْلَعُ

١٢ - ويُعَرِّضُ الحادِى بِزُوَّارِ الغَضَا   والجَزْعِ مِنْ بابِ السَّلامِ فأخْضَعُ

---

(١) مربع: منزل. مرتع: المكان الذى ترتع فيه الماشية، أى تأكل ما شاءت، وأراد به: موطن الذكريات الطيبة.

(٢) أرج: طيب الرائحة. لطيمة من مسك: حمولة تحمل على البعير. دارىٍّ: منسوب إلى (دارين): بلد بالبحرين تنسب إليه العطور الجيدة. وفى النبهانية: من مسك دارين. تتضوع: تفوح رائحتها وتنتشر بقوة.

(٤) الجَنَى: الثمار. شِرْب: نوع من الشراب. والشرب المعنوى أراد به: متعة الروح.

(٥) أرباب: أصحاب. يروق: يعجب.

(٦) الغلَّة: العطش. لا تنقع: لا تروى.

(٩) ادكارك: تذكرك. لم يهز معاطفى: لم يجذبنى إليه. الشعب: الطرق فى الجبال. الأبارق: جمع أبرق، وهو الأرض ذات الحجارة والرمال.

(١٠) هاج: أثار. الوجد: شدة العشق. ورقاء: حمامة. فنن: غصن. الأراكة: الواحدة من شجر الأراك. تسجع: تغنى.

(١١) ألتاع: أشعر باللوعة. لَعْلَع: منزل بين البصرة والكوفة [معجم البلدان ٥ / ٢١].

(١٢) يعرض به: يذكره بطريقة غير مباشرة. الغضا: منطقة نجد فى الجزيرة العربية، وأصله نوع من شجر الصحراء، وسميت نجد بالغضا؛ لكثرة هذا الشجر فيها. الجزع: منعطف الوادى، وهو علم على وادٍ بنجد [معجم البلدان ٢ / ١٥٥]. باب السلام: أحد أبواب المسجد النبوى الشريف [انظر: وفاء الوفا ٢ / ٧٠٠]

=

١٣ - كَلَفِى ببَـانَات العَـقـيق وإِنَّمـا وَجْـهُ اشْـتـيَـاقِى بالحـجَـاز مُـبَـرْقَعُ

١٤ - عَـجَـبًـا لِجِـسْمٍ بالعِـراقِ مُـخَلَّفٍ وفُـؤادُهُ مُـغْـرًى بطَيْـبَـةَ مُـولَعُ

١٥ - ولكَيْفَ لا تَجِفُ الأَضـالِعُ نَحْـوَها شَـوْقًـا وتُذْرَفُ فى هَواهَا الأَدْمُعُ

١٦ - وبهـا رَسـولُ الله خَـيْـرُ مُـؤَمَّلٍ تَخْـدى الرِّكـابُ إِلىٰ حِـمـاهُ وتُوضِعُ

١٧ - أزْكَىٰ البَـرِيَّة عُنْصُـرًا وأعَـزُّهُمْ بَيْـتًـا وأوْلَىٰ بالفَـخـار وأجْـمَعُ

١٨ - وأمَـدُّ كَـفًّـا بالنَّدَىٰ وأتَمُّـهُـمْ حِلْمًـا وأصْـدَقُ فى المَـقَـال وأبْرَعُ

١٩ - وأشَـدُّهُمْ بَأسًـا إذا الْتَظَت الوَغَىٰ والسَّـمْـهَـرِيَّةُ بالأَسنَّة تُشْـرَعُ

٢٠ - جُـمِـعَتْ لَهُ غُـرَرُ المَناقب فَـهْيَ كـالْـ ـعِـقْـد النَّظِيم لَدَيْه لا تَتَـوَزَّعُ

٢١ - هُوَ صَـفْـوَةُ الرَّحْـمٰـنِ وهْوَ حبيـبُـهُ ولَهُ المَـقَـامَـاتُ التى لا تُدْفَعُ

٢٢ - حَـلاَّهُ مِنْ أنْوارِه وكَـسَـاهُ مِنْ أسْنَىٰ المَـواهِب حُلَّةً لا تُنْزَعُ ٤٤/ب

٢٣ - وجَـلاهُ فى مَلَكُوتِه وأَبَاحَـهُ مَـا كـانَ يَطْلُبُـهُ سِـوَاهُ فَـيُـمْنَعُ

٢٤ - وهُوَ الذى بَرَّ المُـهَـيْـمِنُ وارْتَضَىٰ لبَـلاغِ حُـجَّـتِـه التى لا تُقْطَعُ

٢٥- أشْكُو إِلَيْكَ - وأنتَ تَعْلَمُ - فِـتْنَةً كـادَتْ لَهـا الصُّمُّ الصِّلابُ تَصَـدَّعُ

وجاء هذا البيت فى النبهانية هكذا:

ويعرِّض الحادي بجرعاء الحمى والجَزْع من وادى الأراك فَأَجْزَعُ

(١٣) كلفى: شدة حبى وتعلّقى. بانات: جمع بانة، وهو شجر البان المعروف. يَقول: إننى مولع بأغصان البان فى وادى العقيق، وإن حب أرض الحجاز يلازمنى حتى صار كأنه برقع يغطى وجهى.

(١٤) بالعراق: فى (أ): بالحجاز. ولا يستقيم، لأن الشاعر يحن إلى طيبة وهى من الحجاز، فلا يكون مخلفًا بالحجاز. وما أثبته من النبهانية.

(١٥) تجف: تضطرب. الأضالع: الضلوع.

(١٦) مؤمل: مأمول. تخدى وتوضع: نوعان من سير الإبل.

(١٩) التظت: توقدت. الوغى: الحرب. السمهرية: الرماح. تشرع: ترفع للطعن. وهذا البيت زيادة من النبهانية، وليس فى (أ).

(٢٠) النظيم: المنظوم.

(٢١) هذا البيت زيادة من النبهانية.

(٢٢) أسنى: أعلى. المواهب: العطايا الإلهية. حلة: ثوب.

(٢٣) جلاه: أظهره. ملكوت الله: عالم الغيب.

(٢٥) الصم الصِّلاب: الحجارة الصلبة الصماء. تصدَّع: تتصدع، حذف إحدى التاءين تخفيفًا.

٢٦ - جاءَتْ بغُصَّتِها الطُّغاةُ تَرُومُ مِنْ ... دَارِ الخِلافَةِ خُطَّةً تُسْتَشْنَعُ

٢٧ - فدَنَوْا فَصَفُّوا إثْرَ جَيْشِ ضلالةٍ ... بإزاءِ جَيْشٍ بالهُدَىٰ يَتَدَرَّعُ

٢٨ - وعَوَوْا عُواءَ الكَلْبِ بَيْنَ سُروجِهِمْ ... وهُمُ أحَقُّ بوَصْفِهِ ليُرَوَّعُوا

٢٩ - فلَقُوا أُسُودَ الغَابِ لا تَخْشَى الرَّدَىٰ ... والرَّاسِياتُ الشُّمُّ لا تَتَضَعْضَعُ

٣٠ - فنَجَوْا بلَيْلٍ - لا نَجوا - لَوْ أصْبَحُوا ... لعَفَتْهُمُ للحَرْبِ رِيحٌ زَعْزَعُ

٣١ - فَلبَيْتِكَ المَحْرُوسِ رَهْطُ أعِزَّةٍ ... وهُوَ الأعَزُّ مِنَ البُيُوتِ الأرْفَعُ

٣٢ - هُوَ بَيْضَةُ الإسلامِ وهْوَ بوعْدِكَ الْـ ... ـمَنْصورِ مَحْرُوسُ الجَنابِ مُمَنَّعُ

٣٣ - فَبِمَنْ أعَزَّكَ واصْطَفاكَ وأجْزَلَ الـ ... ـنُّعْمَى عَلَيْكَ فحَوْضُ فَضْلِكَ مُتْرَعُ

٣٤ - سَلْ جَبْرَ أُمَّتِكَ الكَسيرَةِ إنَّهُ ... لَمْ يَبْقَ فى قَوْسِ التَّجَلُّدِ مِنْزَعُ

٣٥ - مَحَقَتْ طُغاةُ التُّرْكِ أطْرافَ القُرَىٰ ... فالمالُ نَهْبٌ والمَنازِلُ بَلْقَعُ

٣٦ - واشْفَعْ إلىٰ الرَّحْمٰنِ فى غُفْرانِ ما ... هذا عُقُوبَتُهُ فَأنْتَ مُشَفَّعُ

*****

---

(٢٦) بغصتها: الباء للمصاحبة، أى جاءت مصحوبة بالغصة، أى المرارة. تروم: تريد. تستشنع: تُرَى شنيعة قبيحة.

(٢٧) بإزاء: فى مواجهة. يتدرع: يتحصن.

(٢٩) الراسيات: الجبال. الشمّ: العالية. لا تتضعضع: لا تتصدع ولا تضعف.

(٣٠) عفتهم: أزالتهم ومحت آثارهم. ريح زعزع: عاصفة شديدة.

(٣١) رهط: جماعة.

(٣٢) بيضة الإسلام: حصنه وموضع عزته. ممنّع: ممنوع محروس من الأعداء.

(٣٣) أجزل: أكثر. النعمى: النعمة. مترع: ملآن.

(٣٤) الكسيرة: الضعيفة. منزع: سهم، وقوله: «لم يبق فى قوس التجلد منزع» مثل يراد به: لم يعد الصبر ممكنًا.

(٣٥) محقت: محت وأذهبت كل خير. نهب: منهوب. بلقع: خراب.

قافية الغين المعجمة

تضم هذه القافية قصيدتين قصيرتين ولعلَّ السر فى قلة منظومه على هذا الرويّ صعوبة قوافيه [1].

الغينية الأولى

(عدتها ١٧ ـ السريع الأول)

فى ذكر الديار المقدسة والتشوق إليها، ومديح النبى ﷺ.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى الشوق إلى الديار المقدسة وتعظيمها.
- فى مديح النبى ﷺ.

---

(١) وفى (ب) مقطوعة أخرى من أربعة أبيات على الغين، مطلعها:

إذا الفَتىٰ لم يَكُنْ بالفِقهِ مشتَغِلا ... ولا الحديثِ ولم يَتْلُ الكتابَ لَغَا

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلْ لِىَ بالبَطْحاءِ مِنْ نَهْلَةٍ ... مِنْ وِرْدِها المُسْتَعْذَبِ السَّائِغِ؟
٢ - وهَلْ تَمُرُّ العِيسُ بِى مَرَّةً ... أُخْرَى بِمَجْرَىٰ السَّيْلِ مِنْ رَابِغِ
٣ - تَطْلُبَ مِنْ طَيْبَةَ رَبْعِ المُنَىٰ ... مَقِيلَها فى ظِلِّها السَّابِغِ
٤ - فَاقَتْ عَلىٰ الأرْضِ وأَقْطارِها ... بالبَدْرِ فيها الكامِلِ البازِغِ
٥ - أنْوارُهُ لَيْسَ لَها كَاسِفٌ ... ولَيْسَ عَنْها التِّمُّ بالزَّائِغِ
٦ - مُحَمَّدٌ أَكْمَلُ مُسْتَنْجَبٍ ... مِنْ خَيْرِ أصلٍ طَيِّبٍ نَابِغِ ٤٥/أ
٧ - مُطَهَّرٌ لا وَصْمَ فى عِرْضِهِ ... لِكاشِحٍ ذى إِحْنَةٍ نَادِغِ
٨ - هُوَ الَّذِى أَنْوَارُهُ أطْفَأَتْ ... نِيرانَ غَاوٍ فَاتِنٍ نَازِغِ
٩ - وذَادَ عَنْ حَوْضِ الهُدَىٰ عَزْمُهُ ... كُلَّ خَبِيثٍ مارِدٍ وَالِغِ
١٠ - فَأَوْضَحَ الحَقَّ بِتِبْيَانِهِ ... لِذِى هُدًى عَنْ رُشْدِهِ زائِغِ
١١ - وبَلَّغَ النَّاسَ رِسالاتِهِ ... بِكُلِّ لَفْظٍ جَامِعٍ بَالِغِ
١٢ - فأصْبَحَ الكُفْرُ بِهِ زاهِقًا ... بِدِينِ حَقٍّ لِلْهَوَىٰ دَامِغِ
١٣ - رَعَىٰ الأصاحِيبَ بِجَفْنٍ لَهُ ... عَنِ المَعالِى لَيْسَ بالهَابِغِ

---

(١) نهلة : اسم مرة من (نَهِلَ) أى شرب حتى ارتوى . المستعذب والسائغ كلاهما بمعنى : الطيب العذب .

(٢) العيس : الإبل . رابغ : وادٍ يقطعه الحجاج بين الجحفة والأبواء [معجم البلدان ١٢ / ٣] .

(٣) ربع المنى : بدل من (طيبة) . مقيلَها : استراحتها ، وهو مفعول (تطلب) . السابغ : الممتد الشامل .

(٤) البازغ : المشرق .

(٥) كاسف : مطفئ ، من الكسوف . التِّمّ : البدر ليلة التمام .

(٦) أكمَل مستنجب : خير من وُلِد . نابغ : ظاهر معروف .

(٧) وصم : عيب . كاشح : يضمر العداوة . إحنة : حقد . نادغ : طاعن عائب . وفى (أ) : نازغ ، والتصويب من (ب) .

(٨) نازغ : محرض على الإثم والضلال . فى (أ) نيرانه ، بدل « أنواره » ، وازغ فى موضع (نازغ) . والصواب ما أثبته من (ب) .

(٩) ذاد : دفع وطرد . والغ : من ولغ الكلب فى الإناء ، والمراد : كثير الشر والخبث .

(١٢) زاهقًا : باطلا . دامغ : مُبْطِل .

(١٣) الهابغ : الغافل ، أى ليس غافلاً عن المكارم والفضائل .

١٤ - لا عَـــارَ بَيْنَ النَّاسِ فِى حُـــبِّـــهِ ‏ عَـلـىٰ مَـــــشُـــــوقٍ وَالِـهٍ نـاشِـغِ

١٥ - وإِنَّـمـــا الـعَــــارُ عَـلـىٰ غَـــافِلٍ ‏ عَـنْـهُ بِـقَـلْـبٍ بـارِدٍ فَـــــارِغِ

١٦ - سُـبْـحـانَ مَنْ أَحْـسَنَهُ صِـبْـغَـةً ‏ فَـــجَـلَّ رَبُّ الـعَـــرْشِ مِنْ صَـــائِغِ

١٧ - صَلَّىٰ عَلَيْـــهِ وعَلىٰ صَـــحْـــبِـــهِ ‏ رَبٌّ نَـفَـىٰ عَـنْـهُ أذَىٰ الـمَــــــاشِغِ

*****

(١٤) مشوق : مشتاق . واله : شديد الحب . ناشغ : مولع .

(١٦) صبغة : خَلْق وفطرة . صائغ : مصوِّر .

(١٧) الماشغ : العائب .

الغينية الثانية

(عدتها ٢٤ ـ الكامل الثانى)

هذه القصيدة كلها أشواق إلى ديار الأحبة وإلى ساكنها ﷺ، ودعاء لهذه الديار بالسقيا والخصب والرغد، إكرامًا لسيد الخلق ﷺ.

تتضمن القصيدة فكرتين :

- فى الشوق إلى النبى ﷺ والديار المباركة.
- دعاء بالسقيا لهذه الديار.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لَوْمُ المُحِبِّ عَلَيْكَ لَيس يَسُوغُ … فَلِمَ العَذُولُ عَنِ الصَّوابِ يَرُوغُ ؟

٢ - يَتَجَرَّعُ المُشْتاقُ فيكَ تَسَتُّرًا … غُصَصَ المَلامِ ولا يَكادُ يُسِيغُ

٣ - ما لامَ مُغْرًى بادِّكارٍ مُولَعًا … إلا غَبِىٌّ فى الرِّجالِ رَدِيغُ

٤ - يا مَنْ سَمَتْ شَرَفًا خَلائِقُهُ فَلَمْ … يَبْلُغْ بِوَصْفٍ مَدْحَهُنَّ بَلِيغُ

٥ - مَنْ لِى بِرُؤْيَةِ وَجْهِكَ الحَسَنِ الذِى … فيهِ لأقْمارِ الجَمالِ بُزوغُ

٦ - سُبْحانَ مَنْ سَوَّاكَ أَحْسَنَ صُورَةٍ … أَمِنَ اللُّجَيْنِ المَحْضِ أَنتَ مَصُوغُ ؟

٧ - حُزْتَ الكَمالَ فما لِشَمْسِكَ كاسِفٌ … كَلاَّ ولا لِلقَدِّ مِنْكَ مُزِيغُ

٨ - يَشْكُو إِلَيْكَ ولا يُلامُ إذا شَكَا … صَبٌّ بِأَنْيابِ الفِراقِ لَدِيغُ

٩ - مَنْ زاغَ فى نَأْىِ الأَحِبَّةِ قَلْبُهُ … فَفُؤادُهُ فى البُعْدِ لَيسَ يَزِيغُ ٤٥/ب

١٠ - لِلقَلْبِ شُغْلٌ مِنْ هَواكَ فَما لَهُ … مِنْهُ - وإنْ طالَ الزَّمانُ - فُروغُ

١١ - بُلِّغْتُ فى الأَشْجانِ غايَتَها فَلَوْ … لِى بِالمَطِىِّ إلى حِماكَ بُلُوغُ ؟

١٢ - فَأُمَرِّغَ الخَدَّيْنِ فيهِ، وتُحْفَةٌ … لِلخَدِّ فَوقَ تُرابِهِ التَّمْرِيغُ

١٣ - فانْعَشْ قَتِيلَ ظُبَا البِعادِ بِنَظْرَةٍ … لِيَقِرَّ قَلْبٌ مُذْ نأَيْتَ نَشُوغُ

---

(١) ليس يسوغ : لا يُقْبَل . يروغ : يبتعد .

(٢) يتجرَّع : يشرب على كُرهٍ ومشقة . غُصص : جمع غصة، وهى ما يقف فى حلق الإنسان . يُسيغ : يبتلع الشراب وغيره . يقول : إن المحب المشتاق يستمع إلى كلام العذال كأنه غصص فى حلقه يتجرعها على مضض .

(٣) مُغرًى، مولعًا : شديد الحب والتعلُّق . (مغرى) مفعول (لام) و(مولعًا) نعت للمفعول، والفاعل (غبىّ) . رديغ : أحمق .

(٤) سمت : عَلَت . خلائقه : طباعه .

(٥) بزوغ : طلوع وإشراق .

(٦) اللجين : الفضة . المحض : الخالص النقىّ . مصوغ : مصنوع .

(٧) مُزِيغ : مُميل .

(٨) لديغ : ملدوغ . شبه الفراق بثعبان يلدغ .

(٩) يقول : إذا كان هناك عشاق تميل قلوبهم وتنصرف عن محبوبها إذا فارقهم، فإن قلبى لا ينصرف عن حبك مهما زاد البعد .

(١١) الأشجان : الأحزان . وجملة (لو) وما بعدها للتمنى .

(١٢) تُحْفَة : هديَّة .

(١٣) ظبا : سيوف . نأيتَ : بَعُدتَ . نشوغ : مولع .

١٤ - يا سَائِقَ البَكَرات لا تَعْدُ الحِمَىٰ ‏ ‏ إنْ مِلْتَ عَنْ سَلْعٍ فَأَيْنَ تَزِيغُ؟!

١٥ - شَرَفُ الرَّكائِبُ قَصْدُهُ ولَوِ اغْتَدَتْ ‏ ‏ وحَصَىٰ الفَلا بِدِمائِها مَصْبوغُ

١٦ - بلِّغْ تَحِيَّاتِي إلىٰ سُكَّانِه ‏ ‏ فَلَرُبَّ عَطْفٍ جَرَّهُ التَّبْلِيغُ

١٧ - لا تَأْبَقَنَّ لِعِزِّهِمْ مِن ذِلَّتي ‏ ‏ فَالبَحْرُ لَيْسَ يَغُضُّ مِنْهُ وُلُوغُ

١٨ - سَقْيًا لِذَاكَ المَرْبَعِ الرَّحْبِ الذي ‏ ‏ لِلنُّورِ فِيهِ تَرَادُفٌ وسُبُوغُ

١٩ - رَوِيَتْ بِأَمْواهِ النَّسِيمِ غُصونُهُ ‏ ‏ فَلَهُنَّ فَوْقَ الخَافِقَيْنِ نُبُوغُ

٢٠ - لا زالَ وَسْمِيُّ الغَمامِ يَجُودُهُ ‏ ‏ حَتَّىٰ يَرُوقَ العَيْنَ مِنْهُ ضَغِيغُ

٢١ - ويَزولَ بُؤْسُ الجَدْبِ عَنْ أَقْطارِهِ ‏ ‏ ويَعودَ ضِيقُ العَيْشِ وهْوَ رَسِيغُ

٢٢ - حُبًّا وإِكْرامًا لأَحْمَدَ مَنْ لَهُ ‏ ‏ يَومَ المَعَادِ الجَاهُ والتَّسْوِيغُ

٢٣ - مَنْ أَقْبَلَ الحَقُّ المُبِينُ بِبَعْثِهِ ‏ ‏ وانْصاعَ غَاوٍ بِالضَّلالِ نَزُوغُ

٢٤ - وذَوَتْ غُصونُ الشِّرْكِ وابْتَهَجَ الهُدَىٰ ‏ ‏ وسَمَا ومَاسَ شَبَابُهُ الرُّدَّغُ

*****

---

(١٤) البكرات: الإبل الفتية. لا تَعْدُ: لا تتجاوزْ. تزيغ: تميل. يقول لسائق الإبل: لا تجاوز حمى المدينة، فأين تذهب إن ملت عن جبل سلع وعن حمى المدينة؟! والشطر الثانى غير واضح فى (أ) وما أثبته من النبهانية.

(١٦) الشاعر هنا يُلغز باستخدام مصطلحات النحو، فى قوله: فلربَّ عطف جرَّه التبليغ. فكلمة (عطف) مجرورة بـ (رُبَّ)، وأراد بالعطف: الميل، وبقوله (جرَّه): جاء به وسببه. يقول: لعل تبليغ تحياتى إلى سكان الحمى يؤدى إلى عطفهم علىَّ.

(١٧) لا تأبقنَّ: لا تهرب. ولوغ: شرب الكلب بأطراف لسانه.

(١٨) ترادف: تتابع. سبوغ: امتداد وشمول.

(١٩) أمواه: جمع ماء. الخافقين: المشرق والمغرب. نبوغ: ظهور وعلوّ.

(٢٠) الوسميُّ: المطر. يجوده: يسقيه. يروق: يعجب. ضغيغ: خصب نضر.

(٢١) رسيغ: واسع رغد.

(٢٢) التسويغ: قضاء الحاجة، وأراد به الشفاعة.

(٢٣) انصاع: ذل. غاوٍ: ضالّ. نزوغ: محرض على الإثم والضلال.

(٢٤) ذوت: ذبلت. ماس: تمايل طربًا. الرُّدَّغ: مفردها الردوغ: النضر الناعم.

قافية الفاء

تضم هذه القافية قصيدتين طويلتين نسبيًّا .

الفائية الأولى

(عدتها ٦٤ ـ الكامل الأول)

تعبر هذه القصيدة عن حب الديار المقدسة والشوق إليها، وذكريات الشاعر فى ساحة الحرم الشريف ملجأ الخائف وقرارة الشرف العظيم، ومدينة الرسول العظيم ﷺ .

ثم يدخل إلى مديح النبى ﷺ وذكر بعض تجلياته النورانية وتقلبه فى الأصلاب الطاهرة. ثم يرفع إلى النبى ﷺ شكوى أهل القرن السابع الذين يخشون كيد العدو، راجين أن يسأل لهم النصر، فهو المؤيد بجنود الله، وهو أمنع ناصر وأعز جار .

تتضمن القصيدة ثلاث أفكار :

- فى الشوق إلى الديار المقدسة .
- فى مديح النبى ﷺ .
- شكوى أهل القرن السابع واستنصارهم بجاهه ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَيِّ المَنازلَ بالمَحَلِّ الأشْرَفِ ... مَحْمِيَّةً بمُهَنَّدٍ ومُثَقَّفِ

٢ - عَنِّى تَحِيَّةَ حافظٍ لعُهُودها ... إنْ أسْعَفَتْ بالقُرْبِ أو لَمْ تُسْعِفِ !

٣ - مُزِجَتْ مَحَبَّةُ أهْلِها بحُشاشَتِى ... كَمِزاجِ صَفْوِ الماءِ صِرْفَ القَرْقَفِ

٤ - فأنا المُقيمُ لَها بأسْبابِ الهَوَىٰ ... صَدَفَتْنِىَ الأيَّامُ أو لَمْ تَصْدِفِ

٥ - قَصُرَتْ لَيالِى وصْلِها وتَصَرَّمَتْ ... وثَوَىٰ بها وَجْدِى وطَالَ تَأسُّفِى ٤٦/أ

٦ - ما عَنَّ منْ أقْطارِها بَرْقٌ خَفَا ... إلا وأظْهَرَ منْ غَرامِىَ ما خَفِى

٧ - فلو اسْتَطَعْتُ لَجُبْتُ شَوْقًا نَحْوَها ... تَحْتَ الدَّياجِى كُلَّ بَرٍّ نَفْنَفِ

٨ - لوْلا عَلائقُ قَيَّدَتْنِىَ لَمْ أكُنْ ... لأَصُدَّ عنْ وَطَنِى القَديمِ ومَألَفِى

٩ - دارٌ بِوُدِّى لو أُقَبِّلُ أرْضَها ... وأشَمُّ نَشْرَ تُرابِها المُتَعَرِّفِ

١٠ - أنِسَتْ بها رُوحِى وآنَسَ رَوْحُها ... قَلْبِى وطابَ عَلى رُباهَا مَوْقِفِى

١١ - وحَلا بها وِرْدِى وراقَ جَمالُها ... طَرْفِى ولاثَتْ بالكَرامَةِ مَطْرَفِى

١٢ - عَزَّتْ فَلوْ سَعَت المَطامِعُ نَحْوَها ... رَدَّتْ بأسْمَرَ أوْ بأبْيَضَ مُرْهَفِ

١٣ - للهِ ما أبْقَتْ لأرْبابِ الهَوَىٰ ... مِنْ مُقْلَةٍ عَبْرَىٰ وجِسْمٍ مُدْنَفِ

---

(١) حَيِّ : أمر من التحية . مهند : سيف . مثقف : رمح أجيد صنعه .

(٢) عنِّى : أى بالنيابة عنى ، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر فى البيت الأول .

(٣) حشاشتى : روحى . مزاج : مزج . صرف : خالص . القرقف : اسم للخمر .

(٤) أسباب : علائق وروابط . صدفتنى : حوَّلتنى وأمالتنى عنهم .

(٥) تصرَّمت : مضت . ثوى : أقام .

(٦) عَنَّ : ظهر . خَفَا البرق يخفو : بَرَق برقًا ضعيفًا تحت السحاب .

(٧) جُبْت : قطعت . الدياجى : الظلمات . نفنف : مترامى الأطراف .

(٨) أصد : أعرض وأنصرف . مألفى : المكان الذى ألفته .

(٩) نشر : رائحة . المتعرِّف : ذو العَرف ، أى الرائحة الطيبة .

(١٠) أنست : شعرت بالأنس . آنس : جعله يشعر بالأنس ، متعدٍ بالهمزة . رَوْحها : ما فيها من راحة وطمأنينة . رباها : جمع ربوة ، وهى التل المرتفع .

(١١) طرفى : بصرى . لاثت : ألبست . المطرف : الثوب المزركش من الخز .

(١٢) أسمر : رمح . أبيض : سيف . مرهف : حاد قاطع .

(١٣) أرباب : أصحاب . مقلة : عين . عَبْرَىٰ : دامعة باكية . مدنف : مريض .

١٤ - سَقَتْ العِهَادُ ثَرَىٰ مَعاهدها الَّتى — طالَ اشْتياقى نَحْوَها وتَشَوُّفى

١٥ - فَكَسَتْ مَقيلَ الأُنْسِ مِنْ جَنباتها — مِنْ كُلِّ بُرْدٍ للرِّياضِ مُفَوَّف

١٦ - وتَرنَّمَتْ أطْيارُها مَشْغُوفَةً — مِنْ بانِهِنَّ بِكُلِّ قَدٍّ أَهْيَف

١٧ - يا أيُّها السَّارى يَجوبُ لِقَصْدِه — وَعْرَ الحُزونِ وكُلَّ سَهْلٍ صَفْصَف

١٨ - يتَعَسَّفُ الأخْطارَ فى طَلَبِ العُلا — لله دَرُّ أبيكَ مِنْ مُتَعَسِّف!

١٩ - لا غَبَّ عَيْشَكَ وِرْدُها كَلاًّ وَلا — خَانَتْ كَلالَتُها مَرَامِىَ مُوجِف

٢٠ - وأجِدَّ دَأْبَكَ لِلمَطَايَا كُلَّما — جَدَّ السُّرى أرَبًا وفَرْطَ تَعَجْرُف

٢١ - إنْ جُزْتَ عَنْ وادى العَقيقِ مُيَمِّمًا — سَلْعًا وعَايَنْتَ القِبَابَ ضُحًى قِف

٢٢ - فى ساحَةِ الحَرَمِ الشَّريفِ ومَجمَعِ الـ — تَّقْوَى وأعْلامِ الجَنَابِ الأشْرَف

٢٣ - فى مَعْدِنِ الحُسْنَىٰ وكَنْزِ جَواهِرِ الـ — مَعْنَى ومِنْهاجِ الهُدَىٰ للمُقْتَفى

٢٤ - وقَرارَةِ الشَّرَفِ الجَسيمِ ودَارَةِ الْـ — فَضْلِ العَظيمِ ومَلْجَأِ المُتَخَطَّف

---

(١٤) العهاد: المطر. ثرى: تراب. معاهدها: المواضع التى كنت أعهدها. تشوُّفى: شوقى.

(١٥) مقيل: موضع القيلولة. برد: ثوب. مفوَّف: مخطط بخطوط بيضاء.

(١٦) ترنمت: تغنَّت. أهيف: ضامر رقيق الخصر.

(١٧) يجوب: يقطع. الحزون: جمع حَزن، وهو الصعب من الجبال الوعرة. صفصف: مستوٍ ناعم.

(١٨) يتعسف: يسير فى الصحراء التى لا أعلام فيها. لله دَرُّ أبيك: كلمة مدح. متعسف: مقتحم مغامر.

(١٩) غَبَّ: من الغبّ وهو أن ترد الإبل الماء يومًا وتمنع منه يومًا. عيشك: منصوب على الظرفية، أى طَولَ حياتك. مرامى: جمع مرمى، وهو الهدف. الكلالة: الضعف. موجف: سائر. يدعو للسارى نحو الحمى بدوام السقيا لإبله، وأن تقوى على السير فلا يخونها الضعف ويعجزها عن الوصول إلى القصد. وهذا البيت وتاليه زيادة من (ب).

(٢٠) أجدَّ: جدَّد. الدأب: الاستمرار. المطايا: الإبل. جدَّ: اشتد. السرى: السير. أربًا: نشاطًا. فرط: زيادة. تعجرف: سرعة فى السير.

(٢١) جزت: تجاوزت. ميممًا: قاصداً. عاينت: رأيت. ضُحىً: فى وقت الضحى.

(٢٢) فى ساحة الحرم...: متعلقان بفعل الأمر (قف) فى قافية البيت السابق. أعلام: دلائل. الجناب الأشرف: الحضرة الشريفة للنبى الكريم ﷺ.

(٢٣) معدن: أصل. المقتفى: المتبع لآثاره ﷺ.

(٢٤) قرارة: أصل. الجسيم: العظيم. المتخطَّف: الذى يخشى أن يتخطفه الناس، قال تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ العنكبوت / ٦٧ . فالذى يلجأ إلى البيت الحرام يدركه الأمن ولا يستطيع أن يروعه أحد.

٢٥ - بِمَدِينَةٍ شَرُفَتْ عَلَى كُلِّ القُرَىٰ ... شَرْقًا إِلىٰ غَرْبٍ بِخَيْرِ مَنِ اصْطُفِى

٢٦ - بِالهَاشِمِىِّ مُحَمَّدٍ أزْكَىٰ الوَرَىٰ الْـ ... ـمُخْتارِ مِنْ عُلْيا قَبائِلِ خنْدف

٢٧ - كَتَبَ اسْمَهُ الرَّحْمٰنُ تَشْرِيفًا لَهُ ... سَطْرًا علىٰ العَرْشِ المَجِيدِ الأشْرَف

٢٨ - فَرآهُ آدَمُ فَاسْتَقَرَّ بِقَلْبِهِ ... تَعْظِيمُهُ؛ فَبِجاهِهِ عَنْهُ عُفِى ٤٦/ب

٢٩ - وكَذَاكَ أشْرَقَ نُورُهُ بِجَبِينِه ... وجَبِينِ حَوَّاءَ الكَرِيمَةِ فاعْرِف

٣٠ - فى صُلْبِ نُوحٍ حَلَّ فى طُوفَانِه ... فَبِجاهِهِ نُوحٌ ومَنْ مَعهُ كُفِى

٣١ - وأُحِلَّ فى صُلْبِ الخَلِيلِ فأطْفأَتْ ... أنوارُهُ نَارَ العَنِيدِ المُسْرِف

٣٢ - وبِهِ تجاوزَتْ الذَّبِيحَينِ المُدَىٰ ... حِفْظًا لِسرٍّ فِيهِما مُتَكَنَّف

٣٣ - وسَمَتْ بِه كُلَّ القَبائِلِ هاشِمٌ ... بِعَظِيمِ فَضْلٍ ثابِتٍ لا يَنْتَفِى

٣٤ - أقْمَارُهُ ظَهَرَتْ علىٰ فَلَكِ العُلا ... فى بُرْجِ سَعْدِ كَمَالِه لَمْ تُكْسَفِ

٣٥ - مِنْ كُلِّ قَرْمٍ فى المَكارِمِ سابِقٍ ... ومُؤَيَّدٍ فى مُلْكِه مُسْتَخْلَف

٣٦ - ما زَالَ نُورُ بَهائِه مُتَنَقِّلاً ... مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَاهِرٍ لَمْ يُقْذَف

٣٧ - وحَشَا حَصَانٍ لَمْ تُزَنَّ بِرِيبَةٍ ... حَتَّىٰ بَدَتْ أنْوارُهُ لا تَخْتَفِى

٣٨ - بِرَبِيعٍ الأَدْنَى بِثَانِى عَشْرِهِ ... فَسَمَتْ بِه دِيباجَةُ المُتَطَوِّفِ

٣٩ - فى يَوْمِ الاثْنَيْنِ الَّذِى بِوِلادِهِ ... وبِبَعْثِهِ قَدْ كانَ خَيْرَ مُشَرَّفِ

---

(٢٦) قبائل خندف: قبائل مضر، ومنها قريش.

(٣٢) الذبيحين: سيدنا إسماعيل عليه السلام، وعبد الله بن عبد المطلب أبو النبى ﷺ، قال ﷺ: « أنا ابن الذبيحين » [ذكره العسقلانى فى شرحه على البخارى: الفتح ١٢ / ٣٩٥]. المُدَىٰ: جمع مدية، وهى السكين. متكنَّف: محاط محفوظ. والسر هو أن النبى محمداً ﷺ سوف يولد من أصلابهما، فإن نسبه الكريم ينتمى إلى إسماعيل عليه السلام.

(٣٣) سمت: علت. وعدِّى الفعل بنفسه بعد حذف حرف الجر (على).

(٣٤) لم تكسف: لم يغب نورها.

(٣٥) قرم: شهم كريم.

(٣٦) لم يقذف: لم يُتَّهَم بالسوء.

(٣٧) حشا: رَحِم. حَصان: امرأة عفيفة. لم تُزَنَّ: لم تتهم. ريبة: شك.

(٣٨) ربيع الأدنَى: شهر ربيع الأول. ديباجة: بشرة الوجه. المتطوِّف: أراد به عبد المطلب جد النبى ﷺ؛ لأنه كان يطوف حول البيت الحرام يوم مولده. يقول إنه لما ولد النبى ﷺ فى الثانى عشر من ربيع الأول، أشرق وجه جده عبد المطلب وهو يطوف به حول الكعبة.

(٣٩) كان ميلاد النبى ﷺ ومبعثه كلاهما فى يوم الإثنين.

٤٠ - فاسْتَبْشَرَ الأرْضُونَ والسَّبْعُ العُلا ... بجَمَالِ وَجْهٍ بالمحَاسِنِ مُتْحَفِ

٤١ - أهْوَىٰ إلىٰ مَهْدِ البَسيطَةِ ساجِداً ... لِمَنِ اصْطَفاهُ سُجودَ عَبْدٍ مُزْلَفِ

٤٢ - وتَبوَّأَ المَهْدَ الكَريمَ مُحَصَّنًا ... بعَظيمِ جُنْدٍ مِنْ مَلائِكَ عُكَّفِ

٤٣ - وعَرَا شَياطِينَ الفِجَاجِ لِوَضْعِهِ ... رَوْعٌ يُحَيِّرُ كُلَّ غاوٍ مُرْجِفِ

٤٤ - وتَزَلْزَلَ الإيوانُ مُنْشَقًّا وزَا ... لَ التَّاجُ عَنْ كِسْرَىٰ ومَوْقِدُهُ طُفِي

٤٥ - ما زالَ يَنْشأُ فى الجلالَةِ مائِسًا ... بقَوامِهِ السَّامِى ولِينِ المَعْطَفِ

٤٦ - حَتَّىٰ تكَمَّلَ أربَعًا فى مَرْبَعٍ ... بسَنَاهُ أَخْصَبَ بَعْدَ جَدْبٍ مُجْحِفِ

٤٧ - شَرَح الملائِكُ صَدْرَهُ واسْتَخْرَجوا ... مِنْهُ نَصِيبَ الدَّاحِضِ المُتَخَطِّفِ

٤٨ - مَلأوُهُ إيمانًا وحِلْمًا وافِراً ... ورِضًا وحُسْنَ سَكِينَةٍ وتَرَأُّفِ

٤٩ - حَتَّىٰ إذا بَلَغَ الأشُدَّ أَتَىٰ الوَرَىٰ ... بِهُدًى لأثْقالِ الأنَامِ مُخَفِّفِ ٤٧/أ

٥٠ - وَجَلا غَيابَاتِ الضَّلالِ وأوْضَحَ الْـ ... ـحَقَّ المُبينَ فَكانَ خَيرَ مُعَرِّفِ

٥١ - وتأَلَّفَتْ فيهِ المَكارِمُ كُلُّها ... فَلأَجْلِ هَذا كانَ خَيْرَ مُؤَلِّفِ

٥٢ - فجَزَاهُ رَبُّ العَرْشِ عَنْ دِينِ الهُدَىٰ ... ومَنِ اقْتَفَاهُ جَزاءَ رَبٍّ مُزْلِفِ

---

(٤٠) السبع العُلا : السماواتِ السبع . متحف : أتحفه الله بالمحاسن ، أى جمَّله بها .

(٤١) أهوى : سقط ساجداً . البسيطة : الأرض . مزلَف : مقرب من ربِّه عز وجل . يشير فى هذا البيت إلى ما روى عنه ﷺ أنه لمَّا ولد أهوى إلى الأرض ساجداً [انظر : السيرة الحلبية ١ / ٨٠] .

(٤٢) عكَّف : عاكفين عليه يحرسونه .

(٤٣) عرا : أصاب . روعٌ : خوف ورعب . مرجف : كاذب .

(٤٤) الإيوان : إيوان كسرى الذى تصدع يومَ ولادة النبى ﷺ .

(٤٥) مائسا : متمايلاً . المعطف : الجانب، ولين الجانب كناية عن الحِلم واللطف فى معاملة الناس .

(٤٦) سناه : نوره . مجحف : مهلك .

(٤٧) الداحض : الشيطان .

(٤٩) بلغ الأشد : بلغ سن الرشد . الأنام : الناس . وفى (أ) الآثام . والصواب ـ وزنًا ومعنى ـ ما أثبته من (ب) .

(٥٠) جلا : بدَّد . غيابات : ظلمات .

(٥١) تألفت : اجتمعت . خير مؤلف : أى خير جامع بين الناس على الخير .

(٥٢) مزلف : مقرِّب .

٥٣ - يا سَيِّدَ السَّادَاتِ يا مَنْ مَدْحُهُ ... فى نَقْدِ أَهْلِ الفَضْلِ غيرُ مُزَيَّفِ

٥٤ - وإِذَا أبيَّاتُ القَوَافِى شِمْتُها ... مَدْحًا لَهُ انْقَادَتْ بغَيْرِ تَكَلُّفِ

٥٥ - هَذا رَبيعٌ شَهْرُ مَولِدكَ الَّذى ... عَمَّ الفِجَاجَ بنَضْرَةٍ وتَعَرُّفِ

٥٦ - فِيهِ وَصَلْتُ إِلىٰ نَعيمٍ مُؤْذِنٍ ... بِوسَيلَةٍ حُفَّتْ بأَشْرَفِ رَفْرَفِ

٥٧ - فاجْبُرْ بِفَضْلكَ كَسْرَ عَبْدٍ يائسٍ ... قَذَفَت بِهِ الآمَالُ نَحْوكَ يَعْتَفِى

٥٨ - يَرْجُو نَدَاكَ رَجَاءَ عَبْدٍ واثقٍ ... لَحَيَاتِهِ الدُّنْيَا ويَوْمَ المَوْقفِ

٥٩ - وأغِثْ بِعَونكَ أهْلَ قَرْنٍ سابعٍ ... يَخْشَوْنَ كَيْدَ مُعانِدٍ ومُخَوِّفِ

٦٠ - يَرْجُونَ جَاهَكَ إِنَّهُمْ مِنْ أُمَّةٍ ... عَلِقَتْ بِوَعْدٍ مِنْكَ غَيْرِ مُسَوَّفِ

٦١ - فَاسْأَلْ لَهُمْ نَصْرًا نُصِرْتَ بِمثْلِهِ ... بِمُسَوَّمٍ يَوْمَ النزالِ ومُرْدِفِ

٦٢ - أوْ رُعْبِ شَهْرٍ لا يَزالُ مُزَلْزِلاً ... أقْدامَهُمْ أوْ رِيحِ صَرٍّ حَرجَفِ

٦٣ - صَوْنًا لأرْبَابِ الثَّرى أنْ يَبْرُزُوا ... مِنْ بَعْدِ طُولِ صِيَانَةٍ وتَعَفُّفِ

٦٤ - فَلأَنْتَ أَمْنَعُ نَاصِرٍ وأَعزُّ مَا ... جَارٍ لِمُلْتَجِئٍ وأَكْرَمُ مُسْعِفِ

*****

---

(٥٤) أبيَّات : ممتنعات . شمْتُها : أردْتها .

(٥٥) الفجاج : الأماكن . نضْرة : ازدهار . تعرُّف : رائحة طيبة .

(٥٦) مؤذن بكذا : مشعر به مؤدٍّ إليه . حفَّت : أحيطت . رفرف : علم .

(٥٧) يعتفى : يطلب العطاء .

(٥٨) نداك : كرمك .

(٥٩) يشير الصرصرى فى هذا البيت إلى معاناة الأمة الإسلامية فى القرن السابع الهجرى من غزوات الترك والتتر والروم .

(٦٠) علقت : تعلقت آمالها . مسوَّف : مؤجَّل لا ينجز، مشتق من كلمة (سوف) .

(٦١) مسوِّم : معلم بعلامة، يشير إلى قوله تعالى :﴿ **مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ** ﴾ آل عمران / ١٢٥ . النزال : القتال . مردف : راكب خلف الفارس، من قوله تعالى :﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ الأنفال / ٩ .

(٦٢) ريحٍ صر : ريح شديدة البرد، ومثله حرجف .

(٦٣) صونا : حفظًا . أرباب الثرى : الموتى . يقول مخاطبًا النبى ﷺ : اسأل ربك أن ينصر أمتك كما نصرك الله بالملائكة أو بالحجارة أو برعب الأعداء منك على مسافة شهر، أو بريح باردة . . . فقد كاد الموتى أن يخرجوا من قبورهم حسرة على حال الأمة وما آلت إليه من ضعف وهوان .

(٦٤) (ما) فى قوله :« وأعز ما جار » زائدة للتوكيد . مسعف : ناصر معين .

الفائية الثانية

(عدتها ٤٨ - الطويل الثانى)

تبدأ القصيدة باستنزال المطر والدعاء بالسقيا والخصب للديار المباركة وأهلها فرسان الحروب، وغيث الناس فى السلم، ويتمنى الشاعر لو عادت به أيام سلع والعقيق فى جوار الحمى الشريف وساكنه ﷺ . ثم ينتقل إلى مدحه ﷺ وذكر بعض معجزاته وفضله على البشرية، ويختم القصيدة مستشفعًا بجاهه ﷺ ومسلمًا عليه وعلى أصحابه وأتباعه فى كل عصر.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق إلى الديار المباركة وأهلها.
- فى مديح النبى ﷺ .
- دعاء واستغاثة بجاهه ﷺ .
- ثناء على أصحابه وتابعيه فى كل عصر.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَـقَىٰ دَارَها هَامٍ مِنَ المُـزْنِ واكِفُ ... مُـرِبٌّ بأرْجـاءِ المَـعـاهِد عَـاكِفُ

٢ - فَـزَانَتْ ثَراها مِنْ نَسـيجِ رياضِـهـا ... سَـرابيلُ وَشْيٍ فُـوِّفَتْ ومَطارِفُ

٣ - وعَـاقَرَ فـيـهـا الرَّنْدُ كَأْسًا من النَدَىٰ ... وغَنَّتْـهُ وُرْقٌ فى الفُـروعِ هَواتِفُ

٤ - ورَقَّ لَهُ فى آخِـرِ اللَّيْلِ شَـمْـأَلٌ ... فَلانَتْ مِنَ الأغْصَان مِنْهُ المَعَـاطِفُ

٥ - ولا بَرِحَت بَانَاتُهـا فى غَـضَـاضَـةٍ ... يُرَنِّحُـهـا رَوْحُ النَّسِـيمِ المُـلاطِفُ

٦ - وضَـاهىٰ تثَنِّيـهـا قُـدُودَ وَصَـائِفٍ ... عَلَيْـهِنَّ مِنْ خُـضْـرِ المُـلاء مَلاحِفُ

٧ - ولا انْفَكَّ يَحْمِي تِلْكَ صَفْراءُ عَيْطَلٌ ... وأَبْيَضُ صَمْـصَـامٌ وأسْـمَـرُ رَاعِفُ

٨ - بأَيْدِى بَنِى هَيْجاءَ إنْ قِيلَ فى الوَغَىٰ ... نَزالِ، فَـمـا فى القَـوْمِ إلا مُـسَـايِفُ

٩ - عَلَىٰ ضُـمَّـرٍ قُبٍّ عِـتَـاقٍ كَـأنَّهـا ... رِياحٌ إذا اشْـتَـدَّ الهِـيَـاجُ عَـواصِفُ

---

(١) هام: منصبٌّ. المزن: السحاب. واكف: شديد غزير. مُرِبّ: دائم متزايد. المعاهد: المنازل. عاكف: مقيم دائم.

(٢) سرابيل وشى: ملابس منقوشة شبه النبات بها.
فوِّفت: زركشت ونقشت. مطارف: ثياب من الحرير.

(٣) عاقر: شرب. الرند: نبات طيب الرائحة. وُرْق: جمع ورقاء وهى الحمامة.
هواتف: تسجع وتغنى.

(٤) شمأل: ريح الشمال. والضمير فى (له) و(منه) للرند فى البيت السابق.

(٥) لا برحت: دعاء بالدوام. باناتها: أشجار البان. غضاضة: نضرة ونعومة.
يرنِّحها: يجعلها تتمايل تمايل السكران. رَوْح: رقة وطيب.

(٦) ضاهى: شابه. قدود: جمع قدّ، وهو القامة. وصائف: جمع وصيفة، وهى الشابة الحسنة القامة. ملاحف: أغطية.

(٧) لا انفك: دعاء بالدوام. تلك: اسم إشارة إلى ما سبق، أى: تلك الدار المذكورة. صفراء: لعله أراد بها القوس. عيطلٌ: طويلة.
أبيض: سيف لامع. صمصام: قاطع. أسمر: رمح. راعف: سابق سريع الطعن.

(٨) بنى هيجاء: رجال حرب.
نزال: اسم فعل أمر مبنى على الكسر، بمعنى (انزل)، وهى دعوة للمبارزة.
مسايف: مبارز بالسيف.

(٩) ضُمَّر: خيل مضمَّرة، أى مدربة على القتال. قُبّ: دقيقة الخصر ضامرة البطن، وهذا من صفات الخيل القوية المدربة.
الهياج: أراد به شدة القتال. شبه الخيل فى الحرب بالرياح العاصفة.

١٠ - أكُفُّهُمُ فى السِّلْم غَيْثٌ لمُجْتَدٍ ولَكِنَّهـا فى الحَرْبِ بيضٌ خَـواطِفُ
١١ - فـتِلْكَ لَعَمْـرُ اللهِ دَارٌ أَلِفْـتُـها وذُو الوَجْـدِ مَشْغُـوفٌ بما هُوَ آلِفُ
١٢ - قَطَفْتُ بها غُصْنًا من العَيْشِ ذُلِّلَتْ لِقَلْبِى وطَرْفِى مِنْ جَنَاهُ المَقَاطِفُ
١٣ - جَـرَرْتُ ذُيولَ الأمْنِ فى جَنَبَاتِهـا إلىٰ أَنْ كَسانى البَيْنُ ما أنَا خَائِفُ
١٤ - أَحِنُّ إلىٰ ذات السُّتُـورِ وبَيْنَنَا مَـهَـامِـهُ مِنْ وَعْـرِ الفَـلا وتَنَائِفُ
١٥ - فَهَلْ بَعْدَ شَحْطِ النَّأْى لى فى ظلالها مَقِيلٌ لما أَلْقَى مِنَ الضُّرِّ كاشِفُ؟
١٦ - وهَلْ بَيْنَ سَلْعٍ والعَقيقِ تَعودُ لى مَقَامَاتُ صِدْقٍ للرِّضَا ومَواقِفُ
١٧ - مَـوَاقِفُ زُهْرٌ كُنْتُ آنَسْتُ عِنْدَهَا مِنَ الرُّشْـدِ ما قَلْبى به الآنَ عَارِفُ
١٨ - فـأُقْسِمُ لوْ شَارَفْتُها وتَبَيَّنَتْ بلا مِرْيَةٍ تِلْكَ القِبَابُ الشَّرائِفُ
١٩ - لَقَـبَّلْتُ تُرْبًا مِنْ ثَرَاها فإنَّها لأزْكَىٰ تُرابٍ قَبَّلَتْهُ المَرَاشِفُ
٢٠ - فَـثَمَّ مَنارُ الحَقِّ والحُجَّةُ التى تَتِمُّ وبَدْرُ التِّمِّ بالأَمْرِ خَاسِفُ
٢١ - مُحَمَّدٌ المَكْتُوبُ فى القِدَمِ اسْمُهُ ومـا كُتِبَتْ للأنْبِياءِ صَحائِفُ
٢٢ - وأَحْسَنَ رَبُّ العَرْشِ فى الذِّكْرِ وَصْفَهُ فَمَاذا يَقولُ الآنَ فى الشِّعْرِ واصِفُ ؟
٢٣ - تَسَلَّمَهُ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ مُطَهَّرٍ عَفِيفٍ بُطُونٌ طَاهِراتٌ عَفائِفُ

---

(١٠) غيث : مطر . مجتد : طالب جَدًا ، أى عطاء . بيض : سيوف .
خواطف : كأنها تخطف الأرواح .
(١١) لعمر الله : قسم بالله عز وجل .
(١٢) ذللت : سُهِّلت . جناه : ثماره . المقاطف : مواضع القطف .
(١٣) جررت ذيول الأمن : كناية عن تمام الشعور بالأمن . البين : الفراق .
(١٤) ذات الستور : الكعبة المشرفة . مهامه : صحارى واسعة ومثلها الفلا ، والتنائف .
(١٥) شحط : بُعد . مَقيل : راحة .
(١٧) زُهر : حسنة طيبة . وهذا البيت زيادة من (ب) .
(١٨) شارفتها : وصلت إليها . بلا مرية : بلا شك . الشرائف : جمع شريفة .
(١٩) المراشف : جمع مرشف ، وهو موضع الشرب ، أى الشفاه .
(٢٠) ثم : هنا . بدر التمّ : القمر فى اكتماله .
خاسف : منطفئ (من الكسوف) .
(٢٣) طاهرات : فى (أ) : زاهرات ، ولعل ما أثبته من (ب) هو الأصح رواية ، لمشاكلته لفظ (مطهر) فى صدر البيت .

٢٤- بِعَقْدِ نِكاحٍ لا سِفاحٍ فَيَا لَها   أُصُولاً زَكَتْ لَمْ يَنْتَقِصْهُنَّ قارِفُ

٢٥- إِلىٰ أَنْ سَمَتْ أَنْوارُهُ فى قَبِيلَةٍ   لَها شَرَفٌ فى سَالِفِ الدَّهْرِ سَالِفُ

٢٦- وتَمَّ بِخَيْرِ المُرْسَلِينَ فَخارُها   إِذًا فَلَها مَجْدٌ تَلِيدٌ وطَارِفُ

٢٧- فَلِلّٰهِ ما حَازَتْ مِنَ الفَضْلِ، إِذْ إِلىٰ   حُلولِ المَسِيحِ الأَرْضَ مِنْها الخَلائِفُ

٢٨- بَدا فى رَبِيعٍ شَهْرِ مَوْلِدِهِ الرِّضَا   فَكانَ رَبِيعًا رَوْضُهُ الدَّهْرَ آنِفُ

٢٩- ولاحَ بِبُرْجِ السَّعْدِ نُورُ هِلالِهِ   ووَافَتْهُ فى المَهْدِ الشَّرِيفِ اللَّطائِفُ

٣٠- وتَمَّ إِلىٰ أَنْ أَشْرَقَتْ شَمْسُ بَعْثِهِ   فَلَيْسَ لَها حَتَّىٰ القِيامَةِ كاسِفُ ٤٨/أ

٣١- فَأَظْهَرَ ما أَخْفَىٰ الضَّلالُ مِنَ الهُدَىٰ   وبانَتْ بِهِ لِلمُوقِنِينَ مَعارِفُ

٣٢- وأَقْبَلَ وَجْهُ الدِّينِ أَبْلَجَ مُسْفِرًا   وأَدْبَرَ شَيْطانُ الهَوَىٰ المُتَجانِفُ

٣٣- وقَدْ كانَ فى الدُّنْيا غِيَاثًا لأَهْلِها   بِهِ رُفِعَتْ آصَارُها والمَخاوِفُ

٣٤- وفى الحَشْرِ يَأْتِى راكِبًا وبِكَفِّهِ الـ   ـلِّواءُ لَهُ نُورُ الجَلالَةِ كَانِفُ

٣٥- وفِيهِ لَهُ الجَاهُ العَظِيمُ وإِنَّهُ الـ   ـشَّفِيعُ إِذا فَرَّ الحَمِيمُ المُساعِفُ

٣٦- وفِيهِ لَهُ الحَوْضُ الرِّوَى كَاشِفُ الصَّدَىٰ   إِذِ القَلْبُ مِنْ حَرِّ القِيَامَةِ واجِفُ

---

(٢٤) نكاح: زواج. سفاح: زنا. قارف: آثم. وقد أشار الصرصرى إلى هذا المعنى كثيراً، وهو أن النبى ﷺ مولود من نكاح لا سفاح، وذلك فى كل أصوله من آدم عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاة والسلام، إلى عبد الله وآمنة بنت وهب والدى نبينا ﷺ. روى عن النبى ﷺ أنه قال: «ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» [السيرة الحلبية ١ / ٦٥].

(٢٥) سالف (الأولى) : الماضى. والثانية: سابق متقدم.

(٢٦) تليد: قديم. طارف: حديث. والجمع بين التليد والطارف كناية عن عموم المجد وشموله.

(٢٧) الخلائف: الخلفاء يتوارثون الأرض جيلاً بعد جيل.

(٢٨) الدهرَ: منصوب على الظرفية، أى: مدى الدهر. آنف: خبر (روضه) والروض الآنف: الدائم الإنبات والنماء.

(٢٩) اللطائف: المنن الإلهية.

(٣٠) كاسف: مطفئ، أى إن شمس النبوة ستبقى مشرقة لا انطفاء لها إلى يوم القيامة.

(٣٢) أبلج: مشرق واضح، ومثله مسفر. المتجانف: الآثم البعيد عن الحق.

(٣٣) غياثا: رحمة. آصارها: أثقالها وقيودها، جمع إصْر.

(٣٤) كانف: محيط به.

(٣٥) الحميم: القريب. المساعف: المنقذ المخلِّص.

(٣٦) الرِّوى: الملآن الذى يروى الظمأ. الصدى: الظمأ. واجف: مضطرب. وهذا البيت =

٣٧ - وَيُنْزِلُهُ اللهُ الوسيلةَ دُونَها مَراتِبُ أرْبَابِ الرِّضَا والرَّفارِفُ

٣٨ - فَيَا مُصْطَفَىٰ الرَّحْمٰنِ يا مُوضِحَ الهُدَىٰ ولَيْلُ الهَوَىٰ مُسْحَنْفِرٌ مُتَكاثِفُ

٣٩ - ومَنْ أَلَّفَ الدِّينَ الحَنيفَ بِبَعْثِهِ إذا افْتَرَقَتْ للمُبْطِلينَ الطَّوائِفُ

٤٠ - ومَنْ عَنْ كُنُوزِ الأرْضِ أصْبَحَ عَازِفًا وطَاحَتْ – بِتَقْوَاهُ – الطِّلَىٰ والمعَازِفُ

٤١ - ومَنْ بِرَوَاءٍ مِنْ أصابِعِ كَفِّهِ سَقَىٰ جَيْشَهُ الظَّمْآنَ والبَوْمُ صَائِفُ

٤٢ - تَعطَّفْ عَلىٰ ضَعْفِي بِجاهِكَ شَافِعًا إلى مَلِكٍ تُرْجَى لَدَيْهِ العَواطِفُ

٤٣ - فأنتَ شَفِيعٌ لا تُرَدُّ، ومَنْ يَعُذْ بِجاهِكَ لا تُسْرِعْ إليهِ المَتَالِفُ

٤٤ - وأنَّى يَخَافُ الخَطْبَ عَبْدٌ مُؤَمِّلٌ عَلَى بَابِكَ الرَّحْبِ الجَوَانِبِ واقِفُ؟

٤٥ - عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ ما حَنَّ وافِدٌ إلَيْكَ وما آوَىٰ إلىٰ البَيْتِ طائِفُ

٤٦ - وما بَقِيَتْ دَارُ النَّعِيمِ مُجَدَّدًا يُبارِكُ فِيهِ رَبُّنا ويُضاعِفُ

٤٧ - وعَمَّ بأسْنَىٰ الفَضْلِ أصْحابَكَ الأُولَىٰ رَأوْكَ فلَمْ يَصْرِفْهُمُ عَنْكَ صارِفُ

= وتاليه زيادة من (ب).

(٣٧) أرباب: أصحاب. رفارف: رياض أو بُسُط (جمع بساط)، قال الله تعالى في أصحاب الجنة: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ ﴾ الرحمن / ٧٦ . أى بُسُط ووسائد [انظر: تفسير الجلالين، ص ٧٠٩].

(٣٨) فيا مصطفى الرحمن: يا من اصطفاه - أى اختاره - الرحمن. مسحنفر: ممتد.

(٣٩) المبطلين: أصحاب الباطل. يقول: أنت أيها النبى من جمعت الناس على دين الله الحق، بينما أهل الباطل تفرقت بهم الأهواء والملل والضلالات.

(٤٠) عازفًا: منصرفًا. طاحت: هُدمت وقضى عليها. الطِّلى: الخمر. المعازف: ما يعزف عليه من آلات النغم والموسيقا.

(٤١) رواء: وصف لموصوف محذوف تقديره: ماء، أى ماء يَروى الشاربين. صائف: حار من أيام الصيف.

(٤٢) الملك: اسم من أسماء الله الحسنى. العواطف: ما يجلب العطف والرحمة، وأراد بها: الشفاعَة.

(٤٣) يَعُذ: يلجأ ويستغيث. المتالف: ما يتلف ويهلك. وفى (أ): التوالف، وهو خطأ صرفى، والصواب ما أثبته من (ب).

(٤٤) أنَّى: كيف. الخطب: المصيبة، والأمر العظيم. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٤٥) (ما) فى صدر البيت وعجزه ظرفية لبيان المدة. وكذا فى صدر البيت التالى.

(٤٦) دار النعيم: الجنة.

(٤٧) أسنى: أعلى.

٤٨ - وأتْبـاعَـهُـمْ فى كُلِّ عَـصْـرٍ منَ الورَىٰ		فـفِـى كُلِّ وَقْتٍ مِنْهُمُ الدَّهْرَ عَـارِفُ

*****

(٤٨) الدهرَ: منصوب على الظرفية، أى: أبَدَ الدَّهر.

قافية القاف

تضم هذه القافية ثلاث قصائد، الأولى متوسطة الطول ، والثانية قصيرة من (١٩) تسعة عشر بيتًا، والثالثة طويلة.

القافيَّة الأولى

(عدتها ٣٥ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بالنسيب وشرح أشواق الشاعر نحو أرض الحجاز ومنى والخيف وسائر الأماكن المعظمة، والدعاء لها بالسقيا والخصب حتى تترنح الأغصان ويشدو الحمام، ثم يُحمِّل ركب الحجاز رسالة شوق إلى الكعبة المشرفة ومن حلَّ بأرض الحمى، ثم يدخل إلى مدح ساكنه الكريم ﷺ، الذى ألَّف بين القلوب وجلا ظلمات الضلال، وبلغ قمة الحسن خَلْقًا وخُلُقًا، ثم يتوسل به إلى الله أن يجلو كربه ويكشف عنه خطوب زمن صعب صار أهله فيه شيعًا حتى تمنَّى التقيُّ الموتَ فرارًا من فتنه ومهالكه.

والقصيدة تتضمن العناصر الآتية :

- فى حب الديار المقدسة.
- رسالة شوق وحب إلى الحمى الطاهر.
- فى مديح النبى ﷺ.
- توسل ودعاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أبارِقٌ عَنَّ بالجَرْعَاءِ يَأْتَلِقُ ... أمِ الأَسِنَّةُ حَوْلَ الحَيِّ تَحْتَدِقُ

٢ - أَمِ المُحِبُّ دَعاه نَحْوَ كَاظِمَةٍ ... دَاعي الهَوَىٰ فَحَدَتْ أنْفَاسَهُ الحُرَقُ

٣ - سَقَىٰ العُذَيْبَ ونَجْداً والحِجازَ جَداً ... يَحيَا بهِ الأقْحُوانُ الأَبْيَضُ اليَقَقُ

٤ - وعَاجَ نَحْوَ مِنَىٰ والخَيْفِ وانْبَجَسَتْ ... بِأرْضِ نَعْمانَ مُزْنٌ ما وَهِيَ غَدِقُ

٥ - وصَبَّحَتْ ساحَةَ البَطْحاءِ سَارِيَةٌ ... لَهَا اصْطِباحٌ بِرَيَّاهَا ومُغْتَبَقُ ٤٨ /ب

٦ - وباكَرتْ جَنَباتِ الخَيْمَتَيْنِ إلَىٰ ... وَادِى العَقِيقِ وسَلْعٍ مُزْنَةٌ تَدِقُ

٧ - فَغادَرَتْ عَذَبات البَانِ مائسةً ... يَشْدُو بها الوُرْقُ حَتَّى يَطْرَبَ الوَرَقُ

٨ - ورَنَّحَتْ دَوْحَها رِيحُ الصَّبَا سَحَراً ... حَتَّىٰ تَخالَ بِها الأغْصانَ تَعْتَنِقُ

٩ - باللهِ يا حَادِيَيْ رَكْبِ الحِجازِ خُذَا ... عَنِّي رَسائِلَ شَوْقٌ بَثَّها الأَرَقُ

١٠ - فَأدِّيَاها إلىٰ ذَاتِ السُّتُورِ ومَنْ ... حَلَّ الحِمَىٰ فَلِقَلْبِي بالحِمىٰ عَلَقُ

١١ - وإنْ دَنَتْ مِنْ حِمَىٰ سَلْعٍ مَطِيُّكُمَا ... فأصْبَحَتْ بِمُناخٍ نَشْرُهُ عَبِقُ

---

(١) بارق : بَرْق لامع . عَنَّ : ظهر . يأتلق : يلمع بالضوء . الأسنَّة : جمع سنان، وهو حد السيف . تحتدق : تحيط .

(٢) كاظمة : بلد في الطريق بين البصرة ومكة المكرمة، بينها وبين البصرة مسيرة ثلاثة أيام . حَدَت : بعثت . الحُرَق : جمع حرقة، وهي ما يجد العاشق من الشوق .

(٣) جدا : مطر . وفي النبهانية (حيا) وهو المطر أيضاً . الأقحوان : نبت له زهر أبيض . اليقق : شديد البياض .

(٤) عاج : مال ومرَّ . الخَيْف : بفتح الخاء وسكون الياء هو المحصَّب، أي موضع رمي الجمار في منى [معجم البلدان ٢ / ٤٧١] . انبجست : انفجرت . غدق : كثير .

(٥) سارية : سحابة . الاصطباح : الشرب في الصباح، ومغتبَق : مصدر ميمي بمعنى الاغتباق وهو الشرب آخر النهار . ريَّاها : ماؤها الذي يروي، وفي النبهانية : بمغناها .

(٦) باكرت : جاءت بكرة، أي في الصباح الباكر . الخيمتين : ذات الخيمتين : موضع قرب المدينة المنورة [معجم البلدان ٤٧٣] .
مزنة : سحابة، وهي فاعل (باكرت) . تدق : تمطر مطراً غزيراً .

(٧) عذبات البان : أغصانه . مائسة : تتمايل وتهتز طرباً . الوُرْق : الحمائم . الورق : ورق النبات .

(٨) رنَّحت : جعلته يترنَّح، أي يهتز ويتمايل كالسكران . دوحها : أشجارها الضخمة . سحراً : في وقت السحر . تخال : تظن . تعتنق : تتعانق .

(٩) يا حاديي : يا سائقي . الأرق : السهر . (١٠) عَلَق : تعلُّق وحب .

(١١) مُنَاخ : موضع إناخة الإبل حيث تستريح . نشره : رائحته الطيبة . عبق : عطرٌ فوَّاح .

١٢ - فَبَلِّغَا مِنْ تَحِيَّاتِى أطَايِبَهَا ... رَبْعًا بأرْجائه الأنْوارُ تَخْتَرِقُ

١٣ - رَبْعًا بطَيْبَةَ أضْحَىٰ للوَرَىٰ لَجَأً ... يَأتِيه مِنْ كُلِّ فَجٍّ غَامِضٍ عُنُقُ

١٤ - مَا أَمَّهُ الرَّكْبُ إلاَّ والقُلوبُ عَلىٰ ... آثارِهِ مِنْ ذَوِى الأشْواقِ تَسْتَبِقُ

١٥ - حَثُّ الرَّكائبِ مَشروعٌ إلَيْهِ وَلَوْ ... أنْضَىٰ ظُهُورَ المَطِىِّ النَّصُّ والعَنَقُ

١٦ - وكَيْفَ لا تُقْطَعُ البِيدُ القِفارُ إلىٰ ... هَادٍ بأنْوارِهِ ضَاءَتْ لَنا الطُرُقُ

١٧ - مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الرَّحْمٰنِ أَرْسَلَهُ ... إلىٰ أعارِيبَ وارَى حِلْمَها الخَرَقُ

١٨ - تَفَرَّقَتْ سُبُلُ الكُفْرِ المُبِينِ بِها ... لَكِنَّها فى جُحُودِ الحَقِّ تَتَّفِقُ

١٩ - أَتَىٰ يُبَشِّرُها طَوْرًا ويُنْذِرُها ... طَوْرًا، وطورًا لَها مِنْ بأسِهِ فَرَقُ

٢٠ - حَتَّىٰ انْجَلىٰ بِسَنَا أنْوارِ مِلَّتِهِ ... عَنْها ظَلامُ ضَلالٍ دُونَهُ الغَسَقُ

٢١ - وأَلَّفَ اللهُ مَا بَيْنَ القُلوبِ بِهِ ... وزالَ عَنْها بِهِ البَغْضَاءُ والحَنَقُ

٢٢ - وإنَّهُ لَنَذِيرُ الإنْسِ قَاطِبَةً ... والجِنِّ خُصَّ بِها دُونَ الأُلَى سَبَقُوا

٢٣ - تَسَنَّمَ الذُرْوَةَ العَلْيَاءَ ثُمَّ حَوَىٰ ... كُلَّ المَحاسِنِ مِنْهُ: الخَلْقُ والخُلُقُ

٢٤ - لَقَدْ كَسا اللهُ مَعْناهُ وصُورَتَهُ ... حَدائِقَ الحُسْنِ يَسْمُو نَحْوَها الحَدَقُ

---

(١٣) ربعًا: بدل من (ربعًا) فى عجز البيت السابق. لجأً: ملجأً آمنًا. فج: طريق. غامض: ليس به أعلام تهدى السائرين. عُنُق: جماعات من الناس.

(١٤) أمَّه: قصده.

(١٥) الحث: الإسراع فى السير. أنضى: أهزل وأرهق. النص والعنق: كلاهما السير السريع. وفى (أ): حُثَّ الركائب من عرضٍ إليه ولو... وما أثبته من النبهانية.

(١٦) البيد: الصحارى، جمع بَيْداء. ضاءت: أضاءت.

(١٧) صفوة الرحمن: الذى اصطفاه - أى اختاره وفضله - الله عز وجل. وارى: ستر وغطَّى. حلمها: عقلها. الخَرَق والخُرُق: الجهل والحماقة.

(١٨) سبل: طرق. والضمير فى (بها) عائد على (أعاريب) فى عجز البيت السابق. يقول: أرسله الله إلى قبائل العرب وقد تفرقت بهم سبل الضلال، لكنهم اتفقوا على جحود الحق.

(١٩) طوراً: مرة. بأسه: شدته. فَرَق: رعب وفزع.

(٢٠) انجلى: انكشف وزال. الغسق: ظلمة أول الليل. (٢١) الحنق: الغضب والحقد.

(٢٢) قاطبة: جميعًا. الأُلَىٰ: الذين. يقول إن عمومية رسالة سيدنا محمد ﷺ وكونه مرسلاً لجميع الإنس والجن - خاصٌّ به ﷺ دون السابقين من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢٣) تسنَّم: ارتقى. الذروة: القمة. الخَلْق: الصورة والهيئة، والخُلُق: الأخلاق.

(٢٤) الحدق: العيون. وهذا البيت وما بعده تفصيل لما أجمله فى البيت السابق فى قوله: ثم حوى كلَّ المحاسن منه الخَلْقُ والخُلُق.

٢٥ - كَــأَنَّ دِيبــاجَــتَــيْــهِ رَوْضَــةٌ أُنُفٌ   والطَّلُّ مِنْ فَــوْقِــهــا كَــاللؤْلؤِ العَــرَقُ

٢٦ - مُـــهَـــذَّبٌ لَفْظُهُ كَـــأنَّ مَنْطِقَـــهُ   عِقْدٌ منَ الدُّرِّ فَوْقَ الجِيدِ مُتَّسِقُ ٤٩ /أ

٢٧ - وكَــفُّــه لا يُضــاهِي جُــودَها بَشَــرٌ   أنَّى ومِنْهــا نَمِــيــرُ المــاءِ مُنْدَفِقُ؟

٢٨ - وبأسُـــهُ لا تُجــارِيهِ الكُمَــاةُ، أمــا   ظَلَّتْ بإِيمـــائِه الأصْنامُ تَصطَفِقُ؟

٢٩ - وهْوَ الحَلِيمُ أَلَمْ يَصْــفَحْ عَلَى ظَفَــرٍ   عَــمَّا جَنَاهُ الخَبِيثُ السَّاحِــرُ النَّزِقُ

٣٠ - والعَدْلُ فى الخَصْمِ والأَصْحابِ سِيرَتُهُ   لا يَعْــتَــرِى حُكْمَــهُ بَخْسٌ ولا رَهَقُ

٣١ - يا مَنْ خَــصــائِصُــهُ لَمْ يُؤْتَهــا أَحَــدٌ   وفِــيــه مـا فى الكِرامِ الزُّهْرِ مُــفْــتَــرِقُ

٣٢ - يا مَنْ إذا نَالَنِى ضَــيْــمٌ وضِــقْتُ بِهِ   ذَرْعًــا فَــقَلْبِى بِهِ فى كَــشْــفِــه يَثِقُ

٣٣ - لَمْ يُبْقِ ذا الوَقْتُ فى جِسْمِى سِوَىٰ رَمَقٍ   فــامْنُنْ عَلَىَّ بِمــا يَحْــيَــا بِهِ الرَّمَقُ

٣٤ - فــإِنَّنِى فى زَمـــانٍ أَهْلُهُ شِــيَــعٌ   وَدَّ التَّــقِىُّ بِهِ لو مَــسَّـــهُ نَفَقُ

٣٥ - فــلا تَذَرْنِى نَهْــبًــا للْخُطوبِ بِهِ   فــإِنَّنِى بِكَ - بَعــدَ اللهِ - أعْــتَلِقُ

*****

---

(٢٥) ديباجتيه: خدَّيه. أنف: ناضرة مزدهرة دائمة الخضرة. يقول: كأن خديه ﷺ والعرق يعلوهما، كروضة زاهرة يعلوها الندى الأبيض كاللؤلؤ.

(٢٦) متسق: منتظم.

(٢٧) أنَّى: كيف. نمير الماء: العذب الصافى.

(٢٨) الكماة: الفرسان الشجعان. بإيمائه: بإشارته. تصطفق: تتصادم فى تساقطها.

(٢٩) يصفح: يعفو. على ظفر: مع ظفره ونصره على عدوه. النزق: السفيه الطائش، وهو اليهودى الذى سحر النبى ﷺ، ثم عفا عنه النبى ﷺ.

(٣٠) لا يعترى: لا يصيب. بخس: نقص. رهق: ظلم.

(٣١) الزهر: البيض، أى الكرام، وهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(٣٢) ضيم: ظلم. ضقت به ذرعا: لم أستطع احتماله والصبر عليه.

(٣٣) الرمق: بقية الروح. امنن علىَّ: تكرَّم. يقول: إن هذا الزمان الصعب لم يبق لى سوى بقية الروح، فأنعم علىّ بما تحيا به روحى.

(٣٤) شيع: جماعات متفرقة. نَفق: موت. وفى النبهانية: ودَّ التقىُّ به لو ضَمَّه نفق، وفسر النفق بالسرداب تحت الأرض.

(٣٥) لا تذرنى: لا تتركنى. نهبًا: هدفًا معرَّضًا لها. الخطوب: المحن. أعتلق: أتعلق وأتمسك.

القافيَّة الثانية

(عدتها ١٩ ـ الوافر الأول)

هذه القصيدة زفرة حنين وآهة ملتاعة شوقًا إلى أرض الحمى، تصوِّر عاشقًا بالعراق جسدُه وبالحجاز روحُه، يهتز وجداً كلما ذكر العقيق وسلع والحجاز، تلك البقاع التى شهدت رسول الإنسانية محمداً ﷺ .

وتحتوى القصيدة على عنصرين :

- فى الحنين والشوق إلى الربوع الطاهرة.
- فى مديح النبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - دُمُوعَ العَيْنِ مَوْعِدُكِ الفِراقُ ... هُنالِكَ ما خَزَنْتِ أسًى يُراقُ

٢ - وما رِفْقُ المُتَيَّمِ يَوْمَ بَيْنٍ ... بِأدْمُعِهِ وقَدْ سَارَ الرِّفاقُ؟!

٣ - أيَا رَكْبَ الحِجازِ – هُدِيتَ – رِفْقًا ... بِقَلْبٍ هائِمٍ مَعَكُمْ يُساقُ!

٤ - عَجِبْتُ لَه يَحِلُّ بِذاتِ عِرْقٍ ... بِهِمَّتِهِ، ومَنْزِلُهُ العِراقُ

٥ - ويَسْكُنَ أرْضَ نَعْمانَ اشْتِياقًا ... ولَمْ تَشْعُرْ بِمَسْراهُ النِّيَاقُ

٦ - فَيَا لَيْلاتِ خَيْفِ مِنَىٰ أتُقْضَىٰ ... مَآرِبُ فى ظِلالِكِ أمْ تُعاقُ؟

٧ - ويَا بَطْحاءَ مَكَّةَ هَلْ سَبِيلٌ ... إلىٰ وَصْلٍ يَلَذُّ بِهِ المَذاقُ؟

٨ - وهَلْ رَدٌّ إلىٰ أعْلامِ سَلْعٍ ... لِصَبٍّ لا يُزايِلُهُ اشْتِياقُ؟

٩ - طَلِيقٍ جَفْنُهُ سَهَرًا ودَمْعًا ... أسِيرٍ لا يُفَكُّ لهُ وَثاقُ

١٠ - جَلِيدٍ لا يُطِيقُ الصَّبْرَ ضَعْفًا ... ويَحْمِلُ فى الهَوَىٰ ما لا يُطاقُ

١١ - يُجِيبُ دَواعِيَ الأشْجانِ طَوْعًا ... وعَنْ حُكْمِ السُّلُوِّ لَهُ إباقُ ٤٩/ب

١٢ - يُجَنُّ إذا تَألَّقَ وَمْضُ بَرْقٍ ... وإنْ هَتَفَ الحَمَامُ ضُحًى يُشاقُ

١٣ - إذا ذُكِرَ الحِمَىٰ يَهْتَزُّ وَجْدًا ... كَما تَهْتَزُّ مُرْهَفَةٌ رِقاقُ

---

(١) دموع العين: منادى حذفت أداته. يراق: يسكب.

(٢) المتيم: العاشق. بَيْن: فراق. و(ما) فى أول البيت: استفهامية يراد بها التعجب، يتعجب من العاشق كيف يملك أدمعه وقد فارق أحبته بينما سار رفاقه قاصدين الأحبة.

(٤) ذات عرق: ميقات أهل العراق. يتعجب ممن يقيم بروحه وقلبه فى ذات عرق [وهى الحد بين نجد وتهامة، انظر معجم البلدان ٤ / ١٢١] بينما هو مقيم بجسده فى العراق، وذلك لحنينه إلى زيارة البقاع الشريفة.

(٥) مسراه: مسيره. النياق: جمع ناقة.

(٦) مآرب: حاجات.

(٨) رد: رجوع، وفى النبهانية: عَوْد، وهما بمعنى. أعلام سلع: جبالها. صب: عاشق. لا يزايله: لا يفارقه.

(٩) طليق جفنه: كثير البكاء. وثاق: قيد.

(١٠) جليد: صبور.

(١١) السُّلُوّ: النسيان. إباق: فرار.

(١٢) تألق: لمع. ومض: ضوء.

(١٣) وجدا: حبا وشوقا. مرهفة رقاق: سيوف لامعة.

١٤ - وإنْ ذُكِـرَ العَـقِـيقُ فَـثَـمَّ أضْـحَىٰ ... جِـمَـاعُ الحُـبِّ لَيسَ لهُ افْـتِـراقُ

١٥ - بِمَنْ كُـسِـيَتْ به الأرْضُـونَ فَـخْـرًا ... ومَنْ شَـرُفَتْ به السَّـبْعُ الطِّبَـاقُ

١٦ - دَعَــاهُ جِـبْـرِئيلُ إلىٰ ذُراهَا ... فَطافَ بِهـا ومَـرْكَـبُـهُ البُـراقُ

١٧ - فَـصَـارَ إلَىٰ مَـقَـامـاتٍ عِظَامٍ ... يُرَىٰ للنُّورِ فـيـهِـنَّ اخْـتِـراقُ

١٨ - بِهَـا لَوْ جِـبْـرَئيلُ دَنَا لأَوْدَىٰ ... به مِنْ تِلْكُمُ الحُـجُبِ احْـتِـراقُ

١٩ - فَـيَـا لَكِ حَلْبَـةً لِلسَّـبْقِ بَذَّتْ ... فَـأعْـجَـزَ مَنْ يُحَـاوِلُهـا اللِّحَـاقُ!

*****

---

(١٤) ثَمَّ: عندئذ. وجاء هذا البيت قبل السابق فى النبهانية.

(١٥) السبع الطباق: السماوات السبع.

(١٨) أودى به: أهلكه. يقول إن النبى ﷺ عرج في ليلة معراجه إلى السماوات العُلىٰ، ثم إلى سدرة المنتهى، ثم علا حتى تجاوز جبريل وصعد إلى درجات لا يستطيع جبريل عليه السلام أن يرتقى إليها، وإلا أهلكته الحجب. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(١٩) حلبة السبق: ميدان السباق، وأراد به ما خُصَّ به سيدنا محمد ﷺ من مكارم فاقت ما أكرم الله عز وجل به عباده. بذت: غلبت وفاقت.

القافيّة الثالثة

(عدتها ٦١ ـ السريع الأول)

مناجاة طويلة للمحبوب ﷺ، وشرح للأشواق والحب الخالص لشخصه الكريم، ولكل من يقيم فى حماه، ولتلك الربوع الطاهرة التى شرفها بالخطو فوقها، واستعادة للذكريات التى عاشها الشاعر فى تلك الديار الطاهرة، وأمنيات العودة إليها وإلى حمى النبى الكريم ﷺ.

ثم ينتقل بنا إلى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومحاسنه ومعجزاته، وينهى القصيدة بالتوسل والاستغاثة بجاهه العظيم أن يجيره من خطوب الزمان، وأن يستنقذه من أحزانه ولوعته فى البعد عن حماه، وأن يسأل له الله عز وجل أن يفسح له قبره وأن يفيض عليه من رحمته يوم القيامة.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- فى مناجاة المحبوب ﷺ.
- ذكريات فى الربوع المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- توسل واستغاثة بجاهه العظيم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لَوْلا شَذًا مِنْ نَحْوِكُمْ يُنْشَقُ ... مَا حَنَّ نَحْوَ المُتْهِم المُعْرِقُ

٢ - ولا صَبَا فى الصُّبْحِ نَحْوَ الصَّبَا ... ولا أثَارَتْ شَجْوَهُ الأيْنُقُ

٣ - مَا لِرُبوعٍ بَعْدَكُمْ بَهْجَةٌ ... ولا لِرَوْضٍ نَاضِرٍ رَوْنَقُ

٤ - أنْتُمْ مَعَانِيها فإنْ غِبْتُمُ ... فَلَيْسَ فِيها حَسَنٌ يُرْمَقُ

٥ - لَوْلاكُمُ مَا هَاجَنِى بَارِقٌ ... ولا شَجَانِى بالحِمَىٰ أبْرَقُ

٦ - ولا لَوَىٰ لِى عُنُقًا فى الهَوَىٰ ... عِيسٌ إذا جَدَّ السُّرَى تُعْنِقُ

٧ - مَا عَرَّضَ الحَادِى بذِكْرَاكُمُ ... إلاَّ وسَمْعِى نَحْوَهُ يَسْبِقُ

٨ - ولا سَرَىٰ رَكْبٌ إلىٰ أرْضِكُمْ ... إلاَّ تَلاهُ قَلْبِىَ الشَّيِّقُ

٩ - فُكُّوا أسِيرًا لَكُمُ مُوثَقًا ... عَلَيْهِ فى حِفْظِ الهَوَىٰ مَوْثِقُ

١٠ - فُؤادُهُ قَيَّدَهُ حُبُّكُمْ ... وجِسْمُهُ بَيْنَ الوَرَىٰ مُطْلَقُ

١١ - قَدْ كُنْتُ مِنْ قَبْلِ النَّوىٰ إنْ جَرىٰ ... فِرَاقُكُمْ فى خَاطِرِى أفْرَقُ

١٢ - وكُنْتُمُ نُصْبًا لِعَيْنِى فَهلْ ... طَيْفُ خَيَالٍ مِنْكُمُ يَطْرُقُ؟!

١٣ - أحْبَبْتُكُمْ طِفْلاً وقدْ أخْلَقَتْ ... شَبِيبَتى والوُدُّ لا يَخْلَقُ ٥٠/أ

---

(١) شذا: رائحة طيبة. ينشق: يُشَمّ. المتهم: السائر إلى تهامة. المعرق: السائر إلى العراق.
(٢) صبا: مال واشتاق. الصَّبا: ريح القبول. شجوه: حنينه وشوقه. الأينقُ: جمع ناقة، وقصد بها الإبل المتوجهة لزيارة البيت الحرام.
(٣) رونق: بهجة وجمال.
(٤) يُرْمَق: ينظر إليه.
(٥) هاجنى: حرَّك مشاعرى. شجانى: أحزننى. بارق: برق. الأبرق: الأرض التى اختلطت فيها الرمال بالحجارة.
(٦) عيس: إبل بيضاء. جدَّ: اشتد. تعنق: تسير مسرعة.
(٧) عرَّض: ذكر بطريقة غير مباشرة.
(٨) تلاه: تبعه. الشيِّق: المشتاق.
(٩) موثقًا: مشدودًا مقيدًا بالحبال. مَوْثق: عهد.
(١٠) وجسمه: كذا فى النبهانية وهو الأليق بالمعنى، وفى (أ): وحبه.
(١١) النَّوَى: الفراق. أفرق: أفزع وأخاف.
(١٢) نصبًا لعينى: ماثلاً أمام العين تراه دائمًا. يطرق: يزور.
(١٣) أخلقت: بليت. شبيبتى: شبابى.

١٤ - أنَّىٰ أَشُوبَ الآنَ صَفْوَ الهَوَىٰ ... وعَارِضِى قَدْ شَابَ والمَفْرِقُ؟!

١٥ - يَلِيقُ بِى صَبْرِى عَلَىٰ حُكْمِكُمْ ... ولٰكِنِ العَطْفُ بِكُمْ ألْيَقُ

١٦ - هَلْ عَائِدٌ لِى - والمُنَىٰ ضِلَّةٌ - ... ظِلٌّ وَوِرْدٌ سَائِغٌ رَيِّقُ؟

١٧ - بِأَرْضِ نُعْمَانَ وَوادِى مِنىٰ ... والخَيْفِ، لَوْ أنَّ المُنَىٰ تَصْدُقُ !

١٨ - وهَلْ بِذاكَ الشِّعْبِ لِى وَقْفَةٌ ... فى حَرَمٍ أنْوارُهُ تُشْرِقُ

١٩ - ورَبَّةُ السِّتْرِ لَنَا مُجْتَلًى ... وَعُودُ وَصْلِى مُثْمِرٌ مُورِقُ

٢٠ - وأكْثَرُ الآمالِ لَوْ ضَمَّنِى ... بِسَفْحِ سَلْعٍ مَرْبَعٌ مُونِقُ

٢١ - فَبِالقِبَابِ البِيضِ لِى مَطْلَبٌ ... عَرْفُ الرِّضَا مِنْ تُرْبِهِ يُنْشَقُ

٢٢ - مُحَجَّبٌ بالعِزِّ لا بالظُّبَا ... بِهِ سَناهُ لا القَنَا تُحْدِقُ

٢٣ - تَقْطَعُ بالأشْواقِ أرْواحُنَا ... إلَيْهِ مَا لا تَقْطَعُ السُّبَّقُ

٢٤ - حازَ كُنُوزَ الفَضْلِ بالمُصْطَفَىٰ ... ذاكَ الجَنابُ العَطِرُ المُشْرِقُ

٢٥ - وكُلُّ فَجٍّ أرِجٍ بالتُّقَىٰ ... فإنَّه مِنْ طِيبِهِ يَعْبَقُ

٢٦ - مُحَمَّدٌ فاتِحُ بابِ الهُدَىٰ ... فَهْوَ - إلىٰ المِيقاتِ - لا يُغْلَقُ

---

(١٤) أشوب: أعكرّ. عارضى: خدى. المفرق: حيث يفرق الشعر. يقول: كيف أعكِّر صفو حبى لكم الآن وقد شاب شعرى؟ وأنا الذى حفظت حبكم وتعلقته منذ طفولتى؟! فهو استفهام غرضه النفى.

(١٦) المنى: الأمنيات. ضلة: ضلال. ريِّق: رائق حسن. يقول: هل تعود لى تلك الذكريات الجميلة فى أرض ظلها ممدود وماؤها عذب سائغ للشاربين؟ وجملة: والمنى ضلة، اعتراضية، كأنه يقول إن هذه الأمنيات تقود إلى الضلال.

(١٧) بأرض نعمان: متعلق بـ (عائد) أى: هل عائد لى ذلك الزمان الطيب بأرض نعمان و... إلخ.

(١٩) مجتلى: موضع نظر.

(٢٠) مونق: معجب بحسنه يروق للناظرين..

(٢١) عرف: رائحة طيبة.

(٢٢) الظبا: السيوف. سناه: ضوؤه. القنا: الرماح. تحدق: تحيط.

(٢٣) السُّبَّق: الركائب السراع. يقول: إن أرواحنا تقطع من المسافة ما لا تستطيع قطعه الركائب المسرعة.

(٢٥) فَجّ: طريق. أرج: عَطِر. يعبق: تفوح له رائحة طيبة.

(٢٦) الميقات: يوم القيامة.

٢٧ ـ أتَىٰ بِدينٍ قَيِّمٍ واضِحٍ　　　بَيْنَ الضَّلالِ والهُدَىٰ يَفْرُقُ

٢٨ ـ يَنْمِي ويَزْدَادُ ودِينُ الهُدَىٰ　　　أَئِمَّةُ الزَّيْغِ بِهِ تُمْحَقُ

٢٩ ـ كَذلِكَ الحَقُّ إِذَا مَا عَلا　　　عَلَىٰ مُحالٍ بَاطِلٍ يَزْهَقُ

٣٠ ـ طَوَىٰ الطِّباقَ السَّبْعَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ　　　إِلَىٰ مَدًى لِلسَّبْقِ لا يُلْحَقُ

٣١ ـ قَامَ مَقامًا لَوْ دَنَا غَيْرُهُ　　　مِنْهُ لأضْحَىٰ ـ بالسَّنَا ـ يُحْرَقُ

٣٢ ـ وعَادَ لَيْلاً وَأَسَارِيرُهُ　　　بِنَضْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ تَبْرُقُ

٣٣ ـ يا وَيْلَ مَنْ كَذَّبَهُ بَعْدَ مَا　　　كَانَ أَمِينًا فِيهِمُ يَصْدُقُ

٣٤ ـ لَوْ لَمْ يَقُلْ: إِنِّي رَسُولٌ، أَمَا　　　شَاهِدُهُ فِي وَجْهِهِ يَنْطِقُ ؟! ٥٠/ب

٣٥ ـ سُبْحَانَ مَنْ صَوَّرَهُ صُورَةً　　　أَكْمَلَ مَعْناها الَّذِي يَخْلُقُ

٣٦ ـ كَأَنَّ فَاهُ ـ بَاسِمًا ناطِقًا　　　ـ بِجَوْهَرِ الغَائِصِ مُسْتَحْدَقُ

٣٧ ـ فَالشَّفَةُ اليَاقُوتُ واللُّؤْلُؤُ الـ　　　ـرَّطْبُ الثَّمِينُ الثَّغْرُ والمَنْطِقُ

٣٨ ـ جَبِينُهُ الصُّبحُ ومِنْ فَوْقِهِ الْـ　　　ـفَرْعُ الدُّجَىٰ، والفَلَكُ المَفْرِقُ

٣٩ ـ كَأَنَّمَا قَدْ صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ　　　بَنَانُهُ والكَفُّ والمِرْفَقُ

٤٠ ـ مُخَصَّصٌ بالخُلُقِ المُرْتَضَىٰ　　　سَمْحٌ حَلِيمٌ خَاشِعٌ مُشْفِقُ

٤١ ـ يَسْمُو ويَعْلُوهُ بَهَاءٌ إِذَا　　　مَا قَالَ، والتَّوْقِيرُ إِذْ يُطْرِقُ

٤٢ ـ كَانَ عَلَىٰ الأعْداءِ ذا قُوَّةٍ　　　وبِالَّذِي يَبْغِي الهُدَى يَرْفُقُ

---

(٢٨) ينمي : يزيد . الزيغ : الضلال . تمحق : تُمحَى . وفى (أ) ودين العدا، وهو تصحيف، والصواب من النبهانية .

(٢٩) يزهق : يزول .

(٣٠) الطباق السبع : السماوات السبع .

(٣٢) أساريره : خطوط وجهه وملامحه . نضرة : حُسْن .

(٣٦) بجوهر الغائص : اللآلئ التى يبحث عنها الغواص . مستحدق : محاط . يصف كلام النبى ﷺ باللآلئ الثمينة .

(٣٨) الفرع : الشعر . الدجى : الظلام .

(٣٩) بنانه : أطراف أصابعه .

(٤٠) مخصص : فى (أ) : وخصَّه . والتصويب من النبهانية .

(٤١) بهاء : جمال وحسن . يطرق : يخفض رأسه، والمراد : عندما لا يتكلم . وهذا البيت زيادة من النبهانية .

٤٣ - في صُلْبِ نُوحٍ كانَ مُسْتَوْدَعًا فَهْوَ علىٰ الآذِيِّ لا يَغْرَقُ

٤٤ - وصُلْبُ إبراهيمَ مِنْ أجْلِهِ لَهُ ضِرامُ النَّارِ لا يُحْرِقُ

٤٥ - وكانَ مِنْ مُعْجِزِهِ أنْ غَدَا ماءٌ روًى مِنْ كَفِّهِ يَدْفُقُ

٤٦ - كَمَا حَوَىٰ كَفَّاهُ تَمْرًا بهِ أشْبَعَ جَيْشًا ضَمَّهُ الخَنْدَقُ

٤٧ - ومِزْوَدُ الدَّوْسِيِّ فَاعْجَبْ لَهُ إذْ زُوِّدَتْ مِنْ تَمْرِهِ الأوْسُقُ

٤٨ - فُرْسانُهُ أخْنَتْ علىٰ فَارِسٍ فَزَالَ عَنْها التَّاجُ والمِنْطَقُ

٤٩ - وجاهُهُ مُتَّصِلٌ بَعْدَمَا يُصْعَقُ بالنَّفْخَةِ مَنْ يُصْعَقُ

٥٠ - غَداً لَهُ الحَوْضُ وفي كَفِّهِ لواءُ حَمْدٍ شَامِلٌ يَخْفِقُ

٥١ - وهْوَ شَفِيعٌ مُنْقِذٌ في غَدٍ مَنْ بالخَطَايَا في لَظًى مُوثَقُ

٥٢ - يا مَنْ لَهُ في مَنْقَبَاتِ العُلا وفي البَرَايَا نَسَبٌ مُعْرِقُ

٥٣ - ويَعْرِفُ المُخْضَرُّ آثارَهُ ومَغْرِبُ الغَبْراءِ والمَشْرِقُ

---

(٤٣) الآذي: الموج.

(٤٤) ضرام النار: جمرها ولهيبها.

(٤٧) المزود: كيس يوضع فيه التمر ونحوه. الدَّوسي: أبو هريرة ﷺ. الأوسق: جمع وسق، وهو ستون صاعًا أي نحو مائة قدح. يشير إلى ما رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما عن أبي هريرة قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات [وفي بعض الروايات ذكر أن عدد هذا التمر إحدى وعشرون تمرة] فدعا النبي ﷺ في هذا التمر، ثم قال لأبي هريرة: ادعُ عشرةً، فأكلوا حتى شبعوا، ثم كذلك حتى أكل الجيش كله وبقي في المزود من هذا التمر. قال أبو هريرة: فأكلت منه حياة النبي ﷺ، وأكلت منه حياة أبي بكر كلها، وأكلت منه حياة عمر كلها، وأكلت منه حياة عثمان كلها، فلما قتل عثمان نُهبَ ما في بيتي، ونهب المزود. وجاء في بعض الروايات أن أبا هريرة أخرج من هذا التمر خمسين وسقًا في سبيل الله [انظر: دلائل البيهقي ٦/١٠٩ : ١١١].

(٤٨) أخنت عليهم: أهلكتهم. المنطق: حزام يجعله الفارس في وسطه. يقول إن الأمة الإسلامية أزالت ملك الفرس وقضت على قوتهم العسكرية.

(٤٩) يصعق: يغشى عليه. النفخة: النفخة في الصور يوم القيامة.

(٥١) لظى: نار. موثق: مقيد. في (أ): من الخطايا في لظى موبق. ولا يتبين معناه، والصواب ما أثبته من النبهانية.

(٥٢) منقبات: جمع منقبة وهي الفضيلة والمكرمة. معرق: أصيل.

(٥٣) المخضر: ما اخضرَّ من الأرض، كذا في (أ)، وفي النبهانية (الخضراء) وفسرها بالسماء، ولعله أصوب لأنه ذكر الأرض في عجز البيت. الغبراء: الأرض.

٥٤ - ووَصْفُهُ يَعْجزُ عَنْ حَصْرِه نَظْمًا ونَثْرًا ماهرٌ مُفْلقُ

٥٥ - مَسَّنِيَ الضُّرُّ وما لى سِوَىٰ جَاهِكَ أسْبَابٌ بها أعْلَقُ

٥٦ - كُنْ لِى مُجيرًا مِنْ زَمانٍ بِهِ قَوارِعٌ أسْهُمُها تُرْشَقُ ٥١/أ

٥٧ - أحْسِنْ بِرؤْياكَ وعَجِّلْ، فَلِى قَلْبٌ كَئيبٌ مُغْرَمٌ شَيِّقُ

٥٨ - واسْألْ لِىَ الرَّحْمٰنَ رَوْحًا، عَسَىٰ يُفْسَحُ لِى قَبْرٌ - غَدًا - ضَيِّقُ

٥٩ - ورَحْمَةً تُوصِلُنِى جَنَّةً لِبَاسُها الفَاخِرُ إسْتَبْرَقُ

٦٠ - لا زالَ فِى رَبْعِكَ أمْلاكُهُ سَبْعونَ ألفًا حَوْلَهُ تُحْدِقُ

٦١ - تُهْدَىٰ إلىٰ تُرْبِكَ - طولَ المَدَىٰ - نَوافِحُ المِسْكِ بِها تَعْبَقُ

*****

---

(٥٤) مُفْلق: بليغ فصيح .

(٥٥) أعلَق: أتعلق وأتمسك .

(٥٦) قوارع: شدائد ومصائب .

(٥٨) روحا: راحة وطمأنينة .

(٥٩) إستبرق: حرير سميك. قال تعالى فى ثياب أهل الجنة: ﴿ **وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ** ﴾ الكهف / ٣١ .

(٦٠) أملاكه: ملائكته، والضمير لله عز وجل. تحدق: تحيط .

(٦١) نوافج المسك: آنيته الفواحة برائحته. تعبق: تعطِّر الجو برائحتها الطيبة .

قافية الكاف

تضم هذه القافية ثلاث قصائد متوسطة الطول.

الكافيَّة الأولى

(عدتها ٣٥ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بمجموعة من الحكم الداعية إلى النهوض فى طلب المجد ولو باقتحام المهالك، مازجًا بين هذه الدعوة ووصف رحلة السائرين إلى الحرم الشريف، يقتحمون أهوال الصحراء قاصدين القباب البيض وحجرته ﷺ المحفوفة بالملائكة، ومن ثم يدخل إلى مديحه ﷺ بإهداء التحية والسلام إليه، ثم سرد بعض فضائله ومعجزاته، وينهى القصيدة ـ كعادته ـ بالشكاية إليه من صروف الزمان، والاستشفاع به إلى الله عز وجل أن يحسن خاتمته وأن يصونه عن الهوان فى الدنيا.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- دعوة للنهوض إلى المعالى.
- تحية إجلال للنبى ﷺ .
- فى مدحه ﷺ والثناء عليه.
- شكوى وتوسل بجاهه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَرِ العَجْزَ وانْهَضَ خَائضًا للمَعَارِكِ ... فَمَا العِزُّ إلاّ فى السُّيوفِ البَواتِكِ

٢ - ولا تَثْنِ عَنْ تَطْلابكَ المَجْدَ هِمَّةً ... ولوْ كَانَ فى هَامِ النُّجومِ الشَّوابِكِ

٣ - وأقْدِمْ فإمَّا أنْ تُرَىٰ فَوقَ مَعْقِلٍ ... مَنيعٍ، وإمَّا تَحْتَ وَقْعِ السَّنابكِ

٤ - فَلَمْ نَرَ إحْرازَ السَّلامةِ للْفَتَىٰ الْـ ... ـمُشَمِّرِ إلاّ باقْتِحامِ المَهَالِكِ

٥ - أرَىٰ السُّبَلَ المُثْلَىٰ علىٰ غَيْرِ أهْلِها ... تَضيقُ وإنْ كانتْ رِحابَ المَسَالِكِ

٦ - فلا تَرْضَ بالأدْنَىٰ وكُنْ مُتَطَلِّبًا ... نَفيسَ المَعالى بالعَوالى الفَوَاتِكِ

٧ - ولا يُلْهِكَ الإهْمَالُ عَنْ سَدِّ خَلَّةِ الـ ... ثُّغورِ برَبَّاتِ الثُّغُورِ الضَّوَاحِكِ

٨ - أمَا فى المَوَاضى البيضِ منْ غُرَرِ العُلا ... غَنَاءٌ عَنِ البيضِ الغَوَانى الفَوَارِكِ؟!

٩ - وذى أرَبٍ منْ دُونِ مَطْلَبِهِ السُّهَا ... يَجُوبُ الفَلا بالنَّاجياتِ الرَّوَاتِكِ

١٠ - طَوَيْنَ زَرُودًا والغُوَيْرَ وحَاجِرًا ... بأخْفَافِها طَيَّ العَجُولِ المُواشِكِ

---

(١) ذَر : اترك . البواتك : القاطعة .

(٢) تطلابك : شدة طلبك . هام : رأس، تستعمل للمفرد والمثنى والجمع بلفظ واحد، وهى هنا للجمع . الشوابك : المتشابكة، لكثرتها .

(٣) أقْدِم : كن شجاعاً . معقل : حصن . السنابك : حوافر الخيل .

(٤) المشَمر : المستعد للجهاد .

(٥) السبل المثلى : المؤدية للحق . رحاب : واسعات .

(٦) نفيس : غالى . المعالى : المكارم والفضائل . العوالى : أطراف الرماح . الفواتك : القاتلة .

(٧) سد : كفاية . خَلَّة : نقص وضعف . الثغور : جمع ثغر، وهو ما يواجه الأعداء من البلاد، ونسميه الان بالجبهة . ربات : صاحبات . الثغور : جمع ثغر، وهو الفم . وقوله (بربات) متعلق بالفعل (يلهك) . يقول : لا تجعل الإهمال يلهيك بالنساء الجميلات عن الجهاد والرباط على ثغور البلاد الإسلامية المواجهة للعدو .

(٨) المواضى البيض : السيوف اللامعة القاطعة . البيض الغوانى : النساء الجميلات . الفوارك : اللواتى يكرهن أزواجهن . يقول : إن فى الانشغال بالجهاد وعدته من سيوف وغيرها غنى عن اللهو مع النساء الحسناوات اللواتى يكرهن رجالهن . وهذا البيت وسابقه زيادة من النبهانية .

(٩) وذى : مجرور برُبَّ المحذوفة بعد الواو، أى ورُبَّ صاحب . . .إلخ . أرب : غرض . السها : نجم . يجوب : يقطع . الناجيات : المسرعات، والرواتك مثلها .

(١٠) زرود والغوير وحاجر : مواضع فى طريق حجاج العراق إلى مكة المكرمة . المواشك : الذى أوشك على الوصول .

١١ - حَـمَلْن علىٰ الأكْـوارِ أكْـرَمَ فِـتْـيَـةٍ ... أعَـزَّ منَ الأقْـيَـالِ فَـوْقَ الأرائكِ

١٢ - فيـا خَيْـرَ وَفْدٍ يَمَّـمُوا خَيْـرَ مُوفِدٍ ... إذَا نِلْتُمُ البُـشْـرَىٰ بتلْكَ المَناسكِ

١٣ - ومِلْتُمْ إلىٰ وَادِى العَـقِـيق فـأصْبَـحَتْ ... بِسَلْعٍ مَطايَاكُمْ كِـرامَ المَـبـاركِ

١٤ - فـأُمُّـوا القِـبَـابَ البِـيضَ ثُـمَّ تَوجَّـهُـوا ... إلىٰ حُـجْـرَةٍ مَـحْـفُـوفَـةٍ بالمَـلائكِ

١٥ - فَـحَـيُّـوا رسُـولَ الله عَنِّى وسَلِّمـوا ... سـلامَ مُـحِبٍّ صَـادِقٍ غَـيْـرِ آفكِ

١٦ - وقُولوا: عُبَيْدُ البَرِّ يَحْيَىٰ بْنُ يُوسُفَ الْـ ... ـفَـقِـيـرُ إلىٰ إحْـسـانكَ المُـتَـدارِكِ

١٧ - يُقَبِّلُ - إجلالاً لَكَ - التُّرْبَ خَاضِعًا ... خُضوعَ أخى عُسْرٍ لخَصْمٍ مُمَاحِكِ ٥١/ب

١٨ - عَلَيْكَ سَـلامُ الله يا خَـيْـرَ مُـرْسَلٍ ... بخَـيْـرِ كِـتَـابٍ مُنْقِـذٍ شَـرَّ هَالكِ

١٩ - ويا صَـفْـوَةَ الرَّحْـمـٰنِ منْ آلِ هَاشِمٍ ... ونُخْـبَـتَـهُ منْ آلِ فِـهْـرِ بنِ مـالكِ

٢٠ - ومَنْ لِبَنِى العَلْيـاءِ شَـارَكَ فى النُّهَىٰ ... ولَيْسَ لَهُ فى فَـضْله منْ مُـشـاركِ

٢١ - لأنْتَ مُـعَـمٌّ فى المَكارمِ مُـخْـوَلٌ ... ومَـا لَكَ فى أصْلٍ زَكَـا منْ مُـشـابكِ

٢٢ - لِمَنْ -كـانَ- كـالعَبَّاسِ عَمٌّ وحَمْزَةٍ ... وعَـاتكَةَ العَـمَّـاتِ خَـيْـرِ العَـواتكِ

٢٣ - وَزُهْرَةَ فى الأخْـوالِ ثُـمَّ بكَ ارْتَقَـوْا ... إلىٰ الفَـخْـرِ مَـرْقًى لا يَذلُّ لِسـالكِ

---

(١١) الأكوار: الرحال. الأقيال: جمع قَيْل، وهو لقب لملوك اليمن قديمًا. الأرائك: العروش.

(١٢) يمموا: قصدوا. موفد: من يستقبل الوفد. المناسك: أماكن العبادات فى الحج. وجواب (إذا) سيأتى فى البيت رقم (١٤).

(١٣) مطاياكم: ركائبكم. المبارك: الموضع الذى يبرك فيه الجمل.

(١٤) أُمُّوا: اقصدوا. محفوفة: محاطة، والحجرة المذكورة هى الحجرة النبوية المباركة.

(١٥) غير آفك: غير كاذب.

(١٦) عبيد: تصغير (عبد). يحى بن يوسف: اسم شاعرنا. المتدارك: المتتابع.

(١٧) الترب: التراب. أخى عسر: صاحب ضيق وفقر. مماحك: منازع يبغى العداوة والشر.

(١٩) النخبة: المختار المفضل على غيره. آل فهر: قريش. (٢٠) النهى: العقول.

(٢١) مُعَمّ مُخْوَل: له أعمام وأخوال كرام كثيرون. مشابك مخالط. يقول: إن لك أعماما وأخوالاً لهم فى المكارم باع طويل، وليس لأحد ما لك من أصل طاهر كريم.

(٢٢) كان: تتضمن محذوفا، والتقدير: لمن - كائنا من كان. عاتكة: عمة النبى ﷺ، ومعنى كلمة (عاتكة): ذات الصفاء المضمخة بالطيب، ولهذا وصف عاتكة بنت عبد المطلب بخير العواتك، أى خير من تعطرت بالطيب من النساء. وفى جدات النبى ﷺ تسع كل واحدة منهن تسمى عاتكة [أفاده فى هامش النبهانية ٢ / ٤٧٨].

(٢٣) زهرة: أخوال النبى ﷺ. مرقى: موضع ارتقاء. لا يذل: لا يسهل، لعلوه وارتفاع قدره بشرف النبى ﷺ.

٢٤ ـ لكَ اجْتَمَع التَكْليمُ والرُّؤْيَةُ الَّتى بها نلْتَ شَأْوًا ليسَ يَدْنُو لِمَاسِكِ
٢٥ ـ وجِئْتَ بنُورٍ مُشْرِقٍ كامِلٍ جَلاَ ظَلامَ دُجًى للكُفْرِ أسْوَدَ حَالكِ
٢٦ ـ وأوتيتَ قُرآنًا مُبِينًا فأعْجَزَ الْ ألبَّاءَ أرْبابَ الحِجَىٰ والمسالكِ
٢٧ ـ وأُيِّدْتَ بالنَّصْرِ العَزيزِ فذَلَّلَ الْ عِدا بسُيُوفٍ لِلدِّماءِ سوافِكِ
٢٨ ـ فمَا زالَ بالتأْييد جَيْشُكَ قَاهرًا جُنودَ ذَوِى التِّيجَان وسْطَ المَعارِكِ
٢٩ ـ إلىٰ أنْ سَمَا الدِّينُ الحَنيفُ وأذْعَنَتْ لَهُ بانْقِيَادِ الطَّوْعِ أهْلُ المَمَالكِ
٣٠ ـ أبَا القَاسِمِ اعْطِفْ وارْحَمِ اليَوْمَ شاكِيًا صُروفَ زمانٍ مُوجعِ القَلْبِ شائكِ
٣١ ـ به فِتَنٌ آفَاتُها قَدْ تَطَرَّقَتْ إلىٰ عَالِمٍ فى العَالَمِينَ ونَاسكِ
٣٢ ـ فسَلْ لِى رَبَّ العَرْشِ ثُمَّ لِعتْرَتى صيانَةَ وَجْهٍ عَنْ بَخيلٍ مُداعكِ
٣٣ ـ وخَاتِمَةَ الحُسْنَى فَتِلْكَ الَّتى بها يَتمُّ سُعودى فهْوَ أكْرَمُ مالكِ
٣٤ ـ أرَى نَظْمَ شِعْرِى فى مَدِيحِكَ قُرْبَةً فلَسْتُ لَهُ ما اسْطَعْتُ عُمْرِى بِتارِكِ

---

(٢٤) شأوًا: قدرًا وغاية بعيدة. يقول: إن الله عز وجل قد جمع لك بين التكليم والرؤية، ـ وذلك فى ليلة معراجه ﷺ. ورؤية النبى ﷺ لربه عز وعلا ـ مختلف فيها بين العلماء، قال القاضى عياض بعد أن ساق أدلة القائلين برؤية سيدنا محمد ﷺ لربه وأدلة القائلين بعدم جواز رؤية الله عز وجل فى الدنيا: لا استحالة فى رؤية محمد ﷺ لربه، ولا نص قاطع يؤيد أو ينفى هذا [الشفا ١ / ٢٠٢].

(٢٥) حالك: شديد السواد.

(٢٦) الألباء: العقلاء، جمع لبيب. الحجى: العقل.

(٢٧) فى (أ): بالنصر العجز، وهو سهو فاحش من الناسخ، والصواب ما أثبتناه بالإشارة إلى قوله تعالى: ﴿ **وينصرك الله نصرا عزيزا** ﴾ الفتح / ٣، وكما فى النبهانية.

(٢٨) ذوى التيجان: الملوك من الفرس والروم وغيرهم.

(٢٩) الدين الحنيف: الإسلام، ومعنى الحنيف: المائل عن الباطل إلى الحق.
أذعنت: خضعت. بانقياد الطوع: باختيارهم وليس بالسيف.

(٣٠) صروف: تقلبات. شائك: جارح كالشوك.

(٣١) آفاتها: مهلكاتها. تطرقت: وصلت. ناسك: عابد. يقول إن الفتن فى هذا الزمان لم تدع أحدًا حتى العلماء والعُبَّاد.

(٣٢) عترتى: أهلى. صيانة الوجه: ستر الحال والعفاف عما فى أيدى الناس. المداعك: المخاصم المشاحن.

(٣٤) ما اسطعت: ما استطعت، و(ما) للظرفية. عمرى: أى لن أدع مديحك مدى حياتى.

٣٥ - فَإِنَّكَ أَوْفَىٰ مَنْ أجازَ مُؤَمِّلاً   بِبِيضِ الأَيَادِى فى السِّنِينِ الحَوالِكِ

*****

---

(٣٥) بيض الأيادى : النعم البيض ، أى ذات الخير الكثير . الحوالك : الشديدة السواد .

الكافيَّة الثانية

(عدتها ٢٤ ـ البسيط الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بمناجاة طويلة للكعبة المشرفة، وللمعالم المباركة فى أرض العرب، وذكرياته فيها، ولركب الحجاز الراحلين إلى هذه الربوع، حتى الركاب التى تحملهم إليها يناجيها شاعرنا فى حنين جارف وشوق غامر، ثم يدعو لهذه الربوع بالخصب والسقيا، ولسكَّانها بالدعة والأمن.

ثم يلتفت مخاطبًا نفسه أن تصبر على فتن الزمان وشدائده، وأن تعتصم بسنة النبى ﷺ.

تحتوى القصيدة على فكرتين :

- فى مناجاة البقاع المباركة والثناء على ساكنيها وقاصديها.
- فى الاعتصام بسنة النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا رَبَّةَ السِّتْرِ لا انْجابَتْ غَوادِيكِ ... عَنْ جَوِّ دارِكِ أو يَخْضَرَّ وادِيكِ

٢ - وزِدْتِ فى كُلِّ صُبْحٍ عِزَّةً وسَنًا ... ولا خَلا مِنْ رِجالِ الحَىِّ نادِيكِ ٥٢/أ

٣ - لا زالَ مَرْبَعُكِ الدَّانِى الظِّلالِ حِمًى ... رَحْبًا لِعاكِفِكِ الثَّاوى وبادِيكِ

٤ - وأنتِ يا عَذَباتِ البانِ لا بَرِحَتْ ... تَهِيجُ أشْواقَنا ألْحانُ شادِيكِ

٥ - ومَاسَ مِنْ كُلِّ غُصْنٍ مِنْكِ، من طَرَبٍ ... عِطْفٌ وتَهْتِ دَلالاً فى تَهادِيكِ

٦ - ويا مِياهَ الحِمَىٰ لا زِلْتِ طَيِّبَةً ... يَرْوَىٰ بِشُرْبِ الألَذِّ العَذْبِ صادِيكِ

٧ - ويا نَسِيمَ صَبَا نَجْدٍ لَقَدْ عَرَفَتْ ... رُوحِى بِمَسْرَاكِ وَهْنًا عَرْفَ مُهْدِيكِ

٨ - ويا لَيالِيَنا للهِ عَيْشُ هَوًى ... مَعَ البُدورِ تَقَضَّىٰ فى دَآدِيكِ

٩ - ويا فَوارِطَ أيَّامِى بِخَيْفِ مِنَىٰ ... لوْ كَانَ يُفْدَىٰ زَمانٌ كُنْتُ أَفْدِيكِ

١٠ - ويا رَسائِلَ وَجْدٍ لا أَبوحُ بِها ... إلىٰ الأَحِبَّةِ عَنِّى مَنْ يُؤَدِّيكِ؟

١١ - أُخْفِيكِ مِنْ عُذَّلِى صَوْنًا وتَكْرِمَةً ... بَلِ المَدامِعُ والأنْفاسُ تُبْدِيكِ

١٢ - ويا رِكَابَ الحِجازِ القُودَ لا نَقِبَتْ ... مِنَ السُّرَىٰ أَبَدًا أَخْفافُ أَيْدِيكِ

١٣ - ولا عَدَلْتِ عن النَّهْجِ القَويمِ ولا ... مالَتْ إلىٰ غَيْرِ أَحْبابى هَوادِيكِ

---

(١) انجابت : تفرقت وانقطعت . غواديك : جمع غادية، وهى السحابة التى تنشأ فى الصباح . أو يخضرَّ: حتى يخضر، وفى (أ) : أو مخضرٍ، وما أثبته من النبهانية أقرب للمراد .

(٣) رحبا : واسعا . العاكف : المقيم، وكذا الثاوى . البادى : الغريب الذى من أهل البادية . يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ **وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ** ﴾ الحج / ٢٥ .

(٤) عذبات البان : أغصانه . تهيج : تثير وتحرك . شاديك : الطير المغنية على أغصانك .

(٥) ماس : تمايل واهتز طربا . عِطفٌ : جانب، وهو فاعل (ماس) تهْت : شعرت بالزهو والفخر . تهاديك : تمايلك.

(٦) يَرْوَى : يرتوى . صاديك : الظمآن إليك .

(٧) مسراك : مسيرك . وهْنًا : فى منتصف الليل . عرف : رائحة طيبة . يقول : يا نسيم الصبا لقد عرفت روحى فيك رائحة مَنْ أهداك إلينا . ويعنى بذلك أنها جاءت من قبل الديار المقدسة على ساكنها الصلاة والسلام .

(٨) البدور : الأقمار فى ليالى التمام . دآديك : جمع دأداء، وهو الوادى والفضاء المتسع .

(٩) فوارط : سوابق .

(١٢) القود : السهلة المطيعة لقائدها . لا نقبت : لا أصابها النقب وهو داء يصيب أخفاف الإبل، وفى (أ) : لا برحت، وهو غير مناسب للمعنى، وما أثبته من النبهانية .

(١٣) عدلت : مِلْتِ . النهج القويم : الطريق المستقيم . هواديك : أعناقك .

١٤ - ونِلْتِ مـا شـئْتِ من وِرْدٍ ومِنْ كَـلأٍ ... ولا نَبَـا السَّـمْعُ عَنْ تَغْـرِيدِ حَـادِيكِ

١٥ - كَمْ ذا التَّمادى دَعى التَّعْليلَ وابْتَدِرى ... إلىٰ الحِـمَىٰ فَـعَنَائى فى تَمـادِيكِ

١٦ - سِـيـرى فَـأَنْوارُ أقْـمـارِ المَـحـامِلِ إنْ ... حَـارَ الأَدِلَّةُ فى البَـيْـداءِ تَهْـدِيكِ

١٧ - ويا قِـبـابَ حِـمَىٰ سَلْعٍ حَـوَيْتِ عَلَىٰ ... رِقِّى بِمـا أسْلَفَتْ عِنْدى أيَادِيكِ

١٨ - فَتَحْتِ بالرُّشْدِ لى عَيْنَىَّ بَعْدَ عَمًى ... وَأسْـمَعَ السِّـرَّ مِنْ قَلْبى مُنَادِيكِ

١٩ - حَقٌّ عَلَىَّ أُوالى مَنْ بِكِ اعْـتَلَقَتْ ... أسْـبـابُهُ وأُعـادى مَنْ يُعـادِيكِ

٢٠ - إنِّى وإنْ يَكُ أَضْـحَتْ عَنْكِ نَازِحَـةً ... دارى لأرْعَىٰ بظَهْـرِ الغَـيْبِ وُدِّيكِ

٢١ - لا زالَ سُكَّانُكِ القُطَّانُ فى دَعَـةٍ ... وفـازَ رائِحُكِ السَّـارى وغَـادِيكِ

٢٢ - وأنتِ لا تَجْـزَعى يا نَفْسُ مِنْ بِدَعٍ ... مُـضِـلَّةٍ، ورسـولُ اللهِ هَادِيكِ

٢٣ - أجَـارَكِ اللهُ، لَـوْلا دِرْعُ سُنَّتِـهِ ... لَكانَ سَهْمُ الهَوىٰ الفَتَّانِ يُرْدِيكِ ٥٢/ب

٢٤ - لا تُخْلِفى مَوْعِدى فى حِفْظِ مَنْهَجِها ... فَلَسْتُ أُخْلِفُ فى حِفْظِيهِ وَعْدِيكِ

*****

---

(١٤) ورد: شراب. كلأ: عشب. نَبَا السمع عن كذا: لم يعجبه فتباعد عنه. تغريد: غناء. حاديك: السائق الذى يحدو - أى يغنى - للإبل.

(١٥) التمادى: التزايد والاستمرار. التعليل: التلهِّى والتشاغل. ابتدرى: أسرعى. فعنائى: تعبى، وفى (أ): «وتصابى»، ولا يستقيم، وما أثبته من النبهانية.

(١٦) المحامل: ما يحمل على البعير، وهو الهودج. الأدلة: الذين يرشدون المسافرين إلى الطرق. البيداء: الصحراء.

(١٧) حويت: ملكت. رقِّى: عبوديتى، أى صرت عبداً مملوكًا لك. أسلفت: قدمت. أياديك: نعمك وأفضالك.

(١٨) السر من قلبى: أعماق القلب وأقاصى الضمير.

(١٩) أوالى: أتابع. اعتلقت أسبابه: تعلق بك وأحبك.

(٢٠) نازحة: بعيدة. بظهر الغيب: فى البعد عنك. ودِّيك: ودِّى إياك، وجاء بالضمير المتصل لضرورة القافية.

(٢١) القُطَّان: المقيمون بأرضك. فى دعة: فى خير ونعمة. الرائح: الذاهب فى المساء، والغادى: الذاهب فى الصباح. والجمع بين النقيضين لإفادة الشمول، فهو يدعو بالفوز لكل من كان بأرض الحمى.

(٢٢) لا تجزعى: لا تخافى، والجزع ضد الصبر.

(٢٣) أجارك الله: حفظك ورعاك. درع سنته: حصن السنة النبوية المطهرة، شبهها بالدرع فى حمايتها لمن يتمسك بها كما تحمى الدرع لابسها.
يرديك: يهلكك، من الردى وهو الموت.

(٢٤) قوله: فلست أخلف فى حفظيه وعديك، أى: لا أخلف وعدى لك فى حفظى إياه.

الكافيَّة الثالثة

(عدتها ٤٢ ـ البسيط الأول)

هذه القصيدة فى الثناء على الله عز وجل وتمجيده، ومدح نبيه الهادى ﷺ، كما كتب الناسخ، فالقصيدة تبدأ بتمجيد الله عز وجل وسرد بعض مظاهر الألوهية وتجليات القدرة، والعناية بالخلق، ومن ملامح هذه العناية الإلهية بالخلق: إرسال الرسل وخاتمهم محمد ﷺ.

ومن ثم يدخل إلى مديحه ﷺ، معدِّدًا بعض خصائصه ومعجزاته، وينهى القصيدة باستعطافه والتوسل به إلى الخلاص من أذى زمن ارتبكت فيه معايير الصواب والحق، وإلى الدخول فى عداد أمته، وهذا هو الفوز الذى يبتغيه.

تتضمن القصيدة ثلاثة عناصر:

- فى تمجيد الله عز وجلَّ.
- فى مديح النبى ﷺ.
- استغاثة وتوسل به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ ويثنى على الله عز وجل:

١ - جَلَّ المُهَيْمِنُ رَبُّ العِزَّةِ المَلِكُ ... عَنْ قَوْلِ مَنْ يَفْتَرِى زُوراً ويَأتَفِكُ

٢ - سُبْحانَهُ مِنْ عَظيمٍ لا نَظيرَ لَهُ ... ولا لِعَقْلٍ على تَمْثِيلِه دَرَكُ

٣ - يُحيطُ عِلْمًا على العَرْشِ العَظيمِ بِما ... تَضَمَّنَ البَحْرُ والقِيعانُ والنَّبَكُ

٤ - يُحْصِى الضَّميرَ ولَمْ تَلْفِظْ به شَفَةٌ ... ولا تَحَرَّكَ فى إظْهارِه الحَنَكُ

٥ - هُوَ السَّميعُ البَصيرُ الحَىُّ لا بَشَرٌ ... أَحاطَ عِلْمًا به، كَلاَّ، ولا مَلَكُ

٦ - الخالِقُ البارِئُ الرَزَّاقُ ذو المِنَنِ الْـ ... جِسَامِ لَيسَ لِما أعْطاهُ مُمْتَسِكُ

٧ - القادِرُ المانِعُ القَهَّارُ لَيسَ لِما ... زَواهُ مِنْ نِعْمَةٍ فى النَّاسِ مُدَّرِكُ

٨ - والواجِدُ الماجِدُ المُحْيِى المُميتُ فلا ... يَفُوتُهُ سُوقَةٌ مِنَّا ولا مَلِكُ

٩ - والواحِدُ الأحَدُ القَيُّومُ جامِعُ ما ... تُوهيهِ أيْدى البِلَى مِنَّا وتَنْتَهِكُ

١٠ - يُعيدُ مِنْ غَيرِ رَيْبٍ ما تَضَمَّنَت الْـ ... أجْداثُ والطَّيْرُ والآسَادُ والسَّمَكُ

١١ - شَادَ السَّمٰوات سَبْعًا لا تَرَى خَلَلاً ... فيما أحاطَتْ به مِنْ جَوِّها الحُبُكُ

١٢ - ومَدَّ سَجْفَ دُجَاها ثُمَّ طَرَّزَهُ ... بِبَدْرِها والنُّجومِ الزُّهْرِ تَشْتَبِكُ

١٣ - حَتَّىٰ بَدَا صُبْحُها يَطْوِى حواشِيَهُ ... وجَرَّ أذْيالَ شَمْسِ المَطْلَعِ الفَلَكُ

١٤ - ومَهَّدَ الأرْضَ فامْتَدَّتْ مُذَلَّلَةً ... قَدِ اسْتَبانَتْ بها لِلسَّالِكِ السُّلُكُ

---

(١) زوراً: باطلاً. يأتفك: يكذب.

(٢) درك: قدرة على الإدراك.

(٣) القيعان: جمع قاع. النبك: المرتفعات الصخرية.

(٤) الحنك: الفم.

(٦) المنن: جمع منة وهى النعمة الإلهية. الجسام: العظيمة. ممتسك: مانع.

(٧) زواه: أبعده. مُدَّرِك: قادر على إدراكه وتحصيله.

(٨) سوقة: من عامة النّاس.

(٩) توهيه: تضعفه. البِلَى: الفَنَاء والقدم.

(١٠) الأجداث: القبور. الآساد: جمع أسد.

(١١) شاد: بنى. الحُبُك: الطرق السماوية.

(١٢) سجف: ستر. طرزه: جمَّله. النجوم الزهر: اللامعة.

(١٣) حواشيه: جوانبه.

(١٤) مذللة: ميسرة للإنسان. السلك: الطرق.

١٥ - وبَثَّ فيها من الأزْواجِ مَا شَهِدَتْ لَهُ بحكْمَةِ صُنْعٍ لَيْسَ يَشْتَرِكُ
١٦ - وأثْبَتَ الرَّاسِيَاتِ الرَّاسِخَاتِ لَهَا كَأنَّها فى يَدَىْ زلزَالِهَا شُرُكُ
١٧ - وسَخَّرَ الفُلْكَ للطُّلَّابِ مَنْفَعَةً يَجْرِينَ فى البَحْرِ والأمْواجُ تَلْتَبِكُ
١٨ - وأرْسَلَ الرِّيحَ تُزْجِى للحَيَا سُحُبًا كَأنَّهُنَّ عِشَارٌ سَيْرُهَا الرَّتَكُ
١٩ - سَطَا بهَا رَعْدُهَا حَتَّىٰ غَدَا دَمُهَا فَوقَ الثَّرَى بسُيوفِ البَرْقِ يَنْسَفِكُ ٥٣/أ
٢٠ - فَعِنْدَهَا امْتَهَدَتْ منهَا الرُّبَا حُلَلَ الْـ أزْهارِ وامتَلأتْ مِنْ وَدْقِهَا البِرَكُ
٢١ - وجاءَ سُلْطانُ جَيْشِ الصَّحْوِ فابْتَهَجَتْ رِياضُهَا كَثُغُورٍ زانَهَا الضَّحِكُ
٢٢ - فَتِلْكَ آيةُ أنَّ اللهَ بَاعِثُنَا والعَظْمُ منَّا بطولِ المُكْثِ يَنْفَرِكُ
٢٣ - تَبَارَكَ اللهُ ذو الإحْسَانِ، أحْمَدُهُ عَلىٰ الهِدايَةِ حَمْدًا لَيسَ يَنْبَتِكُ
٢٤ - لَقَدْ هَدانا إلىٰ الإسْلامِ مُبْتَدِئًا بنعْمَةٍ شُكْرُها مَا لَيْسَ يُدَّرَكُ
٢٥ - ورَدَّنَا - برَسُولِ اللهِ صَفْوَتِهِ مُحَمَّدٍ - عنْ ضَلالٍ أمْرُهُ لَبَكُ
٢٦ - وانْتَاشَنَا مِنْ يَدَىْ غَاوٍ عَلىٰ رَصَدٍ للْخَلْقِ يَجْتَاحُهُمْ إثمًا ويَحْتَنِكُ
٢٧ - وجَاءَنَا بكتَابٍ حُكْمُهُ سَدَدٌ فِيهِ البَيَانُ لمَا نَاتى ونَتَّرِكُ

---

(١٦) الراسيات: الجبال. الراسخات: الثابتة. شُرُك: جمع شراك، وهو الفخ. شبه الجبال بالفخاخ التى تقبض على ما فوق الأرض إذا أصابها زلزال.
(١٧) تلتبك: يختلط بعضها ببعض وتتصادم.
(١٨) تزجى: تسوق. الحيا: المطر. عشار: إبل حوامل. الرتك: مشية فيها اهتزاز وسرعة.
(١٩) سطا بها: بطش، والضمير للسحب. ينسفك: يسيل. شبه الرعد بإنسان يحمل سيفًا ويفتك بالسحب فيسيل دمها - أى المطر - على الأرض.
(٢٠) امتهدت: فرشت. الربا: المرتفعات. حلل: ثياب. ودقها: مطرها الغزير.
(٢١) الصحو: صفاء الجو بعد سقوط المطر. ثغور: أفواه.
(٢٢) المكث: البقاء. ينفرك: يتفتت. أشار فى هذا البيت إلى أن دورات الطبيعة من مطر يعقبه صحو، وجدب يعقبه خصب ونماء - دليل على بعث بنى آدم بعد أن بليت منهم العظام.
(٢٣) ينبتك: ينقطع.
(٢٤) ليس يُدَّرَك: لا يمكن بلوغه.
(٢٥) لَبَك: مختلط.
(٢٦) انتاشنا: خلَّصنا. غاو: شيطان. على رصد: يترصد بنى آدم لإغوائهم. يجتاحهم: يهلكهم. يحتنك: يستولى عليهم ويضلهم.
(٢٧) سدد: حقٌّ. نتَّرك: نَتْرُك.

٢٨ - نِعْمَ الرَّسولُ حَبَانَا ذُو الجَلال بِه ... بِحَبْلِه وهْوَ حَبْلُ اللهِ يُمْتَسَكُ

٢٩ - لولاهُ لَمْ نَدْرِ ما فَرْضُ الصَّلاة ولا ... فَرْضُ الزَّكاة ولا صَوْمٌ ولا نُسُكُ

٣٠ - هوَ البَشيرُ سِراجُ المُهْتَدينَ به ... وهْوَ الشَّفيعُ لِمَنْ فى الحَظِّ يَنْهَمِكُ

٣١ - وهْوَ الحَليمُ فَلا حَيْفٌ ولا حَرَجٌ ... وهْوَ الجَوَادُ فلا مَيْنٌ ولا مَعَكُ

٣٢ - وهْوَ الشُّجاعُ إذَا كَفُّ الوَغَىٰ قَدَحَتْ ... نَارَ الظُّبَا والقَنَا العَسَّالُ مُشْتَبِكُ

٣٣ - وهْوَ المُخَصَّصُ فى الدُّنْيا برؤْيَتِه ... وكُلُّ مَنْ رَدَّ هٰذا فَهْوَ مُؤْتَفِكُ

٣٤ - وهْوَ المُفَضَّلُ فى الأُخْرَى بِمَقْعَده الْـ ... ـعَزيزِ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والمَلَكُ

٣٥ - سَفِينَةُ الرُّشْد والمَنْجاة سُنَّتُهُ ... والنَّاقلونَ لَهَا فى الأُمَّةِ العَرَكُ

٣٦ - هى المَحَجَّةُ للسُّلَّاك واضِحَةً ... ما فى سِوَاها لأهْلِ الحَقِّ مُنْسَلَكُ

٣٧ - لأَهْلِها دَرَجُ الجَنَّات مَنْزِلَةٌ ... ومَنْزِلُ المُعْتَدى عَنْ حُكْمِها الدَّرَكُ

٣٨ - يا رَبِّ قَدْ أصْبَحَتْ سِنِّى تَزِيدُ عَلَى الـ ... ـسِّتِّينَ وهْىَ لِجَيْشِ المَوْتِ مُعْتَرَكُ

٣٩ - ولَيْسَ لى وِجْهَةٌ أَرْجُو الدُّخولَ بها ... ولا سَبِيلُ نَجاةٍ فيه أَنْسَلِكُ

٤٠ - إلاَّ دُخُولِىَ فى أَعْدَادِ أُمَّتِه ... قَدْ فازَ مِنْها بِهِ طِفْلٌ ومُحْتَنِكُ ٥٣/ب

---

(٢٨) حبانا : أكرمنا . حبل الله : الوسيلة إليه .

(٢٩) نسك : عبادة .

(٣٠) المراد بالحظ : حظ النفس من الدنيا . ينهمك : ينشغل .

(٣١) حيف : ظلم، والكلمة غير واضحة فى الأصل . مين : كذب . مَعَك : مماطلة، يقال : معكه بدَيْنه، إذا ماطله .

(٣٢) قدحت : أشعلت . الظبا : السيوف . القنا : الرماح . العسال : المَرِن الذى يهتز اهتزازاً شديداً .

(٣٣) برؤيته : الضمير لله جلَّ وعلا . مؤتفك : آثم .

(٣٥) المنجاة : النجاة . العَرَك : جمع عَرَكىّ مثل عرب وعربى، والعركى : صياد السمك . شبَّه سنة النبى ﷺ بالسفينة وشبه الناقلين لَها بصيادى السمك .

(٣٦) المحجة : الطريق الواضحة . للسُّلاك : للسالكين . منسلك : طريق يسلكونه .

(٣٧) درج : درجات . الدَّرَك : الطبقات السفلى من النار .

(٣٨) معترك : موضع المعركة .

(٤٠) به : بواسطته، وكلمة (به) غير موجودة فى الأصل، وهى زيادة تقتضيها صحة الوزن . محتنك : الرضيع ساعة يولد ويحنَّك، أى يمضغ التمر ثم يوضع فى فمه ويدلك به .

٤١ - فَـغِـثْنِىَ اليَــوْمَ يا مَــوْلاىَ ثُمَّ غَــدًا   بجَــاهَةٍ مِنْكَ سِـتْـرِى لَيْسَ يَنْهَــتِكُ

٤٢ - ونَـجِّنِـى بِـهُــــــــــدَاهُ مِـنْ أذَىٰ زَمَـنٍ   فِـيـه الصَّــوَابُ عَلىٰ أهْلِيـهِ مُــرْتَبِكُ

*****

---

(٤١) بجاهة: اسم مرة من الجاه أى القدر والمنزلة، وهو تصرف من الشاعر، ولم أجد صيغة اسم المرة من هذه المادة فيما بين يدى من مصادر اللغة.

(٤٢) مرتبك: مختلط لا سبيل إلى تمييزه من الباطل.

قافية اللام

تضم هذه القافية أربع قصائد : اثنتان منها طويلتان، والأخريان متوسطتا الطول.

اللامية الأولى

(عدتها ٥٤ - البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة ببثٍّ لواعج الشوق والصبابة والحنين إلى الربوع المقدسة وأهلها، وعهود الشاعر وذكرياته فيها، معدداً مواطن ذكرياته، التى شرفت بممدوحه العظيم سيدنا محمد ﷺ، ومن ثم ينتقل إلى مدحه وتعداد بعض مآثره وحلو شمائله، وعراقة محامده، ويختم القصيدة بنداء حارّ واستغاثة بجاهه من فداحة الخطب، حيث جنود التتر تعيث فساداً فى أرض الإسلام، ويسأله أن يسأل ربه نصر أمته، وأن يشفع له فى إحسان خاتمته.

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- أشواق وحنين إلى الديار المباركة.
- فى مديح النبى ﷺ .
- نداء واستغاثة بجاهه ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مـاذَا عَـرَا الرَّكْبَ حَـتَّىٰ حَنَّت الإِبِلُ   وهَزَّ مِنْ طَرَبٍ أعْطَافَـهـا المَـيَلُ

٢ - أَهَبَّ مِنْ جانِبِ البَطْحاءِ نَشْرُ صَبًا   أم طَارَحَتْنا بِأخْبارِ الحِمَىٰ شَمَلُ

٣ - وَاهًا لِذِى الوَجْدِ لا يَنْفَكُّ مُشْتَهِرًا   حَتَّىٰ بِهِ فى البَرَايَا يُضْرَبُ المَثَلُ

٤ - لَوَاعِجُ الشَّوْقِ تَثْنِيهِ وتَعْطِفُهُ   كَأَنَّهُ مِنْ غَرَامٍ شَارِبٌ ثَمِلُ

٥ - لا يَسْتَفِيقُ ولا يَلْوِى شَكِيمَتُهُ   عَنِ الحَنِينِ إِلىٰ أَحْبابِهِ العَذَلُ

٦ - يَرْعَىٰ العُهُودَ عَلىٰ بُعْدِ المَزارِ فَلا   يُبْلِى هَواهُ وإِنْ طَالَ المَدَىٰ مَلَلُ

٧ - أَحْبَابَنا إِنْ وَنَتْ عَنِّى رَسَائِلُكُمْ   فَإِنَّ أَنْفَاسَ وَجْدِى نَحْوَكُمْ رُسُلُ

٨ - فَإِنْ تَشاغَلَ غَيْرِى عَنْكُمُ بِهوًى   فَما لِقَلْبِى سِوَىٰ تَذْكارِكُمْ شُغُلُ

٩ - ولوْ أُخَيَّرُ أَقْصَىٰ ما أُؤمِّلُهُ   ما كَانَ لِى غَيْرُ قُرْبِى مِنْكُمُ أَمَلُ

١٠ - هَلْ عَائِدٌ لِىَ عَهْدٌ بِالعَقِيقِ خَلا   مَعَ الشُّمُوسِ الَّتى ضَنَّتْ بِها الكِلَلُ

١١ - وهَلْ لَنا بالقِبابِ البِيضِ – زِدنَ سَنًا   وعِزَّةً وجلالاً – وَقْفَةٌ قُبُلُ

١٢ - أمْ هَلْ لِذِى كَبِدٍ تُطْوَىٰ عَلىٰ ظَمأٍ   مِنْ ذَلِكَ المَوْرِدِ العَذْبِ الرِّوَىٰ عَلَلُ

١٣ - يا شِعْبَ طَيْبَةَ يا أزْكَىٰ الشِّعابِ ثَرًى   لَمْ يَحْلُ بَعْدَكَ لِى رَبْعٌ ولا طَلَلُ

١٤ لَقَدْ سَمَوْتَ عَلىٰ كُلِّ البِلادِ فَلا   يَنالُ ما نِلْتَهُ سَهْلٌ ولا جَبَلُ

١٥ - مَنْ لِى بِلَثْمِ تُرابٍ مِنْكَ قَلَّ لَهُ   بالجَفْنِ لا بالفَمِ التَّرْشَافُ والقُبَلُ

---

(١) عرا: أصاب. المَيَل: الحركة والاهتزاز أثناء السير.
(٢) نشرٍ: رائحة طيبة. الصبا: الريح الشرقية. طارحتنا: حدثتنا. شَمَل: ريح الشمال.
(٣) واهًا: كلمة تحسر وتفجُّع. الوجد: ألم الحب. البرايا: الخلق.
(٤) لواعج الشوق: حرارته وشدته. تثنيه وتعطفه: تقلِّبه كيف تشاء. ثمِل: سكران.
(٥) شكيمته: قوة نفسه وكبرياءه. العَذَل: اللوم.
(٧) ونت: أبطأت.
(١٠) خلا: مضى. ضنَّت: بخلت. الكلل: جمع كِلَّة وهى الستر الرقيق. والمراد بالشموس: الصحبة، وصفهم بالحسن والفضل.
(١١) قُبُل: من الأمام.
(١٢) علل: الشرب بعد الشرب، فالشرب الأول نَهَل والثانى عَلَل.
(١٣) لم يَحْلُ: من الحلاوة، وحذفت الواو للجزم.
(١٥) لثم: تقبيل. الترشاف: الرشف، وهو المَصّ.

١٦ - لِلّٰهِ مـا حُـزْتَ دُونَ الأَرْضِ مِنْ شَـرَفٍ ... سَـمَـا لَدَيْكَ وإِنْ طالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

١٧ - أصْبَحْتَ مَهْوَىٰ القُلوبِ الصَّادقاتِ فلا ... يُجلُّ قَـدْرَكَ إِلاَّ العَـارِفُ البَـدَلُ

١٨ - وكَـيفَ لا تُبْـذَلُ الأَرْواحُ دُونَكَ يا ... شِفَاءَ أدْواءِ من أَعْيَتْ بِهِ العِلَلُ ٥٤/أ

١٩ - وفى جَنابِكَ مَنْ دانَتْ لِدَوْلَتِـهِ ... وآذَنَتْ بِتَـلاشِى عِـزِّها الدُّوَلُ

٢٠ - ومَنْ بِمِلَّتِـهِ الزَّهْراءِ حِـينَ بَدَتْ ... أنْوارُها نُسِخَتْ واسْتَخْفَت المِلَلُ

٢١ - ومن أَتَىٰ بالسَّبِيلِ المُسْتَقِيمِ وقَدْ ... تَفَـرَّقَتْ بِالغُـوَاةِ الضُّلَّلِ السُّبُلُ

٢٢ - مُـحَـمَّـدٌ سَـيِّدُ السَّادَاتِ كُلِّهِمُ ... مـا فِى مَـقَـالِىَ لا رَيْبٌ ولا زَلَلُ

٢٣ - بِنَصْرِهِ أخَـذَ اللّٰهُ العُـهُـودَ عَلىٰ ... ثِقَاتِهِ فاسْتَبانَتْ فَضْلَهُ الرُّسُلُ

٢٤ - الفَاتِحُ الخَاتَمُ المَنْعُوتُ فى الزُّبُرِ الْـ ... أُولَى بِمَا أثْبَتَتْ عِـرْفَانَهُ الأُوَلُ

٢٥ - وأبْصَـرَ الآخِـرونَ الحَقَّ ثُمَّ عَـمُـوا ... لَكِنْ إذَا بَدَتِ الشَّمْسُ اخْتَفَىٰ زُحَلُ

٢٦ - سُبْـحَـانَ مَنْ زَانَ مَعناهُ وصُورَتَهُ ... بالحُسْنِ ما فِيهِمَا وَصْمٌ ولا خَلَلُ

٢٧ - طَلْقُ المُحَيَّا كأنَّ الصُّبْحَ غُرَّتُهُ ... واللَّيْلَ مِنْ فَـوْقِـهـا فَـرْعٌ لَهُ رَجِلُ

٢٨ - لَوْ قَابَلَ النَّيِّرَيْنِ الشَّمْسَ والقَمَرَ الـ ... ـسَيَّارَ طَلْعَتُهُ غَشَّاهُمَا الخَجَلُ

---

(١٦) الطِّيَل : الأزمنة الطويلة، أى وإن مرت بعدك أزمنة طوالاً.

(١٧) مهوى : اسم مكان من هَوَى يهوى، أى المكان الذى تهبط إليه. البدل : واحد الأبدال أو البدلاء، وهم أربعون من أولياء الله كلما مات منهم واحد أبدل مكانه واحد، لا يزيدون ولا ينقصون، وبهم يحفظ الله البلاد.

(١٨) أدواء : جمع داء، وهو المرض. أعيت : استعصت وصعب شفاؤها.

(١٩) دانت : خضعت. لدولته : سطوته وسلطانه. آذنت : أوشكت وعرف ذلك من حالها.

(٢٠) الزهراء : المشرقة. نسخت : تغيرت أحكامها وشرائعها، فالإسلام نسخ الشرائع التى قبله.

(٢١) الضُّلَّل : الضالين.

(٢٢) ريب : شك. زلل : خطأ.

(٢٣) ثقاته : أهل ثقته الموثوق بهم من الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢٤) المنعوت : الموصوف. الزبر الأولى : الكتب السماوية السابقة على القرآن.

(٢٥) عَمُوا : أصابهم عَمَى البصيرة، كناية عن الضلال والجحود.

(٢٦) وصم : عيب.

(٢٧) طَلْق المُحَيَّا : مستبشر ضاحك الوجه.
غرته : جبهته. فرع : شعر. رَجِل : مُرَجَّل ممشط. شبه وجه النبى ﷺ بالصبح المُشرِق، وشعره بالليل لشدة سواده.

(٢٨) الشمس والقمر : بدل من : النيرين. طلعته : وجهه. غَشَّاهما : سترهما وحجب ضياءهما.

٢٩ - أزَجُّ أَبْلَجُ فى أَهْدَابِه وَطَفٌ ... فِى عَيْنِه دَعَجٌ فى جَفْنِه كَحَلُ

٣٠ - يَفْتَرُّ عَنْ لُؤْلُؤِ الغَوَّاصِ مَبْسِمُهُ ... فى صَوْتِه الرَّائِقِ العَذْبِ الرِّضَا صَهَلُ

٣١ - حُلْوُ الكَلامِ يَفُوقُ الدُّرَّ مَنْطِقُهُ ... يُبْدِى فَصاحَتَهُ التَّفْصِيلُ والجُمَلُ

٣٢ - أَقْنَىٰ قَسِيمٌ وَسِيمٌ مَا رَأَتْ أَحَداً ... كَمِثْلِه قَبْلَهُ أو بَعْدَهُ المُقَلُ

٣٣ - سَمْحُ اليَدَيْنِ إِذَا ضَنَّ الحَيا وأَتَىٰ ... أَزْلُ الجُدُوبِ بِخَطْبٍ وَقْعُهُ جَلَلُ

٣٤ - يُقَدِّمُ البِشْرَ للعَافِى ويُتْبِعُهُ ... بالسَّتْرِ ما شَانَهُ مَنٌّ ولا بَخَلُ

٣٥ - عَذْبُ المَوارِدِ مَحْمُودٌ مَصادِرُهُ ... يَسْقِى النَّمِيرَ إِذَا ما أَعْوَزَ الوَشَلُ

٣٦ - يَحْمِى الحَقِيقَةَ والهَيْجاءُ بَاسِلَةٌ ... شَعْواءُ يَخْشَىٰ سَطاها الدَّارِعُ البَطَلُ

---

(٢٩) أزج: دقيق الحاجبين. أبلج: مشرق الوجه. وطف: طول. دعج: شدة سواد العين واتساعها. والكحل: سواد الأجفان خلقة لا تجمُّلاً.

(٣٠) يفتَرُّ: يبتسم. مبسمه: فمه. صهلَ: حدَّةٌ وقوة مع بَحَّة تشبه صهيل الخيل. وجاءت هذه الصفات لسيدنا رسول الله ﷺ فى حديث أم معبد، قالت تصف سيدنا رسول الله ﷺ لمَّا مَرَّ بها هو وأبو بكر رضي الله عنه فى هجرتهما من مكة إلى المدينة (ومعهما مولى أبى بكر، ودليلهما): رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، حَسَنَ الخَلْق.... وسيما قسيما، فى عينه دَعَجٌ، وفى أشفاره وَطَفٌ، وفى صوته صَهَلٌ، وفى عنقه سَطَعٌ، أزجُّ أقرن. إن صَمَت فعليه الوقار، وإن تكلَّم سَمَا وعَلاهُ البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فَصْلٌ لا نَزْر ولا هَزْر، كأن منطقه خرزات نظمٍ ينحدرن... إلى آخر الحديث [رواه الحاكم فى المستدرك ٣ / ١٠ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ورواه البيهقى فى دلائل النبوة ١ / ٢٧٦].

(٣١) الدر: اللؤلؤ. منطقه: نطقه وكلامه. الجمل: الإجمال، ضد التفصيل.

(٣٢) أقنى: مرتفع ظاهر الأنف مع طول. قسيم: جميل القسمات، ومثله وسيم. المقل: العيون.

(٣٣) سمح: كريم. أزْل: شدة. الجدوب: جمع جدب، وهو القحط. خطب: مصيبة. جلل: عظيم الخطر.

(٣٤) البشر: استبشار الوجه للسائلين. العافى: طالب الرزق. بالسَّتْر: أى يخفى عطاءه فلا يمن على السائل، وفى النبهانية: ويتبعه بالبر. ما شانه: لم يعبه. بَخَل: بُخْل.

(٣٥) الموارد والمصادر: ضدان، وأصل المورد: ورود الإبل لتشرب من الماء، والمصدر: رجوعها بعد ما شربت وارتوت. والجمع بين النقيضين يفيد العموم؛ أى هو ﷺ محمود فى كل أحواله. النمير: الماء العذب الصافى. أعوز: صَعُبَ الحصول عليه. الوشَل: الماء القليل. يقول: إذا لم يستطع الناس الحصول على القليل من الماء، رواهم النبى ﷺ بالماء العذب الصافى الكثير.

(٣٦) الحقيقة: ما يحق عليك أن تحميه وتدافع عنه. الهيجاء: الحرب. باسلة: شديدة =

٣٧ - فَـمَـا يُزَايلُهـا إلاَّ وقَـدْ خَـمَـدَتْ نيـرَانُهـا فى القـرَاع البـيضُ والأَسَلُ

٣٨ - مـا ضَـاقَ بالضَّنْك ذَرْعًـا إن أَلَمَّ به ولا اسْـتَـفَـزَّ ليُـسْـر عطْفَـهُ الجَـذَلُ

٣٩ - يَعْـفـو ويَصْـفَحُ لا يَجْـزى بسَـيِّـئَـة ولا يُزَلْزِلُ يَوْمًـا حلْمَـهُ العَـجَلُ

٤٠ - كُلُّ المَناقب أضْحَتْ فيه قَدْ جُمعَتْ فَـمَـا لَهـا عَنْهُ تَفْـريقٌ ولا حـوَلُ

٤١ - منْ مَـعْـشَـر نُجُب زُهْر أكَـارمَـة هُمُ أُولو الفَضْل إن قَالوا وإن فَعلوا ٥٤/ب

٤٢ - لَمْ يُدْرِكُ النَّاسُ فى مَـجْـد أوائلَهُمْ وفى الأواخـر مَـجْـدٌ لَيْسَ يَنْتَـقلُ

٤٣ - يا سَيِّدَ البَشَر المُخْتـار منْ مُضَـر يا جَـارَ مُـبْـتَـهل ضَـاقَتْ به الحـيَلُ

٤٤ - يا مَنْ بحُـجْـرَته الأمْـلاكُ طائفَـةٌ سَبْـعـونَ ألْفًـا لَهـا منْ حَـوْلها زَجَلُ

٤٥ - يـا مَـنْ لَـهُ فـى جنَـان الخُـلْـد مَـنْزِلَـةٌ مـا فَـوْقَـهـا لنَبىٍّ مُـرْسَـل نُزُلُ

٤٦ - عَلَيْكَ أزْكَىٰ صـلاة الله مـا بَقـيَتْ دارُ النَّعـيم ومـا دَامَتْ بهـا الظُّلَلُ

٤٧ - أجبْ نداءَ شَج مُـسْـتَـصْـرخ قَلق منْ فـتْـيَـة أمْـعَنَتْ أنْيَـابُهـا العُـصُلُ

= عنيفة، والواو للحال. شعواء: متفرقة تدور هنا وهناك. سطاها: شدتها وقهرها، ولم أقف على (سَطَا) اسمًا بهذه الصيغة، وإنما هو السَطْو، فلعل الكلمة مما أغفلته المعاجم. الدارع: لابس الدرع.

(٣٧) يزايلها: يفارقها، والضمير للحرب. خمدت: انطفأت. القراع: المبارزة والطعن بالسيوف والرماح. البيض: السيوف، الأسل: الرماح.

(٣٨) الضنك: شدة الفقر وسوء الحال. وضاق به ذرعًا: لم يستطع تحمله. ألمَّ به: أصابه. استفز: أثار واستخف. ليسر: بسبب الغنى. عطفه: جانبه. الجذل: الفرح المصحوب بالكبْر. يقول: إن النبى ﷺ تحمل الفقر وضيق الحال، ولم يتبطر على النعمة إذا أصابه من الله خير وسعة فى الرزق.

(٣٩) يعفو ويصفح: مترادفان.

(٤٠) المناقب: الفضائل. حوَل: تحوُّل وانصراف.

(٤١) معشر: قوم. نُجُب: كرام. زهر: بيض، يصفهم بالسماحة وحسن الخلق. أولو: أهل.

(٤٢) يقول: إن قوم النبى ﷺ قوم كرام لم يلحق بهم فى مجدهم أحدٌ فى القديم، وكذا فى بقيتهم إلى يوم القيامة.

(٤٣) مضر: قبيلة عربية كبيرة تضم قريشًا وغيرها من القبائل. مبتهل: داعٍ.

(٤٤) حجرته: حجرة النبى ﷺ، وهى حجرة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، وقد توفى ودفن بها النبى ﷺ. زجل: صوت كالغناء.

(٤٥) نُزُل: منزل.

(٤٦) الظُّلل: جمع ظُلَّة، وهى الظلّ، أى ظلال الجنة.

(٤٧) شج: حزين. مستصرخ: مستغيث. أمعنت: اشتدت. العصل: جمع أعصل، وهو =

٤٨ - البَرُّ مِنْ رُعْبِها والبَحْرُ مُنْزَعِجٌ والحَزْنُ والسَّهْلُ والأنْعَامُ والخَوَلُ

٤٩ - مِنْ عُصْبَةٍ تَتَرٍ لوْلا تَخالُفُنَا ما صَدَّنا عَنْهُمُ وَهْنٌ ولا فَشَلُ

٥٠ - وكَانَ كُلُّ فِئَامٍ مِنْ مَقَانِبِهِمّ يَلقَاهُ منَّا ولا يَخْشَىٰ الرَّدىٰ رَجُلُ

٥١ - فاسْأَلْ لَنا اللهَ نَصْرًا قاهِرًا لَهُمُ مُثَبِّتًا لِقُلوبٍ شَفَّها الوَجَلُ

٥٢ - فَنَحْنُ مِنْ أُمَّةٍ تُعْزَىٰ إِلَيْكَ عَلىٰ عِلاَّتِها لَيْسَ يَعْرُو حُبَّها دَخَلُ

٥٣ - واشْفَعْ إِلىٰ اللهِ لِي فى حُسْنِ خَاتِمَةٍ يُمِيتُنِى وهْوَ رَاضٍ إِنْ دَنَا الأَجَلُ

٥٤ - عَلَيْكَ أَزْكَىٰ سَلامِ اللهِ ما بَقِيَتْ دَارُ النَّعِيمِ بَقَاءً لَيْسَ يَنْتَقِلُ

*****

= الأعوج، والأنياب العُصّل: كناية عن اشتداد الخطب وعظَمه.

(٤٨) الحزن: ضد السهل، وهو الوعر. الأنعام: الإبل والبقر والغنم. الخول: الخدم والعبيد. يقول إن هذه الفتنة قد عمت كل شيء حتى البر والبحر والسهول والجبال... إلخ.

(٤٩) تخالفنا: تفرقنا واختلافنا. وفى (أ) تخلفنا، وما أثبته من النبهانية أقرب للمراد. وهن: ضعف. فشل: جبن.

(٥٠) فئام: جماعات. مقانبهم: جمع مقنب وهو جماعة الفرسان على خيلها نحو ثلاثين فارساً. الردى: الموت. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٥١) شفَّها: أرهقها. الوجل: الخوف.

(٥٢) تعزى: تنسب. على علاتها: مع عيوبها. يعرو: يصيب. دخل: فساد.

اللامية الثانية

(عدتها ٩٩ ـ البسيط الثانى)

أنشد الشاعر هذه القصيدة ـ كما ذكر الناسخ فى بدايتها ـ أمام الحجرة الشريفة للنبى ﷺ، سنة خمسين وستمائة (٦٥٠هـ).

إننا أمام مادح صادق لا يقف بين يدى أمير ويبذل ماء وجهه كى ينال عطاءه، بل يقف بين يدى سيد الخلق ﷺ، ينشده أشواقه إليه وإلى الربوع التى شرفت به، معدداً بعض هذه الربوع، ومادحًا تلك الركاب التى حملته فى هجير الصحراء إلى حمى رسول ﷺ، ثم ينتقل بنا إلى الثناء عليه وذكر بعض معجزاته وبشارات الأنبياء والكتب السماوية به قبل مبعثه ﷺ، وكيف عانقت أنواره كلمات آدم وهو يستغفر ربه، وأضاءت وجه حوَّاء، وحلَّ فى صلب نوح والخليل، وتحولت السكين عن رقبة الذبيح إسماعيل بنوره، ولم يزل يتنقل فى الأصلاب والأرحام الطاهرة حتى حلَّ فى صلب عبد الله واستودع فى رحم آمنة بنت وهب، ثم أشرقت بمولده الدنيا.

ويعدد الشاعر كثيراً من معجزاته وخصائصه ﷺ طفلاً ويافعًا وشابًا ورجلاً، حتى أنزل عليه القرآن الكريم معجزته الكبرى الخالدة على الدهر، فاستنقذ الناس من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان .

ثم يثنى على الصحابة الكرام ويخص منهم وزيريه أبا بكر وعمر، والشهيد عثمان ذا النورين، والهاشمى عليًّا رضى الله عنهم أجمعين، ويعم بثنائه كل صحابى رأى النبى ﷺ ولو بنظرة مؤمنًا به.

ثم يذكر الصرصرى أن قصيدته هذه محاكاة واتباع لبردة كعب بن زهير رضى الله عنه التى مطلعها :

بانت سعادُ فقلبى اليوم مَتْبولُ   مُـتَـيَّـمٌ إثْرَها لم يُفْـدَ مَكْبـولُ

معبراً - في تواضع يحمد له - أنه لم يقصد مضاهاة قصيدة كعب، بل التبرك باتباع نهجه، فبردة كعب تفوق محاكاة الصرصري لها في عدة أمور : أسبقية كعب في مدحه ﷺ، وإنشاده النبي ﷺ مشافهة، ونيله بردة النبي ﷺ إكراماً له .

ثم ينهي القصيدة - كعادته - بالتماس الشفاعة والتوسل بجاهه ﷺ .

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- أشواق وحنين إلى الديار المباركة .
- في مديح النبي ﷺ وذكر بعض معجزاته .
- في الثناء على الأربعة الراشدين وعموم الصحابة .
- في تقريظ كعب بن زهير إمام المادحين للنبي ﷺ .
- توسل واستغاثة بجاهه ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ وأنشدها تجاه الحجرة الشريفة - زادها الله عظمة وإجلالا - في سنة خمسين وستمائة (*):

١ - رَكْبَ الحجازِ، ومنْكَ الخَيْرُ مَأْمُولُ ... هَلْ عِنْدَكَ اليَوْمَ للْمُشْتاقِ تَنْويلُ؟

٢ - عَلِّلْ بِمَا طَابَ للبَطْحاءِ مِنْ خَبَرٍ ... ذا الوَجْدِ إنْ كَانَ يَشْفِي الصَّبَّ تَعْلِيلُ!

٣ - هَلْ رَبَّةُ السِّتْرِ بَعْدَ النَّأْي دانيَةٌ؟ ... أَمْ حَبْلُها بَعْدَ طُولِ القَطْعِ مَوْصُولُ؟

٤ - أَمْ هَلْ تَحُلُّ مَطَايَانَا بِسَاحَتِها ... ورَبْعُها الرَّحْبُ بالأَحْبابِ مَأهولُ؟

٥ - ونَقْتَضِي بالمُصَلَّى والصَّفا ومِنَى ... دَيْنًا تَصَرَّمَ حِينٌ وهْوَ مَمْطُولُ

٦ - وهَلْ تَجِدُّ بِنَعْمَانِ الأَرَاكِ لنا ... مِنَ المَواهِبِ أَسْمَالٌ رَعَابيلُ؟! ٥٥/أ

٧ - وهَلْ تَخُبُّ بِنَا بَيْنَ العَقِيقِ إلى ... سَلْعٍ رَواحِلُ يَحْدُوها الأَرَاجِيلُ

٨ - مُضَبَّراتٌ القَرَا كُومٌ كَرائِمُ لا ... يَسْأَمْنَ مِنْ دَأَبٍ قُودٌ مَرَاقِيلُ

٩ - بالنِّقْيِ أَعْظُمُها والدَّرِّ حالِيَةٌ ... ومِنْ كَلالٍ ومِنْ هُزْلٍ مَعاطِيلُ

(*) في (ب) أرخ الناسخ القصيدة بشهر شوال سنة إحدى وخمسين وستمائة، وزاد: على وزن «بانت سعاد»، يريد بردة كعب بن زهير بن أبي سلمى التي مدح بها النبي ﷺ، ومطلعها:

بانت سعادُ فقلبي اليوم مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

وقد أورد النبهاني بردة كعب وأتبعها بجملة وافرة من المعارضات التي وازنها بها أصحابها من الشعراء [انظر: المجموعة النبهانية جـ٣، ص٢ : ١٧٦].

(١) تنويل: مصدر نوَّله، أي: أعطاه مراده.

(٢) علِّل: اشغلني ولهِّني بذلك. البطحاء: مكة المكرمة. ذا الوجد: صاحب الحزن والشوق، وهو مفعول (علِّل). الصبّ: المحب المشتاق.

(٣) النأي: البعد. دانية: قريبة.

(٤) مطايانا: ركائبنا. مأهول: اجتمع فيه أهله.

(٥) نقتضي: نأخذ. تصرَّم: مضى. ممطول: مسوَّف مؤجل.

(٦) تجد: تصبح جديدة. نعمان الأراك: موضع قريب من المدينة. المواهب: العطايا الإلهية. أسمالٌ: ثياب ممزقة بالية، ومثلها رعابيل. وفي (أ)،(ب): أشجان رعابيل، وهو تحريف لا يلائم السياق، وصوابه ما أثبته من النبهانية.

(٧) تخبَّ: تمشي مسرعة. رواحل: إبل، جمع راحلة. الأراجيل: الرجال الذين يسوقون الإبل.

(٨) مضبرات: قوية تامة الخَلْق. القَرَا: الظَّهْر. كُوم: جمع كوماء، وهي الناقة الضخمة. دأب: سير متواصل. قُود: منقادة مطيعة لراكبها. مراقيل: جمع مرقال، وهي الناقة المسرعة.

(٩) النقي: مخ العظام. أعظمها: عظامها. الدرّ: اللبن. حالية: مزينة. كلال: تعب. هُزْل: ضعف. معاطيل: خاليات يقول إن هذه النوق قد تزينت وحسنت بما لها من قوة البنيان وغزارة اللبن، وقد خلت من الضعف والإعياء.

١٠ - خُوصٌ لَها أَرَبٌ تَحْتَ الدُّجَى وإِذَا اشْـ ... ـتَدَّ الهَجِيرُ وضَمَّ القَسْوَرَ الغِيلُ

١١ - يَحْكِينَ نَفْثَ نَعامٍ راعَهُنَّ ضُحًى ... ذُعْرٌ وسُعِّرْنَ والصَّوَّانُ مَنْثُولُ

١٢ - يَلْبِزْنَ صُمَّ الحَصَى لَبْزًا ومَدْرَجُها ... خَطٌّ عَلَيْهِ فَمَنْقُوطٌ ومَشْكُولُ

١٣ - إِذَا الحُداةُ بِسَلْعٍ عَرَّضُوا فَلَها ... علىٰ الوَجَىٰ ودوامِ السَّيْرِ تَبْغِيلُ

١٤ - تَحِنُّ شَوْقًا، وأَنَّىٰ لا تَحِنُّ إلىٰ ... حِمىٰ الرَّسُولِ النَّجِيباتُ المَراسِيلُ

١٥ - تِلْكَ الرُّبوعُ الَّتِى آنَسْتُ مُبْتَكِرًا ... رُشْدِى بِها وتَعَدَّتْنِى الأَضَالِيلُ

١٦ - حَلَلْتُها فَحَلا عِنْدِى الغَرامُ بِها ... ثُمَّ انْصَرَفْتُ وفى قَلْبِى عَقابِيلُ

١٧ - فَهلْ أَقِيلُ بِسَلْعٍ فى أَعَزِّ حِمًى ... إِنْ قِيلَ يَوْمًا لِرَكْبٍ مُهْجِرٍ قِيلُوا

١٨ - فى تُرْبَةٍ رَحْبَةِ الأَكْنافِ قَلَّ لَها ... مِنَ المُحِبِّ بِجَفْنِ العَيْنِ تَقْبِيلُ

---

(١٠) خوص: غائرة العيون من شدة الظمأ. أرب: نشاط فى السير. القسور: الأسد. الغيل: بيت الأسد. يقول إن هذه الإبل غائرات العيون من شدة الظمأ، لكنها نشيطة فى السير فى ظلام الليل أو فى حر الهجير عندما يلزم الأسد بيته ولا يفارقه من شدة الحر.

(١١) يحكين: يشبهن. نفث: نفخ ولهاث، وفى (أ): نعت، وما أثبته من (ب) والنبهانية. راعهنَّ: أفزعهن. ذعر: خوف شديد. سُعِّرْنَ: أصابهن حر شديد كأنما ألقين فى السعير. الصَّوَّان: الحجارة الصلبة. منثول: مقطع يكاد يتفتت. يصف هذه الإبل فى سرعتها فيشبهها بنعام مذعورة فى الحر الشديد الذى يفتت الصخور.

(١٢) يلبزن: يضربن. مدرجها: طريقها. شبه آثار أخفاف الإبل فى الحجارة بالخط المستقيم الواضح كالكتابة ذات النقط والتشكيل. وهذا البيت زيادة من (ب) والنبهانية، وفى (ب): (كأنْ دمُها) بدل (ومدرجها).

(١٣) الحداة: الذين يسرقون الإبل ويغنُّون لها. عرَّضوا: ذكروا - فى غنائهم - عرضًا لا صراحة. فلها: الضمير للإبل، وفى (أ): عَرَّضوا سحرًا. ولا معنى له، بل يؤدى إلى تفكك فى التركيب النحوى للبيت، وما أثبته من (ب) هو الصواب، ومثله فى النبهانية. الوجى: داء يصيب الإبل فيحفى أقدامها من كثرة السير. تبغيل: صبر على السير الطويل.

(١٤) النجيبات: الإبل الكريمة. المراسيل: السريعة.

(١٥) آنست: عرفت وأدركت. مبتكرًا: فى عمر مبكِّر، أى فى سنوات الطفولة. الرشد: العقل، وهو مفعول (آنست). تعدتنى: تجاوزتنى. الأضاليل: ألوان الضلال والباطل.

(١٦) حَلا: من الحلاوة. عقابيل: آثار الحب وبقاياه.

(١٧) أقيل: من القيلولة، وهى الراحة فى وقت الهجير. مهجر: سائر فى الهجير أى الحر الشديد. قيلوا: أمر من (قال يقيل)، وهو يجانس بين كلمة القافية وبين (قيل) فى أول الشطر الثانى.

(١٨) رحبة الأكناف: واسعة الجوانب.

١٩ - أرضٌ ثَوَىٰ مُجْمَلُ العِلْمِ العَزيزِ بها ... وانْبَثَّ مِنْها لِنَفْعِ النَّاسِ تَفْصِيلُ

٢٠ - بالفَاتِحِ الخاتَمِ الهادى الذى شَهِدَتْ ... بفَضْلِه الجَمّ تَوْراةٌ وإنْجِيلُ

٢١ - وبَشَّرَ الناسَ موسَىٰ والمسيحُ به ... وبَثَّ أوْصافَهُ شِعْيا وحِزْقِيلُ

٢٢ - ولَمْ تزَلْ شِيَعُ الرُّهْبانِ تَنْعَتُهُ ... إنْ مَرَّ جِيلٌ أتَىٰ مِنْ بَعْدِهِ جِيلُ

٢٣ - حَتَّىٰ وعَىٰ نَعْتَهُ سَلْمانُ فاتَّبَعَ الْ ... آثارَ لَمْ تُلْهِهِ عَنْهَا الأشَاغِيلُ

٢٤ - فأبْصَرَ الحَقَّ لا غَيٌّ يُخالِطُهُ ... ولا عَداهُ عَنِ التَّحْقيقِ تَضْليلُ

٢٥ - وقَبْلُ كَانَ اسْمُهُ سَطْرًا تَضَمَّنَهُ ... عَرْشٌ عَظيمٌ علىٰ الأمْلاكِ مَحْمُولُ

٢٦ - ولاحَ فَوْقَ نُحُورِ الحُورِ أحْسَنَ مِنْ ... عِقْدٍ من الدُّرِّ زانَتْهُ التَّفَاصِيلُ

---

(١٩) ثوى: أقام. انبثّ: انتشر.

(٢٠) الجم: الكثير.

(٢١) شعيا وحزقيل: من أنبياء بنى إسرائيل. وقد أورد ابن ظفر الحموى فى «خير البشر» كثيراً من بشارات أنبياء بنى إسرائيل بنبوة سيدنا محمد ﷺ، ومما أورده من بشارات شعيا: عبدى الذى سُرَّتْ به نفسى، أنزل عليه وحيى فيظهر فى الأمم عدلى ويوصيهم بالوصايا، لا يسمع صوته فى الأسواق، يفتح العيون العُورَ والآذانَ الصُّمَّ، ويُحيى القلوبَ الغُلْف، وما أعطيه لا أعطى أحداً، مشقّح بحمد الله حمداً جديداً، يأتى من أقصى الأرض يفرح البَرِّيَّة وسكانَها، يهللون الله على كل شَرَف ويكبرونه على كل رابية... وهو نور الله الذى لا يطفأ، أثر سلطانه على كتفيه. قال ابن ظفر بعد أن ساق النص المذكور: هذه ترجمة السريانيين، وعبَّر العبرانيون عنه بأن قالوا: على كتفيه علامة النبوة [انظر: خير البشَر بخير البشر، ص ٣٩ : ٤٠] وقارن النص المذكور بالإصحاح الثانى والأربعين من سفر أشعياء فى العهد القديم]. ومن كلام حزقيل مشبهاً قوة بنى إسرائيل وازدهارهم بالكَرْمة (أى بستان العنب): لم تلبث تلك الكرمة أن قُلعَتْ ورمى بها على الأرض، وأحرقت السمائم ثمرتها، فعند ذلك غُرِسَ غَرْسٌ فى البدو فى الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أعضائه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب. قال ابن ظفر الحموى معلقًا على هذا النص: فلا شك أن أرض البدو المهملة العطشى هى أرض العرب، وغَرْسُ اللهِ الذى غرس فيها هو محمد ﷺ وقد أخزى الله به اليهود.
[المرجع السابق ، ص ٤٣].

(٢٢) شيع: جماعات. تنعَته: تصفه.

(٢٣) سلمان: هو سيدنا سلمان الفارسى رضي الله عنه، وسبق ذكر قصة إيمانه مفصلة.

(٢٤) غيٌّ: ضلال وفساد.

(٢٥) يقول إن اسم النبى ﷺ مكتوب منذ الأزل على عرش الرحمن الذى تحمله الملائكة.

(٢٦) نحور: صدور. الحور: النساء الجميلات فى الجنة . التفاصيل: الخرزات التى تفصل بين أجزاء العقد.

٢٧ - لِذاكَ آدَمُ لَمَّـا قَـامَ مُـعْـتَـذِراً ... إِذْ غَـرَّهُ مِنْ عَـدُوِّ اللهِ تَسْـوِيلُ

٢٨ - دَعَـا بِهِ فَـأَجَـابَ اللهُ دَعْـوَتَهُ ... وكَـانَ مِنْهُ لَهُ قُـرْبٌ وتَبْـجِيلُ ٥٥/ب

٢٩ - وزَانَـهُ نُورُهُ أيَّامَ مَـهْـبِطِهِ ... كَـأَنَّهُ مِنْهُ فَـوْقَ الوَجْـهِ قِنْدِيلُ

٣٠ - وأودِعَتْ نُورَهُ حَـوَّاءُ فَـابْتَـهَـجَتْ ... وكَـانَ مِنْهُ لَهَـا تَاجٌ وإِكْلِيلُ

٣١ - وبالأُبُوَّةِ شِـيثٌ نَالَ مُنْفَـرِدًا ... شَـأوًا مِنَ الفَـضْلِ لَمْ يُدْرِكْـهُ هَابِيلُ

٣٢ - وحَلَّ فى صُلْبِ نُوحٍ فى السَّفِينِ وفِى ... صُلْبِ الخَلِيلِ ولِلْنِّيـرانِ تَشْـعِيلُ

٣٣ - والمُـدْيَةُ انْقَلَبَتْ عَنِ الذَّبِيحِ لِمَـا ... مِنْ نُورِهِ فِـيـهِ مَكْنُونٌ ومَـجْـبُولُ

٣٤ - ولَمْ يَزلْ بِصَحِـيحِ العَـقْـدِ يُودِعُـهُ الـ ... ـزُّهْـرَ الطَّوَاهِـرَ آبَاءٌ بَهَـالِيلُ

٣٥ - حَـتَّىٰ اسْتَـقَـرَّتْ لَهُ فى هَاشِمٍ قَـدَمٌ ... لَهَـا مِنَ المَـجْـدِ تَفْـرِيعٌ وتَأْثِيلُ

٣٦ - وأَحْـرَزَ النُّورَ عَـبْـدُ اللهِ فَـهْـوَ بِهِ ... نَاجٍ مِنَ النَّحْـرِ تَفْـدِيهِ الشَّمَـالِيلُ

٣٧ - ثُمَّ اسْـتَـقَـلَّتْ بِهِ الزَّهْراءُ آمِنَةُ الْـ ... ـحَصَانُ لَمْ يَلْقَهَا فى الحَمْلِ تَثْقِيلُ

٣٨ - حَـتَّىٰ بَدَا عَـامُ سَـارَتْ نَحْـوَ مَكَّةَ أوْ ... بَاشُ الأَحَابِيشِ يَحْدُو جَيْشَهَا الفِيلُ

٣٩ - فكَانَ مِنْ سِـرِّهِ المَكْنُونِ أنْ دَفَـعَتْ ... عَنْهَـا أعَـادِيَهَـا طَيْـرٌ أبَابِيلُ

٤٠ - فَـأشْـرَقَتْ جَنَبَـاتُ الأرْضِ حِـينَ بَدا ... نُورٌ لَهُ فى الطِّبَـاقِ السَّـبْعِ تَجْـوِيلُ

---

(٢٧) تسويل : تزيين الشيطان وخداعه للإنسان.

(٢٨) تبجيل : تقدير واحترام.

(٣١) شيث : ابن آدم عليهما السلام . يقول : إن شيثا نال فضلاً وتميزاً بأن ولد فى بطن منفرداً دون سائر أبناء آدم عليه السلام، وذلك كرامة لشيث الذى سيكون النبى ﷺ من نسله.

(٣٣) المدية : السكين. الذبيح : إسماعيل عليه السلام. مكنون : مستور. مجبول : متأصل فى خلقته وطبيعته.

(٣٤) الزُّهْر : جمع زَهْراء، وهى المرأة البيضاء الحسناء. بهاليل : جمع بهلول وهو السيد.

(٣٥) لها من المجد تفريع : فروع، وتأثيل : أصل ثابت. والجمع بين الضدين يفيد العموم والشمول، يقول إن لبنى هاشم كل مجد وفضل بكون النبى ﷺ منهم.

(٣٦) النحر : الذبح. الشماليل : الإبل القوية، وقد نجا عبد الله والد نبينا ﷺ من الذبح بفدية من الإبل.

(٣٧) الحصان : العفيفة.

(٣٨) بدا : ظهر. الأوباش : السفلة ورعاع الناس. الأحابيش : أهل الحبشة. يحدو : يسوق. يشير إلى ولادة النبى ﷺ عام الفيل.

(٣٩) أبابيل : جماعات. (٤٠) تجويل : تجول وحركة.

٤١ - وخَـرَّ يَسْـجُـدُ للرَّحْـمَنِ مُـقْـتَـرِبًا   سُـجـودَ عَـبْـدٍ لَهُ بالقُـرْبِ تأهيلُ

٤٢ - وصَـانَهُ سَـاعَـةَ الوَضْعِ المَـلائكُ مِنْ   مُـعـانِدٍ كَـيْـدُهُ مَسٌّ وتَخْـبيـلُ

٤٣ - وطَاحَ تَاجُ أنُوشُـرْوَانَ وارْتَـجَسَ الـ   إيوانُ وانْصـاعَ كِـسْرَىٰ وهْوَ مَخْبُـولُ

٤٤ - جَـاءتْ به كـامِـلاً لا عَـيْبَ يَنْقُـصُـهُ   كـأنَّهُ وهْيَ لَمْ تَكْحَلْهُ مَكْحـولُ

٤٥ - وكـانَ يُضْـحِى دَهينًا فى حَـدَاثَتِـهِ   ومـا لِفَـوْدَيْهِ بالأدْهانِ تَرْجِـيلُ

٤٦ - وكـانَ وهْوَ ابْنُ خَـمْسٍ بالغَـمـامِ لَهُ   مِنْ شِـدَّةِ الحَـرِّ حَـتَّىٰ شَبَّ تَظْليلُ

٤٧ - وخُصَّ فى العُـمُـرِ النَّامى الشَّـريفِ لَهُ   بالشَّرْحِ صَدْرٌ بماءِ القُدْسِ مَغْسولُ

٤٨ - فى أرْبَعٍ ثُمَّ فى عَـشْـرٍ ولَيْلَةِ مِـعْـ   ـراجٍ لَهُ مِنْهُ تَقْـريبٌ وتَفْـضِـيلُ

٤٩ - حَـتَّىٰ إذَا بَلَغَ الإبَّانَ شَـرَّفَـهُ   مِنَ المُهَيْمِنِ رَبِّ العَرْشِ تَنْزيلُ ٥٦/أ

٥٠ - آياتُهُ مُـحْكَمـاتُ النَّظْمِ لَيْسَ لِمَـا   فيـهـا مِنَ الحُكْمِ والتِّبْـيَانِ تَبْديلُ

٥١ - فيـهـا مَواعظُ يَشْفينَ الصُّدورَ مِن الـ   ـشَّكِّ المُـريبِ وتَحْـريمٌ وتَحْليلُ

٥٢ - فـجـاءَ بالحَقِّ والشَّيْطانُ قَـدْ خَلَبَتْ   مِنْهُ عُـقـولَ أولى الشِّـرْكِ الأبَاطيلُ

٥٣ - فـأوْضَحَ الخُطَّةَ المُـثْلَىٰ وأنْقَـذَ مَنْ   تِيـهِ الهَـوَىٰ مَنْ أضَلَّتْـهُ التَّـمـاثيلُ

٥٤ - فـشَـرْعُـهُ واضعُ الآصارِ أحْـسَنُ مَـا   شَـرْعٍ لَنا منهُ إيضَـاحٌ وتَسْـهِـيلُ

٥٥ - فى بَعْثِهِ حَـرَسَ السَّقْفَ الثَّـوَاقِبُ فَـالْـ   ـهَمَّازُ عَنْ خَطَفَاتِ السَّمْعِ مَعْزولُ

---

(٤٢) مس وتخبيل: اختلال العقل. والمعاند: الشيطان.

(٤٣) طاح: سقط وزال. أنوشروان: كسرى فارس الذى كان على العرش لمّا وُلِدَ النبى ﷺ فتصدع إيوانه وسقط ملكه. ارتجس: تحطّم بعنف. انصاع: رجع مسرعاً.

(٤٥) دهينا: شعره مدهون. فوديه: جانبى رأسه. ترجيل: تسريح.

(٤٧) القدس: الطهارة.

(٤٨) يفصل فى هذا البيت شرح صدر النبى ﷺ ثلاث مرات: مرة فى عمر أربع، والثانية فى عمر عشر، والثالثة فى ليلة معراجه ﷺ.

(٤٩) الإبان: الوقت المقدر. التنزيل: القرآن الكريم.

(٥٢) خلبت عقولهم: سلبتها. الأباطيل: الغواية والتضليل.

(٥٣) الخطة: الطريقة. تيه الهوى: التكبر بالباطل. التماثيل: الأصنام.

(٥٤) الآصار: القيود والأثقال، واضعها: الذى يخففها. وكلمة ما فى (أحسن ما) زائدة للتوكيد.

(٥٥) السقف: السماء. الثواقب: الشهب. الهماز: الشيطان. عن خطفات السمع معزول: لا يستطيع أن يتسمع إلى الملأ الأعلى كما كان يفعل قبل بعث النبى ﷺ.

٥٦ - قَدْ جاءَ بالمُعْجِزاتِ الظَّاهِراتِ فَلَمْ ... يَرُدَّها فى البَرَايَا مَنْ لَهُ جُولُ

٥٧ - وكَانَ فى القَمَرِ المُنْشَقّ مُعْجِزَةٌ ... ما فِى حَقِيقَتِها للعَيْنِ تَخْييلُ

٥٨ - وسَبَّحَ الحَصَيَاتُ السَّبْعُ فى يَدِهِ ... لَهُنَّ بالذِّكْرِ تَكْبِيرٌ وتَهْلِيلُ

٥٩ - وحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ حِينَ فَارَقَهُ ... شَوْقًا كَما حَنَّتِ العُوذُ المَطافِيلُ

٦٠ - وخَدَّتِ الأرْضَ يَوْمًا دَوْحَةٌ وأتَتْ ... تَسْعَىٰ إِلَيْهِ ولِلأَفْنانِ تَهْدِيلُ

٦١ - وخَرَّ مِنْ نَخْلَةٍ عِذْقٌ بِدَعْوَتِه ... وارْتَدَّ لَمْ يَتَفَلَّلْ مِنْهُ عُثْكُولُ

٦٢ - وخَرَّ بَيْنَ يَدِيْهِ سَاجِداً جَمَلٌ ... لوْلاهُ أضْحَى ومِنْهُ النِّىءُ محمولُ

٦٣ - وهَكَذا سَجَدَ السَّانِى العَصِىُّ لَهُ ... فانْصاعَ فِيهِ لِسَنْوِ الماءِ تَذْلِيلُ

٦٤ - وسَلَّمَتْ ظَبْيَةٌ يَوْمًا عَلَيْهِ وعَنْ ... رِضاعِ خِشْفَيْنِ عاقَتْها الأحَابِيلُ

٦٥ - فَفَكَّها منْ وَثَاقِ الأسْرِ فانْطَلَقَتْ ... لَها لِسانٌ بِشُكْرِ اللهِ مَعْسولُ

٦٦ - وحَارِشُ الضَّبِ لَمَّا أنْ أَقَرَّ لَهُ ... بِدَعْوَةِ الحَقِّ أضْحَىٰ وهْوَ مَدلولُ

٦٧ - وسَحَّ ماءٌ عَرِيضٌ مِنْ أصابِعِهِ ... مِنْ دونِ مَشْرَبِهِ المُسْتَعْذَبِ النِّيلُ

٦٨ - سَقَىٰ فَرَوَّىٰ مِئِينًا خَمْسَ عَشْرَةَ ما ... مِنْ ناهِلٍ مِنْهُ إِلاَّ وهْوَ مَعْلولُ

---

(٥٦) جول : عقل .

(٥٩) العوذ : الإبل حديثة الولادة، ومثلها المطافيل؛ وذلك لأن الإبل فى هذه الحالة أشد حنينًا وعطفًا على أطفالها .

(٦٠) خدَّت : شقت . دوحة : شجرة كبيرة . الأفنان : الأغصان . تهديل : ارتخاء .

(٦١) لم يتفلَّل : لم ينقطع . عثكول : شمراخ الرطب .

(٦٢) النىء : اللحم . أى : لولا شكواه إلى النبى ﷺ لأكلوا لحمه . جاء فى الحديث أن بعيراً أتى فقام بين يدى رسول الله ﷺ ، فرأى عينيه تدمعان، فبعث إلى أصحابه فقال : ما لبعيركم هذا يشكوكم؟ فقالوا : كنا نعمل عليه فلمَّا كَبرَ وذهب عملُه تواعدنا لنحره غداً . فقال رسول الله ﷺ : لا تنحروه واجعلوه فى الإبل يكونَ فيها [دلائل البيهقى ٦ / ٢١] .

(٦٣) السانى : الجمل الذى يدير الساقية . العَصِىّ : الممتنع من العمل . انصاع : ذل وانقاد مسرعًا . سنو : سقى . تذليل : سهولة ويسر .

(٦٤) خشفين : مثنى خِشْف، وهو ولد الظبية . الأحابيل : الشراك التى نصبها الصياد لها .

(٦٦) حارش الضب : صائدة، ولا تستعمل كلمة الحرش إلا فى صيد الضبِّ دون غيره من الحيوان . مدلول : مهتدٍ بما تبين له من دليل صادق .

(٦٧) سح : نبع غزيرا .

(٦٨) مئينا : مئات، والمراد بالمئين الخمس عشرة : ألف وخمسمائة من المقاتلين سقاهم رسول الله من الماء الذى نبع من بين أصابعه . ناهل : الشارب أول مرة . معلول : شارب =

٦٩ - ومَدَّ فى الجَدْبِ كَفَّيْهِ فَلَمْ يَرِمِ الْـ ... ـمُثْعَنْجِرُ الجَوْدُ إلاَّ وهْوَ مَهْلولُ

٧٠ - ومَدَّ للصَّحْوِ كَفًّا فانْجَلَىٰ فِرَقًا ... كأنَّهُ نَعَمٌ هِيمٌ مَجافِيلُ

٧١ - وحَذَّرَتْهُ ذِراعُ الشَّاةِ مَا وَضَعَتْ ... فيها مِنَ السُّمِّ أُمُّ النَّيْرَبِ الغولُ ٥٦/ب

٧٢ - وَفَاءَ مِنْ عُقَدِ النَّفَّاثِ مُنْطَلِقًا ... كأنَّهُ مُرْهَفُ الحَدَّيْنِ مَصقُولُ

٧٣ - هذا وأَوْلاهُما صَفْحًا عَلىٰ ظَفَرٍ ... ولَمْ يَشِنْ حِلْمَهُ المَحْمودَ تَعْجِيلُ

٧٤ - ومَنْ يُرِدْ جَاهِدًا حَصْرًا لِمُعْجِزِهِ ... يَحْصَرْ ولَمْ يَتَّسِعْ فى نَظْمِهِ قِيلُ

٧٥ - إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ ... نَقْصُ المِحاقِ ولا يُخْفِيهِ تَأْفِيلُ

٧٦ - أَمَدَّهُ اللهُ بالأَمْلاكِ مُرْدِفَةً ... لِنَصْرِهِ فَلَهُمْ فى الخَصْمِ تَنْكِيلُ

٧٧ - وبالمُهاجِرَةِ الأعْيَانِ والغُرَرِ الْـ ... أَنْصارِ كُلٌّ لَهُ فى الفَضْلِ تَحْصِيلِ

٧٨ - بِهِمْ عُقودُ الهُدَىٰ شُدَّتْ كَما بِهِمُ ... عَقْدُ الضَّلالَةِ أضْحَىٰ وهْوَ مَحْلُولُ

٧٩ - وخَصَّهُ بِأَبِى بَكْرٍ وبالعَلَمِ الْـ ... ـفَارُوقِ إذْ لَهُما صِدْقٌ وتَعْدِيلُ

= مرة أخرى، فالنهل: أول الشرب، والعلل: الشرب مرة أخرى.

(٦٩) لم يرم: لم يلبث، كناية عن السرعة. المثعنجر: الغزير. الجَوْد: المطر. مهلول: سائل بشدة.

(٧٠) فرقًا: قطعًا متفرقة. نَعَمٌ: إبل. هيم: عطاش. مجافيل: منزعجة مسرعة إلى الماء لشدة عطشها.

(٧١) أم النيرب: أم الشرّ. الغول: بدل من أم النيرب، وأراد بها اليهودية التى دست السم للنبى ﷺ فى ذراع الشاة.

(٧٢) فاء: رجع. النفاث: الساحر، وهو لبيد بن الأعصم، وسبق ذكره. مرهف الحدين: سيف رقيق لامع.

(٧٣) أولاهما: تكرم عليهما، والضمير لليهودية التى أرادت أغتياله واليهودى الذى سحره. صفحًا: عفوًا. على ظفر: بعد أن قدر عليهما وكان بوسعه أن يقتص منهما. لم يشن: لم يَعب.

(٧٤) يحصر: يعجز عن بلوغ هذه الغاية. قيل: كلام، يقول إن معجزات النبى ﷺ يصعب حصرها ولا يتسع الكلام لها.

(٧٥) المحاق: إظلام القمر. تأفيل: أفول وغياب.

(٧٦) مردفة: متتابعة.

(٧٧) المهاجرة: أصحاب النبى ﷺ من المهاجرين.

(٧٩) العلم: المشهور. الفاروق: لقب عمر بن الخطاب ﷺ. تعديل: نسبة إلى العدل، أى ينسب الناس العدل إليهم.

٨٠ - هُمـا وَزيراهُ فى الأرضِ ارْتَضَىٰ بهـما ... وفى السَّـمٰوات مـيكَالٌ وجـبْـريلُ

٨١ - وبالشَّـهـيـدِ أبى عَـمْـرو مُـرَتِّلِ آ ... يَاتِ الكتـابِ وثَوْبُ اللَّيْلِ مَسْـدولُ

٨٢ - عُـثْـمـانَ مَنْ خُصَّ بالنُّورَيْنِ ثُمَّ لَهُ ... مِنْ أنْفَسِ النَّفْعِ تَجْـهـيـزٌ وتَسْـبـيلُ

٨٣ - والهَـاشـمىُّ عَلىٌّ وهْوَ نَاصـرُهُ ... وصـارمٌ مِنْ سُـيـوفِ اللهِ مَسْلولُ

٨٤ - أخِى الرَّسُـولِ حَـبَـاهُ بالبَـتُـولِ فَـمَنْ ... نَاواهُ فَـهْـوَ عَنِ الإيمـانِ مَـبْـتُـولُ

٨٥ - أكْـرِمْ بهِـمْ خَـيـرُ كُلِّ الصَّـحْبِ أرْبَعَـةً ... هُـمُ لِمَنْ صَـحَّحَ التَّـقْـوىٰ قَناديلُ

٨٦ - ومَـنْ رآهُ بِإيـمـانٍ فـإنَّ لَـهُ ... فَـضـلاً على غَـيْـرِه مـا فـيـه تَقْليلُ

٨٧ - أُجُـورُهُـمْ بَيْـنَ كُـلِّ النَّاسِ وافِـرَةٌ ... يَوْمَ المَـعـادِ إذَا تُحْـصَىٰ المَـثـاقـيلُ

٨٨ - يا سَـيِّـدَ النَّاسِ فى الدُّنْيـا وسَـيِّـدَهُم ... يَومَ القـيـامَـة، مِنْكَ الخَـيْـرُ مـأمُـولُ

٨٩ - حَبَّرْتُ فيكَ مَديحًا حُسْنُ وَصْفكَ فى ... رءوسِ أبْيـاتـه الحُـسْـنَىٰ أكَـاليـلُ

٩٠ - نَظَمْـتُـهـا وَزْنَ مَنْ قَـدْ قَـالَ مُـبْـتَـدئًا: ... بَانَتْ سُـعـادُ فَـقَلْبِى اليَـوْمَ مَـتْـبـولُ

٩١ - تَبَـرُّكًـا باتِّبَـاعى مـا نَحـاهُ ولَمْ ... أبْغِ المُـضَـاهاةَ، أيْنَ الطَّوْلُ والطُّولُ؟!

---

(٨١) أبو عمرو: عثمان بن عفان ﷺ. مسدول: مُرخَى. يصف عثمان بالتبتل وطول العبادة وقراءة القرآن فى جوف الليل.

(٨٢) عثمان: بدل من (الشهيد أبى عمرو...) فى البيت السابق. النورين: زوجتيه، وهما السيدتان رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ. تسبيل الشىء: جعله فى سبيل الله. يشير إلى تجهيز عثمان ﷺ جيش العسرة.

(٨٣) صارم: قاطع. مسلول: مخرج من غمده استعداداً للقتال فى سبيل الله.

(٨٤) حباه: أكرمه. البتول: السيدة فاطمة رضى الله عنها. ناواه: أصله ناوأه، أى عاداه وخاصمه. مبتول: مقطوع مطرود.

(٨٧) المثاقيل: الأوزان، ومراده بها: الأعمال.

(٨٩) حبرت: نظمت نظماً حَسَنًا. أكاليل: جمع إكليل وهو التاج.

(٩٠) القائل هو كعب بن زهير. والصرصرى يتبع خطاه فى قصيدته هذه. وقد عارض بردة كعب شعراء عديدون، وأورد النبهانى فى «المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية جـ ٣» ثلاثًا وعشرين قصيدة فى معارضة بردة كعب لشعراء من عصور مختلفة تشغل مائة وستًا وسبعين صفحة. ومعنى بانت: فارقت، متبول: متيَّم ملهوف.

(٩١) نحاه: قصده. المضاهاة: المماثلة. الطَّول بفتح الطاء: القُدرة والبلاغة، والطُّول بضم الطاء: التمام. وهذا تواضع من الصرصرى، إذ يجعل محاكاته لكعب بن زهير لغرض التبرك لا لقصد المماثلة.

٩٢ - لقَدْ عَلا كَعْبُ كَعْبٍ كُلَّ مُمْتَدِحٍ ... فَمَنْ يُفاضِلْهُ يومًا فَهْوَ فَمَفْضُولُ ٥٧/أ

٩٣ - سَبْقًا وفَضْلاً وإنْشَادًا مُشافَهَةً ... وبُرْدَةً قَصَّرَتْ عَنْهَا السَّرابِيلُ

٩٤ - لَكِنَّنِى إنْ يَكُ التَّسْويفُ قَصَّرَ بِى ... وقِيلَ إنَّكَ مَبْعوثٌ ومَسْئولُ

٩٥- أَقولُ للواعِظِ المُهْدِى نَصِيحَتَهُ: ... أقْصِرْ؛ فَلِى شَافِعٌ فى الحَشْرِ مَقْبُولُ

٩٦ - مُحَمَّدٌ خَيرُ مَبْعوثٍ بِمَرْحَمَةٍ ... وجَاهُهُ الغَمْرُ لِلرَّاجِينَ مَبْذُولُ

٩٧ - فاشْفَعَ لِىَ الآنَ فى إطْلاقِ نَفْسِىَ مِنْ ... وَثَاقِهَا فَقَرِينُ النَّفْسِ مَكْبُولُ

٩٨ - وفى المَعَادِ فَسَلْ حُسْنَ الخَلاصِ لَهَا ... إذْ كُلُّ عَبْدٍ بِمَا يَعْنِيهِ مَشْغُولُ

٩٩ - عَلَيْكَ أزْكَىٰ صَلاةِ اللهِ بَاقِيَةً ... بَقَاءَ دَارٍ إلَيْهَا أنتَ مَنْقولُ

*****

---

(٩٢) علا كعبُ: تفوَّق على غيره وامتاز. وكعب الثانية: كعب بن زهير صاحب البردة. يفاضله: يحاول أن يحوز ما ناله من فضل.

(٩٣) البردة: ثوب أعطاه النبى ﷺ كعب بن زهير لما أنشده قصيدته فى مديحه. والسرابيل: القمصان. يقول إن فضل كعب على غيره من الشعراء: لأسبقيته عليهم، وفضله عليهم لكونه رأى النبى ﷺ، وأنه أنشده قصيدته مشافهة، وأنه نال بردته المباركة جائزة له.

(٩٤) التسويف: التأجيل، مأخوذ من قول المرء: سوف أفعل كذا.

(٩٥) أقْصر: كُفَّ عن نصحك لى.

(٩٦) الغمَر: الكثير. مبذول: مقدَّم.

(٩٧) الوثاق: القيد. قرين النفس: الشيطان. مكبول: مقيد. يقول مخاطبًا النبى ﷺ: اشفع لى عند الله أن يطلقنى من قيدى وأن يقيد الشيطان فلا يوسوس لى.

اللامية الثالثة

(عدتها ٩٩ - البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بوصف مشاعر ركب الحجيج المنطلق من العراق إلى الديار المباركة، فى حالة من الطرب واللهفة تشملهم وتشمل ركابهم، ويذكر تلك المواقع التى مروا بها من بدء رحلتهم إلى منتهاها، فيما يشبه رسمًا بالكلمات لخارطة تمتد من العراق إلى الحجاز، على نحو يذكّرنا بصنيع الشعراء الأقدمين فى وصف الديار وأطلالها، إلا أن هذه الديار التى يصفها الصرصرى رموز روحية ومنازل قدسية تقرب المُحبَّ من الحبيب النبى ﷺ .

وفى هذه القصيدة يذكر الشاعر المستعصم بالله ويمدحه بأنه قد جدد ما انمحى من معالم تلك الطرق المباركة، داعيًا له بالنصر والتأييد .

ثم تتواصل رحلة الركب حتى يبلغ ميقاته بذات عرق، فالمواقف المختلفة، حتى يحلَّ أرض طيبة (المدينة المنورة) حمى النبى ﷺ .

وينتقل من هنا إلى مدح النبى ﷺ ، والثناء على صحابته الأكرمين، ويخص منهم أبا بكر وعمر وعثمان وعليًّا والعباس وحمزة رضى الله عنهم، ويذكر زيارة الركب لقبر إبراهيم ابن النبى ﷺ ، وحفيده الحسن بن علىّ رضى الله عنهم أجمعين .

وينهى القصيدة بمناجاة محبوبه ﷺ والاستجارة والتوسل به إلى الله عز وجلَّ لقضاء حاجاته فى الدنيا والآخرة، ولا ينسى أن يدعو بالسلامة والأمن لمن كان سببًا فى إيصاله إلى الربوع المقدسة .

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- رحلة الحج من العراق إلى الحجاز .
- فى مدح الخليفة المستعصم بالله .

- في مدح النبي ﷺ .
- في الثناء على الصحابة الكرام .
- توسل واستجارة بالنبي ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ وذكر فيها منازل طريق مكة حرسها الله تعالى(*):

١ - لأىِّ مَكْنُونِ سِـــــرٍّ حَنَّتِ الإبِلُ ؟ ... أفَارَقَتْ إلْفَهَا أمْ شَاقَهَا الطَّلَلُ؟

٢ - لا بَلْ حَمَلْنَ علىٰ الأكْوارِ كُلَّ فَتَىً ... هَاجَتْ بأرْضِ الحِمىٰ أشْجانَهُ الكِلَلُ

٣ - سَرَيْنَ مِنْ رَوْحَةِ الزَّوْراءِ يُطْرِبُها ... حَدْوُ الحُداةِ ويُذْكِى وَجْدَها الغَزَلُ

٤ - طَوَيْنَ صَرْصَرَ طَيًّا والفُرَاتَ إلىٰ ... كُوفانَ لَيْسَ لَها غَيرُ السُّرَىٰ شُغُلُ

٥ - زارَ الحَجيجُ بها صِهرَ الرَّسولِ أبَا ... تُرابٍ العَلَمَ المَنْشُورَ وابْتَهَلُوا

٦ - وشَارَفَ النَّاجِياتُ القادِسِيَّةَ لَمْ ... يَعْدِلْنَ عَنْها فَلمَّا أسْحَرُوا رَحَلوا

٧ - وجَاوَزُوا بالسُّرَىٰ قَصْرَ العُذَيْبِ ومِنْ ... مَاءِ الزُّبَيْدىِّ عَذْبًا سَائغًا نَهَلوا

(*) فى (ب): وقال - رحمه الله - يذكر المنازل ويمدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها تجاه الحجرة النبوية فى سنة خمسين وستمائة.

(١) مكنون: خفى مستور. شاقها: أثار شوقها. الطلل: ما تبقَّى من الديار بعد رحيل أهلها.

(٢) الأكوار: جمع كُور وهو الرَّحل الذى يوضع فوق ظهر البعير. هاجت: أثارت، وهو فعل متعدٍّ مفعوله (أشجانه). الكلل: جمع كلة وهى الستر الرقيق للهودج. وهذه الستور تثير الأشجان لأنها تكون للنساء.

(٣) روحة الزوراء: موضع قريب من بغداد [معجم البلدان ٣/ ١٧٥]. وسيذكر الشاعر فى هذه القصيدة المنازل التى يمر عليها الحجَّاج فى طريقهم من العراق إلى الديار المقدسة، فيما يشبه خارطة دقيقة. والحَدْو: الغناء. يُذكى: يزيد.

(٤) طوين: قطعن. صرصر: بلد الشاعر، وهناك بلدتان بالعراق كلتاهما تدعى صرصر، وهما على ضفة نهر متفرع من الفرات يدعى نهر صرصر أو نهر عيسى، وكلتاهما قريبة من بغداد [معجم البلدان ٤ / ٥٥٦]. كوفان: الكوفة.

(٥) أبا تراب: سيدنا علىّ بن أبى طالب عليه السلام، والنبى ﷺ هو الذى دعاه بهذا اللقب. روى البخارى أن النبى ﷺ رأى عليًّا ﷺ مضطجعاً فى المسجد وقد سقط رداؤه عن ظهره ونفذ التراب إلى ظهره، فجعل النبى ﷺ يمسح عنه التراب ويقول: «اجلس يا أبا تراب» [فتح البارى، كتاب فضائل الصحابة ٦ / ٨٨ ، حديث رقم ٣٧٠٣]. العلم: الراية. ابتهلوا: دعوا.

(٦) شارف: وصل. الناجيات: الإبل المسرعات. وذكر الفعل مع الفاعل المؤنث للضرورة. القادسية: بلد بالعراق على بعد خمسة عشر فرسخًا من الكوفة [معجم البلدان ٤ / ٣٣١]. أسحروا: دخلوا فى وقت السحر.

(٧) قصر العذيب: موضع قريب من القادسية بينه وبينها أربعة أميال [معجم البلدان ٤ / ١٠٣]. ماء الزبيدى: بركة بين المغيثة والعذيب تنسب إلى زبيدة زوجة هارون الرشيد، وهى الزبيدية [معجم البلدان ٣ / ١٤٨]. نهلوا: شربوا حتى ارتووا.

٨ - وبَعْدَمَا عَبَرُوا أمَّ القُرىٰ وسَرَوْا ... إلىٰ المغيثةِ والدَّيْجُورُ مُنْسَدلُ

٩ - وغَادَرَ الرَّكْبُ حَمَّامَ الفَلا ورَمَىٰ ... بمسْجدِ البيدِ عَنْهُ السَّابِقُ العَجِلُ

١٠ - وعَرَّسَ الرَّكْبُ بالقَرْعاءِ وابْتَدَروا ... إنْ هَجَّروا وَخَدُوا أوْ أدْلَجوا ذمَلوا

١١ - وفى أَلُورَةَ ذاتِ البِرْكَتَيْنِ إلَى ... شَرَافِ الماءُ للْوُرَّادِ مُتَّصِلُ ٥٧/ب

١٢ - وعَايَنوا الوِرْدَ مَحْمُوداً بواقِصَةٍ ... مِنْهُ لَهُمْ نَهَلٌ مِنْ بَعْدِهِ عَلَلُ

١٣ - وأوْعَرَ العَقَبَاتِ اسْتَقْبَلوا وطَوَوْا ... أخْطَارَها وتَجَلَّىٰ عَنْهُمُ الوَجَلُ

١٤ - واسْتَقْبَلَ الهَيْثَمَيْنِ الرَّكْبُ وانطَلَقوا ... إلىٰ زُبَالَةَ فاجْتَازُوا ومَا نَزَلوا

١٥ - وعَرَّسُوا بِخُلَيْصٍ بَعْضَ لَيْلَتِهِمْ ... ونَوَّروا واسْتَهَلَّ العَارِضُ الهَطِلُ

---

(٨) أم القرى: فى (أ)،(ب): أم القرون، والصواب ما أثبته من (د).
المغيثة: منزل بعد العذيب فى طريق مكة، بينها وبين القادسية أربعة وعشرون ميلاً [معجم البلدان ٥ / ١٩٠]. الديجور: الظلام. منسدل: شامل يغطى كل شىء.

(٩) بادر: أسرع . حمام الفلا: كذا فى جميع النسخ، ولم أقف عليه.
مسجد البيد: كذا فى جميع النسخ أيضا ولم أقف عليه.

(١٠) عَرَّس: استراح من السفر. القرعاء: منزل فى الطريق بين مكة والكوفة [معجم البلدان ٤ / ٣٧٠]. ابتدروا: أسرعوا. أنجدوا: ساروا. هجَّروا: ساروا فى وقت الهجير وهو الظهيرة. وخدوا: الوخد ضرب من السير السريع. أدلجوا: ساروا فى الدلجة، أى فى الليل. ذَمَلُوا: ساروا سيراً سريعًا هادئًا. وفى (أ): إن أنجدوا وخدوا أو أدلجوا رملوا. وما أثبته من (ب) أقرب إلى السياق.

(١١) ألورة: موضع على تسعة أميال من القرعاء، وضبطه ياقوت(اللَّوزة) وشك هل هى بالزاى أم بالراء، ولا يستقيم وزنًا سوى ما أثبته هنا. وفى (د): ألوارة.
شراف: ماء بنجد بين واقصة والقرعاء [معجم اللدان ٣ / ٣٧٥]. الورَّاد: الذين يردون على الماء.

(١٢) عاينوا: رأوا. الورِد: الماء. واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء [معجم البلدان ٥ / ٤٠٧]. النهل: الشرب الأول. العلل: الشرب مرة أخرى.

(١٣) أوعر العقبات: أشدها وعورة أى صعوبة، والعقبة: الجبل، وأراد بها: العقبة، اسم موضع بعد واقصة فى الطريق إلى مكة [انظر معجم البلدان ٤ / ١٥١]. تجلَّى عنهم: انكشف. الوجل: الخوف والقلق.

(١٤) الهيثمين: لعله (الهيثم) الذى ذكره ياقوت، وهو موضع بطريق مكة [انظر معجم البلدان ٥ / ٤٨٤]. زبالة: قرية بين واقصة والثعلبية فى الطريق من الكوفة إلى مكة [معجم البلدان ٣ / ١٤٥].

(١٥) عرسوا: باتوا ليلهم. خليص: حصن بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ٤٤٢] نوَّروا: صلَّوا صلاة الصبح. استهلَّ: أمطر. العارض: السحاب. الهطل: الغزير الشديد المطر.

١٦ - فَظَلَّ يَهْمِي إلىٰ وَادي الشُّقوقِ إلىٰ الـ ـسَّبيخَتَيْنِ فَطابَ الورْدُ والنَّهَلُ

١٧ - فادْلَجوا بجِبالِ الرَّمْلِ أيَّدها مُجَلْجِلٌ بمَريعِ الوَدْقِ مُنْهَمِلُ

١٨ - وصَبَّحوا رَمْلَةَ المَرْحومِ وانْتُدِبُوا للثَّعْلَبيَّةِ إذْ حَفَّتْ بها الذُّبُلُ

١٩ - ضَحَّوْا بها وسَرَوْا واللهُ نَاصِرُهُمْ وما استكانوا لتَرْهيبٍ ولا نَكَلوا

٢٠ - طَوَتْ زَروداً وقَدْ رَوَّىٰ عَثَاعِثَها صَوْبُ الحَيا فَعَدا أَخْفافَها الزَّلَلُ

٢١ - وللغُوَيْرِ طَوَتْ طَيَّ البُرُودِ بَلىٰ بأجْفُرِ البيدِ ضَحَّىٰ الرَّكْبُ وارْتَحلُوا

٢٢ - ضَحَّوْا بفَيْدٍ بأعْلامٍ إذا نُشِرَتْ لَها السَّنَاءُ وعِزُّ النَّصْرِ مُشْتَمِلُ

٢٣ - أعْلامِ مُسْتَعْصِمٍ باللهِ جَدَّدَ ما عَفَا مِنَ الحَجِّ وانْزاحَتْ بها العِلَلُ

---

(١٦) يهمي : ينصب بشدة . وادى الشقوق : منزل بعد واقصة على طريق مكة المكرمة من الكوفة . [معجم البلدان ٣ / ٤٠٣] .

(١٨) انتدبوا : دُعوا . الثعلبية : منزل بعد وادى الشقوق المذكور فى البيت السادس عشر، وعندما يبلغها الحاج السائر من الكوفة إلى البلد الحرام يكون قد قطع ثلثى الطريق [انظر معجم البلدان ٢ / ٩١] .

حفّت : أحاطت . الذُّبُل : الرماح .

(١٩) ضحَّوْا : تناولوا الطعام فى وقت الضحى .

سروا : ساروا . استكانوا : خضعوا .

نكلوا : جبنوا وانصرفوا عن قصدهم .

(٢٠) زرود : موضع بعد الثعلبية على الطريق من الكوفة إلى مكة .

[معجم البلدان ٣ / ١٥٦] . عثاعثها : كثبانها وتلالها .

صوب : سقوط . الحيا : المطر . عدا : جاوزها ولم يصبها . الزلل : الخطأ والتعثر فى السير .

(٢١) الغوير : منزل بين العقبة والقاع فى الطريق من الكوفة إلى مكة [معجم البلدان ٤ / ٢٤٩] . طوت : قطعت المسافة بسرعة .

طى البرود : كما تطوى الثياب .

أجفر البيد : ماء بالقرب من مكة المكرمة .

(٢٢) فيد : منزل فى نصف الطريق بين مكة والكوفة [معجم البلدان ٤ / ٣٢٠] . أعلام : رايات . السناء : الرفعة .

(٢٣) مستعصم : المستعصم بالله، وهو الخليفة السابع والثلاثون من خلفاء بنى العباس، بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله سنة ستمائة وأربعين، وقتل المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ عندما استولى هولاكو على بغداد .

[نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ٢٣ / ٣٢٢] .

عفا : زال .

٢٤ - لا زالَ بالنَّصْرِ والتَّأْييدِ مُلْتَحِفًا ... ونَالَ أعْدَاءَهُ الخِذْلانُ والخَبَلُ

٢٥ - بَاتُوا بِهَا واسْتَقَلَّتْ عِيسُهُمْ بِهِمُ ... يَهُونُ فِيمَا تَرومُ السَّهْلُ والجَبَلُ

٢٦ - مَرّوا بِمَحْروقِ نُورٍ فى الدُّجَىٰ وسَرَوْا ... إلىٰ سَمِيرَاءَ لا يَنْتَابُهُمْ فَشَلُ

٢٧ - ويَمَّمُوا حَاجِرًا والنَّقْرَةَ ابْتَدَروا ... وعَرَّسُوا بالفَلا لَمَّا دَنَا الطَّفَلُ

٢٨ - وبالعُسَيْلَةِ ضَحَّىٰ الرَّكْبُ ثُمَّ سَرَوْا ... والمَوْرِدُ المُرُّ فِيمَا حَاوَلوا عَسَلُ

٢٩ - وآنَسُوا نَسَمَاتِ القُرْبِ تَنْفَحُ مِنْ ... أكْنافِ طَيْبَةَ فِيهَا الرَّوْحُ والجَذَلُ

٣٠ - فاسْتَبْشَرَ الرَّكْبُ فى وَادى العَروسِ بِمَا ... إلىٰ قُلوبِهِمُ مِنْ رَوْحِهَا يَصِلُ

٣١ - وَدُّوا مِنَ الشَّوْقِ لو طارَتْ بِهِمْ مَرَحًا ... إلىٰ مَرَابِعِهَا الوَخَّادَةُ البُزُلُ

٣٢ - لوْلا مَآرِبُ فى نَعْمَانَ والحَرَمِ الْـ ... أَعْلَىٰ لَمَا صَدَفُوا عَنْها ولا عَدَلُوا ٥٨/أ

٣٣ - بَاتُوا بِأرْغَدِ عَيْشٍ طُولَ لَيْلِهِمُ ... مُسْتَأنِسينَ فلَمَّا أصْبَحوا احْتَمَلُوا

٣٤ - وحَثْحَثوا الرَّكْبَ فى قَاعِ الغَزالَةِ لا ... يَحُلُّ عَقْدَ نَشَاطٍ مِنْهُمُ كَسَلُ

٣٥ - وجَاوَزُوا هَضْبَةَ التُّرْكِيِّ بَعْدُ إلىٰ ... وَادى الشَّظَا مَا لَهُمْ مُكْثٌ ولا مَهَلُ

---

(٢٤) ملتحفًا: أى محفوظًا بنصر الله وتأييده، كأن النصر يغطيه. الخذلان: الهزيمة. الخَبَل: الفساد.

(٢٥) استقلَّت: رحلت. عيسهم: إبلهم. تروم: تطلب.

(٢٦) سميراء: منزل فى الطريق إلى مكة [معجم البلدان ٣ / ٩٠]. لا ينتابهم: لا يصيبهم.

(٢٧) يمَّموا: قصدوا. حاجر: موضع قبل معدن النقرة [معجم البلدان ٢ / ٢٣٦]. والنقرة: من منازل حجاج الكوفة فى الطريق إلى مكة [السابق ٥ / ٣٤٥]. عرَّسوا: نزلوا للراحة. الطفل: غروب الشمس.

(٢٨) العسيلة: ماء بجبل القنان شرقى سميراء [معجم البلدان ٤ / ١٤١].

(٢٩) آنسوا: أحسوا. تنفح: تهُبّ. أكناف: جوانب. طيبة: المدينة المنورة. الروح: الراحة. الجذل: الفرح.

(٣١) مرحًا: نشاطًا. الوخَّادة: الإبل المسرعة. البُزُل: جمع بازل، وهو البعير المُسنّ.

(٣٢) مآرب: حاجات. نعمان: وادٍ بينه وبين مكة نصف ليلة [معجم البلدان ٥ / ٣٣٩]. صدفوا: تحولوا. عدلوا: مالوا وابتعدوا عنها.

(٣٣) احتملوا: رحلوا.

(٣٤) حثحثوا: أسرعوا. قاع الغزالة: منزل فى طريق مكة بعد العقبة [معجم البلدان ٤ / ٣٣٨].

(٣٥) وادى الشظا: جبل قرب مكة المكرمة [معجم البلدان ٣ / ٣٩١]. مكث: انتظار. وجاء عجز البيت فى (أ) هكذا: وادى العقيق لهم مكث ولا مهل. وهذا الكلام فيه تناقض =

٣٦ - حَـــتَّىٰ إذا بَلَغ الوَفْــدُ الكِرامُ إلىٰ الـ ـسَّــوارِقـيَّــة طَابَ الوِرْدُ فَــانْتَــهَلُوا

٣٧ - طَوَوْا صُــفَــيْنَةَ والطَّسُّــوجَ وابْتَــدَرُوا بغَـــمْـــرَةَ المَـــاءَ لا مُـــرٌّ ولا وَشِلُ

٣٨ - حَـتَّىٰ إذا بَلَغـوا مِـيـقـاتَهُمْ نَزَلوا بِذات عِـرْقٍ بِحَـمْـد الله فـاغْـتَـسَلُوا

٣٩ - وأحْـرَمَـوا ثُمَّ لَبَّـوْا خَـاشِـعِـينَ لِذى الْـ ـجَـلالِ كُلٌّ إلىٰ مَـوْلاهُ مُـبْـتَـهِـلُ

٤٠ - وسَاوَتِ السُّوقَـةُ الأمْلاكُ تَحْسَبُـهُمْ إلىٰ الحساب مِنَ الأجْداث قَدْ نَسَلوا

٤١ - وبِالمــعَــالِفِ مَــرُّوا وانْجَلَىٰ لَهُمُ بِبَطْنِ نَخْلَةَ وَادٍ نَبْـتُــهُ خَـضِلُ

٤٢ - وشـارَفـوا عَـرَفـاتٍ فـاسْـتَـبانَ لَهُمْ أنَّ الحَـجـيجَ إلىٰ مـا حـاوَلوا وَصلُوا

٤٣ - فـيَـا لَهُ مَـوْقِـفًـا فـيـه لِوافِـده جَـوائِزُ الفَـضْلِ والرِّضْـوانِ تُبْـتَـذَلُ

٤٤ - وفَاضَ بالمَـشْعَـرِ الإحْسانُ فَـوْقَهُـمُ وبالمُنَىٰ فى مِنَىٰ مِنْ رَبِّهِمْ حَـصَلُوا

٤٥ - ثُمَّ اسْتَقَلُّوا إلىٰ البَطْحاءِ حِينَ قَضوْا رَمْىَ الجِـمـارِ وقَـدْ نَالُوا الذى أَمَلُوا

= إذ كيف يكون لهم مكث ولا مهل؟! وما أثبته من (ب).

(٣٦) السوارقية : قرية بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣ / ٣١٣]. الوِرْد : الماء. انتهلوا : شربوا.

(٣٧) طووا : قطعوا مسرعين. صفينة : قرية بالحجاز يسلكها حجاج العراق [معجم البلدان ٣ / ٤٧١]. ابتدروا : أسرعوا. غمرة : منزل من منازل مكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ٢٤٠]. وشل : قليل. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٣٨) ميقاتهم : موضع الإحرام بالحج. ذات عرق : ميقات أهل العراق، وتقع تحت جبل بالقرب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ١٢١].

(٤٠) السوقة : العامة. الأملاك : الملوك. الأجداث : القبور.
نسلوا : خرجوا مسرعين. يشبه حال ركب الحجيج بحال الناس يوم القيامة، فهم متساوون لا فرق بين سوقة وملوك.

(٤١) المعالف : كذا فى (ز)،(ب)،(د). وفى (جـ) : وبالمعاكف، ولم أقف عليهما. انجلى : ظهر. بطن نخلة : موضع قريب من مكة المكرمة، بينها وبين المدينة خمسون ميلاً [معجم البلدان ٥ / ٣٢٠]
خَضِل : نَدِىٌّ رطب ناعم. وقد ذكر السمهودى [فى وفاء الوفا : الموضع السابق] أن فى هذا الوادى نحوَ ثلاثمائة بئر كلها طيبة [وفاء الوفا ٤ / ١١٤٩].

(٤٢) شارفوا : وصلوا.

(٤٣) تبتذل : تُقَدَّم.

(٤٤) المشعر : المزدلفة. ومعنى المشعر فى اللغة : المكان الذى يتعبد فيه لله عز وجل، وهو من مناسك الحج.

(٤٥) استقلوا : ذهبوا. البطحاء : مكة المكرمة.

٤٦ - طَافُوا بِذاتِ السُّتُورِ ازْدادَ مَعْلَمُهَا ... جَلالَةً وبَهَاءً لَيْسَ يَنْفَصِلُ

٤٧ - طَوافَ مُسْتَهْتَرٍ جادَ الحَبِيبُ لَهُ ... بِوَصْلِه فَهْو مَشْغُوفٌ بِه جَذِلُ

٤٨ - وأحْسَنوا السَّعْىَ بَيْنَ المَرْوَتَيْنِ وفى الْـ ... ـمَقامِ بَعْدَ الطَّوافِ الكامِلِ انْتَقَلوا

٤٩ - شَفَوْا بِزَمْزَمَ داءَ الصَّدْرِ واعْتَمَروا ... ومـا بَدا لَهُمُ مِنْ صَالِحٍ عَمِلُوا

٥٠ - ووَدَّعُوا البَيْتَ والأحْشَاءُ واجِفَةٌ ... وفى القُلوبِ لآلامِ النَّوَىٰ شَعَلُ

٥١ - واسْتَقْبَلُوا البِيدَ يَطْوونَ الفَلاةَ إلىٰ ... رَبْعٍ كَرِيمٍ إِلَيْهِ تُسْرِعُ الرِّحَلُ

٥٢ - وغادَرُوا العُمْرَةَ العَلْيَاءَ خَلْفَهُمُ ... وبَطْنَ مَرٍّ وعَنْ عُسْفَانَ قَدْ فَصَلوا

٥٣ - ومِنْ خُلَيْصٍ إلىٰ ذاتِ السُّوَيْقِ إلىٰ ... ذى الخَيْمَتَيْنِ مَديدٌ سَيْرُهُمْ عَجِلُ

٥٤ - وجُحْفَةٍ ومَجَارى رَابِغٍ وذُرًا ... صُبْحٍ وبَدْرٍ لَهُمْ حِلٌّ ومُرْتَحَلُ ٥٨/ب

٥٥ - واسْتَقْبَلَتْ وادىَ الصَّفْراءِ عِيسُهُمُ ... ومِنْ دَوامِ السُّرَىٰ أعْناقُها ذُلُلُ

٥٦ - وبَعْدَ بِئْرِ عَلِىٍّ بادَرَتْ وهَفَتْ ... إلىٰ العَقِيقِ قُلوبُ الرَّكْبِ والمُقَلُ

---

(٤٧) مستهتر: مولَع شديد التعلق والحب، وهو مبنى على صيغة اسم المفعول. وقد تغيرت دلالة هذه الكلمة فى عربيتنا المعاصرة إلى معنى عدم المبالاة بالأمر، وأما معناها القديم فهو شدة الولع بالشىء وملازمته. جاد: عطف. مشغوف: شديد الحب. جذل: فرح.

(٤٨) المقصود بالمروتين: الصفا والمروة.

(٤٩) اعتمروا: أدوا العمرة.

(٥٠) واجفة: خفاقة من شدة العاطفة. النوى: الفراق.

(٥١) البيد: الصحارى. ربع كريم: أراد به مدينة الرسول ﷺ. الرِّحَلُ: جمع رحالة، وهى ما يوضع على ظهر البعير كالسرج للفرس.

(٥٢) العمرة: كذا فى جميع النسخ، ولم أقف عليه. بطن مر: موضع على بعد خمسة أميال من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ /١٢٣] عسفان: منزل بين الجحفة ومكة [السابق ٤ / ٣٧]. فصلوا: ساروا.

(٥٣) خليص: حصن بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ٤٤٢] ذات السويق: موضع قرب المدينة [معجم البلدان ٣ / ٣٢٥]. ذى الخيمتين: لعله يريد به الموضع المسمى خيمة أم معبد، وهو بين مكة والمدينة [انظر: معجم البلدان ٢ /٤٧٣].

(٥٤) جحفة: قرية على الطريق بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٢ / ١٢٩]. رابغ: وادٍ بعد الجحفة [السابق ٣ / ١٢] ومجاريها: مسايل الماء فيها.

(٥٥) وادى الصفراء: واد كثير النخل والزرع والعيون، وهو على الطريق بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣ /٤٦٨]. ذلل: سهلة مطيعة لراكبها.

(٥٦) بئر على: كذا فى جميع النسخ، ولم أقف عليه.=

٥٧ - وآنَسَ الرَّكْبُ فى وادى العَقيقِ سَنًا ... يَهْدى إلىٰ مَوْرِدٍ تُشْفَىٰ به العِلَلُ

٥٨ - وصَبَّحوا سَفْحَ سَلْعٍ واشْتياقُهُمُ ... لَمْ يَثْنه مِنْ أهاويلِ السُّرَىٰ مَلَلُ

٥٩ - واسْتَقْبَلوا طَيْبَةَ الفَيْحاء فابْتَهَجُوا ... كأنَّ كُلَّ مَشوقٍ شاربٌ ثَمِلُ

٦٠ - وخَيَّمُوا فى حِمًى قَلَّتْ لتُرْبَتِه ... بجَفْنِ عَيْنِ المُحبِّ الصَّادقِ القُبَلُ

٦١ - كَرامَةً لنَبىٍّ نُورُ مِلَّتِه ... لَمَّا بَدا نُسِخَتْ واسْتَخْفَتِ المِلَلُ

٦٢ - وجَاءَ بالسُّنَّة البَيْضاءِ فاتَّضَحَتْ ... بنُور حِكْمَتِها للسَّالكِ السُّبُلُ

٦٣ - مُحَمَّدٌ أحْمَدَ المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ ... أزْكَىٰ القَبائلِ إنْ قالوا وإن فَعَلوا

٦٤ - أجارَ أُمَّتَهُ مِنْ كُلِّ مُعْضِلَةٍ ... وباسْمِه قَدْ تَجَلَّىٰ عَنْهُمُ الخَطَلُ

٦٥ - فأصْبَحوا بسَنَا أنْوارِ طَلْعَتِه الـ ... ـزَّهْراءِ للأُمَمِ الخَالينَ قَدْ فَضَلُوا

٦٦ - فى كُلِّ عَصْرٍ لأسْبَابِ الهُدَىٰ عَلَمٌ ... مُسْتَنْبِطٌ مِنْهُمُ أوْ عَارِفٌ بَدَلُ

٦٧ - وجاهُهُ – دَامَ – مَبْسُوطٌ لأمَّتِه ... عَلَيْه كُلَّ خَميسٍ يُعْرَضُ العَمَلُ

٦٨ - يَسْتَغْفِرُ اللهَ للجَانى ويَحْمَدُهُ ... لمُحْسِنٍ قَوْلُهُ والفِعْلُ مُقْتَبَلُ

٦٩ - وبالشَّفاعَةِ يُنْجى مِنْهُمُ عُصَبًا ... بفاحِشِ الفِعْلِ مِنْهُمْ للجَحيمِ صُلُوا

٧٠ - ويُنْقِذُ النَّاسَ مِنْ كَرْبِ القِيامِ إذا اشْـ ... ـتَدَّ الحَرُورُ وهَابَتْ رَبَّها الرُّسُلُ

٧١ - فَكُلُّهمْ قالَ : نَفْسى، وهْوَ قالَ : أنا ... لَها، فنَفَّسَ كَرْبَ القَوْمِ فانْفَصَلوا

= بادرت : أسرعت ومثله (هفت) . العقيق : وادٍ قريب من المدينة وينتهى إلى البقيع [معجم البلدان ٤ / ١٥٦] . المقل : العيون .

(٥٧) آنس : أحس .

(٥٨) سلع : جبل بالمدينة المنورة . أهاويل السرى : عناء السفر وأخطاره .

(٥٩) الفيحاء : الواسعة . ثمل : سكران . (٦٠) خيَّموا : أقاموا خيامهم .

(٦١) نسخت : تغيرت .

(٦٤) أجار : أنقذ . معضلة : مشكلة لا حل لها . الخطل : سوء الرأى والتقدير .

(٦٥) طلعته : وجهه . الزهراء : المشرقة . الخالين : الماضين . فضلوا : زادوا عليهم فى الفضل .

(٦٦) مستنبط : فقيه يستخرج الحلول للمشكلات من نصوص القرآن والسنة . والعارف البدل : سبق تفسيره .

(٦٩) عصبًا : جماعات . صُلُوا : أحرقوا بنارها . (٧٠) الحرور : الحر الدائم .

(٧١) نَفَّس الكرب : خففه عنهم . يشير إلى ما ورد فى حديث الشفاعة، ذلك أن جميع الرسل يقولون : نفسى نفسى، إلا سيدنا محمد ﷺ فيأتيه الناس فيقولون : اشفع لنا . فيقول ﷺ : « أنا لها » =

٧٢ - وكُلُّهُمْ راجلٌ فى الحَشْرِ وهْوَ عَلَىٰ ظَهْرِ البُراقِ عَظيمُ الشَّأنِ مُكْتَمِلُ

٧٣ - يَؤمُّهُمْ ولواءُ الحَمْدِ فى يَدِه وحَوْلَهُ زُمَرُ الأمْلاكِ تَحْتَفِلُ

٧٤ - سَبْعونَ ألفًا كَما حَفَّتْ بتُرْبَتِه وللنَّبِيِّينَ مِنْ أطْرافِه ظُلَلُ

٧٥ - وهْوَ المُجيزُ عَلَىٰ مَتْنِ الصِّراطِ فَلا يَنالُ تابعَ ما وافَى به زَلَلُ ٥٩/أ

٧٦ - وحَوْضُهُ سَيْرُ شَهْرٍ عَرْضُهُ وبه ماءٌ حَلاوَتُهُ مِنْ دُونِها العَسَلُ

٧٧ - أكْوابُهُ كالنُّجومِ الزُّهْرِ فى عَدَدٍ ميزابُهُ مِنْ ذُرا الفِرْدَوْسِ مُنْتَزَلُ

٧٨ - لا يَفْتَحُ الجَنَّةَ الفَيْحاءَ خازِنُها إلاَّ لَهُ فَإذا ما حَلَّها دَخَلُوا

٧٩ - يُحِلُّهُ اللهُ فيها خَيْرَ مَنْزِلَةٍ وسيلةً ما لعَبْدٍ فَوْقَها نُزُلُ

٨٠ - عَلَيْه مِنْ صلوات الله أطْيَبُها تَبْقَىٰ بَقاءَ نَعيمٍ لَيْسَ يَنْتَقِلُ

٨١ - حَلُّوا بأرضٍ بها الأمْلاكُ مُحْدِقَةٌ سَبْعونَ ألفًا لَها مِنْ حَولِها زَجَلُ

٨٢ - مَدينَةٌ فَضَلَتْ كُلَّ البِلادِ به تَحَثُّ شُرْعًا إلىٰ أقْطارِها الإبِلُ

٨٣ - غُبارُ تُرْبَتِها يُشْفَىٰ الجُذامُ به وَجارُها مِنْ أذَىٰ الدَّجَّالِ مُعْتَزِلُ

٨٤ - صَلاةُ جُمْعَتِها وصَوْمُ مُفْتَرَضٍ فيها بألْفٍ فَلا نَقْصٌ ولا خَلَلُ

= [انظر الحديث بتمامه فى فتح البارى، حديث رقم ٦٥٦٥، مسند أحمد ١/٢٨٢، حديث رقم ٢٥٤٦].

(٧٢) راجل: سائر على رجليه.

(٧٣) زمر: جماعات. الأملاك: الملائكة.

(٧٤) سبعون ألفًا: أراد بهم عدد الملائكة الذين يحيطون بالنبى ﷺ يوم القيامة. حفت: أحاطت. تربته: قبره ﷺ. ظلل: جمع ظلة، وهى كل ما يُظل الإنسان.

(٧٥) المجيز: الذى يسبق الناس إلى اجتياز الصراط، أى عبوره. ينال هنا بمعنى: يصيب. وافى: جاء. زلل: سقوط.

(٧٧) ميزابه: منبعه. منتزل: منزَّل. (٧٨) الفيحاء: الواسعة.

(٧٩) هذا البيت زيادة من (ب).

(٨١) محدقة: محيطة. زجل: صوت طرب كالغناء.

(٨٢) فضلت: تفوق فضلُها على غيرها. شُرْعًا: منطلقة إلى الماء. أقطارها: جنباتها.

(٨٣) جاء فى الحديث الشريف أن المدينة لا يدخلها الدجّال [البخارى: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجّال المدينة، فتح ٤/١١٣، حديث رقم ١٨٧٩ : ١٨٨٢].

(٨٤) قال ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام». [رواه الشيخان، انظر: فتح البارى، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٣/٧٦، حديث رقم ١١٩٠].

٨٥ - زارُوهُ وانْصَرَفُوا مِنْ حَوْلِه وعلىٰ ... أعْطَافِهِمْ مِنْ جَلابيبِ الرِّضَا حُلَلُ

٨٦ - واسْتَقْبَلوا صَاحِبَيْه الصَّادِقَيْنِ أبَا ... بَكْرٍ ومَنْ لَمْ يَكُنْ فى قَوْلِه دَخَلُ

٨٧ - زارُوهُما ثُمَّ زارُوا بالبَقِيعِ أبَا ... عَمْرٍو أخَا الصِّدْقِ إذْ حَفَّتْ به الأَسَلُ

٨٨ - فاسْتَقْبَلوا قَبْرَ إبْراهيمَ أكْرَمِ مَوْ ... لُودٍ وأزْواجَهُ الخَيْرَاتِ ثُمَّ وَلُوا

٨٩ - زيارةَ السَّيِّدِ العَبَّاسِ والحَسَنِ الـ ... ـزَّكِيِّ عَلَّهُمُ يُعْطَوْنَ مَا سَأَلُوا

٩٠ - وسَيِّدَ الشُّهَداءِ العَمَّ حَمْزَةَ قَدْ ... زاروا فَفَازُوا وتَمَّ القَصْدُ والأَمَلُ

٩١ - وأيْقَنوا أنَّهُمْ قَدْ أرْبَحُوا، فَرَضُوا ... وهانَ عِنْدَهُمُ فى اللهِ ما بَذَلوا

٩٢ - يا سَيِّدى يا رَسُولَ اللهِ يا سَنَدى ... يا جارَ مُكْتَئِبٍ ضَاقَتْ به الحِيَلُ

٩٣ - مِسْكِينُكَ اليَوْمَ رَاجِى البِرِّ مِنْكَ غَدًا ... يَحْيَىٰ بْنُ يُوسُفَ قَدْ طالَتْ به الطِّيَلُ

٩٤ - وقَدْ أتَاكَ عَلىٰ عِلْمٍ بأنَّكَ لا ... يَخِيبُ آمِلُكَ المُسْتَأْمِنُ الوَجِلُ

٩٥ - فاسْأَلْ لَهُ رَبَّكَ الرَّحْمٰنَ خَالِقَنا ... صِيَانَةً عَنْ لَئِيمٍ شَأْنُهُ البَخَلُ

٩٦ - وصِحَّةً ومُعَافَاةً وخَاتِمَةً ... مَقْرُونَةً بِرِضَاهُ إذْ دَنَا الأجَلُ

٩٧ - واسْأَلْ لِمَنْ كانَ فى إيصَالِه سَبَبًا ... إلَيْكَ نَصْرًا به تُسْتَأْبَدُ الدُّوَلُ ٥٩/ب

٩٨ - واسْأَلْ لِوَفْدٍ إلَيْكَ الشَّوْقُ قَادَهُمُ ... فَما ثَنَىٰ عَزْمَهُمْ عَنْ قَصْدِكَ العَذَلُ

٩٩ - سَلامَةً مِنْ أذَىٰ عَادٍ يَكِيدُهُمُ ... وحِفْظَ ظَهْرٍ عَلَيْه الرَّكْبُ مُحْتَمَلُ

*****

(٨٥) حلل: جمع حلة، وهى الثوب.

(٨٦) دخل: فساد أو غش.

(٨٧) البقيع: مقابر المسلمين بالمدينة المنورة. الأسل: الرماح.

(٨٨) إبراهيم: ابن سيدنا النبى ﷺ. الخَيْرَات: الخيِّرات، خفف الياء لضرورة النظم. ولوا: قصدوا.

(٨٩) زيارةَ: مفعول ولُوا فى قافية البيت السابق.

(٩١) أربحوا: حققوا ربحًا كبيرًا.

(٩٣) طالت به الطيل: كناية عن ضيق الحال.

(٩٤) المستأمن: طالب الأمن. الوجل: الخائف.

(٩٧) تستأبد: تبقى إلى الأبد، والمراد بالدّوَل هنا: الانتصارات.

(٩٨) العذل: اللوم.

(٩٩) عاد: معتدٍ. محتمل: محمول.

اللامية الرابعة

(عدتها ٤٣ ـ الخفيف الأول)

تصف هذه القصيدة عاطفة الشاعر نحو معاهد ذكرياته وحنينه إلى تلك الربوع الطيبة، وعشقه للكعبة المشرفة الرمز الأكبر لوحدة المسلمين وعزتهم، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومعجزاته وما فضِّل به على غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وتختم بالدعاء والتوسل به إلى الله عز وجلَّ.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- أشواق وحنين إلى الربوع الطاهرة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- توسل واستغاثة به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ

١ - يا حُـداةَ الرَّكْبِ الحِجـازيّ مِيلُوا ... فَـبِنَعْـمـانَ للرِّكـابِ مَـقِـيلُ

٢ - فَـأَرِيحُـوا بِهـا المَطِيَّ قَلِيـلاً ... مِنْ وَجَـاها فَـقَـدْ بَرَاها النُّحُـولُ

٣ - وانْزِلوا الخَـيْفَ مِنْ مِنىً فَـبِـه ظِلٌّ ... الأمَـانِي لِلنَّـازِلِيـنَ ظَـلِيـلُ

٤ - واسْـتَـقِلُّوا نَحْـوَ الأَبَاطِحِ إنْ كَـا ... نَ إلىٰ رَبَّةِ السُّـتُـورِ سَـبِـيـلُ

٥ - بِأَبِي ذَلِكَ الجَنابَ، فَـوَجْـدِي ... وغَـرامِي فِـيـه عَـرِيضٌ طَوِيلُ

٦ - دَارَةٌ طَالَمَـا تَبَلَّجَ فِـيـهـا ... لِلْمُـحِـبِّـينَ وَجْـهُ عَطْفٍ جَـمِيلُ

٧ - عِـشْتُ فِيـهـا مَعَ الأَحِـبَّـةِ حِينًا ... لَمْ يَرُعْ مِـسْـمَـعِي لَدَيْهـا عَـذُولُ

٨ - ثُمَّ غَـارَتْ يَدُ الجَـلالِ فَـصَـانَتْ ... عِـزَّةٌ رَبْعَـهـا فَـعَـزَّ الوُصُـولُ

٩ - غَـيْـرَ أنِّي عَلىٰ المَـوَدَّةِ لا الطَّرْ ... فُ نَسِيٌّ ولا الفُـؤادُ مَلُـولُ

١٠ - أتَمَنَّىٰ الدُّنُوَّ مِنْهـا وقَـدْ حَـا ... لَ عَنِ القُـرْبِ وعْـرُها والسُّـهُـولُ

١١ - أَيْنَ مِنِّي سَـمْـراءُ دُونَ حِـمـاها ... ذُبَّلُ السُّـمْـرِ شُـرَّعًـا والنُّصُـولُ

١٢ - ذاتُ خِـدْرٍ لَهـا البَـهَـاءُ وِشَـاحٌ ... ولَهـا العِـزُّ والسَّنا إكْلِيلُ

١٣ - لَمْ يَزُرْ رَبْعَـهـا الرَّجِـيبَ مِنَ النَّا ... سِ جَـبَـانٌ ولا اجْـتَـلاهَا بَخِـيلُ

(١) الحداة: جمع حادٍ وهو الذى يسوق الإبل ويغنى لها. نعمان: وادٍ قريب من عرفات. مقيل: راحة الظهيرة.

(٢) المطىّ: الإبل. وجاها: الوجى: داء يصيب الإبل فى أخفافها من طول السير والأسفار. براها: أهزلها وأتعبها. النحول: الضعف.

(٣) الخيف: موضع قرب منى. ظل ظليل: مبالغة فى شموله ورقته.

(٤) استقلوا: ارحلوا. الأباطح: أراضى مكة المكرمة التى تجرى فيها السيول.

(٥) بأبى: أفدى بأبى.

(٦) دارة: دار، أوحىّ. تبلَّج: أشرق.

(٧) لم يَرُعْ: لم يُفزع.

(٨) غارت: من الغيرة. عزَّ: صَعُبَ.

(٩) الطرف: العين. نَسِىٌّ: صيغة مبالغة من النسيان، وملول: صيغة مبالغة من الملل.

(١٠) حال: منع. الوعر: ضد السهل.

(١١) سمراء: أراد بها الكعبة المشرفة. ذُبَّل السمر: الرماح. شُرَّعًا: مرفوعة مستعدة للطعن. النصول: السيوف.

(١٢) خدر: ستر. إكليل: تاج.

(١٣) اجتلاها: نظر إليها. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

١٤ - لَيْسَ فى تُرْبِهَا لِذِى العِزِّ والسُّلْـ ... ـطَانِ إِلا الخُضُوعُ والتَّقْبِيلُ

١٥ - هَلْ لِظَمْآنَ دُونَ مَنْهَلِهَا العَذْ ... ـبِ وُرُودٌ بِهِ يُبَلُّ الغَلِيلُ

١٦ - يَوْمَ يُضْحِى ولِلنِّيَاقِ حَنِينٌ ... فى رُبَاها ولِلْجِيَادِ صَهِيلُ

١٧ - وإِذا مَا سَرَتْ لَهَا نَحْوَ سَلْعٍ ... خَبَبٌ تارَةً وطَوْرًا ذَمِيلُ

١٨ - تَرْتَمِى فى الفَلا لَهَا الشَّوْقُ هَادٍ ... ولَهَا نَشْرُ مَنْ تُحِبُّ دَلِيلُ

١٩ - فَلَهَا اليُمْنُ والسَّعَادَةُ والنُّضْـ ... ـرَةُ والبِشْرُ والرِّضَا والقَبُولُ ٦٠/أ

٢٠ - بِجَنابٍ رَحْبٍ حَوَىٰ كُلَّ فَضْلٍ ... وفَخَارٍ مُذْ حَلَّ فِيهِ الرَّسُولُ

٢١ - أَحْمَدُ الهاشِمِىُّ أَكْرَمُ خَلْقِ الـ ... ـلّٰـهِ أَصْلاً إِذَا تُعَدُّ الأُصُولُ

٢٢ - شَيْبَةُ الحَمْدِ جَدُّهُ هَطَلَ الغَيْـ ... ـثُ بِهِ والرَّبِيعُ وَانٍ كَلِيلُ

٢٣ - سُلَّ مِنْ هاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنافٍ ... كَاسِرِ الجُوعِ والجُدُوبُ تَصُولُ

٢٤ - نَسَبٌ حَلَّ فى قُرَيْشٍ ذُراها ... دُونَ مَرْساهُ شَامَةٌ وطَفِيلُ

٢٥ - حَازَ فِيهِ بَنُو كِنانَةَ مِنْ عَدْ ... نَانَ مَجْدًا بَنَاهُ إِسْمَاعِيلُ

٢٦ - ولَقَدْ طَابَ - والمُهَيْمِنِ رَبِّى - ... مَنْبِتٌ أَصْلُهُ الخَلِيلُ الجَلِيلُ

٢٧ - ولَعَمْرِى بِهِ قُرَيْشُ اسْتَفَادَتْ ... شَرَفًا لَمْ يَنَلْهُ قَبْلُ قَبِيلُ

---

(١٥) الغليل: شدة العطش.

(١٧) الخبب والذميل: نوعان من سير الإبل السريع. وفى (أ): (حنة) بدل (خبب)، وما أثبته من النبهانية أقرب للسياق.

(١٨) ترتمى: تسير مسرعة كأنها ترمى بنفسها. النشر: الرائحة الطيبة.

(١٩) اليمن: البركة والخير. البشر: الفرح.

(٢٢) شيبة الحمد: لقب عبد المطلب جد النبى ﷺ. هطل: سال. الغيث: المطر. وان: ضعيف. كليل: عاجز. يمدح عبد المطلب ين هاشم فيذكر استسقاءه وسقوط المطر بدعائه حين عم القحط والجدب.

(٢٣) سُلَّ: أخرج، والمراد: ولد. كاسر الجوع: يريد به هاشم بن عبد مناف، وقد سُمِّى هاشمًا لأنه هشم (أى كسر) الثريد والخبز لقومه فى عام جوع. الجُدُوب: جمع جدب. تصول: تشتد وتقهر الناس.

(٢٤) مرساه: موضع ثبوته ورسوخه، يعنى أصله. شامة وطفيل: جبلان قريبان من مكة. يقول إن نسب النبى ﷺ ثابت فى ذروة قريش وأشد رسوخًا من هذين الجبلين.

(٢٦) والمهيمن ربى: قسم. الخليل: سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢٧) قبيل: قبيلة.

٢٨ - وَصْفُهُ المُرْتَضَىٰ لِموسَىٰ وعيسىٰ ... بَيَّنَتْهُ التَّوْراةُ والإنْجيلُ

٢٩ - وبه أحْسَنَ البِشارَةَ شَعْيَا ... وعُزَيْرٌ وبَعْدَهُ حِزْقيلُ

٣٠ - فاهْتَدَىٰ تُبَّعٌ بِما بَيَّنَ الأحْـ ... ـبارُ مِنْ نَعْتِهِ الذى لا يَحُولُ

٣١ - وتَصَدَّىٰ كَعْبٌ لآلِ لُؤَيٍّ ... ولَدَيْهِ شُبَّانُها والكُهولُ

٣٢ - قَبْلَ خَلْقِ النَّبِيِّ بالحُقْبِ الخَمْـ ... ـسِ خَطيبًا وهْوَ اللَّبيبُ النَّبيلُ

٣٣ - ذاكِرًا مَبْعَثَ النَّبِيِّ وَوَدَّ الـ ... نَّصْرَ لَوْ كانَت الحَياةُ تَطُولُ

٣٤ - وجَلاهُ لِشَيْبَةِ الحَمْدِ سَيْفٌ ... بحُلاهُ ومَا إليْهِ يَؤُولُ

٣٥ - ولَقَدْ قامَ فى المَواسِمِ قُسٌّ ... شاهِدًا أنَّهُ نَبِيٌّ رَسُولُ

٣٦ - ورَأىٰ الرَّاهِبُ النُّبُوَّةَ قَدْ لا ... حَتْ عَلَيْهِ كأنَّها قِنْديلُ

٣٧ - إذْ رَأىٰ فَوْقَهُ الغَمامَةَ ظِلاًّ ... وتَميلُ الظِّلالُ حَيْثُ يَميلُ

---

(٢٩) تقدم ذكر بشارات شعيا وحزقيل. وقد أورد النبهانى أربعًا وأربعين بشارة من البشارات الواردة فى الكتب السماوية، نقلها عن مصادر متعددة [انظر: حجة الله على العالمين ص ٦٦ : ٨٣].

(٣٠) تبع: من ملوك اليمن القدماء، وتقدم ذكر إيمان تبع بنبوة محمد ﷺ. الأحبار: علماء اليهود. نعته: وصفه. لا يحول: لا يتغير.

(٣١) سبق ذكر خطبة كعب بن لؤى وبشارته بمبعث النبى ﷺ.

(٣٢) أى قبل خلق النبى ﷺ بخمسمائة عام.

(٣٤) جلاه: بيَّنه وأوضح أمره. سيف: هو سيف بن ذى يزن. حُلاه: أوصافه. يؤول: يصير. ذكر فى هذا البيت بشارة سيف بن ذى يزن ملك اليمن الذى استطاع أن يملك اليمن بعد مولد النبى ﷺ بعامين، وقد جاءت وفود العرب إلى سيف لتهنئته، وكان عبد المطلب بن هاشم على رأس وفد قريش، وقد رحَّب به الملك وأكرم وفادته وأسَرَّ إليه أنه يجد فى الكتب السماوية أن أوان ميلاد محمد ﷺ قد حان، وأنه من أبنائه، وسماه باسمه وذكر خاتم النبوة على كتفه، وأوصاه بأن يحذر عليه من اليهود وأن يكتم خبره [انظر: حجة الله على العالمين ص ١٠٧ : ١٠٩].

(٣٥) قس: هو قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى المشهور، وتقدم ذكر بشارته بالنبى ﷺ.

(٣٦) الراهب: بحيرى الذى لقى النبى ﷺ فى رحلته إلى الشام بصحبة عمه أبى طالب، ورأى فيه علامات النبوة.

٣٨ - ولِنَعْتِ الرُهْبَــان أَفْــضَلَ هَادٍ   كَــانَ سَلْمــانُ فى البِــلادِ يَجُــولُ

٣٩ - فــرأىٰ عِنْدَهُ العَــلامــات حَــقًّــا   فــاغْــتَــدَىٰ وهْوَ قَــابِلٌ مَــقْــبُــولُ

٤٠ - وكَــفَــاهُ مِنَ الفَــخَــارِ مَــقَــامٌ   كَانَ فى القُرْبِ دُونَــهُ جِبْرِيلُ ٦٠ /ب

٤١ - وهُوَ الخَــاتَم المُــخَــصَّصُ بالتّكْــ   ـلِيمِ والرُّؤْيَةِ الحَــبِــيبُ الخَلِيلُ

٤٢ - يَا حَــبِــيبَ الرَّحْــمٰــنِ أَنْتَ المُــرَجَّىٰ   والوَجِــيــهُ المُــشَــفَّعُ المَــأْمــولُ

٤٣ - قَــدْ قَــصَــدْناكَ فى حَــوائِجَ فــاسْــأَلْ   رَبَّكَ اليُــسْــرَ فَــهْــوَ نِعْمَ الوَكِــيلُ

*****

قافية الميم

تضم هذه القافية خمس قصائد .

الميمية الأولى

(عدتها ٦٠ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بذكر الديار المقدسة ومعالمها الطاهرة، والدعاء لها بالخصب والخير والبركات، تلك الربوع التى شرفت بسيد الخلق محمد ﷺ ، ومن ثم ينتقل إلى مدحه ومدح آبائه، وسرد بعض خصائصه وطيب شمائله، ويعم بالثناء أمة محمد ﷺ ، ذاكرًا ما شاع فى طائفة الصوفية أن من أمة محمد أربعين لا يزالون قائمين بالحق فى كل عصر، وهم حماة بقاع الأرض بما آتاهم الله من همم عالية .

ثم يناجى الشاعرُ الرسولَ ﷺ أن يغيثه من نزغات الشياطين واتِّباع الهوى، وأن يسأل الله عز وجلَّ لأمته النصر على أعدائها من التتر الذين داهموا أرض الخلافة وعاثوا فيها فسادًا .

تتضمن القصيدة العناصر الآتية :

- فى ذكر الربوع الطاهرة والدعاء لها بالخير .
- فى مدح سيد الخلق ﷺ .
- فى مدح أمته وأقطابها .
- مناجاة واستغاثة بالنبى ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ ، وكان متوجهًا إلى زيارة الشيخ بقاء فعرض بذكره، وأنشدها، وعرض فيها بالدعاء على التتر، نصر الله الإسلام وخذلهم (*) :

١ - هَذِى تِهَامَةُ فَاحْبِسْ غَيْرَ مُتَّهَمِ ... واعْلَمْ بِأَنَّ الهَوَىٰ عَنْ يَمْنَةِ العَلَمِ

٢ - كَمْ ذا أُعَبِّرُ عَنْ سَلْعٍ بِكاظِمَةٍ ... صَوْنًا وعَنْ عَذَبات البَان بالسَّلَمِ

٣ - لا عَارَ فِى حُبِّ مَنْ أَهْوَىٰ فأكْتُمَهُ ... ما نَكْتُمُ الحُبَّ إِلاَّ خَشْيَةَ التُّهَمِ

٤ - دَعْنِى أَبُوحُ بِمَنْ فِى حُبِّهِمْ شَرَفِى ... وذِكْرُهُمْ طَيِّبٌ فى مِسْمَعِى وفَمِى

٥ - لِيَشْهَدِ النَّاسُ أَنِّى بالحِمىٰ كَلِفٌ ... قَلْبِى مَشُوقٌ إِلىٰ دِيبَاجَةِ الحَرَمِ

٦ - لقَدْ نَهَتْنِى العَوادى عَنْ زِيارَتِها ... ولَمْ أَخِمْ عَنْ هَوَىٰ مَنْ حَلَّ فى الخِيَمِ

٧ - دَارٌ نَعِمْتُ بها حِينًا وقَدْ غَفَلَ الـ ... ـواشِى بِنُعْمٍ وشَمْلِى غَيْرُ مُنْصَرِمِ

(*) جاء فى هامش المخطوط (أ):
للناظم - رحمه الله - قصيدة فريدة لامية طويلة نحو ثلاثمائة بيت فى مدح النبى ﷺ وآله وأصحابه وأكابر التابعين والأئمة الأربعة وأولها:

ألذ وأحلى من شمول وشمال ... وأليق من ذكرى حبيب ومنزلِ

وأبهج من روض تفتق نَوْرُهُ ... على حافتى ماء الغدير المسلسلِ

سناءٌ على الرحمن فى لفظ ناظمٍ ... مُجيدٍ على عقد الإمام ابن حنبل

فكان من اللزوم إثباتها.
والشيخ بقاء المذكور هو بقاء بن حيوة، أحد الأولياء كما أفاد الشيخ النبهانى [المجموعة النبهانية ٤ / ٣٩ - حاشية سفلية].

(١) تهامة تعنى فى اللغة: الأرض المنخفضة، وجغرافيًّا هى الأرض المحاذية لساحل البحر الأحمر وتمتد ما بين مكة وجدة فى الشمال وصنعاء فى الجنوب. ويحدها من الشرق جبال متصلة وهى جبال الحجاز التى تفصل بين تهامة ونجد [انظر معجم البلدان ٢ / ٧٤].
احبس: توقف وأقم بأرضها. يمنة: يمين. العلم: الجبل.

(٢) سلع: جبل بالمدينة [معجم البلدان ٣ / ٢٦٨]. كاظمة: موضع فى الطريق من البصرة إلى مكة المكرمة، وهى أقرب إلى البصرة [انظر معجم البلدان ٤ / ٤٨٨] عذبات البان: أغصانه. السَّلَم: شجر له شوك، وهو ما يعرف فى مصر بشجر السنط الذى يؤخذ منه القرظ. يقول إنه يعرض بذكر الأحباب فلا يذكرهم صراحة.

(٥) كلف: شديد الحب. وفى (أ): ليشهد الناسُ أنى فى محبتهم. وهو مضطرب تركيبًا، وما أثبته من النبهانية. ديباجة الحرم: الكعبة المشرفة.

(٦) العوادى: المصائب والشدائد. لم أخِم: لم أكُفّ. الخيم: جمع خيمة.

(٧) نُعم: اسم امرأة. منصرم: ممزّق غير ملتئم.

٨ - نَهِلْتُ كَأْسَ المُنَىٰ فيها ومَا نَهِكَتْ ... بُرودُ عَيْشِي ونُورُ الشَّيْبِ فى اللِّمَمِ

٩ - هَلْ للرِّكابِ عَلَيْهَا وَقْفَةٌ قَبَلٌ ... وهَلْ لِمُغْرًى بها مِنْ نَظْرَةٍ أَمَمِ ؟

١٠ - وهَلْ لذى كَبِدٍ يَشْكُو الصَّدَىٰ نَهَلٌ ... مِنْ وِرْدِها الرَّائقِ المُسْتَعْذَبِ الشَّبِمِ؟

١١ - وَدِدْتُ لو أنَّنى أَقْضِى بها أَرَبًا ... لَوْثَ الإزارِ وتَقْضِى أنْ يُباحَ دَمِى!

١٢ - سَقَىٰ المُصَلَّىٰ وَأعْلامَ الصَّفَا ومِنَى ... وسَفْحَ نَعْمانَ صَوْبُ الفَضْلِ والنِّعَمِ ٦١/أ

١٣ - وسَحَّ فَوْقَ ثَنيَّاتِ الوَداعِ ومَا ... بأرْضِ طَيْبَةَ مِنْ وَهْدٍ ومِنْ أَكَمِ

١٤ - غَمَامُ رَوْحٍ مِنَ الرَّحْمنِ مُنْبَجِسٌ ... بالنُّورِ يُرْبِى عَلىٰ مُثْعَنْجِرِ الدِّيَمِ

١٥ - فَأصْبَحَتْ برِيَاضِ الأُنْسِ نَاضِرَةً ... تَشْفِى بنَفْحَةِ رَيَّاها جَوَىٰ السَّقَمِ

١٦ - فَثَمَّ مِفْتَاحُ أَقْفَالِى ومَهْبِطُ أثْـ ... ـقَالى وغَايَةُ آمَالِى منَ القِسَمِ

١٧ - تِلْكَ الرُّبُوعُ المُنيرَاتُ التى شَرُفَتْ ... بِسَيِّدِ العَرَبِ الغَرَّاءِ والعَجَمِ

١٨ - مُحَمَّدٍ أَحْمَدَ المُخْتارِ مِنْ مُضَرٍ ... أزْكَىٰ القَبائِلِ فى الأنْسابِ والشِّيَمِ

١٩ - زُهْرٍ كِرامٍ بِهِمْ صَوْبُ الغَمامِ سَخَا ... بِكُلِّ مُغْدَوْدِقٍ فى الجَدْبِ مُنْسَجِمِ

---

(٨) نهلت: شربت. نهكت: تمزقت. اللمم: جمع لمة وهى الشعر الذى يصل إلى شحمة الأذن. يقول: لقد طابت لى أيام الشباب بهذه الأرض، وكنت آنئذٍ فى أيام شبابى ولم يظهر الشيب فى رأسى.
(٩) قَبَل: مواجهة. أمم: من قريب.
(١٠) الشبم: البارد الصافى.
(١١) أربًا: حاجة. لوث الإزار: لبسه، وهو بدل من (أربًا).
(١٢) صوب: المطر المنصب بشدة، وأراد به: الكثير الوافر من الفضل والنعم.
(١٣) سح: سقط غزيرًا. ثنيات الوداع: طرق فى الجبال القريبة من المدينة المنورة، وسميت بهذا الاسم لأن الناس كانوا يودعون المسافرين عندها [انظر معجم البلدان ٢ / ١٠٠] وهى التى استقبل أهل المدينة عندها النبى ﷺ. وهد: منخفض. أكم: مرتفعات.
(١٤) غمام: فاعل (سحَّ) فى البيت السابق. روح: راحة وطمأنينة. منبجس: منفجر. يربى: يزيد. مثعنجر: متدفق بالمطر. الدِّيَم: السحاب.
(١٥) ريَّاها: نضارتها وطيبها. جوى: ألم. السقم: المرض.
(١٦) ثَمَّ: اسم إشارة للمكان بمعنى هناك. القِسَم: جمع قسمة، وهى الحظ.
(١٨) الشيم: الطبائع، جمع شيمة.
(١٩) زهر: جمع أزهر وهو المشرق الأبيض، كناية عن الكرم وطيب المنبت. صوب الغمام: أمطاره المتدفقة. سخا: من السخاء، وهو الكثرة. مغدودق: كثير غزير، ومثله المنسجم.

٢٠ - تَدَرَّعُوا الحِلْمَ شُبَّانًا فَتَمَّ لَهُمْ وما أَلَمَّ وَقَارُ الشَّيْبِ باللِّمَمِ

٢١ - وأحْرَزُوا المَجْدَ إرثًا عنْ أَبٍ فأَبٍ حَتَّىٰ استقرَّ بدارِ الفَضْلِ والكَرَمِ

٢٢ - هُوَ المُسَمَّىٰ بأسْمَاءٍ نَظَمْنَ لَهُ عِقْدَ الفَضائلِ نَظْمًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

٢٣ - هُوَ السِّراجُ المُنيرُ الشَّاهِدُ المُتَوَ كِّلُ الأَمِينُ هُوَ المَدْعُوُّ بالقُثَمِ

٢٤ - هُوَ البَّشِيرُ النَّذِيرُ المُصْطَفَىٰ العَلَمُ الْـ هَادِى إِلىٰ دِينِ حَقٍّ وَاضِحِ اللَّقَمِ

٢٥ - هُوَ الضَّحُوكُ المُقَفِّى خَاتَمُ الرُّسُلِ الْـ كِرامِ والأَوَّلُ السَّبَّاقُ فى القِدَمِ

٢٦ - وفَاتِحٌ فَتَحَ اللهُ القُلوبَ بِهِ والأَعْيُنَ العُمْىَ والآذانَ مِنْ صَمَمِ

٢٧ - والحَاشِرُ العَاقِبُ المَحْبُوبُ والرَّؤُفُ الـ رَّحِيمُ ذُو الحِلْمِ مَاحِى الظُّلْمِ والظُّلَمِ

٢٨ - والظَّاهِرُ الظَّافِرُ المَنْصُورُ عَسْكَرُهُ والحَاكِمُ العادِلُ المَبْعُوثُ بالحِكَمِ

٢٩ - وهْوَ الشَّفِيعُ الذى تُنْجِى شَفاعَتُهُ عُصَاةَ أُمَّتِهِ مِنْ جاحِمٍ ضَرِمِ

٣٠ - وهْوَ المُخَصَّصُ فى القُرآنِ بالخُلُقِ الْـ عَظِيمِ أقْسَمَ فِيهِ اللهُ بالقَلَمِ

٣١ - وهْوَ الذى أقْسَمَ اللهُ العَظِيمُ بِهِ فى الحِجْرِ أَعْظِمْ بِهِ فِى الفَخْرِ مِنْ قَسَمِ

---

(٢٠) تدرعوا الحلم: اتخذوه درعًا، كأنهم لبسوه، كناية عن ملازمة الحلم لهم.
أَلَمَّ: نزل. اللمم: الشعر.

(٢١) إرثًا: ميراثًا.

(٢٢) منفصم: منفصل. وجاء هذا البيت فى (أ) على النحو التالى:
هو المسمَّى بأسماءٍ يَطِبْنَ لَهُ عقدُ الفضائِلِ منها أىُّ مُنتظِمِ
ولا يتبين معناه. وما أثبته من النبهانية.

(٢٣) القثم: الجامع لمعانى الخير.

(٢٤) اللقم: وسط الطريق وأراد أن الإسلام دين واضح وضوح وسط الطريق للسائرين.

(٢٥) جمع فى هذا البيت بين وصف النبى ﷺ بالمقفى، أى المتبع لسنن الأنبياء من قبله، ووصفه بالأول السباق فى القدم إشارة إلى قوله ﷺ: « كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد » [كنز العمال، حديث رقم ٣١٩١٧].

(٢٦) جاء عجز هذا البيت فى (أ) هكذا:
والأعينُ العمىُ والآذانُ فى صمم
وما أثبته من النبهانية أقرب لأداء المعنى المقصود.

(٢٨) الظاهر: الغالب، ومثله الظافر.

(٢٩) جاحم: مشتعل. ضرم: متقد.

(٣٠) قال عز وجل فى سورة القلم: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم / ٤ .

(٣١) وفى الحجر: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ الحجر / ٧٢ . وكلمة (لعَمْرك) قسم بحياة النبى ﷺ.

٣٢ - وهْوَ الفَصِيحُ وأنَّىٰ لا يَكونُ وقَدْ   آتاهُ مُرسِلُهُ جَوامِعَ الكَلِمِ؟

٣٣ - وهْوَ الكَرِيمُ الذِى جادَتْ أنامِلُهُ   بأنْفَسِ المَالِ مِنْ عَيْنٍ ومِنْ نَعَمِ ٦١/ب

٣٤ - إِذَا العبوسُ بَدَا فى وَجْهِ مَاحِلَةٍ   يَلْقَىٰ العُفَاةَ بِوجْهٍ مِنْهُ مُبْتَسِمِ

٣٥ - كَمْ فَضَّ فى مَجْلِسٍ مِنْ غَيْرِ مَا بَخَلٍ   مِنَ الأُلُوفِ بِلا مَنٍّ ولا سَأَمِ

٣٦ - وهْوَ الشُّجاعُ الذِى ما سَلَّ صَارِمَهُ   إلا وأغْمَدَهُ فى شامِخِ القِمَمِ

٣٧ - وإِنَّهُ خَيْرُ مَبْعُوثٍ وأُمَّتُهُ   أضْحَتْ بِهِ فى البَرَايَا أَفْضَلَ الأُمَمِ

٣٨ - أَتَاهُمُ وهُمُ بُورٌ فَأَخْرَجَهُمْ   إِلىٰ وُجودِ الهُدَىٰ مِنْ حُفْرَةِ العَدَمِ

٣٩ - فَأصْبَحُوا بِسَنَا أنْوارِ مِلَّتِهِ   فى الحَادِثاتِ نُجُومًا يُهْتَدَىٰ بِهِمِ

٤٠ - ومِنْهُمُ كُلَّ عَصْرٍ أرْبَعُونَ بِهِمْ   يَهْمِى الغَمامُ ويُنْفَىٰ نَازِلُ النِّقَمِ

٤١ - هُمُ حُماةُ بِقاعِ الأرْضِ لا بِظُبَا   ولا ذَوَابِلَ بَلْ يَحْمُونَ بالهِمَمِ

٤٢ - وإِنَّهُمْ لِمُحِبِّيهِمْ وآمِلِهِمْ   ذُخْرٌ وإِنْ أصْبَحُوا بالمَوْتِ فى رُجَمِ

٤٣ - قُبورُهُمْ مَلْجَأٌ واقٍ لِزائِرِهِمْ   بِهِمْ يُعَاذُ ويُسْتَشْفَىٰ بِتُرْبِهِمِ

٤٤ - يا سَيِّدِى يا رَسُولَ اللهِ يا أَمَلِى   يا مُنْقِذِى بالهُدَىٰ مِنْ زَلَّةِ القَدَمِ

---

(٣٢) أنى : كيف .

(٣٣) الأنامل : أطراف الأصابع . أنفس المال : أغلاه . عين : ذهب . نعم : إبل وبقر وغنم .

(٣٤) العبوس : تقطيب الوجه وظهور ملامح الضيق عليه .
ماحلة : سنة مجدبة . العفاة : طلاب الرزق .

(٣٥) فضَّ : فرَّق .

(٣٦) سل السيف : أخرجه من غمده . صارمه : سيفه .
أغمده : وضعه . شامخ : مرتفع . أراد أن النبى ﷺ كان شجاعًا فإذا أخرج سيفه طعن به الفرسان الكبار .

(٣٨) بور : هالكون . وفى (أ) :
أتاهم وهو ذو نور فأخرجهم   إلىٰ وجود الهدىٰ من حيرة العدمِ
وما أثبته من النبهانية أصوب وأليق بالمعنى .

(٤٠) يهمى : يسيل . النقم : جمع نقمة، ضد النعم .
والمراد بالأربعين : الأبدال، وسبق التعريف بهم .

(٤١) ظبا : سيوف . ذوابل : رماح .

(٤٢) رجم : حجارة، أى فى القبور .

(٤٣) بهم يعاذ : يُلجأ إليهم ويستغاث بهم . يستشفى : يطلب الشفاء .

٤٥ - يا مَنْ عنايَتُهُ العُظْمَى لآملِهِ ... قَادَتْ جميعَ مَطَايَا الجُودِ بالخُطُمِ
٤٦ - هَذا رَبِيعٌ بِكَ احْتَازَ الفَخارَ وقَدْ ... كِدْنا لَنُلْحِقُهُ بالأشْهُرِ الحُرُمِ!
٤٧ - فيهِ وُلِدْتَ فألْبَسْتَ البِقاعَ سَنًا ... حَتَّىٰ قُبِرْتَ بِهِ يا طَيِّبَ النَّسَمِ
٤٨ - فازْدَدْتَ نُوراً وقُرْبًا والنُّبُوَّةُ لَمْ ... تَحُلَّ عَنْكَ نِطاقَ العَهْدِ والذِّمَمِ
٤٩ - ونَفْعُكَ الآنَ مَوْصُولٌ لأُمَّتِكَ الْـ ... ـغُرِّ الأكارِمِ وَصْلاً غَيْرَ مُنْحَسِمِ
٥٠ - فى يَوْمِ الاثْنَيْنِ مَعْ يَوْمِ الخَميسِ إِذَا ... جَبَرْتَ نَقْصَهُمُ فى عَرْضِ كَسْبِهِمِ
٥١ - وقَدْ كَسَوْتَ بَقاءً خُلْعَةً جَمَعَتْ ... لَهُ بِذَا الشَّهْرِ فَضْلاً غَيْرَ مُنْخَرِمِ
٥٢ - تَؤُمُّهُ زُمَرُ الزُّوَّارِ طَالِبَةً ... لِمَا رَفَعْتَ لَهُ فى النَّاسِ مِنْ عَلَمِ
٥٣ - وقَدْ حَلَلْتُ بِمَغْناهُ عَلَىٰ ثِقَةٍ ... مِنْ صِدْقِ وَعْدِكَ فى الأنْبَاءِ والحِكَمِ
٥٤ - فاخْلَعَ عَلَىٰ قَلْبِىَ الرَّثِّ المَلابِسِ ما ... يَحْمِى جَوانِبَهُ مِنْ سَوْرَةِ اللَّمَمِ ٦٢/أ
٥٥ - إِنْ لَمْ تُغِثْنِى بِنَصْرٍ مِنْكَ يُنْعِشُنِى ... أَوْ لا فَهَأَنَذَا أبَدًا لَحْمًا عَلَىٰ وَضَمِ
٥٦ - واسْأَلْ لأُمَّتِكَ النَّصْرَ المُبِينَ عَلَىٰ ... عِصَابَةٍ عَنْ طِلابِ الشَّرِّ لَمْ تَخِمِ

---

(٤٥) المطايا: الإبل وغيرها مما يركب. الجود: الكرم. الخطم: الحبال التى تقاد بها المطايا نسج هذه الصورة البدوية لمعنى الكرم فجعله على هيئة مطايا تقاد بأزمتها إلى كل من يرجو كرم رسول الله ﷺ.

(٤٧) النسم: النسيم، والنسم النفس والروح. وقد ولد النبى ﷺ ومات فى ربيع الأول.

(٤٨) يقول: إنك لما رحلت عن الدنيا ظلت نبوتك باقية، واستمرت عهودك فحافظت عليها أمتك.

(٤٩) منحسم: منقطع.

(٥٠) جبرت نقصهم: عوضته. وذلك لأن أعمال أمة محمد ﷺ تعرض عليه يوم الإثنين ويوم الخميس.

(٥١) بقاء: هو الشيخ الذى ذكر الناسخ فى هامش المخطوط، وأفاد النبهانى أنه: بقاء بن حيوة أحد الأولياء. والخلعة: المنحة العظيمة. منخرم: ناقص.

(٥٢) تؤمّه: تقصده. زمر: جماعات. ورفع العلم كناية عن الإشادة والتنويه وإعلاء الشأن.

(٥٤) الرث: الممزق، وهو كناية عن الضعف والعجز. سورة: شدة. اللمم: ما يلم بالإنسان، ولعله أراد به الجنون.

(٥٥) الوضم: خشبة الجزار، وهو كناية عن التعرض للفساد، يقول: إن لم تغثنى يا سيدى فأنا بمثابة لحم يستعد الجزار لتقطيعه.

(٥٦) عصابة: جماعة. طلاب: طلب. لم تخم: لم تتأخر، وأراد بهذه العصابة جيوش التتر المهاجمة للعالم الإسلامى.

٥٧ - لَعلَّهُمْ إن أَتَوْا أن يُصْبِحُوا وهُمُ   مِنْ بَيْنِ عَانٍ ومَقْتُولٍ ومُنْهَزِمِ

٥٨ - واسْأَلْ إلٰهَكَ أنْ يَجْتَاحَ أَصْلَهُمُ   وأن يُذيقَهُمُ تَنْكِيلَ مُنْتَقِمِ

٥٩ - فقَدْ دَهَا كَرْبُهُمْ أَهْلَ القُرَىٰ فَغَدَوْا   مُشَتَّتِينَ بشَمْلٍ غَيْرِ مُلْتَئِمِ

٦٠ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ صلاةً لا انْتِهاءَ لَها   مَوْلاكَ ثُمَّ عَلىٰ صَحْبٍ وذِى رَحِمِ

*****

(٥٧) أتوا : فى (أ) أبوا ، والتصحيح من النبهانية . عان : أسير .

(٥٨) يجتاح : يستأصل ويهلك . تنكيل : عقاب أليم .

(٥٩) دها : أصاب مصيبة فادحة .

الميمية الثانية

(عدتها ٢٦ ـ الخفيف الأول)

تبدأ هذه القصيدة بمناجاة النبى ﷺ والشكوى إليه والاستجارة به ـ بما له من قدر عند الله رفيع ـ أن يجير الأمة من الخطوب، وأن يسأل الله لها النصر على أعدائها.

وفى ثنايا القصيدة يعرض لمدح ابن أحمد (لعله الخليفة المستعصم بالله) بوصفه إمام المسلمين وحفيد العباس ـ رضى الله عنه ـ ابن عم النبى ﷺ والدعاء له بالنصر.

ثم تختم القصيدة بالدعاء والتوسل إلى الله عز وجل بالنبى ﷺ .

تتضمن القصيدة ثلاثة عناصر :

- فى مناجاة النبى ﷺ والثناء عليه.
- فى مدح خليفة المسلمين.
- دعاء واستغاثة به ﷺ .

وقال يمدحه ﷺ، وأنشدها تجاه الحجرة الشريفة:

١ - يا نَبِيَّ الهُـــدَىٰ عَلَيْكَ السَّـــلامُ كُلَّمـــا عَـــاقَبَ الضِّـــيَـــاءَ ظَلامُ

٢ - زادَكَ اللهُ رِفْـــعَـــــةً وَجَــــلالاً وبَـهَـــــــاءً وعِـــــــزَّةً لا تُـرامُ

٣ - قَـدْ قَطَعْنا إليْكَ فَـجًّـا عَـمِـيـقًـا بِـقُـلـوبٍ بِـهـــــــا إلَـيْـكَ أُوامُ

٤ - نَطْلُبُ الفَـضْلَ منكَ يا خَـيْـرَ هَادٍ فَلَدَيْكَ الإحْـسَـــانُ والإنْعَـــامُ

٥ - منْكَ بَذْلُ النَّدَىٰ وحُسْنُ قِرىٰ الضَّيْـ ـفِ ومِنْ جُـودِكَ اسْـتَـفَـادَ الكِرامُ

٦ - أنْتَ بالبِـشْـرِ والسَّـمَـاحِ مَليءٌ ولَنا بالسُّـــرَىٰ إلَيْكَ ذِمَـــامُ

٧ - أنتَ نِعْمَ الشَّـفِـيعُ فى المَـوْقِف الأكْـ ـبَـرِ إن طالَ بالأنَام القِـــيَـــامُ

٨ - فَـجَـدِيرٌ أنْ لا يَخِـيبَ لَدَيْك الْـ ـيَـوْمَ راجٍ شِـعَـارُهُ الإسْـــلامُ

٩ - إنْ يَكُنْ عَـاقَنا القَـضَـاءُ وطالَتْ بالمَطَايَا عَنْ قَـصْـدِكَ الأيَّامُ

١٠ - فَـلَـنـا حَـنَّـةٌ إلَـيْـكَ ومِـنَّـا كُلَّ وَقْتٍ يُهْـدَىٰ إلَيْكَ سَـلامُ

١١ - وإلىٰ صَاحِـبَـيْكَ حَـيًّـا ومَـيْـتًـا وإذَا قَـامَ لِلْحِـسَـابِ الأنَامُ

١٢ - فـأَجِـرْنَا من الخُطُوب فَـمَـنْ أصْـ ـبَحْتَ فى الخَطْب جَارَهُ لا يُضامُ ٦٢/ب

١٣ - واسْـأَل اللهَ لابنِ أحْـمَـدَ نَصْـرًا وكَـمَـالاً تَسْـمُـو بِهِ الأعْـلامُ

---

(١) عاقب: جاء عقبه أى بعده، وهى كناية عن الدوام.

(٢) لا ترام: لا يمكن بلوغها.

(٣) فجًّا: طريقًا. أوام: عطش وشوق.

(٦) البشر: الطلاقة والحسن، وفى (أ): بالفضل، وما أثبته من (ب) والنبهانية. السُّرَى: السير. ذمام: عهود.

(٧) الأنام: الناس. القيام: الوقوف ين يدى الله جل جلاله يوم العرض، وفى (أ) القتام، والتصحيح من (ب).

(٨) يخيب: فى (أ): يزال، وما أثبته من (ب) والنبهانية.
راج: اسم فاعل من (رجا يرجو).

(٩) المطَايا: الركاب.

(١٠) حنَّة: شوق، اسم مرة من الحنين.

(١١) حيًّا وميتًا: حال من ضمير المخاطب فى (صاحبيك)، وهما أبو بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما.

(١٢) أجرنا: أنقذنا. الخطوب: المحن والشدائد، جمع خَطب. جاره: شفيعه وحاميه. لا يضام: لا يُظلَم.

١٤ - وسَداداً فى الحُكْمِ مِنْهُ وعَدلاً ... فى البَرايَا بِهِ يَتِمُّ النِّظامُ

١٥ - وسُمُواً ورِفْعَةً لِبَنيهِ ... فَلَهُمْ بالوَلاءِ مِنْكَ اعتِصامُ

١٦ - فَلَقَدْ نَفَّسَ الكُروبَ وأحْيَا ... ما أمَاتَتْ مِنْ حَجِّنا الأعْوامُ

١٧ - فَجَزَاهُ الإلٰهُ خَيْرَ جَزاءٍ ... فَهْوَ لِلمُؤْمِنينَ نِعْمَ الإمامُ

١٨ - لَيْسَ لِلنَّاسِ فى البِلادِ إمامٌ ... غَيْرُهُ تِلْكَ خُطَّةٌ لا تُسامُ

١٩ - وهُوَ ابْنُ العَبَّاسِ عَمِّكَ حَقًّا ... خَيْرِ عَمٍّ إنْ عُدَّتِ الأعْمامُ

٢٠ - أسْعَدَ اللهُ جَدَّهُ وكَفَاهُ ... ما نَواهُ لَهُ الطُّغاةُ اللِّئَامُ

٢١ - فَبِآرائِهِ بِإذْنِ إلٰهِ الْـ ... ـعَرْشِ حُجَّ البَيْتُ العَتِيقُ الحَرامُ

٢٢ - وأتَيْناكَ بَعْدَ نأْىٍ طَويلٍ ... فَتَجَلَّتْ عَنَّا بِكَ الآثامُ

٢٣ - واسْأَلِ اللهَ ذا الجَلالِ لِوَفْدٍ ... مَا ثَنَاهُمْ عَنْ قَصْدِكَ اللُّوَّامُ

٢٤ - مَنْعَةً تُسْلِمُ الحَبِيبَ وأنْ يُمْـ ... ـنَعَ عَنَّا العُداةُ والأَوْهامُ

٢٥ - مَنْعَةً تَدْفَعُ العَدُوَّ وأَنْ تَسْـ ... ـلَمَ مِمَّا يَنُوبُها الأَنْعَامُ

---

(١٤) سداداً: توفيقًا.
(١٥) الرفعة والسمو مترادفان. اعتصام: قوة.
(١٦) نفَّس: فرَّج وأزال. الكروب: جمع كُرْبَة، وهى الشدة والضيق. وأراد أنه هو الذى مهد طريق الحجاج وجعله آمنًا.
(١٧) الإمام هنا معنى: الخليفة والحاكم.
(١٨) خطة: أمر مهم.
لا تسام: لا يبلغها أحد.
(٢٠) الجَدّ: الحظ. الطغاة اللئام: أراد بهم التتر.
(٢١) يبدو أن طريق الحج من العراق إلى الأراضى المقدسة كان غير آمن فى تلك الحقبة، وذلك بسبب تهديدات التتر وهجماتهم على العالم الإسلامى، ولعل الممدوح فى هذه القصيدة أمَّن طريق الحجاج.
(٢٢) نأى: بُعد وفراق. تجلَّت: انكشفت وزالت. الآثام: الذنوب.
(٢٣) الوفد هنا: وفد الحجيج. ثناهم: أضعف عزمهم.
(٢٥) منعة: عزة وقوة على العدو.
ينوبها: يصيبها. الأنعام: الإبل والبقر والغنم. ومن المعروف أن التتر كانوا يهاجمون البلاد فينهبون كل شىء فى طريقهم، يحرقون الأرض وزرعها ويأخذون الأنعام طعامًا لجنودهم وجيوشهم الجرارة.
وهذا البيت زيادة أثبته من النبهانية.

٢٦ - فـــتَــــمَـــــامُ النَّدَىٰ عَلىٰ مُكْرِمِ الوَا   فِــــدِ ظَهْـــــرٌ يُقِلُّهُ وَسَــــــلامُ

*****

(٢٦) الندى : الكرم . ظهر : فرس أو بعير أو غيرهما مما يركب . يقله : يحمله .

الميمية الثالثة

(عدتها ٦٢ - البسيط الأول)

نظمت هذه القصيدة فى مناسبة شهر ربيع الأول الذى شهد مولد خير العرب والعجم ﷺ، ثناءً على النبى ﷺ وتعداداً لمآثره وفضائله ومحاسنه الخُلُقية والخِلْقِيَّة.

وفى نهاية القصيدة يتمنى الشاعر أن يمنَّ عليه النبى ﷺ برؤيا تشفى قلبه وروحه، ويثنى على الصحابة الكرام والتابعين بإحسان، ويذكر شيخه أبا الوفاء عبد القادر (لعله : عبد القادر الجيلانى)، والعارف الهيتى، وابن إدريس، مثنياً عليهم ومعلناً حبه وولاءه لهم.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- فى ذكرى المولد النبوى الشريف والثناء على سيد الخلق ﷺ.
- أمنية الشاعر فى رؤيا النبى ﷺ.
- فى الثناء على الصحابة الكرام وتابعيهم.
- ذكر بعض أعلام الصوفية فى عصره والثناء عليهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا شَهْرَ مَوْلِدِ خَيْرِ العُرْبِ والعَجَمِ ... لأنْتَ حَقًّا رَبيعُ الفَضْلِ والنِّعَمِ

٢ - بَشَّرْتَنا بِنَبىٍّ نُورُ طَلْعَتْهِ ... عَنِ البَسيطَةِ جَلَّىٰ حِنْدِسَ الظُّلَمِ

٣ - مُحَمَّدٍ صَفْوَةِ الرَّحمٰنِ مِنْ غُرَرِ الْـ ... أعْيانِ عِنْدَ عَظيمِ الشَّأنِ فى القِدَمِ

٤ - خَطٌّ اسْمِهِ فَوْقَ ساقِ العَرْشِ مَنْقَبَةٌ ... لَمْ تَجْرِ فى فَهْمِ أهْلِ العَزْمِ والهِمَمِ

٥ - ولاحَ فَوْقَ نُحُورِ الحُورِ أحْسَنَ مِنْ ... عِقْدٍ مِنَ الدُّرِّ والياقُوتِ مُنْتَظِمِ

٦ - وَزَانَ أيضًا مَصَارِيعَ القُصُورِ وأشْـ ... ـجَارَ الجِنَانِ كَثَوْبٍ زِينَ بالعَلَمِ

٧ - لَوْلاهُ لَمْ يَخْلُقِ الرَّحْمٰنُ آدَمَ لا ... ولا الجِنَانَ ولا النِّيرانَ لِلنِّقَمِ

٨ - وكانَ قَبْلُ نَبِيًّا حَيْثُ آدَمُ فى ... تَصْويرِهِ وهْوَ فى الوُجْدَانِ كالعَدَمِ ٦٣/أ

٩ - حَتَّىٰ إذَا هُوَ سَوَّاهُ وقَدَّمَهُ ... عَلَىٰ المَلائِكَةِ الأشْرافِ كُلِّهِمِ

١٠ - وكانَ ما كانَ مِنْهُ ثمَّ تَابَ، دعا ... بِاسْمٍ عَلَىٰ العَرْشِ سامِى القَدْرِ مُحْتَرَمِ

---

(٢) طلعته: وجهه. البسيطة: الأرض. جلَّى: كشف. الحندس: الليل الشديد الظُّلمة. الظُّلَم: جمع ظُلمة.

(٤) منقبة: فضيلة ومكرمة.

(٥) لاح: ظهر. نحور: صدور. الحور: نساء الجنة.

(٦) زان: زيَّن. مصاريع: جمع مصراع وهو الباب. الجنان: جمع جَنَّة. زينَ: زُيِّن. العلم: النقش.

(٧) النِّقَم: جمع نقمة، وهى الغضب والعقاب. وهذا البيت زيادة من (ب).

(٨) يشير إلى قوله ﷺ : « إنى عبد الله ونبيُّه وآدم منجدل فى طينته » [المستدرك للحاكم، تفسير سورة الأحزاب، رقم ٣٣] أى لم تنفخ فيه الروح بعد، فهو موجود ولكنه وجود كالعدم. وفي (ب):

وكان قَبْلُ نبيًّا وهو منجدلٌ ... فى طِينةٍ هى فى الوجدانِ كالعَدَمِ

وهذه الصياغة أقرب لنص الحديث.

(١٠) ذكر الصرصرى هذا المعنى كثيراً، وهو أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة المحرمة وأراد أن يتوب إلى ربِّه - رأى اسم محمد ﷺ على العرش فدعا الله به فتاب عليه، وقد أورد النبهانى عدة أخبار فى هذا، منها ما رواه البيهقى والحاكم والطبرانى عن عمر الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال: يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى. فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك - يارب - لما خلقتنى بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ فعلمت أنك لم تُضفْ إلى اسمك إلا أحبَّ الخلق إليك. فقال الله تعالى: صدقت يا آدم، إنه لأحَبُّ الخلق إلىَّ، وَإِذْ سألتنى بحقه فقد غفرت لك، =

١١ - سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ مَـوْلانَا وسَيِّدَنَا	مُـحَـمَّـداً بِنَفِـيسِ الحَظِّ والقِـسَمِ
١٢ - سَوَّاهُ مِنْ قَبْضَـةٍ بَيْضَاءَ أخْرَجَـهَا	مِنْ قَبْرِهِ العَطِرِ المَحْشُـودِ بالحَشَمِ
١٣ - قُدْسِيَّةِ الأصلِ بالتَّسْنِيمِ قَدْ عُجِنَتْ	عَـجْنًا يَزِيدُ بِهِ فَـضْـلاً عَلىٰ النَّسَمِ
١٤ - وبَعْـدَهُ غُـمِـسَتْ فِى مَـاءِ أنْهُـرِ جَنَّـ	ـاتِ النَّعِـيمِ الطَّهُـورِ السَّائِغِ الشَّبِمِ
١٥ - وطِيفَ فِى المَلأِ الأعْلَىٰ بِهَا فَسَمَتْ	وحَـــازَهَا آدَمُ الأعْـلَىٰ أبُو الأُمَمِ
١٦ - فَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ حِـينًا بِجَـبْـهَـتِـهِ	حَتَّىٰ عَـلا وَجْهَ ذَاتِ الحَمْلِ والوَحَمِ
١٧ - وحَلَّ جَـبْـهَـةَ شِـيثٍ ثُمَّ لاحَ عَلَىٰ	جَـبِـينِ أخْنُوخِ الدَّرَّاسِ لِلحِكَمِ
١٨ - وحَلَّ فِى صُلْبِ نُوحٍ فِى السَّفِينِ وفِى	صُلْبِ الخَلِيلِ الرِّضَا فِى الجَاحِمِ الضَّرِمِ
١٩ - وكَانَ فِى صُلْبِ إسْمَاعِيلَ فَانْقَلَبَتْ	عَنْهُ المُـدَىٰ فَـتَـوَلَّىٰ غَـيْـرَ مُنْكَلِمِ
٢٠ - ولَمْ يَزَلْ بِصَحِـيحِ العَـقْـدِ مُنْتَـقِـلاً	مِنْ خَيْرِ صُلْبٍ إلىٰ مَا طَابَ مِنْ رَحِمِ
٢١ - حَتَّىٰ عَـلا وَجْهَ عَـبْـدِ اللهِ مِنْهُ سَنًا	لأجْلِهِ لَمْ يُضِـرْهُ نَحْـرُ مُـسْـتَـهِـمِ
٢٢ - وأحْـــرَزَتْ مِنْهُ ذَاكَ النُّورَ آمِنَةُ الـ	ـمَحْرُوسَةُ الحَمْلِ مِنْ ثِقْلٍ ومِنْ ألَمِ
٢٣ - حَـتَّىٰ إذَا بَلَغَ الحَـمْلُ التَّـمَـامَ بَدَا	مُطَهَّـراً مِنْ نِفَـاسٍ مُـؤْذِنٍ بِدَمِ

= لولا محمدٌ ما خلقتك [انظر: حجة الله على العالمين، ص ١٥٧].

(١١) نفيس: رفيع القيمة. القسم: جمع قسمة وهى النصيب.

(١٣) التسنيم: ماء الجنة. النَّسَم: البشر، وكل ذى روح.

(١٤) السائغ: العذب. الشبم: البارد الصافى.

(١٥) طيف: فعل مبنى للمجهول من طَافَ.

الأمَم: كذا فى (ب)، وفى (أ) الأنَم، وهو مقصور من (الأنام) ولكنها ضرورة قبيحة، وما فى (ب) أصح.

(١٦) المراد بذات الحمل والوحم: حواء.

(١٧) أخنوخ: سيدنا إدريس عليه السلام. الدرَّاس: صيغة مبالغة من دَرَس يَدْرُس.

(١٨) الجاحم الضرم: النار التى أوقدها نمروذ لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١٩) المدى: السكين. منكلم: جريح.

(٢٠) أى بزواج صحيح فى جميع آبائه، قال ﷺ: «ليس فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» السيرة الحلبية ١/ ٦٥].

(٢١) لم يَضِرْه: لم يصبه. نحر: ذبح.

مستهم من الاستهام وهو إجراء القُرعة.

٢٤ - وجَلَّ عَنْ صُنْعِ خَـتَّـانٍ وقَـابِلَةٍ وَصِـينَ فى وضْـعِـهِ مِنْ سَـوْرَةِ اللَّمَمِ

٢٥ - ومُذْ عَلا الأرضَ أهْوَىٰ ساجِدًا وكَسَتْ أنْوارُهُ عَـرَصَـاتِ البَـيْتِ والحَـرَمِ

٢٦ - واسْتَبْشَرَ المَلأُ الأعْلَىٰ بِهِ وحَمَوْا مَـهْـدًا تَكَنَّفَـهُ مِنْ شَـرِّ مُـقْـتَـحِمِ

٢٧ - وانْشَقَّ إيوانُ كِسْرَىٰ والمَجُوسُ خَبَا مِنْ نَارِها كُلُّ وَارِى الوَقْـدِ مُـضْطَرِمِ

٢٨ - جَـاءَتْ بِهِ أدْعَجَ العَـيْنَيْنِ حَـاجِـبُـهُ كَـالنُّون عَـرَّقَـهـا الحَـذَّاقُ بالقَلَمِ

٢٩ - أزَجُّ أبْلَجُ أقْنَىٰ الأنْفِ يُحْـسَـبُ مِنْ بُعْدٍ أشَمَّ ومَا بالأنْفِ مِنْ شَمَمِ ٦٣/ب

٣٠ - مُـدَوَّرُ الوَجْـهِ سَـهْلُ الخَـدِّ أنْوَرُهُ قَـدْ خَـيَّمَ الحُـسْنُ فى عَـيْنٍ لَهُ وفَمِ

٣١ - حُلْوُ الشَّمائِلِ رَحْبُ الصَّدْرِ قَدْ جُمِعَتْ فِـيـهِ المَـحَـاسِنُ مِنْ قَـرْنٍ إلىٰ قَـدَمِ

٣٢ - يُضْحِى كَـحِـيلاً دَهِينًا طَيِّـبًا عَطِرًا مِنْ غَـيْـرِ صُنْعِ رَبِيـبَـاتٍ ولا خَـدَمِ

٣٣ - وعَـمَّت ابنَةَ سَـعْـدٍ فى رِضَاعَـتِـهِ سَـعَـادَةٌ عَنْ حِمَاهَا الدَّهْرَ لَمْ تَرِمِ

٣٤ - وخُصَّ فى أرْبَعٍ مِنْ عُـمْـرِهِ سَلَفَتْ بِشَرْحِ صَدْرٍ عَلىٰ الخَيْـرَاتِ مُلْتَـئِمِ

---

(٢٤) جلَّ: عظُم وتنزَّه، أى لم يختن لأنه ولد مختونًا، وقد تواترت الأحاديث أنه ﷺ ولد مختونا كما قال الحاكم فى المستدرك.
كما أنه لم يولد بواسطة قابلة كغيره من الناس. صين: حفظ. سورة: شدة.
اللمم: أن يلمَّ به طائف من الجن أو الشياطين.
نقل فى حجة الله على العالمين عن «محاضرة الأبرار» أن الملائكة أخفت النبى ﷺ عن أعين الناس عند ولادته [حجة الله على العالمين ص ١٦٧ ، ١٦٨].

(٢٥) أهوى: سقط مسرعًا. عرصات: جنبات.

(٢٦) تكنفه: أحاط به. والمراد بالمقتحم: الشيطان.

(٢٧) خبا: انطفأ. وارى الوقد: النار المشتعلة، ومثله مضطرم.

(٢٨) أدعج العينين: بياضهما شديد وسوادهما شديد.

(٢٩) أزجّ: دقيق الحاجبين مع طول وتقوس فيهما. أبلج: مشرق. أقنى الأنف: طويل مع ارتفاع فى وسطه. أشمّ: متكبر، أى يظن الناظر إليه من بعيد أنه متكبر لارتفاع أنفه وطوله، ولكن ليس به من كبر.

(٣٠) أنور: مضىء. خيَّم: ثبت.

(٣١) الشمائل: الأخلاق. قرن: شعر، وفى (أ) فرق، وهو تصحيف والتصويب من (ب).

(٣٢) ربيبات: جمع ربيبة، وهى الأَمَة.

(٣٣) ابنة سعد: السيدة حليمة السعدية، وهى من بنى سعد. الدهرَ: منصوب على الظرفية أى: مدى الدهر. لم ترم: لم تفارقها.

(٣٤) سلفت: مضت، أى بعد مضى أربع سنوات من عمره الشريف. ملتئم: مشتمل.

٣٥ - وكانَ وهْوَ ابْنُ خَمْسٍ فى الهَجيرِ لَهُ ... منَ الغَمائمِ ظِلٌّ غَيرُ مُنْخَرمِ
٣٦ - وزُلْزلَ الدَّيْرُ تَعْظيمًا لحُرْمَتِهِ ... وهْوَ ابنُ سَبْعٍ لِمَنْعِ الرَّاهبِ الخَصِمِ
٣٧ - ولمْ يَزَلْ فى ثَمَانِ عَمُّهُ يَجِدُ الْـ ... ـخِصْبَ الغَزيرَ به فى المَاحِلِ العَمَمِ
٣٨ - وزادَ وهْوَ ابْنُ عَشْرٍ صَدْرُهُ شَرَفًا ... بالشَّرْحِ يُمْلأُ منْ نُورٍ ومنْ حِكَمِ
٣٩ - وكانَ فى الخَمْسِ والعشْرينَ فى سَفَرٍ ... تَحْتَ الغَمَامَةِ مَحْروسًا منَ السُّهُمِ
٤٠ - وأشْرَقَتْ حينَ تَمَّ الأرْبَعُونَ لَهُ ... شَمْسُ النُّبُوَّةِ منْ ذى العِزَّةِ الحَكَمِ
٤١ - حَيَّاهُ فى بَعْثِهِ شُمُّ الجبالِ وكُثْـ ... ـبَانُ الرِّمالِ وفَرْعُ الضَّالِ والسَّلَمِ
٤٢ - وأَتْبَعَ الثَّاقبُ الشَّيْطانَ مُذْ بُعثَ الْـ ... ـهَادى ونُكِّسَ ما فى الأرْضِ مِنْ صَنَمِ
٤٣ - وأظْهَرَ المُعْجِزاتِ البَاهراتِ فَلَمْ ... يَرُدَّها غَيرُ مَسْلُوبِ الفُؤادِ عَمِ
٤٤ - وأخْرَجَ النَّاسَ منْ لَيلِ الضَّلالِ إلىٰ ... صَباحِ حَقٍّ مُبينٍ غَيْرِ مُتَّهَمِ
٤٥ - إذَا رأىٰ الحَاذقُ المُرْتادُ بَهْجَتَهُ ... يَشيمُ بَرْقَ الهُدَى فى أحْسَنِ الشِّيَمِ
٤٦ - وإنَّهُ الآنَ مَقْبُوراً لأمَّتِهِ ... ذُخْرٌ لَهُمْ نَافعٌ فى عَرْضِ كَسْبِهِمِ
٤٧ - حَتَّىٰ إذَا حَانَ بَعْثُ النَّاسِ فَهْوَ إذًا ... نِعْمَ الشَّفِيعُ لَهُمْ فى يَوْمِ حَشْرِهِمِ
٤٨ - يا أحْسَنَ النَّاسِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وأغْزَرَ النَّاسِ فى علْمٍ وفى كَرَمِ
٤٩ - وأشْرَفَ النَّاسِ فى قَدْرٍ وفى نَسَبٍ ... وأعْظَمَ النَّاسِ فى بَدْءٍ ومُخْتَتَمِ
٥٠ - قَلْبى إلَيْكَ وطَرْفى ظَامِئَانِ ولا ... يَرْويهِمَا منْكَ إلا أصْدَقُ الحُلُمِ

---

(٣٥) الهجير: حر الظهيرة. منخرم: ناقص.
(٣٦) الخصم: شديد الخصومة، وسبق ذكر قصة زلزلة الدير.
(٣٧) الماحل: الجدب. العمم: العامّ الشامل.
(٣٩) السُّهم: وهج الصيف وحرُّه اللافح.
(٤١) شم الجبال: الجبال العالية. الكثبان: التلال. الضال: شجر السدر. السلم: شجر طويل ذو شوك.
(٤٢) أتْبَعَ هنا فعل متعد بمعنى (تَبِعَ). الثاقب: الشهاب. وقد سبق ذكر هذه الآيات التى صاحبت بعثة النبى ﷺ . وهذا البيت زيادة من (ب).
(٤٥) الحاذق: الماهر. المرتاد: المستطلع. يشيم: يرى ضوء البرق. الشيم: الطبائع.
(٤٧) بعث: فى (أ) بعد، وهو سهو من الناسخ، والتصحيح من (ب).
(٥٠) طرفى: بصرى. الحُلُم: الحلْم، وأراد به الرؤيا الصادقة.

٥١ - فَامْنُنْ عَلَيَّ بِرؤْيا تَسْتَلِذُّ بِها ... رُوحِي وتَشْفِي فؤادِي مِنْ جَوَى السَّقَمِ ٦٤/أ

٥٢ - لا زِلْتَ مِنْ نَفَحاتِ القُدْسِ فى مَدَدٍ ... ومِنْ مَزِيدِ الرِّضا والقُرْبِ فى نِعَمِ

٥٣ - ونالَ مِنْ فَضْلِ ما أُعْطِيتَ آلُكَ والْـ ... أبْرارُ أصْحابُكَ المُوفُونَ بالذِّمَمِ

٥٤ - والتَّابِعونَ بِإِحْسانٍ ومَشْيَخَةٌ ... إِلىٰ الطَّرِيقَةِ دَلُّونَا بِهَدْيِهِمِ

٥٥ - كالعارِفِ العَدْلِ تاجِ العَارِفِينَ أبِى الْـ ... ـوَفَاءِ والقُطْبِ عَبْدِ القَادِرِ العَلَمْ

٥٦ - والعَارِفِ العَلَمِ الهِيتِيِّ ذِى النَّظَرِ الـ ... ـصَّحِيحِ كَمْ قَالَ مِنْ قَوْلٍ فَلَمْ يَهِمِ

٥٧ - وكابْنِ إِدْرِيسَ ذى الحَالِ الشَّهِيرِ أتَىٰ ... فَكَانَ بَعْدَهُمُ عُنْوانَ سِرِّهِمِ

٥٨ - ما زَالَ مُتَّبِعًا آثارَ شِرْعَتِكَ الْـ ... ـبَيْضاءِ عَنْ حُكْمِكَ المَحْمودِ لَمْ يَخِمِ

٥٩ - فَهُمْ وأمْثالُهُمْ أعْيانُ أمَّتِكَ الْـ ... أمْجادُ مِنْ عَرَبٍ عَرْبَاءَ أو عَجَمِ

٦٠ - فى كُلِّ عَصْرٍ لَنا مِنْهُمْ شُموسُ هُدًى ... إذَا عَرَا الجَدْبُ يُسْتَسْقَىٰ الحَيَا بِهِمِ

٦١ - وإِنْ طَغَىٰ حَادِثٌ عُذْنَا بِهِمْ وإِذَا ... حَلُّوا قُبُورَهُمُ لُذْنا بِتُرْبِهِمِ

٦٢ - نُصْفِيهِمُ ما حَيِينَا وُدَّنا فإِذَا ... مِتْنا نَموتُ عَلىٰ إِخْلاصِ حُبِّهِمِ

*****

---

(٥١) جوى : ألم . السقم : المرض .

(٥٢) مدد : عطاء إلهىّ لا ينفد .

(٥٣) الذمم : العهود .

(٥٤) الطريقة : طريقة الصوفية ، وهى طريق السالكين إلى الله من قطع المنازل والترقِّى فى المقامات [انظر : اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ٦٥] .

(٥٨) شرعتك : شريعتك . لم يخم : لم يتحوَّل عنها .

(٦٠) عرا الجدب : نزل وأصاب الأرض . الحيا : المطر .

(٦١) عذنا بهم : استغثنا ولجأنا إليهم ، ومثله لُذْنا .

(٦٢) نصفيهم ودّنا : نحبهم حبًّا صافيًا خالصًا .

الميمية الرابعة

(عدتها ٧٣ ـ الطويل الثانى)

وهذه القصيدة ـ أيضًا ـ نظمت فى ذكرى مولد النبى ﷺ، وما أفاضته هذه الذكرى العطرة من بشائر الخير والبركة على المحبين، ومن ثم ينتقل الشاعر إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض خصائصه ومعجزاته، ثم يثنى على أصحابه من أبطال بدر، وأصحاب بيعة الرضوان، ويخص منهم بالثناء العشرة المبشرين بالجنة، ذاكرًا بعض مآثرهم وفضائلهم، ويعم بالثناء كل أصحاب النبى ﷺ، كما يثنى على الرجال الأربعين المقيمين على الحق فى كل عصر، كلما مات أحدهم قام مكانه غيره من أمة محمد ﷺ، إلى قيام الساعة، مسلمًا عليهم، ومصليًا على النبى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى مدح النبى ﷺ.
- فى الثناء على صحابته الكرام من أهل بدر وأصحاب بيعة الرضوان.
- فى الثناء على العشرة المبشرين وذكر بعض مآثرهم.
- ثناء على الرجال الأربعين القائمين بالحق.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أَجَدَّ المَشُوقُ الوَجْدَ حينَ تَوَهَّمَا ... رَبِيعًا أَتَانَا زائرًا ومُسلِّمَا

٢ - فأدَّىٰ إليْنا للحَبيب رسالَةً ... فَهِمْنَا بها للفَضْلِ مَعنًى مُتَرْجَمَا

٣ - كَسَا جَنَبَاتِ الأرْضِ بُرْدًا مُفَوَّفًا ... وقَلَّدَها منْهُ وشَاحًا مُنَظَّمَا

٤ - أزاهيرَ تَحْكِي الأنْجُمَ الزُّهْرَ بَهْجَةً ... وأنْهَارُها الأفْلاكُ والخُضْرَةُ السَّمَا

٥ - يُضَاهِي ثُغوراً أسْفَرَتْ أُقْحُوانُها ... ونَرْجِسُها الأجْفانُ مِنْ أَعْيُنِ الدُّمَىٰ

٦ - إذَا مَا بَكَتْ عَيْنُ السَّحابِ رياضَها ... تَرَىٰ النَّوْرَ في أرْجائِها مُتَبَسِّمَا

٧ - ويَسْحَرُ ألْبابَ الرِّجالِ أريجُها ... إذَا نَفَسُ الأسْحارِ مَرَّ مُهَيْنِمَا

٨ - تَرَىٰ زَهَرًا سَبْطًا وماءً مُجَعَّدًا ... يُظَنُّ عَلىٰ الأمْواجِ خَطًّا مُنَمْنَمَا

٩ - إذَا مَاسَ عِطْفُ الرَّنْدِ يَشْدُو حَمامُها ... كَأنَّ لَهُ بالرَّنْدِ قَلْبًا مُتَيَّمَا ٦٤/ب

١٠ - يَنُوحُ فَلا أدْرِي أخَوْفَ تَفَرُّقٍ ... أمِ ارْتاحَ إذْ نالَ المُنىٰ فَتَرَنَّمَا

١١ - فَيَا حُسْنَ أوْقَاتِ الرَّبِيعِ أَبِنْ لَنا ... بِماذَا عَلىٰ الأيَّامِ صِرْتَ مُقَدَّمَا

١٢ - أَجُزْتَ عَلىٰ أعْلامِ طَيْبَةَ غُدْوَةً ... فأحْرَزْتَ هذَا الطِّيبَ مِنْ ذَلِكَ الحِمىٰ

١٣ - حِمًى فِيه رَوْضُ الفَضْلِ غَضٌّ عَلىٰ المَدىٰ ... إذَا وَقْتُكَ النَّزْرُ اليَسِيرُ تَصَرَّمَا

---

(١) أجدَّ : جدّد.

(٢) مترجماً : مشروحًا مفسَّرا.

(٣) بردًا : ثوبًا. مفوفًا : منقوشًا مزخرفًا.

(٤) تحكي : تشبه. الزهر : اللامعة.

(٥) يضاهي : يماثل. ثغوراً : جمع ثغر، وهو الفم. أسفرت : ضحكت. الأقحوان : نبت طيب الرائحة له زهر أبيض. الدُّمى : جمع دمية، وكانوا يشبهون النساء الجميلات بالدمى.

(٦) النّور : الزهر.

(٧) ألباب : عقول. أريجها : عطرها. الأسحار : جمع سحر. مهينمًا : محدثًا صوتًا خفيضًا كدندنة الغناء.

(٨) سبطًا : طويلاً ناعمًا.

(٩) ماس : تمايل. الرند : زهر الآس.

(١٠) ترنَّم : غَنَّى.

(١٢) أجزت : هل مررت؟ فالهمزة استفهامية. غدوة : في أول النهار.

(١٣) غض : ناعم مزدهر. النزر : القليل. تصرَّم : مضى.

١٤ - حَوَىٰ كُلَّ مَعْنًى لَيْسَ للنَّقْصِ مَدْخَلٌ ... عَلَيْهِ ولا فِيهِ مَقَالٌ فَيُوصَمَا

١٥ - مَعَانِيَ أَحْلَىٰ مِنْ وِصَالٍ عَلَىٰ مُنًى ... وأَعْذَبُ مِنْ مَاءٍ نَمِيرٍ عَلَىٰ ظَمَا

١٦ - حِمًى نُورُهُ عَنَّا مَحَا كُلَّ ظُلْمَةٍ ... وسُلْطَانُهُ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ لَنا حَمَىٰ

١٧ - حِمًى أشْرَقَتْ شَمْسُ الهُدَىٰ بِسمائِه ... فَجَلَّتْ مِنَ البُطْلانِ مَا كَانَ مُظْلِمَا

١٨ - حِمًى حَلَّهُ الهَادِى البَشِيرُ مُحَمَّدٌ ... فأَضْحىٰ لِشَرْقِ الأَرْضِ والغَرْبِ قَد حَمىٰ

١٩ - بِه شَرُفَتْ فى الأَرْضِ يَثْرِبُ مِثْلَمَا ... بِه شَرَّفَ اللهُ الحَطِيمَ وزَمْزَمَا

٢٠ - وأَخْبَرَ فِى مَاضِى الزَّمانِ بِوَصْفِه ... ومَبْعَثِهِ مُوسَىٰ وعِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَا

٢١ - كَذَلِكَ لَمَّا عَايَنَ ابنُ سَلامٍ الـ ... ـصِّفَاتِ التى فِيهِ وسَلْمَانُ أسْلَمَا

٢٢ - لَهُ جَمَعَ اللهُ المَنَاقِبَ كُلَّهَا ... فَأَصْبَحَ بَيْنَ الأنْبِيَاءِ مُعَظَّمَا

٢٣ - بَشِيرًا نَذِيرًا شَاهِدًا مُتَوَكِّلاً ... حَبِيبًا خَلِيلاً نَاظِرًا ومُكَلِّمَا

٢٤ - سِرَاجًا مُنِيرًا فَاتِحَ الخَيْرِ خَاتِمًا ... رَءُوفًا رَحِيمًا شَافِعًا ومُحَكَّمَا

٢٥ - وأُعْطِىَ خَمْسًا لَمْ يَنَلْهُنَّ قَبْلَهُ ... نَبِىٌّ، عَطَاءً مِنَّةً وتَكَرُّمَا

٢٦ - لَهُ الأَرْضُ صَارَتْ مَسْجِدًا وتُرابُهَا ... طَهُورًا لِمَنْ أَضْحَىٰ بِهَا مُتَيَمِّمَا

٢٧ - وعَمَّ جَمِيعَ الإِنْسِ والجِنِّ بَعْثُهُ ... وكُلُّ نَبِىٍّ فى أُنَاسٍ تَقَدَّمَا

٢٨ - وخُصَّ بِتَحْلِيلِ الغَنَائِمْ لَمْ يَكُنْ ... نَبِىٌّ رَسُولٌ قَبْلُ يَقْسِمُ مَغْنَمَا

٢٩ - وكَانَ عَلَىٰ شَهْرٍ لَهُ الرُّعْبُ نَاصِرًا ... كَمَا بالصَّبَا شَمْلُ العَدُوِّ تَقَسَّمَا

٣٠ - وأُعْطِىَ مَا لَمْ يُعْطَ عَبْدٌ وذِكْرُهُ ... مُقَارِنُ ذِكْرِ اللهِ أَمْرًا مُحَتَّمَا ٦٥/أ

---

(١٤) يوصم : يعاب .

(١٥) نمير : عذب . ظما : سهل الهمزة لضرورة القافية .

(١٧) جلَّت : كشفت . البطلان : الباطل .

(١٩) الحطيم : ما بين الركن الأسود إلى الباب إلى المقام [معجم البلدان ٢ / ٣١٥] .

(٢٢) المناقب : المكارم والفضائل .

(٢٥) أشار فى هذا البيت والأبيات التالية حتى البيت رقم (٢٩) إلى قوله ﷺ : « أعطيت خمسًا لم يُعْطَهنَّ أحدٌ قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لى الغنائم ولم تحلَّ لأحد قبلى، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبىُّ يُبعَث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » [متفق عليه، انظر: الصلاة ١ / ٦٣٥ ، حديث رقم ٤٣٨] .

(٣٠) وذلك فى شهادة التوحيد : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

٣١ - أَلَمْ تَرَ أنَّا لا يَصِحُّ أذَانُنَا ... ولا فَرْضُنا إنْ لَمْ نُكَرِّرْهُ فيهِما

٣٢ - وآتاهُ قُرآنًا مَجِيدًا مُصَدِّقًا ... لِمَا قَبْلَهُ يَهْدى إلىٰ الحَقِّ مُحْكَمَا

٣٣ - مَحَجَّتُهُ البَيْضَاءُ أَهْدَىٰ مَحَجَّةٍ ... بِها دِينُهُ أضْحَىٰ عَلىٰ الدِّينِ قَيِّمَا

٣٤ - وأُمَّتُه خَيْرُ القُرونِ وصَحْبُهُ ... خِيَارُهُمُ كانُوا شُموسًا وأنْجُمَا

٣٥ - وأَفْضَلُهُمْ أبْطالُ بَدرٍ ومَنْ ثَنَىٰ ... عَلىٰ بَيْعَةِ الرِّضْوانِ عَقْدًا وأبرَمَا

٣٦ - وأَوْلاهُمُ بِالفَضْلِ صِدِّيقُهُ الذى ... لِذرْوَةِ عَلْياءِ السِّبَاقِ تَسَنَّمَا

٣٧ - أبُو بَكْرٍ السَّبَّاقُ فِى الفَضْلِ مُنْفِقًا ... كَمَا كَانَ سَبَّاقًا إلىٰ الخَيْرِ مُسْلِمَا

٣٨ - أمَا كَانَ يَوْمَ الغارِ يَبْذُلُ نَفْسَهُ ... حِذَارًا عَلَيْهِ مِنْ عَدوٍّ وأرْقَمَا

٣٩ - وقَدَّمَهُ الهَادِى وصَلَّىٰ وراءَهُ ... فَنِعْمَ إمَامٌ للخِلافَةِ قُدِّمَا

٤٠ - لَقَدْ رَدَّ يَوْمَ الرِّدَّةِ الدينَ أَخْضَرَ الْـ ... ـخَمَائلِ لَمَّا كادَ أنْ يتَهَدَّمَا

٤١ - ومِنْ بَعْدِهِ الفَارُوقُ مُظْهِرُ دِينِنَا ... بِإسْلامِهِ جَهْرًا وكانَ مُكَتَّمَا

٤٢ - فَضائِلُهُ مَشْهُورَةٌ لا يَرُدُّها ... سِوَىٰ مُبْطِلٍ غَطَّىٰ بَصِيرَتَهُ العَمَىٰ

٤٣ - أمَا وَافَقَتْ آىُ الكِتَابِ مُرادَهُ ... وكانَ الفَقِيهَ العَبْقَرِىَّ المُفَهَّمَا

٤٤ - أمَا عَمَّ أقْطَارَ البِلادِ بِعَدْلِه ... وثَقَّفَ مُعْوَجَّ العِبَادِ وقَوَّمَا

---

(٣٣) المحجة : الطريق، واستعيرت للأمر الواضح الذى لا زيغ فيه، وتوصف بالبيضاء لأن البياض رمز للخير عند العرب . قيِّما : حاكما ومهيمنا . وهذا ما فهمه الصرصرى من قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ التوبة / ٣٦ ، يوسف / ٤٠ ، الروم / ٣٠ . ومعظم المفسرين على أن المراد الدين القيِّم : المعتدل المستقيم .

(٣٥) ثنى العقد : أحكمه وأكده، ومثله أبرم .

(٣٦) المراد بالسباق : التسابق إلى الخير والإيمان . تسنم : ارتقى .

(٣٧) كذا فى (جـ)، وفى (أ) عجز البيت غير مقروء . (٣٨) حذارًا : خوفًا . أرقم : ثعبان .

(٤٠) الخمائل : الأشجار، استعار خضرة الخمائل للتعبير عن التجدد والحيوية .

(٤٣) روى الشيخان عن أنس ﷺ قال : قال عمر بن الخطاب ﷺ : « وافقت ربى ثلاث، فقلت يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مُصَلَّى، فنزلت : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ البقرة / ١٢٥ . وآية الحجاب، قلت : يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن؛ فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ فى الغيرة عليه فقلت لهن : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ التحريم / ٥ . فنزلن هذه الآية [صحيح البخارى ك الصلاة، رقم ٣٨٧ ، صحيح مسلم والثالثة عنده : فى أسارى بدر، ك فضائل الصحابة رقم ٤٤١٢] .

(٤٤) ثقف : عدل وأصلح المعوج، ومثله قوَّم .

٤٥ - هُما - وإلٰهِى - خَيْرُ صَحْبِ مُحَمَّدٍ ... وصَحْبِ جَميعِ الأنْبِيَاءِ هُما هُما

٤٦ - تَرَىٰ أَهْلَ علِّيينَ مِنْ دُونِهِمْ كَمَا ... يُرَىٰ الكَوْكَبُ الدُّرِىُّ فى أُفُقِ السَّمٰا

٤٧ - وإنَّ أبا بَكْرٍ عَتيقًا أَخَا التُّقَىٰ ... وصَاحِبَهُ الفَارُوقَ مِنْهُمْ وأنْعِمَا

٤٨ - لَقَدْ بَرِأَ اللهُ العَظِيمُ وعَبْدُهُ ... نَبِىُّ الهُدَىٰ مِمَّنْ تَبَرَّأَ مِنْهُمَا

٤٩ - وعُثْمانُ ذُو النُّورَيْنِ نُورَىْ مُحَمَّدٍ ... وذَلكَ فَضْلٌ يَكْبِتُ المُتَأثِّمَا

٥٠ - وبَايَعَ عَنْهُ باليَمِينِ وخَصَّهُ ... بأجْرِ كَمِىٍّ يَومَ بَدْرٍ وأسْهَمَا

٥١ - وقَالَ لَهُ: مَا ضَرَّ عُثْمانَ بَعْدَها ... لتَجْهِيزِهِ جَيْشًا لُهَامًا عَرَمْرَمَا ٦٥/ب

٥٢ - وقَالَ: أخِى عُثْمانُ وهْوَ فَضِيلَةٌ ... وأثْنَىٰ عَلَيْهِ بالحَيَاءِ مُعَظِّمَا

٥٣ - وبَابُ الهُدَىٰ والعِلْمِ والنُّورِ والتُّقَىٰ ... وذُو النَّسَبِ السَّامِى الشَّرِيفِ إذا انْتَمَىٰ

٥٤ - أَبُو الحَسَنِ الخَوَّاضُ كُلَّ عَجاجَةٍ ... يُنَكِّلُ فيها الشَّرَّ بالسَّيْفِ مُعْلَمَا

٥٥ - وكَمْ لِلَبِيبٍ بَاحِثٍ حَلَّ مُشْكِلاً ... وكَمْ لِذَوِى الأحْكامَ وَضَّحَ مُبْهَمَا

---

(٤٥) كرر الضمير (هما) تنويهًا بالصديق والفاروق رضى الله عنهما.

(٤٦) عليين: منزلة عالية فى الجنة للمقربين.

(٤٧) عتيق: اسم سيدنا أبى بكر.

(٤٩) شرح الصرصرى فى هذا البيت معنى لقب سيدنا عثمان ذى النورين، بقوله: نورى محمد ﷺ، لأنه تزوج السيدتين رقية وأم كلثوم عليهما السلام.

(٥٠) أشار فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمر أن سائلاً سأله عن عثمان بن عفان رضى الله عنهم: هل تغيَّب عن بدر ؟ وهل تخلَّف عن بيعة الرضوان ؟ فأجاب ابن عمر أن تَغَيُّب عثمان عن شهود بدر كان لمرض زوجته السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وقال له النبى ﷺ: «إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه. وأما غيابه عن بيعة الرضوان فلأن النبى ﷺ أرسله يومئذ إلى مكة وبايعه ويد عثمان فى يد النبى ﷺ [انظر الحديث بتمامه فى: الفتح، كتاب فضائل الصحابة، ٧/٦٦، رقم ٣٦٩٨].

(٥١) الجيش اللهام: الضخم الذى يلتهم كل شىء، والعرمرم: الكثير. وكان عثمان رضي الله عنه قد جهز جيش العسرة، وهى غزوة تبوك. قال ﷺ: « من جهز جيش العسرة فله الجنة » فجهزه عثمان [رواه البخارى تعليقًا - فتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان ٧/٦٥].

(٥٢) جاء فى هامش (أ): قال ﷺ: «ألا أستحيى ممن تستحيى منه ملائكة الرحمن؟!» وهذا تعليق من الناسخ على البيت لتوضيح ثناء النبى ﷺ على عثمان رضي الله عنه بالحياء. والحديث رواه مسلم [انظر: صحيح مسلم بشرح النووى ٩/٣٥٢].

(٥٣) هو سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه.

(٥٤) العجاجة: غبار الحرب.

(٥٥) لبيب: ذو عقل راجح.

٥٦ - وَيَكْفِــيــه مِنْ زَهْرائِه وإخــائِه وسِـبْطَيْـه فَـضْلٌ بَحْـرُهُ ذاخـرٌ طَمَىٰ

٥٧ - وطَلْحَةُ فـاذْكُرْ طَلْحَةَ الجُـود مَنْ وَقَىٰ بِساعِدِه المُـخْتـارَ حَـتَّىٰ تَهَـشَّمَـا

٥٨ - وكَــانَ بِهِ بِضْعٌ وسِــتُّــونَ ضَــرْبَةً ولَـمْ يَكُ فَـرَّارًا، بَلَىٰ كَـانَ مُـقْـدِمَـا

٥٩ - لِهــذا بِلا شَكٍّ قَــضَىٰ نَحْـبَــهُ ولَمْ يُبَـدِّلْ ولَـمْ يَغْـدُرْ ولَـمْ يَغْشَ مَـأْثَمَـا

٦٠ - وذو النَّجْدَةِ النَّدْبُ الزُّبَيْرُ ابْنُ عَـمَّةِ الـ ـرَّسُـول الحَـوارِيُّ الكَمِيُّ المُـسَـوَّمَـا

٦١ - وفَــارِسُ بَدْرٍ وهْوَ أوَّلُ عَــبْــدٍ انْـ ـتَضَىٰ فِى سَبِيلِ اللهِ أَبْيَضَ مِخْـذَمَا

٦٢ - حَـوَىٰ أَلْفَ مَـمْلوكٍ لَهُ يَسْـتَـغِلُّهُمْ ولا يَقْـتَنِى مِـمَّـا اسْتَـغَلُّوهُ دِرْهَمـا

---

(٥٦) زهرائه: السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. وسبطيه: الحسن والحسين عليهما السلام. وأراد بإخائه قول النبى ﷺ لعلى كرم الله وجهه: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» [رواه البخارى - الفتح، ك فضائل الصحابة ٧ / ٨٨ ، رقم ٣٧٠٦]. طمى البحر: فاض وارتفعت أمواجه.

(٥٧) طلحة الجود: طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المبشرين، وهو الذى وقى رسول الله ﷺ يوم أحد بيده حتى شلت يده من السهام. وقد وصفه رجل صحبه فقال: «صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل ما له عن غير مسألة منه» [انظر: فتح البارى، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ١٠٣ : ١٠٤ ، الحديث رقم ٣٧٢٤ وتعليق ابن حجر عليه].

(٥٨) روى البخارى أنه لمَّا فرَّ المسلمون يوم أحد لم يبق مع النبى ﷺ غير طلحة وسعد بن أبى وقاص [انظر: الموضع السابق، حديث رقم ٣٧٢٢ ، ٣٧٢٣] وفى مسند الطيالسى عن أبى بكر الصديق قال: أتينا طلحة - يعنى يوم أحد - فوجدنا به بضعاً وسبعين جراحة (أى جرحا) [نقله ابن حجر فى تعليقه على الحديث المذكور] ولعل الناسخ كتب (بضع وستون) سهواً، والصواب أنها (وسبعون)، أو أن الناظم نقل عن مصدر آخر.

(٥٩) قضى نحبه: مات.

(٦٠) الندب: البطل الذى يُنْدَب - أى يلجأ إليه - فى الشدائد. الحوارى: لقب الزبير بن العوام رضي الله عنه روى البخارى عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «إن لكل نبى حوارياً، وإن حوارىَّ الزبير بن العوام» [الفتح كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٩٩ ، رقم ٣٧١٩] قال البخارى: وسمِّى الحواريون بذلك لبياض ثيابهم. وأورد ان حجر العسقلانى فى شرحه لأحاديث الباب عدة معان لكلمة حوارى منها: الخليل، الصفى الخالص، الوزير، الخليفة، الناصر. واختار ابن منظور أن الحوارى هو الخالص النقى من العيوب، لأن معنى الحوارى فى اللغة راجع إلى البياض والنقاء، وقد سمى أتباع سيدنا عيسى عليه السلام بالحواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب فيحورونها أى يبيضونها.

(٦١) فارس بدر: هو الزبير بن العوام أيضاً، جاء فى السيرة أن جيش المسلمين فى غزوة بدر لم يكن فيه إلا فارسان: الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود. وكان الزبير صاحب الراية يوم بدر وليس على ميمنة الجيش فارس غيره والباقون بغير جياد [انظر السيرة الحلبية ٢ / ٢٠٥] انتضى السيف: أخرجه من غمده استعداداً للقتال. الأبيض المخذم: السيف.

٦٣ - وسَعْدٌ أميرُ الحَرْبِ مَنْ كَانَ جامعًا ... له أَبَوَيْهِ الطُّهْرُ أحْمَدُ إذْ رَمَىٰ

٦٤ - وبَاهَى بِهِ الأخْوالَ إذْ كَانَ خَالَهُ ... وثَالثَ مَنْ وَافَىٰ إليْهِ فأسْلَمَا

٦٥ - وكَانَ مُجَابًا لا يُرَدُّ دُعَاؤُهُ ... ويُبْدِى رِضًا منْ حَادثِ الدَّهْرِ أعْظَمَا

٦٦ - وسَلْ عَنْ سَعيدٍ وابْنِ عَوْفٍ وعَامِرٍ ... حِراءً، تَجِدْ سِرًّا عَظِيمًا مُكَرَّمَا

٦٧ - لَهُمْ شَهِدَ الهَادِى وللسَّبْعَةِ الأُلَىٰ ... مَضَىٰ ذِكْرُهُمْ بالجَنَّة اشْهَدْ لتَسْلَمَا

٦٨ - وفِى كُلِّ أصْحابِ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... فَضائِلُ لا تُحْصَىٰ بِذِكْرٍ فَتُنْظَمَا

٦٩ - فَوَيْلٌ لِمَنْ فِى قَلْبِهِ بُغْضُ بَعْضِهِمْ ... سيَصْلَىٰ بِهِ يَوْمَ المَعَادِ جَهَنَّما

٧٠ - وأمَّا الرِّجالُ الأرْبَعُونَ فإنَّهُمْ ... لأُمَّتِهِ ظِلٌّ أقَامَ مُخَيِّمَا

٧١ - إذَا مَاتَ منْهُمْ واحِدٌ قَامَ واحِدٌ ... إلىٰ أنْ تُهَالَ الرَّاسِيَاتُ وتُرْكَمَا

٧٢ - عَلَيْهِ منَ الرَّحمٰنِ أزْكَىٰ تَحِيَّةٍ ... وصَلَّىٰ عَلَيْهِ ذو الجَلالِ وسَلَّما ٦٦/أ

٧٣ - وصَلَّى عَلىٰ آلِ النَّبِىِّ وصَحْبِهِ ... ومَنْ بِهِمُ يَأْتَمُّ مَا عَارِضٌ هَمَىٰ

*****

---

(٦٣) سعد: هو ابن أبى وقاص. ألوة: قسم. وجاء فى هامش المخطوط (أ): قال ﷺ: «سعدٌ خالى، فَلْيُرنى أحدٌ خالَه!» وقال له: «ارْمِ، فداكَ أبى وأمى!». والحديث الثانى رواه البخارى فى عدة مواضع [انظر الفتح: كتاب المغازى ٧/٤١٥، الأحاديث رقم ٤٠٥٥ : ٤٠٥٩].

(٦٤) باهَى: فاخر. وافى: أتى. روى البخارى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال: «ما أسلم أحدٌ إلا فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنِّى لثلث الإسلام». [الفتح، كتاب **فضائل الصحابة** ٧/١٠٤، رقم ٣٧٢٧].

(٦٦) سعيد بن زيد بن نفيل وعبد الرحمن بن عوف وعامر بن الجراح، وثلاثتهم من العشرة المبشرين. و (حراء) مفعول (سل).

(٦٧) الألى: الذين.

(٧١) كذا جاء عجز البيت فى (جـ)، وفى (أ):

فَأَوْجَدَ منْ عَلْيَاهُ مَا كَانَ أَعْدَمَا

والأنسب للسِّياق ما أثبته من (جـ).

(٧٣) يأتمّ به: يتخذه إمامًا. عارض: سحاب. همى: نزل. وضمير الفاعل المستتر فى (يأتم) يعود على (واحد) فى البيت رقم (٧١).

الميمية الخامسة

(عدتها ٧٠ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بوصف مشاعر ركب الحجيج وقد انتهى بهم السُّرَى إلى أرض الحمى، ثم تنتقل إلى مدح الحبيب النبى ﷺ وذكر شىء من صفاته وخصائصه وفضائله التى تعجز عنها العبارة، ولا يستطيع مادحه إلا أن يشير إليها مجرد إشارة؛ ولعل هذا سرّ تكرار الشاعر للفظ الإشارة (هذا) تسعًا وخمسين مرة، مشيراً إلى النبى ﷺ بالتعظيم والإجلال وشريف الخصائص والأوصاف.

وبعد استغراقه فى مدح النبى ﷺ المبدوء بلفظ (هذا) فى كل بيت، يثنى على وزيريه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، بإضمارهما فى الإشارة إلى الرسول ﷺ :

هذا الذى صحبُهُ مثل النجوم فمنْ   يبغى النجاةَ غداً يأخذْ بِهَدْيِهِمِ

ثم ينهى القصيدة بمناجاة سيدنا رسول الله ﷺ والاستجارة به من الخطوب الموجعة ومن شدائد الدنيا والآخرة، والتوسل به إلى الله عز وجل.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- فى حمى الأرض المباركة.
- فى مدح سيد الخلق ﷺ وتعظيمه.
- ثناء على وزيريه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.
- مناجاة للنبى ﷺ وتوسل به إلى الله عز وجلّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أمطْ رِحَالَ السُّرَىٰ يا حَادىَ النَّعَمِ ... عَنْهـا فَـهـٰذا مَـقِـيلُ الرَّوْحِ والنِّعَمِ

٢ - هَذا الحمَىٰ العَطِرُ الأوْصافِ بالسَّيَرِ الْـ ... ـجَـمِـيلَةِ الخُـضُـرِ الأكْنافِ بالكَرَمِ

٣ - هَذا حمَىٰ طَيْبَةَ الرَّحْبُ الذى عَكَفَتْ ... بجَـوِّهِ غُـرَرُ العَلْيـاءِ والحِكَمِ

٤ - هَذا الجَنَابُ العَزيزُ الجامعُ الشَّرَفِ الـ ... ـسَّامِى بتُـرْبَةِ خَيْـرِ العُـرْبِ والعَجَمِ

٥ - قِفْ بى هُدِيتَ عَلىٰ أكْنافِ حُجْرَتِه ... حَتَّىٰ أقُولَ مَقالاً فِيهِ لَمْ أهِمِ

٦ - هَذا الحَبِيبُ الذى فى مَدْحِه شَرَفِى ... وذكْرُهُ طَيِّبٌ فى مِسْمَعِى وفَمِى

٧ - هَذا أبو القَاسمِ المُخْتارُ مِنْ مُضَرٍ ... هَذا أجَلُّ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمِ

٨ - هَذا هُوَ الخَاتَمُ المَبْعوثُ أحْمَدُ ذو الـ ... ـصِّدْقِ المُبَرَّأُ مِنَ بُهْتَانِ مُتَّهِمِ

٩ - هَذا الحَليمُ على الجَانينَ ذُو الخُلُقِ الْـ ... ـعَظِيمِ أقْسَمَ فِيهِ اللهُ بالقَلَمِ

١٠ - هَذا هو الحَاشِرُ المَحْبُوبُ والرَّؤُفُ الـ ... ـرَّحِيمُ بالمُؤْمنينَ الطَّاهِرُ الشِّيَمِ

١١ - هـٰذا الَّذى أُخْتُصِرَ المَعنَىٰ البَليغُ لَهُ ... وأصْبَحَتْ طَوْعَهُ جَوامِعُ الكَلِمِ

١٢ - هـٰذا هوَ المُنْذِرُ الأُمِّىُّ أفْصَحُ مَنْ ... بالضَّادِ يَنْطِقُ حاوِى سَائِرِ الحِكَمِ

١٣ - هـٰذا السِّراجُ المُنيرُ الشَّاهِدُ المُتَوَ ... كِّلُ المُبَشِّرُ مَاحِى الظُّلْمِ والظُّلَمِ

١٤ - هـٰذا الشَّفيعُ المُرَجَّىٰ سَيِّدُ البَشَرِ الْـ ... ـهادى الأمينُ المُقَفِّى أفْضَلُ النَّسَمِ

١٥ - هـٰذا هوَ المُصْطَفَىٰ أزْكَىٰ الوَرَىٰ نَسَبًا ... هذا هُوَ العَاقِبُ المَدْعُوُّ بالقُثَمِ

١٦ - هـٰذا الَّذى أقْسَمَ اللهُ العَظِيمُ بِهِ ... فى الحِجْرِ أعْظِمْ بهـٰذا الفَخْرِ مِنْ قَسَمِ

١٧ - هـٰذا هُوَ الأبْلَجُ الضَحَّاكُ يَبْذُلُ مَا ... تَحْوِى يَداهُ ويُبْدِى بِشْرَ مُبْتَسِمِ

١٨ - هـٰذا الَوسِيمُ القَسِيمُ الغَمْرُ نائِلُهُ ... يُعطِى الجَزِيلَ بِلا مَنٍّ ولا سَأَمِ

---

(١) أمط: اكشف وأزل عنها. الرحال: ما يوضع على ما يوضع على ظهر البعير. النَّعَم: الإبل. الروح: الراحة والسكون.

(٢) الأكناف: الجوانب.

(٣) عكفتْ: أقامت ودامت.

(٥) لم أهم: لم أتوهم.

(٨) البهتان: أشد الكذب.

(١٨) الوسيم: الجميل الوجه، ومثله القسيم. الغمر: الكثير. نائله: عطاؤه. الجزيل: العظيم.

١٩ - هَذا الَّذى عَنْ كُنوزِ الأرضِ عَفَّ تُقًى ... فكَيْفَ يَرْغَبُ فى عَيْنٍ وفى نَعَمِ؟! ٦٦/ب

٢٠ - هـذا الَّذى فى عُكاظٍ قـامَ يَنْعَـتُـهُ ... قُسُّ بنُ سَـاعِـدَةَ الرِّبِّىُّ لَمْ يَهِم

٢١ - هـذا الَّذى خَـمَـدَتْ نيـرانُ فَـارسَ فى ... مـيـلادِهِ فَلَظَاها غَـيْـرُ مُـضْطَرِمِ

٢٢ - هـذا الَّذى سَلَّمَتْ أيَّامَ مَـبْـعَـثِـهِ ... عَلَيْـهِ جَـهـرًا فُـروعُ الضَّـالِ والسَّلَمِ

٢٣ - هـذا الَّذى زَلْزَلَ الإيوانَ مَـوْلِدُهُ ... وانْصاعَ كِسْرَىٰ بتاجٍ غَيْرِ مُنْتَظِمِ

٢٤ - هـذا الَّذى خُصَّ بالقرآنِ فيـهِ هُدًى ... لِلْمُـتَّـقـينَ وفـيـهِ البُـرْءُ للسَّـقَمِ

٢٥ - هـذا الَّذى فَتَحَ الأبْصارَ بَعْدَ عَمًى ... بِبَعْثِهِ وشَفَىٰ الأسْماعَ مِنْ صَمَمِ

٢٦ - هـذا الَّذى نَزَّهَ الرَّحْمٰنَ عَنْ وَلَدٍ ... وعَنْ مُشارَكَةِ الشَّيْطانِ والصَّنَمِ

٢٧ - هـذا الَّذى أظْهَرَ التَّقْوَى وقَدْ خَفِيَتْ ... وأوْجَدَ العِلْمَ بَعْدَ الجَهْلِ والعَدَمِ

٢٨ - هـذا الَّذى صَدْرُهُ بالشَّرْحِ خُصَّ فَما ... فيـهِ نَصـيبٌ ولا حَظٌّ لِذى لَمَمِ

٢٩ - هـذا الَّذى انْشَقَّ إكْرامًا لَهُ القَمَرُ الْـ ... ـمُنيرُ مـا بَيْنَ طَوْدَىْ دارَةِ الحَرَمِ

٣٠ - هـذا الَّذى نَالَ بالمِعْراجِ مَرْتَبَةً ... عُلْيـا يُقَصِّرُ عَنْها أسْبَقُ الهِمَمِ

٣١ - هـذا الَّذى كَانَ طُولَ اللَّيْلِ إنْ رَقَدَتْ ... عَـيْناهُ فـالقَلْبُ مِنْهُ قَطُّ لَمْ يَنَمِ

٣٢ - هـذا الَّذى لا يَصِحُّ الفَرْضُ مِنْ أحَدٍ ... ولا الأذَانُ بلا ذِكْرِ اسْمِهِ العَلَمِ

٣٣ - هـذا الَّذى سَبَّحَتْ للهِ فى يَدِهِ ... صُمُّ الحِجارَةِ تَسْبيحَ الرِّضَا الفَهِمِ

٣٤ - هـذا الَّذى سَحَّ مَاءٌ مِنْ أصابِعِهِ ... رَوَّى صَدَىٰ الجَيْشِ بالمُسْتَعْذَبِ الشَّبِمِ

---

(١٩) عَين: ذهب. نَعَم: إبل وبقر وغنم. وبعد هذا البيت تكرر البيتان رقم (١٦، ١٧) سهواً من الناسخ.

(٢٠) ينعته: يصفه. الرِّبى: العالم بالله عز وجل. وتقدم ذكر خبر قس بن ساعدة.

(٢١) لظاها: جمرها. مضطرم: متقد.

(٢٢) الضال والسلم: من الأشجار.

(٢٣) انصاع: سقط ملكه، وسبق ذكر ذلك.

(٢٤) البرء: الشفاء. السقم: المرض.

(٢٨) اللمم: مس الشياطين.

(٢٩) الطود: الجبل. دارة الحرم: مكة المكرمة.

(٣٣) الرضا هنا بمعنى المَرْضِىّ، فهو من باب الوصف بالمصدر.

(٣٤) سحَّ: نزل. الشبم: البارد.

٣٥ - هـذا الَّذى أشْبَعَ الجَمَّ الغَفيرَ مِنَ الـ ـزَّادِ الذى كَانَ نَزْرًا أُكْلَةَ النَّهِمِ

٣٦ - هـذا الَّذى مَدَّ كَفًّا عَمَّ نائِلُهُ يَبْغى الحَيَا فَهَمَىٰ مُثْعَنْجِرُ الدِّيَمِ

٣٧ - هـذا الَّذى حَنَّ جِذْعٌ حِينَ فَارَقَهُ شَوْقًا إليهِ حَنينَ الأيْنُقِ الرُّزُمِ

٣٨ - هـذا الَّذى كانَ مَنْصُورًا بريحِ صَبَا ورُعْبِ شَهْرٍ لِقَلْبِ الخَصْمِ مُقْتَحِمِ ٦٧/أ

٣٩ - هـذا الَّذى شَهِدَ الأمْلاكُ رَايَتَهُ بِكُلِّ عَضْبٍ لِحَرْبِ الشِّرْكِ مُصْطَلِمِ

٤٠ - هـذا الَّذى فى حُنَيْنٍ كَفَّ أعْيُنَهُمْ بِمِلْءِ كَفٍّ تُرابًا ثُمَّ لَمْ يَرِمِ

٤١ - هـذا الَّذى نَظَمَتْ فى حَبْلِ مَنْصِبِهِ يَدُ المَواهِبِ عِقْدًا غَيْرَ مُنْفَصِمِ

٤٢ - هـذا الَّذى فَضَلَتْ فى الفَخْرِ أُمَّتُهُ بهِ القُرونَ وفَاقَتْ سائِرَ الأُمَمِ

٤٣ - هـذا الطَّرِيُّ فلا يَبْلَىٰ لَهُ جَسَدٌ وإنْ تَطاوَلَ مِنْهُ المُكْثُ فى الرَّجَمِ

٤٤ - هـذا الَّذى عِنْدَهُ الأمْلاكُ عَاكِفَةً سَبْعونَ ألْفًا عَديدًا غَيرَ مُنْخَرِمِ

٤٥ - هـذا الَّذى تَنْتَهى أعْمالُ أُمَّتِهِ إلَيْهِ كُلَّ خَمِيسٍ رَأْفَةً بِهِمِ

٤٦ - هـذا الَّذى خَبَّرَ المُهْدى الصَّلاةَ لَهُ بالعَشْرِ مِنْ صَلَواتِ الوَاحِدِ الحَكَمِ

٤٧ - هـذا الَّذى مَنْ رآهُ فى المَنَامِ رَأىٰ حَقًّا مَصُونًا مِنَ الشَّيْطانِ فى الحُلُمِ

٤٨ - هـذا الَّذى قَبْلَ كُلِّ النَّاسِ يَخْرُجُ مِنْ ضَرِيحِهِ عِنْدَ بَعْثِ اللهِ لِلرِّمَمِ

---

(٣٥) الجم الغفير: العدد الكبير. النهم: الشَّرِهُ فى الأكل.

(٣٦) نائله: عطاؤه. همى: نزل بغزارة. المثعنجر: الدفَّاق. الديم: جمع ديمة وهى السحابة.

(٣٧) الأينق: جمع ناقة. الرُّزُم: من أرزمت الناقة، أى حنَّت بصوت يخرج من حلقها دون أن تفتح فمها.

(٣٩) عضب: سيف قاطع. مصطلم: مُستأصِل.

(٤٠) لم يرم: لم يفارق مكانه بل ثبت حين فَر الفرسان من حوله.

(٤١) منفصم: منقطع.

(٤٣) الرجم: القبر. ومن خصائص الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أن أجسادهم لا تبلى، قال ﷺ: «إن الله عزَّ وجلَّ قد حرَّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» [رواه أبو داود، كتاب الصلاة ٢ /٨٨].

(٤٤) عاكفة: مقيمة. منخرم: ناقص.

(٤٦) قال ﷺ: «من صلَّى علىَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد ٤ /١٢٨].

(٤٨) الرمم: الأجساد البالية، قال ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ١٥ /٢٧].

٤٩ - هـذا الَّذى حَـوْضُـهُ يَرْوِى العطاشَ إذا اشْـ ـتَدَّ الحَـرُورُ وحَـامُـوا حَـوْمَـةَ النَّعَم

٥٠ - هـذا الَّذى فَـوْقَ أهْلِ القُـرْبِ مَنْزِلُهُ وسِـيـلَةً كَـمْ بِهـا اللهُ مِنْ نِعَم

٥١ - هـذا الَّذى صَحْبُهُ مِثْلُ النُّجوم فَمَنْ يَبْـغِى النَّجـاةَ غَـدًا يأخُـذْ بِهَـدْيِهِم

٥٢ - هـذا أبو بَكْرٍ الأتْقَى مُـجَـاوِرُهُ صِـدِّيقُـهُ إذْ رَمـاهُ النَّاسُ بالتُّـهَـم

٥٣ - هـذا الوَزِيرُ الَّذى فى الغَـارِ آنَسَـهُ هـذا خَليـفَـتُـهُ القَـوَّامُ بالذِّمَم

٥٤ - هـذا الَّذى أنْفَقَ الأمْـوالَ مُحْـتَسِبًا وبَتَّ عِـتْقَ بِلالٍ أفْـضَلِ الحَـشَم

٥٥ - هـذا الَّذى خَصَّـهُ بالبِكْرِ عَائشَـةَ الـ ـطَّهُـورِ صِـدِّيقَـةً فَـاقَتْ عَلَىٰ العُصُم

٥٦ - هـذا الَّذى عَزَّ حِـزْبُ المُـسْلِمِـينَ بِهِ وذَلَّ حِـزْبُ الأعَـادى ذُلَّ مُنْحَطِم

٥٧ - هـذا الرِّضَـا عُـمَـرُ الفـارُوقُ جـارُهُمـا فى هذه التُّـرْبَةِ المَـحْـروسَـةِ الأُطُم

٥٨ - هـذا الَّذى وافَقَ التَّنْزِيلُ مَنْطِقَـهُ وأمَّ فى العَـدْلِ نَهْـجًـا واضِحَ اللَّقَم

٥٩ - هُمـا وَزِيراهُ حَـيًّـا ثُمَّ إنَّهُـمـا جَـاراهُ مَنْ شَكَّ فى هَذا فَـذَاكَ عَم ٦٧/ب

٦٠ - ويُبْـعَـثَـانِ إلىٰ دارِ الرِّضَـا مَـعَـهُ أعْظِمْ بِذلِكَ مِنْ فَـضْلٍ ومِنْ كَـرَم

٦١ - يا سَـيِّـدِى يا رَسُـولَ اللهِ يا سَنَدِى فى كُلِّ خَطْبٍ ثَقِـيلٍ مُـوجِعِ الأَلَم

٦٢ - يا مَنْ إذا فَـرَّ مَطْلُوبٌ أخُـو رَهَبٍ إلَيْـهِ مِنْ فـاقِـرَاتِ الدَّهْرِ لَمْ يُضَم

٦٣ - يا مَنْ إذا قَطَعَ المَـرْءُ السَّبَـاسِبَ فى هَوَاهُ واقْـتَـحَمَ الأهْوالَ لَمْ يُلَم

٦٤ - أنا المُـقِـرُّ بِذَنْبِى قَـدْ أتَيْـتُكَ مَنْ يَسْتَـوْهِبُ اللهَ لِى ذَنْبِى ومُـجْـتَـرَمِى

---

(٤٩) الحرور: شدة الحر. وقوله: وحاموا حومة النعم، كناية عن شدة الظمأ.
(٥٣) أصل الوزير فى اللغة: المعين والمؤيد. الذمم: العهود.
(٥٤) بتَّ: قطع. الحشم: الأتباع والأعوان، يعنى بهم أتباع رسول الله ﷺ. وسيدنا أبو بكر هو الذى أعتق سيدنا بلالاً رضى الله عنهما.
(٥٥) العصم: النساء البيض.
(٥٦) حزب: جماعة. منحطم: مكسور مهزوم.
(٥٧) الأطم: الأبنية المرتفعة.
(٥٨) أم: قصد. اللقم: وسط الطريق، وأراد به السيرة الحسنة.
(٥٩) عم: صفة مشبهة من العَمى، للمبالغة فى وصفه بضعف الإدراك.
(٦٢) فاقرات: مصائب. لم يُضَم: لم يظلم.
(٦٣) السباسب: الصحارى المقفرة.
(٦٤) مجترم: جرم، وهو الذنب الكبير.

٦٥ - فَاسْتَغْفِرِ اللهَ لِى يا مَنْ إِذَا نَزَلَتْ بِى شِدَّةٌ فَبِهِ أَنْجُو مِنَ النِّقَمِ

٦٦ - أنا المُفَرِّطُ فى أمْرِى فَكُنْ فَرَطًا لِى عِنْدَ حَوْضِكَ يَوْمَ الرَّوْعِ والنَّدَمِ

٦٧ - فَاقْبَلْ تَضَرُّعَ عَبْدٍ واثِقٍ بِكَ فى دَفْعِ الصُّرُوفِ العَوادِى عِنْدَ مُعْتَصَمِ

٦٨ - واسْأَلْ لأَهْلِى وأوْلادِى وذِى سَبَبٍ بِهِ بَلَغْتُ، وإخْوانِى وذِى رَحِمِى

٦٩ - أَمْنًا وصَوْنًا وإِيمانًا وعَافِيَةً مِنْ كُلِّ سُوءٍ وبُشْرَىٰ عِنْدَ مُخْتَتَمِ

٧٠ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ إِلٰهُ العَرْشِ ما بَقِيَتْ دَارُ النَّعِيمِ بَقَاءً غَيْرَ مُنْصَرِمِ

*****

---

(٦٦) الفرط: المتقدم السابق إليه كالمهيئ له. الروع: الفزع. قال النبى ﷺ: «أنا فرطكم على الحوض» [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ ١٥/٥٣].

(٦٧) الصروف: التقلبات والشدائد. العوادى: الحوادث التى تعدو على الإنسان فتؤذيه وترهقه. معتصَم: مصدر ميمى من اعتصام، أى عند اعتصامى بك ولجوئى إليك.

(٦٨) قوله: وذى سبب به بلغت: أى من كان سببًا فى وصولى إلى الديار المباركة.

(٧٠) غير منصرم: ليس له نهاية.

قافية النون

(عدتها ٥٨٧ ـ الكامل الثانى)

نظم الصرصرى على هذا الروىّ السائغ السلس قصيدة واحدة بالغة الطول تتكون من (٥٨٧) سبعة وثمانين وخمسمائة بيت، وهى واحدة من أطول القصائد فى الشعر العربى كله.

وقد أطلق الصرصرى على هذه القصيدة الملحمية اسم « الروضة الناضرة فى أخلاق المصطفى الباهرة »، وهى حقًّا كذلك، فهى تبدأ بتسبيح الله عز وجل وحمده وتكبيره وشكره على هداية عباده إلى الصواب والحق، ومن ثم يأخذ فى مدحه ﷺ قائلاً :

حَبَّرْتُ فِيهِ قَصِيدَةً أَوْدَعْتُهَا ... مِنْ مُسْنَدِ الأَخْبَارِ حُسْنَ مَعَانِى

فى وصْفِهِ مِنْ بَدْءِ تَشْرِيفَاتِهِ ... حَتَّى الخَتَامِ بِحُسْنِ نَظْمِ مَعَانِى ٦٨/ب

وهكذا تشمل القصيدة مجمل السيرة النبوية منذ بدء الخليقة حين كان اسم النبى ﷺ مكتوبًا على العرش وعلى أغصان الجنة وقبابها ومصاريع قصورها، ثم تجلياته فى دعوة آدم عليه السلام، وكيف كان آدم ـ عليه السلام ـ طينة ومحمد ﷺ نبيًّا، وكيف لاحت أنوار محمد ﷺ على جبين أبينا آدم وأمنا حواء عليهما السلام، وحلوله بصلب شيث بن آدم الذى ولد منفردًا، ثم حلوله بصلب نوح فى الطوفان، وبصلب إبراهيم حين ألقى به فى النار، وتنقله ﷺ من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الطاهرة.

وتسرد القصيدة الملحمية تفاصيل كثيرة من السيرة العطرة، فتذكر الأحداث التى شهدتها كل مرحلة من مراحل حياة النبى الكريم ﷺ، طفلاً ويافعًا وشابًّا ورجلاً، وما رافق هذه المراحل من معجزات باهرة، وما بذله فى سبيل إبلاغ الرسالة من جهاد، وما منَّ الله عز وجلَّ عليه به من منن وتشريفات، ومن نصر وتأييد بالرجال المخلصين الأتقياء من صحابته رضوان الله عليهم، ومن الملائكة، ومن سائر جنود الله ما علمنا منها وما لم نعلم.

وتصف القصيدة عناء النبى الكريم ﷺ وجهاده فى إبلاغ دعوة الحق، وما واجه من عناد ومكابرة أهل الشرك وعداوة اليهود والمنافقين، على الرغم مِمَّا رأته عيونهم من معجزات باهرة يذكر جملة منها، ويعدد جملة من خصائصه التى اختص بها ﷺ وطيب شمائله وسماحة أخلاقه ورحمته بالناس، وتواضعه، وكرمه، ووفائه وصدقه وشجاعته وبلاغته، وزهده وصبره وتقواه، ورفعة منزلته عند الله فى الدنيا والآخرة.

وتختم القصيدة بالثناء على صحابته الكرام وأهله الأطهار وأزواجه وولدانه عليهم من الله السلام، ويستميحه العذر فى تخلفه عن الحج، ويبثه شكواه من زمن كثير الفتن قليل الأرزاق، ويتوسل إلى الله عز وجل أن يوفق باطنه إلى الرضا فى السر والعلن، وما أطيبه من دعاء، فإنما تصلح الظواهر إذا صلحت البواطن وخلصت من شوائب الضعف والعجز والتعلق بما هو زائل عارض.

تضمنت هذه القصيدة الملحمية العناصر الآتية :

- فى تسبيح الله وتمجيده.
- فى مدحه ﷺ من بدء تشريفاته إلى ختام حياته الشريفة.
- فى الثناء على آله وصحابته الكرام.
- شكوى واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ، وسماها : الروضة الناضرة فى أخلاق المصطفى الباهرة (*):

١ - سُبْحانَ ذى الجَبَروت والبُرْهان ... والعِزِّ والمَلَكُوت والسُّلْطان

٢ - والحَمْدُ لله الكَريم الخالقِ الـ ... ـرَّزاق مُتْقِنِ صَنْعَةِ الإِنْسان

٣ - واللهُ أكْبَرُ لا إلهَ سِوَاهُ لى ... سُبْحانَهُ هُوَ للصَّواب هَدانى

٤ - أصْبَحْتُ أُنْظِمُ مَدْحَ أكْرَمِ مُرْسَلٍ ... لَهِجًا به فى رائقِ الأوْزان

٥ - وتَخِذْتُهُ لىَ جُنَّةً ومَعُونَةً ... فيما أرُومُ فَصَانَنى وكَفَانى

٦ - حَبَّرْتُ فيه قَصيدَةً أوْدَعْتُها ... مِنْ مُسْنَد الأخْبَار حُسْنَ مَعانى

٧ - فى وصْفه مِنْ بَدْءِ تَشْريفاته ... حتَّى الخَتام بحُسْنِ نَظْمِ مَعانى ٦٨/ب

٨ - ولَمَدْحُهُ أوْلىٰ وأجْدَرُ أنْ يُرَىٰ ... فيه الصَّوابُ وأنْ يُعَانَ مُعَانى

٩ - لَمَّا بَنَىٰ اللهُ السَّمٰوات العُلَىٰ ... سَبْعًا تَعالَىٰ اللهُ أكْرَمُ بَانى

١٠ - فَسَمَتْ وزَانَتْها بحِكْمَة صُنْعه ... زُهْرُ النُّجومِ وزَانَها القَمَران

١١ - والأرْضَ سَبْعًا مَدَّها فَتَذَلَّلَتْ ... وتَزَيَّنَتْ ببدائعِ الألْوان

١٢ - ورَسَتْ عَلَيْها الشَّامِخاتُ بإذْنه ... فَحَمَتْ جَوانِبها منَ المَيَدَان

١٣ - وأتَمَّ خَلْقَ العَرْشِ خَلْقًا باهِرًا ... فَغَدَا مِنَ الإجْلالِ ذَا رَجَفَان

(*) كتب على هامش (أ) بجوار العنوان: شرح هذه المنظومةَ البديعةَ خاتمةُ المحققين: الشيخ محمد بن أحمد السفارينى الحنبلى بشرح نفيس وسع فيه العبارة فاشتمل على غالب السيرة النبوية. والشيخ السفارينى: فقيه حنبلى، ينسب إلى سفارين من قرى نابلس، ولد سنة ١١١٤ هـ. وله مؤلفات كثيرة منها الشرح الذى أشار إليه الناسخ لنونية الصرصرى وعنوانه « معارج الأنوار فى سيرة النبى المختار » فى مجلدين ولم أقف عليه. توفى السفارينى سنة ١١٨٨ هـ[انظر: مقدمة غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفارينى ص ٥ - ٧].

(٤) لهجًا به: أكثر من ذكره والثناء عليه.

(٥) تخذته: اتخذته. جُنة: وقاية. (٦) حبرت: أحسنت النظم.

(٧) من الواضح أن كلمة (معانى) فى قافية البيت تكرار لقافية البيت السابق وهما بمعنى واحد، ففى البيت عيب من عيوب القوافى يسمى الإيطاء.

(٨) اللام فى (لمدحه) للتوكيد. مُعانى: من المعاناة.

(١٠) سمت: عَلَتْ، والسماء مشتقة من السُّمُوّ. زُهر: لامعات. القمران: الشمس والقمر.

(١١) تذللت: أصبحت مذللة مهيأة لسعى العباد.

(١٢) رست: ثبتت. الشامخات: الجبال العالية. المَيَدَان: مصدر ماد يميد، أى الاضطراب واختلال الحركة. (١٣) رجفان: رجفة واضطراب شديد.

١٤ - كَـتَبَ الإلـهُ اسْمَ النَّبىِّ مُـحَـمَّـدٍ فَـــوْقَ القَـــوائمِ منْهُ والأرْكَـــانِ
١٥ - فسَرَىٰ السُّكونُ به، وقَدْ كَتَبَ اسْمَهُ فى جَنَّةِ المــأْوَىٰ علىٰ الأغْــصَـانِ
١٦ - وقِـبـابِـهـا وخِـيـامِـهـا وعَلىٰ مَـصا ريعِ القُــصُـــورِ تَفَــضُّلَ المَنَّانِ
١٧ - فلِذاكَ آدمُ حــينَ تابَ دَعَـــا بـه مُـتـوَسِّـلاً فَـأُجِـيـبَ بالغُـفْـرانِ
١٨ - لَـوْلاهُ لَـمْ يُـخْـلَـقْ أبُـونـا آدمٌ وجَـــحِـــيمُ نَارٍ أوْ نَعِـــيمُ جِنَانِ
١٩ - قَـدْ كَـانَ آدمُ طينةً ومُـحَـمَّـدٌ يُدْعَىٰ نَبِـيًّـا عِنْدَ ذى الإحْـسَـانِ
٢٠ - منْ طِينَةٍ بَيْـضـاءَ طينَةِ أحْـمَـدٍ منْ تُرْبَةٍ أضْـحَتْ أعَـزَّ مَكَانِ
٢١ - عُـجِنَتْ منَ التَّـسْنيمِ بالمَـاءِ الَّذى زادَتْ بـه شَـــرَفًـــا عَلَىٰ الأبْدانِ
٢٢ - غُـمِـسَتْ بأنْهـارِ النَّعـيمِ فَطُهِّـرَتْ وتَعَطَّرَتْ وسَـمَتْ عَلىٰ الأكْـوانِ
٢٣ - وغَـدَتْ يُطافُ بهـا السَّـمٰواتُ العُلىٰ والأرْضُ تَشْـريفًـا منَ الرَّحْـمٰنِ
٢٤ - أنْوارُهُ كـانتْ بجَـبْـهَـةِ آدمٍ لا تَخْـتَـفى عَـمَّنْ لَهُ عَـيْنانِ
٢٥ وبجَـبْـهَـةِ الزَّهْراءِ حَـوَّا أشْـرَقَتْ للْحَـمْلِ بالمَـبْـعـوثِ بالفُـرْقـانِ
٢٦ - ومنَ الكَرامَـةِ للْمُـشَـفَّعِ أنَّهـا فى كُلِّ بَطْنٍ جَـاءَهـا وَلَدَانِ
٢٧ - وأتَتْ بشِـيثٍ وَحْـدَهُ مُـتَـفَـرِّدًا ليَـبِـينَ فَـضْلُ الواضِحِ البُـرْهانِ
٢٨ - وبِصُلْبِ آدَمَ كَـانَ وَقْتَ هُـبُـوطِه وبِصُلْبِ نُوحٍ وهْوَ فى الطُّوفـانِ ٦٨/ب
٢٩ - وبِصُلْبِ إبراهيـمَ حــينَ رَمَىٰ بـه فى نَارِه أشْـقَىٰ بَنِى كَنْعَـانِ
٣٠ - وعَلىٰ سِـفـاحٍ مـا الْتَـقَىٰ يَومًـا منَ الْـ أَيَّـامِ مِـنْ آبـائِـهِ أَبَـوَانِ
٣١ - مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طاهرٍ أفْـضَىٰ إلَىٰ أحْـشـاءِ طاهرةِ الإزَارِ حَـصَـانِ

---

(١٦) المصاريع: جمع مصراع، وهو الباب. المنَّان: اسم من أسماء الله عز وجل، ويعنى: صاحب المنن أى العطايا الجمة.
(٢١) التنسيم: ماء أنهار الجنة.
(٢٧) شيث: ابن آدم وحواء عليهما السلام، وقد ولد منفرداً خلافًا لبقية أبنائهما، ونبينا عليه الصلاة والسلام من ولد شيث.
(٢٩) أشقى بنى كنعان: نمروذ. وكثير من خصائص سيدنا محمد ﷺ المذكورة فى هذه القصيدة سبق ذكرها فى قصائد سابقة، كما سبق التعليق عليها فى الحواشى.
(٣١) صلب: كناية عن الرجل. أحشاء: كناية عن المرأة. الإزار: الثوب، وطهارة الثوب كناية عن العفاف. حصان: عفيفة.

٣٢ - أُخِذَتْ مِنَ الرُّسُلِ الكِرامِ لِنَصْرِه   إِنْ أدْرَكُوهُ مَواثِقُ الأيْمَانِ
٣٣ - وكَذاكَ فى الكُتُبِ القَديمَةِ وَصْفُهُ   يُتْلَىٰ عَلىٰ الأحْبارِ والرُّهْبَانِ
٣٤ - عَيْناهُ فِيها حُمْرَةٌ، مُتَقَلِّدٌ   بالسَّيْفِ لا يَرْتاعُ لِلأقْرانِ
٣٥ - يَعْفُو ويَصْفَحُ لا يُجازِى مَنْ أتَىٰ   بإِسَاءَةٍ، نَاءٍ عَنِ العُدْوانِ
٣٦ - لا بالغَلِيظِ الفَظِّ والسَّخَّابِ فى الْـ   أسْواقِ إِذْ يَتَشاجَرُ الخَصْمانِ
٣٧ - حِرْزٌ لأُمِّيِّينَ مِنْ مَسْخٍ ومِنْ   خَسْفٍ ومِنْ حَصْبٍ ومِنْ طُوفانِ
٣٨ - لا يَنْتَهِى حَتَّىٰ يُقِيمَ المِلَّةَ الْـ   عَوجاءَ بالتَّوْحِيدِ والتِّبْيانِ
٣٩ - يشْفِى القُلوبَ الغُلْفَ والآذانَ مِنْ   صَمَمٍ ويَفْتَحُ أعْيُنَ العُمْيانِ
٤٠ - وَأتَتْ إِليهِ فأسْلَمَتْ وحَلَتْ لَهَا   فتَبَوَّأتْ للرُّشْدِ دارَ أمَانِ
٤١ - ولأرْبَعٍ مِنْ عُمْرِهِ لَمَّا غَدَا   معَ صِبْيَةٍ أتْرابِهِ الرِّعْيَانِ
٤٢ - شَرَحَ المَلائِكُ صَدْرَهُ واسْتَخْرَجُوا   مِنْهُ نَصِيبَ الدَّاحِضِ الشَّيْطانِ
٤٣ - ولَقَدْ تَطَهَّرَ بَعْدَ عَشْرٍ صَدْرُهُ   مِنْ كُلِّ مَا غِلٍّ بِشَرْحٍ ثانِى

---

(٣٢) مواثق: عهود، جمع ميثاق.   (٣٤) جاء فى صفة النبى ﷺ أنه كان أشكل العينين، قال القاضى عياض إن الشكلة حمرة فى بياض العينين، وهو محمود [الشفا ١ / ٥٩]. وفى دلائل البيهقى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال: كان رسول الله ﷺ مشرب العينين بحمرة [الدلائل ١ / ٢١٣]. لا يرتاع: لا يخاف.

(٣٥) ناءٍ: بعيد.   (٣٦) الفظ: الغليظ القلب. السخَّاب: الذى يكثر من المنازعة والجدال.

(٣٧) المسخ: تشويه الصورة إلى صورة أدنى منها، كما مسخ الله من بنى إسرائيل جماعة فأصبحوا قردة. والخسف: ابتلاع الأرض لما فوقها. والحصب: الرمى بالحجارة من السماء، كما صنع الله بأصحاب الفيل. والطوفان: إغراق الأرض كما فعل الله بقوم نوح. وقد عفى عن أمة محمد ﷺ فلم يسلط الله عليها شيئا من هذا.

(٣٨) الملة: الدين. العوجاء: غير المستقيمة، وأراد بها: كل ما خالف الدين الحق.

(٣٩) الغلف: الصمَّاء التى لا تستجيب للحق.

(٤٠) فى (جـ) اختلف الترتيب اختلافا كبيرا، فكان البيت رقم (٤٠) هكذا:

فى مَجْمَعِ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ شَامَةٌ   هِىَ لِلنُّبُوَّةِ فِيهِ كالعُنوانِ

ثم استمر سرد علامات النبوة إلى قوله:

وأتى إِلَيهِ هدية من ربِّه   من جَنَّةِ الفِردوس قطفٌ دانى

وهو البيت رقم (٣٥١) فى النسخة (أ)، وقد اتزمت ترتيب النسخة (أ).

(٤١) الرعيان: الرُّعاة.   (٤٢) الداحض: الهالك.

(٤٣) من كل ما غل: ما زائدة للتوكيد، والغل: الحقد والكراهية. والشرح الثانى: شرح صدر النبى ﷺ مرة أخرى فى العاشرة من عمره الشريف.

٤٤ - مَلأوهُ إيمانًا وحِلْمًا وافِرًا   وسَكِينَةً مَعَ رأْفَةٍ وَحَنانِ

٤٥ - ووقَتْهُ مِنْ لَفْحِ الهَجِيرِ غَمامَةٌ   وهُوَ ابنُ خَمْسٍ أجْمَلُ الغِلْمانِ

٤٦ - يَغْدو كَحِيلاً دَاهِنًا وقَرِينُهُ   شُعْثُ الغَدائِرِ أرْمُصُ الأجْفانِ

٤٧ - ومَضَتْ لِستٍّ أمُّهُ وتَكَفَّلَ الْـ   ـجَدُّ الشَّفِيقُ بِهِ بِحُسْنِ حَنَانِ

٤٨ - وأتَىٰ بِهِ وهُوَ ابنُ ستٍّ جَدُّهُ   وقَدْ اشْتَكَى رَمَدًا إلى دِيرانِى

٤٩ - فأبَىٰ النُّزولَ فَزُلْزِلَتْ جُدْرانُهُ   فارْتاعَ عِنْدَ تزَلْزُلِ الجُدْرانِ ٦٩/أ

٥٠ - فانْحَطَّ حِينَئِذٍ فأخْبَرَ جَدَّهُ   بِنُبُوَّةِ الوَلَدِ العَظِيمِ الشَّانِ

٥١ - وبِجَدِّهِ اسْتَسْقَىٰ الغَمائِمَ جَدُّهُ   فتَدَرَّرَتْ بالوابِلِ الهَتَّانِ

٥٢ - ولَقَدْ تَرَحَّلَ جَدُّهُ لِهَنَائِهِ   سَيْفِ بنِ ذى يَزَنٍ إلى عمدانِ

٥٣ - فَحَبَاهُ سَيْفٌ عِنْدَهَا بِبِشارَةٍ   تَعْلُو الهَنَاءَ بِمَقْتَلِ السُّودانِ

٥٤ - أفْضَىٰ إلَيْهِ بِسِرِّهِ فى أحْمَدَ الْـ   ـهادِى البَشِيرِ وكانَ ذَا خُبْرانِ

٥٥ - وتَكَفَّلَ العَمُّ الشَّفِيقُ بأمْرِهِ   لَمَّا غَدَا مُسْتَكْمِلاً لِثَمَانِ

٥٦ - ورأَىٰ عَظِيمَ الخَيْرِ مِنْ بَرَكاتِهِ   هُوَ والعِيَالُ إذا أتَوْا بِخِوانِ

---

(٤٥) لفحِ الهجير: شدة حرارته.

(٤٦) داهنا: مرجّل الشعر. شعث: جمع أشعث، وهو ذو الشعر غير المنسَّق. أرمص: فى عيونهم رمَص، وهو البياض الذى يجتمع فى زوايا الأجفان.

(٤٧) مضت لست أمه: أى ماتت وهو فى سن السادسة. الشفيق: العطوف المشفق.

(٤٨) ديرانى: راهب يعيش فى الدير.

(٤٩) ارتاع: فزع، وهو الراهب الذى أبى أن ينزل من الدير فزلزلت جدران الدير.

(٥٠) انحطَّ: نزل مسرعًا.

(٥١) جده (الأولى): حظّه وسعده. والجد الثانية: عبد المطلب بن هاشم جد النبى ﷺ. تدرَّرَت: نزل المطر منها بغزارة. الوابل: المطر الغزير، ومثله الهتَّان.

(٥٢) لهنائه: كذا فى الأصل، ولم أعثر عليه فى كتب اللغة. وعمدان: قصر سيف بن ذى يزن.

(٥٣) حباه: أعطاه. يشير فى هذا البيت إلى فتنة الزنج بمكة حين اقتلعوا الحجر الأسود ورموا الكعبة بالمنجنيق والمراد بالسودان من كان لهم لون أسود. يقول: إن سيف بن ذى زين بشر عبد المطلب بن هاشم بولادة نبى نسله، وأن هذه البشارة تَسُرُّ سيفًا أكثر من سروره بانتصاره على السودان أى الأحباش الذين أرادوا هدم الكعبة.

(٥٤) أفضى إليه: أخبره. ذا خبران: صاحب خبرة وتجربة، ولم أجد (فُعْلان) فى أبنية مصادر هذه المادة.

(٥٦) الخوان: مائدة الطعام، يقول إن عم النبى ﷺ كان يرى البركة فى الطعام إذا كان محمد ﷺ يأكل معهم.

٥٧ - إنْ كانَ فيهمْ فالكَفافُ وفَضْلَةٌ   ومَتَىٰ يَغبْ فالزَّادُ أسْرعُ فَانِ

٥٨ - وشَكَا إليْهِ عَمُّهُ ظَمأً به   فى مَوْضِعٍ خَالٍ منَ الغُدْرانِ

٥٩ - فَسَقاهُ إذْ رَكَضَ التُّرابَ برِجْلِهِ   ماءً يُرَوِّى غُلَّةَ الظَّمْآنِ

٦٠ - ومَضَىٰ به نَحْوَ الشَّآمِ مُسَافِرًا   وهْوَ ابنُ عَشْرٍ بَعْدَهَا ثِنْتَانِ

٦١ - فرأىٰ بَحيرَاءُ الغَمَامَ يُظِلُّهُ   فى الحَرِّ عِنْدَ تَوَقُّدِ الصَّوَّانِ

٦٢ - ورأىٰ الظِّلالَ تَميلُ أنَّىٰ مَالَ منْ   شَجَرٍ هُناكَ ظَليلَةِ الأفْنانِ

٦٣ - وجَرَىٰ لَهُ فى بِضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً   نَبَأٌ يَسُرُّ فُؤادَ ذى إيقَانِ

٦٤ - إذْ كانَ سَافَرَ مَعْ زُبَيْرٍ عَمِّهِ   فرأىٰ بَعيرًا صائلاً بحُثَانِ

٦٥ - فَمَضَىٰ إلَيْهِ فحينَ عَايَنَ عِزَّهُ   أهْوَىٰ ذَليلاً ضَارِبًا لِجِرَانِ

٦٦ - فَعَلاهُ مُمْتَطِيًا فأذْعَنَ بَعْدَمَا   قَدْ كَانَ غَيْرَ مُذَلَّلٍ مِذْعَانِ

---

(٥٧) الكفاف : ما يكفى من الطعام . وفضلة : وزيادة على القدر الكافى .

(٥٨) الغدران : جمع غدير، وهو الماء المتجمع من المطر الغزير .

(٥٩) ركض : ضرب . غلة : عطش شديد .

(٦٠) الشَّآم : الشام .

(٦١) بحيراء : الراهب المشهور فى السيرة النبوية، وهو بحيرَى، يقصر ويمد . الصوَّان : الحجر الصلب .

(٦٢) أنى : أينما . الأفنان : الأغصان، جمع فَنَن .

(٦٣) حجة : سنة . إيقان : يقين وإيمان .

(٦٤) صائلاً : شديدا عليه يجرى به هنا وهناك يكاد يفتك به . وكلمة القافية غير واضحة فى الأصل، ولعلها (حُثان) كما أثبت فى المتن، وهو حُثُنٌ : موضع ببلاد اليمن يكثر ذكره فى شعر هذيلٍ، قال قيس بن خويلد الهذلى :

أرىٰ حُثُنًا أمْسىٰ ذليلاً كأنَّهُ   تُراثٌ وخَلاَّهُ الصِّعَابُ الصَّعَاترُ

[انظر : اللسان ح ث ن]. وفى البيت إشارة إلى أن هذا الوادى كان يكثر فيه الجمال الصعبة أى التى لا يمكن ركوبها .

(٦٥) مضى : الفاعل هو النبى ﷺ . عاين : أبصر، والفاعل الجمل . أهوى : سجد على الأرض . وجران البعير : باطن عنقه . وقد سبق ذكر قصة سجود الجمل للنبى ﷺ ، وقد حدثت بعد النبوة ورواها عنه ﷺ عدد من الصحابة، منهم جابر بن عبد الله، وأسامة بن زيد، وجعفر بن أبى طالب، وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهم أجمعين . أما هذه القصة المذكورة هنا فحدثت قبل بعثته ﷺ ، وكان قد سافر إلى اليمن مع عمه الزبير، فمرّوا بوادٍ فيه جمل يمنع من يريد اجتياز الوادى، فلما رآه الجمل برك وحكّ الأرض بصدره، فنزل النبى ﷺ وركب هذا البعير حتى جاوز الوادى ثم خلَّى عنه [حجة الله على العالمين، ص ١٩٨].

(٦٦) أذعن : خضع . مِذعان : صيغة مبالغة من الإذعان وهو الخضوع .

٦٧ - وكَذاكَ عِنْدَ رُجُوعِهِمْ مِنْ شامِهِمْ ... مَـرُّوا بوادٍ مُفْعَمٍ مَلآنِ

٦٨ - فَمَضَوْا أمامَهُمُ فَغادَرَ ماءَهُ ... يَبَسًا طَرِيقًا ذَلَّ للرُّكْبانِ

٦٩ - وأغَذَّ فى خَمْسٍ وعِشْرِينَ السُّرَىٰ ... نَحْوَ الشَّآمِ بِمَتْجَرٍ لِرَزَانِ

٧٠ - فَرآهُ نَسْطُورًا فَأخْبَرَ أنَّهُ ... أزْكَىٰ نَبِيٍّ خَاتَمُ الأعْيانِ ٦٩/ب

٧١ - ورآهُ مَيْسَرَةُ الغُلامُ رَفِيقُهُ ... ومِنَ الهَجِيرِ يُظِلُّهُ مَلَكَانِ

٧٢ - وكَذا خَدِيجَةُ أبْصَرَتْ فَتَزَوَّجَتْ ... رَغَبًا به عَنْ خِبْرَةٍ وعِيانِ

٧٣ - جَادَتْ عَلَيْهِ بِنَفْسِها وبِمَالِها ... فَسَمَتْ به شَرَفًا علىٰ النِّسْوَانِ

٧٤ - وَبنَتْ قُرَيْشُ البَيْتَ حِينَ تَهَدَّمَتْ ... بالسَّيْلِ مِنْهُ قَواعِدُ الحِيطَانِ

٧٥ - واشْتَدَّ فى الحَجَرِ الكَرِيمِ نِزاعُهُمْ ... مَنْ مِنْهُمُ لِلرَّفْعِ مِنْهُ يُعَانِى

٧٦ - ثُمَّ ارْتَضَوْا فِيهِ بأوَّلِ داخِلٍ ... فَأتَىٰ الأمِينُ الطَّيِّبُ الأرْدانِ

٧٧ - وهُوَ ابْنُ خَمْسٍ مَعْ ثَلاثِينَ احْتَوَىٰ ... جِرْمَ الكُهُولِ وقُوَّةَ الشُّبَّانِ

٧٨ - فاخْتُصَّ فى وَضْعِ الإزَارِ بِحِكْمَةٍ ... بالرَّفْعِ دُونَهُمُ ودُونَ البَانِى

٧٩ - كانَ التَّعَبُّدُ دأبَهُ لله فى ... كُلِّ الأحَايِنِ لَيْسَ عَنْهُ تَوانِى

---

(٦٧) مفعم وملآن : مترادفان .

(٦٨) أورد النبهاني هذه القصة عقيب قصة الجمل المذكورة، فبعد عودتهم من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله ﷺ : «اتبعونى» . ثم اقتحمه فاتبعوه، فأيبس الله الماء [حجة الله على العالمين ص ١٩٨] .

(٦٩) أغذ السير: أسرع فيه . رزان : سيدة عاقلة رزينة، وهى السيدة خديجة عليها السلام .

(٧٠) نسطوراً: الراهب الذى مرَّ به النبى ﷺ حين سافر إلى الشام ومعه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها، فلما بلغا سوق بُصْرَى نزل النبى ﷺ تحت شجرة قريبة من صومعة نسطورا، فأخبر نسطورا ميسرة أنه ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام إلا نبى، وروى أن الراهب قبَّل رأس النبى ﷺ وقدميه وخاتم النبوة على كتفه [المرجع السابق، الموضع نفسه] .

(٧٢) عيان : معرفة يقينية .

(٧٥) يعاني : يقوم بهذه المهمة .

(٧٦) الأردان : أكمام القميص، وطيبها كناية عن طيب الإنسان نفسه .

(٧٧) جرم : جسم . الكهول : الرجال فى نحو الأربعين .

(٧٨) وضع النبى ﷺ الحجر الأسود فى ثوب وأمر كل سيد بطن من بطون قريش أن يمسك بطرف الثوب ورفعوه إلى أعلى ثم أخذه النبى ﷺ ووضعه بيده الشريفة فى مكانه .

(٧٩) دأبه : عادته المستمرة . الأحاين : الأحيان . تواني : فتور وضعف .

٨٠ - يأتي حـراءً للتَّبتُّلِ هاجِرَ الْـ أصْنامِ هَجْرَ المُبغِضِ الغَضْبانِ

٨١ - وكذاكَ كانَ إذا رأىٰ الرُّؤيا انْجَلَتْ كالصُّبْحِ واضِحَةً عَلىٰ بُرْهانِ

٨٢ - وأتَتْ عَلَيْهِ أرْبَعُونَ فأشْرَقَتْ شَمْسُ النُّبُوَّةِ مِنْهُ في رَمَضانِ

٨٣ - في سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً في يَوْمِ الاثْـ ـنَيْنِ المُخَصَّصِ مِنْهُ بالرُّجْحانِ

٨٤ - لَمْ يَبْقَ مِنْ حَجَرٍ ولا مَدَرٍ ولا شَجَرٍ ولا جَبَلٍ ولا كُثْبانِ

٨٥ - إلاَّ ونَاداهُ: السَّلامُ عَلَيكَ بالْـ ـلَفْظِ الفَصيحِ كَناطِقٍ بِلِسانِ

٨٦ - رَمَت الشَّياطينَ الرُّجُومُ لِبَعْثِهِ وتَنَكَّسَ الأصْنامُ للأذْقانِ

٨٧ - والجنُّ تَهْتِفُ في الظَّلامِ بِسَجْعِها بِنُبوَّةِ المَبْعُوثِ بالجيرانِ

٨٨ - وأتَاهُ جِبْريلُ الأمينُ مُعَلِّماً مِنْ عِنْدِ رَبٍّ مُنْعِمٍ مَنَّانِ

٨٩ - فَحَصَ التُّرابَ لَهُ فأنْبَعَ ماءَهُ فَأَرَاهُ كَيْفَ وُضوءُ ذِي قُرْبانِ

٩٠ - فأتَاهُ بالسَّبْعِ المَثاني فانْثَنىٰ جَذِلاً بِسَبْعٍ في الصَّلاةِ مَثاني

---

(٨٠) التبتل: الانقطاع لعبادة الله عز وجل.

(٨١) عن السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: أول مابُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي: الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءته مثل فلق الصبح [رواه البخاري: الفتح، كتاب التعبير ١٢ / ٣٦٨، حديث رقم ٦٩٨٢].

(٨٣) المشهور في بعثة النبي ﷺ أن ذلك كان وقد بلغ الأربعين من عمره، وكان ذلك يوم الاثنين في السابع عشر من رمضان، كما حدده الصرصري في هذا البيت وسابقه [راجع: تعليق ابن حجر العسقلاني في الفتح على الحديث المذكور في الحاشية السابقة].

(٨٤) المدر: الطين اليابس. الكثبان: جمع كثيب، وهو التل الرملي.

(٨٦) الرجوم: الحجارة. تنكّس: خرَّ ساقطاً.

(٨٧) بالجيران: كذا في الأصل، ولعله أراد: جيرانهم من الإنس. أو لعلها: بالقرآن.

(٨٩) فحص: حفر. ذي قربان: أي متقرب إلى الله عز وجل.

(٩٠) السبع المثاني في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ الحجر / ٨٧. اختلف في تفسيرها، فقال ابن مسعود وابن عباس: هي السبع الطول (أي البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس)، وهو قول ابن عمر ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم. وقال قتادة وروى عن أبي هريرة: الفاتحة فهي سبع آيات والبسملة هي الآية السابعة، واختاره الطبري لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: « الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » [أخرجه البخاري في كتاب التفسير: الفتح ٨ / ٢٣٢، حديث رقم ٤٧٠٣، ٤٧٠٤، وانظر: مختصر تفسير ابن كثير ٢ / ٣١٨]. والصرصري يميل هنا إلى أن السبع المثاني هي الفاتحة لقوله: فانثنى جذلاً بسبع في الصلاة مثاني. انثنى: رجع. جذلاً: فرحاً. مثاني: تتكرر في كل صلاة.

٩١ - وأتَاهُ يأْمُـــرُهُ لِيُنْذِرَ قَـــومَـــهُ ... طُرًّا ويَبْـدأَ بالقَـريبِ الدَّانِى ٧٠/أ

٩٢ - فَـدعـا إِلىٰ الرحْـمٰـنِ جَلَّ ثَناؤُهُ ... ونَهَىٰ عَنِ الإِشْـراكِ والكُفْـرانِ

٩٣ - ورَمَىٰ الزِّنَا والخَـمْـرَ والأزْلامَ والْـ ... ـفَـحْـشـاءَ بِالبُطْلانِ

٩٤ - وأتىٰ بِدينٍ مُسْتَقيمٍ واضِحٍ ... ظَهَرتْ شَرِيعَتُـهُ عَلىٰ الأدْيانِ

٩٥ - فَـهَـدَىٰ قَبـائلَهُ فلَمْ يَتَقَبَّلوا ... بَلْ قـابَلوا المَـعْـروفَ بالنُّكْرانِ

٩٦ - مـا زالَ يُنْذِرُ قَـومَـهُ فى مَنْعَـةٍ ... حَتَّى ثَوَىٰ العَمُّ الشَّفيقُ الحَانِى

٩٧ - ومَضَتْ خَديجَةُ بَعْدَهُ لِسَبيلِها ... مَـرْضِـيَّـةً فتَفَـاقَمَ الرُّزْءَانِ

٩٨ - فـاشْتَـدَّ حينَئذٍ عَلَيْه أذاهُمُ ... وبَدا لَهُ طَمَعُ العَـدُوِّ الشَّـانِى

٩٩ - فـأتَىٰ ثَقِيفًا فاعْتَـراهُ أذاهُمُ ... فـأوىٰ إِلىٰ ظِلٍّ بِقَلْبٍ عَـانِ

١٠٠ - وابْنَا رَبيعَـةَ شَيْبَـةٌ وأخُـوهُ فى ... عُلِّيَّـةٍ لِعَنَائِه يَرِيَانِ

١٠١ - فحَنَتْهُمـا رَحِمٌ عَلَيْهِ فأرْسَلا ... بالقِطْفِ مَعْ عَـدَّاسٍ النَّصْـرانِى

١٠٢ - فرأىٰ عَلامَاتِ النُّبُوَّةِ فاهْتَدَىٰ ... لٰكِنْ هُما عَـمًّا رأىٰ عَـمِيَانِ

١٠٣ - وغَدَا علىٰ الأحْياءِ يَعْرِضُ نَفْسَهُ ... لِبَلاغِ أمْرِ مُهَيْمِنٍ دَيَّانِ

---

(٩١) طُرًّا: جميعًا، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء / ٢١٤ .

(٩٣) الأزلام: سهام كانوا يستقسمون عليها فى الجاهلية تأمرهم أو تنهاهم فيطيعون أمرها ونهيها. وكذا جاء البيت فى الأصل، وعلى هذه الصورة تنقصه تفعيلة كاملة، ولعله:

ورمىٰ الزِّنا والخمرَ والأزلام والـ ... أنصابَ والفحشاءَ بالبطلانِ

وسقطت من الناسخ سهوًا كلمة (والأنصاب).

(٩٦) منعة: قوة تمنع أعداءه أن ينالوا منه. ثوى: مات.

(٩٧) تفاقم: اشتد. الرُّزْءان: مثنى رُزء، وهو المصيبة. يشير إلى موت أبى طالب والسيدة خديجة، وقد أطلق النبى ﷺ على العام الذى توفيا فيه عام الحزن.

(٩٨) الشانى: المبغض، خفف الهمز من (الشانئ).

(٩٩) ثقيف: قبيلة كانت تسكن فى الطائف. عانٍ: حزين. (١٠٠) عُلِّيَّة: حجرة مرتفعة.

(١٠١) حنتهما: جعلتهما يحنوان - أى يشفقان - على النبى ﷺ. رحم: قرابة، فقبيلة ثقيف كانوا أخوال النبى ﷺ. القطف: عنقود العنب. عدَّاس: الغلام الذى أرسله شيبة بن ربيعة وأخوه عتبة إلى النبى ﷺ وقد آمن عدَّاس بالنبى ﷺ ولم يؤمن شيبة ولا أخوه عتبة [انظر: السيرة الحلبية ١ / ٥٠٠].

(١٠٣) الأحياء: القبائل العربية. وكان النبى ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب أن يحموه ويناصروه لإبلاغ كلمة الله. والديان: اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه: الحكم القاضى والقهار.

١٠٤ - يَأْتِى القَبَائِلَ يَسْتَجِيرُ فَلا يَرَىٰ ... إلاَّ ذَوِى التَّكْذِيبِ والخِذْلاَنِ

١٠٥ - فَهُنَاكَ هَاجَرَ جَعْفَرٌ ورِفَاقُهُ الْـ ... أخْيَارُ نَحْوَ مَوَاطِنِ الحُبْشَانِ

١٠٦ - فَحَنَا النَّجَاشِىُّ المُنِيبُ عَلَيْهِمُ ... كَحُنُوِّ وَالِدَةٍ عَلَىٰ الوِلْدَانِ

١٠٧ - وأقَامَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ حَتَّىٰ التَقَىٰ ... مِنْ خَزْرَجٍ بالسِّتَّةِ الشُّجْعَانِ

١٠٨ - فَأتَوْا ومِثْلُهُمُ إِلَيْهِ فَبَايَعُوا ... فى مَوْسِمِ العَامِ الجَدِيدِ الثَّانِى

١٠٩ - وبعامِهِ هَـٰذا رأىٰ فى لَيْلَةِ الْـ ... ـمِعْرَاجِ مَا قَرَّتْ بِهِ العَيْنَانِ

١١٠ - وازْدَادَ تَطْهِيراً بِشَرْحِ صَدْرِهِ ... فى لَيلَةِ المَسْرَىٰ بلا نُقْصَانِ

١١١ - أسْرَىٰ مِنَ البَيْتِ الحَرَامِ بِهِ إلىٰ ... أقْصَىٰ المَسَاجِدِ لَيْسَ بالوَسْنَانِ

١١٢ - وعَلا البُرَاقَ وكَانَ أشْرَفَ مَرْكَبٍ ... يَطْوِى الفَضَاءَ لِسُرْعَةِ الطَّيَرَانِ ٧٠/ب

١١٣ - حَتَّىٰ أتَىٰ البَيْتَ المُقَدَّسَ وارْتَقَىٰ ... نَحْوَ السَّمَاءِ فَجَازَ كُلَّ عَنَانِ

١١٤ - مَا مِنْ سَمَاءٍ جَاءَهَا مُسْتَفْتِحًا ... إلاَّ لَقُوهُ بِتُحْفَةٍ وتَهَانِى

١١٥ - ولَقَدْ رأىٰ أبَوَيْهِ: آدمَ ثُمَّ إبْـ ... ـرَاهِيمَ فَلْيُبْشَرْ بِهِ الأَبَوَانِ

١١٦ - ولقَدْ رأىٰ عِيسَىٰ ويحْيىٰ ثُمَّ هـ ... ـرُونَ المُحَبَّبَ رُؤْيَةَ اليَقْظَانِ

---

(١٠٥) هو جعفر بن أبى طالب ﷺ، وهو ورفاقه هاجروا إلى الحبشة.

(١٠٦) حَنَا: عطف عليهم ورقَّ لهم. المنيب: التائب إلى الله.

(١٠٧) الستة الشجعان من الخزرج هم: أسعد بن زرارة المعروف بأبى أمامة، وعوف بن الحارث المعروف بابن عفراء، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله رضى الله عنهم. لقيهم النبى ﷺ عند العقبة فى موسم الحج فعرض عليهم الإسلام ودعاهم إلى الله عز وجل، فأجابوه وصدقوه ورجعوا إلى قومهم فدعوهم إلى الإسلام فأطاعوا لهم [انظر: سيرة ابن هشام ٢ / ٥١ : ٥٢].

(١٠٨) وفى العام التالى جاء الستة المذكورون ومعهم ستة آخرون وبايعوا النبى ﷺ على ألا يشركوا بالله شيئًا، وألا يسرقوا، وألا يزنوا، وألا يقتلوا أولادهم، وألا يأتوا ببهتان، ألا يعصوا النبى ﷺ فى معروف. وسميت هذه البيعة بيعة العقبة [انظر نص البيعة فى سيرة ابن هشام ٢ / ٥٤].

(١١٠) ليلة المسرى: ليلة الإسراء.

(١١١) ليس بالوسنان: أى كان الإسراء والنبى ﷺ مستيقظ لا نائم.

(١١٢) المركب: كل ما يركب.

(١١٣) العَنان فى الأصل: السحاب، ثم أطلق للدلالة على ارتفاع السماء.

(١١٤) تحفة: إكرام وبر ولطف.

١١٧ - وكَذَا لِمُوسَىٰ ثُمَّ إِدْرِيسَ الْتَقَىٰ ... فتَبَاشَروا كَتَبَاشُرِ الإِخْوانِ

١١٨ - ولقَدْ دَنَا كالقَابِ مِنْ قَوْسَيْنِ أوْ ... أدْنَىٰ إذا ما قُدِّرَ القَوْسانِ

١١٩ - كَشَفَ الحجابَ لَهُ وكَلَّمَهُ فَما ... أحْظاهُ بالتَّقْريبِ مِنْ إنْسانِ!

١٢٠ - فَرَضَ الصَّلاةَ عَلَيْهِ خَمْسًا أصْلُها ... خَمْسونَ وهْيَ الأجْرُ فى الحُسْبانِ

١٢١ - ثُمَّ انْثَنَىٰ نَحْوَ الفِراشِ مُقَمَّصًا ... مِنْ ذِى الجَلالِ بأشْرَفِ القُمْصانِ

١٢٢ - لٰكنَّهُ أضْحَىٰ بِمَكَّةَ خَائِفًا ... إنْ قالَ مِنْ تَكْذيبِ ذِى بُهْتَانِ

١٢٣ - فَغَدا يُحَدِّثُهُمْ بِوصْفِ المَسْجِدِ الْـ ... أقْصَىٰ حَديثَ مُعَاينٍ مُتَدانِى

١٢٤ - ولقَدْ دَنَا البَيْتُ المُقَدَّسُ مِنْهُ بالْـ ... ـبَطْحَاءِ يَنعَتُهُ بِلا نِسْيانِ

١٢٥ - فَعَمُوْا وأبْصَرَ قَوْلَهُ حَقًّا أبو ... بَكْرٍ يَقِينَ حَقِيقَةِ الإِيمانِ

١٢٦ - فأذَاعَ بالتَّصْدِيقِ لَمْ يَرْهَبْ ولَمْ ... يَرْتَبْ مِنَ الحَقِّ المُبِينِ بِشَانِ

١٢٧ - فَلِذَلِكَ التَّحْقِيقِ سَادَ وسُمِّيَ الـ ... ـصِّدِّيقَ وهْوَ اسْمٌ سَمَا بِمَعَانِى

١٢٨ - وأتىٰ علىٰ الأنْصَارِ عَامٌ ثَالثٌ ... يَعدُونَ أنْفُسَهُمْ بِخَيْرِ أمَانِ

١٢٩ - فأتَوْهُ فى السَّبْعِينَ ثُمَّ تَهَلَّلُوا ... مِنْ أشْرَفِ العَقَباتِ كالعِقْبانِ

---

(١١٨) قاب قوسين: بقدر طولهما، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دنا فتدلَّىٰ ۝ فكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم / ٨ - ٩ .

(١١٩) فاعل كشف، وكلمه: الله عز وجل. ما أحظاه: ما أسعده.

(١٢٠) فرضت الصلاة فى ليلة الإسراء والمعراج، وأصلها خمسون صلاة، وخُفِّضَت إلى خمس صلوات بخمسين صلاة فى الأجر.

(١٢١) مقمصًا: لابسًا قميصًا، استعار القميص لما ناله النبى ﷺ من كرامة فى تلك الليلة المباركة.

(١٢٢) البهتان: أشد الكذب.

(١٢٣) معاين: رأى بعينه.

(١٢٤) البطحاء: مكة المكرمة. ينعته: يصفه. يقول إن النبى ﷺ راح يصف لقريش المسجد الأقصى وصف من رآه بعينه ولم ينسَ شيئًا من أدق تفاصيله؛ لأن الله عز وجل أراه المسجد وهو بمكة.

(١٢٦) أذاع: أعلن. لم يرتب: لم يشك.

(١٢٧) ساد: أصبح سيدًا من سادة المسلمين. وقد سمِّى سيدنا أبو بكر بالصدِّيق لأنه آمن بما قاله النبى ﷺ عن إسرائه ومعراجه.

(١٢٩) أشرف العقبات: العقبة التى فى طريق منى. كالعقبان: جمع عُقاب، وهو طائر =

١٣٠ - مُـتَـتَـابعـينَ فَـبـايَعُـوهُ بَيْـعَـةً عُـقِـدَتْ بحُـسْنِ السَّمْعِ والإِذْعـان
١٣١ - ولعَـمِّـه العَـبَّـاسِ أُحْكِمَ عَـقْـدُها مِنْهمْ وأُتْقِنَ غَـايَةَ الإِتْقَـان
١٣٢ - سَـعِـدَتْ به أوْسٌ وفَـازَتْ خَـزْرَجٌ فَـحَـوَىٰ الفَـخَـارَ بنَصْـرِه الحَـيَّـان
١٣٣ - فَـأُولـئكَ الأنْصـارُ حَـقًّـا أحْـسَنُوا نَصْـرَ النَّبِىِّ بمُـرْهَفٍ وسِنان ٧١/أ
١٣٤ - فَـهُناكَ آذَنَ صَـحْـبَـهُ ليُـهـاجِـرُوا مُـسْـتَـبْطِنينَ بذلكَ الإِيذان
١٣٥ - وأقَـامَ مُـصْـطَـبِـرًا وغـبَّـرَ صَـحْـبُـهُ حِـينًا لمُـرِّ الهَـمِّ والهِـجْـران
١٣٦ - ودَرَتْ قُـرَيْشٌ بالحَـديثِ فـأظْهَـرَتْ مـا عِنْدَها منْ مُـضْـمَـرِ الأضْـغـان
١٣٧ - وتَشـاوَرُوا فى قَـتْله أوْ حَـبْـسِـه أوْ بُعْـده فَـمَـضَـوْا علىٰ كِـتْـمـان
١٣٨ - وأتاهُ جِـبْـريلُ الأمـينُ مُـخَـبِّـرًا بجَـمـيعِ مـا أخْـفَـوْا من الشَّنآن
١٣٩ - وَفَّىٰ بمَكَّةَ بضْعَ عَـشْـرَةَ حِـجَّـةً يَلْقَىٰ الأذىٰ فى السِّـرِّ والإِعْـلان
١٤٠ - حـتَّىٰ أتىٰ إذْنٌ فَـسـارَ مُـهـاجِـرًا نَحْـوَ المَـدينَة هجْـرَةَ اليَـقْظان
١٤١ - وأتَىٰ أبا بَكْرٍ بحَـرٍّ ظَهـيـرَةٍ سِـرًّا فَـتـابَعَـهُ بغَـيْـرِ تَوانِى
١٤٢ - حَـلاَّ بثَـوْرٍ غَـارَهُ فَلَقَـدْ غَـدا وسَـمَـا به منْ أشْـرَفِ الغِـيـران

جارح، يصفهم بالشجاعة. وكان من بايعوا رسول الله ﷺ بيعة العقبة الثانية ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين [انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٩].

(١٣٠) الإذعان: الإقرار بالحق والخضوع له.

(١٣١) لما اجتمع الأنصار فى الشعب ينتظرون رسول الله ﷺ لمبايعته، جاء النبى ﷺ ومعه عمه العباس ﷺ وهو يومئذ على دين قومه، وخاطب العباس الأنصار يريد أن يتأكد من صدق بيعتهم وأنهم لن يخذلوا النبى ﷺ. [انظر كلام العباس فى سيرة ابن هشام ٢/ ٥٩].

(١٣٣) المرهف: السيف القاطع اللامع. السنان: حد الرمح.

(١٣٤) آذن: أمر. مستبطنين: مخفين أمرهم.

(١٣٥) غبَّر: رحل.

(١٣٦) درت: علمت. مضمر: خفىّ. الأضغان: الأحقاد.

(١٣٧) بعده: يريد: نفيه.

(١٣٨) الشنآن: البغض الشديد.

(١٣٩) حجة: سنة. وقد ظل النبى ﷺ يدعو قومه بمكة نحو ثلاثة عشر عامًا.

(١٤١) بحرٍّ: فى الأصل: مَرَّ، وهو خطأ من الناسخ.

(١٤٢) الغيران: جمع غار.

١٤٣ - بَاضَتْ علَىٰ البَابِ الحَمامَةُ واغْتَدَىٰ … بِهَنِ العَنَاكِبِ طَامِسَ الأكْنانِ

١٤٤ - واشْتَدَّ تَطْلابُ العُداةُ فأجْزَلُوا … فِيهِ الرِّشَا ونَفائِسَ الأثْمانِ

١٤٥ - فَسَرَىٰ سُرَاقَةُ تَابعًا فرآهُمَا … وهُمَا بظَهْرِ البِيدِ يَرتَمِيانِ

١٤٦ فَهَوىٰ يَدَا فَرَسِ الحَرِيصِ بِصُلْبَةٍ … صَلْدٍ وثارَتْ وهْيَ ذاتُ عُثَانُ

١٤٧ - فَغَدا عَلَىٰ عِلْمٍ يُعَمِّي عَنْهُما … إذْ كانَ أيْقَنَ غَايَةَ الإيقانِ

١٤٨ - ثُمَّ انْبَرَىٰ المُخْتَارُ يَجْتَابُ الفَلا … بتَواتُرِ الإدلاجِ والذَّمَلانِ

١٤٩ - وتَسامَعَتْ أنْصارُهُ بقُدومِهِ … فتَقَلَّدُوا فَرَحًا بكُلِّ يَمَانِ

١٥٠ - ولَقُوهُ بالتَّرْحابِ والبُشْرَىٰ معَ الـ … ـتَّعْظِيمِ بالإخْبَاتِ والخُضْعَانِ

١٥١ - وغَدوْا يُفَدُّونَ النَّبيَّ مُحَمَّداً … بالمَالِ والأرْواحِ والوِلْدانِ

١٥٢ - لَمْ يَلْقَهُ منْهُمْ فَتاةٌ أو فَتىٰ … إلا بقَلْبٍ نَيِّرٍ جَذْلانِ

١٥٣ - فاسْتَبْشَرَ القَلْبُ الشَّرِيفُ بما رأىٰ … منْ حُسْنِ أخْلاقٍ ومنْ إحْسانِ

١٥٤ - مَا منْهُمُ منْ مَنزلٍ إلا رَجَا … أنَّ النَّبيَّ لَهُ منَ السُّكَّانِ ٧١/ب

١٥٥ - يَعدونَهُ إنْ حَلَّ فِيهِمْ أنَّهُمْ … لنَبيِّهِمْ منْ خَيْرِ ما جِيرانِ

---

(١٤٣) هن العناكب: نسيجها. وكلمة (هن) تعنى: شيء، ويكنَّى بها عن كل شيء لا يذكر اسمه. طامس: مطموس. الأكنان: جمع كِنّ، وهو السِّتر.

(١٤٤) تطلاب: شدة الطلب والبحث. أجزلوا الرشا: جعلوا رشوة كبيرة لمن يأتيهم بالنبى ﷺ.

(١٤٥) يرتميان: أى يسرعان فى سيرهما.

(١٤٦) صلد: صخر مصمت، وهى صفة لمحذوف والتقدير: أرض صُلبة صخرية. عثان: دخان، وأراد به هنا: الغبار.

(١٤٧) يعمِّى عنهما: أى يضلِّل من كانوا يتتبعون النبى ﷺ وصديقه فى هجرتهما؛ وذلك لمَّا غاصت به فرسه فى الصخر وعرف أن هذا نبى الله حقا، فكان يضلل من يسأله عنهما ويقول: قد كفيتكم، موهماً أنه لم يرهما.

(١٤٨) انبرى: مضى مسرعاً. يجتاب: يقطع. تواتر: تعاقب. الإدلاج والذملان: نوعان من سير الإبل السريع.

(١٤٩) اليمانى: السيف، منسوب إلى اليمن.

(١٥٠) الإخبات والخضعان كلاهما: الخضوع.

(١٥٢) نيِّر: مشرق بنور الإيمان. جذلان: فرح مسرور.

١٥٦ - لٰكِنَّ نَاقَتَهُ سَرَتْ مَأْمُورَةً　　قَدْ أُعْفِيَتْ مِنْ حَبْسَةِ الأَرْسَانِ

١٥٧ - حَتَّىٰ لَقَدْ بَرَكَتْ بأشْرَفِ مَنزِلٍ　　بِمكان مَسْجِدِه بِلا حَيَدانِ

١٥٨ - فَنَمَا السُّرورُ وأصْبَحَ الأنْصارُ فِى　　عِيدٍ بِمَنْ شَرُفَتْ بِهِ العِيدانِ

١٥٩ - وتَكَنَّفَ ابْنَ سَلامٍ الفَضْلُ الَّذِى　　بالمُصْطَفىٰ أفْضَىٰ إِلىٰ سَلْمانِ

١٦٠ - عَرفَاهُ مَعْرِفَةَ اليَقينِ فأصْبحَا　　وهُمَا بِثَوْبِ الرُّشْدِ مُشْتَمِلانِ

١٦١ - وابْتَاعَ سَلْمانُ ابْتِيَاعًا بالَّذِى　　وَفَّاهُ مِنْ ذَهَبٍ ومِنْ فُسْلانِ

١٦٢ - دَخَلَ المَدِينَةَ فاكْتَسَتْ حُلَلَ الرِّضا　　وتَعَطَّرَتْ بالرَّوْحِ والرَّيْحانِ

١٦٣ - أضْحَتْ بِهِ بَعْدَ الخُمُولِ شَهِيرَةً　　بالفَضْلِ سامِيَةً علىٰ الأوْطانِ

١٦٤ - قُرِنَتْ بِمَكَّةَ فى الفَخَارِ وحُرِّمَتْ　　وبِهِ سَمَا وتَشَرَّفَ الحَرَمانِ

١٦٥ - وتَضَاعَفَتْ بِدُعَائِهِ بَرَكاتُها　　فَلَها علىٰ أُمِّ القُرَىٰ مَثْلانِ

١٦٦ - فَصْلُ الحَلالِ مِنَ الحَرامِ وَقُبَّةُ الْـ　　إِسْلامِ وهْى القَلْبُ للإِيمانِ

١٦٧ - وهَواؤها يَشْفِى الجُذامَ ورَبْعُها　　مَأْوَىٰ الهُدىٰ ومَثُوبَةُ اللَّهْفانِ

١٦٨ - مَنْ مَاتَ فِيها صَابِرًا فَشَفِيعُهُ الْـ　　ـمُخْتَارُ يَوْمَ تَفَرُّقِ الخِلَّانِ

---

(١٥٦) كان النبى ﷺ كلما مر بجماعة من الأنصار رغبوا أن ينزل عندهم فيقول لهم خيراً، ويقول: دعوها فإنها مأمورة، أى ناقته ﷺ . الأرسان: جمع رَسَن، وهو الحبل الذى يقاد به البعير، أى لم يكن لناقة النبى ﷺ رسن بل سارت بأمر الله حتى حلت فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى.

(١٥٧) بلا حيدان: بلا ميل ولا انحراف.

(١٥٨) العيدان: لعله أراد به جمع عيد، ولم أجد هذا الجمع للعيد فى كتب اللغة.

(١٥٩) تكنف: أحاط وشمل. ابن سلام: عبد الله بن سلام. سلمان هو سلمان الفارسي. يقول: وأصاب ابن سلام من الفضل والخير ما ناله سلمان الفارسى، وذلك للقائهما بالنبى ﷺ .

(١٦١) فُسْلان: جمع فسيلة، وهى النبتة. يشير هنا إلى تحرير النبى ﷺ لسيدنا سلمان من الرق بما زرعه بيده الشريفة من نخل، وما دفعه من ذهب فى شرائه، وسبق ذكر قصة سلمان رضي الله عنه.

(١٦٢)حُلَلَ: جمع حُلَّة، وهى الثوب.　　(١٦٣) الخمول: ضد الشهرة.

(١٦٥) أم القرى: مكة المكرمة ولها مثلان: ضعفان من البركة، قال ﷺ: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفى ما جعلت بمكة من البركة» [رواه البخارى: الفتح، كتاب فضائل المدينة ٤ / ١١٧ ، حديث رقم ١٨٨٥].

(١٦٧) مثوبة: ملجأ. اللهفان: المكروب المستغيث. فى هذا البيت وسابقه وما يليه حتى البيت رقم (١٧٢) يعدد الصرصرى فضائل المدينة المنورة، وكلها أخبار صحيحة وردت فى فضائل المدينة المنورة فى الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث الشريف.

١٦٩ - رَمَضَانُها ألفٌ وجُمْعَتُها جَزَتْ ... ألْفًا زكَا وتَضَاعَفَ الأجْران

١٧٠ - وَصَلاةُ مَسْجِدها بألْفٍ فى سوىٰ الْـ ... ـبَيْت المُقَبَّلِ عِنْدَهُ الرُّكْنان

١٧١ - شَدُّ الرِّحَال إليْه مَشْروعٌ ولوْ ... فَتَكَ الوَجَىٰ بالجَسْرَةِ المِذْعان

١٧٢ - مَا بَيْنَ منْبَره ومَوْضعِ قَبْره ... هُوَ رَوْضَةٌ مِنْ جَنَّة الحَيَوَان

١٧٣ - يا سَائلى عنْ مُعْجزات المُصْطَفىٰ ... خُذْ ما وَعَىٰ قَلْبى وقَالَ لِسانى

١٧٤ - لَقَد اصْطَفاهُ اللهُ جَلَّ ثَناؤهُ ... وحَبَاهُ مِنْهُ بمُعْجِز القُرآن

١٧٥ - هُوَ مُعْجِزٌ فى نَفْسه بوُضُوحه ... وغَنَائه بالحَقِّ عَنْ عُنْوان ٧٢/١

١٧٦ - وحِفَاظه مِنْ خَلَّةٍ وتَنَاقُضٍ ... ومِنَ الزِّيادَة فيه والنُّقْصان

١٧٧ - وخُروجه بالنَّظْم والإيجاز عَنْ ... سَجْعِ الكَلام وصِيغَة الأوْزان

١٧٨ - وبَقائه غَضًّا جَديداً رائقًا ... بالحُسْنِ للأبْصار والآذان

١٧٩ - وإذا قَضىٰ بالشّىء كانَ كَما قَضىٰ ... لا يَسْتَطيعُ مَرَدَّهُ الثَّقَلان

١٨٠ - لا يَدْخُلُ التَّبْديلُ فى آياته ... كَلاَّ وما إعْجازُهُ بالفَانى

١٨١ - لَمَّا تَحدَّىٰ الخَصْمَ أنْ يأتُوا بما ... هُوَ مِثْلُهُ عَجَزُوا عَنِ الإتْيان

١٨٢ - شَهِدُوا لَهُ بطَلاوَةٍ وحَلاوَةٍ ... وفَصَاحَةٍ وبَلاغَةٍ وبَيَان

---

(١٧٠) وصلاة: فى الأصل: وصلاتها، وهو خطأ تركيبى، كما يؤدى إلى كسر الوزن. والصواب ما أثبته.

(١٧١) الوجى: داء يصيب الإبل من كثرة السير. الجسرة: الناقة القوية. المذعان: المطيعة لراكبها.

(١٧٢) قال ﷺ: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» [الفتح : كتاب فضائل المدينة ٤ / ١١٩ ، حديث رقم ١٨٨٨].

(١٧٥) أراد بالعنوان: الدليل.

(١٧٦) خلة: نقص أو اختلال.

(١٧٧) النظم: أسلوب تركيب الجمل. يقول إن القرآن الكريم معجز بما له من نظم أى أسلوب مغاير لأساليب الشعر والسجع.

(١٧٨) غضًّا: متجدداً على الدوام.

(١٧٩) مردَّه: منعه. الثقلان: الإنس والجن.

(١٨١) قال الوليد بن المغيرة - وهو كافر - يصف القرآن: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وما يقول هذا بشر، وإنه ليعلو ولا يُعلَى عليه [انظر: الشفا للقاضى عياض ١ / ٢٦٢ وما بعدها، وقد أورد عدة أمثلة لاعتراف فصحاء العرب بعظمة القرآن وبلاغته وإن كان هؤلاء المعترفون غير مؤمنين].

١٨٣ - وهُمُ الخُصومُ لَهُ فَكَيْفَ بِفِرْقَةٍ   نَبَذُوا الهُدىٰ بِغَباوَةِ الأذهانِ؟!
١٨٤ - جَعَلوا القُرَانَ إشارَةً وعِبارَةً   تُحْكَى ومَخْلُوقًا وقَوْلَ فُلانِ
١٨٥ - ولِمُعْجِزُ القَمرَ الذى بَهَرَ العِدى   مِنْ أَكْبَرِ الآياتِ والبُرْهانِ
١٨٦ - سَأَلَتْ قُرَيْشٌ آيةً فأراُهمُ   قَمَرَ السَّماءِ وجِرْمُهُ نِصْفَانِ
١٨٧ - بِقُعَيْقُعانَ النِّصْفُ مِنْهُ ونِصْفُهُ   بأبى قُبَيْسٍ يَشْهَدُ الجَبَلانِ
١٨٨ - فإذَا العُداةُ يُكابِرونَ عِيانَهُمْ   شَرُّ الرِّجالِ مُكابِرٌ لِعِيَانِ
١٨٩ - قالُوا سَلُوا السُّفَّارَ إنْ شَهِدُوا بِما   أبْصَرْتُمُ حَقًّا بلا نُكْرانِ
١٩٠ - فَهُوَ اليَقِينُ ولَيْسَ سِحْرًا فالْتَقَوْا   بالنَّاسِ مِنْ مَثْنًى ومِنْ وُحْدانِ
١٩١ - فإذَا الذى نَكِروهُ حَقٌّ واضِحٌ   لٰكِنَّهُمْ كانُوا ذَوِى عُدْوانِ
١٩٢ - وحَدِيثُ جَابِرٍ الشَّهِيرُ وزَادُهُ الـ   ـنَّزْرُ اليَسِيرُ وكَثْرَةُ الأعْوانِ
١٩٣ - وقَضَاهُمُ مِنْ غَيْرِ نُكْرٍ مُعْجِزٌ   بادِى البَيانِ لِعالِمٍ رَبَّانِى
١٩٤ - وحَدِيثُ أمِّ سُلَيْمٍ المَرْوِىُّ عَنْ   أنَسٍ وقَدْ بَعَثَتْهُ بالرُّغْفانِ
١٩٥ - نَحْوَ النَّبِىِّ فَرَدَّها ودَعا لها الْـ   ـجَفَلَىٰ وكانتْ أُكْلَةَ الجَوْعانِ

---

(١٨٤) القُرَان: خفف الهمز من القُرءان، وكلا اللفظين صحيح وقرئ بهما. وأما قوله: إشارة وعبارة فيعنى به الباطنية الذين يقولون بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، ويؤولون آيات القرآن تأويلات بعيدة. وقوله (مخلوقا) يعنى به المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن. وقول فلان، يعنى به من لا يؤمنون بأن القرآن من عند الله عز وجل.

(١٨٦) جرمه: جسمه. يذكر هنا آية انشقاق القمر للنبى ﷺ، وقد سبق الحديث عنها.

(١٨٧) قعيقعان: جبل بمكة، وكذا أبو قبيس [معجم البلدان ٤ / ٤٣٠ ، ٤ / ٣٥٠].

(١٨٩) السُّفار: جمع مسافر.

(١٩١) نكروه: أنكروه وجحدوا به.

(١٩٢) النزر: القليل: وسبق ذكر معجزة جابر بن عبد الله الأنصارى - رضى الله عنهما - وأن هذا الطعام القليل أطعم جيش الخندق بأسره، ببركة سيدنا رسول الله ﷺ.

(١٩٣) وقَضَاهُمُ: كذا فى الأصل، ولعله: وكَفَاهُمُ، أى كان هذا الطعام كافيًا رغم كثرة الآكلين وقلة المأكول. نكر: إنكار . ربانى: مؤمن عالم بالله عز وجل.

(١٩٤) أم سليم: هى أم أنس بن مالك رضى الله عنهما. الرغفان: جمع رغيف.

(١٩٥) الجفلى: الدعوة العامة إلى طعام. وذلك أن أم سليم بعثت ابنها أنسا بأقراص من شعير إلى النبى ﷺ، فدعا النبى أصحابه إلى بيت أم سليم وزوجها أبى طلحة، فجعل النبى ﷺ يدعو الناس عشرة عشرة، فأكل من هذا الطعام المتواضع سبعون أو ثمانون رجلا حتى شبعوا [انظر: الحديث فى: الفتح، كتاب المناقب ٦ / ٦٧٨ ، حديث رقم ٣٥٧٨].

١٩٦ ـ فأتَوْهُ أرْسالاً فلَمْ يَصْدُرْ فَتًى ... عَنْ تِلْكَ إلا ذَا حَشًا شَبْعانِ ٧٢/ب

١٩٧ ـ وشَكَا إِليْهِ الجُوعَ جَيشٌ هَمُّهُم ... نَحْرُ الحَمُولَةِ رَبَّةِ الكِيرانِ

١٩٨ ـ فأتَوْا بزادٍ مِثْلِ شاةٍ رابِضٍ ... فَدَعَا لَهُ باليُسْرِ والنَّمَيَانِ

١٩٩ ـ والقَوْمُ ألْفٌ مَعْ مِئاتٍ أرْبَعٍ ... كُلٌّ غَدا بالمِزْوَدِ الملآنِ

٢٠٠ ـ ودَعا رِجالاً شُرْبُ كُلٍّ مِنْهُمُ ... فَرْقٌ ويأكُلُ جَذْعَةً مِنْ ضَانِ

٢٠١ ـ شَبِعَ الرِّجالُ الأرْبَعونَ بِمُدِّهِ ... ورَوُوا بِشُرْبِ العُشْرِ رِيَّ بِطانِ

٢٠٢ ـ ودَعا مَعَ المائَةِ الثَّلاثينَ الأُلَىٰ ... شَبِعوا بِما مِقْدارُهُ مُدَّانِ

٢٠٣ ـ ولَهُمْ سَوادُ البَطْنِ حُزَّ فَكُلُّهُمْ ... قَدْ نَالَ مِنْهُ أبْرَكَ اللُّحْمانِ

---

(١٩٦) أرسالاً : جماعات .

(١٩٨) مثل شاة رابضٍ : كذا فى الأصل، أى حجم شاة رابضة أى راقدة . وسبق ذكر هذا المعنى بلفظ : مثل رُبْضَة شاة، وهو الوارد فى الحديث . اليُسر : الكثرة . النميان : الزيادة .

(١٩٩) المزْود : وعاء يوضع فيه الزاد أى الطعام .

(٢٠٠) شرْبُ الإنسان : القدر الذى اعتاد شربه والارتواء به . فرق : إناء يأخذ ستة عشر مُدًّا. جذعةَ من ضان : نعجة عمرها عامان .

(٢٠١) بطان : جمع بَطن، وهو الذى يأكل ويشرب بشراهة . يشير فى الأبيات السابقة إلى بعض ما وَقع من معجزات تكثير الطعام ببركة رسول الله ﷺ . فالأبيات (١٩٧ : ١٩٩) تحكى معجزة وقعت فى إحدى الغزوات، وقد أصاب جيش المسلمين جوع وظمأ شديدان حتى أوشكوا أن يذبحوا ما يركبونه، فأمر النبى ﷺ فبسطوا بساطا وجمعوا كل ما لديهم من طعام، فكان هذا الطعام كربضة العنز ـ أى بحجم مرقد العنز ـ وكان القوم يومئذ ألفا وأربعمائة، فأكلوا جميعا حتى شبعوا ثم ملأوا ما لديهم من مزواد للطعام، وتوضأوا جميعا بقدح من الماء ببركة النبى ﷺ [انظر هذه القصة فى صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ٣٤ كتاب اللقطة، باب استحباب المواساة بفضول المال] . وأما القصة الأخرى فى البيتين (٢٠٠ : ٢٠١) فقد رواها أبو نعيم عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : جمعت للنبى ﷺ بنى عبد المطلب وكانوا أربعين رجلا، فأطعمهم النبى ﷺ من جفنة لا تكاد تكفى واحداً منهم، ثم أطعمهم من قدح يكفى الواحد منهم فشربوا منه جميعا حتى ارتووا . وقد تكرر هذا فى اليوم التالى [دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥] .

(٢٠٢)،(٢٠٣) يشير فى هذين البيتين إلى ما رواه البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قال : كنا مع النبى ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبى ﷺ :« هل مع أحد منكم طعام؟ » فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن، ثم جاء رجل مشرك مشعانٌّ (أى أشعث) طويل بغنم يسوقها، فاشترى منه النبى ﷺ شاة فصنعت، وأمر النبى ﷺ بسواد البطن أن يشوى . وايمُ الله ما فى الثلاثين والمائة إلا وقد حزَّ النبى ﷺ له حزة (أى قطع له قطعة) من سواد بطنها، فجعل منها قصعتين، فأكلوا أجمعون وشبعنا، ففضلت القصعتان، فحملناه على البعير [البخارى : الفتح، كتاب الهبة ٥ / ٢٧٢ ، حديث رقم ٢٦١٨] .

٢٠٤ - كـانتْ تُمَـدُّ مِنَ السَّمـاءِ جِـفـانُهُ ... بِتَـضَـاعُفِ البَـرَكَـاتِ لا بِجِـفَـانِ

٢٠٥ - ودَعـا أبُو أيُّوبَ أكْـرَمَ مُـرْسَلٍ ... وطَعَـامُـهُ يَقْـتَـاتُهُ رَجُـلانِ

٥٠٦ - فـأتَاهُ مَعْ مـائةٍ ثَمـانُونَ اكْـتَـفـوْا ... وقِـرَىٰ أبِى أيُّوبَ لَيْسَ بِفَـانِ

٢٠٧ - ولقَـدْ حَـبَـتْـهُ بِعُكَّةٍ مِنْ سَـمْنِهـا ... مَـرْضِـيَّـةٍ مِنْ خَـيْـرِ مـا نِسْـوَانِ

٢٠٨ - فـإِذا بِهـا مَـلأىٰ عَـقِـيبَ فَـراغِـهـا ... سَـمْنًا لَهُ شَـرَفٌ عَلىٰ السُّـمَّـانِ

٢٠٩ - وحَـدِيثُ بِنْتِ بَشِـيـرٍ المـأْثُورُ فِى ... تَـمْـرٍ بِهِ قَـصَـدَتْ أبَا النُّعْـمـانِ

٢١٠ - فَـدَعَـا بِهـا الهَـادِى فَـصَـبَّتْ تَمْـرَهـا ... فـإِذا بِهِ قَـدْ ضَـمَّـهُ الكَـفَّـانِ

٢١١ - فَـدَعَـا بأهلِ الخَنْدقِ المَـيْـمـونِ مِنْ ... شَـيْخٍ ومِنْ كَـهْلٍ ومِنْ شُـبَّـانِ

٢١٢ - شَـبِـعُـوا جَـمِـيـعًـا وهْوَ مِنْ بَرَكَـاتِهِ ... يَـنْـمِى ويَـكْـثُـرُ لَـيْسَ مِنْ قِنوانِ

٢١٣ - وحَـدِيثُ تَـمْـرِ أبى هُـرَيْرَةَ ظَاهِـرُ الْـ ... إعْـجـازِ مُـتـضـحٌ لِذى تبْـيَـانِ

٢١٤ - عِـشْـرِينَ تَمْـرَةً اسْـتَـعَـدُّوا تَـمْـرَهُ ... بِجِـرابِـهِ لَـمْ يُـبْـلِهـا المَـلَـوَانِ

---

(٢٠٤) الجفان: جمع جفنة، وهي القصعة. يذكر هنا ما أخرجه أحمد والبيهقى عن سمرة بن جندب ﷺ أن رسول الله ﷺ أتىَ بقصعة فيها طعام، فتعاقب عليها الناس يأكلون، يقوم قوم ويقعد آخرون، من الفجر إلى الظهر. فقال رجل لسمرة: أما تُمَدُّ بشىء؟ فقال سمرة: فمن أيْشٍ تعجب؟ ما كانت تمد إلا من هنا. وأشار إلى السماء [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ٩٣].

(٢٠٥) أبو أيوب الأنصارى الذى نزل عنده ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة.

(٢٠٦) جاء فى دلائل البيهقى عن أبى أيوب الأنصارى قال: صنعت للنبى ﷺ طعامًا ولأبى بكر قدر ما يكفيهما فأتيتهما به، فقال النبي ﷺ: اذهب فادْعُ لى بثلاثين من أشراف الأنصار». فشقَّ ذلك علىَّ وقلتُ: ما عندى شىءٌ أزيده. فكأنى تغافلت. قال ﷺ: «اذهبْ فادعُ لى بثلاثين من أشراف الأنصار. فدعوتهم فجاءوا، فقال: اطعموا. فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبلٍ أن يخرجوا. ثم قال: ادع لى ستين. قال أبو أيوب: فأكل من طعامى ذلك مائة وثمانون رجلاً [دلائل البيهقى ٦ / ٩٤].

(٢٠٧) عكة: إناء يوضع فيه السمن أو العسل.

(٢٠٨) السمان: طائر معروف، وهو (السلوى) المذكور فى القرآن الكريم.

(٢٠٩ : ٢١٢) يذكر فى هذه الأبيات ما رواه البيهقى عن ابنة بشير بن سعيد قالت: بعثتنى أمى بتمر فى طرف ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرونِ الخندق، فمررت على رسول الله ﷺ فنادانى فأتيته، فأخذ التمر منِّى فى كفيه وبسط ثوبًا فنثره عليه فتساقط فى جوانبه، ثم أمر أهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه حتى صدروا عنه [دلائل البيهقى ٣ / ٤٢٧]. وقوله: ينمى ويكثر ليس من قنوان. القنوان: العرجون الذى يحمل التمر، يريد أنه كان يكثر ببركة النبى ﷺ.

(٢١٤) استعَدُّوا: عدُّوا، من العدد. لم يُبْلِها: لم يُفْنِها. الملوان: الليل والنهار، وهى كناية عن مرور الزمن الطويل.

٢١٥ - يُجْنَىٰ عَلَىٰ طُول المَـدَىٰ فَكَأنَّهُ ... لَمْ يَجْنِهِ مِنْ نَخْلٍ لَهُ صِنْوانِ

٢١٦ - ولقَدْ غَدَا الدَّوْسِىُّ منْهُ مُزَوَّدًا ... خَمْسِينَ وسْقًا فِى رِضَا الرَّحْمٰنِ

٢١٧ - كانَ الجرابُ لَدَيْه مَحْفُوظًا إلىٰ ... قَتْلِ الإمَامِ المُرْتَضَىٰ عُثْمانِ ٧٣/أ

٢١٨ - وأتَاهُ عَبْدُ الله بالشَّاةِ الَّتى ... لَمْ يَفْتَرِعْهَا الفَحْلُ بالنَّزَوانِ

٢١٩ - فتَحَلَّبَتْ لَبَنًا لَهُ وتَقَلَّصَتْ ... فَجَرىٰ بوَفْقِ مُرادِه الأمْرانِ

٢٢٠ - وكَذاكَ مَرَّ بأمِّ مَعْبَدٍ الَّتى ... وصَفَتْهُ وَصْفَ المُعْرِبِ المِتْقَانِ

٢٢١ - فأتَتْ بشاةٍ حَائِلٍ فى مَاحِلٍ ... مَنَعَ العِيالَ دَرائِرَ الألْبَانِ

٢٢٢ - فَدعا وسَمَّىٰ اللهَ يَمْسَحُ ضَرْعَها ... مَسْحًا وتَمْرِيةً بخَيْرِ بَنانِ

٢٢٣ - فَرَوُوا جَمِيعًا والفَتاةُ وغَادَرَتْ ... مِلْءَ الإناءِ لِزوْجِها الغَرْثانِ

٢٢٤ - وثَنَىٰ إليْهِ دَوْحَتَيْنِ فَمَالَتَا ... حَتَّى تَخَلَّتْ منْهُمَا السَّاقانِ

٢٢٥ - فأظَلَّتاهُ وعَادَتا فإذا هُما ... فَوْقَ العُرُوقِ الخُضْرِ قائِمَتانِ

٢٢٦ - ودَعا إلَيْهِ بأرْضِ مَكَّةَ دَوْحَةً ... فأتَتْ مُحَيِّيَةً ولَمْ تَسْتَانِ

---

(٢١٥) صنوان : النخلتان تطلعان من عرق واحد .

(٢١٦) غدا : أصبح . الدوسى : لقب أبى هريرة ﷺ .

(٢١٧) سبق ذكر حديث تمر أبى هريرة الذى بقى محفوظًا عنده يأكل منه ويتصدق حتى نهب بيت أبى هريرة فى فتنة قتل سيدنا عثمان ﷺ .

(٢١٨) هو عبد الله ن مسعود ﷺ . لم يفترعها الفحل : لم يصبها، أى لم تبلغ السن التى يصيبها الفحل فيها . النزوان فى الغنم كالجماع فى البشر .

(٢١٩) فتحلبت لبنًا له : نزل منها لبن غزير، وفى الأصل : فتحلبت له لبنًا، بتقديم (له) وهو خطأ يؤدى إلى كسر الوزن، والصواب تأخير الجار والمجرور كما أثبته . تقلصت : بعد أن حلب منها رسول الله ﷺ وشرب هو وأبو بكر من لبنها، قال للضرع : اقلص، فعاد كما كان . وقد سبق ذكر الحديث [عن دلائل البيهقى ٦ / ٨٤] .

(٢٢٠) المعرب : المبيّن الواضح الكلام . المتقان : صيغة مالغة من الإتقان .

(٢٢١) حائل : حامل . ماحل : سنة مجدبة . درائر الألبان : شراب اللبن .

(٢٢٢) التمرية : المسح على ضرع الشاة برفق . وسبق ذكر قصة أم معبد، ومرور النبى ﷺ وأبى بكر ﷺ بخيمتها، وما حصل لها من بركة النبى ﷺ .

(٢٢٣) الغرثان : الجائع .

(٢٢٤) سبق ذكر قصة الدوحتين .

(٢٢٦) لم تستان : لم تستأن، فخفف الهمز لضرورة القافية، أى : لم تبطئ . وسبق ذكر قصة الشجرة التى شقت الأرض فجاءت إلى النبى ﷺ فسلمت عليه ثم عادت إلى موضعها .

٢٢٧ - وأتَاهُ أعْرابيٌّ اتَّضَحَتْ لَهُ   سُبُلُ الهُدَىٰ بالقَطْعِ والإيقانِ

٢٢٨ - حَتَّىٰ أتَتْهُ دَوحَةٌ شَهِدَتْ لَهُ   بنُبُوَّةِ المَلِكِ العَظِيمِ الشَّانِ

٢٢٩ - ودَعَا بِعِذْقٍ مِنْ أعَالِي نَخْلَةٍ   فَأتَىٰ إليْهِ وعَادَ نَحْوَ إهانِ

٢٣٠ - وعَلا حِراءً ذَاتَ يَومٍ فَانْثَنَىٰ   لِجَلالِهِ مُتَزَلْزِلَ الأرْكَانِ

٢٣١ - فَغَدا يُسَكِّنُهُ ويُشْعِرُهُ بِمَنْ   قَدْ حَلَّهُ مِنْ خُلَّصِ الأعْيَانِ

٢٣٢ - وكَذَاكَ خَرَّ لَهُ بَعِيرٌ سَاجِداً   قَدْ أقْبَلَتْ عَيْنَاهُ بالهَمَلانِ

٢٣٣ - يَشْكُو إرادَةَ أهْلِهِ نَحْراً لَهُ   فَأغَاثَهُ غَوْثَ الأسِيرِ العَانِي

٢٣٤ - وبَعِيرُ جَابِرٍ المُخَلَّفُ بالوَجَىٰ   فَبِهِ غَدا ذا قُوَّةٍ وإرانِ

٢٣٥ - وحَدِيثُهُ بالغَائِبَاتِ مُؤَيَّدٌ   بِوقُوعِ مَا يُجْلَىٰ مِنَ الحَدَثَانِ

٢٣٦ - كَصَحِيفَةٍ دَرَسَ الَّذِي قَدْ أودعَتْ   مِنْ جَوْرِها ضَرْبٌ مِنَ الدِّيدانِ

٢٣٧ - قَصَدَتْ قُرَيْشٌ بِهَا قَطِيعَةَ هَاشِمٍ   فَأُزِيلَ مَا فِيهَا من العُدْوانِ

٢٣٨ - فَدَرَىٰ النَّبِيُّ بِهَا فَأعْلَمَ عَمَّهُ   والأمْرُ خَافٍ عَنْ ذَوِي الطُّغْيانِ ٧٣/ب

---

(٢٢٧)،(٢٢٨) سبق ذكر قصة الأعرابى الذى دعاه النبى ﷺ إلى الإيمان فأبى الأعرابى إلا أن يريه آيه، فدعا النبى ﷺ شجرة فأقبلت إليه وشهدت بنبوته ثم رجعت إلى منبتها [والحديث فى دلائل البيهقى ٦ / ١٥].

(٢٢٩) العذق: جريدة النخل. وسبق ذكر دعوة النبى ﷺ العذق فجاءه حتى قام بين يديه، ثم قال له: ارجع، فرجع [انظر الحديث فى دلائل البيهقى ٦ / ١٥]. الإهان: العرجون مادام رطبا.

(٢٣٠)،(٢٣١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبى ﷺ أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم (أى اضطرب الجبل وتزلزل) فضربه النبى ﷺ برجله وقال: اثبت أحدُ فما عليك إلا نبى أو صديق أو شهيدان [البخارى: الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٥١ حديث رقم ٣٦٨٦].

(٢٣٢) وكذاك: فى الأصل (وكذا) وأثبتُّ الكاف ليستقيم الوزن ولعل الناسخ سها عن كتابة الكاف. الهملان: سيلان الدموع.

(٢٣٣) غوث: إنقاذ. العانى: الأسير. وسبق ذكر قصة الجمل الذى شكا إلى النبى ﷺ ما يلقاه من أصحابه.

(٢٣٤) إران: نشاط وقدرة على السير. وسبق ذكر معجزة جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما.

(٢٣٥) الغائبات أراد بها: إخبار النبى ﷺ بأمور الغيب.

(٢٣٦: ٢٣٨) درس هنا بمعنى: أكل. الجور: الظلم. والإشارة فى الأبيات الثلاثة إلى الصحيفة التى أعلن فيها مشركو قريش براءتهم من بنى هاشم، وأنهم لا يجالسونهم ولا يبايعونهم =

٢٣٩ - وحَـديثُـهُ بِمَـصَـارِعِ القَـتْلَىٰ عَلىٰ   بَدْرٍ غَـداةَ تَقَـابُلَ الجَـمْـعَـانِ

٢٤٠ - وحَـديثُـهُ العَـبَّـاسَ بالمَـالِ الَّذى   أعْطاهُ أمَّ الفَـضْلِ فى كِـتْـمَـانِ

٢٤١ - وسَـرَىٰ عُـمَـيْـرٌ نَحْـوَ طَيْـبَـةَ بَعْـدَ أنْ   أخْـفَىٰ عُـقـودَ السِّـرِّ مَعْ صَـفْـوَانِ

٢٤٢ - مُـتَـقَلِّدًا بالسَّـيْف يَبْـغى غِـرَّةً   لمُـمَـنَّعٍ مِنْ كَـيْـدِ ذى شَنَآنِ

٢٤٣ - فـأتَىٰ به الفَـارُوقَ يُمْـسِكُ سَـيْـفَـهُ   يَخْـشَـى تَغِـرَّةَ غَـادرٍ خَـوَّانِ

٢٤٤ - قَـالَ المُـؤَيَّدُ: خَلِّه، وأذَاعَ مَـا   كَـانَا به فى الغَـيْـبِ يأتَمِـرانِ

٢٤٥ - فَـرأىٰ عُـمَـيْـرٌ مَـا دَعـاهُ لِرُشْـده   فـانْقَـادَ بَعْـدَ نُفـورِهِ لِلبَـيَـانِ

٢٤٦ - وتَكَلَّمَتْ فى فَـتْحِ مَكَّةَ فِـرْقَـةٌ   سَـمِـعُـوا بلالاً مُـعْلِنًا بأَذَانِ

٢٤٧ - فِـيـهِمْ أبُو سُـفْـيَـانَ كُلٌّ قَـالَ مَـا   فِـيـهِ العِـدَا إلا أبا سُـفْـيَـانِ

= ولا يدخلون بيوتهم حتى يسلّموا رسول الله ﷺ للقتل، وأنهم لا يقبلون من بنى هاشم صلحًا، فلبث بنو هاشم محاصرين فى شعب ثلاث سنين حتى جاءت حشرة الأرضة فلحست ما كان فى هذه الصحيفة من عهود ومواثيق ظالمة، ولم تترك فيها إلا اسم الله عز وجل [انظر حديث الصحيفة فى دلائل البيهقى ٢ / ٣١١ ، سيرة ابن هشام ١ / ٣٧١].

(٢٣٩) حديث مصارع القتلى فى غزوة بدر رواه مسلم والبيهقى، وفيه أن رسول الله ﷺ أخذ يضع يده على الأرض ويقول: هذا مصرع فلان. قال أنس بن مالك ؓ وهو راوى الحديث: فما ماط (أى بَعُدَ) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ [صحيح مسلم بشرح النووى ١٢ / ١٢٦ ، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر].

(٢٤٠) أم الفضل: هى زوجة العباس عم النبى ﷺ، وقصة هذا المال أنه لما أُسرَ العباس ؓ في غزوة بدر ولم يكن قد آمن بَعْدُ، جيء به إلى النبى ﷺ قال: يا رسول الله، إنى كنت مسلمًا ولكن القوم استكرهونى. فقال النبى ﷺ: الله أعلم بإسلامك، إن يك ما تقول حقًا فالله يجزيك به، فأمّا ظاهرك فكان علينا (لأنه قاتل مع المشركين). فقال العباس: ليس لى مال. فقال النبى ﷺ: فأين المال الذى وضعت بمكة حين خرجت من عند أم الفضل بنت الحارث وليس معكما أحد، قلتَ: إن أصبت فى سفرى فللفضل كذا ولعبد الله كذا؟ قال العباس: والذى بعثك بالحق ما علم به أحدٌ غيرى وغيرها، وإنى لأعلم أنك رسول الله [دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ٤١٠ : ٤١١].

(٢٤١) [انظر: اتفاق صفوان مع ابن عمه عمير بن وهب فى الحجر من البيت الحرام على اغتيال رسول الله ﷺ بشرط قضاء صفوان ديون عمير وتولى شئون أولاده من بعده، فلما وصل عمير لرسول الله فاجأه النبى ﷺ بقوله لعمير: « ماذا شرطت؟ ..... فآمن عمير » [محمد الإنسان الكامل، محمد بن علوى المالكى، دار الشروق، ط ١ القاهرة، ٦٢].

(٢٤٢) غِرة: غفلة. ممنَّع: محفوظ محروس. شنآن: كراهية شديدة.

(٢٤٣) تغرَّة: خداع.

(٢٤٤) المؤيد: الرسول ﷺ.

٢٤٨ - فأتَاهُمُ الهَادى فأَخْبَرَ بالَّذى ... قَالوا وَوُفِّقَ مُمْسِكٌ لِلسَان

٢٤٩ - وقَضىٰ بِصُلْحٍ بَعْدَهُ سيُصِيبُهُ ... بالسَّيِّد الحَسَنِ ابْنه فِئتَان

٢٥٠ - ولَقَدْ رأَىٰ رَجُلاً فأخْبَرَ أنَّهُ ... يَلِدُ الخَوَارِجَ شَرَّ ما وِلْدان

٢٥١ - وقَضَىٰ بأنَّ المُخْدَجَ اليَد فِيهِمُ ... وبِه عَلِيٌّ كانَ ذَا إِتْقان

٢٥٢ - وعَلىٰ المَشَارِقُ والمغَارِبِ جُنْدُهُ ... أضْحَوْا بمَوْعِدِهِ ذَوِى سُلْطان

٢٥٣ - وبِوعْدِهِ ظَفِروا بِكَنْزَىْ فَارِسٍ ... والرُّومِ يُنْفَقُ فِيهِما الكَنْزان

٢٥٤ - وكَذاكَ أخْبَرَ ذَاتَ يَومٍ صَحْبَهُ ... أنْ سَوْفَ يَظْهَرُ بَعْدَهُ صِنْفان:

٢٥٥ - صِنْفٌ بأيْدِيهِمْ سِيَاطٌ تُشْبِهُ الْـ ... أذْنابَ مِنْ بَقَرٍ وصِنْفٌ ثانِى

٢٥٦ - مِنْ كَاسِيَاتٍ عَارِياتٍ فِتْنَةً ... لِلنَاسِ بالتَّمْيِيلِ والمَيَلانِ

٢٥٧ - رَفَعَتْ كأسْنِمَةِ الجِمَالِ البُخْتِ مِنْ ... فَوقِ الرُّءوسِ حَبائِلَ الشَّيْطانِ

---

(٢٤٩) أى: ومما أخبر به النبى ﷺ من أمور الغيب: مارواه البخارى وغيره عن أبى بكرة رضي الله عنه قال: أخرج النبىُّ ﷺ ذات يوم الحسن فصعد به على المنبر فقال: « ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » [الفتح: كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧٢٧، حديث رقم ٣٦٢٩] والفئتان اللتان أصلح بينهما الحسن هما أهل العراق، وأهل الشام على رأسهم معاوية بن أبى سفيان، وقد تنازل الحسن عن حقه فى الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان إرادة الإصلاح بين المسلمين وحقن دمائهم.

(٢٥٠) أخبر رسول الله ﷺ أن الخوارج يولدون من نسل رجلٍ أسود إحدى عضديه مثل ثدى المرأة أو كقطعة لحم تتحرك فى اضطراب. وقد قاتل علىٌّ بنُ أبى طالب هؤلاء الخوارج وأمر أن يأتوه بذلك الرجل الذى نعته النبى ﷺ فأتوه به فكان كما أخبر النبى ﷺ [والحديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما، انظر: الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧١٤، حديث رقم ٣٦١٠].

(٢٥١) المخدج: الناقص.

(٢٥٣) من أمور الغيب التى أخبر بها النبى ﷺ أن كنوز كسرى وقيصر ستفتح على أمته من بعده. قال عدىّ بن حاتم رضي الله عنه وهو راوى الحديث: كنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز [رواه البخارى: الفتح، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/٧٠٦ حديث رقم ٣٥٩٥].

(٢٥٥: ٢٥٧) ذكر الشاعر فى هذه الأبيات ما أخبر به النبى ﷺ فى حديث رواه مسلم وأحمد والبيهقى عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤسهن كأسنمة البخت، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها» [مسلم شرح النووى، كتاب الجنة والنار، باب النار يدخلها الجبارون ٩/٢٠٣]. وقوله ﷺ: رؤسهن كأسنمة البخت: أى ضخمة كسنام الجمل.

٢٥٨ - ويجيءُ قَـــوْمٌ لا أمَـــانَةَ عِنْدَهُمْ   مِنْ عُـصْـبَـةٍ نُجْلِ البُطُونِ سِـمَـانِ
٢٥٩ - ولَكَمْ تَرَىٰ مِنْ مُـعْـجِـزاتٍ مـا لَهـا   حَـصْرٌ ولوْ أحْصَىٰ لهـا المَلَوَانِ ٧٤/أ
٢٦٠ - وسَتَظْهَرُ التُّرْكُ الصِّغارُ الأعْيُنِ الـ   ـذُّلْفُ الأُنوفِ مُـدَمِّـرُو البُلْدَانِ
٢٦١ - ولَقَـدْ تَوَالَوْا فى البِـلادِ ونَحْنُ فى   ثِقَـةٍ بِهِ مِنْ كَـيْـدِهِمْ وأَمَـانِ
٢٦٢ - ضَمِنَ النَّبِىُّ لِبَيْضَـةِ الإِسلامِ أنْ   لا تُسْتَبَـاحَ فَثِقْ بِخَيْرِ ضَمـانِ
٢٦٣ - وقَـضَىٰ بِهَـرْجٍ هَائِلٍ هُوَ ظاهِرٌ   فِى عَصْرِنا هذا مِنَ العُجْبَـانِ
٢٦٤ - والتِّرْمِـذِىُّ رَوَىٰ خُروجَ النَّارِ مِنْ   عَـدْلٍ رَوَىٰ عَنْ سَـادَةٍ غُـرَّانِ
٢٦٥ - فَتَسُوقُ كُلَّ العَالَمِينَ لِحَشْرِهِمْ   ولَسَـوْفَ تَخْرُجُ آخِرَ الأزمـانِ
٢٦٦ - وكَـذاكَ أخْبَـرَ أنَّ سَبَّ صِحَابِهِ   مـا لِلْمُصِـرِّ عَلَيْهِ مِنْ غُفْـرانِ

---

(٢٥٨) نجل البطون : لهم بطون ضخمة .
(٢٥٩) الملوان : الليل والنهار، أى الزمان كله .
(٢٦٠) أخرج البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :« لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه زلف الأنوف، كأن وجوههم المجانُّ المُطرَقة »[الفتح : كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام ٦/ ٦٩٩ ، حديث رقم ٣٥٨٧]. ذلف الأنوف : صغارها . المجان المطرقة : التروس المكسوة بالجلد . والشاعر هنا يذهب إلى أن الترك هم التتر الذين عاثوا فى البلاد الإسلامية فساداً خلال القرن السابع الهجرى حتى قتلوا آخر خلفاء بنى العباس، وكان الشاعر معاصراً لهذا الخليفة .
(٢٦١) قوله : فى ثقة به، أى بالنبى ﷺ .
(٢٦٢) بيضة الإسلام : عاصمة الخلافة الإسلامية، وهى بغداد آنئذ .
(٢٦٣) الهرج : القتل . العجبان : مبالغة فى العجب . يشير إلى قوله ﷺ : « يتقارب الزمان وينقص العمل ويُلْقَى الشحُّ وتظهر الفتن ويكثر الهرج . قالوا : يا رسول الله، أيما هو ؟ قال : القتل القتل » [الفتح كتاب الفتن، باب ظهور الفتن ١٣/ ١٦ ، الأحاديث رقم ٧٠٦١ : ٧٠٦٦] ولقد شاع الهرج - أى القتل - فى زمان شاعرنا أيما شيوع، على يد التتر وغيرهم .
(٢٦٤)،(٢٦٥) الترمذى : الإمام الحافظ صاحب السنن . غرّان : جمع أغرّ . وأما الحديث الذى رواه الترمذى فى خروج النار فهو قوله ﷺ :« تخرج نار من حضرموت - أو بحضرموت - فتسوق الناس » قالوا : يا رسول الله، ما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام [سنن الترمذى ٣/ ٢٢٦ ، مسند أحمد ٦/ ٢٤٦ ، حديث رقم ٤٥٣٦].
(٢٦٦) قال ﷺ : « لا تسبوا أصحابى ؛ فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذَهَبًا ما بَلَغَ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه » [أخرجه البخارى وغيره، انظر : الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧/ ٢٥ ، حديث رقم ٣٦٧٣] قال الحافظ ابن حجر فى شرحه للحديث : النصيف : نصف المد . ونقل عن بعض المالكية والشافعية أن من سبَّ الصحابة فقد استحق أن يقتل .

٢٦٧ - عِلْمًا بِقَوْمٍ يَجْهَرُونَ بِسَبِّهِمْ ... مِنْ كُلِّ غَمْرٍ فَاحِشٍ لَعَّانِ

٢٦٨ - وَسَمُوا الصَّحَابَةَ بِالنِّفَاقِ فَيَا لَهُ ... حَدَثًا تُصَمُّ لأَجْلِهِ الأُذْنَانِ

٢٦٩ - فَلَقَدْ وَجَدْنَا وَعْدَهُ مُتَيَقَّنًا ... فِيمَا ذَكَرْتُ بِمَسْمَعٍ وَعَيَانِ

٢٧٠ - والصَّخْرُ لانَ لَهُ بِيَوْمِ الخَنْدَقِ الْـ ... ـمَيْمُونِ لِينَ التُّرْبِ والأطْيَانِ

٢٧١ - ولَقَدْ تَبَدَّتْ للصَّحَابَةِ كُدْيَةٌ ... لَمْ يَسْتَطِيعُوا حَفْرَهَا بِمِجَانِ

٢٧٢ - فَأَتَىٰ ورَشَّ المَاءَ رَشًّا فَوْقَهَا ... فَغَدَتْ لَهُ تَنْهَالُ كَالكُثْبَانِ

٢٧٣ - ظَهَرَتْ قُصُورُ الشَّامِ فِيهِ بِضَرْبَةٍ ... وقُصُورُ فَارِسَ رَبَّةِ الإِيوانِ

٢٧٤ - والجِذْعُ حَنَّ إِلَيْهِ عِنْدَ فِرَاقِهِ ... شَوْقًا حَنِينَ الهَائِمِ الوَلْهَانِ

٢٧٥ - فَأَتَىٰ يُسَكِّنُهُ وقَالَ مُخَيِّرًا: ... إِنْ شِئْتَ تَرجِعُ أَخْضَرَ العِيدَانِ

٢٧٦ - أو إِنْ تَشَأْ فى الجَنَّةِ العُليَا تَكُنْ ... فَاخْتَارَ غَرْسًا فى نَخِيلِ جِنَانِ

٢٧٧ - وبِكَفِّهِ الحَصَيَاتُ سَبْعًا سَبَّحَتْ ... وبِأَمْرِهِ فى كَفِّ كُلِّ هِجَانِ

---

(٢٦٧) غَمْر: مجهول غير معروف، وأراد به التافه الحقير. (٢٦٨) وسموا: وصفوا.

(٢٧٠) يشير إلى الكُدية - أى الصخرة الصلبة - التى ظهرت أثناء حفر الخندق فلم تؤثر فيها فئوسهم، فجاءوا إلى النبى ﷺ فقام معهم وبطنه معصوب بحجر لم يذق طعاماً ثلاثة أيام، فضرب الكدية فعادت كثيباً أهيل، أى انهارت تحت قوة ضربته ﷺ [الحديث متفق عليه، انظر: الفتح، كتاب المغازى، باب غزوة الخندق ٧ / ٤٥٦ ، حديث رقم ٤١٠١].

(٢٧١) مَجَان: جمع مئجَنة وهى المطرقة، ولم أجد صيغة الجمع هذه، وذكر فى اللسان صيغتين لجمعها هما: المآجن، والمواجن.

(٢٧٢) لم يرد فى الحديث المذكور أن النبى ﷺ رش الماء على الصخرة، بل ضربها بالمعول أى الفأس.

(٢٧٣) ذكر الحافظ العسقلانى فى شرحه للحديث عدة روايات أخرى، ومن ذلك ما رواه أحمد والنسائى عن البراء بن عازب قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبى ﷺ فجاء فأخذ المعول فقال: «بسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلثها وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إنى لأبصر قصورها الحمر الساعة». ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر، فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إنى لأبصر قصر المدائن أبيض» ثم ضرب الثالثة وقال: « باسم الله » فقطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا» [الفتح ٧ / ٤٥٩].

(٢٧٤ : ٢٧٦) سبق ذكر معجزة حنين الجذع إلى رسول الله ﷺ.

(٢٧٧) سبق ذكر تسبيح الحصى فى كفه ﷺ، وفى كف أبى بكر وعمر رضى الله عنهما.
وقوله (هجان) يعنى: الأبيض والشريف من الناس.

٢٧٨ - وهُمــــا وَزِيراهُ وعُـــثـمــــانُ الَّذِى بِكَرِيمَــتَــيْــــه زَكَــا لَهُ النُّوران

٢٧٩ - ونَـوَتْ لَهُ حَـــمَّـــالَةُ الحَطَبِ الأذَىٰ ولَبِــئْسَ مَــا هَمَّتْ بِهِ مِنْ شَــان

٢٨٠ - فَـــأظَلَّهُ مَلَكٌ بِفَـــضْلِ جَناحِـــه فانْصاعَت اللَّكْعاءُ بالحِرْمان ٧٤/ب

٢٨١ - وشَكا إليــه الجَـيْشُ مِنْ ظَمـأٍ وهُمْ في مَــهْـمَــهٍ لَيْــسُـوا علىٰ غُــدْران

٢٨٢ - فَلَقُــوا فَــتَــاةً فى الفَــلاةِ وقَــدْ أتَـتْ بِمَــزادَتَيْنِ بِظَهْــرِ ذى وَخَــدان

٢٨٣ - فَـدعَـا وسَــمَّىٰ اللهَ يَتْـفِلُ فِـيـهِـمـا فــانْهَلَّتـا كَــمُــجَلْجِلٍ هَتَّــان

٢٨٤ - فَـــمَـــضَتْ بِرِفْــدٍ ثُمَّ مَــاءٍ وافِـرٍ وهُـدًى إلىٰ قَــــــومٍ ذَوِى أوْثـان

٢٨٥ - وكَـــذَاكَ أدْخَلَ فى إنَاءٍ كَـــفَّــهُ والجَــيْشُ مِنْ ظَمَــأٍ ذَوُو هَيَــمَــان

٢٨٦ - فَلَظَلَّ يَنْبُعُ مِنْ أصــابِعِـــه الرِّوَىٰ وبُرُودُ قَلْبِ الحَــائِمِ الوَلْهَــان

٢٨٧ - ولَقَـدْ تَفَـجَّـرَتِ الرَّكِيُّ بِسَـهْـمِـه الْـ ـمَــغْــرُوزِ فِــيــهــا مِنْ أعَـزِّ كِنان

---

(٢٧٨) كـذا ورد هذا البـيت فى الأصل، ولعل سقطًا حدث من الناسخ؛ لأن الانتـقال من سرد معجزات النبى ﷺ إلى مناقب وزيريه رضى الله عنهما، يحتاج إلى توطئة، كما أن الضمير (وهما) فى أول البيت لا يعود على سابقه، فلابد أن ثمة بيتًا سقط أو عدة أبيات.

(٢٧٩) حمالة الحطب: امرأة أبى لهب المذكورة فى القرآن بهذا اللقب. شان: شأن، خفف الهمز لضرورة القافية.

(٢٨٠) انصاعت: رجعت ذليلة خاضعة. اللكعاء: اللئيمة. والحديث المشار إليه فى هذا اليت وسابقه هو ما رواه البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ **تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾ جاءت امرأة أبى لهب، فقال أبو بكر للنبى ﷺ: لو تنحيّت. قال: إنه سيُحال بينى وبينها. فأقبلت ولم تر النبى ﷺ، فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك. فقال له النبى ﷺ: « مازال ملك يسترنى حتى ولت » [أخرجه البزار والحميدى وأبو يعلى، انظر: الفتح، ٨/ ٦١٠ ، تعليق الحافظ بن حجر على الحديث رقم ٤٩٧٣].

(٢٨١) مهمه: صحراء مقفرة لا ماء فيها. والغدران: جمع غدير.

(٢٨٢) المزادة: إناء يوضع فيه الزاد من طعام أو شراب، والمراد هنا: قربة الماء. وقوله: يظهر ذى وخدان، أى كانت هذه المرأة تحمل مزادتين فوق جمل مسرع.

(٢٨٣) انهلّتا: تدفق منهما ماء غزير. مجلجل: صفة لموصوف محذوف، أى بماء ذى صوت عال من شدته. هتّان: غزير منصبّ بشدة.

(٢٨٤) رفد: عطاء وخير. يقول إن النبى ﷺ سقى الجيش من هذين الإناءين، وأعطى المرأة إناءيها وأعطاها طعاما وافرا، ثم رجعت وقصت الأمر على قومها المشركين فهداهم الله إلى الإيمان. وسبق ذكر هذه القصة.

(٢٨٥) هَيَمان: عطش شديد.

(٢٨٦) الرِّوى: وصف لمحذوف والتقدير: الماء الروى. أى ظل الماء يتدفق من أصابعه حتى ارتوى الجيش، وارتوت قلوبهم من ذلك الماء.

(٢٨٧) الركيّ: الصخرة. كنان: جمع كنانة، وهى الوعاء الذى توضع فيه السهام.

٢٨٨ - وأتىٰ علىٰ بِئْــرٍ تَمَنَّعَ مَــاؤُها أنْ يُسْـتَـقَىٰ بالدَّلْوِ والأَشْطانِ

٢٨٩ - فَـغَـدَتْ بمـاءٍ فيـه فَـاضِلُ ريقِـه نَهْـراً مِنَ الأنْهـارِ ذَا جَـرَيانِ

٢٩٠ - وشَكا ذَوُو بِئْــرٍ تَمَنَّعَ مَــاؤُها فى الصَّـيْفِ عِنْدَ تَوَقُّـدِ الحَـرَّانِ

٢٩١ - فَتَـلا عَلَىٰ سَبْعٍ عُـدِدْنَ مِنَ الحَصَىٰ مَـا شَـاءَ مِنْ ذِكْـرٍ ومِنْ قُـرْآنِ

٢٩٢ - فَـرَمَـوْا بهـا فيـهـا فَلَمْ يُرَ قَـعْـرُها مِنْ بَعْـدُ مِنْ مَـاءٍ بِهـا لَجَّـانِ

٢٩٣ - وتَحَـوَّلَ المِلْحُ الأُجَـاجُ بريقِـه عَـذْبًا يَلَذُّ لِشـاربٍ ظَمْـآنِ

٢٩٤ - وسَـقَىٰ فَـرَوَّىٰ بالبُـيُـوتِ حَـدِيقَـةً فَكَفَىٰ المَشَـقَّـةَ صَاحِبَ البُسْتَانِ

٢٩٥ - واسْـمَعْ حَـديثَ أبى هُرَيْرَةَ إذْ غَـدا وفُـؤادُهُ بالجُـوعِ ذُو أشْـجـانِ

٢٩٦ - فـأتَىٰ النَّبِىَّ المُـصْطَفَىٰ مُـتَـعَـرِّضًا فـاسْتَـبْـشَـرَ الدَّوْسِىُّ بالإحْـسـانِ

٢٩٧ - فـأَتَـاهُ قَـعْـبٌ مِلْؤُهُ لَبَنٌ فلَمْ يَمْلِكْ طَمَـاعَـةَ جَـائِعٍ لَهْـفَـانِ

٢٩٨ - قـال : ادْعُ لى الفُـقَـراءَ أهْلَ الصُّـفَّـةِ الـ ـشُّـعْثَ الرؤوسِ الضُّـمَّـرَ الأبْدانِ

٢٩٩ - فـأتوْا فَلَمْ يَصْدُرْ فَـتًى عَنْ قَـعْـبِـه إلا بِصَـدْرٍ نـاعِـمٍ رَيَّـانِ

٣٠٠ - ثُـمَّ ارْتَوَىٰ الدَّوْسِىُّ بَعْـدَ إيَاسِـه عَلَلاً علىٰ نَهَلٍ فَـثِقْ بِبَيَـانِ

---

(٢٨٨) الأشطان : الحبال التى تنزل بها الدلاء فى البئر .

(٢٨٩) أى : أصبحت هذه البئر نهراً جارياً لما تفل فيها رسول الله ﷺ .

(٢٩٢) سبق ذكر المعجزة المشار إليها فى هذا البيت وسابقه، وكذا المعجزات المذكورة فى الأبيات السابقة المتعلقة بتكثير الطعام والشراب، ونبع الماء من أصابعه ﷺ أو بملامسته للحجر أو بسهم أو غير ذلك [راجع فى هذه المعجزات : فتح البارى، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، مسلم : ك الفضائل، باب فى معجزات النبى ﷺ . دلائل النبوة للبيهقى، جماع أبواب دعوات نبينا ﷺ فى الأطعمة والأشرة جـ ٦] .

(٢٩٣) الأجاج : الشديد الملوحة .

(٢٩٦) متعرضا : سائلاً عطاءه .

(٢٩٧) قعب : قدح ضخم .

(٢٩٨) الصفة : ظلة فى مؤخرة مسجد النبى ﷺ كان يأوى إليها الفقراء والغرباء، وإليها ينسب أهل الصفة ممن لم يجدوا مكاناً يقيمون فيه [راجع كتابنا : موعظة البقاع الشريفة، ص ٣٢] . شعث الرءوس : شعورهم غير منسقة . ضمر الأبدان : نحفاء من شدة الجوع والزهد .

(٢٩٩) يصدر : يرجع .

(٣٠٠) إياسه : يأسه . العلل : الشرب الأول . النهل : الشرب بعد الشرب .

٣٠١ - ورأَىٰ ابنُ مَسْعودٍ وكانَ غُلَيِّمًا   يَرْعَىٰ بِأَجْرٍ لَمْ يُعَبْ بِخِيَانِ ٧٥/أ

٣٠٢ - وسَعَىٰ أبو جَهْلٍ إِلَيْهِ بَعْدَ أنْ   حَلَفَ اللَّعينُ بِأَخْبَثِ الأَيْمانِ

٣٠٣ - لَوْ قَدْ رآهُ سَاجِدًا لَسَطَا بِهِ   فَلَكَيْفَ يُدْبِرُ عَنْهُ ذا نُكْصانِ؟

٣٠٤ - لَمَّا رأىٰ مَنْ لَوْ دَنا لَتَخَطَّفُوا   أعْضاءَهُ كَتَخَطُّفِ العِقْبانِ

٣٠٥ - وأَتاهُ ذُو كَيْدٍ بِفِهْرٍ فانْثَنَىٰ   وبَنانُهُ باليُبْسِ شَرُّ بَنَانِ

٣٠٦ - وكَفَاهُ رَبُّ العَرْشِ شَرَّ عِصابَةٍ   مَرَدُوا علىٰ العُدْوانِ والطُّغْيانِ

٣٠٧ - مُسْتَهْزِئِينَ بأَرْضِ مَكَّةَ خَمْسَةً   لَمْ يَكْتَمِلْ لِهَلاكِهِمْ يَوْمانِ

٣٠٨ - وأتَتْ شَيَاطِينُ الفِجَاجِ إِلَيْهِ فى   أيْدِيهِمُ شُهُبٌ مِنَ النِّيرانِ

---

(٣٠٣) سطا به: هجم عليه. نكصان: خذلان وهروب. وصدر هذا البيت هو المقسم عليه المذكور فى البيت السابق، أى: أقسم أبو جهل لو رأى النبي ﷺ ساجدًا لهجم عليه.

(٣٠٤) العقبان: جمع عُقاب، وهو طير جارح كالنسر. لما همَّ أبو جهل أن يطرح الصخرة على النبى ﷺ وهو ساجد، ثم فرَّ مخذولاً منتقع اللون مرعوبًا. فلما سأله المشركون: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: لما دنوت منه عرض لى دونه فحلٌ من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته، فهمَّ أن يأكلنى. وقال ﷺ: «لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا» [مسلم بشرح النووى ١٠/٣١٦، باب خصال المنافقين].

(٣٠٥) فهر: حجر. بنانه: أصابعه. تيبَّست أصابع ذلك الرجل الذى أراد أن يرمى النبى ﷺ فلم يستطع أن يقذف الحجر، وعاد إلى أصحابه وقد التصقت أصابعه بالحجر، فعجبوا من ذلك ثم ظلّوا يحاولون تخليص أصابعه حتى خلَّصوها من الحجر [انظر الحديث فى: دلائل النبوة لأبى نعيم، ص ١٥٥].

(٣٠٧) هؤلاء الخمسة هم الذين أنزل الله سبحانه وتعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ الحجر / ٩٥ . قال ابن عباس: المستهزءون الخمسة: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن المطلب، والحارث بن عنطلة السهمى، والعاص بن وائل. وكل هؤلاء الكفرة لقوا مصيرًا فظيعًا، فمنهم من ظل يطعن بالشوك فى عينه حتى عميت عيناه، ومنهم من خرجت فى رأسه قروح دامية حتى مات، ومنهم من أصيب بداء فى بطنه حتى خرج الماء من فيه فمات، ومنهم من قتلته شوكة [انظر: دلائل البيهقى ٢/٣١٦ وما بعدها، وتفسير ابن كثير للآية (٩٥) من سورة الحجر].

(٣٠٨) يشير الصرصرى فى هذا البيت إلى ما رواه أبو نعيم أن الشياطين تحدرت على النبى ﷺ من الجبال والأودية، وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، ألا أعلمك كلمات إذا قلتهنَّ انطفأت شعلته وانكبَّ لمنخره (أى سقط على وجهه)؟ قل: « أعوذ بوجه الله الكريم وكلماته التامة التى لا يجاوزهنَّ بَرٌّ ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، ومن شرِّ ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها، ومن شرّ فتن الليل، ومن شرِّ طوارق الليل والنهار إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن» [دلائل أبى نعيم ص ١٤٩].

٣٠٩ - يَبْغُونَهُ كَيْداً فأطْفَأَ نَارَهُمْ ... وتَفَرَّقُوا بمَذَلَّةٍ وهَوانِ

٣١٠ - وأرادَ شَيْطانٌ أذَاهُ فَشَدَّهُ ... بَيْنَ السَّوَارِى شَدَّ عَانٍ جانِى

٣١١ - وذِراعُ شَاةِ الخَيْبَرِيَّةِ أصْبَحَتْ ... بالسُّمِّ تُخْبِرُهُ بلا إكْنانِ

٣١٢ - ورأىٰ ببابِ خِبَاءِ قَوْمٍ ظَبْيَةً ... مَحْبُوسَةً عَنْ مَرْتَعِ الغِزْلانِ

٣١٣ - نَطَقَتْ فَنادَتْهُ: السَّلامُ عَلَيْكَ، كُنْ ... لى مُطْلِقًا لأسِيرَ نَحْوَ إرَانِى

٣١٤ - قَالَ السَّدِيدُ الحُكْمِ: أنت رَبِيطَةٌ ... ونَصِيبُ أقْوامٍ مِنَ الحَيَوانِ

٣١٥ - قالتْ: فَلِى خِشْفَانِ إنْ أهْمَلْتَنِى ... يَهْلِكْ بفَقْدِ رَضاعِىَ الخِشْفانِ

٣١٦ - فَسَقَتْهُما وأتَتْ إلَيْهِ فَرَدَّها ... بشِراكِ قَنَّاصٍ أُغِرْنَ مِتَانِ

٣١٧ - ودَعاهُ مَالِكُها فأطْلَقَها لَهُ ... فَمَضَتْ لَها زَجَلٌ مِنَ الشُّكْرانِ

٣١٨ - وأتَىٰ إلَيْهِ حَارِشٌ فى كُمِّهِ ... ضَبٌّ وكَانَ العَبْدُ ذَا كُفْرانِ

٣١٩ - فَهَدَتْهُ للحُسْنَىٰ شَهَادَةُ ضَبِّهِ ... برِسالَةِ المَبْعُوثِ مِنْ عَدْنانِ

٣٢٠ - وأتَىٰ أُوَيْسٌ – وهْوَ ذِئْبٌ – سَائِلاً ... قِسْطًا يَكونُ لَهُ علىٰ القُطْعانِ

---

(٣١٠) السوارى: أعمدة المسجد. شدَّه: ربطه. عان: أسير.
(٣١١) إكنان: إخفاء. وسبق ذكر حديث الشاة المسمومة.
(٣١٢) المرتع: المرعَى.
(٣١٣) الإران: كناس الحيوان، وهو بيت تسكن فيه الغزلان يكون فى تجويف شجرة أو نحوها.
(٣١٤) ربيطة: مربوطة.
(٣١٥) الخشف: رضيع الظبية.
(٣١٦) شراك: جمع شَرَك، وهو حبل المصيدة.
أُغِرْنَ: أجيد فتلُها. متان: جمع متين. يذكر الصرصرى هنا ما سبق أن ذكره فى عديد من قصائده، وهو قصة الظبية التى سألت النبى ﷺ أن يطلقها كى ترضع أولادها ثم تعود. فقال لها رسول الله ﷺ: صَيدُ قومٍ وربيطة قوم. ثم أطلقها بعد أن أخذ عليها العهد بالرجوع، فأرضعت ولديها ثم عادت.
[دلائل البيهقى ٦/٣٤، دلائل أبى نعيم ص ٣٢٠].
(٣١٧) زَجَل: غناء. الشكران: الشكر.
(٣١٨) الحارش: صائد الضَبّ.
(٣١٩) سبق ذكر شهادة الضب بنبوة سيدنا محمد ﷺ.
(٣٢٠) أويس: اسم الذئب كما شرحه الناظم، وسبق ذكر الذئب الذى طلب نصيبه من الصدقة.

٣٢١ - وأَتَتْ يَهُـودُ مُـعـدَّةً لِمَسـائِلٍ | فـأجـابَهُمْ عَنْهـا بِغَـيْـرِ تَوَانِ
٣٢٢ - عَـرَفـوا نُبـوَّتَهُ بِهـا وبِغَـيْـرِها | لٰـكِنَّهُمْ ضَلُّوا عَلىٰ عِـرْفـانِ ٧٥/ب
٣٢٣ - ولَقَـدْ رأَىٰ مِنْ خَلْفِـهِ كَـأَمـامِـهِ | وكَـذا النَّهـارُ ولَيْلُهُ سِـيَّـانِ
٣٢٤ - وتَـنامُ عَـيْـنـاهُ ولَيْسَ بِغـافِـلٍ | لٰـكِنْ بِقَلْبٍ مُـبْـصِـرٍ يَقْظَانِ
٣٢٥ - وأَتَىٰ إلىٰ العَـبَّـاسِ ثُمَّ دَعـا لَهُ | ولِوُلْدِهِ فِي الدَّارِ بالغُـفْـرانِ
٣٢٦ - فَـتَـلاهُ تأمِـينُ الجِـدَارِ وقَـبْلَهـا | لَمْ يُسْـمَعِ التَّـأمِـينُ مِنْ جُـدْرانِ
٣٢٧ - ودَعـا عَلِيًّـا يَوْمَ خَـيْـبَـرَ وهْوَ لا | يَسطِيعُ حَـرْبًا أَرْمَـدَ الأجْـفـانِ

---

(٣٢١) ذكر الحافظ ابن حجر أن رأس اليهود ميمون بن يامين جاء إلى رسول الله ﷺ وآمن بنبوته. ثم جاءه اليهود فقال لهم النبي ﷺ: اختاروا رجلاً يكون حكماً بيني وبينكم. قالوا: قد رضينا ميمون بن يامين. فقال لهم ميمون: أشهد أنه رسول الله. فأبوا أن يصدقوه [الفتح: كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبيَّ ﷺ حين قدم المدينة ٧ / ٣٢١، تعليق الحافظ ابن حجر على الباب]. ومن مسائل اليهود للنبي ﷺ ما سبق ذكره من مسائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبراً من كبار أحبار اليهود فآمن بنبوته ﷺ وأبى اليهود أن يستجيبوا له [انظر: حديث مسائل عبد الله بن سلام في: الفتح: كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٧ / ٢٩٣ - ٢٩٤، حديث رقم ٣٩١١].

(٣٢٢) قوله: ضلّوا على عرفان، أي مع أنهم يعرفون صدق نبوته ﷺ فقد أضلوا أنفسهم وكذبوا به، وهم كما قال عنهم رب العزة ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ البقرة / ١٤٦، الأنعام / ٢٠.

(٣٢٣) كان النبي ﷺ يرى من وراء ظهره دون أن ينظر خلفه، وكذا الليل والنهار سواء عنده.

(٣٢٤) سبق ذكر الحديث المشار إليه، وهو قوله ﷺ: « تنام عيني ولا ينام قلبي » [الفتح كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه ٦ / ٦٧٠، حديث رقم ٣٥٦٩، ٣٥٧٠].

(٣٢٥) الوُلْد: جمع وَلَد.

(٣٢٦) تأمين الجدار: قوله « آمين ». يشير في هذا البيت وسابقه إلى ما رواه البيهقي وأبو نعيم، أن رسول الله ﷺ جاء إلى عمه العباس رضي الله عنه فقال له ولأبنائه: تقاربوا تقاربوا تقاربوا. ثم غطاهم بملاءة وقال: يارب، هذا عمي وصنو أبي، وهؤلاء أهل بيتي، فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه. فأمّنت أسكُفَّةُ الباب وحوائط البيت: آمين آمين آمين. وقد شك الحافظ البيهقي في صحة الحديث وأورده تحت عنوان « باب ما جاء في تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعاء نبينا محمد ﷺ ... إن صحَّت الرواية » وقال محقق الدلائل الدكتور عبد المعطي قلعجي في حاشيته على هذا الحديث: بإسناده وضّاع ومجهول [انظر: دلائل البيهقي ٦ / ٧١ - ٧٢].

(٣٢٧) يسطيع: لغة في: يستطيع.

٣٢٨ - فَدعَا لَهُ مَعَ تَفْلِ رِيقَتِه فَلَمْ   يَرْمَدْ لَهُ مِنْ بَعْدِها عَيْنان

٣٢٩ - ودَعا لَهُ أَنْ لا يَضُرَّ بِجِسْمِه   حَرٌّ ولا بَرْدٌ بِكُلِّ أَوَان

٣٣٠ - فَشِتاؤُهُ فيه القَمِيصُ كَجُبَّة   والصَّيْفُ فيه الفَرْوُ كالكتَّان

٣٣١ - وكَذا ابنُ عَبَّاسٍ أعَدَّ طَهُورَهُ   فَدَعا لَهُ بالعِلْمِ والتِّبْيان

٣٣٢ - فَحَوَىٰ العُلومَ وكَانَ طَوْدًا راسِخًا   فيها وأمْعَنَ غَايَةَ الإمْعان

٣٣٣ - ودَعا لِشَخْصٍ بالجَمَالِ فَجاوزَ الـ   ـتِّسْعِينَ وهْوَ كَأجْمَلِ الشُّبَّانَ

٣٣٤ - وبَغَىٰ أخُو دَوْسٍ هِدايَةَ أُمِّه   فأَبَتْ فأقْبَلَ مُسْتَهِلَّ الشان

٣٣٥ - نَحْوَ النَّبِىِّ المُصْطَفَىٰ فَدَعا لَها   فَنَجَتْ بِدَعْوَتِه من الكُفْران

٣٣٦ - ودعَا لَهُ ولأُمِّه بِمَحَبَّة   حَلَّتْ بِباطِنِ كُلِّ ذى إيمان

٣٣٧ - ودعَا المُهَيْمِنَ أنْ يُسلِّطَ كَلْبَهُ   يومًا علَىٰ مُتَمَرِّدٍ فَتَّان

٣٣٨ - فأظَلَّهُ سَفَرٌ فَخَافَ دُعاءَهُ   فَدعا بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الخِلاَّن

٣٣٩ - فَتَحَلَّقُوا هُمْ والرَّواحِلُ حَوْلَهُ   فَدَهَاهُ بَأسُ غَضَنْفَرٍ غَضْبان

---

(٣٢٨) سبق ذكر دعاء النبى ﷺ لعلى وتفله فى عينه الرمداء حتى شفى من الرمد بإذن الله وببركة رسول الله ﷺ وبركته.

(٣٣٢) الطود: الجبل. أى كان ابن عباس فقيهًا عظيمًا ببركة دعاء النبى ﷺ: «اللهم علمه الحكمة، اللهم علمه الكتاب» [رواه البخارى وغيره: الفتح، ك فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس رضى الله عنهما ٦ / ١٢٦، حديث رقم ٣٧٥٦] وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن، حتى كان عمر بن الخطاب ﷺ يقدمه مع الشيوخ وهو شاب. أفاده الحافظ ابن حجر فى تعليقه على الحديث المذكور.

(٣٣٣) أشار هنا إلى الحديث الذى رواه أبو نعيم عن عمرو بن الأخطب قال: استسقى رسول الله ﷺ فأتيته بجمجمة (أى بقدح من الخشب) وفيها ماء وفيه شعرة فتناولتها، فنظر إلى فقال: اللهم جمِّله. قال راوى الحديث: فرأيته وهو ابن ثلاث وتسعين وما فى رأسه ولحيته شعرة بيضاء [دلائل النبوة، ص ٣٩٣].

(٣٣٤) بغى: أراد. أخو دوس: كنية أبى هريرة ﷺ. مستهل الشان: دموعه تسيل.

(٣٣٦) يذكر هنا ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة ﷺ وطلب من النبى ﷺ أن يدعو لأمه بالهداية وكانت كافرة فقال: « اللهم اهْد أمّ أبى هريرة.. فما لبث أبو هريرة حتى عاد إلى منزله فوجد أمه تتوضأ ثم قالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » [مسلم بشرح النووى، كتاب فضائل الصحابة ١٦ / ٥١ - ٥٢].

(٣٣٧ : ٣٤٠) يشير الناظم فى هذه الأبيات إلى ما رواه أبو نعيم أن عتيبة بن أبى لهب قال للنبى ﷺ: يا محمد، هو يكفر (أى عتيبة نفسه) بالذى دنا فتدلَّى فكان قاب قوسين أو أدنى. فقال رسول الله ﷺ: « اللهم ابعث عليه كلبًا من كلابك! » فسار أبو لهب وابنه عتيبة =

٣٤٠ - فـاغتـالَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ فـإذَا بِهِ وَسْطَ العَرِينِ مُمَزَّقِ الجُثْمَانِ

٣٤١ - واشْتَدَّ بَرْدٌ غُدْوَةً فَتَخَلَّفُوا عَنْهَا تَخَلُّفَ عَاجِزٍ كَسْلانِ

٣٤٢ - فَدعا بِكَسْرِ البَرْدِ عَنْهُمْ فانْثَنَوْا يَتَرَوَّحُونَ بِفَاضِلِ الأرْدَانِ

٣٤٣ - فَضَلَ النَّبِيِّينَ الكِرامَ جَمِيعَهُمْ بِخَصائِصَ اجْتَمَعَتْ لَهُ ومَعانِي ٧٦/أ

٣٤٤ - عَمَّ البَرَايَا بالرِّسَالَةِ إنْسَهُمْ والجِنَّ ثُمَّتَ خُصَّ بالقُرْآنِ

٣٤٥ - جُعِلَتْ لَهُ الأرْضُ البَسِيطَةُ مَسْجِداً وتُرَابُهَا جُعِلَ الطَّهُورَ الثَّانِي

٣٤٦ - ولَهُ الغَنَائِمُ حُلِّلَتْ ولِنَصْرِهِ رِيحُ الصَّبَا كَانَتْ مِنَ الأعْوانِ

٣٤٧ - والرُّعْبُ كَانَ عَلَىٰ مَدَىٰ شَهْرٍ لَهُ بِقُلُوبِ مَنْ عَادَاهُ وخْزَ سِنَانِ

٣٤٨ - بُعِثَتْ مَقَالِيدُ الكُنُوزِ جَمِيعِهَا تُهْدَىٰ إلَيْهِ عَلَىٰ سَرَاةِ حِصَانِ

٣٤٩ - جُعِلَتْ عَلَيْهِ قَطِيفَةٌ مِنْ سُنْدُسٍ فَلَهُ اسْتِقَامَ الزُّهْدُ عَنْ إمْكَانِ

٣٥٠ - وأتَىٰ إلَيْهِ هَدِيَّةً مِنْ رَبِّهِ مِنْ جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ قِطْفٌ دَانِي

٣٥١ - ولَقَدْ أتَىٰ عَنْهُ حَدِيثٌ مُرْسَلٌ سَأسُوقُ مَعْنَاهُ لِذِي نُشْدانِ :

= فى الصحراء حتى نزلوا بصومعة راهب وأخبرهم الراهب أن هذه الأرض تكثر فيها الأسود، فخشى أبو لهب على ابنه ففرشوا فراشاً وباتوا حوله يحرسونه، فجاء الأسد فشمَّ وجوه القوم ثم انصرف باحثاً عن عتيبة حتى شم ريحه فوثب عليه وأكله . فقال أبو لهب : قد عرفت - والله - ما كان لينفلت من دعوة محمد [دلائل أبى نعيم، ص ٣٨٩ : ٣٩٠] .

(٣٤١) قوله (عنها) : يعنى عن الصلاة .

(٣٤٢) يتروحون : يهزون أطراف أكمامهم كالمرواح . الأردان : الأكمام . يشير إلى ما رواه البيهقى عن بلال ﷺ قال : أذنت فى غداة باردة، فخرج النبى ﷺ فلم يرَ فى المسجد أحداً فقال : أين الناس يا بلال؟ قلت : منعهم البرد . فقال ﷺ : اللهمَّ أذهب عنهم البرد . قال بلال : فرأيتهم يتروحون [دلائل البيهقى ٦ / ٢٢٤] .

(٣٤٣) فضل : زاد فى الفضل عليهم . وسيذكر فى الأبيات التالية خصائص سيدنا محمد ﷺ وفضله على أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٣٤٥) الطهور الأول هو الماء، والتراب الطهور الثانى . .

(٣٤٧) الوخز : الطعن . السنان : الرمح .

(٣٤٨ : ٣٤٩) سراة : ظهر . الحديث المشار إليه هنا هو ما أخرجه أحمد فى مسنده عن جابر ﷺ أن النبى ﷺ قال : « أوتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس » [حديث رقم ١٣٩٨٩] . وقوله : فله استقام الزهد عن إمكان، أى : فكان زهد النبى ﷺ فى الدنيا زهد المتمكن منها لا زهد المحروم .

(٣٥٠) سبق ذكر حديث قطف العنب الذى جاء للنبى ﷺ من الجنة .

(٣٥١) نشدان : طلب .

٣٥٢ - فِى مَجْمَعِ الكَتِفَيْنِ مِنْهُ شَامَةٌ ... هِىَ للنُّبُوَّةِ فِيهِ كَالعُنْوانِ
٣٥٣ - وبِمَكَّةَ الفَيْحاءَ مَوْلِدُهُ فَقَدْ ... فَاقَتْ لِذلِكَ سَائِرَ البُلْدَانِ
٣٥٤ - مِنْها مُهاجَرُهُ إِلىٰ أرْضٍ بِها ... نَخْلٌ كَثِيرٌ زِينَ بالقِنْوانِ
٣٥٥ - هِىَ يَثْرِبٌ هِىَ طَيْبَةٌ هِىَ دَارُهُ ... حَظِيَتْ بِمَجْدٍ شَامِخِ البُنْيانِ
٣٥٦ - وعَلىٰ بِلادِ الشَّامِ يَظْهَرُ مُلْكُهُ ... فَتَذِلُّ قَهْراً عُصْبَةُ الصُّلْبانِ
٣٥٧ - واسْتَعْلَنَ الحَقُّ المُبِينُ بِنُورِهِ ... بَيْنَ الجِبالِ الشُّمِّ مِنْ فَارانِ
٣٥٨ - مَا مِنْ نَبِىٍّ مُجْتَبًى إِلا لَهُ ... يَوْمَ المَعادِ إِذا أتَىٰ نُورانِ
٣٥٩ - ويَجِىء تَابِعُهُ بِنورٍ واحِدٍ ... ولأحْمَدَ الدَّاعِى إِلىٰ الإِيمانِ
٣٦٠ - فِى كُلِّ جُزْءٍ مِنْهُ نُورٌ والَّذِى ... يَتْلُوهُ ذُو نُورَيْنِ يَبْتَدِرَانِ
٣٦١ - ولَنَعْتُ شَعْيَا للنَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... ولَنَعْتُ حِزْقِيلٍ كَذاكَ أتَانِى
٣٦٢ - وصِفاتُ أمَّتِهِ كَذلِكَ بُيِّنَتْ ... فِيها لِقَلْبِ العَالِمِ الرَّبَّانِى
٣٦٣ - غُرٌّ لآثَارِ الوُضُوءِ عَلَيْهِمُ ... نُورٌ مُضِىءٌ سَاطِعُ اللَّمَعانِ
٣٦٤ - والحَمْدُ للهِ العَظِيمِ شِعارُهُمْ ... فِى البُؤْسِ والأفْراحِ والأحْزانِ ٧٦/ب

---

(٣٥٢) شامة: علامة بارزة فى جلد الكتف، وهى خاتم النبوة.
(٣٥٣) الفيحاء: الواسعة.
(٣٥٤) القنوان: العراجين التى تحمل الرطب.
(٣٥٧) الشمّ: العالية. فاران: اسم مكة المكرمة فى التوراة. وسبق ذكر الخبر المشار إليه فى الأبيات (٣٥١ : ٣٥٧) وهو فى التوراة [انظر: سفر التكوين، الإصحاح السابع والعشرون] وقد ذكر الصفات المذكورة فى الأبيات كعب الأحبار لسيدنا عمر بن الخطاب لما سأله: كعب: رأيت فى التوراة أن سيد الخلق والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يظهر من جبال فاران ويظهر التوحيد والحق، ثم يتنقل إلى طيبة فتكون حروبه وأيامه بها ثم يقبض فيها ويدفن بها [انظر: خير البشر ص ٥٧].
(٣٥٨) مجتبى: مختار.
(٣٦٠) يبتدران: يسبقانه. يقول فى هذا البيت وسابقيه إن كل نبى يأتى يوم القيامة وله نوران، ولتابعه نور واحد، أما سيدنا محمد ﷺ فيأتى نورا كله كل جزء منه يشع بالنور، ويأتى تابعوه ولكل منهم نوران. يشير فى هذا إلى قوله عز وجل: ﴿ **نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ** ﴾ التحريم / ٨.
(٣٦١) تقدّم نعت شعيا وحزقيل للنبى ﷺ وكذا صفات أمته ﷺ كما سيذكرها فى الأبيات التالية.

٣٦٥ - وإذا عَلَوْا شَرَفًا عَظِيمًا كَبَّروا … أصْواتُهُمْ كالنَّحْلِ بالقُرْآنِ

٣٦٦ - فيهِمْ صلاةٌ بَرَّةٌ لَوْ أنَّها … كانَتْ لعَادٍ لَمْ تُصَبْ بهَوَانِ

٣٦٧ - وهُمُ رُعَاةُ الشَّمْسِ والقَمَرِ الَّذى … يَطْوى مَنازِلَهُ عَلَىٰ حُسْبانِ

٣٦٨ - وهُمُ الَّذينَ يُقَاتِلُونَ عِصابَةَ الـ … ـدَّجَّالِ ذى التَّضْليلِ والبُهْتانِ

٣٦٩ - لَمَّا رَأَىٰ مُوسَىٰ الكَليمُ صِفاتِهِمْ … وعَطاءَهُمْ مِنْ عِزَّةٍ وصِيَانِ

٣٧٠ - سَأَلَ اللُّحُوقَ بِهِمْ وتِلْكَ فَضِيلَةٌ … خَلُصَتْ لأُمَّتِهِ بِكُلِّ أَوَانِ

٣٧١ - كانَتْ يَهُودُ بهِ عَلَىٰ أعْدائِهِمْ … يَسْتَفْتِحُونَ بسالِفِ الأزْمانِ

٣٧٢ - وبِوَصْفِهِمْ أضْحَىٰ المُتَوَّجُ تُبَّعٌ … بالمُصْطَفَىٰ العَرَبِىِّ ذَا إيمانِ

٣٧٣ - لكِنَّهُمْ حَسَدُوهُ بَغْيًا فاعْتَدَوْا … كَعُدُوِّهِمْ فى السَّبْتِ بالحِيتانِ

٣٧٤ - هُوَ أحْمَدُ الهَادى السِّراجُ مُحَمَّدٌ … قَتَّالُ أهْلِ الشِّرْكِ والطُّغْيانِ

٣٧٥ - هُوَ شَاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ هُوَ مُنْذِرٌ … ومُبَشِّرُ الأبْرارِ بالرِّضْوانِ

٣٧٦ - هُوَ فَاتِحٌ هُوَ خَاتَمٌ هُوَ حاشِرٌ … هُوَ عَاقِبٌ هُو شَافِعٌ للجَانى

٣٧٧ - وهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللهِ صَفْوَةِ شَيْبَةِ الْـ … ـحَمْدِ بنِ هَاشِمٍ الذَّبِيحِ الثَّانى

٣٧٨ - أصْلُ الدِّيَاتِ فِداؤُهُ مِنْ ذَبْحِهِ الْـ … ـمَنْذُورِ إذْ هُوَ عَاشِرُ الإخْوانِ

٣٧٩ - والأَبْيَضُ الوَجْهِ المُعَظَّمُ جَدُّهُ … شَيْخُ الأبَاطِحِ سَيِّدُ الحُمْسانِ

٣٨٠ - لَمَّا اصْطَفَىٰ اللهُ الخَليلَ وزَادَهُ … شَرَفًا ونَجَّاهُ مِنَ النِّيرانِ

---

(٣٦٥) شرفًا: مكانًا مرتفعًا. (٣٦٦) بَرَّة: جامعة لمعانى الخير كلها.

(٣٦٨) البهتان: أشد الكذب.

(٣٦٩) صيان: حفظ.

(٣٧١) يستفتحون به: يستنصرون بالنبى العربى ﷺ الذى يجدونه عندهم فى التوراة.

(٣٧٣) كعدوِّهم: اعتدائهم ومجاوزتهم أمر الله تعالى. الحيتان: السمك. أمر الله تعالى اليهود بألا يصيدوا يوم السبت، فكانوا يبيتون الشباك فى الماء يوم الجمعة ثم يأخذون هذه الشباك بعد انقضاء يوم السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ** ﴾ البقرة / ٦٥.

(٣٧٧) الذبيح الأول: سيدنا إسماعيل عليه السلام. والذبيح الثانى: عبد الله والد نبينا ﷺ.

(٣٧٩) شيخ الأباطح: سيدنا عبد المطلب بن هاشم، والأباطح: اسم لمكة المكرمة. الحمسان: اسم لمجموعة قبائل عربية هى: قريش وكنانة وجديلة قيس، سمُّوا حُمسًا أو حمسانًا لأنهم تحمَّسوا فى دينهم، أى تشددوا [انظر: النهاية لابن الأثير ١ / ٤٤٠].

٣٨١ - اخْــتــارَ إِسْــمــاعــيــلَ مِنْ أَوْلادِهِ　　وبَنِى كِنانَةَ مِنْ بَنِى عَــــدْنان
٣٨٢ - ثُمَّ اصْطَفَى مِنْهُمْ قُـرَيْشًـا واصْطَفَى　　أَبْناءَ هَاشِمٍ الفَــتَى المِطْعَـــان
٣٨٣ - ثُمَّ اصْطَفَى خَـيْـرَ الأَنَام مُـحَـمَّـداً　　مِنْ هَاشِمٍ فَـسَـمَتْ عَلَى قَـحْطان
٣٨٤ - وأَبَانَ كَـعْبٌ جَـدُّهُ فى خُطْبَـةٍ　　بعَـــرُوبَةٍ فى غَــابِرِ الأَحْــيـــان
٣٨٥ - فَــضْلَ النَّبىِّ ووَدَّ أَنْ يَبْــقَى إِلى　　أَيَّامِــهِ لقِــتَــالِ ذى شَنَآن ٧٧/أ
٣٨٦ - ولَقَـدْ بَدَتْ أَنْوارُهُ بجَـبِـين عَـبْـ　　ـدِ اللهِ ظَاهِرَةً لِـذى عِــرْفَــان
٣٨٧ - وبَدَتْ بآمِنَةَ الحَـصَـان لحَـمْلِهَـا　　بأخَفِّ حَـمْلٍ راجِحِ المِـيـزان
٣٨٨ - حَـتَّى بَدَتْ أَنْوارُهُ فى وَضْـعِـهَـا　　فــرأَتْ قُـصُــورَ الشَّــامِ رُؤْيَةَ دَانى
٣٨٩ - وَضَعَـتْـهُ مَـخْـتـونًا ومَـسْروراً وقَـدْ　　أَهْوَى سُــجُـــوداً مِنْهُ للدَّيَّان
٣٩٠ - ولَدَتْهُ عَـامَ الفِـيلِ يَوْمَ اثْنَيْنِ فــاحْـ　　ـتــازَ الفَــخَــارَ بفَــضْلِه الاثْنان
٣٩١ - برَبِيعٍ الأَدْنَى بثَــانى عَــشْــرِه　　ويُوافِقُ العِــشْــرِينَ مِنْ نَيْــسَــان
٣٩٢ - وتَحَــدَّثَتْ بولادِهِ الأَحْــبَــارُ والـ　　ـرُّهْبــانُ والـوَاعِى مِنَ الكُهَّــان
٣٩٣ - خَـمَـدَتْ لَهُ نَارُ المَجُـوسِ وزُلْزِلَتْ　　مَعَ الانْشِــقَــاقِ جَــوانِبُ الإِيوان

---

(٣٨٣) نظم الشاعر فى الأبيات الأربعة (٣٨٠ : ٣٨٣) قوله ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥/٢٦].

(٣٨٤) كعب: هو الجد الثامن لنبيِّنا ﷺ، وكان يجمع قومه يوم العَروبة، وهو يوم الجمعة، فيعظهم ويذكِّرهم مبعث النبى محمد ﷺ وأنه من ولده، ويأمرهم باتباعه. ومن خطبته التى أشار فيها إلى ظهور النبى ﷺ قوله: سيأتى لحرمكم نبأ عظيم، وسيخرج منه نبى كريم، وأنشد أبياتًا آخرها:

على غــفلة يأتى النبىُّ محــمــدٌ　　فَـيُـخـبـر أخبـاراً صـدوقٌ خـبـيـرها

وكان بين موت كعب وميلاد النبى ﷺ خمسمائة وستون سنة. ويقال إن كعبًا هو أول من قال: أما بعد. وتنسب إلى كعب الخطبة المشهورة المنسوبة إلى قس بن ساعدة [انظر: سيرة ابن هشام ١/٩، السيرة الحلبية ١/٢٥].

(٣٨٥) فضلَ: مفعول (أبان) فى البيت السابق. شنآن: بُغض وعداوة.

(٣٩٠) احتاز: حاز، أى حصل له. والاثنان هو يوم الاثنين، يجوز إعرابه إعرا ب المثنى، كما يجوز إبقاؤه على لفظه بالياء.　　(٣٩١) نيسان: إبريل.

(٣٩٢) سبق ذكر العديد من بشارات الأحبار والرهبان والكُهَّان بنبوة سيدنا محمد ﷺ.

(٣٩٣) وزلزلت: فى الأصل (وذلِّلت) ولعله سهو من الناسخ. وقد تكرر ذكر تزلزل إيوان كسرى وتشققه وخمود نار المجوس لمبعثه ﷺ.

٣٩٤ - ورأىٰ أَنُوشُـروَانُ رُؤْيـا روَّعَـتْ ... منْهُ الفُـؤادَ فَظَلَّ ذَا خَـفَـقَـان

٣٩٥ - فَـمـضَىٰ الرَّسُـولُ إِلىٰ سَطيحٍ سَـائلاً ... فـأتَىٰ الجَـوابُ إِلىٰ أَنُوشُـرْوان

٣٩٦ - أَنْ سَـوْفَ يَظْهَـرُ أمْـرُ دِينِ مُـحَـمَّـدٍ ... حَـتَّىٰ يُزيلَ المُلْكَ منْ سَـاسَـان

٣٩٧ - سَـعـدَتْ حَلِيـمَـةُ ظِئْـرُهُ بِرِضَـاعِـه ... وحَـوَىٰ الفَـخَـارَ رَضِـيـعُـهُ بِلَبَـان

٣٩٨ - ورأتْ به البَـركَـاتِ مُنْذُ غَـدَتْ به ... وأتَانُهَـا فِي الرَّكْبِ خَـيْـرُ أَتَان

٣٩٩ - وغَدَتْ تَدرُّ لَها الشِّيَاهُ العُجْفُ فِي الـ ... ـزَّمَنِ المَـحِـيلِ فـأقْـبَلَ الثَّـدْيان

٤٠٠ - فِي خَـصْلَتَـيْنِ يَفُـوقُ آدَمَ فِـيـهـمـا ... وهُمَـا لأَهْلِ الحَقِّ واضِـحَـتَـان

٤٠١ - شَـيْطانُ آدَمَ كَـافِـرٌ يُغْـوِي وقَـدْ ... وصَلَتْ هِدايَتُـهُ إلى الشَّـيْطان

٤٠٢ - ولِزَوْجِـه عَـوْنٌ عَلَيْـه وإنَّهُ ... بِنِسَـائِه قَـدْ كَـانَ خَـيْـرَ مُـعَـان

٤٠٣ - وخَلِيلَتَـا نُوحٍ ولُوطٍ ضَلَّتَـا ... فَـهُـمَـا بِرَبِّ العَـرْشِ كَـافِـرَتَان

---

(٣٩٥) تروى كتب الأخبار أنه لما ولد سيدنا محمد ﷺ تزلزل إيوان كسرى وسقطت أربع عشرة شرفة من شرفاته، فتشاءم كسرى أنوشروان بذلك، فأحضر كبير كهان المجوس (الموبذان موبذ) ووزيره وولاة مملكته وأخبرهم بما أصاب إيوانه وما حدث من خمود النيران . ثم كتب كسرى إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة يأمره بأن يبعث إليه عبد المسيح الغسَّاني فلما مثل بين يدى كسرى أنوشروان قال له : هل عندك علم ما أريد أن أسألك عنه؟ قال : لا، ولكن ليخبرني الملك عما يريد علمه . فقال أنوشروان : إنما أريد من يعلم أمرى قبل أن أذكره له . فقال عبد المسيح : هذا يعلمه خالٌ لى اسمه سطيح . فذهب عبد المسيح إلى سطيح يسأله فقال سطيح : بعثك ملك آل ساسان لارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان . . . وأخبره أن هذا زمان بعث النبى العربى، وأن من بقى من ملوك الفرس لا يتعدَّى عددهم ما سقط من شرفات الإيوان [خير البشر بخير البشر ص ١٠٠ : ١٠٥] .

(٣٩٧) الظئر : المرضعة . (٣٩٨) الأتان : أنثى الحمار .

(٣٩٩) العجف : جمع عجفاء، وهى الهزيلة . المحيل : المجدب .

(٤٠٠) لابد أن بيتاً أو أكثر سقط قبل هذا البيت، لأن الانتقال مفاجئ .

(٤٠١) قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن » . قالوا : وإياك يا رسول الله؟ قال : « وإياى، إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم، فلا يأمرنى إلا بخير » [صحيح مسلم، ك صفة القيامة والجنة والنار، رقم ٥٠٣٤] .

(٤٠٢) يقول : وكانت زوج سيدنا آدم عليه السلام عوناً عليه، لأن الشيطان أغواها ودخل إلى آدم عن طريقها، أما سيدنا محمد ﷺ فكان نساؤه عوناً له لا عليه .

(٤٠٣) قال الله عز وجل في امرأتي نوح ولوط عليهما السلام : ﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ** ﴾ التحريم / ١٠ .

٤٠٤ - ونِسَاؤُهُ الخَيْراتُ هُنَّ نِسَاؤُهُ ... مَعَ نَاعِمَاتٍ فِي الجِنَانِ حِسَانِ

٤٠٥ - حُرِّمْنَ أنْ يُنْكَحْنَ تَعْظِيمًا لَهُ ... مِنْ بَعْدِهِ وعُصِمْنَ مِنْ بُهْتَانِ

٤٠٦ - وهُوَ الحَبِيبُ ولَمْ تَفُتْهُ خُلَّةٌ ... ولَهُ الكَلامُ ورُؤْيَةُ الرَّحْمٰنِ ٧٧/ب

٤٠٧ - لَوْ أنَّ مُوسَىٰ فِى زمانِ نَبِيِّنا ... أضْحَىٰ لَهُ تَبَعًا ولَمْ يَسْتَانِ

٤٠٨ - ولَذِكْرُهُ المَرْفُوعُ مَقْرونٌ إلىٰ ... ذِكْرِ الإلٰهِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

٤٠٩ - بِحَيَاتِهِ فِي الحِجْرِ أقْسَمَ مَنْ بِهِ ... فِى الشَّرْعِ يُعْقَدُ مُحْكَمُ الأَيْمَانِ

٤١٠ - وبَنَىٰ عَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ وَصْفَهُ ... فَسَمَتْ لَهُ فِى المَجْدِ غُرٌّ مَبانِى

٤١١ - ودَعَا جَمِيعَ أُولِى النُّبُوَّةِ باسْمِهِ ... ودَعَاهُ بالتَّعْظِيمِ فِى القُرآنِ

٤١٢ - وكَذاكَ رَدَّ اللهُ عَنْهُ عَلَىٰ أُولِى الـ ... ـتَّكْذِيبِ رَدَّ مُمَاحِلٍ حَنَّانِ

٤١٣ - وسِواهُ رَدَّ عَلَىٰ الخُصُومِ مُمَاحِلاً ... عَنْ نَفْسِهِ فَتَبَايَنَ الحَالانِ

---

(٤٠٤) الخيْرات: جمع خَيْرة، وهى المرأة الحسنة الخَلْق والخُلُق. يقول إن نساء النبى فى الدنيا هن أزواجه فى الآخرة أيضا.

(٤٠٥) قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا** ﴾ الأحزاب / ٥٣ . قال ابن كثير: أجمع العلماء قاطبة على أن من توفى عنها رسول الله ﷺ من أزواجه يحرم على غيره تزوجها من بعده لأنهن أزواجه فى الدنيا والآخرة، ولأنهن أمهات المؤمنين [تفسير ابن كثير ٣ / ٩١].

(٤٠٦) خُلَّة: صَفْو ومودة.

(٤٠٧) يستان: يستأنى، خفف الهمز لضرورة القافية، وحذفت الياء للجزم، أى لم يبطئ. وفى البيت خصوصية لسيدنا رسول الله ﷺ وهى اتباع موسى له لو كان حيا حال بعثته ﷺ واردة فى الحديث: «لو كان أخى موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى» إرواء الغليل للألبانى.

(٤١٠) غُرّ: فى الأصل (غير) ولعله سهو من الناسخ، لأن مراد الناظم: فأصبح له فى المجد مبان زاهرة مشرقة، أى له الشرف العظيم بما آتاه ربه من خلق عظيم.

(٤١١) في كل نداء للنبى محمد ﷺ خوطب بصفته نبيًّا أو رسولاً. فقال الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ** ﴾ التحريم / ١ ، وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ** ﴾ المائدة / ٦٧ . وخوطب سائر أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، بأسمائهم، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا** ﴾ الصافات/ ١٠٤ ، ١٠٥ . وقوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ** ﴾ الأعراف / ١٤٤ .

(٤١٢) مماحل: مجادل مدافع.

(٤١٣) يشير فى هذا البيت وغيره إلى أن من خصائص سيدنا محمد ﷺ أن الله عز وجل قد تولي الجدال عنه فيما اتهم به، فحين قالوا إنه مجنون قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ** ﴾ التكوير / ٢٢ ، وقالوا: شاعر، فقال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ** ﴾ يس / ٦٩ . وسائر الأنبياء جادلوا عن أنفسهم، فلما قال قوم نوح عليه السلام:=

٤١٤ - ولَمَّا أتَىٰ فى النُّور والحُجُرات مِنْ ... تَعْظيمِه كَافٍ لِذِى إيمانِ

٤١٥ - فَلَقَدْ نُهُوا أنْ يَجْعَلُوهُ كَبَعْضِهِمْ ... عِنْدَ الخطابِ ويَجْهَرُوا بلِسانِ

٤١٦ - وبه سَمَتْ فى النَّاسِ أُمَّتُهُ عَلَىٰ ... مَنْ قَبْلَها بالعَطْفِ والجُبْرانِ

٤١٧ - الآخِرونَ ولَيْسَ عَنْ نَقْصٍ بِهِمْ ... لٰكِنْ بِفَضْلِ مُهَيْمِنٍ مَنَّانِ

٤١٨ - هُمْ يَشْهَدُونَ عَلَىٰ عُيوبِ سِوَاهُمُ ... وعُيوبُهُمْ فى سُتْرَةٍ وصِيَانِ

٤١٩ - وهُمُ الكِرامُ السَّابِقُونَ غَداً وهُمْ ... نِصْفٌ لأهْلِ النُّورِ أو ثُلُثَانِ

٤٢٠ - سُبْحَانَ مَنْ مَنَحَ النَّبِىَّ مُحَمَّداً ... مِنْهُ بحُسْنِ الخَلْقِ والإحْسَانِ

٤٢١ - لكأنَّهُ قَدْ صَاغَهُ مِنْ فِضَّةٍ ... وكَسَاهُ نُوراً سَاطِعَ اللَّمَعانِ

٤٢٢ - مُتَبَلِّجٌ بَادِى الوَضَاءَةِ بَاهِرٌ ... فى الحُسْنِ دَانَ لِنُورِه القَمَرانِ

٤٢٣ - فى الوَجْهِ تَدْوِيرٌ وأُشْرِبَ حُمْرَةً ... فَوقَ البَيَاضِ الزَّاهِرِ الخَدَّانِ

٤٢٤ - رَحْبُ الجَبِينِ تَخَالُ ضَوْءَ جَمَالِه ... كالشَّمْسِ يَوْمَ الصَّحْوِ فى نَيْسَانِ

= ﴿ إنَّا لنراكَ في ضَلالٍ مُبين ﴾ الأعراف / ٦٠ .
فرد نوح عليه السلام: ﴿ قالَ يا قومِ ليس بي ضلالةٌ ولكنّي رسولٌ مِن ربِّ العالمين ﴾ الأعراف / ٦١ .
وكذا غيره من الرسل عليهم السلام.

(٤١٤) تكرر فى سورة النور ذكر الرسول ﷺ معطوفًا على الله عز وجلّ، كما فى الآيات (٤٧ : ٥٣)، ومن الآيات الدالة على تعظيم الرسول ﷺ فى هذه السورة قوله تعالى: ﴿ **لا تجعلوا دُعاء الرَّسول بينكُم كدُعاء بعضكُم بعضًا قد يعلمُ اللهُ الَّذين يتسلَّلون منكُم لِواذًا فليحذرِ الَّذين يُخالِفون عن أمرِه أن تُصيبهم فتنةٌ أو يُصيبهم عذابٌ أليمٌ** ﴾ النور / ٦٣ .
وفى سورة الحجرات أمر بغض الأصوات عند رسول الله ﷺ، ونهى عن سبق النبى ﷺ بقضاء أمر من الأمور، وذلك فى الآيتين الأوليين من السورة ، قال تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذين آمنوا لا تُقدِّموا بين يدي اللهِ ورسولِه واتَّقوا اللهَ إنَّ اللهَ سميعٌ عليمٌ ۝ يا أيُّها الَّذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوقَ صوتِ النَّبيِّ ولا تجهروا له بالقولِ كجهرِ بعضكم لبعضٍ أن تحبطَ أعمالُكم وأنتم لا تشعرون** ﴾ الحجرات / ١ - ٢ .

(٤١٩) جاء فى مسند أحمد عن النبي ﷺ قال: « خُيِّرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتى الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعمّ وأكفى ». قال الشيخ العلامة أحمد شاكر فى الحاشية: إسناد ضعيف . ورجح رواية الطبرانى للحديث بالمعنى نفسه ولكن بسند مغاير.

(٤٢٢) الوضاءة: إشراق الوجه من أثر الوضوء.

(٤٢٣) الزاهر: اللامع.

(٤٢٤) يوم الصحو: الصافى الذى ليس فيه سحاب ولا مطر. وفى الأصل: كالشمس فى الصحو، وهو مكسور.

٤٢٥ - زادَ امْتـدادُ الحَاجِبَيْنِ جَبِينَهُ ... حَتَّىٰ كَأَنَّهُما لَهُ نُونَان

٤٢٦ - كالمِسْكِ نَكْهَتُهُ وأطْيَبُ مَخْبَرًا ... ما حَالَ عَنْهُ بِطِيبِها البُرْدَان

٤٢٧ - لا بِالطَّوِيلِ ولا القَصِيرِ وإنْ مَشَىٰ ... بَيْنَ الطِّوالِ فأقْصَرُ الأغْصان ٧٨/أ

٤٢٨ - لا ظِلَّ فى قِصَرِ الزَّمانِ وطُولِه ... فَوقَ الثَّرَىٰ لِقَوامِه الرَّيَّان

٤٢٩ - مَا قَابَلَ الشَّمْسَ المُنِيرَةَ فى الضُّحَىٰ ... والبَدْرَ وهْوَ بأكْمَلِ الدَّوران

٤٣٠ - إلاَّ تَلأْلأَ نُورُهُ فَعَلاهُما ... فَهُما لَهُ بالفَضْلِ مُعْتَرِفان

٤٣١ - وإذا سَنَىٰ المِصْباحِ قَابَلَ نُورَهُ ... سَلَبَ الذُّبَالَ تَشَعْشُعَ الوَقَدان

٤٣٢ - وإذا الصَّفَا مَسَّتْهُ رَاحَةُ كَفِّه ... أضْحَىٰ الصَّفَا كَعَجِينَةِ العَجَّان

٤٣٣ - والمِسْكُ والكَافُورُ إنْ نُسِبا إلىٰ ... نَفَحَاته فَهُما لَهُ عَبْدَان

٤٣٤ - مَا كَانَ مُفْتَقِرًا إلىٰ رَيَّاهُما ... وهُمَا إلىٰ رَيَّاهُ مُفْتَقِران

٤٣٥ - أوَ مَا سَمِعْتَ بِرَبَّة النِّطْعِ الَّذى ... أضْحَىٰ لَهُ عَرَقُ النَّبِىِّ يُدَانِى

٤٣٦ - فَلَقَدْ حَوَتْهُ فى عَتائِد طِيبِها ... فَشَأَىٰ فُنونَ الطِّيبِ والأَدْهان

٤٣٧ - وأتَتْهُ أُمُّ عَروسٍ الْتَمَسَتْ لَها ... مِنْهُ الَّذى هُوَ مُصْلِحٌ لِلشَّان

---

(٤٢٥) شبه امتداد الحاجبين بحرف النون.

(٤٢٦) النكهة: الرائحة. المخبر: الباطن. ما حال: لم يتغير طيب ريحه.

(٤٢٨) يقول: لم يكن للنبى ﷺ على الأرض ظل، سواء فى الصيف أو فى الشتاء.

(٤٣١) الذبال: شعلة المصباح.
تشعشع: انتشار الضوء. الوقدان: الضياء.

(٤٣٢) الصفا: الحجر.

(٤٣٤) الرَّيَّا: النضارة وطيب الرائحة.

(٤٣٥) ربة: صاحبة. النطع: بساط يفرش. يدانى: يخالطه. وربة النطع هى السيدة أم سليم، أم أنس بن مالك، وكان النبى ﷺ ينام عندها.

(٤٣٦) العتائد: جمع عتيدة، إناء تضع المرأة فيه أعزَّ متاعها، ومما يوضع فيه العطر. شأى: غَلَب وفاق. فنون: أنواع. يشير إلى حديث أنس ﷺ قال: دخل علينا النبى ﷺ فقال (من القيلولة) عندنا فعَرِقَ، وجاءت أمى بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها (أى تمسحه) فاستيقظ النبى ﷺ فقال: يا أم سليم، ما هذا الذى تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله فى طيبنا وهو من أطيب الطيب [صحيح مسلم بشرح النووى، ك الفضائل، باب طيب عرقه ﷺ والتبرك به ١٥ / ٨٧].

(٤٣٧) التمست: طلبت.

٤٣٨ - مَـــلأَ النَّبىُّ لِهـٰـذِهِ قَـــارُورَةً — عَــرَقًــا لَهُ سَـــمَـــحَتْ بِهِ الزَّنْدان

٤٣٩ - كَانتْ تَضُوعُ عَلَىٰ المَدِينَةِ طِيبُـها — فَـيُـقَـالُ : هذا عِطْرُ بِنْتِ فُـلان

٤٤٠ - فَـخْـرُ المَـلابِسِ كُلِّهـا بِجَـمَـالِه — وبِـه تُـزانُ بَـدائِـعُ الأَلْــوان

٤٤١ - يَنْمُــو إذا لَبِسَ البَـيَـاضَ بَهَـاؤُهُ — حَــتَّىٰ يُنَـوِّر مُظْـلِمَ الأَكْـنـان

٤٤٢ - وتَراهُ فِى خُـضْـرِ الثِّـيَـابِ كَـرَوْضَـةٍ — غِبَّ السَّـمـاءِ غَـضـيـضَـةِ الأَفْنان

٤٤٣ - ولَقَـــدْ عَـــلاهُ حُلَّتَـــان تَـرَوَّيا — بِالزَّعْــفَــرانِ الغَضِّ صَــفْــراوَان

٤٤٤ - يُهْـدِى إلىٰ الحَـبْـرِ الفَـخَـارَ إذَا أَتَىٰ — وعَلَيْــــهِ مِنْ يَمَنيِّــهـــا بُرْدَان

٤٤٥ - مِنْ كُلِّ أصْنافِ الثِّـيـابِ لِبَـاسُـهُ — مِنْ قُطْنِهـا والصُّــوفِ والكتَّــان

٤٤٦ - قَــدْ كَــانَ يَلْبَسُ جُـبَّـةً مَـزْرُورَةً — فِى الحَــرْبِ عِنْدَ تَصَـادُمِ الأَقْــران

٤٤٧ - ولَـهُ رِداءٌ أخْــضَـــرٌ يَلْـقَىٰ بِـه — مَنْ جَــاءَ مِنْ وَفْــدٍ مِنَ البُلْدَان

٤٤٨ - وعِــمـامَــةٌ سَــوْداءُ يُشْـرِقُ وَجْـهُـهُ — فِــيـهـا لَهُ مِنْ خَلْفِـه طَرَفـان ٧٨/ب

٤٤٩ - ولَهُ قَلَنْسُــوَةٌ لِيَــوْمِ إقَــامَـــةٍ — ولِـظَعْـنِـهِ أخْـــرَىٰ لَهَـــا أُذُنان

٤٥٠ - شَـرَفُ السَّـراوِيلِ المَـصُونُ بِلُبْسِـهِ — وبِلُبْسِ سَـاقَـيْـهِ سَـمَـا الخُـفَّـان

---

(٤٣٧) التمست : طلبت .

(٤٣٨) قارورة : زجاجة .

(٤٣٩) تضوع : يفوح عطرها . ي
شير فى الأبيات (٤٣٧ - ٤٣٩) إلى ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر والطبرانى عن أبى هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله، إنى زوجت ابنتى وأُحبُّ أن تعيننى . قال : « ما عندى شىء، ولكن ائتنى بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة » . فأتاه فجعل النبى ﷺ يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة وقال : « خذها وأْمر ابنتك أن تغمس هذا العود فى القارورة وتطيب به »، فكانت إذا تطيبت يشم أهل المدينة رائحة الطيب، فسمُّوا بيت المطَّيِّبين [نقلاً عن : حجة الله على العالمين، ص ٤٨٨] والملاحظ أن الذى أتى النبى ﷺ أبوها، بينما الصرصرى ينسب القصة إلى أم الفتاة، ولعل هناك حديثًا آخر فى هذا الخبر .

(٤٤١) الأكنان : الأماكن المستورة .

(٤٤٢) غبَّ : عَقب . السماء : المطر . غضيضة : ناعمة مزدهرة . الأفنان : الأغصان .

(٤٤٤) انظر ماذا أراد بهذا البيت .

(٤٤٦) الأقران : الأمثال فى القوة وغيرها .

(٤٤٧) كان النبى ﷺ يلقى الوفود فى حلة خضراء [البداين والنهاية لابن كثير ١ / ١٨٣] .

(٤٤٩) القلنسوة : شىء كالعمامة يلبس فوق الرأس . الظعن : السفر .

٤٥١ - حُبُّ النَّبيِّ عَلَىٰ النُّفُوسِ مُقَدَّمٌ   والأهْلِ والأوْلادِ والزِّيجَانِ
٤٥٢ - كَلِفَ الجَمَادُ بِحُبِّهِ ودَليلُهُ   مَا جاءَ عَنْ أُحَدٍ وعَنْ حُمْدَانِ
٤٥٣ - مِنْ صِدْقِ حُبِّهِما لَهُ أَفَذُو الحِجىٰ   أوْلَىٰ لَهُ حُبًّا أم الحَجَرانِ؟
٤٥٤ - حَسَنُ الخَلائقِ لَمْ يَكُنْ بِمُعَنِّفٍ   أَحَداً ولا بالفَاحِشِ اللَعَّانِ
٤٥٥ - فَاقَ العَذَارَىٰ فى الخُدُورِ حَيَاؤُهُ   لا شَينَ فيهِ لِصَاحِبٍ أوْ شَانِى
٤٥٦ - مِنْ لُطْفِهِ مَا مَرَّ قَطُّ بِنِسْوَةٍ   إلا وسَلَّمَ أوْ عَلَىٰ صِبْيَانِ
٤٥٧ - وإذا دَعَاهُ المَرْءُ كَانَ جَوابُهُ   لَبَّيْكَ للأصْحَابِ والغِلْمَانِ
٤٥٨ - ولَقَدْ رَوَىٰ أنَسٌ فَقَالَ: خَدَمْتُهُ   عَشْراً فَلَمْ يَنْقَمْ عَلَىٰ لَيَّانِ
٤٥٩ - مَا قَالَ لى أُفٍّ ولا لِمَ عَاتِبًا   فى حَالِ إهْمَالى ولا نِسْيَانى
٤٦٠ - وبِمَسْمَعٍ مِنْهُ ومَرْأىً كَانَ فى   بَيْتِ ابْنَةِ الصِّدِّيقِ جَارِيَتَانِ
٤٦١ - يَتَغَنَّيانِ فأنْكَرَ الصِّدِّيقُ إذْ   قَدْ كَانَ يُضْرَبُ عِنْدَهُ دُفَّانِ

---

(٤٥١) حب النبى مقدم على النفس والأولاد وارد فى حديث: « لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » صحيح مسلم فى الإيمان ب ١٦ رقم ٦٩ ومجمع الزوائد ١ / ٨٨].

(٤٥٢) كَلِفَ بحبه: أحبه حبًّا شديداً. ودليل ذلك ما جاء عن أُحُد، وهو قوله ﷺ وهو متوجه إلى المَدينة لما رأى أحداً: « هذا جبيل يحبنا ونحبه » [البخارى: الفتح، كتاب الزكاة، باب خرص التمر ٣ / ٤٠٣، حديث رقم ١٤٨١، وتكرر فى عدة مواضع أخرى عند البخارى وغيره]. واستخدام صيغة التصغير فى هذا الحديث يفيد مزيد حبه ﷺ لهذا الجبل، وتقديم (يحبنا) دليل على كلف الجماد بحب رسول الله ﷺ ومن آمن به.

(٤٥٣) الحجى: العقل. والاستفهام إنكارى.

(٤٥٥) الخدور: الأماكن المستورة للنساء. الشين: العيب. شانى: شانئ، أى كاره، خفف الهمز لضرورة القافية.

(٤٥٦) من لطفه: فى الأصل: من لقطه، ويمكن قراءتها: من لفظه، ولا معنى لهما، وأقرب صورة لفظية للأصل هو ما أثبته، كما أنه مناسب للمعنى والسياق. وقد روى عن النبى ﷺ أنه كان يسلِّم على الصبيان.

(٤٥٧) روى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال لا [مسلم بشرح النووى، ك الفضائل، باب سخاؤه ﷺ ١٥ / ٧١].

(٤٥٨) حديث أنس هذا سبق ذكره، وهو فى [صحيح مسلم بشرح النووى ١٥ / ٦٩].

(٤٥٩) جاء صدر البيت فى الأصل هكذا: ما قال أف ولم يقل لم عاتبا. ووزنه مكسور، فلعل ما أثبته هو الصواب، وهذا المعنى ضمن حديث أنس المذكور.

(٤٦٢) ذكر فى الأبيات (٤٦٠ : ٤٦٢) الحديث المتفق عليه عن عائشة رضى الله عنها =

٤٦٢ - قـالَ الكَريمُ البَـرُّ : كُفَّ، فـإنَّهـا   أيَّامُ عـيـدٍ، فـاسْـمَـعُـوا إخْـوانِي

٤٦٣ - وحَـديثُ عَـائشَـةَ الرَّضِيُّ وُقُـوفُـهُ   مَـعَـهـا لِيَنْظُرَ فِـرْقَـةَ الحُـبْـشَـانِ

٤٦٤ - كَـانوا بمَـسْـجِـدِه وهُمْ مِنْ ضَـارِبٍ   بِحِـرابِه دَرَقًـا ومِنْ زَفَّـانِ

٤٦٥ - كـانَتْ تَكلُّ وتَسْـتَـرِيحُ وإنَّهـا   بِوُقُـوفِ لا ضَـجِـرٍ ولا تَعْـبَـانِ

٤٦٦ - واسْتَنْشَـدَ الأشْعـارَ مُسْـتَـمِعًا لَهـا   مُـسْـتَـحْـسِنًا مِنْ غَـيْـرِ مـا نُكْرانِ

٤٦٧ - أهْدَىٰ لَهُ العَـبَّـاسُ أبْيَـاتًا بِهـا   مَـدْحٌ يَفُـوقُ قَـلائدَ العِـقْـيَـانِ

٤٦٨ - فَـدعَـا لَهُ وأتَاهُ كَـعْـبٌ مَـادِحًـا   بِقَـصِـيـدَةٍ مَـرْضِـيَّـةِ الأوْزانِ

٤٦٩ - فـأجَـازَهُ ولَطَالَمَـا مِنْ قَـبْـلِه   سَـمِعَ المَدَائِحَ فِيـهِ مِنْ حَسَّانِ ٧٩/أ

٤٧٠ - هُوَ رَحْـمَـةٌ للنَّاسِ مُـهْـدَاةٌ لَهُـم   ولأجْلِ ذَاكَ نَفُـوزُ بالرِّضْـوانِ

= قالت : دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندى جاريتان تغنيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحول وجهه. ودخل أبو بكر فانتهرنى وقال: مزمارة الشيطان عند النبى ﷺ !؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دَعْهما [البخارى: الفتح، ك العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، حديث رقم ٩٤٩ ، ٩٨٧].

(٤٦٣) الحبشان : أهل الحبشة.

(٤٦٤) الدرق : التروس. زَفَّان : راقص، من الزَّفْن.

(٤٦٥) تكل : تتعب. يشير فى الأبيات الثلاثة إلى حديث عائشة رضى الله عنها قالت : رأيت النبى ﷺ يسترنى وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون فى المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبى ﷺ : « دعهم. أمْنًا بنى أرفدة ». يعنى : من الأمن [الفتح، كتاب العيدين، حديث رقم ٩٥٠، ٩٨٨].

(٤٦٦) أخبار استنشاد النبى ﷺ الشعر كثيرة متواترة، بل لقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين تنشده الشعر فيطرب له ﷺ، بل جاء بعض كلامه ﷺ منظومًا دون قصد منه كقوله يوم حنين:

أنـا الـنـبـى لا كَـذب   أنا ابن عـبـد المطلب

(٤٦٧) قلائد : جمع قلادة، وهى العقد. العقيان: نوع من الأحجار الكريمة. وقصيدة العباس بن عبد المطلب فى مدحه ﷺ أورد القاضى عياض بعض أبياتها، ومنها:

وأنتَ لمَّـا ولدت أشـرقت الأر   ضُ وضَـاءت بنـورِكَ الأفُـقُ

فنحن فى ذلك الضيـاء وفيِ النُّو   رِ وسُبْلِ الرشـادِ نخـتـرقُ

يا بردَ نار الخليل يا سـبـبـا   لعـصـمـة النَّارِ وهى تحـتـرق

(٤٦٨) كعب : هو كعب بن زهير صاحب البردة.

(٤٦٩) أجازه : كافأه، وذلك بإهدائه بردته الشريفة. وحسان : هو حسان بن ثابت شاعر النبى ﷺ.

٤٧١ - ومنَ الصِّفاتِ المَعْنَويَّةِ حِلْمُهُ ... والصَّفْحُ عَنْ ذَنْبِ المُسيءِ الجَاني

٤٧٢ - لَقِيَ الأذَىٰ مِنْ قَوْمِهِ ومُرَادُهُ ... إصلاحُهُمْ وهُمُ ذَوُو أضْغَانِ

٤٧٣ - سَألُوهُ تَحْويلَ الصَّفَا ذَهَبًا لَهُمْ ... وزَوالَ شُمٍّ فى الشِّعَابِ رِعَانِ

٤٧٤ - فَهُناكَ خُيِّرَ إنْ يَشَأْ أُعْطُوا الذى ... سَألُوا فإنْ كَفَروا فَرِجْزٌ دَانى

٤٧٥ - ولَقَدْ أتَىٰ مَلَكُ الجِبالِ إليْهِ مِنْ ... رَبِّ السَّماءِ القَاهِرِ السُّلْطَانِ

٤٧٦ - لَوْ شَاءَ طَبَّقَ الأخْشَبيْنِ عَلَيْهِمُ ... لٰكِنْ تَرَبُّصُ رَأْفَةٍ وحَنانِ

٤٧٧ - رَؤُفٌ بأُمَّتِهِ رَحِيمٌ يَتْرُكُ الْـ ... ـعَمَلَ الكَبِيرَ الأجْرِ فى المِيزانِ

٤٧٨ - لا رَغْبَةً عَنْهُ ولٰكِنْ يَقْصِدُ الـ ... ـتَّخْفيفَ عَنْ ضُعَفَاءَ غَيْرِ مِتَانِ

٤٧٩ - ويُريدُ طُولَ صلاتِه فَيُخَفِّفُهَا ... لِسَماعِ صَوْتِ الطِّفْلِ ذى الأشْجانِ

٤٨٠ - عِلْمًا بِحُرْقَةِ أُمِّهِ لِبُكَائِهِ ... هَذَا لَعَمْرُكَ مُصْطَفَىٰ الرَّحْمٰنِ

٤٨١ - ولَقَدْ بَكَىٰ ودَعَا لأُمَّتِهِ إلىٰ ... أنْ جَاءَهُ فِيهِمْ جَوابُ أمَانِ

٤٨٢ - ولَهُ مِنَ الرَّحْمٰنِ عَهْدٌ أنَّهُ ... مَنْ سَبَّ مِنْ أصْحَابِه بِلِسَانِ

٤٨٣ - أو ظَلَّ يَجْلِدُهُ ويَلْعَنُهُ فَفِى ... هَذا لِذلِكَ أعْظَمُ القُرْبَانِ

٤٨٤ - ولَهُ التَّواضُعُ صَحَّ مِنْ شَرَفٍ لَهُ ... شَهِدَتْ لَهُ بِكَمالِه الدَّارَانِ

٤٨٥ - قَدْ كَانَ يخْصِفُ نَعْلَهُ فى بَيْتِهِ ... وكَذاكَ يَرْقَعُ مُخْلَقَ القُمْصانِ

٤٨٦ - ونَهَىٰ الصَّحَابَةَ أنْ يُقَامَ لَهُ وأنْ ... يُطْرَىٰ وأنْ يُوطَىٰ لَهُ عَقِبَانِ

---

(٤٧٣) الصفا: جبل بمكة. شم: جبال عالية. الشعاب: الطرق الجبلية. رعان: جمع أرعن، وهو الجبل المرتفع.

(٤٧٤) رجز: عذاب.

(٤٧٦) الأخشبين: الجبلين. تربص: انتظار.

(٤٧٨) رغب عن الشيء: انصرف عنه ولم يُرِدْه. يقول: إن النبى ﷺ كان يختار الأسهل فى كل الأمور، رغبة فى التخفيف على الضعفاء من أمته.

(٤٨٤) الداران: الأرض والسماء، أى سكانهما.

(٤٨٥) يخصف نعله: يصلحه. مُخلق: قديم ممزق.

(٤٨٦) نهى النبى ﷺ أصحابه أن يَقوموا له، كما نهى عن المبالغة فى مدحه ﷺ. يوطى: يوطأ، فخفف الهمز لإقامة الوزن. ومعنى نهيه ﷺ أن يوطأ له عقبان: نهيه الناس أن يمشوا خلفه لحراسته أو كما يمشون خلف الملوك. جاء فى مسند أحمد عن: عبد الله بن عمرو عن أبيه قال: ما رأيت رسول الله ﷺ يأكل متكئًا قط، ولا يَطَأ عقبيه رجلان [مسند أحمد ١٠/ ٥٨، حديث رقم ٦٥٤٩، ٦٥٦٢].

٤٨٧ - رَكِبَ الحِمارَ بِغَيْرِ سِرْجٍ مُوكَفًا   واللِّيفُ كَانَ لَهُ مِنَ الأَرْسانِ

٤٨٨ - وقَضَىٰ اليَتامَىٰ والأَرامِلَ حَاجَهُمْ   وكَذاكَ حَاجَةَ أَعْبُدٍ وقِيَانِ

٤٨٩ - وأجَابَ دَعْوَةَ مَنْ دَعَا ولَوَ انَّهُ   عَبْدٌ يُباعُ بأحْقَرِ الأَثْمانِ

٤٩٠ - وَرآهُ إنْسانٌ فأُرْعِدَ هَيْبَةً   قَالَ الجَليلُ القَدْرِ للرَّعْبَانِ ٧٩/ب

٤٩١ - ولقَدْ رأَىٰ مَلَكًا فَخَيَّرَهُ عَلىٰ   مَا شَاءَ مِنْ أمْرَيْنِ يُشْتَرَطانِ :

٤٩٢ - إنْ شَاءَ عَبْدًا مُرْسَلاً أوْ إنْ يَشَأْ   مَلَكًا رَسُولاً كَانَ ذَا سُلْطانِ

٤٩٣ - فاخْتارَ عَبْدًا مُرْسَلاً مُتَواضِعًا   للهِ رَبِّ العِزَّةِ الدَّيَّانِ

٤٩٤ - وهُوَ الجَوادُ فَلَيْسَ يَمْنَعُ سَائِلاً   مَا قَالَ لا فى العُدْمِ والوُجْدانِ

٤٩٥ - بَادِى البَشَاشَةِ بَاسِمٌ لِوُفُودِهِ   يَهْتَزُّ مِنْهُ للنَّدَىٰ العِطْفانِ

٤٩٦ - كَفَّاهُ أسْخَىٰ بالعَطاءِ لِوافِدٍ   مِنْ وابِلِ الجَوْدِ المُنِيفِ الدَّانِى

٤٩٧ - سَبْعِينَ ألْفًا فَضَّها فى مَجْلِسٍ   لَمْ يَبْقَ مِنْها عِنْدَهُ فَلْسانِ

٤٩٨ - وأَتَاهُ أعْرابِىٌّ الْتَمَسَ النَّدَىٰ   أعْطاهُ شَاءً ضَمَّها جَبَلانِ

---

(٤٨٧) عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ويجيب دعوة العبيد ، وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف [الشفا ١ / ١٣١] .

(٤٨٨) حاجهم : حاجاتهم . أعبد : عبيد . قيان : إماء .

(٤٨٩) سبق ذكر هذا المعنى فى (٤٨٧) .

(٤٩٠) أرعد : ارتعد من هيبة النبى ﷺ . الرعبان : الخائف المرعوب ، ومقول القول غير مذكور فلعل بيتًا سقط سهوًا من الناسخ . والمعروف أن النبى ﷺ قال للرجل الذى أصابته من هيبته رعدة : « هوِّن عليك فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد [الشفا ١ / ١٣٣] .

(٤٩٣) جاء فى مسند الإمام أحمد : جلس جبريل إلى النبى ﷺ فنظر إلى السماء فإذا مَلَكٌ ينزل فقال جبريل إن هذا الملك ما نزل منذ خُلِقَ قبلَ الساعة ، فلما نزل قال : يا محمد ، أرسلنى إليك ربُّك قال : أفَمَلكًا نبيًّا يجعلك ، أو عَبدًا رسولاً ؟ فقال جبريل : تواضع لربِّك يا محمد . قال : بل عبدًا رسولاً [مسند أحمد ١٢ / ١٤٢ - ١٤٣ ، حديث رقم ٧١٦٠] .

(٤٩٤) العُدم : الفقر . الوجدان : الغنى .

(٤٩٥) بادى : ظاهر . البشاشة : طلاقة الوجه . الندى : الكرم . العطفان : الجانبان ، واهتزاز العطفين كناية عن السرور البالغ .

(٤٩٦) وابل : غزير . الجود : المطر . المنيف : العالى .

(٤٩٧) فضَّها : فرقها ، وفى الأصل : ضمها . وقد سبق ذكر هذا الخبر بلفظ (فضَّها) ، وهو هكذا فى نص الحديث .

(٤٩٨) شاء : جمع شاة . وسبق ذكر هذا الخبر أيضًا .

٤٩٩ - ولكانَ أجْـودَ مَـا يَكُونُ يَمِـينُهُ ... بالخَيْـرِ والمَعْـروفِ فى رَمَضَـانِ

٥٠٠ - أيَّامَ يَنْزِلُ جِبْـرَئيلُ إلَيْـهِ مِنْ ... رَبِّ العُـلا لِدراسَـةِ القُـرآنِ

٥٠١ - وهُوَ الوَفِىُّ الصَّـادِقُ الوَعْـدِ الَّذى ... مـا كَـانَ يَوْمًـا مُخْلِفَ العُهْـدَانِ

٥٠٢ - أوَمَـا سَمِـعْتَ بِصِـدْقِـهِ ووفَـائِه ... إذْ كَـانَ واعَـدَ صَاحِـبًـا لِمَكَانِ

٥٠٣ - فَـأقَـامَ يَرْقُـبُـهُ ثَلاثًا لَمْ يَرِمْ ... حَـتَّىٰ أتَاهُ الصَّـاحِبُ المُـتَـوَانِى

٥٠٤ - وهُوَ الشُّـجـاعُ الفَـارِسُ الكَرَّارُ عِنْـ ... ـدَ تَقَـاعُسِ الشُّـجْـعانِ والفُـرْسَـانِ

٥٠٥ - والكُفْءُ يَوْمَ حُنَيْنٍ الثَّـبْـتُ الَّذى ... لَمَّـا تَوَلَّوْا كَـانَ غَـيْـرَ جَـبَـانِ

٥٠٦ - كـانُوا إذَا حَـمِىَ الوَطِيسُ وأُشْـرِعَتْ ... نَحْـوَ الصُّـدُورِ ذَوَابِلُ المـرَّانِ

٥٠٧ - لَجَـأُوا إلَيْـهِ وأيْقَنُوا بِصِـيَـالِه ... فَـحَـمِىٰ وذَبَّ بِمُـرْهَفٍ وسِنَانِ

٥٠٨ - يَغْـشَىٰ عَـجـاجَـةَ كُلِّ حَـرْبٍ بَاسِـلاً ... فـى كُـلِّ يَـوْمٍ لِلـخُـطُوبِ عَـوَانِ

٥٠٩ - فَـيَكُفُّ شِـرَّتَهـا ويَجْلُو نَقْـعَـهـا ... بِمُـهَنَّدٍ مَـاضِى الغِـرارِ يَمَـانِى

٥١٠ - وعَـرَا المَـدِينَةَ لَيْلَةً فَـزَعٌ فَلَمْ ... يَسْـبِـقْـهُ ذُو فَـرَسٍ مِنَ السُّـرْعَـانِ

٥١١ - ومَـضَىٰ يَؤُمُّ الصَـوْتَ وهْوَ مُـقَلَّدٌ ... بالسَّـيْفِ فَـوقَ مُطَهَّمٍ عُـرْيانِ ١٨٠/أ

---

(٥٠١) العهدان: العهود.

(٥٠٣) لم يرم: لم يغادر مكانه. المتواني: المبطئ.

(٥٠٤) الكرَّار: الذي يكرّ على أعدائه أي يقاتلهم مواجهة. التقاعس: التراخي والتخاذل. وكلمة (الشجعان) في عجز البيت زيادة على الأصل يقتضيها الوزن.

(٥٠٥) الثبت: الشجاع الثابت. وسبق ذكر أخبار ثبات النبي ﷺ يوم حنين وقد فرَّ الفرسان من حوله إلا نفرًا قليلين.

(٥٠٦) حمي الوطيس: اشتدت الحرب، وأصل الوطيس: حجارة بيضاء مدورة تتقد عندما يشتد الحر، فاستعير هذا للتعبير عن اشتداد الحرب. ذوابل: رماح. المرَّان: القوية.

(٥٠٧) الصيال: الهجوم على العدو. ذبَّ: دافع. المرهف: السيف. السنان: الرمح.

(٥٠٨) يغشى: يخوض. العجاجة: غبار المعركة. عوان: تكرر فيه القتال مرة بعد أخرى، وهو صفة لـ(يوم).

(٥٠٩) الشِّرَّة: الحدَّة والعنف. النقع: الغبار. المهند: السيف. ماضي الغرار: قاطع الحد. يماني: منسوب إلى اليمن.

(٥١٠) عرا: أصاب. السرعان: السراع.

(٥١١) يؤم: يقصد. مطهَّم: صفة لموصوف محذوف، أي فرس مطهم، وهو الحَسَن التامُّ الخَلْق.

٥١٢ - وأتَىٰ يُنادى: لَنْ تُراعُوا، فَارْجِعوا ... بأتَمِّ مَنٍّ يُرْتَجَىٰ وأمَانِ

٥١٣ - هَلْ فى السُّيُوف كذِى الفَقارِ ومِخْذَمٍ ... ولَحيفَ حَتْفِ كَتَائبِ الشُّجْعانِ؟

٥١٤ - ورَسُوبِ المَاضِى وبَتَّارِ الطُّلَىٰ ... أوْ فى القِسِىِّ كَقَوْسِهِ المِرْنانِ؟

٥١٥ - هَلْ فى الرِّماحِ الشَّارعاتِ كَرُمْحِه الْـ ... خَطِّىِّ ذى التَّثْقِيفِ والعَتَلانِ؟

٥١٦ - هَلْ فى الحِرابِ كَمِثْلِ حَرْبَتِه الَّتى ... شَرُفَتْ بِهَا الجُمُعاتُ والعِيدانِ؟

٥١٧ - هَلْ فى الدُّروعِ السَّابغاتِ كَدِرعِهِ ... ذَاتِ الفُضُولِ مَظَنَّةِ الإحْصانِ؟

٥١٨ - ولَهُ اللواءُ الأبْيضُ المَنْصُورُ ذُو الـ ... ـظِّلِّ الظَّلِيلِ الشَّامِلِ الفَيْنَانِ

٥١٩ - كُتِبَتْ عَلَيْهِ شَهَادَتَان هُمَا لِمَنْ ... أوْلاهُمَا الإخْلاصَ مُنْجِيَتَانِ

٥٢٠ - والرَّايَةُ السَّوْداءُ أشْرَفُ رَايَةٍ ... وهِىَ العُقَابُ عُقَابُ كُلِّ مُهانِ

٥٢١ - شَرُفَ القَضِيبُ الخَيْزُرانُ بِكَفِّهِ ... إذْ كَانَ يُمْسِكُهُ بِخَيرِ بَنانِ

---

(٥١٢) لن تراعوا: لن يصيبكم ما يروعكم. مَنّ: نعمة من الله. يشير فى الأبيات الثلاثة إلى ما روى فى الصحيحين عن أنس ﷺ قال: كان النبى ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس. ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قِبَلَ الصوت، فاستقبلهم النبى ﷺ وكان قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول: لم تراعوا، لَم تراعوا، وهو على فرس لأبى طلحة عُرْى ما عليه سرج، وفى عنقه سيف [الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء ١٠ / ٤٧٠ ، حديث ٦٠٣٣].

(٥١٣ : ٥١٤) ذو الفقار، ومخذم ولَحيف والرسوب والبتار: أسماء سيوف للنبى ﷺ ، أشهرها ذو الفقار وكان لا يفارقه فى حرب من الحروب. القسى: جمع قوس.
المرنان: اسم قوس للنبى ﷺ .

(٥١٥) الشارعات: الموجهة نحو أهدافها. الخَطِّىّ: المنسوب إلى خَطّ، وهى بلدة معروفة برماحها الجيدة. التثقيف: صقل الرمح صقلاً جيداً.
العتلان: الشدة.

(٥١٦) كان للنبى ﷺ حربة تسمَّى العنزة كانت توضع بين يديه ويصلى إليها.

(٥١٧) السابغات: التامة الطول. ذات الفضول: اسم درعه ﷺ . مظنة الإحصان: التى يُظنّ أنها تحصن صاحبها [راجع فى سلاح النبى ﷺ : السيرة الحلبية ٣ / ٤٦١ وما بعدها].

(٥١٨) اللواء: العلم الكبير. ذو الظل الظليل: كناية عن تنزل الرحمة والمدد الإلهى لمن استظل بظل الرسول ﷺ . الفينان: الظليل.

(٥٢٠) أخرج أصحاب السنن عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض [سنن الترمذى، كتاب الجهاد، حديث رقم ١٦٠٤] اللواء العلم الكبير، والراية العلم الصغير.

(٥٢١) القضيب: العصا.

٥٢٢ - وعَصَاهُ لَمَّا مَسَّها بيَمينه ... فَضَلَتْ عَصًا صَارَتْ إلَىٰ ثُعْبان

٥٢٣ - وهُوَ الفَصِيحُ اللَفْظِ ذُو الحِكَمِ الَّتِى ... أرْبَتْ بَلاغَتُها علَىٰ لُقْمَان

٥٢٤ - جَمَع الفَوائِدَ باخْتِصارٍ مُحْكَمٍ ... لَفْظٌ يَسيرٌ فى غَزِيرِ مَعَانِى

٥٢٥ - وكَلامُهُ الفَصْلُ المُبِينُ ونَثْرُهُ ... يَسْمُو عُقُودَ الدُّرِّ والمَرْجان

٥٢٦ - حُلْوُ الحَدِيث إذا تَكَلَّمَ نَاطِقًا ... فالحَقُّ مَا فَاهَتْ به الشَّفَتَان

٥٢٧ - مَا كَانَ يَسْرُدُ بَلْ يَعُدُّ كَلامَهُ ... عَدًّا لِيَعْقِلَهُ ذَوُو الأذْهان

٥٢٨ - كَتَب ابْنُ عَمْرٍو مَا يَقُولُ لأجْلِه ... إذْ كانَ حَقًّا وَاضِحَ البُرْهان

٥٢٩ - عَجِبَ الصَّحابَةُ مِنْ فَصاحَةِ لَفْظِه ... وبَلاغَةٍ فِيهِ وحُسْنِ بَيان

٥٣٠ - قَالوا: نَشَأتَ بأرْضِنا ولِسانُنَا ... عِنْدَ الفَصَاحَةِ عَنْ لِسانِكَ وَانِى

٥٣١ - فأشَارَ إنَّ لِسانَ إسْمَاعِيلَ قَدْ ... كَانَ انْطَوَىٰ حِينًا مِنَ الأزْمان

٥٣٢ - فَحَبَاهُ رَبُّ العَرْشِ باللُّغَةِ الَّتِى ... دَرَسَتْ وضَلَّتْ عَنْ بَنِى عَدْنان ٨٠/ب

٥٣٣ - واللهُ أدَّبَهُ فأحْسَنَ رَبُّهُ ... تأْديبَهُ فى السِّرِّ والإعْلان

٥٣٤ - ولَهُ صَرِيحُ الزُّهْدِ صَحَّ لأنَّهُ ... عُرِضَتْ عَلَيْهِ أماكِنُ البُطْحان

---

(٥٢٢) فضلت: صارت أفضل من عصا موسى عليه الصلاة والسلام.

(٥٢٣) أربت: زادت. ولقمان هو الحكيم صاحب الوصايا المعروفة المذكورة فى سورة لقمان.

(٥٢٥) يسمو: يفوق، وعدَّاه بنفسه لتضمنه معنى (يعلو ويفوق).

(٥٢٦) فاهت: نطقت.

(٥٢٧) يسرد الكلام: يفصِّله ويبيِّنه. يعدُّ كلامه: يظهره إظهاراً لا مزيد عليه، فلو أراد السامع أن يَعُدَّ كلامه لأمكنه ذلك.

(٥٢٨) ابن عمرو: هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وكان يكتب الحديث عن رسول الله ﷺ.

(٥٣٠) واني: بطيء لا يلحق ببلاغته ﷺ. وقد عقد القاضى عياض فصلاً فى (الشفا) لفصاحة النبى ﷺ، ومما جاء فى هذا الفصل: كان ﷺ يخاطب كل أمة بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها، حتى كان كثير من أصحابه يسألونه فى غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله [الشفا ١ / ٧٠].

(٥٣١) انطوى: ذهب وانقرض.

(٥٣٢) حباه: وهبه. درست: انقرضت.

(٥٣٤) البطحان: الصحارَى.

٥٣٥ - ذَهَبًا فَقَالَ: أكُونُ يَوْمًا جَائِعًا ... وإذا شَبِعْتُ أكُونُ ذَا شُكْرَانِ

٥٣٦ - كَمْ شَدَّ مِنْ سَغَبٍ بِأحْجَارٍ وكَمْ ... أضْحَىٰ عَلَىٰ اللَّزَبَاتِ ذَا إدْمَانِ

٥٣٧ - مَا كَانَ مُدَّخِرًا مِنَ الأقْوَاتِ مَا ... قَدْ كَانَ فِى يَومٍ لِيَوْمٍ ثَانِى

٥٣٨ - مَا كَانَ يَنْخُلُ قُوتَهُ كَلاً ولا ... أكَلَ النَّبِىُّ مُرَقَّقَ الرُّغْفَانِ

٥٣٩ - واللِّيفُ حَشْوُ وِسَادِه وقَمِيصُهُ ... مِنْ أغْلَظِ المَنْسُوجِ فِى الأقْطَانِ

٥٤٠ - وقَضَىٰ بِلالٌ دَيْنَهُ ثُمَّ انْثَنَىٰ ... ولَدَيْهِ بَعْدَ الدَّيْنِ دِينَارَانِ

٥٤١ - فَثَوىٰ بِمَسْجِدِه إلَىٰ أنْ فُرِّقَا ... يَوْمَيْنِ لا يأوِى إلَىٰ جُدْرَانِ

٥٤٢ - وهُوَ الكَرِيمُ الطَّاهِرُ المَحْفُوظُ مِنْ ... مِيلادِه مِنْ نَظْرَةِ الخَتَّانِ

٥٤٣ - وإذَا تَخَلَّىٰ لا يُرَىٰ مِنْ بَعْدِه ... أثَرٌ لِمَا يَبْدُو مِنَ الإنْسَانِ

٥٤٤ - كَانَ الوُضُوءُ لِكُلِّ وَقْتٍ دأبَهُ ... لَمْ يَجْتَمِعْ لِوُضُوئِه وَقْتَانِ

---

(٥٣٥) قالت السيدة عائشة رضى الله عنها: لقد مات - أى النبى ﷺ - وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رفٍّ لى، وقال لى: «إنى عُرض علىَّ أن يُجعَلَ لى بطحاءُ مكة ذهبًا فقلت: لا يارب، أجوع يومًا وأشبع يومًا، فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذى أشبع فيه أحمدك وأثنى عليك» [سنن الترمذى، ك الزهد، حديث رقم ٢٢٧٠].

(٥٣٦) سغب: جوع شديد. اللزبات: الشدائد.

(٥٣٨) جاء فى صحيح البخارى عن قتادة قال: كنَّا نأتى أنس بن مالك وخبازه قائم وقال: كُلوا فما أعلم النبىَّ ﷺ رأى رغيفًا مرققًا حتى لحق بالله [الفتح، ك الرقاق، باب كيف كان عيش النبى ﷺ وأصحابه وتخليهم عن الدنيا ١١ /٢٨٧ ، حديث رقم ٦٤٥٧ ، وانظر بقية أحاديث الباب].

(٥٤١) ثوى: أقام.

(٥٤٣) تخلَّى: ذهب إلى الخلاء لقضاء الحاجة. ومن خصائص النبى ﷺ أن الأرض كانت تبتلع ما يخرج منه. روى البيهقى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الغائط دخلت فى إثره فلا أرى شيئًا إلا أنِّى كنت أشم رائحة الطيب، فذكرت ذلك له فقال ﷺ: «يا عائشة، أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة، وما خرج منها من شىء ابتلعته الأرض» وعلَّق البيهقى على هذا الحديث بقوله: هذا من موضوعات الحسين ابن علوان، لا ينبغى ذكره ففى الأحاديث الصحيحة والمشهورة فى معجزاته كفاية عن كذب ابن علوان [دلائل النبوة ٦ / ٧٠]. قال فى اللفظ المكرم: سئل الحافظ المقدسى عما كان يخرج منه ﷺ تبلعه الأرض، فقال: قد روى ذلك من وجه غريب، والظاهر يؤيده فلم يذكر عن أحد من الصحابة أنه رآه ولا ذكره [اللفظ المكرم ٢ / ٥٦٦].

(٥٤٤) دأبه: عادته المستمرة.

٥٤٥ - رَغَبًا إِلىٰ نُورٍ عَلَىٰ نُورٍ، سِوىٰ صَلَوَاتِ يَومِ الفَتْحِ والإمْكَانِ

٥٤٦ - وبِقَبْرِه المَلَكُ الشَّرِيفُ مُوكَّلٌ لِيُبَلِّغَ التَّسْلِيمَ لِلبُعْدَانِ

٥٤٧ - لَكِنْ إذا مَا المَرْءُ قَامَ تجاهَهُ رَدَّ السَّلامَ عَلَىٰ القَرِيبِ الدَّانِى

٥٤٨ - وهُوَ الطَّرِىُّ بِقَبْرِه مَا لِلْبِلَىٰ والحَادثاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطانِ

٥٤٩ - وإذا الفَتَىٰ صَلىٰ عَلَيْهِ مَرَّةً مِنْ سَائِرِ الآفاقِ والبُلْدَانِ

٥٥٠ - صَلَّىٰ عَلَيْهِ اللهُ عَشْرًا فَلْيَزِدْ عَبْدٌ ولا يَجْنَحْ إلىٰ نُقْصَانِ

٥٥١ - مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ إنْ ذُكِرَ اسْمُهُ فَهُوَ البَخِيلُ، وزِدْهُ وَصْفَ جَبَانِ

٥٥٢ - ومَنْ رآهُ فِى المَنَامِ فَإِنَّهُ فِى صِحَّةِ الرُّؤْيا كَما اليَقْظانِ

٥٥٣ - ولَقَدْ أتَىٰ مَعْنَىٰ حَديث: أيُّمَا عَبْدٍ رآنى فى المَنامِ رآنى ١/٨١

٥٥٤ - لا يَسْتَطيعُ تَمَثُّلاً أبَدًا بِهِ مَنْ رَامَ هَذا الأمْرَ مِنْ شَيْطانِ

٥٥٥ - بَلْ مَنْ رآهُ فَقَدْ رَأىٰ الحَقَّ الذى لا شَكَّ فيهِ عِنْدَ ذى الإتْقانِ

٥٥٦ - وهُوَ الَّذى يَنْشَقُّ عَنْهُ ضَرِيحُهُ قَبْلَ الأنَامِ وبَعْدَهُ العُمَرانِ

٥٥٧ - وهُوَ الكَثِيرُ التَّابِعِينَ إذا أتَىٰ تَبَعُ النَّبِىِّ النَّفْسُ والنَّفْسَانِ

٥٥٨ - يرِدُ المَعَادَ عَلَىٰ البُرَاقِ وغَيْرُهُ تَسْعَىٰ بِهِ لِلمَوْقِفِ الرِّجْلانِ

---

(٥٤٥) رغبًا إلى . . . : حُبًّا فى ذلك . الإمكان : تمكين الله عز وجل لنبيه ﷺ . يقول إن النبى ﷺ كان يتوضأ لكل صلاة، فلما كان يوم الفتح صلّى الصلوات كلها بوضوء واحد .

(٥٤٧) المرء : فى الأصل : القبر . ولا معنى له، فلعل ما أثبته هو الصواب .

(٥٤٨) الطرى : يريد : الذى يبقى جسمه نديًّا فلا يبلى .

(٥٥٠) يجنح : يميل .

(٥٥١) نظم هنا معنى قوله ﷺ :« البخيل الذى إن ذكرت عنده فلم يُصَلِّ علىَّ » [سنن الترمذى، ك الدعوات، حديث رقم ٣٤٦٩] وزاد الناظم أنه يستحق وصفه بالجبان .

(٥٥٢) عجز هذا البيت مكسور الوزن، ولعله : فى صِحَّةٍ رُؤْياهُ كاليَقْظَانِ .

(٥٥٤) رام : أراد . و(من) زائدة .

(٥٥٥) الحديث المشار إليه هو قوله ﷺ : « من رآنى فى المنام فقد رآنى، فإن الشيطان لا يتمثل بى » [رواه الستة وغيرهم، انظر: البخارى، كتاب التعبير رقم ٦٤٧٨ ، مسلم: كتاب الرؤيا، رقم ٤٢٠٦] .

(٥٥٦) جاء فى الحديث الصحيح أنه ﷺ : أول من ينشق عنه القبر [مسلم، كتاب الفضائل، ١٥ /٢٧] . العمران : أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق رضى الله عنهما .

٥٥٩ ـ وبلالُ بَيْنَ يَدَيْهِ راكِبُ نَاقَةٍ ... حَمْراءَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بأَذَانِ

٥٦٠ ـ ويَزُفُّهُ سَبْعونَ أَلْفَ مُقَرَّبٍ ... والنَّاسُ مِنْ مَثْنًى ومِنْ وُحْدَانِ

٥٦١ ـ والخَلْقُ تَحْتَ لِوائِهِ مِنْ آدمَ الْـ ... أعْلَىٰ إلىٰ عِيسىٰ هُما الرُّوحَانِ

٥٦٢ ـ هُوَ صَاحِبُ الحَوْضِ الَّذى مِنْ جَنَّة الْـ ... ـفِرْدَوْسِ يَسْكُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ

٥٦٣ ـ مِقْدارُ شَهْرٍ عَرْضُهُ مِنْ أَيْلَةَ الْـ ... ـقُصْوَىٰ كَذا يُرْوَىٰ إلى عَمَّانِ

٥٦٤ ـ أكْوابُهُ ذَهَبٌ تَلُوحُ وفِضَّةٍ ... بَيْضاءَ هُنَّ لَدَيْهِ خَيْرُ أَوَانِى

٥٦٥ ـ عَدَدَ النُّجُومِ الزُّهْرِ قَدْ صُفَّتْ عَلىٰ ... أرْجائه مِنْ أشْرَفِ الكِيزانِ

٥٦٦ ـ أحْلَىٰ مِنَ العَسَلِ المُصَفَّىٰ مَاؤهُ ... وبَياضُهُ أنْقَىٰ مِنَ الألْبانِ

٥٦٧ ـ يُرْبِى عَلىٰ مِسْكٍ تَضَوَّعَ رِيحُهُ ... مَنْ ذَاقَهُ لَمْ يُلْفَ بالظَّمْآنِ

٥٦٨ ـ ولَهُ الشَّفاعَةُ يَوْمَ يُحْتَبَسُ الوَرَىٰ ... فى الكَرْبِ مِنْ عَرَقٍ إلىٰ الأذْقانِ

٥٦٩ ـ وهُوَ المُجِيزُ عَلَىٰ الصِّراطِ وإنَّهُ ... فَرَطٌ لِعنْدِ الحَوْضِ والمِيزانِ

٥٧٠ ـ وهُوَ المُبَادِرُ قَرْعَ بَابِ الجَنَّة الْـ ... ـفَيْحاءِ ذَاتِ النَّخْلِ والرُّمَّانِ

٥٧١ ـ فَيُقالُ: مَنْ هذا؟ يقولُ: مُحَمَّدٌ ... واللهُ قَدْ أوْحَىٰ إلىٰ رِضْوانِ

٥٧٢ ـ أنْ لَيْسَ يَفْتَحُها لِخَلْقٍ قَبْلَهُ ... أو قَبْلَ أُمَّتِهِ ذَوى الرُّجْحانِ

---

(٥٦١) آدم وعيسى عليهما السلام هما الروحان، فسيدنا عيسى عليه السلام وصف فى القرآن الكريم بقوله عز وجل:
﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء ١٧١ .
وسيدنا آدم هو أول من نفخ فيه الروح من البشر. وفى الأصل: هم الروحان، ولا يجوز نحويًّا لأن الضمير يعود على اثنين (عيسى وآدم).

(٥٦٢) ميزابان: نهران من أنهار الجنة.

(٥٦٣) روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى ذر ر قال فى صفة الحوض: عرضه مثل طوله ما بين عمَّان إلى أيلة [مسلم بشرح النووى ١٥ / ٦٢].

(٥٦٧) فى الأبيات السابقة يذكر الناظم بقية صفات الحوض كما وردت فى الحديث المذكور وغيره من أحاديث صحيحة متواترة عن عدد من الصحابة رضى الله عنهم.

(٥٦٩) المجيز: الذى يسبق الناس ويتقدمهم ليهيئ لهم عبوره وييسره لهم، ومثله (فَرَط).

(٥٧٠) المبادر: السابق.

(٥٧٢) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «آتى بابَ الجنَّة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرتُ ألا أفتح لأحد قبلك» [الشفا ١ / ٢٠٩].

٥٧٣ - ولَهُ مَـزِيدٌ لا انْتِـهـاءَ لَهُ كَـمَـا ... لا مُنْتَـهَىٰ لِمـواهِبِ الرَّحْـمٰـنِ

٥٧٤ - صَلَّىٰ عَلَيْـه ذُو المَـعـارِجِ رَبُّهُ ... أزْكَى صَلاةٍ مَا رَسَا الحَسَنَانِ ٨١/ب

٥٧٥ - وعَلَىٰ صَحـابَتِـه الكرامِ وأهْلِه الْـ ... أطْـهـارِ والأزْواجِ والوِلْدَانِ

٥٧٦ - هَذَا الَّذى أدَّتْ إليْـه قَـرِيحَـتى ... وأعَـانَهـا بالصِّدْقِ فيـه لِسانى

٥٧٧ - بِمَـديحِـه العَطِرِ المُنِيفِ تَعطَّرَتْ ... وتَطهَّـرَتْ وتَنوَّرَتْ أوْزانى

٥٧٨ - يُعْطِى القَـرِيضَ نَضـارَةً وغَـضَـارَةً ... وفَـصاحَـةً تُرْبِى عَلَىٰ سَـحْبـانِ

٥٧٩ - هَذا وأعْلَمُ أنَّنى لَمُـقَـصِّـرٌ ... ولَو انْبَـرَىٰ لِمِـدادِىَ البَـحْـرانِ

٥٨٠ - يا خَـيْـرَ مَنْ وَخَـدَتْ إليْـه مَطِيَّـةٌ ... مِنْ كُلِّ مَـرْمًى نَازِحِ الأوْطانِ

٥٨١ - أشْكُو إلَيْكَ تَخلُّفِى عَنْ رُفْـقَـةٍ ... كَـانُوا عَلىٰ الطَّاعـاتِ مِنْ أعْـوانِى

٥٨٢ - رَحَلُوا وصَـدَّتْنِى العَـوائِقُ عَنْهُمُ ... فَنَكِرْتُ قَلْبِى بَعْـدَهَمْ وزَمـانِى

٥٨٣ - أصْبَـحْتُ فى وَقْتٍ كَـثيـرٍ هَرْجُـهُ ... مُـتَـدَارِكِ الآفـاتِ والخُسْـرانِ

٥٨٤ - يُمْـسِى الفَـتَىٰ فيـه يَرومُ زِيادَةً ... تُرْضَىٰ فيُـصْبِحُ وهْوَ فى نُقْـصانِ

٥٨٥ - فَبِـمَنْ كَسَا عِطْفَـيْكَ أفْخَرَ حُلَّةٍ ... لَيْـسَتْ عَلَىٰ مَلَكٍ ولا إنْسـانِ

٥٨٦ - سَلْ لِى إلٰهَـكَ أنْ يُـوَفِّقَ بَـاطِنِى ... لِرِضَـاهُ فى سِـرٍّ وفى إعْـلانِ

٥٨٧ - فَـلأنْتَ أكْـرَمُ شَـافِعٍ عَلقَتْ بِه ... لِمُـرَوَّعٍ يَرجُـو الخَـلاصَ يَدَانِ

*****

---

(٥٧٤) الحسنان : جبلان، والتعبير يفيد الدوام والاستمرار .

(٥٧٦) القريحة : الفطرة، وأراد بها : الملكة الشعرية .

(٥٧٧) المنيف : العالى القدر .

(٥٧٨) القريض : الشعر . النضارة والغضارة مترادفان . سحبان : خطيب جاهلى مشهور يضرب به المثل فى البلاغة .

(٥٧٩) يقول : لو كان البحران مداداً لى أكتب به مديح النبى ﷺ لما كفاه هذا المداد .

(٥٨٠) وخدت : سارت . مرمى : مكان . نازح : بعيد .

(٥٨٣) الهرج : الفتن المهلكة .

(٥٨٦) سَلْ لِى إلٰهَكَ : فى الأصل : سل لى ربك، ووزنه مكسور فهو سهو من الناسخ .

(٥٨٧) مروع : خائف .

قافية الواو

يلاحظ أن الواو تسبق الهاء فى الترتيب الهجائى عند بعض القدماء.

تضم هذه القافية قصيدتين.

الواوية الأولى

(عدتها ٥٠ ـ الطويل الثانى)

تبدأ القصيدة بالنسيب وشرح الأشواق والحنين إلى دار المنى : الربوع المقدسة، ويحمل الشاعر رسالة إلى الكعبة المشرفة، كلها حب وأسىً على البعد وتوقٌ إلى معاهد الإيمان ديار النبى ﷺ، ثم تثنى عليه ﷺ وعلى من اتبع هداه فى كل عصر، وتدعو إلى التمسك بسنته.

وتختم القصيدة بالاستغاثة بجاهه ﷺ والتوسل به إلى الله عز وجلّ.

تضمنت القصيدة ثلاثة عناصر :

- حنين وأشواق.
- ثناء على النبى ﷺ ومن اتبعه.
- استغاثة وتوسل به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هُوَ البَــرْقُ إلاَّ أنَّ فى طَيِّ خــفْـــوِه ... لذى الشَّجْوِ نَاراً تَقْتَضِى نَشْرَ شَجْوِه

٢ - وهَذا الحَـمَـامُ المُـدَّعى وهْوَ كـاذبٌ ... يَشِـيدُ اشْـتِيـاقَ الصَّـادقِينَ بِشَدْوِه

٣ - وكَمْ بَيْـنَ عـــانٍ لا يَرِيـمُ ومُطْلَقٍ ... وبَيْنَ شَـجِى القَلْبِ المُـعَنَّىٰ وخِلْوِه

٤ - وبَيْنَ قَـــريرٍ حَـاضِــرِ الإِلْفِ نَاعِمٍ ... وفَـاقِـدِ إلْفٍ نَاحِلِ الجِـسْمِ نِضْـوِه

٥ - عَـجِبْتُ لِمـأْسُورِ الهَـوىٰ لا فكاكُهُ ... يُرَجَّىٰ ولا يَحْظَىٰ بِوَصْلِ جَـــفُـــوِّه

٦ - تَمَلَّكَ دَاعِى الحُبِّ حَـبَّـةَ قَلْبِـــه ... فَـــقَـــدْ أيِسَ اللاحِى لَهُ مِنْ سُلُوِّه

٧ - يَرَىٰ حُكْمَ مَنْ يَهْـوَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَـالَةٍ ... هُوَ العَـدْلَ فى مُـرِّ الغَـرامِ وحُلْوِه ٨٢/١

٨ - كَسَتْ عِطْفَـهُ كَـأْسُ المَـحَبَّـةِ سَكْرَةً ... فَـمَا الغَبْنُ مِنْهـا عِنْدَهُ غَيْـرُ صَحْـوِه

٩ - يَرَى مَـحْـوَهُ فى سُكْرِه عَـيْنَ وَجْـدِه ... كَـمَا وَجْدُهُ فى صَحْـوِه عَيْنُ مَحْـوِه

---

(١) خفو البرق : لمعانه . الشجو : الحزن والهم .

(٢) يشيد : يبنى . الشدو : الغناء .

(٣) عان : أسير . لا يريم : لا يفارق مكانه . المعنَّى : الحزين الذى يلقى العناء . والخلو : ضد الشجِّى ، أى الخالى من الهم .

(٤) قرير : سعيد مطمئن . الإلف : الرفيق . ناعم : راضٍ سعيد . نضو : هزيل مرهق .

(٥) الفكاك : الإفلات من القيد . جَفُوّه : من يجفوه ، أى يهجره ، وأراد حبيبه الذى قد هجره .

(٦) أيس : يَئس . اللاحى : اللائم . السلو : النسيان .

(٨) الغبن : الظلم . الصحو : ضد السكر . وهذا البيت زيادة من (ب) ، وتاليه ورد فى (أ) متأخراً عن موقعه ببيتين ، وقد أثبتّ ما فى (ب) لملائمته السياق . والصرصرى فى هذا البيت متأثر بقول أبى نواس :

فــمـــا الغــبــن إلا أن تراني صــاحــيًّــا ... ومــا الغُنم إلا أن يتــعــتــعنى السُّكْرُ

إلا أن الصرصرى خلع على الصحو والسكر هنا معنى صوفيًّا ، فالسُّكر : دهشة مفاجئة تلحق سر المحب فى مشاهدة جمال المحبوب ، وتسمى هذه الحالة سكراً لمشاركتها السُّكْرَ الظاهر فى أوصاف الذهول والفرح والنشاط والانبساط والوله . إلا أن السكر الصوفى سببه غلبة نور المشاهدة .بينما السكر الظاهر من غشيان ظلمة الطبيعة [راجع معجم مصطلحات الصوفية ، د . عبد المنعم الحفنى ، ص ١٣١ - ١٣٢] والصحو : رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه [السابق ، ص ١٤٩] .

(٩) المحو عند الصوفية : إزالة العلل والآفات ، وذلك برفع أوصاف العباد وأفعالهم بتجليات صفات الحق وأفعاله ، وأعلى درجات المحو : فناء الكثرة فى الوحدة . وذلك كما فى الحديث القدسى : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به [انظر : اصطلاحات الصوفية ، للقاشانى ، ص ٧٩] والوجد عندهم : خشوع الروح عند مطالعة سر =

١٠ - يَحُومُ عَلَىٰ وِرْدٍ مَصُونٍ مِنَ القَذَىٰ حُدودُ العَوالِى والظُّبَا دُونَ صَفْوِهِ

١١ - ومَرْمًى بَعيدٍ لَوْ تَعَمَّدَهُ السُّهَا لِيُدْرِكَهُ صَدَّتْهُ حَيْرَةُ سَهْوِهِ

١٢ - فإنْ مَاتَ دونَ القَصْدِ ماتَ عَلَىٰ ظَمَا وإمَّا يَرِدْ ذَاكَ المَعِينَ يُرَوِّهِ

١٣ - مَتَىٰ يَقْتَضِى القَلْبُ المُلَوَّىٰ دُيونَهُ ويُنْصِتُ سُلْطانُ الجَمَالِ لِشَكْوِهِ

١٤ - ويأْذَنُ فِى رَفْعِ الحِجابِ فَيَنْجَلِى أَسًى مَا لَهُ شَافٍ سِوَىٰ حُسْنِ أَسْوِهِ

١٥ - أحِنُّ إلىٰ دَارِ المُنَىٰ ويَشُوقُنِى بِهَا بَارِقٌ يَنْزُو فُؤادِى لِنَزْوِهِ

١٦ - ويُطْرِبُنِى حَادِى الرَّكْبِ إذا حَدَا ولَوْلا هَواهُ مَا شَجَانِى بِحَدْوِهِ

١٧ - وكَمْ شَيِّقٍ مِثْلِى إلىٰ ذَلِكَ الحِمَىٰ يَمِيلُ إلىٰ صَوْتِ الحُداةِ بِصَغْوِهِ

١٨ - ويُصْبِيهِ خَفَّاقُ النَّسِيمِ إذا هَفَا فَأذْكَىٰ غَرامَ العَاشِقِينَ بِهَفْوِهِ

١٩ - فيا أيُّها السَّارِى عَلَىٰ ظَهْرِ جَلْعَدٍ أمُونِ السُّرَىٰ فى سُفْلِهِ وعُلُوِّهِ

= الحق، والوجد يرد عقب الفقد فمن لا فَقْدَ له فلا وَجْدَ له [معجم مصطلحات الصوفية، د. عبد المنعم الحفنى، ص ٢٦٤]. يقول الصرصرى فى البيتين السابقين: إن المُحبَّ إذا شرب كأس المحبة أسكرته سكراً لا يريد أن يفيق منه لأن الإفاقة من هذا السكر تأخذه بعيداً عن الفناء فى ذات المحبوب. والمحب يرى أن المحو هو الوجود الحق لأنه محو للأوصاف البشرية وتجلٍّ للصفات الإلهية، أما المحو الذى لا يريده المحب فهو المحو فى حال الصحو، أى بقاؤه على الحالة البشرية. والصوفى لا يريد أن يبقى على حالته البشرية بل يريد أن يكون دائماً مع الله عز وجل.

(١٠) يحوم: يدور كما يدور الطائر الظامئ حول الماء. مصون: محفوظ. القذى: كل ما يلوث الماء الصافى. العوالى: الرماح. الظبا: السيوف.

(١١) مرمى: هدف. تعمده: قصد الوصول إليه. السها: نجم بعيد، يقول: إن هدف المحب أبعد من السها فلا يمكن بلوغه، ودون ذلك المرمى أن يموت الإنسان.

(١٢) وإمَّا: وإنْ + ما، وما زائدة للتوكيد، أى: وإنْ. المعين: المنهل العذب الصافى، يرده: يشرب منه.

(١٣) يقتضى: يقضى. المُلوَّى: من لَوَاه دَيْنَه، أى ماطله ولم يعطه حقه. يقول: متى يحصل لقلبى ما يريده من مشاهدة جمال المحبوب؟

(١٤) شاف: من الشفاء. الأَسْو: الدواء.

(١٥) بارقٌ: برق. ينزو: يتحرك ويقفز.

(١٦) حدا: غنّى للإبل وهو يسوقها.

(١٧) شيِّق: مشتاق. الصغو: الإصغاء.

(١٨) يصبيه: يثير اشتياقه وحنينه. هفا: تحرك. أذكى: أشعل.

(١٩) جلعد: جمل قوى صلب. أمون السُّرى: يؤمن فى سيره فلا يسقط ولا يضعف.

٢٠ - يَرىٰ قَطْعَهُ البَيْداءَ فى طَلَبِ العُلا هُوَ الغُنْمَ فى آصَالِه وغُدُوِّه

٢١ - يَجُوبُ فِجَاجَ الأرْضِ يخْتَرِقُ الفَلا يُواصِلُ سَهْلَ البَرِّ طَيًّا بِدَوِّه

٢٢ - إلى حَرَمٍ مَنْ أمَّهُ مُتَوَسِّلاً مَحَا خطْأَه فيه تَتَابُعُ خَطْوِه

٢٣ - تَحَمَّلْ إلىٰ ذَاتِ السُّتُورِ رِسالَةً ومَنْ يُؤْتَمَنْ يَومًا عَلَىٰ القَوْلِ يَرْوِه

٢٤ - لَعَلَّ بَلاغًا جَالِبٌ رَوْحَ نَازِحٍ وإنْ كانَ لا يَشْفِيهِ غَيْرُ دُنُوِّه

٢٥ - سَقَاكَ فَرَوَّاكَ المُلِثُّ منَ الحَيَا فَبَثَّ عَلَيْكَ الزَّهْرُ ألْوانَ زَهْوِه

٢٦ - أَبِينِى لَنا هَلْ مِنْ سَبِيلٍ لَنا إلىٰ ظِلالِك فى خَفْضٍ منَ العَيْشِ رَخْوِه

٢٧ - وعَرِّجْ عَلَىٰ رَبْعٍ مُنِيرٍ مُعَطَّرٍ عُيونُ المَعالى عَاكِفاتٌ بِجَوِّه

٢٨ - مَنارُ العُلا مَأوَىٰ الهُدَىٰ ومَقَرُّه ومَنْشَؤُهُ بَيْنَ الوَرَىٰ لِسُمُوِّه

٢٩ - فَحَيِّ حَبِيبًا فِيه عَنِّى تَحِيَّةً تَزِيدُ ويَنْمى فَضْلُها بِنُمُوِّه

٣٠ - بِه أصْبَحَتْ أرْضُ المدِينَة مَعْقِلاً مَنِيعًا لِمَنْ يَخْشَىٰ ثُباتِ عَدُوِّه ٨٢/ب

٣١ - هُوَ الفاتِحُ السَّبَّاقُ والخَاتَمُ الَّذِى قَضىٰ رَبُّهُ أنْ لا مَنالَ لِشَأْوِه

٣٢ - هُوَ المُجْتَبَىٰ مِنْ هاشِمٍ وبِهِ سَمَتْ فَخاراً عَلَىٰ حُضْرِ الزَّمانِ وبَدْوِه

٣٣ - مُحَمَّدٌ الهَادِى إلىٰ خَيْرِ مَنْهَجٍ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا مَنْ نَحَا حُسْنَ نَحْوِه

---

(٢٠) الغنم : الغنيمة والفوز . الآصال : جمع أصيل، وهو الثلث الأخير من النهار . الغدو : أول النهار .

(٢١) يجوب : يقطع . فجاج : طرق، جمع فَجّ . وطئُ السهل : قطعه وعبوره . الدوّ : الجبل .

(٢٢) أمَّه : قصده . خطْأه : خَطَأه وذنبه .

(٢٣) تحمل : بَلِّغ .

(٢٤) روح : راحة وطمأنينة . نازح : بعيد .

(٢٥) المُلِثُّ : الغزير .

(٢٦) خفَض العيش : رخاؤه ونعمته، ومثله الرخو .

(٢٧) عرِّج : مُرّ . المعالى : الفضائل، وعيونها : أوائلها، أى أعظمها فضلاً . عاكفات : مقيمة .

(٢٨) اللام فى (لسموه) للتعليل، أى هذا الحرم هو منار العلا ومأوى الهدى . . . بسبب ارتفاع قدره عند الله عز وجل .

(٣٠) المعقل : الحصن . ثبات : جمع ثبة، وهى الجماعة . وذلك لأن رسول الله ﷺ حَرَّم المدينة، فصارت ملجأً آمنًا لكل خائف .

(٣١) شأوه : قدره وغايته .

(٣٢) المجتبى : المختار .

(٣٣) نحا : اتَّبع . نحوه : طريقته ومنهجه .

٣٤ - أتَىٰ بكتـــابٍ قَـــيِّمٍ بَهَـــرَ العـــدَا تَقَـــدَّسَ عَنْ هُجْـــرِ الكَلامِ ولَغْـــوِهِ

٣٥ - فَـوَافَىٰ البَـرَايَا راغـبـيـنَ عَنِ الهُـدَىٰ بمـا زَخْـرَفَ الشَّـيْطانُ مِنْ زُورِ لَهْـوِهِ

٣٦ - فـأنْقَـذَ مِنْهُمْ مَنْ أجـابَ دُعـاءَهُ ودَمَّـرَ مِنْهُـمْ مَنْ مَـضَىٰ فى عُـتُـوِّهِ

٣٧ - فـأضْحَىٰ به الدِّينُ القَـويمُ مُـشَيَّدَ الْـ ـقَـــواعِـــدِ هَامُ النَّجْمِ دُونَ عُلوِّهِ

٣٨ - تَزُولُ الجِـبَـالُ الرَّاسِـيَـاتُ وحُكْمُـهُ رَفِـيعُ المَـبَـانى ثابِتٌ فى رُسُـوِّهِ

٣٩ - وفِى كُلِّ عَـصْـرٍ لا تَزَالُ عِـصَـابَةٌ بِسُنَّتِـهِ البَـيْـضـاءِ تَحـذُو كَـحَـذْوِهِ

٤٠ - إلىٰ أنْ يَحِقَّ الوَعْـدُ لَيْسَ يُضِيـرُهُمْ مُـخَـالِفُـهُـمْ فى زَيْغِـهِ وغُلُوِّهِ

٤١ - حَوَىٰ الخَيْرَ مَنْ أمْسَىٰ بها مُتَمَسِّكًا ومَنْ يَتَـتَـبَّعْ شـارِدَ الخَـيْـرِ يَحْـوِهِ

٤٢ - ومَنْ يطَّرِحْـهـا مُـسْـتَـهِـينًا ويتَّـبِعْ هَـوَاهُ يُـزِغْـهُ عَنْ هُـدَاهُ ويُـغْـوِهِ

٤٣ - لَقَـدْ كَـانَ بَرًّا بالصَّـحـابَةِ كـالأبِ الْـ ـمُـعَـاضِـدِ فى إشْـفَـاقِـهِ وحُنُوِّهِ

٤٤ - حَلِيمًـا عَنِ الجَانى ولَـكِنْ إذَا انْبَـرىٰ لِحَـرْبِ الأعـادى لا يُقَـامُ لِسَطْوِهِ

٤٥ - لَهُ مَـوْرِدٌ يَرْوِى الصَّـدَىٰ يَوْمَ سِلْمِـهِ وحَـوْضُ المَنايا للعِـدَا يَوْمَ غَـزْوِهِ

٤٦ - لَجأْتُ إلىٰ الرَّحْمَـنِ مُسْتَشْفِعًا بِهِ إلَيْـهِ ومَـنْ يـلْجَـأْ إلى اللهِ يُؤْوِهِ

---

(٣٤) تقدس: تنزَّه. هجر الكلام: فاحشه. اللغو: ما لا فائدة منه من الكلام.

(٣٥) وافى: جاء. البرايا: الناس. راغبين عن الهدى: منصرفين عنه.

(٣٦) العتوّ: الظلم والطغيان.

(٣٧) هام: رأس.

(٣٨) الراسيات: الراسخة الثابتة. الرسُوّ: الثبات.

(٣٩) عصابة: جماعة. تحذو كحذوه: تنهج نهجه وتتبع سنته ﷺ.

(٤٠) يضيرهم: يضرهم. الزيغ: الانحراف. الغُلُوّ: التعمق فى كل شىء، وأراد به: التطرف والتزمت. يشير فى هذا البيت وسابقه إلى قوله ﷺ: «لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» [البخارى: ك المناقب، باب علامات النبوة ٦ / ٧٣١، حديث رقم ٣٦٤١].

(٤١) الشارد: البعيد. يَحْوِه: يحصل عليه ويحوزه.

(٤٢) يطرحها: يتركها.

(٤٣) المعاضد: المعين. الحنوّ: الرحمة والعطف.

(٤٤) انبرى: تهيأ. سطوه: بطشه وقوته.

(٤٥) الصدى: الظمأ. المنايا: الموت.

(٤٦) يُؤْوِه: يقربه ويغيثه.

٤٧ - رَضِيتُ بِه فى كُلِّ خَطْبٍ وَسِيلَةً ... ومَنْ يَكُ ذَا جَاهٍ عَظِيمٍ يُجَوِّهِ

٤٨ - وَعَوْنًا عَلَىٰ نَفْسٍ لَوَتْنى دُيُونَها ... ومَنْ يَكُ ذَا دَيْنٍ عَلَىٰ النَّفْسِ تَلْوِهِ

٤٩ - بِمَدْحِى لَهُ أرْجُو مِنَ اللهِ لُطْفَهُ ... لِضَعْفِى وحُسْنَ الصَّفْحِ عَنِّى بِعَفْوِهِ

٥٠ - رَوِيتُ بِنَظْمِ المَدْحِ فِيهِ ومَنْ يَرِدْ ... عَلَىٰ المَنْهَلِ العَذْبِ المُبَرَّدِ يَرْوِهِ

*****

---

(٤٧) يجوِّه: يؤمل جاهه ويُعَظَّم.
(٤٨) تلوِه: تماطله فلا تقضى دينه.
(٥٠) روِيت: ارتويت.

الواوية الثانية

(عدتها ٢٥ ـ الوافر الأول)

تبدأ هذه القصيدة بالحنين إلى الديار المباركة، والدعاء لها بالخصب والخير، والتشوق إلى زيارتها، ثم تثنى على النبى ﷺ، وتختم برجاء شفاعته يوم القيامة.

تضمنت القصيدة ثلاثة عناصر :

- حنين وأشواق .
- ثناء على النبى ﷺ .
- رجاء شفاعته ﷺ يوم القيامة .

وقال يمدحه ﷺ ٨٣/١ (الوافر الأول):

١ - غَـرامٌ فى البِـعـادِ وفى الدُّنُوِّ	فـأنَّىٰ لِلمُـتَـيَّـمِ بالسُّلُوِّ
٢ - مَـشُـوقٌ بالأصِـيلِ لَهُ حَنِينٌ	إلىٰ أرْضِ الحِـجـازِ وبالغُـدوِّ
٣ - يُرَاعُ إذا انْتَـضىٰ البَـرْقُ اليَـمَـانى	حُـسامَ وَمِـيـضِـه بَعْـدَ الهُـدُوِّ
٤ - لَقَـدْ أعْـيـا عِـلاجَ الطِّبِّ صَبٌّ	يُؤَرِّقُـهُ سَنا البَـرْقِ الخَـفُـوِّ
٥ - سَقَىٰ سُبُـلاً إلىٰ الحَـرَمَـيْنِ تَهْدِى	ذَوِى الأشْـواقِ مِنْ سَـهْـلٍ وَدَوِّ
٦ - سَـحـائِبُ دَائِمـاتُ الوَدْقِ تَهْـمِى	بكُلِّ مُـجَلْجِلٍ غَـدقٍ تُرَوِّى
٧ - وَعَـاجَتْ نَحْـوَ أكْنافِ المُـصلَّى	فَـبَـثَّتْ وَشْـيَـهـا فى كُلِّ جَـوِّ
٨ - وصَـبَّـحَت العَـقـيقَ وسَـفْحَ سَلْعٍ	بأنْواءِ السَّـعَـادَةِ والسُّـمُـوِّ
٩ - مَـواقِفُ كُلَّمـا غَـالَبْتُ فِـيـهـا	أمِـنْـتُ عَـلىٰ هُـدَاىَ مِـنَ الـغُـلُـوِّ
١٠ - رِحَـابُ قِـبَـابِهـا بالأُنْسِ مَـلأَىٰ	ومِنْ كَـدَرِ الشَّـوائِبِ فى خُلُوِّ
١١ - لَئِنْ حَـبَسَ المَطِيَّ العُـذْرُ حَـتَّى	تَجَـافَـتَـهـا فَـمَـا أنَا بالجَـفُـوِّ
١٢ - وكَمْ حَنَّتْ إليْـهـا النَّفْسُ لـكِنْ	أُعَـلِّلُهـا بِلَيْتٍ أوْ بِلَوِّ
١٣ - فَـهلْ لِى والأمَـانِى خَـادِعـاتٌ	إلَيْـهـا - بَعْـدَ نَأْىٍ - مِنْ دُنُوِّ؟!

(١) البعاد: البعد. الدنو: القرب. أنَّى: كيف. المتيم: المحب الهائم. السلو: النسيان.

(٣) يُرَاع: يفزع. انْتَضىٰ السيف: أخرجه من غمده، شبه لمعان البرق بسيف يلمع. الوميض: لمعان البرق. الهُدُوّ: أول الليل.

(٤) أعيا: أعجز. صب: عاشق. الخَفُوّ: اللامع.

(٥) دوّ: جبل.

(٦) سحائب: فاعل (سقى) فى البيت السابق. دائمات: فى (أ) دانيات، وما أثبته من (ب). الودق: المطر. تهمى: تسيل. مجلجل: مطر يصحبه صوت شديد. غَدق: كثير غزير، وفى (أ) رعد، وما أثبته من (ب) أصح لأن المجلجل هو الرعد فلا يوصف الشىء بنفسه.

(٧) عاجت: مرت. بثت: نشرت. الوشى: النسيج المزركش، أراد به النبات والزهر.

(٨) الأنواء: الأمطار. وهذا البيت وسابقه زيادة من (ب).

(٩) غاليت: تعمقت وتشددت. الغلو: التشدد الذى يبعد بصاحبه عن روح الدين وسماحته. يقول: هذه الذكريات أثيرة عندى فأنا متمسك بها أشد التمسك حتى يمكن وصفى بالمغالاة والتطرف، ولكنه تطرف محمود، وليس كالتطرف الذميم.

(١١) تجافتها: تباعدت عنها. الجَفُوّ: المتباعد الكاره. وهذا البيت زيادة من (ب).

(١٢) أعلِّلها: أصبِّرها وألهيها. ليت ولو: كلمتان للتمنِّى، وجُرَّ لفظهما لإقامتهما مقام الاسم.

(١٣) يقول: فهل أكون قريبًا من هذه الرحاب بعد نأيى عنها، ويستدرك معترضًا: =

١٤ - فَأَشْفِيَ غُلَّةً فِي الصَّدْرِ مِنْهَا ... وتَسْكُنَ عِلَّةُ القَلْبِ الهَفُوِّ

١٥ - أحِنُّ إلىٰ مَعَالِمِهَا وتَحْنُو ... عَلَيْهَا أضْلُعِي أَعْلَىٰ حُنُوِّ

١٦ - مَعَالِمُ أحْرَزَتْ شَرَفًا وعِزًّا ... كَفِيلاً بالمَزِيدِ وبالنُّمُوِّ

١٧ - بِمَنْ أَرْسَى المَكَارِمَ فِي ذُرَاهَا ... ومَنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ في العُلُوِّ

١٨ - بأحْمَدَ سَيِّدٍ هَادٍ بَشِيرٍ ... نَذِيرٍ شَاهِدٍ بَرٍّ عَفُوِّ

١٩ - نَبِيٍّ جَلَّلَ الأعْدَاءَ ذُلاًّ ... بِسَيْفٍ جَلَّ حَدًّا عَنْ نُبُوِّ

٢٠ - جَلا ظُلَمَ الضَّلالِ بِنُورِ شَرْعٍ ... لِمَا أوْهَتْ يَدُ العَدْوَىٰ مُسَوِّ

٢١ - وأيَّدَهُ الإلٰهُ بِعِزِّ نَصْرٍ ... عَلَىٰ حِزْبِ الطُّغَاةِ لَهُ مُقَوِّ

٢٢ - وأرْسَلَهُ ورَسْمُ الدِّينِ عَافٍ ... فَجَدَّدَهُ بِدَرْسِ أُولِي العُتُوِّ

٢٣ - ودَلَّ قُلوبَنَا حَتَّىٰ عَرَفْنا ... بِهَا الإلْهَامَ مِنْ نَفْثِ العَدُوِّ

٢٤ - وَقَلَّدْنَا بِسُنَّتِهِ سُيُوفًا ... نَصُولُ بِهَا عَلَى أهْلِ العُتُوِّ

٢٥ - وإنَّا فِي مَعَادِ النَّاسِ نَرْجُو ... شَفَاعَتَهُ إلىٰ الرَّبِّ العَفُوِّ ٨٣/ب

*****

= والأماني خادعات.

(١٤) الغُلة: الظمأ. الهفُوّ: المتحرك، أى المشتاق كأنه يتحرك شوقًا وقلقًا.

(١٧) أرسى: ثبَّت، وفى (أ) بمن حلَّ، وفيه خطأ نحوى صرفى؛ لأن (حلَّ) لا يتعدى بنفسه، وما أثبته من (ب) هو الصواب.

(١٩) جلَّلهم: ألبسهم. جلَّ: عظُم قدره. النبوّ: عدم الإصابة، يصف سيف النبى ﷺ بأنه سيف قاطع يقضى على الأعداء.

(٢٠) جلا: كشف وأزال. ظُلم: جمع ظُلمة. أوهت: أضعفت. مسوّ: مقيم لما مال.

(٢٢) الرسم: المعالم. عاف: زائل. درس: إبادة. العتوّ: الظلم والطغيان.

(٢٣) الإلهام من الله سبحانه وتعالى، والنفث من الشيطان، وهو الوسوسة.

(٢٤) نصول: نعلو ونتفوق. وهذا البيت زيادة من (ب) ولعله مقحم هنا؛ لأن كلمة القافية تكررت فى البيت (٢٢)، وتكرار القافية قبل سبعة أبيات عيب من عيوب القافية يسمى الإيطاء، ولا أظن الصرصرى يقع فى مثل هذا الخطأ.

قافية الهاء

تضم هذه القافية قصيدتين متوسطتى الطول، كلتا القصيدتين تعج بالمحسنات البديعية، خاصة الجناس التام فى أولاهما، والجناس المقلوب وردّ الصدر على العجز فى ثانيتهما.

الهائية الأولى

(عدتها ٦٠ ـ الطويل الثالث)

تتكرر كلمة القافية عينها فى كل بيتين من أبيات هذه القصيدة، ولكن بدلالتين مختلفتين، وقد اضطر الناسخ أن يضع بجوار كل قافية معناها. بيد أن هذا الصنيع من الشاعر قد أفسد القصيدة وجعلها مجرد لعب بالألفاظ لا يلتفت إلى المعنى والعاطفة كثيراً.

تبدأ القصيدة بمقدمة طللية تصف رسوم الديار وقد رحل عنها أهلها، ثم تصف رحلة ركب الحجيج إلى الأرض المباركة وما أثاره بقلبه من أشواق، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ، وتختم بمحاولة لتعزية النفس فى بعدها عن محبوبها، وتمنّى القرب منه، ثم بالسلام عليه ﷺ.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين إلى الديار المباركة.
- رسالة شوق.
- فى مدح النبى ﷺ.
- أمنيات بقرب الزيارة.

وقال يمدحه ﷺ (*) :

١ - لِمَنْ دِمَنٌ بالرَّقْمَتَيْنِ أراهَا ... مَحَا رَسْمَها طُولُ البِلىٰ وعَفَاها

٢ - تَحَمَّلَ عَنْها كُلُّ أغْيَدَ آنسٍ ... ولَمْ يَبْقَ إلا عُفْرُها وعُفَاها

٣ - فَأَضْحَتْ قَوَاءً بَعدَ طُولِ غَنَائِها ... يُنَعِّمُ فِيها رِيمُها وطَلاها

٤ - علىٰ أنَّ فيها نَفْحَةً مِنْ أرِيجِهِمْ ... كَأنَّ بَنانًا بالعَبِيرِ طَلاها

٥ - خَليلَيَّ إنْ مَارَيْتُما في صَبابَتِي ... بها فَقِفَا في رَبْعِها فَسَلاها

٦ - أعَيَّتْ رُبَاها أمْ أرَبَّتْ بِجَوِّها ... دُموعُ فَتًى مَا مَلَّها فَسَلاها

٧ - عَلىٰ الرَّغْمِ مِنِّي أنْ أرىٰ جَنَبَاتِها ... يُجاوِبُ فِيها الهاتِفاتِ صَدَاها

٨ - فَهَلْ لِنُفوسٍ حُلِّئَتْ عَنْ مِياهِها ... سَبِيلٌ إلى وِرْدٍ يَبُلُّ صَدَاها

٩ - أحِنُّ إلىٰ جَرْعاءِ مُنْعَرَجِ اللوىٰ ... ويُذْكِي غَرامِي كَهْلُها وفَتَاها

١٠ - ولَسْتُ وإنْ أطْنَبْتُ أوَّلَ عاشِقٍ ... سَبَىٰ لُبَّهُ حُبُّ الدِّيارِ فَتَاها

(*) جاء في هامش المخطوط شرح لكلمات القوافي، حيث تتكرر كلمة القافية في كل بيتين ولكن بمعنيين مختلفين، ففي البيتين الأول والثاني مثلاً كانت كلمة القافية (عفاها). كتب الناسخ بجانب الأولى: زال، وبجانب الثانية: نوع من الوحش. وسأكتفي بشرح الناسخ لكلمات القوافي دونما تعليق إلا إن جانبه الصواب، مع وضع تفسير الناسخ بين قوسين.

(١) الدمن: بقايا الديار التي رحل عنها أصحابها. الرقمتان: توجد عدة مواضع بهذا الاسم، ولعل المراد بالرقمتين هنا: قريتان بين البصرة ومكة المكرمة. أو الموضع المسمى بهذا الاسم قرب المدينة المنورة [انظر: ياقوت ٣/٦٦-٦٧]. البلَى: القِدَم. عفاها: طمس أثرها ومحاه، والمعنى الذي أورده الناسخ للكلمة (زال) لا يصح هنا لأن الفعل متعدٍّ، فلا بُدَّ أن يكون معناه: أزال أثرها.

(٢) تحمَّل: رحل. أغيد: كل ما يتمايل في مشيته، ومؤنثه غيداء وهي الفتاة الناعمة اللينة وهو المراد هنا. آنس: مؤنس. العفر: الظباء البيض. عفاها: (نوع من الوحش).

(٣) قواء: مقفرة خالية. الغناء: الإقامة فيها. الريم: الغزال الأبيض. الطَّلا: (ولد الظبية).

(٤) نفحة: رائحة طيبة، ومثله الأريج. البنان: أطراف الأصابع. العبير: العطر. طلاها: (من الطلي) أي الطلاء.

(٥) ماريتما: شككتما. الصبابة: العشق. سلاها: (من السؤال).

(٦) عيَّت: عجزت فلم ترجع جوابًا. أربَّت: أقامت. سلاها: (من السلوّ) أي النسيان.

(٧) الهاتفات: الحمائم المغنية. صداها: رجع (الصوت).

(٨) حُلِّئت: منعت من ورود الماء. صداها: (العطش).

(٩) الجرعاء: الأرض الرملية المستوية. منعرج: منعطف. اللوى: منعطف الرمل. يذكي: يشعل. الكهل: الرجل بين الثلاثين والأربعين. فتاها: (من حداثة السن).

(١٠) أطنبت: أطالت الكلام وأكثرت. سبى: أسر. لبه: عقله. فتاها: (من التيه).

١١ - وخُوصٍ نَواجٍ ضُمَّرٍ خَاضَتِ الفَلا ... فَمَا صَدَّها عَمَّا تَرُومُ وَجَاها

١٢ - بأكْوارِها شُعْثُ النَّواصِي مِنَ السُّرَىٰ ... تُحَاوِلُ عِزًّا لا يَبِيدُ وَجَاها

١٣ - غَطارِفَةٌ مِنْ كُلِّ قَيْلٍ تُقِلُّهُ ... مُضَبَّرَةٌ أحْنَاؤها فَقَرَاها

١٤ - إذا ما حِياضُ المَجْدِ غَاضَتْ قَرَىٰ بِها ... وإِن مَاحِلٌ خَانَ الضُّيوفَ قَرَاها

١٥ - سَأَلْتُكُمُ إنْ جُزْتُمُ بِلِوىٰ النَّقَا ... فَحَيُّوا بِهِ الحَيَّ الحُلُولَ شِفَاها

١٦ - وقُولوا: أخُو شَجْوٍ يُقَبِّلُ تُرْبَكُمْ ... يُجِلُّ أكُفًّا مِنْكُمُ وشِفَاها

١٧ - ويا حَادِيَىْ رَكْبِ الحِجازِ إذا النَّوَىٰ ... تَخَلَّتْ وألْقَتْ لِلإيَابِ عَصَاها

١٨ - فَعَطْفًا عَلَىٰ صَبٍّ أطَاعَ غَرامَهُ ... وإِنْ أنَّبَتْهُ العَاذِلاتُ عَصَاها

١٩ - وبُثَّا إِلىٰ أعْلامِ مَكَّةَ لَوْعَتِي ... وشَوْقِي إِلىٰ بَطْحائِها وصَفَاها

٢٠ - فَقَدْ هَاجَ وجْدِى شَادِيانِ تَرَنَّما ... كأنَّهُما للقَلْبِ قَدْ وَصَفَاها ٨٤/أ

٢١ - ومِيلا إِلىٰ وادِى العَقِيقِ وُقِيتُما ... كَلالَ المَطايا فى السُّرَىٰ ورَدَاها

٢٢ - فَثَمَّ رِياضُ العَيْنِ والقَلْبِ عِنْدَها ... مَناهِلُ رِيٍّ آهِ لَو وَرَدَاها

---

(١١) وخوص: ورُبَّ إبل غارت عيونها من العطش وطول المسير. نواجٍ: مسرعات. ضُمَّر: هزيلات. تروم: تريد. وجاها: (التعب).

(١٢) الأكوار: الرحال. شعث النواصى: رجال غير مرجَّلِي الشعور. لا يبيد: لا يفنى ولا يهلك. جاها: (القَدْر).

(١٣) غطارفة: سادة كرام. القَيْل: الملك. تقلُّه: تحمله. مضبَّرة: قوية مكتنزة اللحم. أحناؤها: ضلوعها. قراها: (الظهر).

(١٤) غاضت: جفَّ ماؤها. قرى: جمع الماء فى الحوض. ماحلٌ: عام جدب. قراها: (أكرمها).

(١٥) جُزْتم: مررتم، من جازَ يجوز. النقا: التل الرملى. الحلول: المقيمون. شفاها: (مشافهة).

(١٦) شجو: حزن. يجلُّ: يعظِّم. شفاها: (جمع شفة).

(١٧) النوى: البُعد. تخلَّت: فارقت، أنث الفعل مع (النوى) لأن هذه الكلمة تؤنث وتذكر. الإياب: الرجوع. ألقت عصاها: كناية عن الإقامة والاستقرار. العصا: (الآلة المعروفة).

(١٨) أنَّبته: من التأنيب وهو اللوم العنيف. عصاها: (من العصيان).

(١٩) بُثَّا: من البث وهو الشكوى. أعلام: جبال. صفاها: (مكان بمكة) وهو جبل الصفا المعروف.

(٢٠) هاج: أثار. الوجد: شدة الحزن. شاديان: طائران مغنيان. ترنَّما: غنيًّا. وصفاها: (من الوصف).

(٢١) كلال: تعب. المطايا: الإبل. رداها: (الهلاك).

(٢٢) ثمَ: هناك. مناهل: موارد. ورَداها: (من الورود).

٢٣ - وحُثَّا إِلَيْها العِيسَ حَثًّا وإن وَنَتْ فبالمَرْبَعِ الرَّحْبِ الخَصيبِ عِدَاها

٢٤ - عِدَاها بأوْطانٍ سَمَتْ أَوْلِياؤها وعَزَّتْ وبَاءَتْ بالصَّغَارِ عِدَاها

٢٥ - مَنازِلُ رَاقَتْ بَهْجَةً ونَضارَةً ورَقَّتْ حَواشِيهَا وطَابَ جَنَاها

٢٦ - إذا حَلَّها الجَانِى كَفَتْهُ حُماتُها أذًى تَبِعاتٍ جَرُّها وجَنَاها

٢٧ - تَحِنُّ إِلَيْها والمَهامِهُ دُونَها رِجالٌ حَنَاها شَوْقُها وبَرَاها

٢٨ - تُقَبِّلُ إِجْلالاً لِمَنْ حَلَّ أرْضَها بأجْفانِها حَصْباءَها وبُرَاها

٢٩ - يَهُونُ عَلَيْهِ فِى هَواهُ عَناؤها ويَصْغُرُ فِيهِ وَجْدُها وأَسَاها

٣٠ - إذا هِىَ بالتَّهْجِيرِ عَنَّتْ جِراحُها تَلافَىٰ بِلُطْفٍ داءَها وأسَاها

٣١ - تَوَدُّ مِنَ التَّعْظِيمِ لَوْ بَذَلَتْ لَهُ لِيَرْضَىٰ فِداءً أُمَّها وأبَاها

٣٢ - نَبِىٌّ أطَاعَتْهُ الكُنوزُ فَلَمْ يَكُنْ لَها قَابِلاً بَلْ رَدَّها وأبَاها

٣٣ - فَصَحَّ لَهُ الزُّهْدُ الصَّرِيحُ تَقَدَّسَتْ لَهُ كَبِدٌ عَفَّتْ وطَالَ طَوَاها

٣٤ - كَرِيمٌ عَظِيمُ الصَّفْحِ لَمْ تَبْقَ رُتْبَةٌ مِنَ المَجْدِ إِلاَّ نالَها وطَوَاها

٣٥ - عَزُوفٌ عَنِ الدُّنيا فَسِيَّانِ عِنْدَهُ لِفَرْطِ احْتِقارٍ أرْيُها وأَلاها

---

(٢٣) الحث : السَوْق السريع. العيس : الإبل البيضاء. ونت : أبطأت. عداها : (من الوعد).

(٢٤) سمت : علا قدرها. أولياؤها : محبُّوها. باءت : رجعت. الصَّغار : الذل. عداها : (الأعادى).

(٢٥) راقت : حَسُنت، وفى الأصل : رقَّت، والتصحيح من النبهانية. البهجة والنضارة : الحسن والجمال. حواشيها : أطرافها. جَنَاها : (الثمر)

(٢٦) تبعات : مسئوليات. جَرُّها : سبَّبها. جناها : (من الجناية).

(٢٧) المهامه : الصحارى المقفرة. حَنَاها : جعلها محنيَّة من شدة الضعف. براها : (أسقمها) وأهزلها.

(٢٨) الحصباء : الحجارة. براها : (التراب).

(٢٩) عناؤها : تعبها. أساها : (الحزن).

(٣٠) التهجير : السير وقت الهجير، أى فى الظهيرة. عَنَّت : ظهرت. وفى الأصل : إذا هى بالهجران عفَّتْ، وهو تصحيف، والتصحيح من النبهانية. تلافى : أدرك. وفى الأصل : يُلاقى، وهو تصحيف، والتصحيح من النبهانية أيضا. أساها : (طبَّبَها) أى شفاها.

(٣١) (الأب معروف). (٣٢) أباها : (ردَّها) وامتنع من قبولها.

(٣٣) تقدست : تطهرت. عفت : من العفَّة. طواها : (الجوع).

(٣٤) طواها : (من الطىّ) أى تجاوزها ووصل إلى ما فوقها.

(٣٥) عزوف : متباعد زاهد. سيان : متماثلان. فرط : شدة. الأرى : العسل. ألاها : (الصبر) وفى اللسان : الألاء بالفتح : شجر حسن المنظر مر الطعم، .... وربما قصر : الألا.

٣٦ - حَبَا بعَظِيمِ الفَضْلِ أُمَّتَهُ فَلَمْ ... يَلتْها ولا النُّصْحَ المُبينَ أَلاها

٣٧ - فَلَمْ تَأْلُهُ صِدْقَ القُلوبِ وأعْمَلَتْ ... صَوارِمَها فِى نَصْرِهِ وقَنَاها

٣٨ - وكُلٌّ لَهُ فِى الحَرْبِ جَادَ بِنَفْسِهِ ... وأمْوالِه اللاتِى حَوىٰ وقَنَاها

٣٩ - هُوَ السَّابِقُ الرُّسْلِ الكِرامِ بِفَضْلِه ... وإِنْ كَانَ فِى حُكْمِ البَلاغِ تَلاها

٤٠ - لَقَدْ خُصَّ بالآياتِ والسُّوَرِ الَّتِى ... عَلىٰ النَّاسِ بالحَقِّ المُبِينِ تَلاها

٤١ - فَعالَجَ أمْرَاضَ القُلوبِ بِنُورِها ... وأنْقَذَها مِنْ سُقْمِها وشَفَاها ٨٤/ب

٤٢ - وكانَتْ مِنَ الكُفْرِ المُبِينِ عَلىٰ شَفَا ... فَزَحْزَحَها عَنْ مُوبِقَاتِ شَفَاها

٤٣ - فأَوْرَثَها عِلْمًا وحِلْمًا وحِكْمَةً ... وأبْعَدَ عَنْها غِرَّةً وسَفَاها

٤٤ - فَمَنْ قَبلَ احْتَلَّ السَّلامَةَ مَعْقِلاً ... ومَنْ رَدَّ أعْطَتْهُ الرِّماحُ سَفَاها

٤٥ - فأَضْحَتْ بِه الأعْلامُ مِنْ أرْضِ يَثْرِبٍ ... تُطيعُ إِلَيْها اليَعْمُلاتُ بُرَاها

٤٦ - تُقِلُّ رِجالاً أوْ نِساءً تَقَرَّبَتْ ... بِدُمْلُوجِها مِنْ حُبِّهِ وبُرَاها

٤٧ - وكَمْ مِنْ فَتاةٍ آمَنتْ ثُمَّ هَاجَرتْ ... إِلَيْهِ وأقْصَتْ بَعْلَها وحَمَاها

٤٨ - فأَبْدَىٰ لَها حُسْنَ الجِوارِ وصَانَها ... وذَبَّ الأذَىٰ عَنْ رَبْعِها وحَمَاها

---

(٣٦) حبا : أعطى وأكرم. لم يلتها : لم ينقصها . ألاها : (من الألْو، وهو التقصير) .

(٣٧) لم تأله : لم تقصِّر. وفى (أ) : فلم يألُهُ، والتصحيح من النبهانية. أعملت سيوفها : عملت بها . صوارمها : سيوفها . قناها : (الرماح) .

(٣٨) قناها : (من القُنْيَة)، أى اكتسبها .

(٣٩) تلاها : (من الاتِّباع)، أى تبعها .

(٤٠) تلاها : (من التلاوة) .

(٤١) السقم : المرض. شفاها : (من الشفاء) .

(٤٢) شفا الحفرة : حدُّها . موبقات : مهلكات . شَفَاها : (الهلاك) .

(٤٣) غرة : غفلة . سفاها : (السفه) والجهل والحماقة .

(٤٤) سَفَاها : (أطرافها) .

(٤٥) اليعملات : الإبل المدربة على السير. براها : (جمع برة فى أنف البعير) وهى حلقة توضع فى أنف البعير.

(٤٦) تقلّ : تحمل . الدملوج : سوار يوضع فى أعلى الذراع. بُرَاها : (الخلاخيل)، والبُرى : جمع بُرَة أيضًا .

(٤٧) أقصت : أبعدت . بعلها : زوجها، وفى الأصل : بعدها، وهو سهو من الناسخ والصواب ما أثبته كما فى النبهانية. حماها : (قريب الزوج) .

(٤٨) ذبَّ : دفع ومنع. حماها : (من الحماية) .

٤٩ - يَعِزُّ عَلَىٰ أجْسامِنا وقُلوبِنا ... تَباعُدُها عَنْهُ وطُولُ نَواها

٥٠ - فَلَمْ يَبْقَ إلا حَنّةٌ وتَأسُّفٌ ... ونِيَّةُ صِدْقٍ لِلمُحِبِّ نَواها

٥١ - فَلَيْتَ المَطايا زُرْنَ أكْنافَهُ بِنا ... ولَوْ شَفَّها طُولُ السُّرَىٰ وحَنَاها

٥٢ - فَتَرْوَىٰ نُفُوسٌ حائِماتٌ هَفَا بِها ... إلىٰ رَبْعِهِ وَجْدٌ عَلَيْهِ حَنَاها

٥٣ - خَلِيلَيَّ إنْ لَمْ تَعْذُرَاها فأقْصِرَا ... دَعَاها وأثْقَالَ الغَرامِ دَعَاها

٥٤ - وأكْثَرُ مَا تَخْتارُ لوْ أنَّ دَاعِيًا ... إلَيْهِ علَىٰ بُعْدِ المَزارِ دَعَاها

٥٥ - عَلَيْهِ سَلامُ اللهِ مَا لاحَ بَارِقٌ ... ورَوَّىٰ الرِّياضَ النَّاعِماتِ نَدَاها

٥٦ - ومَا بَقِيَتْ مِنْ تَابِعِيهِ عِصَابَةٌ ... يُمِيتُ ويُحْيِي بأْسُها ونَدَاها

٥٧ - يُعَطِّرُ نَظْمِي مَدْحُهُ وقَصائِدِي ... كأنْ ذِكْرُهُ بالمِسْكِ مِنْهُ حَشَاها

٥٨ - إذا وَعَتِ المَعْنَىٰ بِها نَفْسُ مُؤمِنٍ ... أَصَاخَتْ وقَرَّتْ بالسُّرورِ حَشَاها

٥٩ - وقَالَ لِسَانُ العِلْمِ والفَهْمِ، لا وَهَىٰ ... جَنَانُ لِسَانٍ بالبَيَانِ فَرَاها

٦٠ - لَقَدْ جَرَسَتْ مِنْ أطْيَبِ النَّخْلِ نَحْلُها ... وحَلَّ جَمِيعُ الصَّيْدِ جَوْفَ فَرَاها

*****

(٤٩) تباعدها: فى الأصل: تباعد، دون ذكر الضمير، وهو سهو من الناسخ. نواها: النَّوى (البعد).

(٥٠) حنَّة: اسم مرة من الحنين وهو الشوق. نواها: (من النية).

(٥١) حناها: (من الانحناء).

(٥٢) تروى: ترتوى. حائمات: ظامئات. هفا: مال وجذب. حناها: (من الحُنُوّ) وهو العطف.

(٥٣) أقصرا: كُفَّا. دعاها: (من التَّرك).

(٥٤) دعاها: (من الدعاء) أى النداء، أو من الدعوة.

(٥٥) لاح: ظهر. بارق: برق. وروَّى: فى الأصل: يُرَوِّى، وهو خطأ، والتصحيح من النبهانية. نداها: (المطر الخفيف).

(٥٦) البأس: الشدة. نداها: (الكرم).

(٥٧) حشاها: (من الحشو) أى ملأها.

(٥٨) أصاخت: استمعت. حشاها: (القلب).

(٥٩) لا وَهَى: لا ضعف، وهى جملة دعائية. جنان: قلب. البيان: البلاغة والفصاحة. فَرَاها: (أجاد صنعتها).

(٦٠) جرست النحل: امتصت رحيق الثمار والأزهار. النخل: فى (أ): التمر، وهما متقاربان، واخترت (النخل) كما فى النبهانية لميل الصرصرى فى هذه القصيدة إلى المجانسة. فَرَاها: (حمار الوحش) مأخوذ من المثل القائل: كل الصيد فى جوف الفرا. يضرب للصيد أو الكسب الكبير الذى يغنى عما سواه.

الهائية الثانية

(عدتها ٥٦ ـ الطويل الثالث)

يكثر الجناس بأنواعه المختلفة ـ خاصة الجناس التام ـ فى هذه القصيدة، كما فى : (بَرَاها ـ بُراها)، (يُجار ـ جار)، والجناس المقلوب كما فى (جواها ـ وجاها) .

إلا أن ألوان البديع هنا لم تسيطر على القصيدة بحيث تفسد المعنى أو تشوش على العاطفة كما فى الهائية السابقة، لأنها جاءت بنسبة أقل بكثير، كما أنها غير مفتعلة ولا متكلفة إلا فيما ندر من أبيات هذه القصيدة .

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- وصف رحلة الحج والمشاعر المصاحبة لها .
- فى تعظيم الأرض المباركة .
- فى مدح النبى ﷺ .
- دعاء واستغاثة .

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَرَاها تَجُبْ عُرْضَ الفَلاةِ ذَراها ... فإمَّا المَنَايَا أوْ بُلوغُ مُنَاها ٨٥/أ

٢ - ولا تَخْدَعَاها بالقُصورِ عَنِ الرُّبَا ... بِنَجْدٍ فَما قَصْدُ المَطِيِّ سِوَاها

٣ - بَرَاها التَّغالِى فى بُرَاها وإنَّها ... لِفَرْطِ جَوَاها لا تَخافُ وَجَاها

٤ - تَجِدُّ بِهَا الأشْواقُ حَسْرَىٰ كأنَّها ... حَنَايا قِسِيٍّ والسِّهامُ خُطاها

٥ - ولولا ادِّكارُ العَهْدِ لَمْ يَلْوِ عِطْفَها ... زَرودٌ عَلىٰ بُعْدِ المَدىٰ ولِوَاها

٦ - يُمِلُّ عَلَيْها سُحْرَةً نَفَسُ الصَّبَا ... رَسَائِلَ عَنْ بَانِ الحِجازِ رَوَاها

٧ - فَيُطْرِبُها مَرُّ النَّسِيمِ فَتَنْثَنِى ... مِرَاحًا نَشاوَىٰ لا تَمَلُّ سُرَاها

٨ - فيا حَادِيَيْها أعْفِيَاها هُدِيتُما ... عَنِ الزَّجْرِ إنْ حَادِى الغَرامِ حَدَاها

٩ - فإنَّ لَها بَيْنَ الجَوانِحِ والحَشَا ... حَنينًا بِهِ تَطْوِى بَعِيدَ مَدَاها

١٠ - مَتَىٰ تَحْمَدُ الهِيمُ الخِماصُ مَقِيلَها ... وَتُمْسِى عَلىٰ وِرْدٍ يَبُلُّ صَدَاها؟

١١ - ويُسْفِرُ عَنْ وَجْهِ النَّجاحِ سِفَارُها ... وتُلْقِى بِسَلْعٍ لِلإيابِ عَصَاها؟

---

(١) ذراها : اتركاها . يخاطب صاحبين متخيَّلين على عادة الشاعر العربى القديم فى مطالع القصائد . تجب : تقطع، مجزوم فى جواب الطلب، وأصله : تجوب . المنايا : الموت .

(٢) عن الربا : فى الأصل : على الربا، والتصحيح من النبهانية . وقوله : لا تخدعاها بالقصور عن الربا بنجد، أى : لا تخدعاها فتغتر بالقصور وتتلهَّى عن ربا نجد حيث ديار الأحباب .

(٣) براها : أهزلها وأضعفها . التغالى : المغالاة ومجاوزة الحدّ . بُراها : البُرَى جمع بُرَة وهى حلقة توضع فى أنف البعير يُشَدُّ بها زمامه . الجوى : الحزن الناشئ عن العشق . الوجىٰ : داء يصيب أخفاف الإبل من طول سيرها .

(٤) تجدُّ : تجتهد، والمراد : تجعلها تجتهد فى سيرها . حسرى : متعبة . حنايا : أطراف الأقواس .

(٥) ادِّكار : تذكر . لم يَلْوِ عطفها : أى لم يجذبها . زرود : موضع على طريق حجاج الكوفة نحو مكة المكرمة [ياقوت ٣/١٥٦] .

(٦) يُمِلّ : يملى . سحرة : فى وقت السحر . البان : شجر طويل أملس .

(٧) تنثنى : تميل . مراحا : نشيطات . نشاوَى : جمع نشوى، من النشوة وهى السُّكْر .

(٨) أعفياها : سامحاها . الزجر : العنف، وجملة (هديتما) اعتراضية دعائية .

(٩) الجوانح : الضلوع .

(١٠) الهيم : الإبل العطاش . الخماص : الجائعات . مقيلها : مكان القيلولة والراحة . الصدى : العطش .

(١١) يسفر : ينكشف . سفارها : سفرها . الإياب : الرجوع . وإلقاء العصا : كناية عن الإقامة والاستقرار فى الوطن بعد طول سفر .

١٢ - سَقَىٰ اللهُ تِلْكَ الأَرْضَ ما طَابَ مِنْ حَيًا ... وشَــاعَ فَــاحْــيَــا وَهْدَها وَرُبَاهَا

١٣ - فَلَمْ يَبْقَ مَيَّاسٌ مِنَ النَّبْتِ أَخْضَرُ الْـ ... ـخَــمَــائِلِ إلاَّ زَانَهــا وكَــسَــاها

١٤ - فَــتِلْكَ مِنَ الأَوْطَانِ أَشْــرَفُ مَطْلَبٍ ... وأَقْــصَىٰ أَمَــانِي مُــهْــجَــتِي ورِضَــاها

١٥ - فَــهَلْ لِلَيَــالٍ أَقْــمَــرَتْ فِي عِــرَاصِــهــا ... بَــنُــورِ الــتَّـــــــلاقِي أَوْبَــةٌ فَــنَــرَاهــا

١٦ - فَــيُــورِقَ فِــيــهَــا مَــا عَــسَــا مِنْ وِصَــالِنا ... وتَغْنَىٰ المُنَىٰ عَنْ عَلِّهــا وعَــسَــاهَا!

١٧ - لَعَــمْــرُكَ مَــا أَشْــجَــانُ قَلْبِي رَهِينَةً ... بِنَجْــدٍ ولا أَسْــحَــارِها وصَــبَــاها

١٨ - ولَــكِنْ بِمَأْوَىٰ الفَضْلِ مُجْتَمَعِ النَّدَىٰ ... مَنَارِ الهُــدَىٰ رَبْعِ العُــلا وحِــمَــاها

١٩ - مَـــواطِنُ آبَائِي ودَارُ عَـــشِــيــرَتِي ... ومَــفْــخَــرُها بَيْنَ الوَرَىٰ وسَنَاها

٢٠ - أَلا تِلْكَ كَنْزُ الفَضْلِ طَيْبَةُ مَعْدِنُ الْـ ... ـحَــقَــائِقِ أَسْــبَــابُ الهُــدَىٰ وعُــرَاها

٢١ - تَنَالُ النُّفُــوسُ الخَــائِفَــاتُ أَمَــانَهَــا ... بِهَــا والقُلُوبُ الحَــائِمَــاتُ مُنَاها

٢٢ - هِيَ القَلْبُ لِلإِيمَــانِ والقُــبَّــةُ الَّتِي ... لِعِــــزَّتِهَـــا الإِسْـــلامُ حَلَّ ذُرَاهَا

٢٣ - يُجَارُ مِنَ الدَّجَّالِ ذِي الجَــوْرِ جَــارُها ... ويُــبْــرِئُ مِنْ دَاءِ الجُــــذَامِ بَرَاها

---

(١٢) حيا: مطر. الوهد: الأرض المنخفضة. ورباها: في (أ): ورواها، والتصويب من النبهانية، وهو أقرب لمراد الناظم لقصد المقابلة بين المنخفض والمرتفع من الأرض.

(١٣) مياس: متمايل. الخمائل: الأشجار الكثيرة الغصون.

(١٤) المهجة: القلب.

(١٥) عراصها: ساحاتها. أوبة: عودة. وهذا البيت وتاليه زيادة من النبهانية.

(١٦) عسا: يبس وجفت أوراقه. علَّ وعسى: من أدوات الترجي، وعوملتا معاملة الأسماء فصحَّ جرهما بعن.

(١٨) مأوى: منزل وموضع. الندى: الكرم. الحمى: المكان المَحْميُّ فلا يجرؤ أحد على النَّيل منه أو ارتكاب جرم فيه. وجاء هذا البيت في (أ) هكذا:

ولكن بمأوى الفضل مجتمع الهُدى ... منارِ العلا ربعِ الصفات حِماها

وما أثبتُّه من النبهانية أصح.

(١٩) الورى: الناس.

(٢٠) معدن الحقائق: موضع ثبوتها. العرى: ما يمسك به كل شيء.

(٢١) الحائمات: الظمأى. وأصله من: حامَ الطائر على الماء، إذا دار حوله ورفرف بجناحيه يريد الشرب.

(٢٢) لعزتها: لأجل عزتها، فاللام للتعليل. ذارها: جمع ذروة، وهي القمة. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٢٣) يجار: يغاث ويُخلَّص. جارها: ساكنها. يبرئ: يشفي. بَراها: ترابها. جاء في فضل المدينة المنورة قوله ﷺ: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال» =

٢٤ - تُحَثُّ إليْها العيسُ شَرْعًا ولوْ سَطَتْ بها في الفَلا أنْساعُها وبُرَاها

٢٥ - لَقَدْ فَضَلَتْ في الأرْضِ شَرْقًا ومَغْرِبًا عَلَىٰ مُدُن الدُّنْيا وريف قُرَاها ٨٥/ب

٢٦ - بِمَنْ أشْرَقَتْ مِنْ نُوره جَنَبَاتُها ومَنْ طَابَ مِنْ رَيَّاهُ طيبُ شَذَاها

٢٧ - مُحَمَّد الماحي بنُور رَشَاده عَنِ الأمَّة الحَيْرَىٰ ظَلامَ هَوَاها

٢٨ - وكَانَتْ منَ الكُفْر المُبينِ عَلَىٰ عَمىٰ فَبَصَّرَها مِنْ بَعْد طُول عَمَاها

٢٩ - فَأَضْحَتْ عَلىٰ بَيْضَاءَ مِنْهُ نَقيَّة ولَوْلاهُ لَمْ تَسْلُكْ سَبيلَ سُوَاهَا

٣٠ - هُوَ الفَاتحُ السَّبَّاقُ والخَاتَمُ الَّذي مَناقبُهُ في الفَضْلِ لا تَتَنَاهىٰ

٣١ - لَقَدْ كَتَبَ الرَّحْمٰنُ في القدَم اسْمَهُ عَلىٰ العَرْشِ والجَنَّات حينَ بَنَاها

٣٢ - وواثَقَ كُلَّ الأنْبياء لنَصْره مُواثَقَةً كُلٌّ وَفَىٰ ورَعَاها

٣٣ - وفي الصُّحُف الأُولَىٰ تَجَلَّتْ صفاتُهُ تَبَيَّنَها مَنْ خَطَّها ووَعَاها

٣٤ - وحَيَّاهُ جَهْرًا لَيْلَةَ البَعْث كُلُّ مَا عَلَىٰ الأرْضِ منْ أشْجارها وحَصَاها

٣٥ - وفي بَعْثه قَدْ كانَ حرزًا ورَحْمَةً لأُمَّته في العَالَمينَ وجَاها

٣٦ - وأخْبَرَ أنْ لا مُسْتَبيحَ منَ العدَا لبَيْضَتها ممَّنْ طَغَىٰ وتَبَاهىٰ

٣٧ - وأنَّ الرِّجَالَ الأرْبَعينَ مَعَانىَ الْـ ـبَسيطَة فيها ما رَسَا حَسَنَاها

٣٨ - وفي لَيْلَة المعْراج أُعْطِيَ مَنْصبًا رَفيعًا من التَّشْريف لَيسَ يُضَاهىٰ

= [البخاري: الفتح، ك فضائل المدينة، حديث رقم ١٨٨٠].

(٢٤) تحث: تساق مسرعة. العيس: الإبل البيضاء. سطت بها: أهلكتها. أنساعها: الحبال التي تشد بها الرحال، والبرى: جمع برة، حلقة توضع في أنف البعير.

(٢٦) ريَّاه: رائحته. الشذى: الرائحة الطيبة.

(٢٩) بيضاء: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: شريعة بيضاء سُواها: السُّوَىٰ: العدل. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٣٠) المناقب: الفضائل.

(٣٢) واثق: أخذ العهد.

(٣٥) حرزًا: حصنًا مانعًا من كل شرٍّ. وجاهًا: قدرًا عظيمًا.

(٣٦) البيضة: الحمى. وهذا البيت وتاليه زيادة من النبهانية.

(٣٧) الرجال الأربعون: هم النجباء، وهم القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم، المتصرفون في حقوق الخلق [اصطلاحات الصوفية للقاشاني، ص ٩٤]. البسيطة: الأرض، رسا: ثبت. الحسنان: جبلان ببلاد العرب. وجملة (ما رسا حسناها) كناية عن الدوام، فالجبال تدوم وتبقى ما بقيت الأرض. (٣٨) ليس يضاهي: لا يشبهه شيء.

٣٩ - رَأىٰ جَنَّةَ المأْوَىٰ ومَا فَوقَها ولوْ رَأىٰ بَعْضَ مرْآهُ سِواهُ لَتَاهَا

٤٠ - فَما خَانَهُ قَلْبٌ ولا بَصَرٌ طَغَىٰ ولا زَاغَ عَنْ أشْياءَ كَانَ رَآها

٤١ - وَفِى المَوْتِ أَمْلاكُ السَّمَاءِ لِنَصْرِهِ مُجَاوِرةٌ مَا زَانَها قَمَرَاهَا

٤٢ - ويَومَ مَعَادِ النَّاسِ فَهْوَ شَفيعُهُمْ إِذَا الكُرْبَةُ الكُبْرَىٰ أحَاطَ أذَاها

٤٣ - ويَنْقَعُ بالحَوْضِ الصَّدَىٰ ويُخَلِّصُ الْـ ـمُسِيئِينَ مِنْ نَارٍ يُشَبُّ لَظَاها

٤٤ - فَسُبْحانَ مَنْ أهْدَىٰ لَهُ كُلَّ غايَةٍ مِنَ المَجْدِ كُلُّ النَّاسِ دُونَ عُلاهَا

٤٥ - عِنَايَتُهُ جَدَّتْ بِهِ، فَلَوِ ارْتَقَتْ سَمَاءَ المَعَالِى رُتْبَةٌ لسَمَاهَا

٤٦ - مَهِيبُ المُحَيَّا الطَّلْقِ عَمَّ حِبَاؤهُ تَحُلُّ لَهُ صِيدُ المُلوكِ حُبَاهَا

٤٧ - حَلِيمٌ عَنِ الجَانِى شُجَاعٌ إِذَا اتَّقَتْ بِصَولَتِهِ شُوسُ الكُمَاةِ حَمَاهَا

٤٨ - إِذَا الحرْبُ مَدَّتْ للنِّزَالِ رِوَاقَها ودَارَتْ عَلىٰ قُطْبِ الهَلاكِ رَحَاها

٤٩ - وكَادَ يُزيلُ العَقْلَ رَعْدُ حَديدِها ويَخْتَطِفُ الأبْصارَ بَرْقُ ظُبَاهَا

٥٠ - وعَسْعَسَ لَيْلُ النَّقْعِ فى حَوْمَةِ الوَغَىٰ جَلا بِضِياءِ المَشْرَفِىِّ دُجَاهَا

٥١ - فَآلاؤهُ شُهْدٌ لأهْلِ وَلائهِ وبَطْشَتُهُ تَسْقِى العُدَاةَ أَلاهَا

---

(٤١) أملاك السماء: الملائكة. ما زانها قمراها: ما دام الشمس والقمر يزينان السماء، وهى من كنايات الدوام والأبدية. وهذا البيت زيادة من النبهانية.

(٤٣) ينقع: يروى. يُشَبُّ: يوقَد. اللظى: النار.

(٤٥) الأبيات من (٤٥ :٥٣) زيادة من النبهانية. عنايته: عناية الله عز وجل. جدَّت به: أعلت قدره.

(٤٦) المحيا: الوجه. حباؤه: عطاؤه، والذى فى النبهانية: (حَياؤه) ولعله خطأ مطبعى. صيدُ الملوك: أشرافهم. حباها: ثيابها. وقوله: تحل حباها، أى تتواضع الملوك فى حضرته ﷺ.

(٤٧) صولته: بطشه بالأعداء وقهره لهم. شوس: شجعان. الكماة: الفرسان المغطون بالسلاح.

(٤٨) النزال: القتال. مدت رواقها: كناية عن اتساع الحرب وشدتها، ودارت رحاها: بدأت، فكأنها تطحن المتحاربين.

(٤٩) الرعد: شدة الصوت. الظبا: السيوف.

(٥٠) عسعس: أظلم. النقع: غبار الحرب. الحومة: الوسط. الوغى: الحرب. المشرفى: السيف. دجاها: ظلامها.

(٥١) آلاؤه: فضله ونعمه. الشهد: العسل. الولاء: المحبة. العداة: الأعداء. ألاها: شجر الألاء أو الألَى وهو شجر مر الطعم.

٥٢ - فَيَا مَن بِهِ بَطْحَاءُ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... وَزِينَ مُصَلاَّهَا بِهِ وَصَفَاهَا

٥٣ - وَمَنْ فَضْلُهُ فِي نُونَ والحِجْرِ والضُّحَىٰ ... وَيس والفَتْحِ المُبِينِ وَطَـٰهَ

٥٤ - بِنُورِكَ وَحَّدْنَا الإِلَٰهَ فَلَمْ نُرِدْ ... سِوَىٰ اللهِ رَبٌّ العَالَمِينَ إِلَٰهَا

٥٥ - ونَحْنُ عَلَىٰ مِنْهَاجِ سُنَّتِكَ الَّتِي ... جَلا نُورُها أَلْبَابَنا وشَفَاها

٥٦ - فَسَلْ رَبَّكَ الرَّحْمَٰنَ إِتْمَامَ فَضْلِهِ ... عَلَيْنا بِعُقْبَىٰ نَسْتَطِيبُ جَنَاها

*****

---

(٥٢) مصلاها : حَرَمُها . صفا : جبل الصفا .

(٥٣) احتوت هذه السور الكريمة على جملة من مناقب النبي ﷺ ، سبق إيراد بعض آياتها .

(٥٥) ألبابنا : عقولنا .

(٥٦) عقبى : آخرة . نستطيب : نجده طيبًا . جناها : ثمرها . وقد سقطت كلمة (بعقبى) من الناسخ سهواً ، وأثبتُّها من النبهانية .

قافية اللام ألف !

حتى وقت قريب كان معلِّمونا يلقوننا الأبجدية العربية على أنها تسعة وعشرون حرفًا، بإضافة هذا (الحرف) : اللام ألف ! وهذا خلط بين الحروف المفردة أى الأصوات، وبين حروف المعانى؛ فإن (لا) حرف من حروف المعانى يستعمل للنفى والنهى والدعاء وغير ذلك، لكنه ليس حرفًا أى ليس رمزًا لوحدة صوتية « phoneme »، لأنه يتكون من صوتين : اللام والألف.

إلا أن الناسخ وقع فى هذا الخطأ، وقد كان ينبغى عليه أن يضع هاتين القصيدتين ضمن قافية اللام؛ لأن القصيدة تنسب إلى حرف الروى، وحرف الروى هنا : اللام المطلقة بالفتح.

القصيدة الأولى فى قافية اللام ألف

(عدتها ٣٩ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة باستنزال المطر والدعاء بالخصب للربوع المقدسة، والحنين إليها، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض صفاته وخصائصه ومعجزاته، وتختم بالاستجارة به ﷺ من فتن الدنيا.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق إلى الربوع المباركة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- استجارة وتوسل به إلى الله عز وجل.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَىٰ اللهُ بالبَطْحاءِ رَبْعًا مُكَلَّلاً ... بتَاجِ السَّنا والعِزِّ غَيْثًا مُجَلْجِلا

٢ - هُوَ الرَّبْعُ آنَسْتُ الحَيَاةَ بجَوِّهِ ... وعَانَقْتُ فيه العَيْشَ فَيْنانَ مُقْبِلا ٨٦/أ

٣ - ألا هَلْ إلىٰ ذات السُّتُورِ مَصُونَةِ الْـ ... ـخُدورِ الَّتي عَزَّتْ وَتاهَتْ تَدَلُّلا

٤ - سَبِيلٌ ولَوْ أنَّ المَهَامِهَ دُونَها ... مُلئنَ سُيُوفًا مُرْهَفاتٍ وذُبَّلا؟

٥ - وهَلْ وَقْفَةٌ للوَفْدِ فيها فَنَجْتَلي ... بنَعْمَانَ وَجْهًا بالرِّضا مُتَهَلِّلا؟

٦ - وهَلْ لِلَيالي الوَصْلِ بالخَيْفِ مِنْ مِنَىٰ ... مُعِيدٌ لِمَنْ مَا حَالَ عَنْها ولا سَلا؟

٧ - أحِنُّ إلىٰ سَلْعٍ وطِيبِ مَقِيلِه ... ولوْلا القِبابُ البِيضُ ما طَابَ مَنْزِلا

٨ - فَيا مُنْتَهَىٰ الآمالِ والفَخْرِ والنَّدَىٰ ... ومُجْتَمَعَ الإحْسانِ والرُّتَبِ العُلَىٰ

٩ - إذا لَمْ يُتَحْ للرَّكْبِ نَحْوَكَ أنَّةٌ ... فَلا طَابَ عَيْشٌ للمُحِبِّ ولا حَلا

١٠ - دَعِي نَفَسَ الأسْحارِ يَنْفَحُ إنَّني ... أشَمُّ بِهِ مِنْ عَرْفِ أرْضِكِ مَنْدَلا

---

(١) مكللاً: متوَّجًا. الغيث: المطر.
المجلجل: الغزير المصحوب بصوت شديد.

(٢) فينان: أخضر، كناية عن طيب العيش ورغده.

(٣) ذات الستور: الكعبة. الخدور: جمع خِدر وهو الستر.
تاهت: عظمت وتكبَّرت. تدللا حسنًا وجمالاً.

(٤) المهامه: جمع مهمه وهي الصحارى. مرهفات: سيوف دقيقة الحد قاطعة.
الذبل: الرماح.

(٥) نجتلي: ننظر. نعمان: واد بين مكة والطائف.

(٦) حالَ: تحوَّل. سلا: من السُّلوّ، وهو النسيان.

(٧) القِبَاب: القباب جمع قُبَّة، وهي السقف المستدير على هيئة نصف الكرة، والقبة من الخيام بيت صغير مستدير.

(٨) النَّدى: الكرم والجود والمعروف.

(٩) أنَّةٌ: أنَّ الرجل من الوجع أنينا، وتأوَّه، ويقصد أطال الركب أصواتهم بالدعاء والشكوى.

(١٠) نفس الأسحار: النَّفَس: الريح الخفيفة التي يتنسمها الإنسان فيستروح إليها لطيب روائحها. ينفح: يفوح عطره وشذاه.
عَرْف: بفتح العين وسكون الراء: الريح الطيبة كانت أم خبيثة.
مَندلا: بلد بالهند يجلب منه العود الفائق فيقال عود مَندليّ.

١١ - لَعَلَّ أخَـا الأشْـواقِ إنْ مَـرَّ نَحْـوَهُ ... بريَّاك يَرْتَحْ أو يَجِـدْ مُـتَـعَلَّلا

١٢ - وكَـيْفَ يَقـرُّ القَلْبُ عَنْكَ وقَـدْ حَـوىٰ ... جَنابُكَ أزْكَىٰ العَـالَمـينَ وأفْـضَـلا

١٣ - مُـحَـمَّـدٌ المُـخْـتـارُ أفْـصَحُ مُـبْلغٍ ... وأنْصَحُ عَـبْـدٍ جَـاءَ بالحَقِّ مُـرْسَـلا

١٤ - هُوَ الخَـاتَمُ المَـبْـعـوثُ بالحَقِّ آخـرًا ... وإنْ كـانَ فى التَّـفْـضِـيلِ والخَلْقِ أوَّلا

١٥ - مِنَ الطِّينَة البَـيْـضـاءِ قَـبْـضَـتُـهُ الَّتِى ... زَكَتْ وحَـمَـاها اللهُ مِنْ غـيَـرِ البلىٰ

١٦ - لَقَـدْ أُخْـرِجَتْ مِنْ قَـبْـرِهِ العَطِرِ الثَّـرَىٰ ... ليُـعْـجَنَ بالتَّـسْنيم عَـجْنًا ويُجْـتَلىٰ

١٧ - ويُغْـمَسَ غَـمْـسًـا كَىْ يَزِيدَ طَهـارَةً ... بأنْهـارِ جَنَّاتِ النَّعِـيمِ ويَكْمُـلا

١٨ - وطِيفَ بِهـا السَّبْعُ الطباقُ كَـمِثْلِ ما ... به لَيْلَةَ المِـعْـراجِ طِيفَ مُـبَـجَّـلا

١٩ - وحَلَّ مِنَ الأصْـلابِ فى كُلِّ طَاهِرٍ ... فَـمـا زالَ فِـيـهـا طَيِّـبًا مُـتَنَقِّـلا

٢٠ - إلىٰ أنْ بَدَا فى طَالِعِ السَّـعْـدِ كَـامِلَ الْـ ... ـمَناقِبِ والأخْلاقِ والسَّمْتِ والحُلىٰ

٢١ - ونَالَتْ به الزُّلْفَىٰ حَليـمَـةُ إذ غَـدَتْ ... بأبْرَكِ مَـوْلُودٍ سـمَـا وتَحَـوَّلا

٢٢ - هُوَ الأبْلَجُ البَـادى الوَضَـاءَةِ وجْـهُـهُ ... كَبَدْرِ الدُّجَىٰ بَلْ كَانَ أبْهَىٰ وأجْمَلا

٢٣ - أجَلُّ الوَرَىٰ فَـرْعًـا وأنْوَرُ مَـفْـرِقًـا ... وأجْـمَلُ عِرْنِينًا وأحْلَىٰ مُقَبَّلا ٨٦/ب

٢٤ - وأقْـوَمُـهمْ قَـدًّا وألْيَنُ مَـعْـطَفًـا ... وأعْـذَبُ ألْفـاظًا وأصْـدَقُ مِـقْـوَلا

٢٥ - وأغْـزَرُ إيمـانًا وعِلْمًـا وحِكْمَـةً ... وزُهْدًا وإفْـضَـالاً لَهُمْ وتَوَكُّـلا

---

(١١) رياك: الريَّا: الرائحة الطيبة.
متعللا: ما ينشغل به الإنسان عن الشىء فينساه.
(١٢) يقر: يسكن ويهدأ.
(١٥) الطينة البيضاء: الطين الطاهر، والأصل الشريف.
زكتْ: طهرت. غيَر: حوادث وتقلبات. البلَى: الفناء.
(١٦) التسنيم: ماء الجَنة. يجتلىٰ: يصقل ويوضح.
(١٨) مبجلا: معظَّمًا وموقَّرًا.
(١٩) المناقب: الفضائل والمكارم. السمت: حسن الهيئة والسكينة والوقار.
(٢١) الزلفى: القربى والمنزلة.
(٢٢) الأبلج: الأبيض الحسن.
(٢٣) الورى: الخلق. مفرق: مكان فَرْق الشعر. العرنين: الأنف. مُقَبَّلا: الفم.
(٢٤) أقوم: أكثر اعتدالا. القد: القوام. مقولاً: لسانًا، أى حديثًا.
(٢٥) إفضالا: إحسانًا إلى غيره.

٢٦ - وأطيبهم عرقًا وأصلاً ومَحتدًا ... وبرًّا يُوازى منهُ مَجدًا مُؤثَّلا

٢٧ - وأعظمُهم لله ذى العرشِ خشيةً ... تَظُنُّ أزيزَ الصدرِ للخوفِ مِرجَلا

٢٨ - وأبسطُ كفًّا بالندىٰ وأشدُّهُمْ ... دفاعًا إذا ما أبْدَتِ الحربُ قَسطَلا

٢٩ - إذا ركبَ العضباءَ زادَ مهابةً ... ويَسمو وقارًا حينَ يَركَبُ دُلدُلا

٣٠ - حَباهُ وأعطاهُ المُهيمنُ مَنطقًا ... فَصيحًا وَجيزًا للمَعانى مُحَصِّلا

٣١ - وآتاهُ قرآنًا عَزيزًا مُفصَّلاً ... عَجيبًا مُبينًا مُجملاً ومُفَصِّلا

٣٢ - فأوْضحَ ما أمْسَىٰ من الكُفْرِ طامسًا ... وحَلَّ منَ البُطْلانِ ما كانَ مُشْكِلا

٣٣ - فيا خَيرَ مَنْ حَنَّتْ إليهِ نَجيبَةٌ ... ويَمَّمَ مَغْناهُ نَجيبٌ وأرْقَلا

٣٤ - وأمْنَعَ مَنْ آوىٰ طريدًا مُشَرَّدًا ... وأكْرَمَ مَنْ أعْطَىٰ العُفاةَ فأجْزَلا

٣٥ - مَدَحْتُكَ أبْغى جاهَكَ الواسعَ الَّذى ... سيَظْفَرُ مَنْ أضْحَى به مُتَوَسِّلا

٣٦ - فَكُنْ لِىَ جارًا فى حَياتى ومُسْعِدًا ... عَلَىٰ فِتَنٍ تُلْقِى اللَّبيبَ مُزَلْزَلا

٣٧ - فَما أمَلى مِنْ حُسْنِ عَطفِكَ آيسًا ... وما خابَ ذُو قَصْدٍ رَجاكَ وأمَّلا

٣٨ - عَلَيْكَ سَلامُ اللهِ يَبْقَىٰ علىٰ المَدىٰ ... بَقاءَ نَعيمِ الخُلْدِ لَنْ يَتَبَدَّلا

٣٩ - وآتاكَ مَوْلاكَ الوَسيلَةَ رُتْبَةً ... تَؤُولُ لَها مِنْ غايَةِ القُرْبِ مَوئِلا

. *****

---

(٢٦) عرقا: أصلاً، ومثلها المحتد. مؤثلاً: أصيلاً ثابتًا.

(٢٧) أزيز: حركة واضطراب، عن مطرف عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى وفى صدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء» [شرح سنن أبى داود ٥ / ٣٥٣]. مرجل: قِدْر.

(٢٨) القسطل: الغبار الساطع فى أرض المعارك.

(٢٩) العضباء: اسم ناقة للنبى ﷺ [السيرة الحلبية ٣ / ٤٦٥] ودلدل: اسم بغلة أهداها له المقوقس [السابق ٣ / ٤٦٤].

(٣٠) حباه: منحه وأعطاه. المهيمن: اسم من أسماء الله.

(٣٢) طامسًا: ممحوًا زائلاً.

(٣٣) نجيبة: أى ناقة نجيبة، وهى الكريمة. يمم: قصد إليه وتوجَّه. مغناه: منزله. أرقل: فى سيره بمعنى أسرع، وفيه جدٌّ وأسرع.

(٣٤) العفاة: الفقراء، وكل طالب لمعروف. أجزل: أوسع له العطاء وأكثره.

(٣٦) مسعَّدًا: معينًا أسعده الله ووفَّقه، وأسعد فلانًا: أعانه. اللبيب: ذو اللبِّ العاقل.

(٣٧) آيسًا: يائسًا.

(٣٩) الوسيلة: درجة النبى ﷺ فى الجنة وتجمع على وسائل، وهى القربى. تؤول: ترجع وتصير. والموئل: المرجع والملجأ.

القصيدة الثانية فى قافية اللام ألف

(عدتها ٣٠ - الرمل الأول)

وهذه القصيدة - كسابقتها - تبدأ بالحنين والشوق إلى الأرض المقدسة والثناء على أهلها، ثم تنتقل إلى مدح النبى ﷺ والثناء على أصحابه رضى الله عنهم، وبخاصة الخلفاء الأربعة، وآل البيت، ثم تختم بالتوسل به إلى الله عز وجلَّ كى يصفح عن ذنوبه صفحًا جميلاً.

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- حنين وأشواق إلى الأرض المباركة.
- فى مدح النبى ﷺ.
- فى الثناء على الصحابة الكرام وبخاصة الخلفاء الأربعة، وآل البيت.
- توسل به إلى الله عز وجلَّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عَلِّلِ العيسَ وحَثْحِثْها قَليلا ... عَلَّها تُدْرِكُ مِنْ سَلْعٍ مَقِيلا

٢ - وأَجِلْ ذِكْرَ الحِمىٰ فى سَمْعِها ... فَبِه تَطْوِى الفَلا مِيلاً فَمِيلا

٣ - كُلَّما حَنَّتْ إِلىٰ أوْطانِها ... مَدَّت الأعْناقَ تأتَمُّ الدَّلِيلا

٤ - بأَبِى ما حَمَلَتْ أكْوارُها ... مِنْ رِجالٍ تَحْمِلُ الخَطْبَ الجَلِيلا ٨٧/أ

٥ - كُلُّ شَهْمٍ ثاقِبِ الفَهْمِ إذا ... حَلَّ رَبْعًا للعُلا رَامَ الرَّحِيلا

٦ - يَطْلُبُ الغَايَةَ مِنْها لا يَرَىٰ ... دُونَها مَرْمًى ولا عَنْها عُدُولا

٧ - أيُّها المُزْجِى رِكابًا واصَلَتْ ... بُكْرَةً قَطْعَ الفَيَافِى وأَصِيلا

٨ - كُلَّما خَافَتْ كَلالاً جَرَّدَتْ ... سَيْفَ عَزْمٍ لا تَرَىٰ فِيهِ فُلُولا

٩ - حَىٌّ بالبَطْحاءِ قَوْمًا أصْبَحُوا ... بِدَوامِ الذِّكْرِ فى قَلْبِى نُزولا

١٠ - وإِذا وَافَيْتَ سَلْعًا وبَدَا ... نُورُ ذاكَ العَلَمِ الهَادِى السَّبِيلا

١١ - عَفِّرِ الخَدَّ وقَبِّل تُرْبَةً ... حَلَّ فِيها أكْرَمُ النَّاسِ قَبِيلا

١٢ - حُجَّةُ الرَّحْمٰنِ مِفْتاحُ الهُدَىٰ ... أحْمَدُ المَبْعوثُ بالحَقِّ رَسُولا

١٣ - جُدَدُ الإِيمانِ أضْحَتْ جُدُدًا ... بِسَنَا أنْوارِهِ بِيضًا سُهُولا

١٤ - ونُجُومُ الدِّينِ زُهْرٌ لا تَرىٰ ... أبَدَ الدَّهْرِ لِسَارِيها أُفُولا

---

(١) العيس : الإبل، حثحثها : حُثَّها وشجعها. مقيلا : مكان للراحة والقيلولة .

(٢) الفلا : جمع فلاة، وهى الصحراء الواسعة .   (٣) تأتم : تتبع فى سيرها .

(٤) أكوارها : جمع كور : وهو الرحل، وهو ما يوضع على ظهر البعير للركوب .

(٥) ثاقب الفهم : حاد الذكاء، الربع : المكان، رام : أراد ورغب .

(٦) عدولا : تحولاً ومَيْلاً .

(٧) المزجى : الذى يسوق دابته، الفيافى : جمع فيفاء وهى : الصحراء الواسعة .

(٨) كلالا : تعبًا وإرهاقًا، عزم : هنا بمعنى قوة، فلولا : المقصود ضعفًا ووهنًا (فلولا) : الفل كسر فى حد السيف يمنعه من القطع جمعه فلول والمقصود بها فى البيت الضعف والوهن .

(٩) البطحاء : المقصود بطحاء مكة : واديها ومسيل الماء فيها .

(١٠) وافيت : وصلت إلى المكان، سلعا : جبل بسوق المدينة، أو بالقرب منها .

(١١) تربة : قبر .

(١٣) الجُدَد : جمع جُدَّة، وهى الطريق . جُدُدًا : جمع جديد، لأن النبى ﷺ هو الذى جدَّد ما قدم من الدين .

(١٤) زُهْرٌ : جمع زهراء : لامعة مضيئة . ساريها السائر على هديها ونورها، أو لضوئها ونورها السارى . أفولا : غيابًا .

١٥ - هَدْيُهُ يُهْدى التُّقَىٰ للمُهْتَدى ... وهُدَاهُ يُورِثُ العلْمَ الجَهُولا

١٦ - لَمْ تَزَلْ أنْسابُهُ سَامِيَةً ... فى قُرونٍ سَلَفَتْ جِيلاً فَجِيلا

١٧ - مِنْ لَدُنْ آدَمَ حَتَّىٰ هَاشِمٍ ... فَهْوَ خَيْرُ النَّاسِ إنْ عَدُّوا الأُصُولا

١٨ - خَصَّهُ اللهُ بأصْحابٍ حَوَوْا ... بالمَزايَا ذلكَ المَجْدَ الأَثيلا

١٩ - دَيَّخُوا الكُفْرَ فأضْحَىٰ بِهِمُ ... كُلُّ صَعْبٍ مِنْ بَنِى الشِّرْكِ ذَلِيلا

٢٠ - لَبِسُوا دِرْعَ التُّقَىٰ سابِغَةً ... وانْتَضَوْا للمَجْدِ صَمْصامًا صَقِيلا

٢١ - مِنْهُمُ الصِّدِّيقُ أَوْلاهُمْ بِهِ ... إذْ هُوَ السَّبَّاقُ قَوَّالاً فَعُولا

٢٢ - لَوْ أرادَ المُصْطَفَىٰ مِنْ صَحْبِهِ ... خِلاًّ اخْتارَ أبا بَكْرٍ خَلِيلا

٢٣ - ثُمَّ لَوْ كَانَ نَبِيٌّ بَعْدَهُ ... أصْبَحَ الفَارُوقُ بالأمْرِ كَفِيلا

٢٤ - وارْتَضَىٰ عُثْمانَ مِنْ أصْحابِهِ ... لابْنَتَيْهِ كُفُؤًا بَرًّا وَصُولا

٢٥ - وكَسَا عِطْفَىْ عَلِيٌّ حُلَّةً ... لا تُضاهَىٰ حِينَ أعْطَاهُ البَتُولا ٨٧/ب

٢٦ - ولأهْلِ البَيْتِ مِنْهُ شَرَفٌ ... هُوَ فى الآياتِ باقٍ لَنْ يَزولا

٢٧ - وبِهِ أمَّتُهُ نَالَتْ مِنَ الْـ ... ـفَضْلِ والفَخْرِ مَنالاً مُسْتَطِيلا

٢٨ - يا رَسُولَ اللهِ يا مَنْ مَدْحُهُ ... فى القَوافِى أقْوَمُ الألفاظِ قِيلا

٢٩ - مَسَّنِى ضُرٌّ غِطاءٍ سَاتِرٍ ... مِنْ ذُنوبٍ غادَرَتْ قَلْبِى كَلِيلا

٣٠ - أنَا مِنْها تائِبٌ مُسْتَغْفِرٌ ... فَسَلِ الرَّحْمٰنَ لِى صَفْحًا جَمِيلا

*****

---

(١٨) الأثيل : الأصيل. (١٩) ديخوا : دوخوا وأتعبوا.

(٢٠) سابغة : شاملة تامة . انتضوا : جردوا السيوف من غُمُدِها . صمصامًا صقيلاً : سيفًا قاطعًا حادًا .

(٢٤) كفؤا : من الكفاءة فى النكاح أى أن يكون الزوج مساويًا للزوجة فى حسبها ونسبها ودينها . وصولاً : صيغة مبالغة من (وصل) أى هو مبالغ فى صلة الرحم.

(٢٥) عطفى : جانبى . لا تضاهى : لا مثيل لها . البتول : صفة للسيدة فاطمة الزهراء - رضى الله عنها - لانقطاعها عن نساء أهل زمانها ونساء الأمة عفافًا وفضلاً ودينًا وحسبًا ، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عز وجل [انظر اللسان : بتل].

(٢٨) القوافى : المقصود الشعر . أقوم : أكثر استقامة وبلاغة . قيلاً : قولاً ، والشاعر متأثر بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ المزمل / ٦ .

(٢٩) كليلاً : ضعيفًا واهنًا .

(٣٠) صفحًا جميلاً : عفوًا ومغفرة .

قافية الياء

تضم هذه القافية ثلاث قصائد متوسطة الطول .

اليائية الأولى

(عدتها ٣١ ـ الطويل الثانى)

تبدأ هذه القصيدة بالدعاء بالخصب والسقيا لمرابع الحمى الشريف، وشرح أشواق الشاعر إليه وإلى ساكنيه، واستعادة لذكرياته الجميلة الطيبة فى أرجائه الطاهرة، ثم تنتقل إلى مدح المصطفى ﷺ، وتختم بالتوسل بجاهه من الخطوب والفتن والغواية، ورجاء شفاعته إلى الله عز وجلّ يوم القيامة، واعتذار المقصِّر فى مدحه والثناء عليه .

تضمنت القصيدة العناصر الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف .
- فى مدح النبى ﷺ .
- توسل به إلى الله عز وجلّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مُلثَّ الحَيَا إنْ جُزْتَ بالخَيْفِ حَيِّهِ ... وجُدْ بنَميرِ المَاءِ مَرْبَعَ حَيِّهِ

٢ - وللصَّبِّ خُذْ مِنْ حَاجِرٍ نَفَسَ الصَّبا ... فَإِنَّ شِفَاءَ القَلْبِ فِى حَاجِرِيِّهِ

٣ - وعَرِّجْ عَلىٰ البَطْحَاءِ فَاكْسُ شِعابَهَا ... مِنَ الرَوْضِ مَا يُرْضِيكَ مِنْ عَبْقَرِيِّهِ

٤ - فَإِنَّ بِهَا رَبْعًا تَحِنُّ قُلوبُنا ... إِلَيْهِ عَلىٰ نَشْرِ الفِراقِ وطَيِّهِ

٥ - نَعِمْتُ عَلىٰ ذاكَ الغَرامِ وَعِزِّهِ ... بعَيْشٍ بِهِ غَضٌّ القَطَافِ جَنِيِّهِ

٦ - بِنَفْسِى شُموسَ الصَّحْوِ فِى غَدَواتِهِ ... وأقْمارَ تِمٍّ أشْرَقَتْ فى عَشِيِّهِ

٧ - أَنِسْتُ بِهِمْ حِينًا فَلَمَّا فَقَدْتُهم ... تَجَلَّىٰ سَعيدُ الحُبِّ لِى مِنْ شَقِيِّهِ

٨ - وعِنْدَ تَنائِى الدَّارِ يَمْتَازُ للوَرَىٰ ... مُحِقُّ الهَوَىٰ يَوْمَ النَّوَىٰ مِنْ دَعِيِّهِ

٩ - ولَسْتُ بناسٍ طِيبَ عَيْشٍ خَلَسْتُهُ ... طَيِبَةَ لٰكِنْ راعَنِى بِمُضِيِّهِ

١٠ - سَقَاها فَرَوَّاها غَمَامٌ مِنَ الرِّضَا ... وأعْقَبَهَا مِنْ وَسْمِهِ بِوَلِيِّهِ

١١ - نَزَلْتُ بِهَا فِى خَيرِ وَفْدٍ لِقَصْدِها ... وفِى حُبِّهَا أنْضَىٰ ظُهورَ مَطِيِّهِ

---

(١) مُلث : من لاث يلوث : يلف ويعصب . نمير : النمير من الماء الطيب الناجع في الرى .

(٢) للَصب : للعاشق المُحب . حاجر : مكان بديار بنى تميم وهوكل ما ترتفع جوانبه وينخفض وسطه فيمسك الماء . حاجرية : نسبة إلى حاجر .

(٣) عَرِّج : مِلْ . شعابها : جمع شعْب ، وهو الوادى بين جبلين . عبقريِّه : العبقرىّ : المنسوب إلى وادى عبقر وهو وادٍ ينسب إلَيه كل شيءٍ تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته . وهو صفة لما لا يفوقه شيء فى كماله وبراعته .

(٤) ربعا : الربع : المكان والمرعى . نَشْر : إذاعة وإعلان ، وطَىّ عكسها .

(٥) غضّ : الغض : الطرى النضر . القطاف : الثمار التى حان قطفها وجنيها ، وكذلك جنيّه .

(٦) غدواته : أوقات الخروج فى الصَباح الباكر . أقمار تم : بكسر التاء فى تم : القمر فى ليالى تمامه .

(٧) أنست : سعدت ووجدتِ بهم الأمن والأمان . تجلّى : ظهر ووضح .

(٨) تنَائى : تَباعُد وعكسها تدانى . يمتازٍ : يظهرٍ ويتضح . الورى : الخلق والناس . النوى : الفراق والبعد . دعيّه : الذي يدَّعي الحب كذبًا وباطلاً .

(٩) خلسته : اختلسته وسرقته من الزمان . طَيبة : المدينة المنورة . راعنى : أفزعنى وأخافنى .

(١٠) وسمه : أصله الوسمىّ ، وهو مطر الربيع ، والولىّ مطر يأتى بعد المطر الوسمى .

(١١) أنضى الدابة : أتعب الدابة حتى أهزلها . مطيِّه : المطىّ : المطايا واحدتها مطيِّة وهى الدابة تعد للركوب .

١٢ - أتَاها وقَدْ غَشَّى بَهَاءَ نَضَارَةِ الْـ ... ـقَبُولِ مُحَيًّا كَهْلِه وصَبِيِّه

١٣ - أَنَخْنا بِها بَعْدَ اللَّتَيَّا رِكَابَنا ... عَلَىٰ مَوْرِدٍ يَشْفِى القُلوبَ بِرِيِّه

١٤ - ورَبْعٍ حَوىٰ كَنْزَ المَناقِبِ واقْتَنَىٰ ... جَواهِرَها فى تَاجِه وحُلِيِّه

١٥ - كَسا جَوَّهُ الرَّحْمٰنُ حُلَّةَ فَخْرِهِ ... وقَمَّصَهُ أنْوارَهُ بِنَبِيِّه

١٦ - مُحَمَّدٍ الهَادِى البَشِيرِ أمِينِه ... عَلَىٰ وَحْيِه فِى بَعْثِه وصَفِيِّه ٨٨/أ

١٧ - وخِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِه وحَبِيبِه ... وأكْرَمِ عَبْدٍ عِنْدَهُ ونَجِيِّه

١٨ - وأنَّىٰ لِعَبْدٍ أنْ يَنالَ مَنالَهُ ... وقَدْ نالَ أسْبابَ العُلا بِرُقِيِّه

١٩ - رأىٰ ما رأىٰ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ فَمَا امْتَرَىٰ ... به غَيْرُ مَحْجُوبِ الفُؤادِ غَبِيِّه

٢٠ - نَبِىٌّ كَرِيمٌ هاشِمِىٌّ بِشَرْعِه ... تَبَيِّنَ خَوَّانُ الهُدَىٰ مِنْ وَفِيِّه

٢١ - سِرَاجٌ مُنِيرٌ ذُو بَلاغٍ وحِكْمَةٍ ... عَرَفْنا الهُدى مِنْ هَدْيِه وهَدِيِّه

٢٢ - بَشِيرٌ نَذِيرٌ شَاهِدٌ مُتَوكِّلٌ ... رؤوفٌ رَحِيمٌ شَافِعٌ لِوَلِيِّه

٢٣ - عَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا جَوَادٌ بِرِفْدِهِ ... عَزِيزُ النَّدَى لِلمُعْتَفِى فى بَدِيِّه

---

(١٢) غشَّى : غطَّى . بهاء : حسنٌ وجمال . نضارة : رونق وبهجة .
محيا : وجه وهذا البيت زيادة من (ب) .

(١٣) اللَّتيَّا : بعد ما كان من أمور عظيمة وخطوب كثيرة . الريُّ : الشرب حتى الامتلاء .

(١٤) المناقب : جمع منقبة وهى الفعل الكريم والمفخرة والأخلاق الحميدة . اقتنى : امتلك .

(١٥) قمَّصه : ألبسه قميصاً ، والمقصود : أكرمه وفضَّله .

(١٦) صفيه : من اصطفاه وفضَّله واختاره .

(١٧) خيرته : من اختاره واصطفاه لرسالته . نجيَّه : ناجاه وأوحى إليه .

(١٨) مَنالُه : ما ناله من التكريم والتفضيل . رقيه : الرقىّ به فى معراجه إلى السماء فى ليلة الإسراء والمعراج .

(١٩) امترى : شك . رأى ما رأى : شاهد ما شاهد من المشاهد فى معراجه . والشاعر متأثر بقول الله تعالى ﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾ النجم / ١٢ .

(٢٠) سراج : مصباح وجمعه سُرُج .

(٢١) هَدِيّه : ما أهداه للناس من الخير . وهذا البيت زيادة من (ب) .

(٢٢) لوليِّه : لتابعه ولمن يسير على سنته ونهجه .

(٢٣) عزوف : زاهد ، متعبد : صيغة مبالغة من عزف عن الشىء : كثير البعد والزهد . الرفد : العطاء الوفير . النَّدى : الكرم والعطاء . المعتفى : السائل الذى يطلب عوناً ومساعدة ومعروفاً والأبيات (٢٣ - ٢٦) زيادة من (ب) .

٢٤ - مَـتَى يَأته العَـافِى المُـؤَمِّلُ يَسْـتَـفِـدْ ... نَوَافِلَ مَـبْـسُـوط البَنَان سَـخِـيِّـه

٢٥ - شـجَـاعٌ طويلُ البَـاع فى حَـوْمَـة الوَغَى ... تَلُوحُ المنَـايَا فى شَـبَـا يَزَنِيِّـه

٢٦ - إذَا غَـشِيَ الهَـيْـجَـاءَ جَلَّى عَـجَـاجَـهـا ... ببَـرْقٍ وُحِيٌّ المَـوْت مِنْ مَـشْـرَفِـيِّـه

٢٧ - أعُـوذُ مِنَ الخَطْـب المُلِمِّ بجـاهه ... ومِنْ شَـرِّ بـاغِى وَقْـتِنا وغَـوِيِّه

٢٨ - وإنَّا إذا عُـذْنا به فى مَـعَـادنا ... نَعُـوذُ بمَـحْـمُـود المَـقَـام عَلِيِّـه

٢٩ - ونَأْمُلُ يَوْمَ الحَـشْـر أَنْ يَنْقَعَ الصَّدَى ... بحَـوْض لَهُ عَـذْب الوُرود رَوِيِّه

٣٠ - وإنِّى وإنْ أطْنَبْتُ فى نَظْم مَـدْحِـه ... وأعْـمَلْتُ مِنْ شِـعْـرِى فُنونَ رَوِيِّه

٣١ - لَمُـعْـتَـذرٌ عُـذْرَ المُـقَـصِّـر طالبٌ ... تَجَـاوُزَهُ عَنْ كَـدٌّ فَـهْـمِى وَعَـيِّـه

*****

---

(٢٤) العـافى : الذى يطلب مـعـروفًا . المـؤمَّل : صـاحب الأمل . نوافل : جـمع نافلة وهى بمـعنى الزيادة . البنان : جمع مفرده بنانة وهى أطراف الأصابع .

(٢٥) الباع : المسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينًا وشمالاً، ويقال فلان طويل الباع بمعنى طويل الجسم، وطويل الباع فى كذا بمعنى بلغ الغاية فيه وتجمع على أبواع . حومة : أشد موضع فى المعركة . الوغى : الحرب . المنايا : جمع منية وهى الموت . شبا : الشبا حد كل شىء وطرفه . اليزنية : رماح تنسب إلى ذى يزن، ملك من ملوك حمير .

(٢٦) غشى : نزل ودخل، الهـيجـاء : الحرب التى هاج فيـهـا النّاس بعضـهم على بعض . جلّى : كشف وأزال . العجـاج : الغبار والدخان الذى يثور فى المعارك، وهو جمع مفرده عجاجة . وُحِيٌّ الموت : الموت المحتوم، وأصل الوحى : المكتوب . مشرفيه : سيفه .

(٢٧) الخطب : المصيبة، جمعها خطوب . المُلمّ : النازل الذى يصيبنا . الباغى : الظالم . الغوىّ : الضالّ المُضلّ .

(٢٨) عذنا : لجأنا واحتمينا . معادنا : يوم القيامة .

(٢٩) ينقع : يروى العطش . رويّه : يروى الشـاربين، وفى الأصل (وريه) وهو تصـحـيف . وهذا البيت زيادة من (ب) .

(٣٠) أطنبت : أطلت وأسهبت . الروى : من حروف القافية وهو الحرف الأخير منها وهو الذى تروى عليه القصيدة .

(٣١) كدٌّ : تعب وعناء، وعَيِّه : ضعفه وتقصيره .

اليائية الثانية

(عدتها٣٣ـ الوافر الأول)

وهذه أيضًا كسابقتها، تضمنت الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف .
- فى مدح النبى ﷺ .
- توسل به إلى الله عز وجلّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَرَىٰ صَوْبُ الحَيَا الهَامى فأحيا ... مَرابِعَ بالحِمىٰ عَزَّتْ عَلَيَّا

٢ - إذا نُشِرَتْ مَطارِفُهُ عَلَيْها ... طَوَتْ عَنْها بُرُودَ الجَدْبِ طَيَّا

٣ - دِيارٌ لى بها ظِلٌّ ورِيٌّ ... ولى مِنْ عَرْفِها رَوْحٌ ورَيَّا

٤ - تَعَلَّقَ حُبُّها قَلْبى فأضْحَتْ ... أحَبَّ الأرْضِ فى الدُّنْيا إلَيَّا

٥ - وسَاكِنُها أحَبُّ الخَلْقِ طُرًّا ... إلى قَلْبى وأحْظَاهُمْ لَدَيَّا

٦ - شَرِبْتُ بها مِنَ المَعْنَىٰ كُئوسًا ... يَصُولُ بها الوَقَارُ عَلىٰ الحُمَيَّا

٧ - إذا مَا خَالَطَتْ تِبْرًا مَصُونًا ... سَمَتْ عَزَمَاتُهُ فَوْقَ الثُّرَيَّا

٨ - ومَا حَيَّا نَدِيمُ الشَّرْبِ مَيْتًا ... بها إلا غَدَا فى الحَالِ حَيَّا

٩ - مُبَرْقَعَةُ المَحَاسِنِ ما اجْتَلاهَا ... فَتًى إلا رأىٰ التَّفْنِيدَ غَيَّا

١٠ - حَقائقُ لَيْسَ فيها مِنْ نَصيبٍ ... لِمَنْ لَمْ يَتْبَعِ السَّنَنَ المُهَيَّا

١١ - شَرَائعُ سَنَّها خَيْرُ البَرَايَا ... وأحْكَمَ عَقْدَها أمْرًا ونَهْيَا ٨٨/ب

---

(١) صوب: مطر، ومثله الحيا. الهامى: السائل.

(٢) مطارفه: جمع مُطْرَف، ومِطْرَف، بضم الميم وكسرها: وهي أردية من خز مربعة، والمقصود ما ازدانت به الأرض من الخضرة والأزاهير، بُرُود: جمع بُرْدة وبُرْد وهى كساء مربع أسود تلبسه الأعراب، والمقصود ما كان يغطى الأرض من سواد الجدب والقحط.

(٣) عَرْفها: رائحتها الطيبة، رَوْحٌ: راحة واطمئنان.
رِيًّا: رائحة طيبة.

(٥) طُرًّا: جميعًا.

(٦) الحميا: سطوة الخمر ونشوتها. أى إن هذه الكئوس تفوق نشوة الخمر وسطوتها.

(٧) التبر: الذهب. الثريًا: نجم.

(٨) النديم: رفيق جلسة الشراب. الشَّرب: جماعة الشاربين.
حيًا فى أول البيت: من التحية، وفى آخره من الحياة. يقول: إن كؤوس الحب هذه تعيد الحياة إلى الموتى.

(٩) مبرقعة: مخبَّأة، مشتق من البرقع. اجتلاها: نظر إليها.
التفنيد: تسفيه الرأى. غيًّا: ضلالاً. يقول: إن من ذلق هذا الحُسْن المخبَّأ لم يَلُمْ العاشق ولم يسفه رأيه، وعدَّ تفنيده للمحبين ضلالاً.

(١٠) السَّنَن: الطريق. المُهَيَّا: المهيأ، سهل الهمز لضرورة القافية.

(١١) شرائع: جمع شريعة: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام، وما بينه الرسول ﷺ ووضَّحه بسنته الشريفة. البرايا: جمع البريَّة وهى الخلق.

١٢ - وكَيْفَ يَزيغُ عَنْهَا ذُو تُقَاةٍ   وقَدْ نَزَلَتْ مِنَ الرَّحْمٰنِ وَحْيَا

١٣ - عَلىٰ المُخْتارِ أحْمَدَ خَيْرِ هَادٍ   وأزْكىٰ النَّاسِ أخْلاقًا وهَدْيَا

١٤ - حَوىٰ قَصَبَ السِّبَاقِ إلىٰ المَعالِى   فَرُتْبَةُ فَضْلِه فِى السَّبْقِ عُلْيَا

١٥ - تَبَيَّنَ فَضْلُهُ والخَلْقُ ذَرٌّ   إلىٰ أنْ شاعَ عَنْ مُوسَىٰ وشِعْيَا

١٦ - وقَلَّدَ فَخْرَهُ مُضَرًا وأعْطىٰ   لِواءَ المَنْصِبِ السَّامِى لُؤَيَّا

١٧ - وأعْلىٰ كَعْبَ كَعْبٍ فِى البَرَايَا   وأقْصَىٰ الفَخْرِ بَلَّغَهُ قُصَيَّا

١٨ - وشَادَ لِهاشِمٍ أعْلىٰ مَنارٍ   فأضْحَوْا أشْرَفَ الأحْياءِ حَيَّا

١٩ - وأشْرَقَ نُورُهُ مُذْ كانَ طِفْلاً   عَلىٰ الجَبَهاتِ للأبْصارِ رَأْيا

٢٠ - وسَلَّمَ كُلُّ مَخْلوقٍ صَمُوتٍ   عَلَيْهِ عِنْدَ مَبْعَثِهِ وَحَيَّا

٢١ - ونالَ بِلَيْلَةِ المِعْراجِ شَأْوًا   لِمَنْ رَامَ المَصِيرَ إلَيْهِ أعْيَا

٢٢ - حَلِيمٌ صَابِرٌ رَاضٍ وَفِىٌّ   جَوادٌ باسِمٌ طَلْقُ المُحَيَّا

٢٣ - أتَىٰ بالحَقِّ والشَّيْطانُ يَسْعَىٰ   بِباطِلِ كَيْدِهِ فِى النَّاسِ سَعْيا

٢٤ - فأسْمَعَ بالهُدَىٰ والذِّكْرِ صُمًّا   وقَادَ إلىٰ سَبِيلِ الحَقِّ عُمْيا

---

(١٢) يزيغ عنها : يميل عنها ويتباعد . تقاة : خشية وخوفًا وفى القرآن الكريم. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ آل عمران/ ١٠٢ .

(١٥) ذرٌّ: من ذرّ اللَه الخلق فى الأرض. أو من ذرأ الله الخلق، بمعنى خلقهم وكثَّرهم، ومنه الذرِّيَّة، واسقط الهمز للتسهيل. موسى: عليه السلام نبى بنى اسرائيل، وشعيا: نبى من أنبياء بنى إسرائيل كان قبل زكريا ويحى عليهما السلام [انظر ك خير البشر بخير البَشَرِ لابن ظفر الحموى / تحقيق: الشيخ عبد الحفيظ فرغلى، ود. حمزة النشرتى / المكتبة القيمة / ٤٠].

(١٦) مضر: مضر بن نزار. لؤى: لؤى بن غالب وهما جدَّان فى نسب الرسول ﷺ .
قلد: ألبس.

(١٧) أعلى كَعْبَ كَعْبٍ: كعب الأولى: مؤخر القدم، وكعب الثانية: كعبٌ بن لؤى جد الرسول. يعنى ارتقى بهم إلي أقصي درجات المجد والفخر وأعلاها.

(١٨) شاد: بنى وشيد وأقام. حيًّا: قوما وقبيلة.

(٢٠) صموت: صامت من الجماد.

(٢١) شأوا: مكانة ومنزلة. رام: أراد ورغب. أعيا: تعب وناله الضعف والإرهاق ولم ينل شيئًا.

(٢٢) طَلْقِ المحيا: متهلل الوجه مستبشر.

(٢٤) صمًّا: جمع أصمّ: وهو الذى لا يسمع. عميًا: جمع أعمى: وهو الذى لا يبصر، وأراد بالصم والعمى: من لا تنفذ الهداية إلى قلوبهم.

٢٥ - وأوْجَبَ طَاعَةً ونَفَىٰ خِلافًا ... فَتَمَّ الأمْرُ إيجابًا ونَفْيا

٢٦ - فأضْحَىٰ الدِّينُ مَشْهوراً مُبِينًا ... بِهِ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كَانَ نِسْيا

٢٧ - ألا يا فَاتِحَ الخَيْرَاتِ فَتْحًا ... وبَانِي قَاعِدَاتِ الشَّرْعِ بَنْيا

٢٨ - ومَنْ نَرْجُوهُ فِي سِرٍّ وجَهْرٍ ... لِكُلِّ أُمُورِنا دينًا ودُنْيا

٢٩- سَلِ الرَّحْمٰنَ لِي فِي يُسْرِ حَجٍّ ... أمُوتُ عَلَىٰ تَقَاضِيهِ وأَحْيَا

٣٠ - لآتِيَ رَبْعَكَ المَيْمُونَ، سَقْيًا ... لَهُ مِنْ مَرْبَعٍ رَحْبٍ ورَعْيَا

٣١ - ورُؤْيَةَ وَجْهِكَ المَسْعُودِ طُوبَىٰ ... لِمَشْغُوفٍ عَلَيْهِ يَراهُ رُؤْيا

٣٢ - وخَاتِمَةً مُتَوَّجَةً بِحُسْنَىٰ ... يَفُوزُ بِهَا عُبَيْدُ البَرِّ يَحْيَىٰ ٨٩/أ

٣٣ - عَلَيْكَ مِنَ المُهَيْمِنِ كُلَّ وَقْتٍ ... سَلامٌ لا يُحَاوِلُ مِنْكَ نَأْيا

*****

---

(٢٦) مشهوراً: معروفًا واضحًا لا خفاء به، ومثله (مبينً). نِسْيا: مهملاً مِنْسِيًّا.
(٢٧) قاعدات: قواعد.
(٣٠) الميمون: المبارك. سقيًا له: دعاء بالسُّقْيا أى الخصب والخير، ومثله (ورعيًا).
(٣٢) ورِؤية: منصوب على أنه مفعول (سل) فى البيت التاسع والعشرين.
(٣٣) نأيا: بُعداً.

اليائية الثالثة

(عدتها ٣٢ - الطويل الثانى)

وهذه أيضًا كسابقتها، تضمنت الأفكار الآتية :

- حنين وأشواق وذكريات فى الحمى الشريف .
- فى مدح النبى ﷺ .
- توسل به إلى الله عز وجلَّ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَضَىٰ بَيْنَ إِثْباتِ السُّلوِّ ونَفْيِهِ   وبَيْنَ قُعودِ العَذْلِ عَنْكَ وسَعْيِهِ

٢ - زَمانٌ طَلَبْتُ الوَصْلَ فيهِ فَفاتَني   ولَمْ أَعْدُ عَنْ أمْرِ الغَرامِ ونَهْيِهِ

٣ - ولَمْ أرَ لِي فِي الحُبِّ حَظًّا سِوىٰ الأَسىٰ   وحِفْظِي لِحُسْنِ العَهْدِ فيهِ ورَعْيِهِ

٤ - رَمانِيَ عَنْ قَوْسِ المَحاسِنِ باسِلٌ   فأقْصَدَ أحْناءَ الضُّلوعِ بِرَمْيِهِ

٥ - عَجِبْتُ لِجَيْشِ الحُسْنِ يَسْبِي حَشَا الفَتىٰ الـ   ـعَزيزِ ويَسْتَحْلِي مَرارَةَ سَبْيِهِ

٦ - ويَبْنِي إِذَا عَزَّ الوِصَالُ تَصَبُّرًا   فَيَنْقُضُ دَاعِي البَيْنِ أَسْبَابَ بَنْيِهِ

٧ - وكَيْفَ يُطِيقُ الصَّبْرَ مَنْ بانَ إِلْفُهُ   وَشِيكًا ولَمْ يَعْطِفْ عَلَيْهِ بِلأْيِهِ

٨ - فَكَمْ مَدْمَعٍ أفْناهُ يَوْمَ وَداعِهِ   وكَمْ جَسَدٍ أضْناهُ سَاعَةَ نَأْيِهِ

٩ - سَقىٰ الحَرَمَ الأعْلىٰ مُلِثٌّ مِنَ الحَيَا   مَتىٰ ما يَزُرْ مَيْتًا مِنَ الأرضِ يُحْيِهِ

١٠ - هَنِيئًا مَرِيئًا مُغْدِقًا مُتَدَفِّقًا   يُرَوِّى الرُّبا مِنْهُ بِسَابِغِ سَقْيِهِ

١١ - فَيُضْحِي وقَدْ بَثَّ الرَّبيعُ رياضَهُ   عَلَيْهِ وغَشَّاهُ مَطَارِفُ وَشْيِهِ

---

(١) السُّلُوّ: النسيان. العذل: اللوم، والمراد بإثبات اللوم ونفيه: محاولة النسيان، ثم الفشل فى ذلك.

(٢) الوصلِ: الاتصال بالحبيب وعدم هجره. فاتنى: لم أدركه. الغرام: التعلق بالشيء تعلقًا مستمرا لا يستطاع التخلص منه.

(٣) الأسى: الحزن. حفظى لحسن العهد: محافظتى عليه والوفاء به.

(٤) رمانى: أصابنى. قوس المحاسن: شبه المحاسن بقوس ترمى بها السهام فتصيب العاشقين. أقصد: أصاب عن عمد. أحناء: جمع حنو بكسر الحاء وتسكين النون اعوجاج الضلوع.

(٥) يسبى: يأسر. حشا: ما فى البطن من الأعضاء كالكبد والطحال والكرش وما يتبع ذلك. يستجلى: يكشف ويوضح. شَبْيه: أذاه.

(٦) الوصال: الاتصال بالأحبة وعدم هجرهم. وهذا البيت وتاليه زيادة من (ب). ينقض: يهدم. البين: الفراق والهجر. استعار الشاعر البناء لمحاولة التصبر، والهدم للأشواق.

(٧) بان: رحل وفارق. إلفه: حبيبه. لأْيه: اللأى: المشقة والجهد؛ وفى حديث أم أيمن - رضى الله عنها - قالت: « فبلأىٍ ما استغفر لهم رسول الله ﷺ » أى بعد جهد ومشقة.

(٨) أضناه: من الضنى، التعب والمشقة بمعنى اتعبه وأرهقه. نأيه: بعده.

(٩) مُلِثٌّ: دائم لا ينقطع أياما. الحيا: المطر.

(١٠) هنيئًا: لذيذا سائغا طيبا. مريئًا: سائغًا هنيئًا محمود العاقبة. مغدقًا: كثيرًا يخصِّب الأرض. الربا: جمع ربوة وهى كل ما علا وارتفع من الأرض. سابغ: الدائم المستمر والطويل التام.

(١١) بث: نشر ووزّع. رياضه: جمع روضة وهى الأرض ذات الخضرة والماء، والبستان =

١٢ - ورَقَّ بأنْفَـاسِ الصَّـبَـا عَـذْبُ مَـائِه فَـرَاقَ لأرْبابِ النُّهَىٰ صَـفْـوُ نَهْـيِـه

١٣ - وأصْـبَـحَ فـيـه كُلُّ أحْـمَـرَ بَازِلٍ مِنَ الخِـصْبِ مَـمْلُوءَ العِظَامِ بِنِقْـيِـه

١٤ - وحَفَّ به أمْنٌ يَصُـونُ مِنَ الظُّبَـا حِـمَـاهُ كَـمـا صِـينَتْ مَـرابِعُ ظَبْـيِـه

١٥ - إلَيْـه حَنينِى لا إلىٰ مَنْزِلٍ خَـلا ولا رَسْمِ رَبْعٍ قَـدْ عَـفَـا غَـيْـرَ نُؤْيِه

١٦ - وسَحَّ علَى أكْنافِ طَيْـبَـةَ واكِفٌ مِنَ المُـزْنِ يَرْوِى الأرْضَ مِنْها بِهَـمْـيِـه

١٧ - فـألْبَسَ مِنْهـا حُلَّةَ الزَّهْرِ الرُّبَا وبَثَّ عَلَيْـهـا مِنْ جَـواهِرِ حَلْيِـه

١٨ - فَـتِلْكَ لَعَـمْـرُ الله أكْـرَمُ مَنْزِلٍ تَخَـيَّـرَها الرَّحْـمٰـنُ مَـهْـبِطَ وحْـيِـه

١٩ - وأسْكَنَ فـيـهـا خَـيْـرَ خَلْقٍ مُـحَـمَّدًا نَبِـيًّـا كَـسَـا دينَ الهُـدَىٰ بَعْـدَ عُـرْيِه

٢٠ - وأُرْسِلَ فِى وَقْتٍ عَـرَا أهْلَهُ العَـمىٰ فَـفَـتَّحَ بالإسْـلامِ أعْـيُنَ عُـمْـيِـه

٢١ - فَـصَـارُوا هُداةً مُـهْـتَـدِينَ وأصْبَـحُوا قَد اقْـتَبَـسُوا الآدابَ مِنْ حُسْنِ هَدْيِه

٢٢ - فَكَانَ لأهْلِ الدِّينِ أرْيًا فَـفَـازَ مَنْ بإيمَـانِه يَجْنِى حَـلاوَةَ أرْيِه

٢٣ - وللمُعْتَدِى شَرْيًا فَقَدْ خَابَ مَنْ شَرَى جَنَى أَرْيِهِ الشَّافِى بِقَاتِلِ شَـرْيِه

= الحسن. غشّاه: غطّاه. وشيه: نقشه وزخرفته.

(١٢) راق: أعجب. الصَّبَا: ريح معروفة تهب من الشرق، وجمعها صَبَوات وأصباء. أرباب: أصحاب. النُّهى: العقول.

(١٣) بازل: بعير طلع نابُه. بنقيه: النِّقْيِ: مُخُّ العظام والنخاع الشوكى فيها وجمعه أنْقاء. وكنىَّ بها عن الخصب.

(١٤) يصون: يحمى. الظُّبَا: جمع ظُبَّة وهى حد السيف، وسن الرمح. ظبيه: نوع من الغزلان.

(١٥) رسم: أثر باق من الدار بعد زوالها. ربع: الموضع والمكان ينزل فيه الناس، وديارهم التى يقيمون فيها ووطنهم، وهو يجمع على أربع، ورباع، وربوع، وأُرباعٍ. نؤيه: النؤى: مجرى للماء يحفر حول الخيمة ليحميها من المطر والسيل، ويجمع على نُئِى.

(١٦) سحّ: نزل وانساب وسال من أعلى إلى أسفل. أكناف: جمع كنف: وهو الجانب من كل شيء، وكنف الطائر: جناحه، وكنف الله: رحمته وستره وحفظه. واكف: المطر الغزير. المُزْنُ: جمع مُزْنَة، وهو السحاب يحمل الماء. هَمْيه: الهَمْى: الماء الذى يصبه السحاب وهو المطر.

(١٧) حلة: ثوب وجمعه حُلَل. حَلْيه: كل ما يُتَزَيَّن به جمعه حُلِىّ.

(١٨) لعمر الله قسم بالله تعالى. (٢٠) عَرَا: أصباب.

(٢١) هداة: جمع هادٍ، وهو الدليل المرشد إلى الهُدى. اقتبسوا: استفادوا وانتفعوا.

(٢٢) أَرْيًا: عسلاً، أو نَدى يسقط على الشجر وعجز البيت يخصُّه بالعسل.

(٢٣) شرْيا: الشَّرْى هو الحنظل وشجره وقال بعضهم أوراقه، وهو ثمر شديد المرارة. =

٢٤ـ فيا ظَفَرَ التَّالِى بأحْسَنِ بُغْيَةٍ ... ويا خُسْرَ مَنْ وَلَّىٰ وصَدَّ ببَغْيِه ٨٩/ب

٢٥ ـ تَضَوَّعَ مِنْ رَيَّاهُ شَرْقٌ ومَغْرِبٌ ... وأَشْرَقَتِ الدُّنْيَا بِبَهْجَةِ رِيِّه

٢٦ ـ وزُحْزِحَتِ العَدْوَى بِعِزَّةِ نَصْرِه ... وَصِحَّةِ تَقْوَاهُ ومُحْكَمِ رَأْيِه

٢٧ ـ فَمَا أثبَتَتْ أحْكامُهُ فهْوَ ثابتٌ ... ومَهْمَا نَفَى بالشَّرْعِ طاحَ بِنَفْيِه

٢٨ ـ حَوَىٰ قَصَباتِ السَّبْقِ مِنْ قَبْلِ آدَمٍ ... وأُرْضِعَ مِنْ ثَدْىِ العُلا قَبْلَ ثَدْيِه

٢٩ ـ جَرَىٰ نَحْوَ أعْلاها بِهِ خَيْرُ مَرْكَبٍ ... فَكُلُّ مَقَامَاتِ العُلا دُونَ جَرْيِه

٣٠ ـ إِذا ما ارْتَدَى زانَ البَهَاءُ رِداءَهُ ... وإِنْ يأتَزِرْ زَانَ التُّقَىٰ فَضْلَ ثِنْيِه

٣١ ـ يَفُوقُ ضِياءَ الشَّمْسِ سُنَّةُ وَجْهِه ... ويُخْجِلُ مَيَّاسَ الغُصونِ بِمَشْيِه

٣٢ ـ بِهِ أسْأَلُ الرَّحْمٰنَ ذَا العَرْشِ دائِمًا ... نَجاتِىَ مِنْ هَوْلِ القِيامِ وخِزْيِه

*****

= جعل الشاعر هدى النبى ﷺ عسلاً طيب المذاق لمن اهتدى به، وشرابًا مرًا لمن تجافى عنه، فخاب من ترك العسل وشرب من الحنظل.

(٢٤) ظَفَر: فوز وربح. بغية: طلب ورغبة يسعى إلى تحقيقها. بغيه: ظلمه وافترائه، واعتدائه وكفره.

(٢٥) تَضَوَّع: فاح عطره ورائحته الطيبة. رَيَّاه: الريح الطيبة. البهجة: الإشراق والنضرة وما يجلب السرور. والأبيات من (٢٥ ـ ٢٧) زيادة من (ب).

(٢٦) زحزح: أبعد وأُزيل. العدوى: الفساد.

(٢٧) الشرع: الدين وسن القوانين. طاح: هلك وفَنِيَ؛ يقصد: إن كل ما أحله الشرع ثابت راسخ وكذلك كل مَا سنّه للناس، وما نهى عنه وحرمه فقد هلك وفنى فلم يعد له وجود.

(٢٨) حوى: نال وحاز. قصبات السبق: جمع قصبة يقال للسابق أحرز قصب السبق، وهو كناية عن التقدم فى الفضل. أصله أنهم كانوا ينصبون فى حلبة السباق قصبة فمن سبق اقتلعها وأخذها ليعلم أنه السابق.

(٢٩) الضمير فى (أعلاها) للعُلا.

(٣٠) الرداء: ما يلبس فى أعلى الجسم. زان: جمَّله وحسنه. البهاء: الجمال والمنظر الحسن الرائع. ثنيه: طَوِيَّته وسريرته وتجمع على أثْنَاء.

(٣١) سنة وجهه: سُنة الوجه: مَلاسَتُه. ويراد به الجبين والجبهة. مياس: أصله ماس يميس ميسًا، ومَيَسَانًا: تبختر واختال فهو مائس وميَّاس.

(٣٢) هول: فزع ورعب. خِزْىِ: من خَزِىَ: وقع فى بلية وشر فافتضح.

تـم

«النظم المختار من مدائح المختار»

والحمد لله على فَضله الدَّارّ

وصَلى الله على سيدنا محَمدٍ

مشرق الأنوار

ومركز الأدوار

ومظهر الأسرار

وعلى جميع الآل والأصحاب والأنصار

وتابعيهم السادة الأخيار

ما تعاقب الليل والنهار

وسلِّم تسليمًا كثيرًا دائمًا أبدًا

في أواخر صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة وألف من الهجرة النبوية

ختمت بالخير إن شاء الله تعالى، آمين.



ثبت بأسماء المصادر والمراجع

(١) الإتحافات الربانية بشرح الشمائل المحمدية للإمام الترمذى، أحمد عبد الجواد الدومى – القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨١هـ – ٤١٦ ص.

(٢) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية، زين الدين عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوى .– القاهرة: مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، ١٩٧٣ – ٣٦٧ ص.

(٣) الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق عبد المعطى أمين قلعجى .– القاهرة: دار الوعى، ١٩٩٣م – ٣٠ مج.

(٤) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق على محمد البجاوى .– بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢م – ٤ مج.

(٥) الإصابة فى تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلانى .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٠٩م – ٨ ج × ٤ مج.

(٦) اصطلاحات الصوفية، كمال الدين عبد الرزاق القاشانى، تحقيق محمد كمال إبراهيم جعفر .– القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م – ٢٠٧ ص.

(٧) الأغانى، أبو الفرج الأصفهانى .– القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩م – ١٥ مج.

(٨) البداية والنهاية، أبو الفدا إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق أحمد أبو ملحم، وآخرون .– بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م – ١٥ ج × ٨ مج.

(٩) تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، مراجعة نخبة من العلماء الأجلاء .– بيروت : مؤسسة الأعلمى، [–١٩٨] – ٨ ج – يعرف بتاريخ الطبرى.

(١٠) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى.– بيروت : مكتبة العلوم الدينية ، [د – ت].

(١١) تفسير الدر المنثور فى التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطى .– بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م – ٨ مج.

(١٢) تقريب التهذيب : لخاتمة الحفاظ، ابن حجر العسقلانى، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .– بيروت: دار المعرفة ، [١٩٦١ أو ١٩٦٢م] – ٢ مج.

(١٣) الجامع الصحيح: وهو سنن الترمذى، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى، تحقيق أحمد محمد شاكر.– القاهرة: دار الحديث، ١٩٣٨م – ٥ ج.

(١٤) حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين ﷺ ، يوسف بن إسماعيل النبهانى، تحقيق عبد الوارث محمد على .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م – ٦٤٧ ص.

(١٥) خير البشر بخير البشر، ابن ظفر الحموى، تحقيق عبد الحفيظ فرغلى، وآخرون .- القاهرة : المكتبة القيمة، [د - ت] - ١٨٤ ص.

(١٦) الــدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلانى .- بيروت : دار إحياء التراث العربى، [-١٩٩] - ٤ مج.

(١٧) الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع، أحمد بن الأمين الشنقيطى، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م - ٣ مج.

(١٨) الــدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، جلال الدين السيوطى، تحقيق محمود الأرناؤوط، محمد بدر الدين قهوجى .- الكويت: مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م - ط٢ - ٢٠٢ ص.

(١٩) دلائـــل النـــبوة ومعـــرفة أحـــوال صـــاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، تحقيق عبد المعطى قلعجى .- بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٨٥ - ٧ ج.

(٢٠) دلائل النبوة، الحافظ أبو نعيم [د. م] .- حلب: دار الوعى، [د.ت] - ٥٦٦ ص.

(٢١) الرحـــيق المخـــتوم: بحث فى السيرة النبوية، صفى الرحمن المباركفورى .- الهند: الجامعة السلفية، ١٩٧٦م - ٦٠٢ ص.

(٢٢) الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيرى، تحقيق عبد الحليم محمود وآخرون .- القاهرة: مطابع مؤسسة دار الشعب، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م - ٦٣٩ ص.

(٢٣) زاد المعـــاد مـــن هدى خير العباد، شمس الدين ابن قيم الجوزية .- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٥م - ٤ ج × ٢ مج.

(٢٤) ســـنن أبى داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى، تعليق عزت عبيد الدعاس .- حمص: نشر وتوزيع محمد على السيد، ١٩٦٩م - ٥ ج.

(٢٥) ســـنن الدارمـــى، أبـــو محمـــد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى .- بيروت: دار الكتب العلمية، [- ٩٠] - ٢ ج.

(٢٦) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى .- بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٢٥ أو ١٩٢٦م - ١٠ج.

(٢٧) سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق شعيب الأرناؤوط .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م - ط٤ - ٢٥ ج.

(٢٨) السيرة الحلبية: وهو الكتاب المسمى إنسان العيون فى سيرة الأمين والمأمون، أبو الفرج نور الدين عـــلى بـــن إبراهيم بن أحمد الحلبى الشافعى، ضبطه عبد الله محمد الخليلى .- بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ م - ٣ مج.

(٢٩) السـيرة النـبوية، أبو محمد عبد الملك المعافرى ابن هشام، تحقيق محمد بيومى .- القاهرة: مكتبة الإيمان، ١٩٩٥م - ٤ ج × ٢ مج.

(٣٠) شـذرات الذهـب فى أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد ابن العماد.- [د-م]: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩ - ٨ ج × ٤ مج.

(٣١) الشـفا بـتعريف حقـوق المصـطفى، القاضـى عـياض .- بـيروت: دار الكتب العلمية، [--١٩] - ٢ ج × ١ مج.

(٣٢) صحيح البخارى، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى، تحقيق محمد زكى الدين محمد قاسم .- القاهرة : دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م - ٤ مج.

(٣٣) صـحيح مسـلم، أبو الحسين مسلم بن حجـاج مسلم .- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م - ٥ ج.

(٣٤) صـحيح مسلم بشرح النووى، أبو زكريا يحيى بن شرف النووى، تحقيق عادل عبد الموجود، على معوض .- الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ٢٠٠١م - ط ٢ - ١٠مج.

(٣٥) الطبقات الكبرى ، ابن سعد .- القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٦٨م - ٨ ج.

(٣٦) غايـة السول فى خصائص الرسول ﷺ، ابن الملقن، تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله .- بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٣م - ٣٦٦ ص.

(٣٧) غـذاء الألـباب شرح منظومة الآداب، محمد السفارينى الحنبلى .- القاهرة: مؤسسـة قرطبة، ١٩٩٣م - ط ٢ - ٢ مج.

(٣٨) فـتح الـبارى شـرح صـحيح البخارى، زين الدين أبو الفرج ابن رجب، تحقيق محمود شعبان عبد المقصود وآخرون .- المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٩٩٦م - ١٠ مج.

(٣٩) القـاموس المحـيط، الفيروزآبادى، تحقيق مكتب التراث فى مؤسسة الرسالة - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م - ١٧٥٠ ص.

(٤٠) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير الجزرى .- بيروت : دار الفكر، [-١٩٨] - ٩ ج.

(٤١) كشـف الخفـاء ومـزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد الجراجى، إشراف أحمد القلاش .- القاهرة: دار التراث، [-١٩٧] - ٢ ج.

(٤٢) كـنـز العمـال: فى سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين على المتقى الهندى .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م - ط ٥ - ١٨ ج.

(٤٣) لسـان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على ابن منظور .- بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م- ط ١، ٣ - ١٨ مج.

(٤٤) اللفـــظ المكـــرم بخصائص النبى ﷺ للعلامة الشيخ الحافظ قطب الدين محمد بن محمد بن عبد الله الخيضرى الشافعي، المتوفى سنة ٨٩٤هـــ، تحقيق محمود أحمد عبد المحسن؛ إشراف مـــوسى شـــاهين لاشين – القاهرة: جامعة الأزهر، ١٩٨١م – ٢ مج – رسالة دكتوراه.

(٤٥) المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية، يوسف بن إسماعيل النبهانى .– القاهرة: دار الفكر، [د–ت] – ٤ مج.

(٤٦) محبة النبى ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد، خليل إبراهيم ملا إبراهيم .– جدة: دار القبلة للثقافة الإسلامية ، ١٤٢٠هـــ – ط ٢ – ٤٦١ ص.

(٤٧) المدائح النبـــوية بين الصرصرى والبوصيرى، مخيمر صالح .– عمان: الدار العربية ، ١٩٨٦م.

(٤٨) المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابورى، إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلى.– بيروت: دار المعرفة، [––١٩] – ٥ ج.

(٤٩) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر .– القاهرة: دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٩ – ١٩٨٠ – ط ٣ – ٢٠ ج × ١٠ مج.

(٥٠) مصنف ابن أبى شيبة فى الأحاديث والآثار، ابن أبى شيبة، تحقيق سعيد محمد اللحام.– بيروت: دار الفكر، ١٩٨٩ – ٩ ج.

(٥١) المطالب العالية من العلم الإلهى، أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازى، تحقيق أحمد حجازى السقا .– بيروت : دار الكتب العربى، ١٩٨٧ – ٩ ج × ٥ مج.

(٥٢) معجم ألفاظ الصوفية، حسن الشرقاوى .– القاهرة: مؤسسة مختار (دار عالم المعرفة)، ١٩٩٢م – ٢٠٣ ص.

(٥٣) معجم البلدان، شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموى، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى .– بيروت : دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م – ٧ ج.

(٥٤) المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى، تحقيق حمدى عبد الحميد السلفى – [د–م : د– ن] ، ١٩٨٣م – ط ٢ – ٢٥ ج.

(٥٥) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، البكرى الأندلسى، تحقيق مصطفى السقا .– بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م – ط ٣ – ٤ ج × ٢ مج.

(٥٦) موعظة البقاع الشريفة بمكة والمدينـــة : محمد محمد داود .– القاهرة: دار المنار، ٢٠٠٢م – ١٩١ ص.

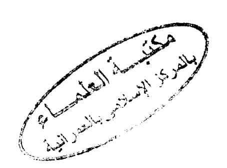
(٥٧) نـــهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن على القلقشندى .– بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤ م – ٤٧٢ ص.

(٥٨) نـــهاية الأرب فى فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى .- القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، [د. ت] - ٣١ مج.

(٥٩) نـــهاية السول فى خصائص الرسول محمد بن عبد الله ﷺ ، مجد الدين أبو الخطاب ابن دحية، تحقيق الدكتور عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادنى .- قطر: مطبوعات إدارة الشئون الإسلامية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م - ٥٢٧ ص.

(٦٠) النهاية فى غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى .- بيروت : المكتبة العلمية ، ١٩٦٥ - ٥ ج.

(٦١) وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، نور الدين على بن أحمد السمهودى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .- بيروت: دار الكتب العلمية، [د - ت] - ٣ مج.



ثبت الموضوعات

تـــمَّ بـــحمـــد الله تعالى

رقم الإيداع: ٢٠٠٤/٢١٤٤
الترقيم الدولى: 977-295-139-8